سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (42)

رسائل أحمد بن إدريس الحسني الفاسي

(1172 هـ - 1758م/1253 هـ - 1837م)

بسم الله الرحمان الرحيم

العقـد النفيـس – الفصل الأول : العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلي الله وسلم على رسوله الأمني ، وآله الطاهرين وصحبه أجمعين .... (وبعد) :

فهذا ابتداء الكلام على نقل ما سمعته من الشيخ سيدي أحمد بن إدريس ، أزاح الله بشمس علمه ظلم التلبيس ، وهدانا لاقتباس نور علمه ، ورزقنا حفظ ما قنص من شوارد المعاني بشباك ذوقه السليم وفهمه ، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم)

سئل :

(رضى الله عنه) : ما معنى الدعاء المأثور عن رسول الله : " اللهم رضنى بقضائك ، حتى لا أحب تأخير ما عجلت ، ولا تعجيل ما أخرت " ؟

فأجاب :

إن معنا التسليم لله تعالى ، حتى إن المصيبة العظيمة تكون عند وقوعها أحب إليك من عدم وقوعها ، وإن كانت النفس لا تشتهي إلا عدم وقوعها ، فإن الخير لك في وقوعها باعتبار المآل ، فإن الله سبحانه لا يفعل إلا ما يعود عليك نفعه ، فإن المصائب مثلاً مقدمات للنتائج ، لو اطلعت عليهن لتمنيت وقوع المصيبة عند عدم وقوعها ، فإن الله سبحانه جعل الوجود خيراً من العدم ، فأوجدك من العدم ، بحيث لم يكن لك اختيار.

فكن في الوجود كأنك في العدم ، وربما منع عنك ما نفسك وهواك يشتهيانه ، ولكن الخير لك في منعه ، ألا ترى أن الصبي ربما أنس إلى النار فسعى نحوها ، والمشفق عليه يدرؤه عنها فيبكي من ذلك المنع ؟ ولكن لو علم أنها تحرقه حمد المانع له بعد سعيه إليها ، وذلك التسليم هو الذي أوصى به غبراهيم بنيه ويعقوب حيث قال تعالى :

(ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسملون)

ثم قال : انظر إلى تسليم ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما مرض المرضة التي مات فيها ، قيل له : هل نأتي لك بطيب ؟ فقال : الطيب أمرضني ، يعني أن الطبيب الأعظم – وهو الله جل وعلا – أمرضني ، فعلمت أن ذلك المرض عين الطب ، ثم انظر إلى إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، لم يسأل ربه حين رماه النمروذ في النار ، بل لما تعرض له جبريل عليه السلام ، وهو في الهواء قال : ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا ، وأما الله فبلى ، قال : سل ربك ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي ، فهذا غاية التسليم عند وقوع الحادثة ، وأما عند كون الدعاء عبادة فدعاؤه عليه الصلاة والسلام كثير ، كما في قوله :(رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون) فتأمل موافقته للمقام ومطابقته للحال

ثم سئل :

(رضي الله عنه) : ما الدليل على وجود الحق سبحانه وتعالى ؟

فأجاب :

أن انظر إذا خرجت إلى البر ، فرأيت هناك خيمة أنت تعلم أن لها ناصباً ، لأنها لا تنصب نفسها علماً ضرورياً ، كذلك تنظر إلى خيمة السماء المرفوعة بلا عمد ، بهذا الإتقان والإحكام ، فتعلم علماً عقلياً ضرورياً أن لها صانعاً سبحانه وتعالى ، وهو لا يتحيز جل وعلا في مكان ن وانظر إلى السمن في اللبن لا يتحيز في جهة ، بل هو في جميع أجزائه (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا)

وسئل :

(رضي الله عنه) : هل صح أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ؟

فأجاب :

إن ذلك من عند خلق آدم ، وأما الدنيا فلا يعلم ابتداء خلقها إلا خالقها ، فإن رسول الله r سأل جبريل عن عمره ، فقال : لا أعلم غير أن كوكباً يطلع في الحجاب الرابع في كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة ، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة ، فقال النبي r : " وعزة ربي أنا ذلك الكوكب " فسبحان العالم لا إله إلا هو .

وسئل :

(رضي الله عنه) : عن القدر ؟

فأجاب :

أن لا يملك الإنسان لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ويقول الله تعالى في كتابه العزيز (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وقال تعالى : (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : (الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) ثم لما نسب المرض إلى نفسه التي لا تنفع ولا تضر ، أعقبه بالدعاء بغفران ذلك الذنب فقال : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)

وزعم بعض المفسرين أن الخطيئة هي أنه قال عليه الصلاة والسلام : (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) وهو كذب وليس كذلك فإنه معصوم ، ولا يجوز عليه الكذب بل المعنى : (بل فعله كبيرهم) وهو الله جل وعلا ، لأنه إله الآلهة ، وهم مقرون بالحق جل وعلا ، ويقولون : (ما نعبدهم إلا ليقربونا

إلى الله زلفى) فأجاب على ما عندهم ، مطابقة للمقام فقال : بل فعله كبيرهم ، وقوله : هذا مبتدأ محذوف الخبر أي : (هذا) قولي (فاسألوهم إن كانوا ينطقون)

وسئل :

(رضي الله عنه) : عن قوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن

فأجاب

هم الذين يصلون وقلوبهم مشتغلة بغير الله سبحانه وتعالى ، انظر إلى المصلي إذا توجه إلى غير الكعبة ، هل تصح صلاته ؟ كذلك إذا توجه بقلبه إلى غير الله تعالى بل توجهه بقلبه إلى الله تعالى أحق من أن يتوجه بقالبه إلى الكعبة ، فوصفهم سبحانه وتعالى بأنهم : (عن صلاتهم ساهون الذي هم يراؤن) يعني يصلون بقوالبهم لا بقلوبهم ، ألا يراؤون ، والرياء هو الشرك نسأل الله السلام والعافية (ويمنعون الماعون) وهو الإناء يعني أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ، وخلق قلبه إناء له سبحانه وتعالى ، فمنعه وشغله بغيره ، وكذلك جميع الذات لم يخلقها الله تعالى إلا ماعوناً ، أي إناء لذكره وعبادته ، بدليل قوله سبحانه وتعالى

:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقوله تعالى لموسى :(واصطنعتك لنفسي) فإذا منعتها مما خلقت له ، وشغلتها بغير ما خلقت له ، فأنت ممن يمنع الماعون .

وما فسر المفسرون في الماعون داخل تحت هذا المعنى ، فإن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتد حبه ليوسف ، والقلب لا يسع إلا الواحد ، فرقه عنه تأديباً له ، ثم خفى عليه وهو في الجب بالقرب منه لما أراد أن يفرقه عنه ، وحين أراد اتصاله به ، وجد ريحه من مصر إلى كنعان ، فسبحان القادر لا إله إلا هو ، وكذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما عظم في قلبه حب إسماعيل ، وذلك لكونه بشر به ، وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر ، فبلغ به الحب إلى الغاية ، فبلاه الرب جل وعلا بذلك البلاء العظيم ، وهو ذبحه له ، فسلم غاية التسليم ، ثم فداه الله سبحانه بذبح عظيم ، وهذا كذلك لكون القلب لا يسع إلا الواحد ، مع كونه قد عظم حب إسماعيل فابتلاه بذلك ؛ ليخلي قلبه له جل وعلا .

والذبيح إسماعيل بلا شك ، لا كما قيل : هو إسحاق ، لثلاثة أدلة :

الأول : أن الله سبحانه وتعالى ذكر قصة الذبيح إلى آخرها ، ثم قال : (وبشرناه بإسحاق) وذلك الترتيب في كتاب الله تعالى تقتضي الحكمة فيه ذلك .

الثاني : أن إسحاق لم ينقل أحد ولم يسمع أنه سكن مكة ، بخلاف إسماعيل فالنص القرآني (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) والذبح وقع بمنى

الثالث : أن الله سبحانه وتعالى بشر إبراهيم بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب في حالة واحدة ، ولو كان إسحاق لما صح الابتلاء ، وهو يعلم أن في صلبه يعقوب ، كما بشره الله به .

وسئل :

رضي الله عنه : عن الحق تعالى هل يرى ؟

فأجاب

نعم . بلا كيفية ، وتتلاشى عند رؤيته الحواس ، فإن رآه رآه بجميعه ، وإن سمعه سمعه بجميعه ، لا بجارحه فقط ، ولهذا قال ابن الفارض :

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين وإن هي ناجتني فكلي مسامع

وسئل :

رضي الله عنه : عن أهل الطريقة ، هل جميعهم عارفون بالشريعة ولا يفتون إلا بها أم لا ؟

فأجاب :

إن منهم من يكون عالماً ومن لا يكون ، إنما العالم منهم يكون نطقه إذا افتى بالكتاب أو بالسنة ، والذي ليس بعالم قد يأتي بلفظ يصيب به المعنى المقصود من الشارع لكن بعض إصابة ، وقد يخطئ بذلك اللفظ المعنى الذي أراده الشارع ، لأنه ليس بمعصوم ، إذ لا يكون معصوماً إلا كلام الله ، أو كلام الرسول r

ثم قال : والفرق بين المعجزة من النبي والكرامة من الولي ، أن المعجزة تكون على جهة التحدي والإعجاز ، ليعلموا أن تلك المعجزة لا تدخل تحت طوق البشر ، وأما الكرامة فتنقسم إلى قسمين باختيار الولي وبغير اختياره ، فالتي بالاختيار كشرب خالد ابن الوليد رضي الله عنه للسم ؛ لأنه رمى بقطرة من ذلك السم بعيراً فتفتت أعضاؤه ، فتناول الإناء الذي فيه السم وشربه جميعه ، والقوم ينظرون ، فهذه باختياره متيقناً أنه لا يضره لأنه لو شربه غير متيقن أنه لا يضر كأن آثماً ، لأن قتل النفس حرام

وكما اتفق للشيخ محيي الدين بن العربي حين جاءه رجل ، يعتقد أن التأثيرات للطبائع في الثمار وفي المخلوقات ، فدارت المذاكرة في إلقاء النمروذ لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار ، فقال ذلك الرجل / ليست النار هذه التي تحرق بالطبع ، إنما هي نار الغضب ، وليس هناك نار تأجج ، فقال الشيخ محيي الدين : أهذه النار التي تراها هي التي تحرق بالطبع ؟ قال : نعم ، فقال لبعض أصحابه : هات تلك النار ، ثم مد كم قميصه وقال : ألقها على كم القميص فألقاها ، وجعل يحدث ساعة ، ثم كشف كمه ، وإذا النار قد عادت فحما ولم تحرق شيئاً من ثوبه

ذلك ، فكانت سبب توبة ذلك الرجل ، وما أبداها إلا لهذا الغرض ، إذ لو كانت على جهة التفاخر لكانت مذمومة عقلاً وشرعاً

فإن رجلاً منهم جاء إلى رجل يتصيد الحوت في البحر ، ولكنه لم يقبض شيئاً فأدخل ذلك الولي يده في الماء ، فخرج في كل شعرة من شعر يده حوت ، فقال ذلك الصياد : وهو منهم – أتفخر علي ؟ ثم أومأ إلى البحر أن هيا الرواح ، فجعل الماء يمشي بعده ، فكلا الرجلين بقيا زماناً يجاهدان في أن يعودا إلى الدرجة التي كانا فيها فما أمكن

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)؟

فأجاب :

قال : العفو : هو أن تعفو عمن أساء إليك ، وإذا كنت كذلك فقد اتصفت بصفة من صفات الله تعالى ، فحقاً عليه أن يعاملك بما اتصفت به (سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم) لا كما قيل : من أن العفو هو ما فضل من القوت ، بل قال الله

تعالى / (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ومنه ذلك العفو ؛ لأنه أحب ما يكون على الإنسان ، سيما عند احتياجه إليه في يوم القيامة ، والقرآن يخدم بعضه بعضاً

وقال رضي الله عنه : إن (كان) إذا دخلت على اسم من أسماء الله تعالى ، فإن عملت في الاسم الرفع وفي الخبر النصب فلا تسمى ناقصة تأدباً ، إنما يقال لها : الحرف الرافع للاسم الناصب للخبر ، وإذا لم تعمل سميت التامة ، وكذلك الذي تسميه النحاة زائداً ؛ لا يقال له في القرآن : زائد ، وليس بزائد بل تحته معنى ، نحو قوله تعالى : (حتى إذا ما جاؤها) بقيت ما هنا النافية لتؤدي معنى ، وهو أن يبقى في الإثبات شم من النفي ؛ لأنهم ما جاؤها هم باختيارهم ، إنما سيقوا إليها (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) فبقيت النافية لتؤدي هذا المعنى ، وكذلك قولهم في قوله تعالى : (فاتوا بسورة من مثله) إن من هنا زائدة ، وليس كذلك تعالى الله ، بل لا يستقيم المعنى إلا بها ، لأن قوله : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) أي من مثل عبدنا ، فالضمير راجع إلى عبدنا ، ولا يصح المعنى إلا بها فتأمل .

وكذلك قوله تعالى :(إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فهي وإن كان المعنى للثبوت ، لكن أتى بالنافية – هنا – ليبقى للنفي شم ، وهو يؤدي معنى أنهم غير واثقين بالتقوى منهم ، وذلك شأن المؤمن فإنه ورد في حديث بعض السلف : أنه عرف (كذا) عدداً من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق ، ذكره البخاري ، فتأمل فائدة الإتيان بها .

وقال رضي الله عنه : في العالم الإنساني : ما اشرف هذا الجوهر ، لو عرف بقدره ، فإن الإنسان إذا ملك جوهرة نفيسة يحرص عليها غاية الحرص ، ويضن بها فيضعها في صندوق (ﷺ 1 رضي الله عنه) ، من فوق سبع سماوات ، ومن تحت سبع ارضين ، وهو في بطنهن ، وجميع ما فيهن مسخرات له ، قائمات في خدمته : شجر الدنيا وحجرها ومدرها وحيواناتها وجميع ما فيهن مسخرات له ، قائمات في خدمته ، وجامدها ومائعها ونجوم السماوات وشمسها وقمرها وسحابها ومطلعها وما فيها ، حتى الملائكة أسجدها له ، ومن أبى منهم صار طريداً بعد أن كان قريباً ، ملعوناً بعد أن كان في جيش الملائكة . وجميع الملائكة في السماوات حتى حملة العرش في خدمته :(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فاغفر

للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) ثم لما أهبط الله آدم إلى الأرض قال : (للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

هنا ذكروا المساوئ ولم يذكروا المحاسن ، مع أن في بني آدم محاسن ، لكن حملتهم الغيرة على التكلم بذلك ، وحق لهم أن تعتريهم الغيرة على الخلافة ، فقال : (إني أعلم ما لا تعلمون) ولما أراد أن يظهر لهم سر الخلافة (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أي في زعمكم ذلك (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) هذا كان موضعه عند قوله : (إني جاعل في الأرض خليفة) وهذه الآية وهي قوله : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ينبغي لكل طالب للعلم أن يقرأها عند ابتداء كل حضور في موقف شيخه ، وبالله التوفيق ؛ لأن الملائكة لما قالوها ، كذلك أمر آدم أن يعلمهم الأسماء

(استدراك من قوله : ما أشرف هذا الجوهر) لكنه أهمل نفسه ووضعها في غير موضعها ، وتكلف مالا يعنيه ، وتحمل مشقات من الدنيا لم يخلق لها ، كما قال تعالى / (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) فما أحسن هذا الشاهد في حقه ، وقد أثقله الحمل ولا شئ على ظهره .

وقال رضي الله عنه في الصحابة رضي الله عنهم : هم مخصوصون بأمور لا تعم جميع الأمة ، فلا يقول العالم : أحكم باجتهادي وأقيس ، عملاً بقول معاذ رضي الله عنه حين بعثه النبي r إلى اليمن وقال له : " بم تحكم " قال : بكتاب الله قال : " فإن لم تجد " قال : فبسنة النبي r قال : " فإن لم تجد " قال : أجتهد رأيي ؛ لأن معاذاً قال فيه النبي r : " أعلمكم بالحلال والحرام " ، وجاء في الحديث أنه يحشر يوم القيامة في مقام العلماء ، والعلماء بعده بقدر رتوة (ﷺ2رضي الله عنه) حجر ، وفي بعض روايات هذا الحديث أنه قال النبي r - بعد أن قال : أجتهد رأيي – " فثبت حتى تعلم أو تكتب إلى " فلا يجوز للعالم الآن أن يجتهد رأيه في حكم من الأحكام ، أو يقيس ؛ لأنه يحكم بما لا يعلم لما في حديث مسلم : " حاكم في الجنة

وحاكمان في النار : فالذي في الجنة : رجل علم الحق وعمل به ، واللذان في النار : رجل حكم بالجهل ، ورجل علم الحق ولم يحكم به "

فهذا الذي حكم بالجهل وإن طابق الحق لكن لا يعلم به ، وهذا الحاكم برأيه إذا قلت له : أتحلف بالله العظيم أنه الحق ، فإن بذلها فلابد أن تطالبه بدليل ، ولا يكون إلا من الكتاب أو السنة ، وإن رجع علم أنه ما بين الخطأ والصواب ، وما ألجأه أن يوقع نفسه في هذه الورطة مع أنه في النار إذا اصاب ، فكيف إذا أخطأ ، فالحكم في هذه القضية ، إما أن يكون في الكتاب أو في السنة ، إنما هو مقصر في البحث ، أو مسكوت عنه فهو عفو ، ألا ترى أن الحق تعالى نهى عن السؤال في المسكوت عنه والكتاب ينزل ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) فإن من قبلنا سألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكاً ؛ ليقاتلوا في سبيل الله ، وكانوا في فسحة غير مأمورين بالقتال ، ولا مكتوباً عليهم ، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم ، وذلك عقوبة لهم ، لأنه ما طلبوا الملك إلا وكل منهم طامع أن يكون هو ذلك الملك ، فلما لم يكن واحد منهم بل بعث فيهم طالوت وهو أفقرهم ، ولا كان منظوراً بعين من

يملك الملك بل هو أضعفهم قالوا : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال)

وفي مثل من أمثال الصوفية ، لو نزلت قلنسوة من السماء لوقعت على رأس من لم يردها ، فإن طالوت لم يرد أن يكون ملكاً ، فلو لم يسألوا لكانوا في راحة من هذا كله ، ثم القليل اتبعوا الملك ، فابتلوا بالنهر وذلك قوله تعالى : (إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم) فانظر إلى هذه العقوبة ، والحال أنهم سألوا أنبياءهم ما لم يكتب عليهم ، فكيف إذا سأل الرجل نفسه . ما لم يكتب عليه ، ثم أجاب من نفسه فالله المستعان .

ثم ضرب مثلاً إن بعض الملوك كان مشغوفاً بفرس ، فمرضت ، فقال : لو أخبرني أحد بأنه مات لأضربن عنقه ، فلما مات قال بعض غلمانه : إن الفرس احتوى والتوى ومد قوائمه إلى الهواء ، فقال السيد : مات ، فقال الغلام : من فم سيدي سمعناه ، فلا يقف الإنسان إلا عند الكتاب والسنة ، فإنهما لم يتركا شيئاً ،

بل هذه الشريعة ليلها كنهارها قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)

ورسول الله r قد بين لنا الحلال والحرام ، وسكت عن أشياء رحمة بهذه الأمة ، كما قال r " إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها " (وما كان ربك نسيا)

وأيضاً فإن الصحابي إذا حكم برأيه فهو إذا غلط رجع عنه لا محالة ، ولابد من عرضه على رسول الله r والقرآن ينزل ، وأما الآن إذا غلط فمن يرده إلى الصواب ؟!

ثم قال رضي الله عنه : واعلم أن الجماعة المنبه عليهم بقوله : " يد الله مع الجماعة " هم القافلون أثر كتاب الله وسنة رسول الله r ، وإن كان واحداً فإن النبي كان وحده في أول البعثة ، وكذلك إبراهيم قال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) ثم قال رضي الله عنه : في حق الصحابة :

إن من رأي النبي r سمى صحابياً ولا يدخل النار ، فقيل : إن لهب رآه ، فقال : رآه إنه ابن أخيه ولم يره أنه رسول الله r ، والفوائد في العقائد .

ثم قال : وإياك أن تخوض في الصحابة بشئ ، فإن الجناب خطر ، قال تعالى : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) واعلم أن رسول الله r قال في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه : " اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه" وجرى بينه وبين معاوية ما جرى ، فلا تنظر إلى ظاهر الأمر وانظر إلى حقيقته ، فإن معاوية رضي الله عنه من الصحابة ، وأيضاً فإنه خال المؤمنين ، فإن أم حبيبة أخته ، وهي زوج النبي r توفى وهي تحته بإجماع الأمة ، والنبي r أبو المؤمنين فإن في بعض الآيات : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وهو أب لهم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)

فإذا عرفت فسأضرب لك مثلاً ، إذا جئت وأبوك وخالك يختصمان ، فإن عضدت أباك أغضبت أمك ، وإن عضدت خالك أغضبت أباك ، فإن كانا موجودين فالأولى لك أن تسعى بينهما بالصلح ، وإن قد سلفا فق ما ندبك إليه قول f وأبو أب

الله تعالى :(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم)

وأيضاً : فإن الحلاج سأله بعض الناس : ما الفتوة ؟ فلم يجبه ، فلما حكم الحكام بقتله ، فحين قتل الحلاج خرج دمه جلالات ، فرآه السائل في المنام ، وإذا هو في موقف العرض وغرماؤه جميعاً ، والحق تعالى يقول : هؤلاء غرماؤك فسل ما شئت نصنع بهم ، فقال :/ رب ، لا أسألك إلا أن تعفوا عنهم . ثم التفت إلى السائل فقال له : هذه الفتوة ، كأنه أراد أن يكون الجواب بالفعل لا بالقول .

وقال رضي الله عنه : نوه الحق جل وعلا بفضل نبينا r على سائر النبيين ، بأن ناداه في جميع القرآن بيا أيها النبي يا ايها الرسول ، يا أيها المزمل يا أيها المدثر ، ونادى سائر النبيين بأسمائهم ، فقال تعالى :(يا موسى أقبل ولا تخف – يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي – يا إبراهيم أعرض عن هذا) ثم من لطفه سبحانه وتعالى أنه نادانا في الكتاب العزيز بيا أيها الناس ، يا بني آدم ، يا أيها الذين آمنوا ، ولم يقل يا ايها الذين كفروا إلا في موضع واحد ، وذلك إنما هي حكاية عنهم يوم القيام (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم

تعملون) وذلك معاملة لهم باللطف وعدم التنفير ، (والله يريد أن يتوب عليكم) ، (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) ثم أمر رسوله r أن يعاملهم بذلك فقال : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وذلك لأن الصيد إذا نفر عسر صيده .

ثم أمرنا تعالى أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، لأن حرف الاستثناء بمعنى الاستدراك ، وهو قوله تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) أي لكن الذين ظلموا منهم ، وأما غير الظالمين فهم الذين أمنوا منهم ، وقد صاروا إخواننا .

ثم بين سبحانه وتعالى كيف يكون الجدال بالتي هي أحسن ، فقال سبحانه وتعالى : (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واجد ونحن له مسلمون)

وقال : رضي الله عنه : في قول الله سبحانه وتعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أتى سبحانه وتعالى بلفظ : أقيموا ولم يقل : صلوا ، وذلك لأن الصلاة كالأعضاء وسائر الجسد ، والخشوع روحها ، فإذا حصل الخشوع والحضور مع

الحق جل وعلا صارت قائمة ، لأن الشئ لا يقوم إلا إذا كان له روح ، وأما إذا لم يكن له روح فهو ملقى هناك، مرمى لا روح له يقوم به ، بل لا يقدر على الحركة

وقوله : (وآتوا الزكاة) ومثله قوله : (مالك يوم الدين) (والأمر يومئذ لله) مع أنه جل وعلا ملك الآخرة والأولى ، وله الأمر في الابتداء والانتهاء ، لكنهم لما ادعوا أن لهم في الدنيا ملكاً ، ولهم فيها أمراً سلم لهم على دعواهم ، سبحانه ما ألطفه تبارك وتعالى ساجلهم سبحانه وتعالى على دعواهم ، لأنهم ادعوا أن لهم مالاً ، فقال : سلمنا وعليكم منه الزكاة ، وهو العشر أو نصف العشر ، أو ربع العشر ، مع أنه قد قال سبحانه وتعالى : (وأتوهم من مال الله الذي أتاكم) ولهذا لم يملك الأنبياء شيئاً لعلمهم أن ليس لهم شئ ، فما في أيديهم جميعه لله ، هم وغيرهم فيه سواء

قيل : إن أحمد بن حنبل والشافعي كانا قاعدين ، إذ مر شيبان الراعي ، فقال أحمد ابن حنبل : إني أريد أن أسأل شيبان سؤالاً ، فقال له الشافعي : لا تفعل ، قال : لابد ، قال : دونك وإياه ، فقال أحمد بن حنبل : يا شيبان في كم الزكاة من الغنم ؟ فقال : على مذهبكم أم على مذهبنا ؟ فقال : أو هما مذهبان ؟ قال : نعم ،

قال : أفتني بهما ، فقال : أما على مذهبكم ففي الأربعين شاة ، وأما على مذهبنا فلا يملك العبد مع سيده شيئاً ، فالجميع حق الله تعالى .

وسأله – أيضاً – عن المصلى إذا سها في الصلاة بزيادة أو نقصان بم يصلحها ؟

فقال : على مذهبنا أو على مذهبكم ؟ فقال : أجبني على كلا المذهبين ، فقال : على مذهبكم يجبر بالسجود ، وعلى مذهبنا هذا قبل غافل يجب تأديبه ، فخر أحمد مغشياً عليه

وسئل :

رضي الله عنه : عن الجلسة قبل القيام من وتر في الصلاة وهي التي يقال لها جلسة الاستراحة ؟

فأجاب :

فقال : هي السنة ، فمن لم يأت بها فقد خالف السنة ، لأنه قد ثبت عنه r في الصحيح . وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وقال r : " صلوا كما رأيتموني أصلي "

وأورد رضي الله عنه أحاديث عن النبي r هي حقيقة أن تكتب بسواد العيون

الحديث الأول : " ثلاثة يرضاهن الله لكم ورسوله : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ن وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاء الله عليكم ، وثلاث يكرههن الله منكم ورسوله : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال "

الحديث الثاني : " ثلاثة حق على الله أن يعينهم : رجل تزوج امرأة ثقة بالله وتوكلاً عليه ، ورجل استدان ديناً ثقة بالله وتوكلاً عليه في قضائه ، ورجل فك رقبة ثقة بالله وتوكلاً عليه " هذا اللفظ أو معناه

الحديث الثالث : " ثلاثة يزوجهم الله من الحور العين ما شاءوا : رجل أؤتمن أمانة شهية خفية ، فأداها مخافة الله تعالى ، ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو

الله أحد إحدى عشرة مرة ، ورجل عفا عن قاتل " يعني يكون العفو من المقتول أو من الولي

وقال رضي الله عنه : كل مقدم في القرآن هو الأهم ، بدليل قول رسول الله r - لما رقي الصفا – أبدأ بما بدأ الله به (إن الصفا والمروة من شعائر الله) فإن تأخر الأهم فلنكتة .

وقال رضي الله عنه : في العناية من الله سبحانه وتعالى ببعض عبيده : لما قال الكهنة والمنجمون لفرعون : إنه يكون خراب ملكك على يد ولد من بني إسرائيل . فأمر بذبح الأبناء ، فلما ولدت أم موسى ألقته في البحر خوفاً عليه من الذبح فالتقطته امرأة فرعون ، وقالت له : (قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) فقال فرعون : قرة علين لك ، فلو سكت لكان قرة عين لهما

ثم لما أخذته امرأة فرعون أبى أن يقبل ثدي مرضعة ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت – لهم أخته – هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) فرده الله إلى أنه ن وكانت نفقتها عليه ، وتربية موسى على يد فرعون .

وأما السامري فلما خافت أمه عليه من الذبح ألقته في كهف في جبل ، فتولى تربيته جبريل عليه السلام ، وصار بعد كافراً ، وفي ذلك يقول الشاعر :

فموسى الذي رباه جبريل كافر ** وموسى الذي رباه فرعون مرسل كذلك سحرة فرعون جاءوا في أول النهار يريدون أن يدحضوا حجة الله بالباطل ، وهذا شر أي شر ن فما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد صاروا في أعلى مراتب الإيمان ، فإنه لما بعث فرعون في المدائن حاشرين ، ليأتوه بكل سحار عليم ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : (أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين) أجرى الحق سبحانه وتعالى ذلك على لسان فرعون ، وهو أنه وقع لهم الأجر من ربهم ، وكانوا عنده من المقربين ، قال لهم موسى (ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) فلما رأي موسى عليه الصلاة والسلام ذلك خاف كما في آية طه (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وذلك الخوف ليس هو من ذلك السحر ، وهو كون الحبال والعصي صارت حيات ، ولكن خاف أن يلتبس الأمر على من لم يعرف ، فقال سبحانه وتعالى : (قلنا لا

تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

ليس أنها ازدردت الحيات التي خيل إليه من سحرهم أنها تسعى وهي الحبال والعصي ، إذ لو كان كذلك لكان لهم مدخل في قدح الحجة ، بأن يقولوا سحره أعظم من سحرنا ، فالتقمت عصاه حبالنا وعصينا

كما أن بعض أنواع الحيوانات يأكل بعضها بعضاً ، فإن الحوت الكبير يأكل الصغير ، وكذلك الطير ، ولكنها أبطلت السحر ، فإذا الحبال والعصي ملقاة هناك لم تتحرك ، بل حبال وعصي على أصلها ، فلم يبق لهم عذر ولحقهم الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد لما صارت كذلك ، فما بقي إلا أن ألقى السحرة سجداً ، أي ألقاهم الله سبحانه وتعالى (قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فرطنا) أي وعلى الذي فطرنا ، وقدم البينات – هنا – على الذي فطرنا لكونها السبب (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه

الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) ولم يقولوا : والآخرة خير وأبقى أو الجنة خير وأبقى ، وذلك لقوة إيمانهم ، قد تعلقت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى ن فانظر كيف جذبتهم يد العناية في أسرع وقت ، اللهم عناية من عندك يا رب العالمين

وقال رضي الله عنه : أعظم الرزايا على هذه الأمة ثلاث :

الأولى : لما اشتد المرض على النبي r قال : " ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده " فما فعلوا ، وكثر منهم اللغط عنده r ، فعوقبوا بأن قال لهم : " قوموا عني "

الثانية : (أن النبي r لما جاء رجل إليه فقال : ألست تحدث نفسك أنك خير هؤلاء ؟ يعني الصحابة قال : " بلى " ثم ذهب ذلك الرجل فقال رسول الله r : " من يقوم فيقتله " ؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فوجده قد خط خطاً وصلى ، فقال : لا أقتل رجلاً يصلي ، هو يناجي ربه ، ثم قال : " من منكم يقوم إلى الرجل فيقتله ؟ فقام عمر رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله ، فمضى فوجده يصلي فقال : إن أرجع فقد رجع عنه من هو خير مني ، لا اقتله وهو يصلي ، فهلا سمع

قول النبي r : " من يقوم فيقتله " بعد أن قال أبو بكر هو يصلي ، فقال : " أيكم يقتل الرجل " فقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه : أنا يا رسول الله ، فقال : " أنت له إن وجدته ، وما أظنك تجده " فجاء فلم يجده ، فقال النبي (ص) : " لو قتلتموه لكانت أول فتنة في الإسلام وآخرها وما اختلف في أمتي اثنان " وذلك الرجل هو رأس الخوارج "

الثالثة : (جاء النبي (ص) يعلمهم بليلة القدر فتلاحي اثنان من اصحابه ، فقال : " إني خرجت لأعلمكم بليلة القدر ، لكن لما تلاحى فلان وفلان رفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، وقال : لما اختلف اثنان من أمتي رفع علمها ، وبقيت خافية في العشر الأواخر من رمضان "

وسئل

رضي الله عنه : أن إبليس يجئ للإنسان بوساوس يشغله بها في أمر دينه وربما جاء في الصلاة ؟

فأجاب :

فقال : لا يضره ذلك ، فإن التسلط هو أن يفسد على الإنسان دينه ، ليس التسلط مجرد الوسواس ، فإن الصحابة – رضي الله عنهم – شكوا إلى النبي (ص) فقالوا : يا رسول الله ، إن الشيطان يوسوس لأحدنا ما نتعاظم أن تكلم به ، فقال النبي (ص) : " أوقد وجدتموه " قالوا : نعم . قال : " ذلك محض الإيمان " وذلك لأن إبليس كاللص ولا يتسور اللص إلا على البيت العامر ، أما على الخراب فلا يرجى فيه شيئاً يأخذه (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

وسئل :

رضي الله عنه : عن التوكل ؟

فأجاب :

فقال : قال الله سبحانه وتعالى : (الذي قال لهم الناس إن الناس قد جموعا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يسسهم سوء) وذلك أنهم علموا أن النصر لا يكون غلا من الله

تعالى : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) فوكلوه وفوضوا ولم يعترضوا ؛ لأن الموكل لا يعترض على الوكيل ؛ إلا لأحد أمرين : إما أن يكون منهما للوكيل بنوع خيانة ، أو إنه ليس عالماً بالمضار من العدو فيدفعها ، أو غير عالم بجلب المنافع لموكله فيجلبها ، وكل ذلك غير مجوز على الله ، تعالى الله علواً كبيراً ، فلما صدقت الوكالة له جل وعلا لم يتكلوا على كثرة ، ولا اكترثوا من قلة ، فنجاهم من عدوهم ونصرهم عليهم .

وفي يوم حنين يقول الله تعالى فيهم : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تعن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) ولك لأنه أصابهم ما أصابهم لأنهم اتكلوا على أنفسكم ، فوكلهم الله إليها فانهزموا ولم يبق إلا الرسول (ص) فعمت المصيبة جميع الصحابة ، ولم يتكلم بتلك الكلمة إلا البعض ، وهي قولهم : لن نغلب اليوم من قلة فانظر إلى هذه المصيبة أصابتهم من الله سبحانه وتعالى ، لكنها في الحقيقة من أنفسهم (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ثم انظر إلى الحسنة ما تكون إلا من عند الله سبحانه ابتداء ، فإنك إذا فعلت الحسنة فمن أقدرك

عليها ؟

لك الحمد يا ربي على كل نعمة ** ومن أعظم النعماء قولي لك الحمد

وقال رضي الله عنه :

من لطف الله تعالى وحسن خطابه لعبيده يقول لهم في الجنة : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وجميع ما أسلفوا هو نعمة من الله – سبحانه وتعالى – لكن لما كان الخطاب بأنه مقابل لما أسلفوا ارتفع المن ، وكأنهم هم الذين جلبوا لنفوسهم تلك النعمة بما أسلفوا ، وذلك من تمام نعمته – سبحانه وتعالى – فإن الإنسان إذا حصلت له نعمة يرى أن سببها سعيه ، عظمت لذتها عنده ، فما امتن – سبحانه وتعالى – عليهم في هذا والمنة له ، فما أكرم هذا – الرب تبارك وتعالى – فذلك قوله – سبحانه وتعالى – : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مع أن المعنى غير مقطوع ، بل على حاله . والله أعلم

وقال رضي الله عنه :

لما كان يوم بدر نصر الله – سبحانه وتعالى – رسول الله (ص) وجنوده ، وشاور النبي (ص) أصحابه في أمر الأسرى ؛ لأن الله أمره بقوله : (وشاورهم في الأمر) فأجمع الصحابة – رضي الله عنهم – على أخذ الفداء إلا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فإنه أشار بقتلهم ، فعاتب الله رسوله (ص) بقوله : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) والنبي (ص) ما عمل بمشورتهم ، إلا بأمر الله – سبحانه وتعالى – حيث قال : (وشاورهم في الأمر) وقد أجمع رأيهم على الفداء إلا عمر – رضي الله عنه – ثم هو مأمور بالعفو : (فاعفوا عنهم واصفح) وهو من خلقه – عليه الصلاة والسلام – المجبول عليه والله – سبحانه – أمسك الوحي في تلك الحالة ؛ ليقضي أمره .

ثم بعد نزلت آية العتاب ، ثم بعدها : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) والكتاب الذي سبق هو قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو – سبحانه وتعالى – لا يخلف الميعاد ، ثم لنتيجة قوله – تعالى – لأهل بدر : " اعلموا ما شئتم فإني قد غفرت لكم "

ثم لما سبق في قضائه من سعادة العباس وعقيل ومن أسلم منهم ، فلما كملت آية العتاب قال تعالى : (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) تابعهم – سبحانه وتعالى – على حسب مرادهم ؛ لأن الغنائم فيما سبق كانت تنزل نار من السماء تأخذها ، فأحلها الله لهذه الأمة من ذلك الحين ، والغنائم أحلت لهذه الأمة إن الله جعل زينته والطيبات من الرزق في الدنيا وفي يوم القيامة للذين آمنوا ، فاغتصب الكفار عليهم من التي في الدنيا ، والمغتصب عليه له أن يأخذ حقه أينما وجده ، إما بتسلق أو جهاراً أو خفية ، كذلك ما اغتصبه الكفار على الذين آمنوا فلهم أن يأخذوه بأي وجه ، هو لمن سبق إليه ، وأما ما كان في يوم القيامة فهي للذين آمنوا لا يقدر عليها غاصب ، ولا يشاركهم فيها مشارك ، قال سبحانه وتعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فلي الحياة الدنيا) فهي لهم في الدنيا لا لغيرهم ثم قال : (خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)

وسئل :

رضي الله عنه : عن النوم ألا يكون في الجنة ، مع أنه معدود من اللذات في الدنيا ؟

فأجاب :

إن لوجوده في الدنيا نعمتين ، ولعدمه في الجنة نعمتين ، فنعمتا وجوده في الدنيا : أنه جعله سباتاً ، والسبات ربطة للعقل ، لأن المجنون الذي قد ذهب عقله لا ينام

النعمة الثانية : الراحة من النصب ، فإذا نام ذهب التعب

وأما اللتان في الجنة عند عدمه : فإن أهل الجنة قد شاركوا الحق في البقاء ، كما جاء أنه يكتب إليهم .

" من الحي الذي لا يموت إلا الحي الذي لا يموت ، أما بعد : فإني أقول للشئ كن فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشئ كن فيكون "

وهو – سبحانه وتعالى – لا تأخذه سنة ولا نوم مع أن السنة هي أول النوم ، فقد يتوهم أن الباري تبارك وتعالى منزه عن الاتصاف بالقليل ، ولا يكون له إلا الشئ الكثير من الأوصاف ، فقال : (ولا نوم) هذه فائدة قوله : (ولا نوم)

والثانية : يفوتهم عند النوم من النعيم العظيم ما لا مزيد عليه ، وذلك غبن ، فتأمل . هذا والله الموفق .,

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ؟

فأجاب بها معناه :

والذين آمنوا صدقوا فاتصفوا بصفاتنا ، وتخلقوا بأخلاقنا ، فإن الله – سبحانه – هو المؤمن ، وعملوا الصالحات التي بلغوا بها إلى مقام : كنت سمعه وبصره إلى آخره ، فإنا جعلنا فيهم قوة وقدرة على عمل الصالحات التي يبلغون

بها إلى هذا المقام ، فإنا لا نكلف نفساً إلا وسعها ، فلم يأمرهم النبي (ص) بقوله : " تخلقوا بأخلاق الله " إلا وهو يعلم أنه أقدرهم على ذلك ، وفي هذا تلميح إلى أن الله – تعالى – خلق آدم على صورته ، فمن بلغ هذا المقام أولئك أصحاب الجنة ، والجنة جنتان جنة المعارف ، وجنة الزخارف ، فلا التفات إلى جنة الزخارف لمن كان من أصحاب جنة المعارف ، هم فيها خالدون في الدنيا والآخرة ، جعلنا الله منهم بفضله آمين .

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) ؟

فأجاب بما معناه :

أي أنها تعبد الله – تعالى – مأمورة بذلك قال تعالى : (وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقال تعالى : (ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون)

فهي مخاطبة بأمرين : أحدهما : عبادة الله ، والآخر : تسخرها للإنسان ، فإنه ذللها – سبحانه – لبني آدم ، وجعل منها متوحشاً كالسبع ، ليعرف ما قد ذلل له منها ، فهي أمم أمثالنا تعبد الله وتوحده وتمجده .

وكذلك الجمادات فإنها تعبد الله وتسبحه ، قال الله – تبارك وتعالى – : (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) وقال – سبحانه وتعالى – في قصة داود عليه السلام : (يا جبال أوبي معه) ففي الحديث أن الأرض تلبي إذا لبى الحاج إلى أن تنقطع كل جهة ، والمؤذن يشهد له كل رطب ويابس إلى منتهى صوته ، وهل في الأرض إلا رطب ويابس ؟

وقال رضي الله عنه :

إن الحصى التي سبحت في كف رسول الله r هي كذلك في كل حالة ، وإنما هو كشف الحجاب عن مسامع الصحابة – رضي الله عنهم – فسمعوها ، فكانت من خرق العادات وقوله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) – إلى – (يومئذ

تحدث أخبارها) أي تشهد للعباد وعليهم ، فكل بقعة تشهد بما صنع فيها العبد ، ولا تشهد بما شهدت به بقعة أخرى ، كالأذن لا تشهد بما رأته العين لأن ذوقها غير ذوق العين وكذلك سائر الأعضاء والجوارح ، فما من شئ في الدنيا إلا وهو شاهد بالتوحيد يسبح بحمد ربه

وقال رضي الله عنه :

سخر الله – سبحانه وتعالى – جميع ما في السماوات والأرض لبني آدم ، وهي جميعها ليست مفتقرة إلى ابن آدم أبداً ، وابن آدم مفتقر إلى جميع ما في السماوات والأرض ، فالله – سبحانه وتعالى – أعطى ابن آدم قبل سؤاله ، وإنما سؤاله بلسان الحال لا بلسان المقال ، فجميع ما سأل من كل ما هو مفتقر إليه قبل وجوده ، ثم خلق سبحانه وتعالى وأوجد أرزاق المسخرات له ، فهو رأس المخلوقات وسنامها ولولاه ما خلقت المخلوقات ولا دار الفلك ، فالشمس وجميع الكواكب في منفعته ، والدواب جميعها في منفعته ، وما توحش منها كذلك ، لأن بتوحشها يعرف قدر المسخرات ، وما نزل من السماء كذلك ، وجميع ما يخرج من الأرض والملائكة يستغفرون لهم ، فالإنسان يذنب والملائكة تتوب عنه ، فقسم سبحانه

ذكر الملائكة بين وبين آدم قال : (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)

ثم زاد في كيفية استغفارهم ودعائهم لهم فقال – سبحانه وتعالى – على ألسنتهم : (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً) إلى قوله : (وذلك هو الفوز العظيم) فهم يستغفرون للذين تابوا ، وهم يشفعون لمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وأسجدهم له وهو في صلب أبيه ، فابن آدم له عند الله هذا الشأن ، وخلق من أجله جميع المخلوقات ، فسخرها له ، وخلقها له ، وهو يعبد ما خلق من أجله ، ويعرض عمن خلق له ، فكيف هذا السقوط من الثريا إلى الحضيض ؟

نسألك اللهم عافيتك ، اللهم أشغلنا بعبادتك عن عبادة من سواك ، يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

ثم الجمادات : كالأحجار ، والأشجار والأرض جميعها تدعوا لبني آدم وتستغفر لهم ، وتشهد لهم بأعمال البر ، كتلبية الأرض إلى منتهاها للملبي بالحج ، وشهادة كل رطب ويابس للمؤذن إلى منتهى صوته ، وغير ذلك مما لا يحصى ، فسبحان الكريم ما أكرمه على عبيده

ومن فوائده (رضي الله عنه) : في كيفية الصلاة على النبي r

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد ، وعلى آله في كل لمحة ونفس ، وعدد ما وسعه علمك .

اللهم إني أسألك إيماناً دائماً وأسالك قلباً خاشعاً ، وأسألك علماً نافعاً ، وأسألك يقينا صادقا ، وأسألك دينا قيما ، وأسألك العافية من كل بلية ، وأسألك دوام العافية وأسألك تمام العافية ، وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك الغنى عن الناس .

ومن فوائده – أيضاً – رضي الله عنه :

اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم الذي ملأ أركان عرش الله العظيم ، وقامت به عوالم الله العظيم ، أن تصلي على مولانا محمد ذي القدر العظيم ، وعلى آل نبي الله العظيم ، بقدر عظمة ذات الله العظيم ، في كل لمحة ونفس ن عدد ما في علم الله العظيم ، صلاة دائمة بدوام الله العظيم ، تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ، واجمع بيني

وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً ، يقظة ومناماً ، واجعله يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه ، في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم .

وقال رضي الله عنه : من اراد الله – سبحانه – به خيراً رزقه الأدب معه ، فإن إبليس أذنب حيث لم يسجد لآدم ، فترك ما أمره الله ، وآدم – عليه الصلاة والسلام – أنذب حيث أكل من الشجرة ، ففعل ما نهاه الله عنه ، ولكن لما قال سبحانه وتعالى لإبليس : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين) والعالين هم ملائكة لم يؤمروا بالسجود ، إنما هم هائمون في الله لا يعرفون غيره ، وهو ليس منهم ، فما بقي إلا أنه استكبر ، فبين استكباره بأن قال : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فنسب إلى الحق – سبحانه – الظلم ؛ لأنه جعل نفسه خيراً منه ، وسجود الأعلى للأدنى ظلم ، فأضاع الأدب أي إضاعة ، فكان سبب طرده ولعنه .

وآدم – عليه السلام – لما قال له الحق – سبحانه وتعالى – ولزوجه (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا

أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فلزما الأدب واعترفا بذنبهما ، ولم ينسبا الظلم إلا غليهما ، فغفر – سبحانه وتعالى – لهما .

وانظر – أيضاً – إلى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – حيث دعا ربه – سبحانه وتعالى – حيث قال : (فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين) ثم لزم الأدب هاهنا ولم يقل : وإذا أمرضني فهو يشفين بل قال : (وإذا مرضت فهو يشفين) فنسب المرض إليه تأدباً مع الحق – سبحانه وتعالى – ثم خاف عند ذلك فخشي أن يكون بسلوكه في طريق الأدب قد وقع فيما لا يليق بجلال سيده – سبحانه وتعالى – بأن نسب المرض إلى نفسه ، فقال : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) فجعل نسبه المرض إليه خطيئة

وانظر – أيضاً – إلى الخضر – عليه السلام – حيث نبأ موسى بما لم يستطع عليه صبراً ، فقال : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها) فعند ذكر العيب هنا قال : (فأردت) وأتى بالضمير المفرد ونسب العيب للسفينة إلى نفسه ، وذلك تأدباً مع مولاه – سبحانه وتعالى – وقال في قتل الغلام

:(وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا) فأتى بالضمير لا على صيغة الإفراد ، لأن في قتله على أبويه حزناً وكرباً في الابتداء عند قتله ، وسروراً وراحة في الانتهاء باعتبار ما انتهى إليه أمرهما ، لأن الله – سبحانه وتعالى – أبدلهما بإبنة خرج من منها سبعون نبياً ، فالضمير هاهنا هو ضمير نفسه مع الحق سبحانه

والنكتة في إتيان الضمير بصيغة التثنية ، التأدب مع الحق جل وعلا ، فالأمر الذي يقتضي الحزن والكرب وهو ما حصل لأبويه عند قتله نسبه إلى نفسه ، وما آل إليه الأمر نسبه إلى الحق – سبحانه وتعالى – ولذلك لما كانت الحالة لا تقتضي إلا السرور والراحة ابتداء وانتهاء ، نسب الأمر إلى الله – تعالى – ولم يجعل لنفسه مدخلاً ، فقال في وصف الجدار :(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما) فقال في الأولى :(فأردت) وقال في الثانية : (فأردنا) في الثالثة :(فأراد ربك)

وانظر – أيضاً – إلى دعاء نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – قال : " لبيك اللهم لبيك وسعديك ن والخير في يديك ، والشر ليس إليك " أي لا يتقرب به إليك ، فما أحسن هذا التأدب مع مولاه – سبحانه وتعالى – موافقة لقوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) وقول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لما قيل له – في مرضه الذي منه مات :– هل نلتمس لك طبيباً ؟ فقال : الطبيب هو الذي أمرضني ، ليس على ما زعم من فسره بظاهرة ، ونسب إلى أبي بكر أنه لم يتأدب ، وأنه لم يقل مثل الخليل – عليه الصلاة والسلام – (وإذا مرضت) فنسب المرض إلى نفسه ن بل قال : أمرضني ونسبه إلى الحق – سبحانه وتعالى – لكن ليس على ظاهره ن بل معناه أن الطبيب داواني بدواء يزول منه دائي ، وهو المرض ، فالمرض هو عين الدواء ، وإذا كان كذلك فليس بشر ، وإذا لم يكن بشر فلا إساءة في الأدب ن بل ذلك من حسن الأدب ، فافهم ما في هذا البحث من نكت في لزوم الأدب

وقال رضي الله عنه : في قول ابن عطاء الله : رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً . ومأخذ هذا مستنبط من كتاب الله تعالى ومن حديث رسول الله r من غير استكبار ولا عز قال الله سبحانه وتعالى : (إن

المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وفي الحديث فيما حدث رسول الله r عن ربه : " أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي " فانظر إلى الفرق بين قوله عند ربهم وبين أنا عند المنكسرة قلوبهم . فإذا قلت : الملك عند فلان . فهو أجل وأعظم من أن تقول فلان عند الملك ، وكذلك أنين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين

وقال رضي الله عنه : إن من تحرى الطهارة وتورع عن النجاسات وهو يأكل حراماً ، فورعه ذلك كورع الكلب يأكل النجاسات والقاذورات ، وإذا أراد أن يبول رفع رجله لكيلا يصبها شئ من البول

وقال رضي الله عنه : في قوله r : " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة " معناه : أن رسول الله r مستغرق قلبه فيما وراء الحجب السبعين التي هي وراء السماوات والأرضين ، وهو مأمور بالتبليغ فيستغفر سبعين مرة ليظهر قلبه على أمته فيطلعوا على أسراره ، فإن الشاذلي رأى النبي r مناماً فقال : يا رسول الله ، ما معنى الغين الذي تستغفر منه سبعين مرة ؟. قال " ذلك غين أنوار لا غين أغيار يا مبارك "

وقال رضي الله عنه : في قوله تعالى :(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) فكرر لفظ اتقوا ثلاثاً ولفظ آمنوا ثلاثا ، وقال في آخرها : وأحسنوا مرة واحدة أي : إن الذي آمنوا وعملوا الصالحات ليس عليهم جناح فيما طعموا من الطيبات من الرزق ، ثم كلما طعموا زادهم إيماناً وتقوى ؛ لأ، الصحابة منهم من حرم الدسم ، ومنهم من حرم النكاح ليتفرغوا للعبادة ، ثم قال تعالى :(ثم اتقوا وأحسنوا) أي إن الإحسان مقارن للتقوى والإيمان ، وفي الحديث أنه نزل جبريل عليه السلام على رسوله r فقال : ما الإيمان ؟. قال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث" قال : ما الإسلام ؟ قال : " الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " قال : ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " قال : ما الساعة ؟ قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " فإذا كان الإحسان مقارناً للإيمان والتقوى فقد صار ولياً فقد أحبه الله ، وإذا أحبه الله فقد صار سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به

، ولسانه الذي ينطق به كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

وكيف يخافون ويحزنون وقد صار الحق منهم بهذه الصفة قال الشاعر :

هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ومنهم ينال الصب ما هو طامع

بهم يهتدي للعين من ضل في العمى بهم يجذب العشاق والرب شاسع

وقال رضي الله عنه : في قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) على حذف مضاف أي أصحاب الكوثر : وهم المؤمنون الذين هم أولاد للنبي r كما في إحدى القراآت ، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ، والكوثر هو النهر الذي في الجنة عدد أقداحه عدد نجوم السماء ، لأن الكفار قالوا : إن النبي r أبتر أي لا نسل له ، وإنه ينقطع ملكه ولا له بنون يقومون بملكه فنزلت : (إنا أعطيناك الكوثر) أي أصحاب الكوثر قاموا بعده بحث الإسلام ، وقفوا فيه آثاره إلى الآن ولله الحمد (فصل لربك وانحر) أي : اجعل هذا القول في نحر أعدائك (إن شانئك هو الأبتر) وأنجز

الله سبحانه وتعالى قوله وهو أن لا يبقى الآن في الآفاق جميعاً ذرية لأبي لهب ولا لأبي جهل ، ولا لأحد ممن مات منهم وهو كافر

وسئل :

رضي الله عنه : هل يجوز أن تفرد الصلاة على غير رسول الله r فتقول : اللهم صل على فلان ، من دون أن تذكر النبي r ؟

فأجاب :

فقال : نعم . أخبرنا الله سبحانه وتعالى : بأنه يصلي علينا ، فقال سبحانه وتعالى : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) وقال تعالى فيمن قال عند المصيبة : (إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ويدل على أن الصلاة من الله تعالى هي الرحمة وزيادة ، لا كما قيل : إنها الرحمة فقط ، إن الرحمة عطفت على الصلوات من باب عطف العام على الخاص ، ثم إن النبي r كان يجيئه المتصدق بالصدقة فيصلي

عليه امتثالاً لقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى (فلا اقتحم العقبة) إن العقبة بلغة العرب : هي الجبل الوعر المسالك الذي لا يصعد إليه إلا بمشقة ، ثم قال : (وما أدراك ما العقبة) أي عقبة هي (فك رقبة) والرقبة - هنا – منكرة لتقتضي الشمول لكل رقبة محبوسة ، إما في دين فيقضي عنها فيفكها ، أو من وجب عليه القصاص فيفكها ، أو ضال يهديه ، فيفك رقبته من حبس الضلال ؛ أو غير ذلك ، ثم قال تعالى : (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي جوع ، والمراد المطعم هو الجائع وإن كان غيره شبعان (يتيماً ذات مقربة أو مسكيناً ذا متربة) اليتيم على قسمين : أحدهما : الملتجئ إلى الله تعالى ، لا يصافي أحداً غيره ، ولا يصادق ولا يحب إلا الله ، أو في الله ، فهو يرى وجود أبويه وعدمهما على حد سواء ، وهذه أعلى رتبة ، فهو يتيم وإن بلغ سن الشيخوخة ، والثاني : اليتيم عن أبويه أو أحدهما ، ولا يكون يتيماً إلا مادام لا يمكنه التكسب ، والمسكين على قسمين : الأول : هو المتمسكن إلى الله ، أي الذي لا يسكن إلا إلى ربه ، فهو ملازم حضرته ، فلا يأنس إلا إليه ، وهذا هو الذي قال فيه الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله "

اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين " وهذا هو أعلى درجة ، والثاني : هو اللاصق بالتراب ، ثم قال تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) كان هذه من قوله : (كان من الذين آمنوا) تامة ، يعني تستغرق الزمان ماضياً وحالاً ومستقبلاً ، أي بقي مؤمناً حتى مات ، كما قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلى مثلها وهم لا يظلمون) ولم يقل من عمل الحسنة ليكون معناها من جاء يوم القيامة بالحسنة ولم تحبط ، ومن جاء بالسيئة ولم تمح

وقال رضي الله عنه : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) قال : هذه الآية من المخوفات التخويف العظيم ، لأن إنما للحصر ومن ذات يكون متصفاً بهذه الصفة ؟. فإنه قيل لبعض الأولياء وهو الحسن البصري : كيف تجد إيمانك ؟ فقال : أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وأما أنى ممكن ذكر الله : إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى آخرها ، فلا أدري ، والذكر هو باللسان والقلب ، والاعتبار بالعين لقوله تعالى : (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) فهو ذكر هنا بالعين ؛ فإن الاعتبار في العالم ذكر ، وهو أعظم الذكر ، وقوله تعالى

:(وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) المراد الآيات القرآنية والعالمية : أي إذا نظرت إلى مخلوقاته زادك إيماناً لأنها آيات تتلى عليك قال تعالى :(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزر الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

وقال رضي الله عنه :(أفرأيتم ما تمنون) الإنسان يلقى منيه ، ولا يدري أين صار ، فيوكل الله به ملكاً خلق من سر الخالق البارئ المصور يضعه في قرار مكين ، أي لم يخن في شئ منه ، بل يحفظه غاية الحفظ ، ثم يكون علقة أشد من النطفة ، فإذا كان كذلك استأذن الملك ربه يقول : رب ، هل قد وفي أجله أفتزلق فإذا هو لم يصل أجله ، يقول : لا . انقله مضغة فيصير مضغة وهي أشد من علقة ، فيستأذن الملك ربه يقول : رب ، هل قد وفى أجله أفتزلق فإذا هو لم يصل أجله ، يقول : لا . انقله مضغة فيصير مضغة وهي أشد من علقة ، فيستأذن الملك ربه كذلك ، فيشق جل جلاله بصره وسمعه ، ويخلق فيه الأعضاء حتى يصير في الصورة الإنسانية ، فيبرز إلى الوجود وليس له عقل يعقل به ،. ولا فهم يفهم به ،

ولا نطق يتكلم به بما يريد ، فيجوع ويعطش وهو لا يحسن الكلام ، فيصيح ، وذلك الصياح يدعو ربه دعوة مضطر فيجاب في الحال والسرعة ، فيوجد الله له اللبن في ثدي أمه ، حتى لو أنها أرادت أن تدفعه وترده ما أمكنها ، ولو أرادت وجوده قبل أن يولد المولود ما أمكنها ، فيا ليتنا كنا كذلك مجابين الدعوة في الحال

ثم يوجده سبحانه وتعالى سائغاً ليس يحتاج إلى مضغ لكون الطفل بلا أسنان يمضع بها ، ولا يحتاج إلى هضم لأنه معدته غير قوية على الهضم ، ثم يجد فيه الري والشبع فيستغني عن الماء والطعام ، لأنه لا يقدر أن يطلب عند عطشه ماء ، ولا عند جوعه طعاماً ، فيهديه إليه ويهوى إليه لا إلى عضو غيره ، ثم يلهمه المص على تلك الكيفية سبحانه وتعالى ، ثم لا يزال ينمو ولا ينظر عياناً ، لأن كل شئ إذا مددته بعد أن كان متحيزاً لابد أن تنظر لمدة تأثيراً في طوله وعرضه ، وأما هذا النمو فهو في كل حالة لا يزال ينمو ، هو جملة وكل عضو من أعضائه وهو لا يدرك ، ثم يتولد معه التدبير ، وكلما زاد معه التدبير نزع الله الشفقة من قلب أبويه بقدر ذلط ، فإن أمه في أول الأمر لا تستطيع تفارقه ساعة ، ثم بعد قد تفارقه اليوم واليومين ، ثم قد تفارقه بعد أن يكمل تدبيره الزمان كله ، فلو لم يدبر له أمراً بل رضي بالله كفيلاً كما كان أولا لكفاه كل مؤنة ، وتيسير ما هو موجود

أهون من إيجاد ما هو معدوم باعتبار عقل الإنسان ، ألا ترى أنك قد تهتم بتيسير قوت يومك وهو موجود على ظهر الأرض ، وتيسيره أهون من إيجاد اللبن من العدم من بين فرث ودم ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال رضي الله عنه : في قول أهل الكلام : الاسم عين المسمى أو غير المسمى خاضوا فيما لا يعنيهم ، وحيروا من اطلع على علومهم من بعدهم . الذات : هي جميع الأسماء ، وهو تعالى متجل بجميع صفاته في ذاته ، ألا ترى أن الرجل إذا كان حداداً نجاراً خياطاً عماراً عالماً | ، فإذا رأيته رأيت رجلاً ، ثم إذا ظهرت لك صفة من صفاته علمته بها فسميته بها فإن علمته نجاراً – مثلاً سميته نجاراً ، وإن علمته حداداً سميته حداداً وهلم جرا ، فالباري جل وعلا يعلم بجميع صفاته من صنعه سبحانه وتعالى ، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه ، للنبي r : أوصني يا رسول الله ، قال : " قل ربي الله ثم استقم " فقال : ربي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له النبي r : " لينهك العلم يا أبا الحسن " لأنه قال : ربي الله ، ومن قال : ربي الله ، فقد آمن بالله وبكتبه ورسله ووعده ووعيده ، ثم استحضر في جواب قوله : ثم استقم لا حول ولا قوة إلا بالله ، أي إن الاستقامة لا تكون إلا

بحول الله وقوته وتوفيقه ، فإذا أردت ولم يرد الله تعالى لم تقدر أبداً ، ولو حاولت بكل ممكن

ثم قال : رأى بعض الأولياء النبي r فقال له : يا رسول الله ، قلت : شيبتني هود وأخواتها من القرآن ، ما الذي شيبك منها ؟ قال : قوله تعالى : (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) ولم يسأل على كرم وجهه عن الاسم ولا عن المسمى ، بل عرف بحقيقة الأسماء كلها بقوله : ربي الله ، ولم يجبه النبي r إلا بذلك الجواب الذي يظهر من فحواه أن قد علم بالعلم جميعه ، ثم في البقرة (وعلم آدم الأسماء كلها) أي أسماءه سبحانه وتعالى وإذا علم بأسمائه لزم علم أسماء غيره من جميع المخلوقات ، فلا حاجة لنا في ذلك العلم الذي يقال فيه : الاسم عين المسمى أو غير المسمى ، لأنه مظلم والعلم نور وهو خفي ، والشريعة ظاهرة ، والحق بين يثبت في القلب ، حتى لو أراد من عرف الحق أن يطمسه من قلب نفسه لما قدر ، والباطل داحض (إن الباطل كان زهوقاً) لا يحتاج إلى من يزهقه ، لأن العدم لا يحتاج لإعدام ، والوجود لا يحتاج إلى إيجاد ، وإذا بطل من الإنسان شئ من مفاصله بفالج أو غير ذلك نسأل الله العافية والسلامة ، لا يقدر أن يقوم ، بل

يبقى قاعداً وإن أقامه غيره فلا يقوم إلا متى بقى ملازماً له فإذا تركه وقع ، والله الموفق .

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى :(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)

فأجاب :

الجهالة – هنا – هي أن يعمل السوء وهو جاهل بحق الله تعالى ، لا أنه جاهل أنه سوء ثم لما علمت بالله وعلمت أنه عندك حاضر لا يغيب ، وأن السيئة الصغيرة في جناب من عصيته كبيرة وأي كبيرة ، وعلمت بطشه وصدقت وعده وعيده وتبت من قريب ، تاب الله عليك ما لم تغرغر بالموت ، فإن تبت قبل أن تغرغر فقد تبت من قريب ، فأتى الله سبحانه بعلى في قوله إنما التوبة على الله أي وجبت

لأنه لو قال من الله او لله فلا تؤدى هذا المعنى ، ثم قال تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) فذلك لا ينفع

ثم قال رضي الله عنه : واعلم أن الإنسان في كل حالة مخاطب بالموت ، قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت- وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) قال النبي r : " ما مددت بصري إلا وظننت الموت يبتدرني قبل أن يرتد إلى طرفي ، وما التقمت لقمة إلا وظننت الموت يبتدرني قبل أن أسوغها " هذا أو معناه ومن هنا ارتفع حكم التسويف والأمل قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل) وقال تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله) الآية . فالأمد والأمل بمعنى واحد ، وهو الذي يجوز أن يكون له فيه توبة ولا يتوب ، ولم يعلم أن الموت في كل حالة يطلبه لقول الصديق رضي الله عنه :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وقال : رجال لبعض الأولياء لما رأوه لا يتكلم معهم في خوضهم : لم لا تتكلم معنا إنا نحن حديثك ؟ فأجاب : الحالة التي تحب أن تكون عليها عند الممات كن عليها في جميع الحياة ، فانظر إلى هذه الكلمة التي تلحق بالمعجز ، لأنك إذا رأيت الأمير النافذة أوامره وإذا قيل له : تموت غداً ، هل يبقي من أمره ذلك ؟ احبسوا فلاناً ، قيدوا ، شدوا الفرس ، جهزو الجيش ، أم ينتظر الموت ويرتقب له ويتهيأ له ؟ دائم الفكر متذكراً لسيئاته ، قد يذهل عمن عنده ، ولا يتكلم بشئ مما جرت به عادته ، وكذلك غيره من أهل الصناعات والزراعة والتجارة إذا قيل له : تموت غداً لا يشتغل بشئ من ذلك الذي هو فيه سابقاً ، بل يشتغل بالتأهب للموت ، فانظر معنى هذه الكلمة .

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) ؟

فأجاب :

أي إن الأبرار لفي نعيم في الدين لأنهم في هدى ، والهدى نور ، والنور وجود ، والوجود هو الله ، وإن الفجار لفي جحيم لأنهم في ضلال ، والضلال ظلمات ، والظلمات عدم ، فيحيون بإحياء الله والأولون بحياة الله تعالى ، وليس من كانت حياته بإحياء الله كمن حياته بحياة الله ، وأني وأين ، فوجودهم كعدمهم ، وإن كانوا في الظاهر في نعمة ، ألا ترى أن الملك إذا كان حزيناً بموت ولده ، أو بنصر عدوه ، ربما كان في بستان أنيق بين نور وشقيق ، وفي يده مفاتح الخزائن ، وبين يديه الخيل الصوافن ، تتهادى له الجواري ، وينزه طرفه في العيون الجواري ، ويتبختر في ظلال زهوه ، ويتيه في قصور زخارفه ولهوه ، لكن قلبه في نار الحزن ، وعينه مطلقة للوسن ، قد عاف الطعام والشراب ، وضاقت عليه الفسيحات من الرحاب ، قال تعالى : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية ، وقال تعالى فيمن عداهم : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) أو قال تعالى : (ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

وسئل :

رضي الله عنه : هل يحتاج المصلي على النبي r أن يقول : وصحبه ؟

فأجاب :

قال : لا يحتاج لأنهم قد دخلوا في آله ، لأن الآل : هم المؤمنون من أمته ، فهم وغيرهم من المؤمنين قد دخلوا في الآل ، بدليل ما ثبت في بعض القراآت النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقوله تعالى :(إنا أعطيناك الكوثر) أي أهل الكوثر وهم الذين يقومون بشريعته من بعده ، كالخلفاء الراشدين من بعده ، ومن تبعهم لأن الكفار قالوا : إنه أبتر وأن هذا الأمر سيبطل بعده ، لأنه ليس له ذرية يقومون بهذا الأمر بعده ، فنزلت هذه السورة ، وأثبت الله بها معزتين : إحداهما : أن الله سبحانه وتعالى أقام هذا الدين بآله من بعده إلى الآن ، والثانية : أن الكفار حين تكلموا بذلك ولهم ذرية وأحفاد لم تمر أدنى مدة إلا ولا يعلم أن أحداً ينسب إليهم ، ولا بقي منهم بقية ، نفى نسبهم عن الدنيا بالكلية ، فسبحان العدل الحكيم ، وذلك مصداق قوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر)

وسئل :

رضي الله عنه : إذا صلى الرجل صلاة المغرب ثم أراد أن يتصدق على رجل آخر بالصلاة معه ، هل يقتصر على الثلاث ، أو يقوم بعد أن يسلم الإمام يأتي برابعة لكون الثلاث لم تشرع في حق المتنفل ؟

فأجاب :

بأن المتنفل إما أن يكون إماماً أو مأموماً فإن كان إماماً اقتصر على الثلاث ، كما ثبت في الحديث : أن رجلاً جاء إلى النبي r وقد صلى هو وأصحابه ، فقال النبي r : " أيكم يتصدق على الرجل فيصلي معه " ؟ فقام رجل قيل في حديث آخر : هو أبو بكر ، وإذا كان أبا بكر فهو الإمام بلا شك أنه الأفضل وهم لا يقدمون إلا الأفضل ، عملاً بقوله r : " إنما أئمتكم شفعاؤكم يوم القيامة فانظروا لأنفسكم شفعاء" وجائز أن يصلي المفترض خلف المتنفل لهذا . ولفعل معاذ ، كان يصلي مع النبي r ثم يخرج فيصلي بالناس ، ومعلوم أنه لا يرضى بالصلاة مع النبي r إلا فريضة ، ويتنفل حين يصلي بالغير وذلك في مغرب وغيره ، فهذا هو الدليل على الاقتصار على الثلاث وعلى أنه يجوز للمفترض أن يصلي خلف

المتنفل ، وإن كان المتصدق المتنفل هو المأموم قام وأتى بركعة بعد أن يسلم إمامه لأن الثلاث في حق المتنفل ليست مشروعة .

وذكر رضي الله عنه : في حال كون المتنفل إماماً والمفترض مأموماً إنه ربما صار الأمر والتصرف للضعيف الأدنى كأن تحصر المرأة عن طواف الإفاضة فيجب على محرمها أن يحصر معها فتصير هنا متبوعة وهي في كل حالة تابعة

وقال رضي الله عنه : اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال ، فربما كان الحق عند من هو غير مقطور به ، وربما كان المقطور به يخفى عليه الحق ، ألا ترى أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لما استأذن عليه أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – ثلاثاً ولم يؤذن له رجع ، فلما فرغ عمر مما هو فيه قال : أين أبو موسى ؟ فقيل له : رجع ، فأمر من يبتغيه ، فلما وصل قال : لماذا رجعت ؟ قال : كان هكذا يفعل الصحابة مع النبي r ، فقال : لئن لم تأتني بشاهد لأوجعنك أو كما قال فقصد أبو موسى الأنصار فأخبرهم ، فقالوا : إن الصبيان منا يعلمونه ، فأرسلوا معه أصغرهم فشد بذلك ، والحال أن عمر كان أكثرهم استئذاناً على رسول الله r ، وخفي عليه مثل هذا

وكذلك لما خطب يوماً فنهى عن المغالاة في المهور ، فقالت امرأة : تنهى عن المغالاة في المهور وقد قال الله سبحانه وتعالى : (وأتيتم إحداهن قنطاراً) فقال : حتى النساء أعلم منك يا عمر ، فكن مع الحق يعرفك بأهله ولا تقل لو ثبت هذا لعلمه فلان ، فربما آخذ الحق من غير أهله ، كما قال سبحانه وتعالى حاكياً عن إبليس :(فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) قال تعالى : (فالحق والحق أقول) أي فالحق تقول والحق أقول ، ثم ثبت في الحديث أن أبا هريرة – رضي الله عنه – لما كان على الصدقة جاءه إبليس فأمسكه ، فقال : لئن تركتني لأعلمنك شيئاً إذا قلته لم يدخل بيتك شيطان فتركه قال : تلك آية الكرسي ، فقال له النبي r لما أخبره : " لقد صدقك وهو كذوب " فالحق معروف لا غبار عليه

وقال رضي الله عنه في قول الله لرسوله : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) إن من – هنا – للتبيين وقال تعالى بعد أن عدد الرسل في سورة الأنعام : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) واستثنى سبحانه وتعالى واحداً منهم في أمر مخصوص فقال : (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم)

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى في قصة يوسف : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أي همت فيما هو همها فإنها قد عرضت من قبل ليوسف تعريضات فما بلغت ما تريد ، فلما لم يمكن إلا التصريح صرحت به فراودته عن نفسه صريحاً ، وهو عليه الصلاة والسلام همه الخلوص منها فهم لما غلقت الأبواب وقالت : هيت لك وما بقي منه بد بالتخلص منها بقتل أو بضرب أو بما يدفعها عنه لأن ذلك همه (لولا أن رأى برهان ربه) والبرهان الذي رأى : هو صورة امرأة العزيز لأنها برهان لصانعها جل وعلا ، لأن البرهان للشئ هو الدلالة عليه ، وذلك معنى قول أبي بكر رضي الله عنه : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ، ومعنى :

وفي كل شئ له آية ** تدل على أنه الواحد

فألهمه سبحانه وتعالى أن يدرأ بالتي هي أحسن ، ليصرف عنه السوء والفحشاء بذلك التخلص وهو الهرب (فاستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب) وقد كان يوسف أراد أن يكلمه عند أن ألفياه لكنه رد أمره إلى الله (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم)

أشارت عليه بالسجن خوفاً عليه من القتل عنده الغيرة كما تفعله الملوك ، فلما تكلمت بذلك ونسبت إليه ذلك دافع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي)

وقال رضي الله عنه : إذا لم تجد دليلاً على الحادثة في عمل أو فتيا من الكتاب أو السنة فقل : لا أدري ، فهي خير لك من أن تفتي برأيك ، فإن قولك : لا أدري خير لك من أن تكذب على رسول الله r ، لأن من أحدث شيئاً في شريعته فقد كذب عليه ، وفي الحديث : " العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة ماضية ، ولا أدري " هكذا هو أو معناه وقال الشاعر :

تعلمت لا أدري أنني ** إذا قلت لا أدري بأني لا أدري

غيره

إذا شئت أن تدري تعلمت لا أدري ** فإن قلت لا أدري أفادك من يدري

وإن قلت أدري لست تعدم سائلاً ** يبين بالتساؤل أنك لا تدري

وقال رضي الله عنه : لما سئل عن الدعاء المأثور عن النبي r في السجود وهو : " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " هل يجوز ذلك مع أنه قد نهى عن تلاوة القرآن في الركوع والسجود ، وهذا الدعاء متضمن الآية ؟

فأجاب :

إن ذلك يجوز لأنه ليس قاصداً التلاوة ، والنبي r قال : " نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً " لأن التلاوة حكاية عن الله والركوع والسجود موضع خضوع ، ولا يحكى عن الله تعالى في موضع الخضوع ، لأنه نائب عن الله تعالى ، وهنا ليس بتلاوة فيجوز ، وكذلك في سجود التلاوة . فتبارك الله أحسن الخالقين

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ؟

فأجاب :

إن لها وجوها : لأن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز ، فكذلك كلامه لا يتحيز في معنى ، ومن حيزه في معنى فهو لقصور علمه وفهمه فأحد وجوه تفسيرها : هل جزاء الإحسان من الله ابتداء إلا الإحسان منه انتهاء ؟ أي ما ابتدأ سبحانه وتعالى من العطاء لا يسترجعه لأنه حرم ذلك على عبيده ، فما ظنك به جل جلاله وهو بالإحسان بادئ حاشاه يختم بالإساءة ، ولكن إذا نزعت عن الإنسان نعمة أنعم الله عليه بها فإنما هو لكونه لم يقبلها ، فإذا ألبسه الله حلة فقد يلبسها أياماً ثم يلقيها ، وقد لا يقبلها في الساعة فيقال له : أعطيناك حلة فلم تقبلها نحن نعطيها غيرك ، أي نعمة كانت ، نعمة دين ، أو نعمة دنيا (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ابتدأ كل إنسان بالإسلام ؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة فلم يقبله البعض بل تهود أو تنصر ، وعلى هذه غيرها من جميع النعم

وسئل :

رضي الله عنه : عن تفسير قول الله تعالى : (ويل لكل همزة لمزة) ؟

فأجاب :

إن ويل واد في جهنم مخصوص جعله الله للأفاك أي الكذاب ، وللمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وللمطففين وللهمازين اللمازين ، والهمزة واللمزة متقاربان وهو الذي ينظر في عيوب الناس التي لا تضره ، ولم ينظر في عيوب نفسه التي تضره ، قال تعالى (هماز مشاء بنميم) وقال تعالى ك (ومنهم من يلمزك في الصدقات) أي يعيبونك (والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) وهم المتشوفون بقلوبهم لما في أيدي الناس (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) وقال تعالى : (الذي جمع مالاً وعدده) أي هذا الرجل الملازم على جمع ما في أيدي الناس يحسب أن ماله أخلده ، وقد لا يأكل من ماله ذلك لقمة (كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليم مؤصدة) أي مطبقة (في عمد ممددة) وذلك لأن العمود الحديد إذا صار ناراً والنار لا تفارقه فهو أشد في العذاب ، نسأل الله العافية والسلامة .

وسئل :

رضي الله عنه : أي الأولى للإنسان : التكسب أو عدمه ؟

فأجاب :

إنه ينبغي للإنسان أن يقف حيث أوقفه الله ، فإن أوقفه في كسب بقي في ولا يتكل على ذلك الكسب ، فإن رجلاً من الصالحين كان خرازاً فحدثته نفسه يوماً إنه إن لم يعمل لم يأكل شيئاً ، فقال لها : وأنا عقوبة لك يا نفسي لأقفن حيث أوقفني الله ، ولا أطعمك مما اكتسب شيئاً ، فبقي كذلك حيث أوقفه يتكسب من حرفته ، ويتصدق به ولا يأكل منه شيئاً ، وإن لم يوقفه في تكسب بقي كذلك حيث أوقفه لكن لا يسأل ولا يتشوف قلبه إلى إعطاء أحد إلا الله ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً للتكسب فلابد أن يتكسبوا وخلقاً للتكسب فلا يمكنهم فلا بأس بالأمرين ، وكلاهما حسن مع شروطهما ، ألا ترى أ، الصحابة في الهجرة ، بقي منهم جماعة في الصفة : منهم أبو هريرة ، وعثمان ابن مظعون ، لم يأمرهم النبي r بتكسب ، ومنهم من تكسب بالتجارة ، كعمر وعثمان لم ينههم النبي r

وسئل :

رضي الله عنه : عن أخذ الفقير لما أعطى هل لا بأس بذلك ؟

فأجاب :

إنه لا بأس مع عدم السؤال والتشوف لما في أيدي الناس ؛ فإن النبي r الذي من شمسه فاضت الأنوار على من سبق ومن لحق ، كان قبل الهدية . وفي الحديث : " كل لقمة لك لابد أن تأكلها ، فكلها بعز ولا تأكلها بذل " أي ربما أكلتها بسؤال والتجاء إلى مخلوق فتأكلها بذل ، وإن أكلتها وأنت عازم ومعتقد أنها من الله ، وإن أعطاك مخلوق فأنت أكلتها بعز ، وفي الحديث " لا ترضين أحداً بسخط الله ، ولا تحمدن أحداً على رزق الله ، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله " فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، وإن الله عز وجل بعدله وقسطه جعل الروح والفرج في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ، إنما الشكر الذي أمرنا به لمن أحسن إلينا ، لكونه السبب كما قال تعالى : (أن اشر لي ولوالديك) فإن الخالق البارئ المصور هو الله سبحانه وتعالى ، وأبواك السبب فأمرك بشركهما ، بل قرن شكرهما بشكره سبحانه ، وإذا أرجعت ما أعطيته فقد أسأت الأدب ، لأن الله تعالى أعطاك ذلك فلم تقبله ،

وهذا إساءة أدب وأي إساءة فرجل عاهد الله تعالى أن لا يسأل أحداً ، ولا يأخذ شيئاً إذا أعطى وهو في الحج حينئذ فكابد مكابدة عظيمة ، وأدركه الجهد ، فلما كان يوم منى رأى رجلاً في أعلى سوق منى يسعى سعياً بالغاً ، فلما سامته ألقى في حجره فلوساً ، ثم ذهب لا يستطاع أن يلحق ، فبقي الرجل مفكراً ، لأنه قد عاهد الله أن لا يقبل شيئاً والرجل لم يعلم من هو ، ولا يمكن لحوقه فأخذ ذلك رغماً منه ، وكان تأديباً له ، لأن هذه الصورة هي أعظم ما يكون في موافقة ما يريد له لكنه لم يخرج من قبولها .

فقيل له : فإن كان المعطى ظالما ؟ قال : إن علمت أنه ينزجر ويخاف إذا أرجعت ما أعطاك أرجعته ، وإن لم يؤثر قبضته وتصدقت به ، لأن ما في يده مال الله محبوس في يده ، يدعو الله أن يطلقه ، فكان لك السعي في إطلاقه ، وإن كنت تعلم بصاحبه أرجعته له

فقيل له : فإن كان أكلاً كأن يكون دعوة فكنت ممن دعى ؟ فقال : إن أمكنك الخلوص فهو الأولى ، وإن لم يمكن ولابد ، فكل وتصدق بمثله في مقابلته ، لأنه

لابد من المحاسبة على مثاقيل الذر ، فتكون هذه في مقابلة تلك ، وإن كنت فقيراً نويت ذلك إن يسر الله عليك ، " ونية المؤمن خير من عمله "

فقيل له : فإن وقع ذلك كيف الخلوص منه ؟ قال : التوبة . وصورة التوبة فيما كان بينك وبين الله تعالى : أن ترجع لكل ذي حق حقه إن كان معلوماً ، وإن لم يعلم تصدقت بذلك أو بمثله ، حتى تعلم أنك قد أوفيت ، وإن كنت فقيراً نويت ذلك ونية المؤمن خير من عمله ، وقصارى الكلام : أن الظالم محنة على نفسه وعلى غيره ، ففر منه أي فراراً (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) والظلم بمعنى النقص قال الله تعالى : (أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) أي لم تنقص وأي شئ أنقص من نفسك فإنها عدوة لك ، فلا تركن إليها فتمسك النار

وقال رضي الله عنه : " سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاملين ، ويدخلهم النار أول الداخلين ، إلا أن يتوبوا إلا أن يتوبوا إلا أن يتوبوا ، فمن تاب تاب الله عليه : الناكح يده ، والفاعل ، والمفعول به ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذي حتى يلعنوه ، والزاني بحليلة جاره ، ومدمن الخمر "

هذا الحديث عن النبي r ، ما أدري السبعة مجموعة في لفظ الحديث أو كل واحد على انفراده

وقال رضي الله عنه : في التتن أي التنباك حين حدث بحديث عن رسول الله r ، وهو ثلاثة يكرههن الله : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، فقال : وأعظم إضاعته في التنباك ، فأي عقل لمن اشترى منه الرطل كما بلغني في سنة متقدمة عدم فيها ، وبلغ الرطل أحد عشر ريالاً ، أعقل هذا وراءه بل هو بمسافة من ورائه ، علا كسا به عارياً ، هلا أطعم به جائعاً ، وهو لا يسمن ولا يغني من جوع ، وليس بدواء كما يخيل لهم فإن الدواء والسم إذا دوام عليهما إنسان لا يضره السم ولا ينفعه الدواء ، والحال أنه داء مقطوع به ، فكيف زعمهم بأن التنباك دواء ؟ وهو يشرب الدواء أكثر من قوته ، وأيضاً فهو داء ، ألا ترى إلى منافس المطبخ التي يخرج منها الدخان كيف اسودت ، فكيف صدر هذا الشارب له وحلقه قد تراكم فيهما الصدأ ، فكيف يرجى النفع فيما هذا حاله ؟

فإنا عرفنا عدة من الناس ممن تركه ابتهجوا ، وخفت عليهم المؤنة واعتدلت طبائعهم ، كما أخبرونا وتوفر لهم النوم الذي هو سبات الإنسان وثبات عقله ،

والحال أنه تركه بعد أن فعله ، فكيف الذي لم يذقه البتة ، هل اتفق له داء لا يكون دواؤه إلا التنباك ؟ ، لا بل ليس مذكوراً في كتاب من كتب الحكماء ، ولا سمع عن حكيم إنه دواء ، فأي إضاعة للمال أشد من هذه الإضاعة ؟ مع أنه أخبرني من أثق بخبره ولا أشك في صدقه : أنه رأى النبي r في المنام ، فقال له : يا رسول الله ، التنباك حلال أم حرام ؟ فالتفت إلى عائشة وهي بجنبه فقال : لو شربته هذه لما قاربتها ، فقال : أحلال أم حرام ؟ قال : لو شربته هذه ما قاربتها ثلاثاً ، قال الرائي : فحدثت نفسي أني أقول له : هل حرمته في الشريعة ؟ ففي أي موضع من مواضع الحديث فأنسيت في الحال . فانظر إلى هذا الذي لو شربته عائشة أم المؤمنين لفارقها رسول الله r أي داهية أعظم من فراق رسول الله r أم المؤمنين وأي تعريض بتحريمه أعظم من هذا ؟ ومن رأى النبي r فقد رآه حقاً ، ومن رآه مناماً فكأنا رآه يقظة .

وقال رضي الله عنه : لما سئل عن الذنب الذي أذنبه داود عليه السلام ، فخر له راكعاً وأناب ، فقال : قد ذكر رجل فيما تقدم في مجلس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، قصة داود عليه السلام ، فقال رجل من العلماء : إن كانت القصة كما ذكرت فالله ستره ، فلا ينبغي لنا إن نهتك ستر الله على رسوله ، وإن كانت

القصة كما ذكرت فالله ستره ، فلا ينبغي لنا أن نكذب على رسول الله r ، فقال عمر : هذا الكلام أحب إلي من حمر النعم ، وما قاله المفسرون في قصة داود عليه السلام ، أخذه بعض العلماء السالفون ، فقال : لم يذكره الله سبحانه وتعالى ، فإن قلنا / إما أن نخطئ أو نصيب ، فإن أخطأنا كذبنا على نبي الله ، وإن أصبنا كشفنا ستر الله ، لأنه لم يذكره ، وقد غلط – هاهنا – كثير من المفسرين ، والمقام خطر نسأل الله العافية

وقال رضي الله عنه :إذا أردت أن تسترشد أحداً ، أو تأمره أو تناه ، فابدأ بنفسك ، ثم بأهلك ، فإن عمر رضي الله عنه كان إذا أراد أن يأمر بشئ ، أو ينهى عنه ، لا يفعل حتى يبدأ بأهل بيته ، ثم لن لمن وعظت ، ولا تنفره بالتبكيت ، فإن بعض العلماء دخل على الرشيد فقال له : إني جئت لأعظك فاصبر لي ، لأني أريد أن أغلظ عليك ، فقال : لا تفعل فإن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني فقال : (فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) فكان الرشيد أعلم منه . وإذا لنت في الخطاب كنت مقتدياً بالقرآن والسنة ، وما عليك أن لا ينفع أمرك أو نهيك ، فإن الموعظة كالريح تجمع بين الضدين تطفئ وتؤجج ، قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم

إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى جسهم وماتوا وهم كافرون)

وسئل :

رضي الله عنه : عن أخذ الأجرة على درس القرآن أو على تعليمه ؟

فأجاب :

إن ذلك حرام لأن النبي r إن نهتك هو المقتدي به في جميع الأمور ، ما لم يبين لنا r أن ذلك الحكم خاص به ، ونحن مأمورون باتباعه (فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) والحق سبحانه وتعالى يقول لرسوله (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) ، وفي الحديث : " حق على الله في قارئ القرآن أن لا تأكله النار ما لم يأكل به ، ما لم يعل به ، ما لم يراء به ، ما لم يدعه إلى غيره " وأحلت الأجرة في الرقيا به لا غيره ، كما ثبت في حديث : " وما يدريك أنها رقيا" ، ثم قال : " اقسموا لي معكم" ليبين لهم أن ذلك في غاية من الحل ، ثم هو r مأمور بالتبيين قال تعالى :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فلو كان قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) خاصاً به لبين لنا ، فإن القرآن لم يجمل بل بين بعضه بعضاً ، أو بينته السنة ، فانظر إلى قوله تعالى : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) واليد عند العرب مطلقاً إلى العضد ، فبين بقوله : (إلى المرافق) وقال : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ولم يبين ، فبينته السنة بأن ذلك من الرسغ ، ومن السنة ما بينته السنة مثل : تجزيك ولا تجزي غيرك ، فكيف لا يبين لنا أمر الأخصية ونحن مأمورون باتباعه ، وما كان ربك نسياً

ومن فوائده رضي الله عنه : في الطب أنه وصف من ابتدا فيه الجدري أن يطلى بنشا ، يخلط عليه ملح بقدر ما يؤثر طعمه فيه ، وذلك مجرب نفعه ، ويطلى بواطن قدميه بحناء وعصفرة ، فإنه يدفعه عن العينين ، ووصف في الورم إذا وقع في الرجل واشتد الوجع بأن يؤخذ زبل الغنم القديم ، ويدق ناعماً ، ثم يطبخ بماء طبخاً جيداً ثم يضمد عليها

وقال رضي الله عنه : إذا نظرت إلى من عصيت فلا صغيرة من الذنوب ، بل أصغر الصغائر كبيرة ، فانظر إلى من أذنبت إليه ولا تنظر إلى الذنب نفسه

وقال رضي الله عنه : عامل العبد لأجل سيده ، فإن عاملت العبيد لأجل سيدهم عاملك بما عاملتهم به (سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم) فإن كنت رحيماً بهم كان بك رحيما ، وإن كنت عفواً عنهم كان عفوا عنك ، وما اتصفت بصفة من صفاته سبحانه وتعالى إلا اتصف لك بها عند الفاقة والاحتياج والافتقار

وقال رضي الله عنه : قال سبحانه وتعالى :(وأقرضوا الله قرضا حسنا) سبحانه وبحمده ما ألطف هذا الأمر ، من ملك الدنيا والآخرة نزل نفسه سبحانه وتعالى منزلة المستقرض ، لما ادعينا أن لنا مالاً وأنا نملكه ، فطلب منا شيئاً منه على جهة القرض نعطيه فقراءنا ، وهو يتولى قضاءه ، فجعل نفسه ولياً في الأخذ للقرض وفي القضاء ن فإن الصدقة لا تقع في يد الفقير إلا وقد وقعت في يد الله ، ليربيها حتى تكون اللقمة كأحد ، ويضاعفها لنا ثم يعطينا إياها عند الفاقة والحاجة إليها ، وقال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله عني حميد) أي أنفقوا من أطيب ما تجدون كما فسره قوله تعالى :(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) وكما تحبون أن يعطيكم الله

سبحانه وتعالى فأحبوه لغيركم منكم ، ولو نظر الغني إلى النعم التي أنعم الله عليه بإيجاد الفقير – وهو سبحانه قادر على أن يغني الجميع – لكان الفقير أعز عنده من كل شئ ، لكونه سبباً لهذا الشرف وهذه المزية التي لا يعادلها شئ ، وهي أخذ الحق منه سبحانه وتعالى .

وقال رضي الله عنه : لما رغب النبي r الصحابة في الصدقة ، قال عمر رضي الله عنه – وصادف قول رسول الله r : عندي مال ، ثم قال عمر رضي الله عنه في نفسه : إن كنت سابقاً سبقت أبا بكر اليوم بصدقة عند تجهيز الجيش إلى النبي r ، فحمل نصف ماله ثم أتى ، وإذا أبو بكر رضي الله عنه قد أتى بجميع ماله ، فقال النبي r لعمر : ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم نصف مالي ، وقال لأبي بكر : ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله ، قال r : " بينكما ما بين كلمتيكما " وجاء رجل آخر بشئ من ذهب وذلك جميع ماله ، فقال له النبي r : ألك غيره ؟ قال : لا . فأرجعها له ن فأعطاها ثانياً فارجعها النبي r ، فأعطاها ثالثاً فرمى بها النبي r ، حتى كاد أن يشجه ، وذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل شيئاً إلا بإذن ربه تعالى ، فأبو بكر أخذ منه جميع ماله ، لأنه قال : تركت لهم الله ورسوله ، والرجل لم يقبل منه لكونه قال : ما تركت لهم شيئاً ، والفرق بين

ابي بكر وعمر في الفضل كالفرق بين كلمتيهما ، لأنه r قال لهما : " بينكما ما بين كلميتكما "

وقال رضي الله عنه : في قول رسول الله r : " تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة " إن ذلك ليس موقوفاً على هذه المذكورات ، بل تعس عبد الكتاب لأنه يلهو بنقشه عن عبادة الله ، يخدم الخادم ويرفض المخدوم ن فربما بقى في تدقيق المسائل حتى فاتته الجماعة أو الوقت ، وتعس عبد الهيئة ، فربما لا يخرج بين الناس إلا في هيئة مخصوصة ، فهو يبعدها ويسوى عمامته ويتعب في تحصيل ما يشتري به الثوب الذي لا يبرز بين الناس إلا به ، وإذا شغله شئ عن الله فقد شاركه في العبادة ن ومعنى ذلك أن تدخل ذكره على فكرك ، كلما ذكرت الله سبحانه ذكرته مثله أو أقل أو أكثر ، فإن كان مثله فهو معنى قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ومعنى قوله سبحانه : (والذين هم بربهم يعدلون) أي يعادلون به غيره كمعادلة المحول على البعير ، وهي المساواة وإن كان أكثر فهو معنى قوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا

حتى يأتي الله بأمره) وإن كان ذكره تعالى أعدل وأكثر فهو أول درجات الإيمان وهو معنى قوله تعالى :(والذين آمنوا أشد حباً لله) وذلك بقدر ذكرك للشئ ، يكون حبك له ، وإذا لم يكن في قلبك إلا الله ولا تحب سواه ، فلا تذكر غيره ولا تشتغل إلا به ، وهذه أعلى درجات الإيمان فلا تشتغل بنقل الرسوم ولا بغيرها عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، ليكون قلبك فارغاً عما سوى الله سبحانه بجميع أفعالك وحركاتك وسكناتك وأقوالك

قيل إن مجنون ليلى لما زارته وقالت : ها أنا ذه ، ما تريد مني ؟ قال لها : إليك عني فإن حبك قد شغلني عنك ، وأما من أنفق بسطته في طلب الرسوم ظاناً أنه العلم فقد أخطأ ، ولو علم معنى قوله تعالى (وقل رب زدني علماً) أن المراد علمه بالله سبحانه وتعالى لما خاض في الرسوم والزيادة في الأحكام ، فإن النبي r وضع عنا من الأحكام منها : أنه راجع في الصلاة من خمسين إلى خمس ن ومنها : أنه لم يعد لصلاة التراويح خشية أن تفرض ، والعلم بالله سبحانه مستفاد من تقواه (واتقوا الله ويعلمكم الله) (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

وسئل :

رضي الله عنه : عن تعارض الحديثين مثل حديث على بن طلق في مس الذكر : " إنما هو بضعة منك " وحديث بسرة : " من مس ذكره فليتوضأ " ؟

فأجاب :

أن لا تعارض بينهما ، والعمل بهما لا يرجع إلى قاعدة المحدثين من التصحيح والتضعيف ، لأنه قد ورد الحديثان فإن عملنا بحديث طلق لم يبق عمل بحديث بسرة ، وإن عملنا بحديث بسرة كان العمل بكلا الحديثين ، فعملنا به وحكمنا بالوضوء لأنه إن كان ناقضاً فقد توضأنا منه ، وإن كان غير ناقض فالوضوء على الوضوء نور على نور ، وإذا وردت أحاديث مثل أحاديث التشهد فالأولى العمل بها جميعها ، ففي رواية : التحيات لله والصلوات والطيبات ، وفي رواية : التحيات لله الصلوات لله الطيبات لله ، وفي رواية : الغاديات الرائحات ، وفي رواية : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية : بحذف لا شريك له ، وفي أخرى : بحذف وحد ، وحذف لا شريك له ، فيعمل بالجميع ن تارة بهذا الاسم ، ثم قال في حديث الزكاة : فيما سقت السماء وأنبتت الأرض ، وحديث : لا زكاة فيما دون

خمسة أوسق ، لا تعارض بينهما ، وإنما قدر الأوسق لكونه قد أجمل فيها أنبتت الأرض فشمل الخضروات وغيرها ن فبين بذكر الأوسق أنه لا يزكى إلا ما يكال ن وأفاد فائدة جيدة وهي تقييد النصاب ، فالثاني مبين ، والأول مجمل ، وفي القرآن – أيضاً – ما هو مجمل يبين بعضه بعضاً ، كما في قوله تعالى : (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت) هذا مجمل بينته إحدى القراآت (من أم) وقوله تعالى : (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) هذا مجمل بينته إحدى القراآت وهي بعد قوله وكان أبواه مؤمنين ، وكان هو كافرا ، فهذا صريح وإن أدمج كفره في قوله : (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) وقوله : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكهرهن فإن الله من بعد إكراههن) هذا مجمل بينه الثابت في إحدى القراآت (لهن) (غفور رحيم)

وسئل :

رضي الله عنه : عن هذا الشرط ؟

فأجاب :

فقال : لا يؤخذ بمفهومه بل إذا لم ترد تحصناً وهي زانية فلا يتملكها بل يبيعها ولا يجب عليه أن يبين للمشتري أنها زانية ولا يكون عدم التبيين خيانة ، لأن القلوب بيد الله وهو مقلب القلوب سبحانه فسترها هو الذي يجب عليه . انتهى

وسئل :

رضي الله عنه : عن الشرط الذي في قوله تعالى : (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ؟

فأجاب :

إن الآية تحتمل معنيين : أحدهما : قصر الصلاة من رباعية إلى ثنائية ، والآخر عدم التطويل ، لأنه ثبت أنه كان يحصل لبعض الصحابة – رضي الله عنهم – حزن بعدم التطويل ، وفي بعض الأحاديث أن اثنين من الصحابة قام أحدهما يصلي ونام الآخر ن فجاء العدو ورماه بسهم فسهم اثنين أو ثلاثة فقال النائم للمصلي : هلا ايقظتني ؟ قال كنت في سورة طويلة فخشيت أن أقطعها ،

ومفهوم الشرط معمول به في هذا المعنى ن وأما على كون القصر من الرباعية إلى الثنائية فليس الشرط معمولاً به ، بل تقصر الصلاة في السفر في الأمن

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب)

فأجاب :

بأن الحكمة : هي استعمال العلم في محاله ، وأن يجتنب ما نهاه ربه عنه على أحسن حال ن وأن يستعمل مكارم الأخلاق مع جميع خلق الله تعالى .

وقال رضي الله عنه : في قوله تعالى : (ففهمناها سليمان) قال : المذكور في القرآن قصة واحدة وهي ثلاث قصص : الأولى : المذكورة في القرآن وهي قوله تعالى : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) وذلك أنه لما جاء الخصمان عند داود عليه السلام حكم عليه داود أن يغرم لصاحب الزرع زرعه ،

فلم يجد ما يغرم صاحب الغنم سوى الغنم فغرمها جميعها لصاحب الزرع ، فمراً على سليمان عليه السلام فسألهما عن حكم داود فأخبراه فقال : أنا أحكم غير هذا الحكم ، الغنم تبقى لدى صاحب الزرع ينتفع بألبانها وصوفها ، وصاحب الغنم يقوم بمؤنة الأرض حتى تعود كما كانت عليه ، وكل واحد منهما يرد لصاحبه حقه ، فقال الله سبحانه وتعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وداود حكمه ذلك هو عين الصواب ، لأنه حكم عليه بأن يغرم ما أفسدته أغنامه فقدر الذي أفسدته فجاء بقيمة أغنامه فهو عن علم وحكم ، لكن حكم سليمان أخف لأن كل واحد منهما صارت نفسه طيبة بذلك الحكم .

والقصة الثانية : أن امرأتين خرجتا إلى البرية بولديهما صغيرين ، فجاء الذئب فافترس أحد الطفلين ، فسبقت الكبيرة من المرأتين – وقد فقدت ولدها – إلى ابن الصغرى فأخذته ، وادعت أنه ولدها ، فتحاكمتا إلى داود وكل واحدة ادعت أنه ولدها ، لكن لما كان في يد الكبرى حكم لها به لكون يدها ثابتة عليه ، وذلك عين الصواب عندي حكم غير هذا ثم أخذ الشفرة وقال : نقسمه نصفين ، لكل واحدة نصفه ، فرضيت بالحكم التي هو في يدها ، والأخرى قالت : لا تقسمه يا نبي الله ، هو ولدها قد رضيت بحكم داود ، فعلم أنه ولدها لأنه أدركها الحنان

الذي لا يتفق إلا للأم فحكم لها بالولد . القصة الثالثة : أنهم جاءوا بامرأة بكر حول فرجها مني ن فأراد داود أ، يقيم عليها الحد ائتوني بنار ثم أحمى الذي يزعمون أنه مني على النار فنضج وإذا هو زلال بيض ، فتيقن أن ذلك كيد وأنقذها من حكم الجلد

وسئل :

رضي الله عنه : ما الفرق بين العفو والغفران ؟

فأجاب :

فقال : الغفران بعد العتاب ، والعفو بلا عتاب ، كما جاء في الحديث ، أن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يكتب إلى رجل من عباده كتاباً يقول فيه ، أنت فعلت وتركت ، يذكر ذنوبه ثم يقول : لكن قد غفرناها لك ولم نطلع أحداً عليها ، فيخجل ذلك الرجل غاية الخجل من ذلك ، فهذا غفران ، والعفو تفسيره : ما ورد أن الله سبحانه وتعالى يذكر ذنوباً لرجل شائب فيقول : لا يا رب ما فعلت شيئاً من ذلك ، فتقول الملائكة : أما علمت يا رب أنه فعل ولكنه كذب ، فيقول : بلى ولكني

استحييت أن أكذب شيبته ن فيدخله الله سبحانه الجنة . فسبحان اللطيف الخبير بهذا الذنب العظيم ، وهو إنكاره لذنوبه عند توبيخه بها من المطلع عليها الذي سعد بسببه السعادة العظمى ، فهذا هو العفو وأي عفو هذا ؟ يني أن العفو كونه لم يظهر أنه كذب بل ستره ولم يعاتبه عليه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) وهي الجمال والكمال (ويهديك صراطا مستقيما) وهو سر قوله تعالى : (إن ربي على صراط مستقيم) (وينصرك الله نصرا عزيزا) والنصر العزيز لا يكون إلا لله تعالى ، ثم قال بعد تمام هذه الآية : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) أعاد الضمير مفرداً ولم يعده مثنى فهنا نكتة بينها قوله تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وذلك معنى قوله تعالى في الحديث القدسي : " لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ن وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ن ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى

تأمل سطور الكائنات فإنها ** من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها إن تأملت خطها ** ألا كل شئ ما خلا الله باطل

وفي بيعة الرضوان قال النبي r : " هذه يد الله " وأشار إلى اليمنى " وهذه يد عثمان " وأشار إلى اليسرى ، أو قال : اليسار ثم وضع إحداهما على الأخرى ، فظهر معنى

ذلك بالفعل في ارتقاء عثمان رضي الله عنه على المنبر إلى الدرجة التي كان يرتقي إليها النبي r بعد أن ولى الأمر ، قال الله سبحانه وتعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فرقى النبي r إلى درجة النبوة ، ثم رقى أبو بكر – رضي الله عنه – إلى الدرجة التي تحتها ، وهي درجة الصديقين ن ثم رقي عمر – رضي الله عنه – بعده على درجة الشهداء ، وهي التي تحتها ، ثم جاء عثمان رضي الله عنه فرقى إلى الدرجة التي كان يرقى إليها النبي r ، وذلك في شطر خلافته الأخرى ، ليظهر سر وضع يد الله سبحانه وتعالى ما يليق بجلاله في يد عثمان ، عند بيعة

الرضوان وهم نقموا على عثمان في ذلك ولكنهم لم يعرفوا الحقائق في الأمور ، وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقال رضي الله عنه : كان النبي r يقف على رؤوس الآي ويرتل القرآن ، وذلك مأخوذ من الرتل وهو الفرق الفاصل بين الأسنان كما أمره الحق تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) فإن قراءة الفاتحة ورد في الصحيح أن الإنسان يقول : (الحمد لله رب العالمين) فيقول الله : حمدني عبدى ، فيقول : (الرحمن الرحيم) فيقول الله تعالى : أثنى علي عبدي ، فيقول : (مالك يوم الدين) فيقول الله سبحانه وتعالى : مجدني عبدي ، ثم يقول (إياك نعبد وإياك نستعين) فيقول الله سبحانه وتعالى : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال ، ثم يقول : (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخرها فيقول سبحانه وتعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ، فالوقوف عند رؤوس الآي حتى يجيبه ربه بذلك ، لأن شروع العبد في الكلام الثاني قبل جواب سيده عليه في الكلام الأول من سوء الأدب ، وقولهم : لا يقف الإنسان عند قوله : (إن الإنسان لفي خسر) إنما هو رأي لا فائدة تحته ، فإن القارئ إذا وقف على خسر استشعر القلب أمراً يجب عنده الحضور ، وبعد كماله في الحضور ، ووقوفه في مرتبة الخوف ، يبتدئ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق

وتواصوا بالصبر) كذلك في قوله (ثم رددناه أسفل سافلين) يستشعر القلب وكأنه يسائل عند ذلك أو يقف على ما يطمئن به خاطره ، وذلك قوله تعالى : (آيات للسائلين) والسائل هو الذي يمعن النظر في التدبر ، فإذا كان كذلك فلابد أن يحصل الخوف عند قوله : (أسفل سافلين) ثم يتأمل قليلاً عند وقوفه في هذه الأسفلية ، ثم يفتح باب الرجاء بقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) فينبغي للقارئ أن يقف على رؤوس الآي كما فعل الرسول r

وقال رضي الله عنه : في مدح التخلي عن الناس قال الله سبحانه وتعالى : (فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا) في مريم عليها السلام وقال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب) فنتيجة الواهب تحصل من مقدمة العزلة

وقال رضي الله عنه : المؤمن كلما اتصف بصفة من صفات الله تعالى قرب منه ، إلا سورة الإخلاص فلا يشاركه في صفاته فيها أحد ، فإن آدم عليه السلام ، لم يولد لكنه يلد وعيسى عليه السلام لم يلد لكنه يولد من جهة الأم لا من جهة الأب

، والله سبحانه وتعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) لا إله إلا هو ، آمنا بالله وكتبه ورسله

وقال رضي الله عنه : تأملت في قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام : (فسخرنا له الريح تجري بأمره) وقال للنبي r : (ليس لك من الأمر شئ) فلاح لي المعنى – بحمد الله – فسررت به ، وهو أن الله سبحانه وتعالى تولى أمره جميعه في جميع أحواله : في حركاته ، وسكناته ، وإقدامه ، وإحجامه ، وسيره ، ووقوفه ، ونطقه ، فهو سبحانه بصره ولسانه ، وسمعه ويده . (قيل) لبعض الأولياء – وهو أبو يزيد رضي الله عنه – فوض أمرك إلى الله ، فقال : ليس لي أمر فأفوضه إليه ، وفرقان بين الأمر من الله سبحانه وتعالى وبين الأمر من العبد

وقال رضي الله عنه : في قوله تعالى : (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً) وهو جل جلاله إذا أمر بخلق حسن فهو أحق به ، بدليل ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فهو أحق سبحانه إذا حضر قسمة الرحمة منه سبحانه وتعالى بين خلقه أن يرزق منها

من أساء من خلقه ، وهو أرحم الراحمين لا يحكم على خلقه حكماً إلا وهو أولى به جل وعلا ، وحين خرج موسى عليه السلام يستسقى بجميع قومه أوحى الله إليه : إن فيكم رجلاً نماماً خطاء فقال : يا رب ، عرفني من هو استتيبه ؟ فقال : كيف أنهى عن النميمة وأكون نماماً ؟ سبحانه وتعالى ، ما ألطفه بخلقه ، وأمره أن يأمرهم جميعاً بالتوبة ، فيكون من جملتهم ، وفي الحديث ما معناه : إن الله لا يعذب مسلماً تسمى باسم نبي كرامة له من حيث اتحاد الاسم ، ولا يعذب الله سبحانه وتعالى من تسمى : مؤمناً ز يقول : أنا المؤمن وقد سميتكم المؤمنين فقد وافق اسمكم اسمي فادخول افي رحمتي ، وهذا أعظم الرجاء . ثم قال : واجعل الخوف في معادلته فإنه ليس للتسويف هنا مسلك ، بل الرجاء يكون أكثر من الخوف ، لأنه ورد أن المحتضر للموت إذا كان عنده أحد فليذكره بالرجاء وسعة الرحمة ، كذلك الإنسان فإنه في كل حالة محتضر (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) فليس للتسويف هنا من مدخل ، (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن هنا يتولد التسويف يعني من طول الأمل ، وهو استبعاد الآخرة لا من الرجاء

(قيل) لرجل صالح : علمني فقال : أجمع لك التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، في ثلاث كلمات : أن تخاف الله تعالى خوفاً لا يكون شئ أخوف عندك منه ، وترجوه رجاء أشد من خوفك منه ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وفي الحديث : (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله سبحانه وتعالى : (وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) من هو الظان هنا ؟

فأجاب :

بأن الظان : هو الرجل لا يوسف ؛ لأنه لا يجوز الظن على يوسف عليه الصلاة والسلام ، لأنه أوحى إليه الحق – سبحانه وتعالى – بتأويل الرؤيا ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، وإياكم والظن فإنه أكذب الحديث ، فكيف يظن يوسف فيما أوحى إليه ربه سبحانه وتعالى ؟ وقد غلط المفسرون في قوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أن الظن – هنا – في موضع العلم وليس كذلك ، بل

الظن – هنا – في محله ، والمراد أنهم يظنون في صلواتهم تلك أنهم ملاقو ربهم فيصلون صلاة مودع ، وهذه حالة المؤمن ، أنه في كل حالة يترقب الموت

وقال رضي الله عنه : قال رجل صالح لآخر : من أين أقبلت ؟ فقال : من الصيد ، قال: أو لست محرماً ؟ يعني أنهم قاصدون ربهم كما يقصد الحاج مكة فإن الحاج يحرم حتى يقضي مناسكه ، كذلك هم محرومون حتى يلاقوا ربهم ، فإذا لقوه أحل لهم كل شئ وهذه حالة عظيمة ، وهي سر قوله r : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" وقال تعالى : (وله أسلم من في السماوات والأرض) حتى الغنم والبقر سالمة من شرهم، والحال أنهم يذبحونها لكن ذلك بغيتها ، فإن أكل المسلم لها عندها كالشهادة عندنا ، فذلك الذبح أوصلها بغيتها التي لا بغية لها فوقها ، وقوله : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" هو من حديث ثمامة " والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمجاهد من جاهد نفسه وهواه " وهو الجهاد الأكبر وقوله : " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " أي إذا رأيت منكراً وما قدرت على إزالته تركته وقمت عنه ، وانتقلت إلى موضع غير ذلك الموضع ، ولو بمسافة يسيرة فإن خطواتك تلك خطوات هجرة ، وكذلك قوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع

الصابرين) أي يظنون في ذلك القتال لأن المجاهد الصابر متيقن لأحد الأمرين : إما الشهادة أو النصر ، ومتظن أيهما يقع بخلاف الفار من الزحف ، فإنه آيس من الأمرين لأن النصر قد فقد بالقرار لا محالة ، وكذلك الشهادة والفرار – أيضاً – لا ينجيه من القتل إن كانت كتب عليه ، فربما وقع فيما فر منه وحرم إحدى الحسنيين : النصر ، أو الشهادة (ذلك هو الخسران المبين) فالظن في محله كما ترى .

وقال رضي الله عنه : في تفسير قوله تعالى : (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) رحلة الشتاء والصيف هو إتيان الحجيج إليهم ، أي قريش في الشتاء إن كان الحج شتاء أو في الصيف إن كان وقت الحج في الصيف ، لأنهم يقبلون إلى مكة من كل فج عميق ، ويقتحمون الأخطار والمشاق ن يأتون بأرزاق أهل مكة (تجبى إليه ثمرات كل شئ) وهذه هي المنة العظيمة عليهم ، أن غيرهم يسعى إليهم برزقهم مع مشقة عليه ، وأي مشقة يقاسون من الشدة والتعب والبرد إن كان الحج في الشتاء ، ومن شدة الحر إن كان الحج في الصيف ، وهم ماكثون قاطنون في أوطانهم آمنون ، كما تراهم الآن فليعبدوا رب هذا البيت الذي هو السبب في ذلك (الذي

أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) لا كما ذكر المفسرون من أنها رحلة اليمن والشام يرحل إليهما أهل مكة وهم قريش ، لأن الله سبحانه أراد أن يظهر لهم النعمة التي هم فيها ، ويعرفهم بها ، وأما إذا سافروا بأنفسهم فهم كغيرهم من الناس ، بل يحمل إليهم من محاسن جميع الأرض وهم واقفون في أوطانهم يأتيهم بها غيرهم ، وهذه هي النعمة العظيمة التي لا نعمة فوقها .

وسئل :

رضي الله عنه : عمن رأى النبي r على غير الصورة التي هو منعوت بها ، هل يعمل بها أم لا ؟ وهل الرؤيا على غير هذه الصورة حق أم لا ؟

فأجاب :

أنها رؤيا حق ، وأن من رأى النبي r فقد رآه حقاً ، وإن كان على غير صورته بدليل أن جبريل عليه السلام كان يجئ للنبي r على صورة دحية ، وإنما تختلف حالات الرائين له r ، ففي المرآة تنظر صورتك فإن كنت حسناً رأيت حسناً ، وإن كنت قبيحاً رأيت قبيحاً ، كذلك من رأى النبي r يراه على قدر عمله مع الله

سبحانه وتعالى ، والمؤمن مرآة أخيه ، وأما إذا أمره بأمر أو نهاه عن نهي ، فإن كان على الصورة المنعوت بها r فأمره في النوم كأمره في اليقظة ، في أنه يتبع ، وكذا ما نهى عنه ، وأما إذا لم يكن على صورته تلك فلا يتبع إلا إذا وافق الشرع .

ثم ذكر رضي الله عنه في المرآة معنى آخر فقال : والمرآة هذه آية عظيمة فإنك ترى صورتك فيها متيقناً لذلك ، وتعلم – أيضاً – يقيناً أنها ليست صورتك فهو عدم ووجود في حالة واحدة ضدان لا يفترقان ، وكذلك حين خلق الله آدم قبض يديه تعالى كما يليق بجلاله ، ثم قال لآدم : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ففتحها فإذا فيها آدم وذريته وجميع الأنبياء ، كما ورد ذلك في الحديث ، فذلك الظهور وجود في عدم وعدم في وجود ، فسبحان الله العظيم

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى :(أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين)

فأجاب :

فقال : الضمير في يعلمه يعود إلى النبي r ، والعلماء منهم هم الذين آمنوا بنبينا محمد r ، وأما الذين لم يؤمنوا به فليسوا بعلماء ، بل هم أجهل الجهال ، حتى أنه لما نزل قوله تعالى :(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) قال بعض من آمن بنبينا r - وهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه : آمن بالنبي r - والله إنا لنعرفه أعظم من معرفتنا لأبنائنا ، لأن أبناءنا قد تخوننا امهاتهم ، فهذه آية لمن كفر وأي آية وذلك أن علماء بني إسرائيل آمنوا به لما علموا أنه رسول الله خاتم النبيين ، نبي الساعة الموصوف عندهم في التوراة والإنجيل ، كما قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) أي إن مثل كل منهم في التوراة والإنجيل . وكما ثبت أن آدم سأل ربه أن يريه صور بنيه ، أي الرسل منهم ، فأراه صورهم فصورهم آدم ، وجعلهم في خزانة ، فلما وصل ذو القرنين سرنديب أخرج تلك الصور ليجعل لكل نبي تمثالاً ، ففعل ذلك

ثم إن نفراً من المسلمين رحلوا إلى هرقل فهللوا حتى تحرك البنيان ، وغلق الأبواب والشجر ، فقال لهم هرقل : أهكذا يكون في بلادكم ؟. قالوا : لا . وإنما وقع – هنا – لشئ يعلمه الله ، فقال هرقل : ما أحسن الصدق ، فسألهم عن النبي r فأخبره ، فعمد إلى الصندوق ، وجعل يخرج صوراً ويقول عند كل صورة : أهذه صورته ؟ وهو يقول : لا فلما وافق صورة من الصور ، قال : هذا نبي الساعة وشأنه هذا ثابت إلى يوم القيامة ، فهذا يدل على أن للنبي r أمثالاً عندهم في التوراة والإنجيل ، حتى لا يشكوا في معرفتهم ، فهم معروفون عندهم بالصفات والذوات ن فهما ورؤية ، ولما رأوه r بتلك الصفة التي فهموها ورأوها آمنوا به ، وهم على يقين لا يشكون ، بل أوضح من الشمس ، فهذه آية لمن كفر ، وقوله : (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم) أي القرآن ما كانوا به مؤمنين ، أي أنهم يعرفون النبي r من حين ولادته بينهم ، لم يجالس شاعراً ولا كاهناً ولا أحداً من بني إسرائيل ، فيقولون : تعلم شعراً أو سحراً أو أخبره بنو إسرائيل بسبب مجالسته لهم ، بل يعرفونه فيهم أمياً لا يفارقهم ، فلما أقيمت عليهم الحجة لم يؤمنوا به ، قال الله تعالى : (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم) بلسان فصيح (ما كانوا به مؤمنين) وذلك مثل قوله تعالى : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلاً ما كانوا ليؤمنوا – ومن يضلل الله فمال له من هاد)

وقال رضي الله عنه : قال النبي r : " أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي " وفي حديث آخر : " لا يكون المسلم مسلماً حتى تكون ذاتي أحب إليه من ذاته ، ونفسي أحب إليه من نفسه ، وعترتي أحب إليه من عترته "

قيل : إن رجلاً من المغرب نزل على بعض السودان ضيفاً ن فخرج به في بعض الأيام إلى البرية وإذا ملك السودان يتمشى بعساكره وخيله ، فلما بلغ من مرآهم ما يتميز بدن الأسود من الأبيض ترجل ، ثم بقى يمشي راجلاً حتى جاوزهم بمسافة ن ثم ركب فقال الأسود للمغربي : أتعرف لمن ترجل الملك ؟ قال : لا أدري ، قال : لما رآك أبيض نزل تأدباً مع النبي r لكونه أبيض ، فانظر إلى هذا التأدب ، يترجل من فوق فرسه لأجل اللون الذي وافق لون النبي r

الفصل الثالث : مسائل

وسئل :

رضي الله عنه : عما وصل إلى الثوب من الماء الذي يرش به الأسواق بعد وصوله إلى الأرض ؟

فأجاب :

بأنه طاهر ، وأن أمير المؤمنين على بن أبي طالب – كرم الله وجهه ورضي عنه – دخل المسجد بعد أن خاض في الطين ، بعد أن توضأ وقدماه غير جافتين بلا نعال ولا شئ بعد أن مشى في الطريق العامة ، وقال النبي r : " الأرض يطهر بعضها بعضاً " ولم يأمر بتطهير النعال بماء ، بل كان يصلي بنعليه والصحابة بعده بنعالهم ، فنزل في بعض الأحيان جبريل يخبره أن في إحدى نعليه عذرة ، فخلعها وبنى على صلاته تلك ، وخلع الصحابة نعالهم ، فلما فرغ قال لهم : " لم خلعتم نعالكم " قالوا : اقتداء بك يا رسول الله ، فقال : " إنما أخبرني جبريل " الحديث

وسئل :

رضي الله عنه : عن أصول الريش والشعر ؟

فأجاب :

قال : مسكوت عنه ، والمسكوت عنه عفو . وقد ثبت أن النبي r ركب فرساً معراة ، ومعلوم أنه لابد أن يقلع من شعرها ويعلق بثيابه

وسئل :

رضي الله عنه : عن الصلاة على النبي r في التشهد الأوسط ؟

فأجاب :

قال : ذلك غير وارد فقال السائل : لكنه قد ذكر ، وفي الحديث : " البخيل كل البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على " وحديث آمين ن لما قال جبريل : من ذكرت عنده ولم يصل عليك فأبعده الله ، فقلت : آمين ن قال : قد سلمنا عليه في التشهد الأوسط وصلينا عليه في التشهد الأخير ن ونحن في ذكر واحد لم نخرج عنه ، فقيل له : ما الصلاة البتراء ؟ قال : أن تصلي عليه من دون آله لأنها تنزع منها البركة ، لأن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، وكذلك آله تعود

عليه من كل واحد منهم عشراً عشراً بالغاً ما بلغوا (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه)

وسئل :

رضي الله عنه : عن القاتل هل له توبة ؟

فأجاب :

قال : نعم قال الله تعالى :(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) فيبدل قتله ذلك كأنما قتل كافراً في سبيل الله ن وعبادته لغير الله كأنما عبد الله في تلك المدة ن وزناه كأنه نكح أهله كذلك ما رواه البخاري وغيره : فيمن قتل تسعة وتسعين نفساً وحبراً . وقتل الحبر من أعظم البلاء ، وروى أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين نفساً وحباً . وقتل الحبر من أعظم البلاء ن وروي أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين سأل حبراً

فقال : لا توبة لك فقتله ، ثم ثانياً ثم ثالثاً ، حتى كملوا مائة فأتى حبراً عارفاً بحقائق الأمور فسأله فقال : وما يمنعك من باب التوبة فقال : وكيف أصنع ؟ قال : اذهب إلى قرية كذا فإن فيها رجالاً يعبدون الله تعالى فأتهم واعبد الله فيهم حتى يأتيك اليقين ن ففعل فلما وصل نصف الطريق قبض الله روحه ، فابتدرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فاختصموا ، فجاءهم ملك ، فحكم بينهم أن يقيسوا مسافة الأر ضمن حيث سافر في التوبة وإلى المحل الذي يريده ، فإن كانت مسافة السير من حيث تاب إلى هنالك أكثر كان لملائكة الرحمة ن فأمر الله تلك المسافة أن تمتد فامتدت ، والأخرى أن تنزوي فانزوت ، حتى كانت التي سافرها أكثر فخطفته ملائكة الرحمة ، وهذا الرجل من بني إسرائيل ، مع أن الله سبحانه وتعالى كتب عليهم : (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فهو كمن قتل الناس جميعاً مائة مرة ، فما ظنك بمن كان من هذه الأمة ، وقد رفع عنهم إصرهم ، وبقي لهم الخير ممن سبق من الأمم قبلهم ، فمن قتل منهم نفساً فما قتل إلا إياها ، لا يكون كمن قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، فهو بالتوبة أحق وأجدر

وأما ما قال ابن عباس : لا توبة لك فذلك رجل كان يقتل ثم يتوب فقال : هل لي من توبة ؟ فقال له : لا توبة لك ، لأن نيته أن يقتل ثم يتوب لأن ذلك إصرار ، وأما من فعل الذنب ثم بعد أن فعله تاب وندم إنما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر ، فتلك توبة مقبولة لا محالة ، ومن ثم ما كان من الزجر الوارد في الكتاب أو في السنة يبقى على حالة ، كقوله r : " سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم : الناكح يده ، والزاني بحلية جاره ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه ، ومدمن الخمر ، والفاعل والمفعول به " وأمثال ذلك لأن معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده يوم القيامة على مقتضى حكمته .

كذلك هذا الرجل الذي من بني إسرائيل قاتل المائة ، من ذا يعلم أن مثله يتاب عليه إذا قتل وقد ورد في حديث : أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواماً واسمه هناد ، وهو مقطوع بخروجه من النار إلى الجنة ، فأي مزية أعظم من هذه ؟ وفي حديث آخر : أنه توزن أعمال رجل فتستوي الحسنات والسيئات ، فيقال له : لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة ن فامض إلى الناس فالتمس منهم حسنة ن فيمضي على أناس لهم حسنات كالجبال فيستعطيهم حسنة فلا يرضون ، فيمر

برجل له حسنة واحدة وسيئات كثيرة فيقول له : خذ هذه الحسنة التي معي فإنك أحق بها مني ، لكونك بها تدخل الجنة فيقال له / خذ بيده وادخلا الجنة ن وهذا الإيثار- عند الله سبحانه وتعالى– أمر عظيم ن فقال بعض أصحابه : وأنا سمعت أن رجلين انكسرت بهما سفينة فبقي أحدهما على لوح فالتفت إلى صاحبه وقال له : ألك أهل ؟ قال : نعم قال : فاركب على اللوح فإنك أحق بالبقاء مني ، لأني ليس لي أهل ن ومن الناس رجل يؤمر به إلى النار ن فيقول : رب ، كيف تعذب رجلاً شاب في الإسلام . فيدخله الله الجنة ولو كان دخوله الجنة لشيبه لما دخل النار شائب ، ولكن معاملات الحق في ذلك اليوم على مقتضى حكمة الله ، وفيه يحاسب على مثاقيل الذر .ﷺm1رضي الله عنه

وقال رضي الله عنه : إن الله سبحانه وتعالى حرم في مكة الصيد ، وأن لا ينفر ولا يقطع شجرها ، وذلك لحرمة الجوار ، فما ظنك بمن مات وهو هنالك مرمى وحده في قبره في جوار الله تعالى مفتقر إلى رحمته ، وأي ثبوت يثبت له حق الجوار ، فقال له رجل من الحاضرين : قيل : إن ابن عباس رحل عنها وقال : لا أحب أن أسكن في بلد تتضاعف فيها السيئات كما تتضاعف فيها الحسنات . فأجاب : أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يعمل بالرخص ، قيل : إن مالكاً دخل

على الرشيد فقال له : اتق رخص ابن عباس ، وعزائم ابن عمر ، قال مالك : فخرجت من عند الرشيد عالماً ، وكان رجل لا يفتر عن العبادة والبكاء ، وصاحبه لا يفعل شيئاً من ذلك إلا ما وجب عليه ، فقيل له في ذلك . فقال : كلانا نقرأ في صحيفة واحدة هو يقرأ (إن الله شديد العقاب) وأنا أقرأ (إن الله غفور رحيم)

وسئل :

رضي الله عنه : إذا تكلم أحد بكلمة الردة في حالة غضب هل يحكم عليه بالردة أو لا ؟

فأجاب :

أن لا تقام عليه حدود حكم الردة ، لأن النبي r قال : " ادرؤوا الحدود بالشبهات " وأي حالة أعظم من حالة الغضب ، بل يمهل حتى يفيق من غضبه ، ثم يكلم بما ثبت دليله من العقل ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) وأيضاً مر أبي بن كعب على رجل يقرأ آية من كتاب الله على خلاف ما قرأ أبي ، فأتى به إلى النبي r ، فقال رسول الله r لكل واحد منهما :

اقرأ ، فقرأ كل واحد منهما قراءته التي سمعها من رسول الله r ، فقال لهما : " كلاكما محسن وكلاكما مجمل " فقال أبي : ما كلانا محسن ولا كلانا مجمل . قال أبي : ودخلني من الشك مثل ما كنت عليه في الجاهلية أو أشد ، فطعنه النبي في صدره : وقال " اللهم أخسئ منه الشيطان " فقال أبي : فكأني أنظر إلى الله فرقاً ، ولم يحكم عليه النبي بردة ، وكذلك أن بعض الصحابة قالوا للنبي r : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال r : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال r : " الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، إنها السنن ، والذي نفسي بيده لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فلم يحكم عليهم النبي r بردة ، ولم يأمرهم بتطليق نسائهم . وفي الحديث : " أن رجلاً قال لما لقى جملة بعد أن شرد عليه : اللهم أنت عبدي وأنا ربك " فضحك النبي r حين حدثهم بهذا الحديث ، وهو يدل على أنه لا يؤاخذ على ذلك

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

فأجاب :

أنه قد غلط في تفسيرها كثيرون بما ذكروا ، من أنه دس إبليس في النجم : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي ، وهذا لا يحكم به عقل ن ولا يقول به من له أدنى مسكة من قواعد الإيمان ، فلوا كان ذلك لحصل شك في جميع الكتاب والسنة ، ولبطلت الشرائع ، حيث تمكن إبليس من أنه ينطق على لسان رسول الله r حاشا وأبعده الله أن يتمكن من ذلك ، ثم إن النبي r ، إذا اتفق له ذلك فكيف صورة القصص التي اتفقت للنبيين قبله لم يسمع شئ من ذلك في كتاب منزل من الكتب المتقدمة ، ولا عن بني إسرائيل في حديث من أخبارهم ، ولا عن سلف ، ولا عن خلف ، ولكن تفسيرها ظاهر لا غبار عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

وأماني الرسل وبغيتهم أن يؤمن قومهم فيلقي الشيطان في أمنيته تلك ، بأ، يفسد عليه قلوبهم ، فلا يؤمنوا بل يقولون حين يدعوهم للإيمان كما قال قوم نوح (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) وقوم شعيب : (يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم

الرشيد) ونحو هذا كثير ، فكل نبي يتمنى أن يؤمن قومه فيلقي الشيطان في أمنيته تلك ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان من قلوب من آمن منهم ، ثم يحكم الله آياته في قلوبهم ، والله عليهم حكيم (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) وذلك ما خيل لهم من أن نوحاً بشر مثلهم وما هو عليهم بعزيز ، ومثل تصويره لهم أن تركهم لما يعبد آباؤهم لا يكون وأنه من المحال ، والقاسية .قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فانظر إلى عود الضمائر من قوله سبحانه وتعالى : وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ، أي يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به ، فالذي يلقى الشيطان يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والذين أوتوا العلم لا يؤثر فيهم ما يلقى الشيطان ، بل يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به .

وقال رضي الله عنه : إذا سبقت العناية لشخص أوصله أدنى سبب إلى أعلى مقام ، أوحى الله إلى موسى عليه السلام ، هل علمت ما سبب أني جعلتك نبياً كليماً ؟ قال : يا رب ، أنت أعلم قال : لما نفرت عليك الشاة وأنت ترعى الغنم

لشعيب لحقتها بعد ما أتعبتك ، ثم لما أمسكتها لم يعترك عليها غضب ، وقيل : إن رجلاً أمسك قلمه وهو ينسخ لما نظر إلى الذباب يمص من القلم ، فأوقف يده رحمة له ، ففتح الله عليه في الحال ، بأن رأى المداد يجري في عروق ذلك الذباب ، ورجل دخل الجنة من أجل كلب جاءه وهو ينبح على شفير بئر من العطش ، ولم يتمكن من الشرب فأرسل الرجل ثوبه وجعل يعصره في حلق ذلك الكلب حتى ارتوى , وعاتب الله سبسحانه وتعالى نوحاً عليه السلام ، حين نظر إلى كلب نظرة مستقبحاً له فقال : يا نوح ، إني ما خلقت شيئاً عبثاً فإن كنت لا تعلم بالمصلحة التي لأجلها خلقته فقلد خالقه . وعذبت امرأة من أجل هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض ، فانظر إلى مقادير الأعمال أدنى سبب مقرب ، وأدنى سبب مبعد

وقال رضي الله عنه : كان النبي r ، يحب من اللحم الساعد والكتف ، فمحبته للكتف : لأن الله سبحانه وتعالى وضع يده بين كتفيه ، الحديث . وأما محبته للذراع : فموافقة لحديث من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وقد غلط بعض العلماء حيث قال : إنهم كانوا لا ينضجون اللحم فكان الذراع والكتف أسرع نضجاً

وقال رضي الله عنه : المؤمن – في الدنيا – ذليل لله سبحانه وتعالى ، حتى أنه قال الشبلي : عطل ذلي ذل اليهود ، وذلك أن المؤمنين خاضعون لله خاشعون ، ثم إنك إذا نظرتهم في السجود وهو أعظم التذلل رأيتهم يضعون وجوههم على التراب وعلى الأرض الذلول (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) وفي الآخرة ينتقل إليهم العز الدائم الذي هو بإعزاز الله لهم ، وينتقل الذل الدائم الذي هو بإذلال الله إلى الكفار ، وفي الدنيا إذا عزوا فإنما هو بإعزاز أنفسهم وليس بعز (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ثم يوم القيامة يتمنى الكافر أن يكون تراباً أي في الدنيا حين يرى ما أعطى من النعيم من كان ذليلاً في الدنيا ، فيتمنى لو كان في الدنيا تراباً الذي هو أذل شئ ، ثم ذكر للشبلي هذا دعوة دعا الله بها ، بأن قال : يا رب ، املأها بالشبلي يعني النار ، وذلك لشدة الرحمة بأهل النار فإذا ملأها به لم يدخل النار أحد ، لأنها قد امتلأت وهو لما يعرف من قربه من الله سبحانه وتعالى ، وحبه له ، وإيمانه به ، لم يخف من النار فإنها لا تؤثر فيه ، وهي أشبه بمقالة عمر بن الخطاب حيث قال : وددت أن أكون كبشاً فيطعمني أربابي حتى اسمن ، ثم يضعون الشفرة على أوداجي فيذبحوني ، ثم يطعمون مني أضيافهم ، ويتصدقون ويأكلون ، وذلك لأنه

يعلم من نفسه بمصاحبته لرسول الله r ، ولما يعلم من عناية الله سبحانه وتعالى أنه إذا أكل أحد منه شيئاً لم يدخل النار لأنه لابد أنى تجرى تلك الأكلة في جميع عروق البدن فيتربى منه لحم فلا تسلط النار على اللحم الذي قرب من لحم عمر

ومن أجوبة عمر رضي الله عنه ، لما قال له النبي r : كيف بك يا ابن الخطاب وقد أتاك في قبرك ملكان يخطان الأرض بأنيابهما ولحظ أعينهما كالبرق الخاطف ؟ فقال : يا رسول الله ، وعقلي هذا معي يشير إلى أنها عند المصادرة للأمور تتغير العقول وتدهش وتنتقل الأحوال ، ألا ترى أن الصحابة – رضي الله عنهم – عالمون أن الهزيمة في الحرب لا تنفعهم ، لقوله سبحانه وتعالى : قل لن ينفعكم القرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً) فقوله : وإذا لا تمتعون إلا قليلاً تبكيت وتهديد ، بأنهم إذا فروا لم يمتعوا إلا قليلاً ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان أجلين (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده) وإذا وصل أرحامه ، وأطاع والديه آخره على الأجل المسمى ، وإن فر من الزحف ، أو فعل ما علم الله سبحانه من معاص مخصوصة ، قضى أجله في الأجل الأول ، فهم على يقين أن الفرار لا ينفع مع أنهم فروا في يوم حنين ، وذلك أن العقول تطيش عند لقاء العدو فلا يكاد يعرف الصواب ، ولذا

ينبغي للإنسان أن يسأل الله العافية ، وقال النبي r رجلاً يقول : اللهم إني أسألك الصبر فقال له r : " سألت الله البلاء فاسأله العافية " يعنى الصبر لا يكون عند مصيبة ، أو أمر فيه امتحان ، فيسأل الله العافية مما يكون معه الصبر .

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وفي قراءة إلا من ظلم ؟

فأجاب :

إن (إلا) تكون استثنائية ، وتكون استدراكية ، وفي هذا الموضع يستقيم المعنيان فإن كانت استثنائية فالمعنى أن الجهر بالسوء لا يحبه الله ، إلا من ظلم فلا بأس ، وذلك حيث ينازع الرجل خصمه لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحق ، وعلى قراءة إلا من ظلم – بالفتح – يقدر إلا من ظلم ، وله شواهد من كلام العرب ، ولكن الاستدراك أولى بالمقام ويكون المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء لكن من ظلم فلا

يحب الله الجهر بالسوء منه ، بل العفو أولى به ، وهو الذي يحبه الله منه (وأن تعفو أقرب للتقوى) ولا يكون العفو ممن ظلم إلا لمن نور الله بصيرته وهي درجة عظيمة ، فإن من فعل شيئاً بالعبيد لأجل مولاهم فحق عليه أن يعامله بما عاملهم

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) أي أخرج سبحانه وتعالى النخلة من النواة فالنخلة وهي حية تنمو أخرجها من النواة الميتة التي لا تنمو ، ثم أخرج من النخلة الحية التي تنمو التمرة الميتة التي لا تنمو ، كذلك الحبة وكذلك الإنسان فإنه تعالى أخرج هذا الحي الذي ينمو ويتحرك ، وخلق فيه العقل الذي عليه المدار من الميت وهو المنى ، ثم أخرج من الحي الذي هو الإنسان : الميت الذي هو المنى ، ثم يعلم جل جلاله ما تغيض الأرحام وما تزداد ، والعلم في حقه سبحانه وتعالى هو بمعنى البصر ، فيعلم المعدوم كما يعلم الموجود ، ويبصر المعدوم كما يبصر الموجود ، فإن هذه النواة والنطفة والحبة من ذلك ، يعلم ما تغيض الأرحام من النطفة أي ما لم يتخلق فيها وما تزداد ، أي ما يتخلق فيها والتي تتخلق يعلم كم منها إلى يوم القيامة ، ويعلم مستقرها أي ما يستقر منها يفسره قوله : في قرار مكين ومستودعها وهو الذي يزلق عن الرحم إذا قضى

أجله وهو إما نقطة ، أو مضغة ، وذلك من أول مني خرج ، وهو من آدم عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة .

والعلم هو في حقه تعالى بصر قال تعالى : بكل شئ عليم بكل شئ بصير ، بما تعملون بصير ، بما تعملون عليم ، فمتعلقهما واحد ، ثم إنه تعالى يعلم الشجرة التي في بطن النواة ، ثم ما يخرج من الشجرة من تمر فربما يكون في كل سنة وسق أو سوقان مدة عشرين أو ثلاثين سنة ، يعلم عدد هذه التمرات وهي في بطن تلك النواة إلى منتهاها ، ثم ما يغرس منها فتنمو منها نخلة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ، إلى يوم القيامة ، وما لم يغرس بل يلقى كل ذلك يعلمه في بطن هذه النواة الواحدة ، وعلمه تعالى بمعنى البصر فهو يرى جميع ذلك حبة حبة ، وإنساناً إنساناً ، وهم في العدم ، فسبحان العالم جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، ولا إله غيره . قال تعالى : (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم) اتبع فلق الحب والنوى بفلق الإصباح وهو تنفس الصباح ، لما كور الليل على النهار وأولجه فيه ، أراد أن يكور النهار على الليل ويولجه فيه ، ففلق الإصباح كما يفلق إهاب الشاة إذا أريد سلخها (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وقد يشم بعض الناس لتنفس الإصباح رائحة كما يتنفس الإنسان فتخرج

رائحة فمه ، وجاعل الليل سكناً ، أي يسكنون فيه من حركات النصب والتعب ، والشمس والقمر حسباناً ، أي يعرفون بهما الحساب ، ولا يخفى ما فيهما من منافع لا تحصيها الأقلام (ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي فلا ينبغي أن يستنبط منها غير ما خلقت له ، كما يستنبط المنجمون من القرانات وغيرها ، لأن الشئ لا ينبغي أن يستعمل إلا فيما خلق له .

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى خلق الثوم وجعله دواء لعلل كثيرة ، فهو خلق له ثم بسبب أكله تتأذى الملائكة حتى أنها إذا كانت رائحة الفم منتنة تختطف ما نطق به اللسان من خير من الهواء ، وإذا كانت الرائحة طيبة ابتدرت لأخذه من داخل الفم ، لكن لما كان خلقه لمنفعتنا لم يضر تأذى الملائكة به ، ولم يحرم علينا بل هو جار فيما خلق له . كذلك النجوم خلقت لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر فلا نتعدى ذلك (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) أي منها ما يستقر في الأرحام ، ومنها ما يزلق منها ، ولا يتخلق بل يبتدره أجله ، وذلك معنى قوله تعالى : (مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وذلك لأن العرب تسمى الخيل

المحفوظة المربوطة التي يأتون إليها بعلفها ومائه مستقرة ، ويسمون ما أرسلوها ترعى وتسقى بنفسها : مستودعة (قد فصلنا الآيات لقوم يفقون) (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضراص) هذا في مقابلة قوله تعالى : (فالق الحب) ثم أتبعه بقوله : (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) في مقابلة قوله (والنوى) والدانية : هي ما سهلت على الإنسان أسبابه ، وإن كانت النخلة عالية لكنها باعتبار ما خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان من الأيدي والأرجل دانية ، لأنه يلصق بها ثم يصعد فيها فينجي ثمرها ، وجنات من أعناب أخرجها من ميت كذلك (والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه) أي وجميع ما ذكر مشتبهاً وغير متشابه ، فقد تكون الحبة الواحدة من العنب نصفها أسود ونصفها أبيض أو أحمر ، وكذلك التمر وكذلك الرمان قد تكون الحبة الواحدة ذات لونين ، ثم لظهر كل حبة لون ، ولباطنها لون ، سبحانه وتعالى .

وقال رضي الله عنه : قد يكون الدعاء في الساعة التي يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى ، بصفة الوهاب ، فلا يرد فيها الدعاء ولو كانت من كفار ، فإن إبليس (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) وهو مطرود ملعون نجس الباطن والظاهر ، فاستجيب له ، و(قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) ومن

هنا نهانا رسول الله r عن لعن الدواب وغيرها ، حتى إن المرأة التي لعنت جملها وهي في سفر قال : " قد استجيب لك ، ولا نقبل ملعوناً ، اطردوا الجمل " فطردوه وكان كلما أقبل إليهم الجمل طردوه بالخيل ، فحرمت المرأة الجمل وظلمته بسبب لعنها له ، والرجل الذي رأى قيام يوم القيامة وذلك أنه سرق سرجه فسأل عنه فقيل له : قد سرق ، فقال : ذهب في لعنة الله ، فلما رأى أن القيامة قد قامت وهو ممن قتل شهيداً فأتى بفرسه وبولها وزبلها يوضع في الميزان ، فقال : أين سرجها ؟ إنه يثقل في الميزان ، فقيل له : ذهب في اللعنة التي قلتها في ساعة كذا ، فقد يؤتي الرجل من قبل نفسه وهو لا يشعر

ومن الحكايات العجيبة أن ذئباً برد في ليلة برداً شديداً فتمنى سلوقياً يلحقه ليدفأ ، فما تم إلا وقد أقبل عليه السلوقي فهرب منه حتى جوز ، فقال : لو رجمت في فمي لما تمنيت هذه الامنية فما تم إلا ولقيه رجل فرجمه بحجر حتى هرس أسنانه ، فطلع على رأس الجبل ونادى بأعلى صوته : ألا من يريد أن يدعو فإن أبواب السماء قد فتحت ، والدعاء في نفسه إنما هو إظهار للعبودية والتذلل ، وإجلال وتعظيم لباب الكريم ، وليس لأنه غافل عنك سبحانه وتعالى أو عن حاجتك ، بل يعلم بما توسوس به نفسك قبل أن توسوس ، وهو يعلم السر وأخفى ،

وهو سبحانه وتعالى كريم جواد لا يحتاج إلى سؤال قال شاعر في مدح بعض الملوك يسمى معنا :

أيا جود معن ناد معنا بحاجتي فمالي إلى معن سواك سبيل

فما ظنك بملك الملوك

وقال رضي الله عنه : لما سئل ما هي الكلمة في قوله تعالى :(وجعلا كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) ؟

فأجاب

إنها قول الحق له : أسلم ؛ لأنه تعالى ربما كلم الأبناء وأراد بذلك الآباء ، مثل قوله تعالى :(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) وربما كلم الآباء وأراد الأبناء مثل قوله تعالى :(فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) المكلم آدم ، والمراد أولاده ، وقد غلط بعض المفسرين بأن قالوا : هو آدم ؛ لأنه سمى عبد الحارث وهذا باطل من وجهين : أحدهما : أنه لا يستقيم هذا على قراءة شركاء ؛

لأنه سماه إذا فرضنا عبد الحارث هو شريك واحد لا شركاء ، الثاني : إن آدم يعتذر يوم القيامة إذا قصد للشفاعة بذنبه الذي أخرجه من الجنة ، ولو كان ذلك لكان أهم وأعظم أن يعتذر به يوم القيامة ، والقرينة التي دلت على أنهم أولاده عود الضمائر للفظ الجمعية (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) إلى آخر الآيات . وهذه الكلمة التي جعلها كلمة باقية في عقبه : هي التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، وليست الإسلام الذي هو نقيض الكفر ، كيف وهو الخليل ؟ إنما هو إسلام الأمر إلى الله سبحانه والاستسلام له ، كما أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما ألقى في النار قال الله سبحانه لجبريل : انزل على إبراهيم وائتمر لأمره ، فنزل إليه وهو يهوى في الهواء ، وقال له : ألك حاجة ؟ فإن الله سبحانه قد أمرني أن أأتمر لأمرك ، فقال : أما إليك فلا ، فقال : سل ربك ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي

وذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما رأى المقام مقام اختبار ليعرف الله سبحانه وتعالى جبريل قدر هذا الرجل الذي خرج من صلب من قالت الملائمة فيه :(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

أجاب بهذا الجواب ليوافق ذلك المقام ، فتولاه الله تعالى بأن كلم النار من غير واسطة ، فقال : (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فتوقفت النار عن إحراقه لا غير ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال لها : (على إبراهيم) فأكلت ما عليه من الحديد وهي القيود والأغلال التي كانت عليه تؤذيه ، وهذه معاملة الله تعالى لمن أسلم أمره إليه (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فإنك إذا توسطت بالعبد ليعطيك شيئاً أو يدفع عنك شيئاً فما ذلك إلا لأحد أمرين : إما أنك ترى أن هذا العبد أكرم من سيده ، أو أن خزائن العبد ملآنة وخزائن السيد معطلة ، أو تعتقد أن العبد أقدر على دفع هذا الأمر الذي تريد دفعه عنك من سيده ، وهذا غير جائز . نسأل الله العافية من كل بلية .

قال الشاذلي رحمه الله : لما سئل عن الإسلام : هو الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة . وقال عمر بن عبد العزيز – وهو مريض – لما قيل له : هل تشتهي شيئاً ؟ : أشتهي ما يقضي الله ، وقال رضي الله عنه – في الدعاء عن النبي r : وأعوذ بك منك أي أعوذ باسمك العفو من اسمك المنتقم ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ؟

فأجاب :

قال : ذلك مثل قوله تعالى : (فسبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين)

أي إنما وصفوا الله سبحانه وتعالى بغير ما وصف به نفسه ، فهو منزه عن ذلك وسلام على المرسلين ؛ لأنهم لا يصفونه سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه ، وكذلك عباد الله المخلصون وهم يعبدون الله بإخلاص المحبة لا لأجل دنيا ، ولا لأجل أخرى ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وهو سبحانه وتعالى يريد الصفحة ، فكأنه قال : فأين الذين يريدونني ثم أفراد الذين يريدون ولم يذكرهم مع هذين الفريقين فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

وعيسى روح الله – عليه الصلاة والسلام – مر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد الله معهم ، ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : خوفاً من ناره ، فقال : قادر أن ينجيكم منها ، ثم رحل عنهم فمر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله ؟ قالوا : طمعاً في جنته وشوقاً إليها فقال : قادر أن يدخلكم الجنة ، ثم مر بقوم فوجدهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ، فعبد معهم ، ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : ابتغاء وجهه ، قال : هذه درجة المقربين ، وأنا أمرت أن ألازمكم ، ثم جلس يعبد الله معهم ، فهؤلاء لا يمكنهم مفارقة الحق سبحانه وتعالى في الدنيا ولا في الآخرة ، فهم في الجنة على هذه الحالة لا يفارقهم تجليه ، وسائر أهل الجنة إنما يزورونه في كل ثمان ، أي قدرها ، فينظرون نظرة ينسون بها جميع نعيم الجنة ، ثم يتلذذون لذة تتنور بها وجوههم ، ويجدون من الراحة ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يعودون إلى أهليهم ، فيسرى ذلك التجلي إلى صور أهليهم ، فيتنورون ويكتسون نوراً لم يعهد فيهم من قبل ، ثم لا يزالون متلذذين بنعيمها ما شاء الله ، ثم يجدون لها في أنفسهم شهوة كشهوة الجائع فيؤمرون بالزيارة وهلم جرا

ثم جعل رضي الله عنه يخوض في وصف الجنة فقال : أشجار الجنة جذوعها من ذهب ليس كذهب الدنيا ، إنما إذا نظرت في الشمس حين تطلع أو حين تدنو للغروب ، فهو كذلك ، ثم طول الغصن مسيرة ثمانية اشهر وعشرة أيام ظلالاً من شمس إنما هي أنوار إنما يجدون لذلك الظل راحة ثم في كل حركة من حركاتهم ، وسكنة من سكناتهم ، يجدون راحة ولذة لا تخطر على قلب بشر ، ففي المشي يجدون لذة وكذا في القيام والاضطجاع لا كما في الدنيا ، لأنك إذا اضطجعت في الدنيا تحصل معك راحة بسبب التعب والنصب ، وفي الجنة إنما أنت تنتقل من لذة إلى لذة في جميع حركاتك وسكناتك ، وإنما يطلق عليه فعل أو عدم فعل أو قول أو عدم قول ، فكله راحة ولذة لا تشبه واحدة واحدة

ثم قال رضي الله عنه : وسأضرب لكم مثلاً : إذا اجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدواب أي لذة كل فرد منها ، ولذة جميع مشموماتها فرداً فراداً ، ونوعاً نوعاً ، وطعم كل مطعوم كذلك ، ولذة كل ملك مال كذلك في ذات واحدة فكيف تكون لذة النكاح ؟ وقد صارت لذة كل فرد مجتمعة فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء ؟ وكيف طعم جميع المطعومات وقد صارت لذة كل فرد من آدمي وغيره مجتمعة عنده ؟ وقس عليها سائرها .

ثم إذا انتقلت منها إلى أدنى نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم حنظل إلى طعمن سكر ، ثم لو اجتمعت لذات الجنة أي كل فرد فرد منها في ذات واحدة من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس وغير ذلك ، لتجتمع لك لذات جميع ما في الجنة ، ثم انتقلت من ذلك إلى نظر الحق سبحانه وتعالى فهو كما تنتقل من طعم الحنظل إلى طعم السكر ، وأهل الله لا يفارقونه في الجنة طرفة عين ، كما لا يفارقونه في الدنيا طرفة عين

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) قدم الشر – هنا – للاهتمام ، لأنه ربما قد يكون الشر قائداً لجميع الخيرات ، أي أن السيئة وأي شر أعظم منها قد تكون سبب القرب من الله تعالى ، وذلك لأنه ربما أورث الذنب ذلاً عجب وزهو بالطاعة وذلك داء ، وأي داء فتلك سيئة وارتكاب الذنب دواؤها ، فإن بعض الأولياء ارتكب ذنباً فلما تاب منه قال : رب ، أنت غنياً عن ارتكابي لذلك الذنب ، فقال له : قد كان اعتراك زهو فسلطت عليك ذلك الذنب ليزيله عنك ، فأنت الآن عندي أحب إلى من ذلك ، وقال r : " لولا أن

الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبداً " قال الشاعر في هذا المعنى

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال آخر :

انظر إلى بعين قد فتنت بها وداواني بالتي كانت هي الداء

وقال تعالى : (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال سبحانه وتعالى : (إن الإنسان لظلوم كفار) أي يكفر الظلم بالتوبة ، والظلم له معنيان : الاول : النقص قال تعالى : (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) والثاني : وضع الشئ في غير محله وكلما ظلم كفره بالتوبة ، ولهذا أتى بصبغة المبالغة ، وفي الحديث قال رسول الله r : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم "

وسئل :

رضي الله عنه عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل) ما معنى إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ؟

فأجاب :

إن الجنب لا يقرب الصلاة حتى يغتسل ، إلا إذا كان عبر سبيل فله أن يقرب الصلاة بلا غسل ويتيمم ، وعابر السبيل هو : أن يكون في طريق مخوفة إذا اغتسل خشي أ، يتأخر عن القافلة

ثم سئل :

رضي الله عنه : عن (إذا) الشرطية في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) الآية ؟

فأجاب :

فقال يؤخذ منها مفهومان أحدهما : للوجوب ، والآخر : لا للوجوب ، أما الذي للوجوب فهو إذا كان محدثاً ، وأما الذي لا للوجوب فحيث يكون متوضئاً ، فهو أمر ليس يقتضي الوجوب ، إنما هو نور على نور ، والنبي r ، فكان يصلي الصلاتين بوضوء واحد كمزدلفة ومنى

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى :(وإذا قرأت القرآن جلعنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أي محجوباً ، وذلك أن النبي r كان الله سبحانه وتعالى سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، وذلك أن العبد متميز عن المعبود فلا امتزاج وهم يرون العبد ولا يرون العبد ولا يرون المعبود ، لأنه تعالى عنهم محجوب ، وحقيقة النبي r يرونه في حين العبودية ، لكنهم لا يرونه بل بينه وبينهم حجاب مستور ، فهم يرونه ولا يرونه ، وهذان ضدان لا يفترقان ، وذلك مثل المرآة فإنك ترى صورتك فيها بلا شك ، وأنت تعلم أنها ليست فيها ، كذلك البحران فإن الله سبحانه وتعالى مزجهما وأحدهما مالح والآخر حلو ، وبينهما برزخ ، وهذا البرزخ لا يدرك بل لا يعرف إلا بالذوق فإذا شربت من هذه الجهة وجدته حلواً ، وإذ شربت من هذه الجهة وجدته مالحاً .

وقال رضي الله عنه : هذه الحياة هي نوم فمرائيها تعبر وتوضع في قالب التعبير ، فيعطي كل شئ ما يناسبه ، كما أن مرائي المنامات تعبر ، ويعبر كل منها بما يليق به ويناسب ، بدليل : " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " فكل أحد نائم إلا ابا بكر رضي الله عنه فإنه شهد له النبي r : أنه ميت ، وإذا كان ميتاً فهو منتبه ، فإن من مات انتبه ، قال فيه r : " من شاء أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر" وفي الصفة التي تسميها الصوفية الفناء ، وهو أن يكون الحق سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، فتفنى صفة البشرية وتبقى صفة الألوهية ، فيكون التصرف فيه لله سبحانه وتعالى لا يختار هو شيئاً ، بل يبقى فانياً عن إرادته وشهوته ، فيحيا بحياة الله سبحانه وتعالى ، وهذا لا يدرك بالتعبير ، بل لا يدرك إلا بالذوق ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تصف لإنسان السكر وهو لا يعرفه فتقول له : حلو ، فيقول لك : حلاوة عنب أم حلاوة عسل ؟ فتقول له : حلاوة غير هذه الحلاوات كلها ، لا تعرف إلا بالذوق ، كذلك صفة الفناء فإنك تنظر في هذا النظر المبصر لا ينظر إلا بنورين ، نور في الخارج ونور في العين ، إذا فقد أحدهما لا يمكن النظر فإنك إذا نظرت في ظلام لا ترى شيئاً ، وإذا نظرت في ضياء ولا نور في عينك لم تر شيئاً

ثم إن النظر قد ينظر شيئاً معدوماً ولا ينظر شيئاً موجوداً ، أما المعدوم الذي ينظره فكالشمس تنظرها بين الماء ، ولو حفرت هناك حتى تصل الأرض السفلى لم تجد هناك شمساً ، وأما الموجود الذي لا ينظره فهو الهواء الجامد ، هذا مع أنه بحر جامد يضرب إذا حرك بمروحة أو غير ذلك ، كما يضطرب البحر إذا حرك ، والبحر كثيف علينا لطيف على دواب البحر ، إذ لو كان كثيفاً عليها لا تدفع الماء إلى أجوافها مع جلوسها فيه أبداً ، بخلاف الإنسان فإنه لا يدفع دخوله إلى بطنه في الساعة اليسيرة بل يضطرب فيه حتى يغرق ، وذلك الهواء بالعكس لطيف علينا كثيف عليها ، يضطرب الحوت إذا خرج إلى الهواء كما يضطرب الإنسان في البحر فيغرق فيموت . والشم أوجده الله سبحانه في الأنف يجذب الروائح كما يجذب المغناطيس الحديد ، ثم الذوق يدرك ما يؤكل وما لا يؤكل من المطعومات ، والبهائم جميعها تدرك ما يدركه الإنسان بالذوق بالشم فتدع ما لا يؤكل ، وأما الإنسان في الشئ الذي لا يعرف فما يدع ما لا يمكن أكله إلا بعد المضغ .

وقال رضي الله عنه : انظر إلى خلق الإنسان يوضع في الرحم ، وهو في طور المنى ، ثم طور العلقة ، ثم طور المضغة ، ثم خلق المضغة عظاماً ، ثم كسا العظام

لحماً ، فخرج إنسان في أحسن صورة وقد شق سمعه ، وبصره ، وجميع حواسه ، وهي الأمانة التي عرضها الله سبحانه على الجبال ، والسماوات والأرض فأبين أن يحملنها فتبارك الله أحسن الخالقين ، وهو كان قادراً أن يخلقه كذلك من أول وهلة ، ولكن لحكمة منه قدر ذلك ، ليخلو بكل واحد من خلقه فيصنعه كذلك ، وانظر إلى حب الذرة الشامي تخرج مكسية من عند ربها ، كما يخرج العظم مكسياً لحماً ، وكل شئ له بربه خلوة ، وفي تلك الخلوة يبلغ بها كل شئ غاية ما يكون عليه من حلية وخلق وكسوة ، فما أحسن الخلوة وما أجل من خلا مع ربه عند الاختيار ، كما خلا به عند الاضطرار فإنه لما خلا به أولاً وليس له اختيار أوجده أولاً من العدم الذي ليس هو شيئاً إلى الوجود الذي هو خير من العدم ، ثم ما أبرزه إلى الوجود إلا بعد أن كمل صورته في غاية الكمال ، وكساه وشق سمعه وبصره وأودع فيه جميع ما يزينه كالعقل ، والأعضاء ، والجوارح وأحلاه بما خلق له وهي الفطرة على الإسلام ، والإنسان في حال كونه منياً يراه الحق سبحانه وتعالى في أكمل صورته التي يكون عليها ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يجمع المني إلى صلب الرجل ، كل عضو في ذلك المني باعتبار ما يصير إليه من عضوه ، فالعين من العين ، والأنف من الأنف ، والأذن من الأذن ، وهكذا الباقي وبعد أن

يجتمع في الصلب تنبعث دواعي النكاح فيلقيها الرجل في الرحم وهي مني ، والحق سبحانه وتعالى يرى فيها الجوارح والأعضاء جميعها ، في حال كونها منياً وهي السلالة التي قال تعالى : (من سلالة من ماء مهين) وهي التي يقال لها عرفاً : الخميرة التي توضع من عجين اليوم الأول فوق عجين اليوم الثاني ، فسبحان الصانع الحكيم ولا إله إلا هو

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ؟

فأجاب :

أن الأرض : هي أرض الجنة ، وكذلك الأرض التي في قوله تعالى : (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ولها معنى آخر أي أن الأرض هذه يرثها عبادي الصالحون ، فهي بشارة بالنصر للصالحين ، فيرثون الكفار فتكون كقوله تعالى :

(وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديراً)

وسئل :

رضي الله عنه : عن الدعاء في الصلاة ؟

فأجاب :

بأنه يدعو فيها بما شاء ، فإن بعض الصالحين كان يدعو حتى بملح العجين ، والدعاء إنما هو تكريم وتعظيم لباب المناجاة وإلا فالله هو الغني عن دعائك ، وهو يعلم بما تدعو في أي يوم وفي أي ساعة من قبل خلقك ، وهو كريم جواد يعطي قبل السؤال وفضله ابتداء ، لكنه يرى لك الخير كأنه وكيل ، والوكيل ينظر مصلحة الموكل ابتداء وانتهاء ، فربما تدعو فلا يؤثر الدعاء في ظاهر الأمر ، وقد وعد سبحانه وتعالى بأن يستجيب (ادعوني أستجب لكم) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ووعده الحق ولكنك حين تعلم بمصلحة تأخير الإجابة ن تحمد العاقبة

فما أسعد من وكله ورضى به وكيلاً وكفى به وكيلا . وقد تصاب ببلاء فتدعو وتتضرع وذلك المقصود منك ، قال الله سبحانه وتعالى : (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فتدعو أن الله يزيله عنك ثم لا يزول ، لكن لو عرفت حقيقة الأمر لاخترت بقاءه ؛ لأنه الدواء ولابد للدواء من مرارة أو كي .

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) أي أن الصلاة المقبولة وهي الكاملة الجامعة لشروطها بتأدية أركانها تامة ، وتأمل معاني القرآن فيها ، والخشوع الذي هو روحها ولا تقوم الذات إلا بالروح ، وفي الصحيح : أن قارئ الفاتحة في الصلاة إذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي إلى آخره ، وقد تقدم في أثناء هذه الكراريس . فهذا ذكر الله للعبد أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر ، ثم أخذ رضي الله عنه في تفسير الفاتحة قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) أتى – هنا – برب العالمين أي رب جميع عوالم هذا العبد ، ولما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد حمد نفسه بنفسه ، ولم يقل ربي لأنه سبحانه وتعالى يحمد نفسه

بلسان عبده ، وكل من أراد به خيراً حمد نفسه بلسانه ، فما أعظم هذه المزية لهذا العبد الذي يحمد الله نفسه بلسانه وبسبب مروره على لسانه بأجره عليه ، ويجازيه بقربة في الدارين ، وبالنعيم الدائم ، فلله الحمد على الحمد لأن الإنسان حال قراءة القرآن نائب عن الله تعالى

قال الله سبحانه وتعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فأضاف الكلام إلى الله تعالى ، مع أن الناطق به رسول الله r ، وقوله تعالى : (الرحمن الرحيم) لما ذكر اسمه جل وعلا ترقب السامع بأي صفة يصف الله نفسه ، ثم استشعر صفة تخويف كالجبار ن والقهار ، فقال سبحانه : لا خوف عليك لأنه ؛ (الرحمن الرحيم) وهما اسمان في أعظم مراتب الرجاء قال تعالى : (مالك يوم الدين) لما ادعى العباد أن لهم ملكاً في الدنيا عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم ، وإلا فهو المالك في الابتداء والانتهاء ، ولم يذكر ملك الدنيا لأنها لا تعدل عنده جناح بعوضة ، فذلك استهانة بها ، وإظهار لحقارتها . وفيه تخويف للكافرين ، وتأمين للمؤمنين ، أي أن الله سبحانه ملك يوم الدين ، وهو الذي تنزل فيه الشمس بقدر ميل حتى يلجم العرق الناس ، ومع هذا يحاسب على مثاقيل

الذر (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) فالمؤمن يستبشر بذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات أعماله الحسنة وظواهرها وصلاته تلك ، وهو فيها يعلم أنها ستعرض في ذلك اليوم عند أن يقول (مالك يوم الدين) يزيدها تحسيناً ، والكافر يزداد تهديداً وتوعيداً

ثم قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك في عبادتنا إياك (اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم : هو صراط الله أي الموصل إلى الله بسرعة ، لأنه لا اعوجاج فيه ، وأن هذا صراطي مستقيماً ، فإذا أحب الله شخصاً كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، وسلك به صراطه المستقيم ، ثم صراطه المستقيم ، هو صراط الذين أنعم الله عليهم ، قال تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم الذي أحبهم الله وهداهم إلى الإسلام ، فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة إذ لو أوجدك في دار كفر ما عرفت إلا ما هم عليه ، وكان عندك ما هم عليه هو الصراط المستقيم ، وقال تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) المغضوب عليهم فسرهم النبي r : بأنهم اليهود فهم مغضوب عليهم ، لأنهم ما عبدوا الله قبل ظهور النبي r إلا لما يطابق أهواءهم

ليس لله خالصة إذ لو كانوا مخلصين في عبادة الله من قبل ، لآمنوا بالنبي r ؛ لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم ، وإبليس كان يعبد الله قبل خلق آدم ، لكن لحلاوة يجدها عند العبادة والتذاذ ، فلما أمره الله بالسجود لآدم لم يجد تلك الحلاوة واللذة ، فأبى واستكبر وكان إبعاده ولعنه ، وانقلبت أنواره ظلمة ؛ وحلاوته مرارة ، وقربه بعداً ، وإمهاله إنما هو في مقابلة ما عبد الله من قبل ، فهو كالخزي وقال رضى الله عنه : قال الله سبحانه وتعال : يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد والعبد مفتقر إلى سيده بقدر مطالبه ، فلا شىء فى الدنيا إلا والإنسان محتاج أليه ، لا تستقيم حياته إلا به . أول شىء : العافية أنت مفتقر إليه سبحانه وتعالى فى إعطائه إياك العافية ، ثم إذا صرت فى عافية فأنت محتاج إلى كل ما تستدعيه العافية ، من منكوح ومطعوم ، ومشروب وملبوس . ومحتاج إلى ذوق تأكل به المأكول وتشرب به المشروب ، وإلى شم تشم به المشموم وسمع تسمع به المسموع، وغير ذلك من جميع الجوارح والأعضاء ومحتاج على شمس وقمر ، ونجوم وسماء , ومطر ونبات ، ودواب وأنعام ، وبر وبحر بل إلى جميع ما فى السماوات وما فى الأرض التى هى مسخرات له فهو فى جميع ذلك مفتقر إلى

ربه تعال ، ثم افتقاره فى الآخرة إليه أعظم من افتقاره إليه فى الدنيا ، لأن حاجته فى الآخرة أكثر وبقدر الحاجات يكون الافتقار .

وسئل :

رضى الله عنه : هل يؤخذ من قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام أن الحق يكون متعددا؟

فأجاب :

فقال : لا لنه لما كشف الحقيقة لموسى عليه السلام عما فعله ، صار الحق واحد عندهم ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام وهما منه أن ما فعله : الخضر غير الحق ، والوهم لا يكون حقا ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام لما غاب عنه ما وقع له من جنس تلك الحكمة الإلهية مرات ، فإنه وقع له فى المرة الولى : الإلقاء فى التابوت فى اليم ، وأمسك الله بقدرته الماء من دخوله إليه ، وأيضاً أمره الله تعالى ان يضرب البحر بعصاه فصار كل فرق كالطود العظيم ، حتى مر بنو إسرائيل ، وأيضا فإن الله تعالى أمسك على الحوت جرية الماء فصار عليه كاطاق

، فالقادر على ذلك قادر على إمساك الماء عن إغراق السفينة ، والخضر فعل ذلك بالسفينة مكافأة لأصحابها لأنهم حملوهم بغير نول ، فلما صارت فى صورة المعيبة تركها الملك ، وأخذ غيرها من السفن ، فكل من يريد ركوب البحر أو تحميل شىء فيه لم يجد غير تلك السفينة ، فكثر نولها ، وانتفع أهلها ، هذا معنى ما قاله . وفى الثانية : وقع لموسى عليه السلام قتل القبطى وكان قتله له بالحق فى نفس الأمر إلا أنه لم يؤمر بقتله ، ولما كان على غير أمر قال : (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له) فهو مصيب بقتله إذ هو مستحق للقتل فى علم الله ، فالله سبحانه وتعالى قتله بيد موسى وهذا أيضاً بالمعنى ، وفى الثالثة : سقى موسى لإبنتى شعيب عليهما الصلاة والسلام وهو لا يعرفهما ، وهو فى حاجة إلى الطعام ، ولم يطلب منهما أجراً ولا عول عليهما فى سد فاقته بشىء من الطعام ، أو شربة من لبن غنمهما ، بل وجه طلبه إلى الله تعالى (فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) وجاء في الحديث : أنه ما طلب إلا الطعام فكأن لسان الخضر عليه السلام يقول له : أنت أنفت من طلب الأجرة على عملك من غير الله ، فكيف تخاطبني أن أطلب أجراً على عملي من غيره ، وما فعلته عن أمري .

وسئل :

رضي الله عنه : عن احتجاج آدم على موسى عليهما الصلاة والسلام وذلك لما اجتمع موسى مع آدم فقال له موسى : أنت الذي أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فقال له آدم : أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وفي آخر هذا قال النبي r : " فحج آدم موسى "

فأجاب :

فقال ما معناه : تعرف من سؤال موسى ، وجواب آدم ، مقدار شفقة الوالد على ولده ورحمته له ، وأن الولد ليس فيه ذلك القدر لوالده ، فإنه قال له : أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، وفي هذه العبارة نوع من سوء أدب في خطاب الولد لوالده ، وكان في جواب الوالد ذكر فضيلة الولد ، والإعراض عن ذكر خطيئته ، بل أعلمه بما معناه : أنه لا وجه لإنكارك على مع علمك أنه كتب على قبل أن أخلق بكذا وكذا (ﷺ 1رضي الله عنه) من السنين ، ولم يقل له : لو كنت أنت لأخرجتنا بخطيئتك إخراجاً أعظم من إخراجي ، فإنك قتلت القبطي ولم تؤمر بقتله ، فخطيئتك تعدت إلى الغير ، وأما أنا فأكلت من شجرة ليس لأحد فيها حق غير الله تعالى ، لكن لما كان آدم – عليه السلام – متأدباً بآداب الله مع ما عنده

من شفقة الوالد ، وهو عالم أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لموسى ، وهو إذاً غفر لعبده لم يثربه فلم يحسن تثريب موسى بذكر خطيئة قد غفرت ، والاحتجاج بالقدر على الله هو الذي فيه خطر عظيم

ثم ذكر الحديث الذي معناه : أن الله تعالى يوقف عبداً يوم القيامة فيقرره بذنوبه فإذا قال العبد : أنت قدرت ، أمر به إلى النار ، نعوذ بالله منها ، وآخر يقرره الله تعالى على أفعاله فيعترف بها ويقول : يا رب فعلت وفعلت ، فيقول الله تبارك وتعالى : أنت فعلت ، وأنا قدرت ، ويأمر به على الجنة قال : هذا حفظ الله ، وأتى عمر رضي الله عنه بسارق ، فقال له : لم سرقت ؟ فقال : القدر ، فقال عمر : كذبت وأمر به فقطع ، فهذا من باب الاحتجاج على الله تعالى ، والاحتجاج بالقدر لا يسقط الحد

ومن إملائه رضي الله عنه من الأحاديث : عن النبي r : الحديث الأول : قال r : " أوحى الله إلى يا أخا المرسلين ، يا أخا المنذرين ، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلى بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة ، وأيد نقية ، وفروج طاهرة ، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبيدي على أحد منهم ظلامة ، فإني ألعنه مادام

قائماً بين يدي يصلي ، حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فإذا فعل ذلك كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين ن والشهداء في الجنة " أ .هـ .

الحديث الثاني : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي r ، فقال : ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح جهنم ، فقال رسول الله r : " يا جبريل ، صف لي النار / وانعت لي جهنم ، فقال رسول الله r أمر بجنهم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة لا يضئ شررها ، ولا يطفأ لهبها ، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم ، لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض ، لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى ، والذي بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لماتوا جميعاً من قبح صورته ، ونتن ريحه ،

فقال رسول الله r : حسبي يا جبريل ، لا ينصدع قلبي فأموت ، فبكى جبريل عليه السلام ، فنظر إليه رسول الله r وهو يبكي ، فقال : تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال جبريل : ومالي لا أبكي ؟ أنا أحق بالبكاء ، وما أدري لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها ، وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به إبليس فقد كان من الملائكة ، وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به هاروت وماروت ، فبكى رسول الله r وبكى جبريل ، فما زالا يبكيان حتى ناداهما الحق : يا جبريل ، ويا محمد ، إن الله قد أمنكما أن تعصياه ، فارتفع جبريل ، وخرج رسول الله r ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون ، فقال رسول الله r : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما اسغتم الطعام والشراب ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، فناداه الحق : يا محمد ، لا تقنط عبادي " رواه الطبراني في الأوسط

وفي الحديث القدسي : " يا عبادي ، أعطيتكم فضلاً ، وسألتكم قرضاً فمن أعطاني شيئاً مما أعطيته طوعاً عجلت له الخلف في العاجل ة، وادخرت له الثواب في الأجل ، ومن أخذت منه شيئاً مما أعطيته كرهاً فصبر واحتسب ، أوجبت له صلاتي ورحمتي ، وكتبته من المهتدين ، وأبحت له النظر إلى وجهي " :

(وفيه أيضاً) " من أكرم منى جوداً ؟ أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني ، ومن أكرم مني ؟ أقبل التائب كأنه لم يزل تائباً " وجاء رجل إلى النبي r ، فقال له النبي r " جئت تسألني عن سعة رحمة ربي ؟ وأخبره بقول الله عز وجل : لو كنت معجلاً لأحد العقوبة ، أو كانت العجلة من شأني لعجلت للقانطين من رحمتي ، يذنب أحدهم ذنباً فيستعظمه في جنب عفوي ، فلو لم أذكر لعبادي إلا خوفهم من الوقوف بين يدي لشركت ذلك لهم ، فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما خافوا " وقال r : " أتاني جبريل عليه السلام ، فعلمني الصلاة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فجهر بها " من الجامع الكبير للسيوطي . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لابن عمر رضي الله عنه : " يا ابن عمر ، لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبلي ، دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين قالوا " وقال r : " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه منه يوم القيامة ، فلم يدخله الجنة " وقال r : " من عاد مريضاً فأكل عنده ، فذلك حظه من عيادته "

وقال r : " إن السائل لا يسأل وما هو بإنس ولا جان ، وإنه من ملائكة ربنا يختبر العباد فيما خولهم الله تعالى " قال r : " أصدق الحديث ما عطس عنده "

(ما يقال عند الوضوء) بسم الله العظيم والحمد لله على الإسلام (وعند الاستنجاء) اللهم حصن فرجي ، واجعلني من الذين إذا ابتليتم صبروا ، وإذا أعطيتهم شكروا (وعند المضمضة) اللهم أعني على تلاوة ذكرك ، ولقني حجتي (وعند الاستنشاق|) اللهم لا تحرمني رائحة الجنة (وعند غسل الوجه) اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (وعند غسل اليد اليمنى) اللهم أعطني كتابي بيمينى ، وحاسبني حساباً يسيراً (وعند غسل اليد اليسرى) اللهم لا تعطني كتابي شمالي ولا من وراء ظهري (وعند مسح الرأس) اللهم غشني برحمتك (وعند مسح الأذنين) اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وعند غسل الرجلين) اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام

وعند الفراغ سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واجعلني من عبادك الصالحين ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثم يقرأ آية الكرسي لأنه ورد : من قرأ آية الكرسي عقب الوضوء : زوجه الله أربعين حوراء ، وأعطاه ثواب أربعين عالماً ، ثم يقرأ : إنا أنزلناه ثلاث مرات .

ما يقال عند الخروج إلى المسجد اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج بطراً ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فمن قالها أقبل الله عليه بوجهه ، ومن أقبل عليه بوجهه لم يعذبه أبداً ، ووكل به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، انتهى (ومن الأدعية الواردة بعد صلاة الجمعة) سبحانه الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، أستغفر الله (مائة مرة) ، أعوذ بوجه الله الكريم ، الذي ليس شئ أكرم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزنهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، وشر ما ذرأ في الأرض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن

ومما أرشد إليه رضي الله عنه : يا لطيف (ألف مرة) ، ثم تقول بعد كل مائة : الطف بي في أموري كلها كما تحب وترضى ، وأرضني في ديني وبدني ودنياي وآخرتي يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم يا لطيف | ، لطفت بخلق السماوات والأرض

، ولطفت بالجنين في بطن أمه ، الطف بي في قضائك وقدرك لطفا يليق بجلالك وكرمك ، يا أرحم الراحمين ، ويا رب العالمين ، ويا أكرم الأكرمين

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن لا يترك صلاة الخيرة في كل يوم بعد صلاة الإشراق ، ثم يقول الدعاء المأثور عن النبي r ، في جميع أركان الصلاة ، كصلاة التسبيح ويكون لفظ المستخار فيه بعد لفظ الاستخارة ، اللهم ما علمت من جميع كلامي ، وحركاتي ، وسكناتي ، وخطواتي ، وأنفاسي كلها دائماً سرمداً أبداً في يومي هذا وما بعده ، إلى انقضاء أجلي خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، اللهم وما علمت من جميع ذلك شرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به . انتهى . وطلب بعض أصحاب سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه ، أن يكتب له كلاماً ينفعه الله به فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم . (أما بعد) : فالأمر الجامع والقول النافع ، والسيف القاطع ، في طريق الله تعالى ، إن على العاقل الذي يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ، ويحب أن يدخله الله تعالى في سلك المقربين في جميع المسالك إذا أراد أن يدخل

في أمر من أموره قولاً أو فعلاً ، فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه تعالى ، ويسأله عن ذلك الأمر فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل في ذلك الأمر ، فإن رأى الجواب صواباً وسداداً يرتضيه الحق تعالى ، ويقبله منه فليدخل في ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى ، وإن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله منه تعالى ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر أي أمر كان ؛ فإنه وبال عليه إن دخل فيه . وهذه القاعدة هي أساس الأعمال والأقوال كلها ، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهراً وباطناً لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول النبي r : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا "

القاعدة الثانية : أن لا يفعل فعلاً ولا يقول قولاً حتى يقصد به وجه الله تعالى ، فإن صحح القصد فيه لوجه الله تعالى ، وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله تعالى ، صار لا يتكلم ولا يفعل فعلاً إلا عن تثبت وتأن ، وصارت أعماله كلها دقيقاً خالصاً لا نخالة فيه بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم وحبيبه الأكرم r : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والغشي

يريدون وجهه) أي لا غيره في جميع أمورهم وقال عز وجل : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)

القاعدة الثالثة : أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين : كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير ، فإن رسخ في هذه القاعدة قلبه واستقاه فيها أفاض الله على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية وأذاقه حلاوتها ، فنال من الإرث النبوي حظاً وافراً عظيماً من قول الله عز وجل : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا معنى قول النبي r : " إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليها شيئاً : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمي " وهذا معنى قول النبي r لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : " لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير "

القاعدة الرابعة : مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله r لإتمامها ، لقوله r : " إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق " وهذه القاعدة هي زبدة الدين وحقيقتها : أن يكون العبد هيناً لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين قال رسول الله r : "

أهل الجنة : كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار : كل شديد قبعثري " ، قالوا : يا رسول الله ، وما قبعثري ، قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشير " وقال مولانا العظيم : (وقولوا للناس حسنا) أي لا قبحاً ، وقال عز وجل : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) والأحسن : هو الذي جمع الحسن وزيادة

وبالجملة : فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب ، والقول الحسن والفعل الجميل ، فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث ، والقول القبيح ، والفعل الكريه ، فاترك الناس والخلق منه ، فإن الله عز وجل يعامل العبد بوصفه ، وخلقه الذي يعامل به الناس فإن المجازاة على الوصف بالوصف جزاء وفاقاً ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلاً ظليلاً يستريحون فيه ، كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبداً لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد نفسه ، ولذلك جاء في الحديث عن الله تعالى ، أنه يقول للعبد يوم القيامة : " جعت فلم تطعمني ، واستسقيتك فلم تسقني ، ومرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين ؟ وكيف تستسقى وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه مفسراً لذلك : أما إنه مرض

عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان ، أما إنك لو أطعمته لوجدت عندي ، واستسقاك عبدي فلان ، أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي " ففسر سبحانه نفسه قوله : جعت ومرضت واستسقيتك ، بقوله : جاع عبدي فلان ، ومرض عبدي فلان ، واستسقاك عبدي فلان ، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هي معاملة السيد بلا شك ، فمن رسخ قدمه في هذا المقام وصارت معاملته مع الحق تعالى جل جلاله في كل شئ ، فلا يراقب غير الله تعالى ، ويجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ، ومع عبادة قول النبي r : " أكرموا الله تعالى أن يرى منكم ما نهاكم عنه " وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك

والأمر الذي يبعث العبد على الحياء من الله تعالى ، هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شئ رقيب ، وعلى كل شئ شهيد ، وهو قوله تعالى (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة ، واستعملها حتى اعتادها وألفها ، ألزمه الحياء من الله تعالى ، أن لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً لا يرضاه الله تعالى ، ولا يليق بجلاله ، وهو حاضر القلب (وهو معكم أينما كنتم) بأن الله تعالى معه وناظر إليه ، فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلاً أو يسرق ، والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه ، ويستقبح ذلك

من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً ، والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ، وينحط قدره عندهم ، فلا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالى ، ترك ذلك الفعل قطعاً وهذا معنى قول النبي r في الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ، ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه فيها .

وسئل :

رضي الله عنه : هل يلزم الإنسان الاختبار إذا أحس بشئ خرج من ذكره وهو في الصلاة ؟

فأجاب :

فقال : لا يلزمه ذلك ولا ينبغي له أن ينقض وضوءه بمجرد الشك ، بل يبقى في صلاته ولا ينصرف منها لعدم اليقين ، لأن اليقين لا يحصل إلا بالاختبار ، والاختبار متعذر وهو في الصلاة ، ثم بعد فراغه من الصلاة يختبر ، فإن وجد

ذلك حقاً أعاد الوضوء والصلاة ، وإن لم يجد فلا اعتبار بالشك الواقع في الصلاة ، لأنه انكشف خلاف ما خيل

وسئل :

رضي الله عنه : عن الدعاء في الصلاة هل يأتي به بصيغة الجمع إذا كان إماماً ولو كان وارداً عن النبي r بصيغة الإفراد مثل " اللهم أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها " ونحو ذلك فيقول :/ اللهم أعط أنفسنا ؟

فأجاب :

فقال : أئت بصيغة الجمع وإن كان وارداً بصيغة الإفراد ؛ لأن في الحديث " من أم قوماً فأفرد دونهم نفسه فقد خانهم " وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله r : " ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلن : لا يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم ، فإن فعل فقد خانهم ، ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن ، فإن فعل فقد دخل خائناً ، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف " رواه أبو داود واللفظ له

، والترمذي وابن ماجه وحديثه مختصر : وقال الترمذي : حديث حسن ، ورواه أبو داود – أيضاً – من حديث أبي هريرة . ومنها : أن يسأل الله تعالى بعزم ورغبة ، وحضور قلب ورجاء ، قال الله تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) والنبي r وإن أتى بصيغة الإفراد فهو روح كل مؤمن ، ففي الحديث عن النبي r قال : " ما دخلت شوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها " وأيضاً إذا كان الإنسان منفردا يأتي بصيغة الجمع ، وينوي المسلمين وهو أولى ، هذا معنى ما ذكره ، أعاد الله علينا من بركاته . آمين

وسئل :

رضي الله عنه : ما الفرق بين الظن الذي هو أكذب الحديث والذي لا يغني من الحق شيئاً ، وبين الظن الذي في قوله تعالى في الحديث القدسي : " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء " ؟

فأجاب :

إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم أحد ما عنده ، ولا يدري ما يفعل به ، فإذا ظن به عبده خيرا حققه الله ، فكيف إذا تحقق العبد في الله خيرا فهو سبحانه وتعالى يحقق لعبده ظنه ، ولا تسأل عمن علم في الله ، وعلم بالله حق علمه ، سبحانه ما أكرمه

وسئل ة:

رضي الله عنه : عن القراءة خلف الإمام هل لابد منها ، أم قراءة الإمام له قراءة ؟

فأجاب :

بأنه لا يقرأ خلف الإمام إلا الفاتحة ، لما في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : " لعلكم تقرؤن ورائي ، قالوا : إنا نفعل ، قال : لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها " ولم يفرق النبي r بين أن يكون إماماً ، أو مؤتماً ، أو منفرداً ، وفي الأصل : أن الصلاة مناجاة بين العبد ورب ، ولا تكون مناجاة الإمام مناجاة عن المؤتم ، قال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) إنما الإمام يكون شفيعاً

لقوله r : " ائمتكم شفعاؤكم فانظروا لأنفسكم شفعاء " وأيضاً فإن في الحديث القدسي : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله : ذكرني عبدي ، وإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : اثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هؤلاء بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، وإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " فجعل سبحانه وتعالى الصلاة هي الفاتحة لأنه قال : قسمت الصلاة بين وبين عبدي ، ولم يذكر إلا الفاتحة مع أن الصلاة أذكار وأركان فهو كقول النبي r " الحج عرفة " مع أن أعمال حجم كثيرة لكن الوقوف لا يتم الحج إلا به ، وإذا لم يقف بعرفة لا يسمى حجاً ولو فعل أعمال الحج جميعها ، كذلك الفاتحة في الصلاة

وقال رضي الله عنه : لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحرض عبيده على إنفاق المال في الصدقة ، ويرغبهم في ذلك ، قال تعالى : (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) فأضاف المال إليه سبحانه ، لأن السيد إذا قال لعبده : أنفق من مالي

والخير عائد عليك في إنفاقه ، كان ذلك ترغيباً له في إنفاقه ، لأن الإنفاق من مال غيره والخير عائد عليه ولما أراد سبحانه وتعالى أن يحرضهم على حفظه عن الإتلاف ، قال سبحانه :(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) فأضاف المال إلى العباد إضافة ملك ، ليكونوا أشد حرصاً عليه ، سبحانه وتعالى ما ابلغ كلامه ، رزقنا الله التدبر لمعانيه

وقال رضي الله عنه : في قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : " الصوم لي وأنا أجزي به " أي إن الصوم صفة من صفاتي ، كما قال تعالى : " وهو يطعم ولا يطعم) وفي الحديث : " تخلقوا بأخلاق الله تعالى " فأمر سبحانه وتعالى عبيده أن يتخلقوا بهذه الصفة وهو عدم الطعم للطعام ، وفي وقت مخصوص ، فقوله : الصوم لي أي هو في الحقيقة لي ، لأني أطعم ولا أطعم وأنا أجزي به ، أي أنا جزاؤه لأنه تخلق بخلقي ، فجعلت جزاءه النظر إلى فأنا جزاؤه ، فإن رجلا قال للنبي r : أوصني ، فقال له : " عليك بالصوم : فإنه لا مثل له " فلو لم يكن تفسير هذا الحديث كذلك لتعطل المعنى ، تعالى الله علواً كبيراً ، إذ لو كان معناه على ظاهره لكان مثل سائر الأعمال ، لأن الأعمال كلها لله ، وهو سبحانه وتعالى يجزي بها

وقال رضي الله عنه : أنزل الله القرآن محكماً ومتشابهاً ، فالمحكم : أوضح من الشمس ، قال تعالى : (هذا بيان للناس وهدى) وقال تعالى : (قد بينا الآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) أي بين لها طريق السعادة وضدها ، وقال تعالى : (وهديناه النجدين) أي بينا له النجدين ، وإذا أشكل منه شئ لقلة فهم ، فقد أمر سبحانه ورسوله أن يبينه للناس ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فبين r في السنة ما بينه ، وما لم يبينه فليس لنا أن نبحث عنه . وأما المتشابه : فأنزله تعالى ليختبر به عبيده وهو أعلم بهم ، فمنهم : من يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، ومنهم : من يؤمن به على الجملة فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الراسخون في العلم ، والذين ينظرون في متشابه ويحرمون حلاله ، إنما هم يتكلفون ما لا يعينهم ، ويقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفترون على الله الكذب ، ولو قيل لأحدهم : أتحلف بالله العظيم ، وطلاق امرأتك ثلاثاً ، أنا ما فسرت به هذه الآية التي هي من المتشابهات ، هو مراد الله ؟ لرجع عن ذلك خوف أ، تطلق امرأته فيصير زانياً ، ولم يعلم أنه قد كفر . قال الله تعالى : (إنما يفترى الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) وقال تعالى : (إن الذين

يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) فهذا الذي خاض فيما لا يعنيه ما علم تفسير تلك الآية التي هي من المتشابهات ، إنما هو من عند نفسه وليس معه دليل من السنة ، ولا هو مبين من عند الله ، فليته كان من أهل الدرجة الثالثة ، وهي : لا أدري لأن في الحديث : " من كذب على متعمداً ليتبوأ مقعده من النار ومن سمع شئ مني فرده فأنا خصمه يوم القيامة " وفي الحديث عن النبي r : " العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة ماضية ، ولا أدري "

وقال رضي الله عنه : سبب اندراس الإسلام خوض الناس فيما لا يعنيهم ، فأكثروا الرسوم في العلوم والكتب المؤلفات ، في بيان أشياء ما أمرنا أن نتكلف بها ، ولا نبحث عنها ، كالعلم باليد في قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى : (بل يداه مبسوطتان) وهذا لا ينبغي ولا يجوز الخوض فيه ، ويجب أن لا نتكلم فيه بشئ أبداً ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للرحمة يدين ، فقال سبحانه : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وجعل للنجوى يدين فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فيد الرحمة ويدا النجوى لا يعلم كيفيتهما إلا الله سبحانه وتعالى ، فما ظنك في العلم بكيفية يد الحق سبحانه وتعالى ، آمناً بالله . فهي كما يليق بجلاله وجماله وكماله ،

فالخوض في مثل هذا أعظم الخطر ، قال الله تعالى حاكياً عن أهل النار لما قيل لهم :(ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين) فتأمل ما أخطر الخوض مع الخائضين ، وهذا من جملة الخوض الذي هو إلى الهلاك أقرب بل هو عين الهلاك

وقال رضي الله عنه في معنى : سبحان الله وبحمده سبحان الله : منصوب بفعل محذوف أي أسبحه تسبيحه الذي يعلمه لنفسه ، ويليق بجلاله ، وكما يسبح به نفسه وبحمده : متعلق بفعل محذوف ، يعني : وأحمده بحمده كما يليق بجلاله ، كما قال r : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "

وقال رضي الله عنه : رأى بعض الصالحين من أولياء الله تعالى في المنام الحق جل وعلا ، فقال له : يا إلهي وسيدي ، أكرمت الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بالوحي والمناجاة ، فاجل لي شيئاً يكون بيني وبينك من غير واسطة ، فقال سبحانه : من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد أبدل نعمة الله كفراً ، وهذا من أعظم الفوائد من عمل به أرشده الله إلى الخيرات ، والمحسنون إليك قد يكونون من جنسك ، ومن غير جنسك ،

وذلك الإحسان كله هو بتسخير من المحسن الكريم الأعظم ، فما سخر لك سبحانه وتعالى دابتك وعبدك وجاريتك فدابتك محسنة إليك بحملها لثقلك ، وحملك على ظهرها ، وتطيعك أينما وجهتها ، فإحسانك إليها أن تشبعها من رزق الله ، وتسقيها ولا تحملها زائداً على جهدها ، ولا تضربها لتسير سيراً فوق ما تطيق ، فإن فعلت فقد أسأت إليها وإن أسأت إليها فأنت داخل فيمن أساء إلى من أحسن إليه وبدلت نعمة الله كفراً ، نسأل الله العافية والسلامة ، وكذلك العبد وهو أيضاً مختص بشئ وهو قول النبي r : " خادم القوم سيدهم " فكيف إذا أسأت إلى سيدك المحسن إليك ، وبدلت نعمة الله كفراً ؟

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولم يقل نعم الله أي لا تحصوا نعمة واحدة أنعمها عليكم ، فانظر إلى نعمة الحب فإن الله سبحانه وتعالى رزقك إياه وأنعم عليك به ، وأنت تنظره موجوداً بعد أن كان في العدم ، ولا تدري كيف وجوده ، ولو تفكرت لعرفت مقدار نعمته ، فإن الله سبحانه وتعالى أولاً : أمر الأرض فخدمته بأن حفظته في بطنها ، ثم أمر السحاب فخدمته بأمطارها ، ثم أمر المطر فخدمه بسقيه إياه ، ثم أمر الشمس فخدمته بإنضاجها إياه ، ثم أمر الريح فخدمته بتلقيحها إياه ، ثم خدمه الحديد

لأن منه آلات الزراعة ، ثم خدمته البقر وغير ذلك حتى حصل فسبحان الله وتعالى سخر له بركة السماء والأرض ، وما أهانه قوم إلا سلط عليهم الجوع " ومن نعمة الله سبحانه وتعالى ، أن جعل رزقك يتبعك أينما كنت ، إذ لو كان في محل واحد وأنت تقصده لكان ذلك هو العذاب الشديد ، فإنك إذا رحلت من بلدك – مثلاً – إلى مكة فرزقك فهو مقسوم مكتوب ، وما كتب لك سوف يأتيك .

ألا ترى أنك تشرب – مثلاً – شربة من زمزم وهو سبحانه قد قسمها لك ، وعلمها منحازة عما خالطها من المياه في جوف البئر فيعلم أن هذه الجرعة في هذا الدلو هي رزق لفلان ، وهذه تراق على الأرض ، وهذه تعود إلى البئر ، يعلم ذلك سبحانه مقسماً قبل أن يوجده من العدم ، فيسوق إليك منه رزقك وأيضاً يأتيك رزقك إليها من الهند ، ومن الروم ، ومن الطائف ، فهذه رمانة قسمت لك رزقاً قبل وجودها وقبل وجودك ، فساقها إليك ، وهذا صاع من رزق ساقه إليك من الهند وغير ذلك إذ لو كلفت أ، تحمل جميع رزقك : من ماء ، وحطب ، وعلف ، وحب وجميع ما تحتاجه من بلدك ، وهو بالغرب مثلاً إلى مكة لاستغرق أكثر جمال الأرض . رجل واحد إذا أراد مثلاً أن يسكن في مكة عشر سنين ، أو سنتين ، أو سنة وهذا هو العذاب الشديد ، فسبحان المتفضل ما أكرمه ، ومن النعم :

الجوارح التي أودعها فيك والحواس ، فإنك لا تعرف نعمة النظر إلا إذا فقدته ، ولو كان معك ملك الدنيا بأجمعها ، وقيل لك : اختر رجوع نظرك ، ويؤخذ الملك منك أو يبقى الملك في يدك مع فقد نظرك لاخترت النظر ، ولكنك لم تعلم بقدره عند وجدانه ، وكل شئ ما يعرف إلا بضده ، وبضدها تتميز الأشياء ولكن لا ينفع الاعتراف بالنعم عند فقدانها . ثم قال : اللهم اجعلنا ممن اعترف بنعمك عند وجودها ، وأوزعنا شكرها .

وقال رضي الله عنه : " الدنيا سجن المؤمن " هذا الحديث معناه : أن المسجون لا يكون همه إلا الخروج من السجن ، كذلك المؤمن ليس همه إلا الخروج من الدنيا ، شوقاً للقاء ربه ، فإن النبي r لما نزلت عليه (إنك ميت وإنهم ميتون) سر بذلك سروراً عظيماً شوقاً إلى لقاء الله تعالى ، لأنه مشاهد للحق تعالى في كل حالة ، لكن سبحانه وتعالى متصف بصفات القهر والرحمة ، والعذاب في الدنيا ، والأخرى بالرحمة فقط ، فلذلك كل من أحب الله تعالى أحب لقاءه ، قال الله تعالى : (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ولأن المؤمن مخاطب بمحاسبة النفس في الدنيا ، فلذلك كانت في حقه سجناً ، فإذا لم يكن كذلك فهو من نقص إيمانه ، لأنه مطمئن إلى الدنيا ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم

انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) ولم يقل منا ، إذ لو قال ذلك لانقشت قلوب الصحابة لقوة معرفتهم بالله تعالى ، فأدبهم تأديباً لطيفاً بدمعة لا تفضي إلى الهلاك ، ومعنى الآية . ما لكم إذا قيل لكم أي نقول لكم تعالوا إلينا قاتلوا في سبيل الله ؟ فإما أن ننصركم ، وإما أن تقتلوا فتلقوا ربكم الذي هو منتهى بغية المؤمنين ، وبقدر حبكم للقائه يكون حبه للقائكم ، ففي الحديث : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " أثاقلتم إلى الأرض أي اطمأننتم إليها أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ورغبتم عن لقاء ربكم ؟ (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلى قليل) فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، كلنا نكره الموت ، فأجاب : إن تلك الكراهة من جهة الروح لأنها قد انست بالجسد وألفته ، ومفارقة المألوف صعب ، مع أنها في أول الأمر ما قنصت إلى قفص الجسد إلا ولها صياح ، ولولا الامتثال لأمر الله تعالى على قدر على اصطيادها الملائكة الموكلون بأن يدخلوها إلى الجسد ، لأنها مطلقة في رياض الروحانيين ، فحبست في قفص الجسد ، ثم أنست به واطمأنت به وألفته ، حتى إنها تعانقه عند الموت من شدة شغفها به ، كما يعانق المحبوب محبوبه عند فراقه ، وربما يمنى ولذلك شرع غسل الميت

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

فقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي نضيق عليه ، كقوله تعالى : (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أي ضيق عليه رزقه ، وقوله تعالى : (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) لأنه لا يظن أحد أن الله لا يقدر عليه ، فما ظنك بالنبي ، ثم لما ظن هذا الظن ضيقنا عليه في ظلمات ثلاث : لأنه أوقف الرحمة عليه ، ولم يطلقها عليه وعلى قومه ، فضيقنا عليه ووسعنا على قومه ، قال تعالى : (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) فهم ممتعون باقون في الحياة ، ولكن هذا التضييق من الحق تعالى لنبيه يونس عليه الصلاة والسلام ، هو عين التوسيع لأنه تأديب ، وأي توسيع أعظم من تأديب المولى لعبده ، به الفوز والفلاح والنجاة

ومن فوائده رضي الله عنه في الطب : أن الحنظل دواء للدغ العقرب إما ورقه أو ثمره وإذا خلط بزبل الحمام كان أعظم في النفع ، وكذلك من أدويته — أيضاً — عود القرح ، وللدغ الحية النوشادر ، وإذا كان الإنسان أو غيره حاملاً للنوشادر لا

تلسعه الحية أبداً ، بل لا تقربه بإذن الله ، ومما ينفع للغدة العقرب – أيضاً – الريال إذ حك على ماء ثم لطخ به موضع اللدغة ثم يربط عليه فإنه نافع

وقال رضي الله عنه : لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون ، كان السامري يتشبه بموسى بين يدي فرعون ، ليضحكه استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبه على هذا الوجه نجاه الله من الغرق فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ، هذا بمجرد التشبه ، والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ وكيف إذا كان بحسن نية ولو لم يقم بالعمل ؟. قال الشاعر

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ** إن التشبه بالكرام فلاح

وقال رضي الله عنه : النكتة في إيراد قصة الهدهد في سورة النمل قول سليمان عليه الصلاة والسلام : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين) فقوله وأوتينا من كل شئ ، فيه نوع زهو ، ونزر يسير من رائحة فخر خفي ، فأجرى الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد : (أحطت بما لم تحط به) تأديباً له عليه الصلاة والسلام بهذا التبكيت ، ثم أنطق

الله سبحانه وتعالى هذا الهدهد بقوله : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) فأخرج الله سبحانه وتعالى الخبء الذي في طي كلام سليمان عليه الصلاة والسلام بقصة الهدهد ، وأتى من صفات الحق تبارك وتعالى بقوله : الذي يخرج الخبء ، ولما تأدب عليه الصلاة والسلام بآداب الحق جل وعلا ، قال لما رأى عرش بلقيس عنده ، قبل أن يرتد إليه طرفه وهذا الحد لا يتعذر دونه أبداً : (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) وأراد – أيضاً – أن يؤدب بقوله هذا أي قوله : ليبلوني أأشكر أم أكفر : آصف لئلا يستنفزه شئ من الشيطان لأنه قال : (آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) فهو عليه الصلاة والسلام أضاف الضمير إلى نفسه ، وأراد به آصف ليؤدبه ، وهذا من ألطف العبارات ، فسبحان الله العظيم ، ما أبلغ هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ففروا إلى الله) فأطلق المفرور منه وقيد المفرور إليه ، أي ففروا فراراً مطلقاً من كل شئ إلى الله ، حتى إنه بلغ الحال بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لما قيل له : نأتي لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، ففر من ألمه إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا أهمك أمر ففر منه إليه

سبحانه ، فإذا سلط عليك – مثلاً – عدواً فإن قابلته بالحول والحيل والعدد ، وجعلتها مجردة للمدافعة فقد فررت من الله ، لأنه هو الذي سلط عليك ذلك العدو إلى ما معك من الجند والمال ، نسألك اللهم عافيتك . وإن جعلتها إنما هي أسباب وليطمئن بها القلب ، قال الله سبحانه : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) مع كونك معتقداً اعتقاداً تاماً أن النصر من عند الله ، وخرجت لقتال عدوك ، وأنت واثق بالله لا أنك معتمد على جندك أبداً ، فقد فررت من العدو إلى الله ، كذلك الفقر إذا ابتلاك به فإن فررت منه إلى قصد مخلوق أو إلى حرفة ، فقد فررت من الله إلى ، وسلكت معنى دعاء رسول الله r : " لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك " كنت فاراً من الفقر إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن بعض أهل الحرف من الصالحين حدثته نفسه في بعض الأيام وهو شات شديد البرد : إن لم تداوم على حرفتك فمن أين تأكل ؟ فحلف أن لا يعطيها مما كسب من تلك الحرفة شيئاً إنما أبقى فيها لقضاء حوائج الناس منها ، فهذا معنى قوله تعالى : (ففروا إلى الله)

وقال رضي الله عنه : قال النبي r من جملة دعائه : " اللهم إني أعوذ بك من القتل عند الفرار من الزحف " وقال النبي r : " وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً " وهو معنى قول اله تعالى Sad يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) الآية . فالقتل عند الفرار من الزحف تعوذ منه رسول الله r وفيه هذا الوعيد في القرآن ، وكذلك الموت على غير توبة نسأل الله العافية فإنه أكبر من الفرار من الزحف ، لأن مجاهدة النفس والشيطان هو الجهاد الأكبر كما في الحديث . فالقتل عند الفرار منه أكبر ، لأنك إذا فررت من مجاهدة النفس والشيطان ، فقد فررت من الزحف . والفرار منه : هو هتك ما حرم الله سبحانه ، أو ترك ما أمر به ، فتعوذ بالله أن نموت ونحن مصرون على شئ منه . اللهم أمتنا ونحن تائبون ، مجاهدون في سبيلك ، والجهاد في سبيل الله : هو القيام في نحر العدو ، وأي عدو أعظم من الشيطان والنفس ، وسبيل الله : هو الطريق الموصلة إلى الله (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً)

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) إلى قوله : (إنه بهم رؤوف رحيم) فابتدأهم الله سبحانه وتعالى بالتوبة وحباهم بها ، وكل واحد منهم ذنبه

على قدره ، وأما رسول الله r فليس له ذنب ، كيف وهو معصوم ؟ ولكن لما عرف قدر الله سبحانه حق قدره ، نزل نفسه منزلة المقصر في حقه ، وكان ذلك ذنباً عنده ، فتاب عليه الحق سبحانه وتعالى ، باعتبار ما عنده من تسمية ذلك ذنباً ، إذ كل واحد له ذنب باعتبار ما عنده ، وإن كان ليس ذنباً حقيقة فتاب عليهم جميعاً ولم يكلهم فيها إلى أنفسهم شيئاً ، بخلاف الثلاثة الذين خلفوا ، فإنه لما ظهر ذنبهم على رؤوس الأشهاد ، قال في حقهم تبارك وتعالى :(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) إلى قوله :(إن الله هو التواب الرحيم) فقال : ليتوبوا فوكلهم إلى أنفسهم في التوبة لكن لولا أنها سبقت توبة الله عليهم ما قدروا على التوبة (وما تشاؤن إلى أن يشاء الله) فافهم هذه النكتة .

وقال رضي الله عنه : لما قالت الملائكة – عليهم الصلاة والسلام – حين قال الله تعالى :(إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) جعل سبحانه مصلحتهم على يده في أول وهلة ، فهم أول من استفاد منه حين علمهم الأسماء ، وهم مع طول مدة أعمارهم في عبادة الله تعالى لم يعرفوا الأسماء ، ومعرفة الأسماء والعلم بها هو أعظم العلوم ، فإن كل اسم من أسماء الله إذا عرف ازدادت معرفة الله تعالى ،

ثم ذكروا الفساد بقولهم : من يفسد فيها وجعلوا الفساد بسبب واحد منهم وهو إبليس ، ثم لما قالوا : ويسفك الدماء ولم يعينوا بكونه حلالاً أو حراماً ، أمرهم أن ينزلوا فيسفكوا الدماء في يوم بدر ، وبقولهم هذا ظهرت مزية الإنسان وشرفه ، فجزاهم الله عنا خيراً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خاصمهم عنا قبل وجودنا ، لما نسبوا ذلك غلينا ، وقولهم : (أتجعل فيها) الخ . هو كسكرة أدهشتهم ، لما نزل الحق نفسه منزلة المستشير لهم فسكروا سكرة بسط ، فلا لوم ، وأي سكرة أعظم من سكرة البسط ؟ وأي بسط أعظم من أن يستشير الملك الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، ويعلم ما تخفي الصدور من عبيده ؟

ﷺ1رضي الله عنه) في نسخة بألفي عام .

وسئل :

رضي الله عنه : عما وصل إلى الثوب من الماء الذي يرش به الأسواق بعد وصوله إلى الأرض ؟

فأجاب :

بأنه طاهر ، وأن أمير المؤمنين على بن أبي طالب – كرم الله وجهه ورضي عنه – دخل المسجد بعد أن خاض في الطين ، بعد أن توضأ وقدماه غير جافتين بلا نعال ولا شئ بعد أن مشى في الطريق العامة ، وقال النبي r : " الأرض يطهر بعضها بعضاً " ولم يأمر بتطهير النعال بماء ، بل كان يصلي بنعليه والصحابة بعده بنعالهم ، فنزل في بعض الأحيان جبريل يخبره أن في إحدى نعليه عذرة ، فخلعها وبنى على صلاته تلك ، وخلع الصحابة نعالهم ، فلما فرغ قال لهم : " لم خلعتم نعالكم " قالوا : اقتداء بك يا رسول الله ، فقال : " إنما أخبرني جبريل " الحديث

وسئل :

رضي الله عنه : عن أصول الريش والشعر ؟

فأجاب :

قال : مسكوت عنه ، والمسكوت عنه عفو . وقد ثبت أن النبي r ركب فرساً معراة ، ومعلوم أنه لابد أن يقلع من شعرها ويعلق بثيابه

وسئل :

رضي الله عنه : عن الصلاة على النبي r في التشهد الأوسط ؟

فأجاب :

قال : ذلك غير وارد فقال السائل : لكنه قد ذكر ، وفي الحديث : " البخيل كل البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على " وحديث آمين ن لما قال جبريل : من ذكرت عنده ولم يصل عليك فأبعده الله ، فقلت : آمين ن قال : قد سلمنا عليه في التشهد الأوسط وصلينا عليه في التشهد الأخير ن ونحن في ذكر واحد لم نخرج عنه ، فقيل له : ما الصلاة البتراء ؟ قال : أن تصلي عليه من دون آله لأنها تنزع منها البركة ، لأن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، وكذلك آله تعود عليه من كل واحد منهم عشراً عشراً بالغاً ما بلغوا (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه)

وسئل :

رضي الله عنه : عن القاتل هل له توبة ؟

فأجاب :

قال : نعم قال الله تعالى :(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) فيبدل قتله ذلك كأنما قتل كافراً في سبيل الله ن وعبادته لغير الله كأنما عبد الله في تلك المدة ن وزناه كأنه نكح أهله كذلك ما رواه البخاري وغيره : فيمن قتل تسعة وتسعين نفساً وحبراً . وقتل الحبر من أعظم البلاء ، وروى أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين نفساً وحباً . وقتل الحبر من أعظم البلاء ن وروي أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين سأل حبراً فقال : لا توبة لك فقتله ، ثم ثانياً ثم ثالثاً ، حتى كملوا مائة فأتى حبراً عارفاً بحقائق الأمور فسأله فقال : وما يمنعك من باب التوبة فقال : وكيف أصنع ؟ قال : اذهب إلى قرية كذا فإن فيها رجالاً يعبدون الله تعالى فأتهم واعبد الله فيهم حتى يأتيك اليقين ن ففعل فلما وصل نصف الطريق قبض الله روحه ، فابتدرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فاختصموا ، فجاءهم ملك ، فحكم بينهم أن

يقيسوا مسافة الأر ضمن حيث سافر في التوبة وإلى المحل الذي يريده ، فإن كانت مسافة السير من حيث تاب إلى هنالك أكثر كان لملائكة الرحمة ن فأمر الله تلك المسافة أن تمتد فامتدت ، والأخرى أن تنزوي فانزوت ، حتى كانت التي سافرها أكثر فخطفته ملائكة الرحمة ، وهذا الرجل من بني إسرائيل ، مع أن الله سبحانه وتعالى كتب عليهم : (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فهو كمن قتل الناس جميعاً مائة مرة ، فما ظنك بمن كان من هذه الأمة ، وقد رفع عنهم إصرهم ، وبقي لهم الخير ممن سبق من الأمم قبلهم ، فمن قتل منهم نفساً فما قتل إلا إياها ، لا يكون كمن قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، فهو بالتوبة أحق وأجدر

وأما ما قال ابن عباس : لا توبة لك فذلك رجل كان يقتل ثم يتوب فقال : هل لي من توبة ؟ فقال له : لا توبة لك ، لأن نيته أن يقتل ثم يتوب لأن ذلك إصرار ، وأما من فعل الذنب ثم بعد أن فعله تاب وندم إنما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر ، فتلك توبة مقبولة لا محالة ، ومن ثم ما كان من الزجر الوارد في الكتاب أو في السنة يبقى على حالة ، كقوله r : " سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة

ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم : الناكح يده ، والزاني بحلية جاره ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه ، ومدمن الخمر ، والفاعل والمفعول به " وأمثال ذلك لأن معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده يوم القيامة على مقتضى حكمته .

كذلك هذا الرجل الذي من بني إسرائيل قاتل المائة ، من ذا يعلم أن مثله يتاب عليه إذا قتل وقد ورد في حديث : أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواماً واسمه هناد ، وهو مقطوع بخروجه من النار إلى الجنة ، فأي مزية أعظم من هذه ؟ وفي حديث آخر : أنه توزن أعمال رجل فتستوي الحسنات والسيئات ، فيقال له : لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة ن فامض إلى الناس فالتمس منهم حسنة ن فيمضي على أناس لهم حسنات كالجبال فيستعطيهم حسنة فلا يرضون ، فيمر برجل له حسنة واحدة وسيئات كثيرة فيقول له : خذ هذه الحسنة التي معي فإنك أحق بها مني ، لكونك بها تدخل الجنة فيقال له / خذ بيده وادخلا الجنة ن وهذا الإيثار- عند الله سبحانه وتعالى— أمر عظيم ن فقال بعض أصحابه : وأنا سمعت أن رجلين انكسرت بهما سفينة فبقي أحدهما على لوح فالتفت إلى صاحبه وقال له : ألك أهل ؟ قال : نعم قال : فاركب على اللوح فإنك أحق بالبقاء

مني ، لأني ليس لي أهل ن ومن الناس رجل يؤمر به إلى النار ن فيقول : رب ، كيف تعذب رجلاً شاب في الإسلام . فيدخله الله الجنة ولو كان دخوله الجنة لشيبه لما دخل النار شائب ، ولكن معاملات الحق في ذلك اليوم على مقتضى حكمة الله ، وفيه يحاسب على مثاقيل الذر .ﷺm1رضي الله عنه

وقال رضي الله عنه : إن الله سبحانه وتعالى حرم في مكة الصيد ، وأن لا ينفر ولا يقطع شجرها ، وذلك لحرمة الجوار ، فما ظنك بمن مات وهو هنالك مرمى وحده في قبره في جوار الله تعالى مفتقر إلى رحمته ، وأي ثبوت يثبت له حق الجوار ، فقال له رجل من الحاضرين : قيل : إن ابن عباس رحل عنها وقال : لا أحب أن أسكن في بلد تتضاعف فيها السيئات كما تتضاعف فيها الحسنات . فأجاب : أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يعمل بالرخص ، قيل : إن مالكاً دخل على الرشيد فقال له : اتق رخص ابن عباس ، وعزائم ابن عمر ، قال مالك : فخرجت من عند الرشيد عالماً ، وكان رجل لا يفتر عن العبادة والبكاء ، وصاحبه لا يفعل شيئاً من ذلك إلا ما وجب عليه ، فقيل له في ذلك . فقال : كلانا نقرأ في صحيفة واحدة هو يقرأ (إن الله شديد العقاب) وأنا أقرأ (إن الله غفور رحيم)

وسئل :

رضي الله عنه : إذا تكلم أحد بكلمة الردة في حالة غضب هل يحكم عليه بالردة أو لا ؟

فأجاب :

أن لا تقام عليه حدود حكم الردة ، لأن النبي r قال : " ادرؤوا الحدود بالشبهات " وأي حالة أعظم من حالة الغضب ، بل يمهل حتى يفيق من غضبه ، ثم يكلم بما ثبت دليله من العقل ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) وأيضاً مر أبي بن كعب على رجل يقرأ آية من كتاب الله على خلاف ما قرأ أبي ، فأتى به إلى النبي r ، فقال رسول الله r لكل واحد منهما : اقرأ ، فقرأ كل واحد منهما قراءته التي سمعها من رسول الله r ، فقال لهما : " كلاكما محسن وكلاكما مجمل " فقال أبي : ما كلانا محسن ولا كلانا مجمل . قال أبي : ودخلني من الشك مثل ما كنت عليه في الجاهلية أو أشد ، فطعنه النبي في صدره : وقال " اللهم أخسئ منه الشيطان " فقال أبي : فكأني أنظر إلى الله فرقاً ، ولم يحكم عليه النبي بردة ، وكذلك أن بعض الصحابة قالوا للنبي r : اجعل لنا

ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال r : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال r : " الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، إنها السنن ، والذي نفسي بيده لقد قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فلم يحكم عليهم النبي r بردة ، ولم يأمرهم بتطليق نسائهم . وفي الحديث : " أن رجلاً قال لما لقى جملة بعد أن شرد عليه : اللهم أنت عبدي وأنا ربك " فضحك النبي r حين حدثهم بهذا الحديث ، وهو يدل على أنه لا يؤاخذ على ذلك

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

فأجاب :

أنه قد غلط في تفسيرها كثيرون بما ذكروا ، من أنه دس إبليس في النجم : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي ، وهذا لا يحكم به عقل ن ولا يقول به من له أدنى مسكة من قواعد الإيمان ، فلوا كان ذلك لحصل شك في جميع الكتاب

والسنة ، ولبطلت الشرائع ، حيث تمكن إبليس من أنه ينطق على لسان رسول الله r حاشا وأبعده الله أن يتمكن من ذلك ، ثم إن النبي r ، إذا اتفق له ذلك فكيف صورة القصص التي اتفقت للنبيين قبله لم يسمع شئ من ذلك في كتاب منزل من الكتب المتقدمة ، ولا عن بني إسرائيل في حديث من أخبارهم ، ولا عن سلف ، ولا عن خلف ، ولكن تفسيرها ظاهر لا غبار عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

وأماني الرسل وبغيتهم أن يؤمن قومهم فيلقي الشيطان في أمنيته تلك ، بأ، يفسد عليه قلوبهم ، فلا يؤمنوا بل يقولون حين يدعوهم للإيمان كما قال قوم نوح (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) وقوم شعيب : (يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) ونحو هذا كثير ، فكل نبي يتمنى أن يؤمن قومه فيلقي الشيطان في أمنيته تلك ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان من قلوب من آمن منهم ، ثم يحكم الله آياته في قلوبهم ، والله عليهم حكيم (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) وذلك ما خيل لهم من أن نوحاً بشر مثلهم وما هو عليهم بعزيز ، ومثل تصويره لهم أن تركهم لما يعبد آباؤهم لا يكون وأنه من المحال ، والقاسية

.قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فانظر إلى عود الضمائر من قوله سبحانه وتعالى : وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ، أي يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به ، فالذي يلقى الشيطان يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والذين أوتوا العلم لا يؤثر فيهم ما يلقى الشيطان ، بل يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به .

وقال رضي الله عنه : إذا سبقت العناية لشخص أوصله أدنى سبب إلى أعلى مقام ، أوحى الله إلى موسى عليه السلام ، هل علمت ما سبب أني جعلتك نبياً كليماً ؟ قال : يا رب ، أنت أعلم قال : لما نفرت عليك الشاة وأنت ترعى الغنم لشعيب لحقتها بعد ما أتعبتك ، ثم لما أمسكتها لم يعترك عليها غضب ، وقيل : إن رجلاً أمسك قلمه وهو ينسخ لما نظر إلى الذباب يمص من القلم ، فأوقف يده رحمة له ، ففتح الله عليه في الحال ، بأن رأى المداد يجري في عروق ذلك الذباب ، ورجل دخل الجنة من أجل كلب جاءه وهو ينبح على شفير بئر من العطش ، ولم يتمكن من الشرب فأرسل الرجل ثوبه وجعل يعصره في حلق ذلك الكلب حتى

ارتوى , وعاتب الله سبسحانه وتعالى نوحاً عليه السلام ، حين نظر إلى كلب نظرة مستقبحاً له فقال : يا نوح ، إني ما خلقت شيئاً عبثاً فإن كنت لا تعلم بالمصلحة التي لأجلها خلقته فقلد خالقه . وعذبت امرأة من أجل هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض ، فانظر إلى مقادير الأعمال أدنى سبب مقرب ، وأدنى سبب مبعد

وقال رضي الله عنه : كان النبي r ، يحب من اللحم الساعد والكتف ، فمحبته للكتف : لأن الله سبحانه وتعالى وضع يده بين كتفيه ، الحديث . وأما محبته للذراع : فموافقة لحديث من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وقد غلط بعض العلماء حيث قال : إنهم كانوا لا ينضجون اللحم فكان الذراع والكتف أسرع نضجاً

وقال رضي الله عنه : المؤمن – في الدنيا – ذليل لله سبحانه وتعالى ، حتى أنه قال الشبلي : عطل ذلي ذل اليهود ، وذلك أن المؤمنين خاضعون لله خاشعون ، ثم إنك إذا نظرتهم في السجود وهو أعظم التذلل رأيتهم يضعون وجوههم على التراب وعلى الأرض الذلول (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) وفي الآخرة ينتقل إليهم العز الدائم الذي هو بإعزاز الله لهم ، وينتقل الذل الدائم الذي هو بإذلال

الله إلى الكفار ، وفي الدنيا إذا عزوا فإنما هو بإعزاز أنفسهم وليس بعز (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ثم يوم القيامة يتمنى الكافر أن يكون تراباً أي في الدنيا حين يرى ما أعطى من النعيم من كان ذليلاً في الدنيا ، فيتمنى لو كان في الدنيا تراباً الذي هو أذل شئ ، ثم ذكر للشبلي هذا دعوة دعا الله بها ، بأن قال : يا رب ، املأها بالشبلي يعني النار ، وذلك لشدة الرحمة بأهل النار فإذا ملأها به لم يدخل النار أحد ، لأنها قد امتلأت وهو لما يعرف من قربه من الله سبحانه وتعالى ، وحبه له ، وإيمانه به ، لم يخف من النار فإنها لا تؤثر فيه ، وهي أشبه بمقالة عمر بن الخطاب حيث قال : وددت أن أكون كبشاً فيطعمني أربابي حتى اسمن ، ثم يضعون الشفرة على أوداجي فيذبحوني ، ثم يطعمون مني أضيافهم ، ويتصدقون ويأكلون ، وذلك لأنه يعلم من نفسه بمصاحبته لرسول الله r ، ولما يعلم من عناية الله سبحانه وتعالى أنه إذا أكل أحد منه شيئاً لم يدخل النار لأنه لابد أنى تجرى تلك الأكلة في جميع عروق البدن فيتربى منه لحم فلا تسلط النار على اللحم الذي قرب من لحم عمر

ومن أجوبة عمر رضي الله عنه ، لما قال له النبي r : كيف بك يا ابن الخطاب وقد أتاك في قبرك ملكان يخطان الأرض بأنيابهما ولحظ أعينهما كالبرق

الخاطف ؟ فقال : يا رسول الله ، وعقلي هذا معي يشير إلى أنها عند المصادرة للأمور تتغير العقول وتدهش وتنتقل الأحوال ، ألا ترى أن الصحابة – رضي الله عنهم – عالمون أن الهزيمة في الحرب لا تنفعهم ، لقوله سبحانه وتعالى : قل لن ينفعكم القرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً) فقوله : وإذا لا تمتعون إلا قليلاً تبكيت وتهديد ، بأنهم إذا فروا لم يمتعوا إلا قليلاً ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل إنسان أجلين (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده) وإذا وصل أرحامه ، وأطاع والديه آخره على الأجل المسمى ، وإن فر من الزحف ، أو فعل ما علم الله سبحانه من معاص مخصوصة ، قضى أجله في الأجل الأول ، فهم على يقين أن الفرار لا ينفع مع أنهم فروا في يوم حنين ، وذلك أن العقول تطيش عند لقاء العدو فلا يكاد يعرف الصواب ، ولذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله العافية ، وقال النبي r رجلاً يقول : اللهم إني أسألك الصبر فقال له r : " سألت الله البلاء فاسأله العافية " يعنى الصبر لا يكون عند مصيبة ، أو أمر فيه امتحان ، فيسأل الله العافية مما يكون معه الصبر .

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وفي قراءة إلا من ظلم ؟

فأجاب :

إن (إلا) تكون استثنائية ، وتكون استدراكية ، وفي هذا الموضع يستقيم المعنيان فإن كانت استثنائية فالمعنى أن الجهر بالسوء لا يحبه الله ، إلا من ظلم فلا بأس ، وذلك حيث ينازع الرجل خصمه لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحق ، وعلى قراءة إلا من ظلم – بالفتح – يقدر إلا من ظلم ، وله شواهد من كلام العرب ، ولكن الاستدراك أولى بالمقام ويكون المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء لكن من ظلم فلا يحب الله الجهر بالسوء منه ، بل العفو أولى به ، وهو الذي يحبه الله منه (وأن تعفو أقرب للتقوى) ولا يكون العفو ممن ظلم إلا لمن نور الله بصيرته وهي درجة عظيمة ، فإن من فعل شيئاً بالعبيد لأجل مولاهم فحق عليه أن يعامله بما عاملهم

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) أي أخرج

سبحانه وتعالى النخلة من النواة فالنخلة وهي حية تنمو أخرجها من النواة الميتة التي لا تنمو ، ثم أخرج من النخلة الحية التي تنمو التمرة الميتة التي لا تنمو ، كذلك الحبة وكذلك الإنسان فإنه تعالى أخرج هذا الحي الذي ينمو ويتحرك ، وخلق فيه العقل الذي عليه المدار من الميت وهو المنى ، ثم أخرج من الحي الذي هو الإنسان : الميت الذي هو المنى ، ثم يعلم جل جلاله ما تغيض الأرحام وما تزداد ، والعلم في حقه سبحانه وتعالى هو بمعنى البصر ، فيعلم المعدوم كما يعلم الموجود ، ويبصر المعدوم كما يبصر الموجود ، فإن هذه النواة والنطفة والحبة من ذلك ، يعلم ما تغيض الأرحام من النطفة أي ما لم يتخلق فيها وما تزداد ، أي ما يتخلق فيها والتي تتخلق يعلم كم منها إلى يوم القيامة ، ويعلم مستقرها أي ما يستقر منها يفسره قوله : في قرار مكين ومستودعها وهو الذي يزلق عن الرحم إذا قضى أجله وهو إما نقطة ، أو مضغة ، وذلك من أول مني خرج ، وهو من آدم عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة .

والعلم هو في حقه تعالى بصر قال تعالى : بكل شئ عليم بكل شئ بصير ، بما تعملون بصير ، بما تعملون عليم ، فمتعلقهما واحد ، ثم إنه تعالى يعلم الشجرة التي في بطن النواة ، ثم ما يخرج من الشجرة من تمر فربما يكون في كل سنة

وسق أو سوقان مدة عشرين أو ثلاثين سنة ، يعلم عدد هذه التمرات وهي في بطن تلك النواة إلى منتهاها ، ثم ما يغرس منها فتنمو منها نخلة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ، إلى يوم القيامة ، وما لم يغرس بل يلقى كل ذلك يعلمه في بطن هذه النواة الواحدة ، وعلمه تعالى بمعنى البصر فهو يرى جميع ذلك حبة حبة ، وإنساناً إنساناً ، وهم في العدم ، فسبحان العالم جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، ولا إله غيره . قال تعالى : (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم) اتبع فلق الحب والنوى بفلق الإصباح وهو تنفس الصباح ، لما كور الليل على النهار وأولجه فيه ، أراد أن يكور النهار على الليل ويولجه فيه ، ففلق الإصباح كما يفلق إهاب الشاة إذا أريد سلخها (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وقد يشم بعض الناس لتنفس الإصباح رائحة كما يتنفس الإنسان فتخرج رائحة فمه ، وجاعل الليل سكناً ، أي يسكنون فيه من حركات النصب والتعب ، والشمس والقمر حسباناً ، أي يعرفون بهما الحساب ، ولا يخفى ما فيهما من منافع لا تحصيها الأقلام (ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي فلا ينبغي أن يستنبط منها غير ما خلقت

له ، كما يستنبط المنجمون من القرانات وغيرها ، لأن الشئ لا ينبغي أن يستعمل إلا فيما خلق له .

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى خلق الثوم وجعله دواء لعلل كثيرة ، فهو خلق له ثم بسبب أكله تتأذى الملائكة حتى أنها إذا كانت رائحة الفم منتنة تختطف ما نطق به اللسان من خير من الهواء ، وإذا كانت الرائحة طيبة ابتدرت لأخذه من داخل الفم ، لكن لما كان خلقه لمنفعتنا لم يضر تأذى الملائكة به ، ولم يحرم علينا بل هو جار فيما خلق له . كذلك النجوم خلقت لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر فلا نتعدى ذلك (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) أي منها ما يستقر في الأرحام ، ومنها ما يزلق منها ، ولا يتخلق بل يبتدره أجله ، وذلك معنى قوله تعالى : (مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وذلك لأن العرب تسمى الخيل المحفوظة المربوطة التي يأتون إليها بعلفها ومائه مستقرة ، ويسمون ما أرسلوها ترعى وتسقى بنفسها : مستودعة (قد فصلنا الآيات لقوم يفقون) (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضراص) هذا في مقابلة قوله تعالى : (فالق الحب) ثم أتبعه بقوله : (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) في

مقابلة قوله (والنوى) والدانية : هي ما سهلت على الإنسان أسبابه ، وإن كانت النخلة عالية لكنها باعتبار ما خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان من الأيدي والأرجل دانية ، لأنه يلصق بها ثم يصعد فيها فينجي ثمرها ، وجنات من أعناب أخرجها من ميت كذلك (والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه) أي وجميع ما ذكر مشتبهاً وغير متشابه ، فقد تكون الحبة الواحدة من العنب نصفها أسود ونصفها أبيض أو أحمر ، وكذلك التمر وكذلك الرمان قد تكون الحبة الواحدة ذات لونين ، ثم لظهر كل حبة لون ، ولباطنها لون ، سبحانه وتعالى .

وقال رضي الله عنه : قد يكون الدعاء في الساعة التي يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى ، بصفة الوهاب ، فلا يرد فيها الدعاء ولو كانت من كفار ، فإن إبليس (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) وهو مطرود ملعون نجس الباطن والظاهر ، فاستجيب له ، و(قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) ومن هنا نهانا رسول الله r عن لعن الدواب وغيرها ، حتى إن المرأة التي لعنت جملها وهي في سفر قال : " قد استجيب لك ، ولا نقبل ملعوناً ، اطردوا الجمل " فطردوه وكان كلما أقبل إليهم الجمل طردوه بالخيل ، فحرمت المرأة الجمل وظلمته بسبب لعنها له ، والرجل الذي رأى قيام يوم القيامة وذلك أنه سرق سرجه فسأل عنه

فقيل له : قد سرق ، فقال : ذهب في لعنة الله ، فلما رأى أن القيامة قد قامت وهو ممن قتل شهيداً فأتى بفرسه وبولها وزبلها يوضع في الميزان ، فقال : أين سرجها ؟ إنه يثقل في الميزان ، فقيل له : ذهب في اللعنة التي قلتها في ساعة كذا ، فقد يؤتي الرجل من قبل نفسه وهو لا يشعر

ومن الحكايات العجيبة أن ذئباً برد في ليلة برداً شديداً فتمنى سلوقياً يلحقه ليدفأ ، فما تم إلا وقد أقبل عليه السلوقي فهرب منه حتى جوز ، فقال : لو رجمت في فمي لما تمنيت هذه الامنية فما تم إلا ولقيه رجل فرجمه بحجر حتى هرس أسنانه ، فطلع على رأس الجبل ونادى بأعلى صوته : ألا من يريد أن يدعو فإن أبواب السماء قد فتحت ، والدعاء في نفسه إنما هو إظهار للعبودية والتذلل ، وإجلال وتعظيم لباب الكريم ، وليس لأنه غافل عنك سبحانه وتعالى أو عن حاجتك ، بل يعلم بما توسوس به نفسك قبل أن توسوس ، وهو يعلم السر وأخفى ، وهو سبحانه وتعالى كريم جواد لا يحتاج إلى سؤال قال شاعر في مدح بعض الملوك يسمى معنا :

أيا جود معن ناد معنا بحاجتي فمالي إلى معن سواك سبيل

فما ظنك بملك الملوك

وقال رضي الله عنه : لما سئل ما هي الكلمة في قوله تعالى :(وجعلا كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) ؟

فأجاب

إنها قول الحق له : أسلم ؛ لأنه تعالى ربما كلم الأبناء وأراد بذلك الآباء ، مثل قوله تعالى :(وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) وربما كلم الآباء وأراد الأبناء مثل قوله تعالى :(فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) المكلم آدم ، والمراد أولاده ، وقد غلط بعض المفسرين بأن قالوا : هو آدم ؛ لأنه سمى عبد الحارث وهذا باطل من وجهين : أحدهما : أنه لا يستقيم هذا على قراءة شركاء ؛ لأنه سماه إذا فرضنا عبد الحارث هو شريك واحد لا شركاء ، الثاني : إن آدم يعتذر يوم القيامة إذا قصد للشفاعة بذنبه الذي أخرجه من الجنة ، ولو كان ذلك لكان أهم وأعظم أن يعتذر به يوم القيامة ، والقرينة التي دلت على أنهم أولاده عود الضمائر للفظ الجمعية (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئاً

وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) إلى آخر الآيات .
وهذه الكلمة التي جعلها كلمة باقية في عقبه : هي التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، وليست الإسلام الذي هو نقيض الكفر ، كيف وهو الخليل ؟ إنما هو إسلام الأمر إلى الله سبحانه والاستسلام له ، كما أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما ألقى في النار قال الله سبحانه لجبريل : انزل على إبراهيم وائتمر لأمره ، فنزل إليه وهو يهوى في الهواء ، وقال له : ألك حاجة ؟ فإن الله سبحانه قد أمرني أن أأتمر لأمرك ، فقال : أما إليك فلا ، فقال : سل ربك ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي

وذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما رأى المقام مقام اختبار ليعرف الله سبحانه وتعالى جبريل قدر هذا الرجل الذي خرج من صلب من قالت الملائكة فيه : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أجاب بهذا الجواب ليوافق ذلك المقام ، فتولاه الله تعالى بأن كلم النار من غير واسطة ، فقال : (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فتوقفت النار عن إحراقه لا غير ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال لها : (على إبراهيم) فأكلت ما عليه من الحديد وهي القيود والأغلال التي كانت عليه تؤذيه ، وهذه معاملة الله تعالى لمن أسلم

أمره إليه (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فإنك إذا توسطت بالعبد ليعطيك شيئاً أو يدفع عنك شيئاً فما ذلك إلا لأحد أمرين : إما أنك ترى أن هذا العبد أكرم من سيده ، أو أن خزائن العبد ملآنة وخزائن السيد معطلة ، أو تعتقد أن العبد أقدر على دفع هذا الأمر الذي تريد دفعه عنك من سيده ، وهذا غير جائز . نسأل الله العافية من كل بلية .

قال الشاذلي رحمه الله : لما سئل عن الإسلام : هو الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة . وقال عمر بن عبد العزيز – وهو مريض – لما قيل له : هل تشتهي شيئاً ؟ : أشتهي ما يقضي الله ، وقال رضي الله عنه – في الدعاء عن النبي r : وأعوذ بك منك أي أعوذ باسمك العفو من اسمك المنتقم ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ؟

فأجاب :

قال : ذلك مثل قوله تعالى :(فسبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين)

أي إنما وصفوا الله سبحانه وتعالى بغير ما وصف به نفسه ، فهو منزه عن ذلك وسلام على المرسلين ؛ لأنهم لا يصفونه سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه ، وكذلك عباد الله المخلصون وهم يعبدون الله بإخلاص المحبة لا لأجل دنيا ، ولا لأجل أخرى ، فإن الله سبحانه وتعالى قال :(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وهو سبحانه وتعالى يريد الصفحة ، فكأنه قال : فأين الذين يريدونني ثم أفراد الذين يريدون ولم يذكرهم مع هذين الفريقين فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

وعيسى روح الله – عليه الصلاة والسلام – مر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد الله معهم ، ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : خوفاً من ناره ، فقال : قادر أن ينجيكم منها ، ثم رحل عنهم فمر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله ؟ قالوا : طمعاً في جنته وشوقاً إليها فقال :

قادر أن يدخلكم الجنة ، ثم مر بقوم فوجدهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ، فعبد معهم ، ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : ابتغاء وجهه ، قال : هذه درجة المقربين ، وأنا أمرت أن ألازمكم ، ثم جلس يعبد الله معهم ، فهؤلاء لا يمكنهم مفارقة الحق سبحانه وتعالى في الدنيا ولا في الآخرة ، فهم في الجنة على هذه الحالة لا يفارقهم تجليه ، وسائر أهل الجنة إنما يزورونه في كل ثمان ، أي قدرها ، فينظرون نظرة ينسون بها جميع نعيم الجنة ، ثم يتلذذون لذة تتنور بها وجوههم ، ويجدون من الراحة ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يعودون إلى أهليهم ، فيسرى ذلك التجلي إلى صور أهليهم ، فيتنورون ويكتسون نوراً لم يعهد فيهم من قبل ، ثم لا يزالون متلذذين بنعيمها ما شاء الله ، ثم يجدون لها في أنفسهم شهوة كشهوة الجائع فيؤمرون بالزيارة وهلم جرا

ثم جعل رضي الله عنه يخوض في وصف الجنة فقال : أشجار الجنة جذوعها من ذهب ليس كذهب الدنيا ، إنما إذا نظرت في الشمس حين تطلع أو حين تدنو للغروب ، فهو كذلك ، ثم طول الغصن مسيرة ثمانية اشهر وعشرة أيام ظلالاً من شمس إنما هي أنوار إنما يجدون لذلك الظل راحة ثم في كل حركة من حركاتهم ، وسكنة من سكناتهم ، يجدون راحة ولذة لا تخطر على قلب بشر ، ففي المشي

يجدون لذة وكذا في القيام والاضطجاع لا كما في الدنيا ، لأنك إذا اضطجعت في الدنيا تحصل معك راحة بسبب التعب والنصب ، وفي الجنة إنما أنت تنتقل من لذة إلى لذة في جميع حركاتك وسكناتك ، وإنما يطلق عليه فعل أو عدم فعل أو قول أو عدم قول ، فكله راحة ولذة لا تشبه واحدة واحدة

ثم قال رضي الله عنه : وسأضرب لكم مثلاً : إذا اجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدواب أي لذة كل فرد منها ، ولذة جميع مشموماتها فرداً فراداً ، ونوعاً نوعاً ، وطعم كل مطعوم كذلك ، ولذة كل ملك مال كذلك في ذات واحدة فكيف تكون لذة النكاح ؟ وقد صارت لذة كل فرد مجتمعة فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء ؟ وكيف طعم جميع المطعومات وقد صارت لذة كل فرد من آدمي وغيره مجتمعة عنده ؟ وقس عليها سائرها .

ثم إذا انتقلت منها إلى أدنى نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم حنظل إلى طعمن سكر ، ثم لو اجتمعت لذات الجنة أي كل فرد فرد منها في ذات واحدة من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس وغير ذلك ، لتجتمع لك لذات جميع ما في الجنة ، ثم انتقلت من ذلك إلى نظر الحق سبحانه وتعالى فهو كما تنتقل من طعم

الحنظل إلى طعم السكر ، وأهل الله لا يفارقونه في الجنة طرفة عين ، كما لا يفارقونه في الدنيا طرفة عين

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) قدم الشر – هنا – للاهتمام ، لأنه ربما قد يكون الشر قائداً لجميع الخيرات ، أي أن السيئة وأي شر أعظم منها قد تكون سبب القرب من الله تعالى ، وذلك لأنه ربما أورث الذنب ذلاً عجب وزهو بالطاعة وذلك داء ، وأي داء فتلك سيئة وارتكاب الذنب دواؤها ، فإن بعض الأولياء ارتكب ذنباً فلما تاب منه قال : رب ، أنت غنياً عن ارتكابي لذلك الذنب ، فقال له : قد كان اعتراك زهو فسلطت عليك ذلك الذنب ليزيله عنك ، فأنت الآن عندي أحب إلى من ذلك ، وقال r : " لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبداً " قال الشاعر في هذا المعنى

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال آخر :

انظر إلى بعين قد فتنت بها وداواني بالتي كانت هي الداء

وقال تعالى :(وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال سبحانه وتعالى :(إن الإنسان لظلوم كفار) أي يكفر الظلم بالتوبة ، والظلم له معنيان : الاول : النقص قال تعالى :(كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) والثاني : وضع الشئ في غير محله وكلما ظلم كفره بالتوبة ، ولهذا أتى بصبغة المبالغة ، وفي الحديث قال رسول الله r : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم "

وسئل :

رضي الله عنه عن قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل) ما معنى إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ؟

فأجاب :

إن الجنب لا يقرب الصلاة حتى يغتسل ، إلا إذا كان عبر سبيل فله أن يقرب الصلاة بلا غسل ويتيمم ، وعابر السبيل هو : أن يكون في طريق مخوفة إذا اغتسل خشي أ، يتأخر عن القافلة

ثم سئل :

رضي الله عنه : عن (إذا) الشرطية في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) الآية ؟

فأجاب :

فقال يؤخذ منها مفهومان أحدهما : للوجوب ، والآخر : لا للوجوب ، أما الذي للوجوب فهو إذا كان محدثاً ، وأما الذي لا للوجوب فحيث يكون متوضئاً ، فهو أمر ليس يقتضي الوجوب ، إنما هو نور على نور ، والنبي r ، فكان يصلي الصلاتين بوضوء واحد كمزدلفة ومنى

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وإذا قرأت القرآن جلعنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أي محجوباً ، وذلك أن النبي r كان الله

سبحانه وتعالى سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، وذلك أن العبد متميز عن المعبود فلا امتزاج وهم يرون العبد ولا يرون العبد ولا يرون المعبود ، لأنه تعالى عنهم محجوب ، وحقيقة النبي r يرونه في حين العبودية ، لكنهم لا يرونه بل بينه وبينهم حجاب مستور ، فهم يرونه ولا يرونه ، وهذان ضدان لا يفترقان ، وذلك مثل المرآة فإنك ترى صورتك فيها بلا شك ، وأنت تعلم أنها ليست فيها ، كذلك البحران فإن الله سبحانه وتعالى مزجهما وأحدهما مالح والآخر حلو ، وبينهما برزخ ، وهذا البرزح لا يدرك بل لا يعرف إلا بالذوق فإذا شربت من هذه الجهة وجدته حلواً ، وإذ شربت من هذه الجهة وجدته مالحاً .

وقال رضي الله عنه : هذه الحياة هي نوم فمرائيها تعبر وتوضع في قالب التعبير ، فيعطي كل شئ ما يناسبه ، كما أن مرائي المنامات تعبر ، ويعبر كل منها بما يليق به ويناسب ، بدليل : " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " فكل أحد نائم إلا ابا بكر رضي الله عنه فإنه شهد له النبي r : أنه ميت ، وإذا كان ميتاً فهو منتبه ، فإن من مات انتبه ، قال فيه r : " من شاء أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر " وفي الصفة التي تسميها الصوفية الفناء ، وهو أن يكون الحق سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، فتفنى صفة

البشرية وتبقى صفة الألوهية ، فيكون التصرف فيه لله سبحانه وتعالى لا يختار هو شيئاً ، بل يبقى فانياً عن إرادته وشهوته ، فيحيا بحياة الله سبحانه وتعالى ، وهذا لا يدرك بالتعبير ، بل لا يدرك إلا بالذوق ، ألا ترى أنك إذا أردت أن تصف لإنسان السكر وهو لا يعرفه فتقول له : حلو ، فيقول لك : حلاوة عنب أم حلاوة عسل ؟ فتقول له : حلاوة غير هذه الحلاوات كلها ، لا تعرف إلا بالذوق ، كذلك صفة الفناء فإنك تنظر في هذا النظر المبصر لا ينظر إلا بنورين ، نور في الخارج ونور في العين ، إذا فقد أحدهما لا يمكن النظر فإنك إذا نظرت في ظلام لا ترى شيئاً ، وإذا نظرت في ضياء ولا نور في عينك لم تر شيئاً

ثم إن النظر قد ينظر شيئاً معدوماً ولا ينظر شيئاً موجوداً ، أما المعدوم الذي ينظره فكالشمس تنظرها بين الماء ، ولو حفرت هناك حتى تصل الأرض السفلى لم تجد هناك شمساً ، وأما الموجود الذي لا ينظره فهو الهواء الجامد ، هذا مع أنه بحر جامد يضرب إذا حرك بمروحة أو غير ذلك ، كما يضطرب البحر إذا حرك ، والبحر كثيف علينا لطيف على دواب البحر ، إذ لو كان كثيفاً عليها لا تدفع الماء إلى أجوافها مع جلوسها فيه أبداً ، بخلاف الإنسان فإنه لا يدفع دخوله إلى بطنه في الساعة اليسيرة بل يضطرب فيه حتى يغرق ، وذلك الهواء بالعكس

لطيف علينا كثيف عليها ، يضطرب الحوت إذا خرج إلى الهواء كما يضطرب الإنسان في البحر فيغرق فيموت . والشم أوجده الله سبحانه في الأنف يجذب الروائح كما يجذب المغناطيس الحديد ، ثم الذوق يدرك ما يؤكل وما لا يؤكل من المطعومات ، والبهائم جميعها تدرك ما يدركه الإنسان بالذوق بالشم فتدع ما لا يؤكل ، وأما الإنسان في الشئ الذي لا يعرف فما يدع ما لا يمكن أكله إلا بعد المضغ .

وقال رضي الله عنه : انظر إلى خلق الإنسان يوضع في الرحم ، وهو في طور المنى ، ثم طور العلقة ، ثم طور المضغة ، ثم خلق المضغة عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، فخرج إنسان في أحسن صورة وقد شق سمعه ، وبصره ، وجميع حواسه ، وهي الأمانة التي عرضها الله سبحانه على الجبال ، والسماوات والأرض فأبين أن يحملنها فتبارك الله أحسن الخالقين ، وهو كان قادراً أن يخلقه كذلك من أول وهلة ، ولكن لحكمة منه قدر ذلك ، ليخلو بكل واحد من خلقه فيصنعه كذلك ، وانظر إلى حب الذرة الشامي تخرج مكسية من عند ربها ، كما يخرج العظم مكسياً لحماً ، وكل شئ له بربه خلوة ، وفي تلك الخلوة يبلغ بها كل شئ غاية ما يكون عليه من حلية وخلق وكسوة ، فما أحسن الخلوة وما أجل من خلا مع ربه

عند الاختيار ، كما خلا به عند الاضطرار فإنه لما خلا به أولاً وليس له اختيار أوجده أولاً من العدم الذي ليس هو شيئاً إلى الوجود الذي هو خير من العدم ، ثم ما أبرزه إلى الوجود إلا بعد أن كمل صورته في غاية الكمال ، وكساه وشق سمعه وبصره وأودع فيه جميع ما يزينه كالعقل ، والأعضاء ، والجوارح وأحلاه بما خلق له وهي الفطرة على الإسلام ، والإنسان في حال كونه منياً يراه الحق سبحانه وتعالى في أكمل صورته التي يكون عليها ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يجمع المني إلى صلب الرجل ، كل عضو في ذلك المني باعتبار ما يصير إليه من عضوه ، فالعين من العين ، والأنف من الأنف ، والأذن من الأذن ، وهكذا الباقي وبعد أن يجتمع في الصلب تنبعث دواعي النكاح فيلقيها الرجل في الرحم وهي مني ، والحق سبحانه وتعالى يرى فيها الجوارح والأعضاء جميعها ، في حال كونها منياً وهي السلالة التي قال تعالى : (من سلالة من ماء مهين) وهي التي يقال لها عرفاً : الخميرة التي توضع من عجين اليوم الأول فوق عجين اليوم الثاني ، فسبحان الصانع الحكيم ولا إله إلا هو

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ؟

فأجاب :

أن الأرض : هي أرض الجنة ، وكذلك الأرض التي في قوله تعالى : (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ولها معنى آخر أي أن الأرض هذه يرثها عبادي الصالحون ، فهي بشارة بالنصر للصالحين ، فيرثون الكفار فتكون كقوله تعالى : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديراً)

وسئل :

رضي الله عنه : عن الدعاء في الصلاة ؟

فأجاب :

بأنه يدعو فيها بما شاء ، فإن بعض الصالحين كان يدعو حتى بملح العجين ، والدعاء إنما هو تكريم وتعظيم لباب المناجاة وإلا فالله هو الغني عن دعائك ، وهو يعلم بما تدعو في أي يوم وفي أي ساعة من قبل خلقك ، وهو كريم جواد يعطي قبل السؤال وفضله ابتداء ، لكنه يرى لك الخير كأنه وكيل ، والوكيل ينظر مصلحة الموكل ابتداء وانتهاء ، فربما تدعو فلا يؤثر الدعاء في ظاهر الأمر ، وقد وعد سبحانه وتعالى بأن يستجيب (ادعوني أستجب لكم) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) ووعده الحق ولكنك حين تعلم بمصلحة تأخير الإجابة ن تحمد العاقبة فما أسعد من وكله ورضى به وكيلاً وكفى به وكيلا . وقد تصاب ببلاء فتدعو وتتضرع وذلك المقصود منك ، قال الله سبحانه وتعالى : (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فتدعو أن الله يزيله عنك ثم لا يزول ، لكن لو عرفت حقيقة الأمر لاخترت بقاءه ؛ لأنه الدواء ولابد للدواء من مرارة أو كي .

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) أي أن الصلاة المقبولة وهي الكاملة الجامعة لشروطها بتأدية أركانها تامة ، وتأمل معاني القرآن فيها ، والخشوع الذي هو روحها ولا تقوم الذات إلا بالروح ، وفي الصحيح : أن قارئ الفاتحة في الصلاة إذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي إلى آخره ، وقد تقدم في أثناء هذه الكراريس . فهذا ذكر الله للعبد أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر ، ثم أخذ رضي الله عنه في تفسير الفاتحة قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) أتى – هنا – برب العالمين أي رب جميع عوالم هذا العبد ، ولما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد حمد نفسه بنفسه ، ولم يقل ربي لأنه سبحانه وتعالى يحمد نفسه بلسان عبده ، وكل من أراد به خيراً حمد نفسه بلسانه ، فما أعظم هذه المزية لهذا العبد الذي يحمد الله نفسه بلسانه وبسبب مروره على لسانه بأجره عليه ، ويجازيه بقربة في الدارين ، وبالنعيم الدائم ، فلله الحمد على الحمد لأن الإنسان حال قراءة القرآن نائب عن الله تعالى

قال الله سبحانه وتعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فأضاف الكلام إلى الله تعالى ، مع أن الناطق به رسول الله r ، وقوله

تعالى : (الرحمن الرحيم) لما ذكر اسمه جل وعلا ترقب السامع بأي صفة يصف الله نفسه ، ثم استشعر صفة تخويف كالجبار ن والقهار ، فقال سبحانه : لا خوف عليك لأنه ؛ (الرحمن الرحيم) وهما اسمان في أعظم مراتب الرجاء قال تعالى : (مالك يوم الدين) لما ادعى العباد أن لهم ملكاً في الدنيا عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم ، وإلا فهو المالك في الابتداء والانتهاء ، ولم يذكر ملك الدنيا لأنها لا تعدل عنده جناح بعوضة ، فذلك استهانة بها ، وإظهار لحقارتها . وفيه تخويف للكافرين ، وتأمين للمؤمنين ، أي أن الله سبحانه ملك يوم الدين ، وهو الذي تنزل فيه الشمس بقدر ميل حتى يلجم العرق الناس ، ومع هذا يحاسب على مثاقيل الذر (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) فالمؤمن يستبشر بذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات أعماله الحسنة وظواهرها وصلاته تلك ، وهو فيها يعلم أنها ستعرض في ذلك اليوم عند أن يقول (مالك يوم الدين) يزيدها تحسيناً ، والكافر يزداد تهديداً وتوعيداً

ثم قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك في عبادتنا إياك (اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم : هو صراط الله أي الموصل إلى الله بسرعة ، لأنه لا اعوجاج فيه ، وأن هذا صراطي مستقيماً ، فإذا أحب الله شخصاً كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، وسلك به صراطه المستقيم ، ثم صراطه المستقيم ، هو صراط الذين أنعم الله عليهم ، قال تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم الذي أحبهم الله وهداهم إلى الإسلام ، فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة إذ لو أوجدك في دار كفر ما عرفت إلا ما هم عليه ، وكان عندك ما هم عليه هو الصراط المستقيم ، وقال تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) المغضوب عليهم فسرهم النبي r : بأنهم اليهود فهم مغضوب عليهم ، لأنهم ما عبدوا الله قبل ظهور النبي r إلا لما يطابق أهواءهم ليس لله خالصة إذ لو كانوا مخلصين في عبادة الله من قبل ، لآمنوا بالنبي r ؛ لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم ، وإبليس كان يعبد الله قبل خلق آدم ، لكن لحلاوة يجدها عند العبادة والتذاذ ، فلما أمره الله بالسجود لآدم لم يجد تلك الحلاوة واللذة ، فأبى واستكبر وكان إبعاده ولعنه ، وانقلبت أنواره ظلمة ؛ وحلاوته مرارة ، وقربه بعداً ، وإمهاله إنما هو في مقابلة ما عبد الله من قبل ، فهو كالخزي وقال

رضى الله عنه : قال الله سبحانه وتعال : يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد والعبد مفتقر إلى سيده بقدر مطالبه ، فلا شىء فى الدنيا إلا والإنسان محتاج أليه ، لا تستقيم حياته إلا به . أول شىء : العافية أنت مفتقر إليه سبحانه وتعالى فى إعطائه إياك العافية ، ثم إذا صرت فى عافية فأنت محتاج إلى كل ما تستدعيه العافية ، من منكوح ومطعوم ، ومشروب وملبوس . ومحتاج إلى ذوق تأكل به المأكول وتشرب به المشروب ، وإلى شم تشم به المشموم وسمع تسمع به المسموع، وغير ذلك من جميع الجوارح والأعضاء ومحتاج على شمس وقمر ، ونجوم وسماء , ومطر ونبات ، ودواب وأنعام ، وبر وبحر بل إلى جميع ما فى السماوات وما فى الأرض التى هى مسخرات له فهو فى جميع ذلك مفتقر إلى ربه تعال ، ثم افتقاره فى الآخرة إليه أعظم من افتقاره إليه فى الدنيا ، لأن حاجته فى الآخرة أكثر وبقدر الحاجات يكون الافتقار .

وسئل :

رضى الله عنه : هل يؤخذ من قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام أن الحق يكون متعددا؟

فأجاب :

فقال : لا لنه لما كشف الحقيقة لموسى عليه السلام عما فعله ، صار الحق واحد عندهم ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام وهما منه أن ما فعله : الخضر غير الحق ، والوهم لا يكون حقا ، وإنما كان إنكار موسى عليه السلام لما غاب عنه ما وقع له من جنس تلك الحكمة الإلهية مرات ، فإنه وقع له فى المرة الولى : الإلقاء فى التابوت فى اليم ، وأمسك الله بقدرته الماء من دخوله إليه ، وأيضاً أمره الله تعالى ان يضرب البحر بعصاه فصار كل فرق كالطود العظيم ، حتى مر بنو إسرائيل ، وأيضا فإن الله تعالى أمسك على الحوت جرية الماء فصار عليه كاطاق ، فالقادر على ذلك قادر على إمساك الماء عن إغراق السفينة ، والخضر فعل ذلك بالسفينة مكافأة لأصحابها لأنهم حملوهم بغير نول ، فلما صارت فى صورة المعيبة تركها الملك ، وأخذ غيرها من السفن ، فكل من يريد ركوب البحر أو تحميل شىء فيه لم يجد غير تلك السفينة ، فكثر نولها ، وانتفع أهلها ، هذا معنى ما قاله . وفى الثانية : وقع لموسى عليه السلام قتل القبطى وكان قتله له بالحق فى نفس الأمر إلا أنه لم يؤمر بقتله ، ولما كان على غير أمر قال : (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له) فهو مصيب بقتله إذ هو مستحق للقتل فى علم الله ، فالله

سبحانه وتعالى قتله بيد موسى وهذا أيضاً بالمعنى ، وفى الثالثة : سقى موسى لإبنتى شعيب عليهما الصلاة والسلام وهو لا يعرفهما ، وهو فى حاجة إلى الطعام ، ولم يطلب منهما أجراً ولا عول عليهما فى سد فاقته بشىء من الطعام ، أو شربة من لبن غنمهما ، بل وجه طلبه إلى الله تعالى (فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) وجاء في الحديث : أنه ما طلب إلا الطعام فكأن لسان الخضر عليه السلام يقول له : أنت أنفت من طلب الأجرة على عملك من غير الله ، فكيف تخاطبني أن أطلب أجراً على عملي من غيره ، وما فعلته عن أمري .

وسئل :

رضي الله عنه : عن احتجاج آدم على موسى عليهما الصلاة والسلام وذلك لما اجتمع موسى مع آدم فقال له موسى : أنت الذي أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فقال له آدم : أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وفي آخر هذا قال النبي r : " فحج آدم موسى "

فأجاب :

فقال ما معناه : تعرف من سؤال موسى ، وجواب آدم ، مقدار شفقة الوالد على ولده ورحمته له ، وأن الولد ليس فيه ذلك القدر لوالده ، فإنه قال له : أخرجتنا من الجنة بخطيئتك ، وفي هذه العبارة نوع من سوء أدب في خطاب الولد لوالده ، وكان في جواب الوالد ذكر فضيلة الولد ، والإعراض عن ذكر خطيئته ، بل أعلمه بما معناه : أنه لا وجه لإنكارك على مع علمك أنه كتب على قبل أن أخلق بكذا وكذا (ﷺ 1رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من السنين ، ولم يقل له : لو كنت أنت لأخرجتنا بخطيئتك إخراجاً أعظم من إخراجي ، فإنك قتلت القبطي ولم تؤمر بقتله ، فخطيئتك تعدت إلى الغير ، وأما أنا فأكلت من شجرة ليس لأحد فيها حق غير الله تعالى ، لكن لما كان آدم – عليه السلام – متأدباً بآداب الله مع ما عنده من شفقة الوالد ، وهو عالم أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لموسى ، وهو إذاً غفر لعبده لم يثربه فلم يحسن تثريب موسى بذكر خطيئة قد غفرت ، والاحتجاج بالقدر على الله هو الذي فيه خطر عظيم

ثم ذكر الحديث الذي معناه : أن الله تعالى يوقف عبداً يوم القيامة فيقرره بذنوبه فإذا قال العبد : أنت قدرت ، أمر به إلى النار ، نعوذ بالله منها ، وآخر يقرره الله تعالى على أفعاله فيعترف بها ويقول : يا رب فعلت وفعلت ، فيقول الله

تبارك وتعالى : أنت فعلت ، وأنا قدرت ، ويأمر به على الجنة قال : هذا حفظ الله ، وأتى عمر رضي الله عنه بسارق ، فقال له : لم سرقت ؟ فقال : القدر ، فقال عمر : كذبت وأمر به فقطع ، فهذا من باب الاحتجاج على الله تعالى ، والاحتجاج بالقدر لا يسقط الحد

ومن إملائه رضي الله عنه من الأحاديث : عن النبي r : الحديث الأول : قال r : " أوحى الله إلى يا أخا المرسلين ، يا أخا المنذرين ، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلى بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة ، وأيد نقية ، وفروج طاهرة ، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبيدي على أحد منهم ظلامة ، فإني ألعنه مادام قائماً بين يدي يصلي ، حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فإذا فعل ذلك كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين ن والشهداء في الجنة " أ .هـ .

الحديث الثاني : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي r ، فقال : ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح جهنم ، فقال رسول الله r : " يا جبريل ، صف لي النار / وانعت لي جهنم ، فقال رسول الله r

أمر بجنهم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة لا يضئ شررها ، ولا يطفأ لهبها ، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم ، لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض ، لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره ، والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى ، والذي بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لماتوا جميعاً من قبح صورته ، ونتن ريحه ، فقال رسول الله r : حسبي يا جبريل ، لا ينصدع قلبي فأموت ، فبكى جبريل عليه السلام ، فنظر إليه رسول الله r وهو يبكي ، فقال : تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال جبريل : ومالي لا أبكي ؟ أنا أحق بالبكاء ، وما أدري لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها ، وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به إبليس فقد كان من الملائكة ، وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به هاروت وماروت ، فبكى رسول الله r وبكى جبريل ، فما زالا يبكيان حتى ناداهما الحق :

يا جبريل ، ويا محمد ، إن الله قد أمنكما أن تعصياه ، فارتفع جبريل ، وخرج رسول الله r ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون ، فقال رسول الله r : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما اسغتم الطعام والشراب ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، فناداه الحق : يا محمد ، لا تقنط عبادي " رواه الطبراني في الأوسط

وفي الحديث القدسي : " يا عبادي ، أعطيتكم فضلاً ، وسألتكم قرضاً فمن أعطاني شيئاً مما أعطيته طوعاً عجلت له الخلف في العاجل ة، وادخرت له الثواب في الأجل ، ومن أخذت منه شيئاً مما أعطيته كرهاً فصبر واحتسب ، أوجبت له صلاتي ورحمتي ، وكتبته من المهتدين ، وأبحت له النظر إلى وجهي " : (وفيه أيضاً) " من أكرم منى جوداً ؟ أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني ، ومن أكرم مني ؟ أقبل التائب كأنه لم يزل تائباً " وجاء رجل إلى النبي r ، فقال له النبي r " جئت تسألني عن سعة رحمة ربي ؟ وأخبره بقول الله عز وجل : لو كنت معجلاً لأحد العقوبة ، أو كانت العجلة من شأني لعجلت للقانطين من رحمتي ، يذنب أحدهم ذنباً فيستعظمه في جنب عفوي ، فلو لم أذكر لعبادي إلا خوفهم من الوقوف بين يدي لشركت ذلك لهم ، فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما خافوا "

وقال r : " أتاني جبريل عليه السلام ، فعلمني الصلاة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فجهر بها " من الجامع الكبير للسيوطي . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لابن عمر رضي الله عنه : " يا ابن عمر ، لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبلي ، دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين قالوا " وقال r : " من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه منه يوم القيامة ، فلم يدخله الجنة " وقال r : " من عاد مريضاً فأكل عنده ، فذلك حظه من عيادته "

وقال r : " إن السائل لا يسأل وما هو بإنس ولا جان ، وإنه من ملائكة ربنا يختبر العباد فيما خولهم الله تعالى " قال r : " أصدق الحديث ما عطس عنده " (ما يقال عند الوضوء) بسم الله العظيم والحمد لله على الإسلام (وعند الاستنجاء) اللهم حصن فرجي ، واجعلني من الذين إذا ابتليتم صبروا ، وإذا أعطيتهم شكروا (وعند المضمضة) اللهم أعني على تلاوة ذكرك ، ولقني حجتي (وعند الاستنشاق|) اللهم لا تحرمني رائحة الجنة (وعند غسل الوجه) اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (وعند غسل اليد اليمنى) اللهم أعطني كتابي بيمينى ، وحاسبني حساباً يسيراً (وعند غسل اليد اليسرى) اللهم لا تعطني كتابي

شمالي ولا من وراء ظهري (وعند مسح الرأس) اللهم غشني برحمتك (وعند مسح الأذنين) اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وعند غسل الرجلين) اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام

وعند الفراغ سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واجعلني من عبادك الصالحين ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثم يقرأ آية الكرسي لأنه ورد : من قرأ آية الكرسي عقب الوضوء : زوجه الله أربعين حوراء ، وأعطاه ثواب أربعين عالماً ، ثم يقرأ : إنا أنزلناه ثلاث مرات .

ما يقال عند الخروج إلى المسجد اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج بطراً ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تعيذني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فمن قالها أقبل الله عليه بوجهه ، ومن أقبل عليه بوجهه لم يعذبه أبداً ، ووكل به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، انتهى

(ومن الأدعية الواردة بعد صلاة الجمعة) سبحانه الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، أستغفر الله (مائة مرة) ، أعوذ بوجه الله الكريم ، الذي ليس شئ أكرم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزنهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، وشر ما ذرأ في الأرض ، وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن

ومما أرشد إليه رضي الله عنه : يا لطيف (ألف مرة) ، ثم تقول بعد كل مائة : الطف بي في أموري كلها كما تحب وترضى ، وأرضني في ديني وبدني ودنياي وآخرتي يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم يا لطيف | ، لطفت بخلق السماوات والأرض ، ولطفت بالجنين في بطن أمه ، الطف بي في قضائك وقدرك لطفا يليق بجلالك وكرمك ، يا أرحم الراحمين ، ويا رب العالمين ، ويا أكرم الأكرمين

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن لا يترك صلاة الخيرة في كل يوم بعد صلاة الإشراق ، ثم يقول الدعاء المأثور عن النبي r ، في جميع أركان الصلاة ، كصلاة التسبيح ويكون لفظ المستخار فيه بعد لفظ الاستخارة ، اللهم ما علمت

من جميع كلامي ، وحركاتي ، وسكناتي ، وخطواتي ، وأنفاسي كلها دائماً سرمداً أبداً في يومي هذا وما بعده ، إلى انقضاء أجلي خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، اللهم وما علمت من جميع ذلك شرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به . انتهى . وطلب بعض أصحاب سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه ، أن يكتب له كلاماً ينفعه الله به فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم . (أما بعد) : فالأمر الجامع والقول النافع ، والسيف القاطع ، في طريق الله تعالى ، إن على العاقل الذي يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ، ويحب أن يدخله الله تعالى في سلك المقربين في جميع المسالك إذا أراد أن يدخل في أمر من أموره قولاً أو فعلاً ، فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه تعالى ، ويسأله عن ذلك الأمر فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل في ذلك الأمر ، فإن رأى الجواب صواباً وسداداً يرتضيه الحق تعالى ، ويقبله منه فليدخل في ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى ، وإن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله منه تعالى ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر أي أمر كان ؛ فإنه وبال عليه إن دخل فيه

. وهذه القاعدة هي أساس الأعمال والأقوال كلها ، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهراً وباطناً لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول النبي r : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا "

القاعدة الثانية : أن لا يفعل فعلاً ولا يقول قولاً حتى يقصد به وجه الله تعالى ، فإن صحح القصد فيه لوجه الله تعالى ، وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله تعالى ، صار لا يتكلم ولا يفعل فعلاً إلا عن تثبت وتأن ، وصارت أعماله كلها دقيقاً خالصاً لا نخالة فيه بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم وحبيبه الأكرم r : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والغشي يريدون وجهه) أي لا غيره في جميع أمورهم وقال عز وجل : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى)

القاعدة الثالثة : أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين : كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير ، فإن رسخ في هذه القاعدة قلبه واستقاه فيها أفاض الله على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية

وأذاقه حلاوتها ، فنال من الإرث النبوي حظاً وافراً عظيماً من قول الله عز وجل : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا معنى قول النبي r : " إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليها شيئاً : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمي " وهذا معنى قول النبي r لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : " لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير "

القاعدة الرابعة : مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله r لإتمامها ، لقوله r : " إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق " وهذه القاعدة هي زبدة الدين وحقيقتها : أن يكون العبد هيناً لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين قال رسول الله r : " أهل الجنة : كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار : كل شديد قبعثري " ، قالوا : يا رسول الله ، وما قبعثري ، قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشير " وقال مولانا العظيم : (وقولوا للناس حسنا) أي لا قبحاً ، وقال عز وجل : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) والأحسن : هو الذي جمع الحسن وزيادة

وبالجملة : فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب ، والقول الحسن والفعل الجميل ، فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث ، والقول القبيح ، والفعل الكريه ، فاترك الناس والخلق منه ، فإن الله عز وجل يعامل العبد بوصفه ، وخلقه الذي يعامل به الناس فإن المجازاة على الوصف بالوصف جزاء وفاقاً ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلاً ظليلاً يستريحون فيه ، كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبداً لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد نفسه ، ولذلك جاء في الحديث عن الله تعالى ، أنه يقول للعبد يوم القيامة : " جعت فلم تطعمني ، واستسقيتك فلم تسقني ، ومرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين ؟ وكيف تستسقى وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه مفسراً لذلك : أما إنه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان ، أما إنك لو أطعمته لوجدت عندي ، واستسقاك عبدي فلان ، أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي " ففسر سبحانه نفسه قوله : جعت ومرضت واستسقيتك ، بقوله : جاع عبدي فلان ، ومرض عبدي فلان ، واستسقاك عبدي فلان ، فمعاملة العبد لملاحظة سيده هي معاملة السيد بلا شك ، فمن رسخ قدمه في هذا المقام وصارت معاملته مع

الحق تعالى جل جلاله في كل شئ ، فلا يراقب غير الله تعالى ، ويجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ، ومع عبادة قول النبي r : " أكرموا الله تعالى أن يرى منكم ما نهاكم عنه " وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك

والأمر الذي يبعث العبد على الحياء من الله تعالى ، هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شئ رقيب ، وعلى كل شئ شهيد ، وهو قوله تعالى (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة ، واستعملها حتى اعتادها وألفها ، ألزمه الحياء من الله تعالى ، أن لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً لا يرضاه الله تعالى ، ولا يليق بجلاله ، وهو حاضر القلب (وهو معكم أينما كنتم) بأن الله تعالى معه وناظر إليه ، فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلاً أو يسرق ، والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه ، ويستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً ، والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ، وينحط قدره عندهم ، فلا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالى ، ترك ذلك الفعل قطعاً وهذا معنى قول النبي r في الإحسان : " أن

تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ، ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه فيها .

وسئل :

رضي الله عنه : هل يلزم الإنسان الاختبار إذا أحس بشئ خرج من ذكره وهو في الصلاة ؟

فأجاب :

فقال : لا يلزمه ذلك ولا ينبغي له أن ينقض وضوءه بمجرد الشك ، بل يبقى في صلاته ولا ينصرف منها لعدم اليقين ، لأن اليقين لا يحصل إلا بالاختبار ، والاختبار متعذر وهو في الصلاة ، ثم بعد فراغه من الصلاة يختبر ، فإن وجد ذلك حقاً أعاد الوضوء والصلاة ، وإن لم يجد فلا اعتبار بالشك الواقع في الصلاة ، لأنه انكشف خلاف ما خيل

وسئل :

رضي الله عنه : عن الدعاء في الصلاة هل يأتي به بصيغة الجمع إذا كان إماماً ولو كان وارداً عن النبي r بصيغة الإفراد مثل " اللهم أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها " ونحو ذلك فيقول :/ اللهم أعط أنفسنا ؟

فأجاب :

فقال : أئت بصيغة الجمع وإن كان وارداً بصيغة الإفراد ؛ لأن في الحديث " من أم قوماً فأفرد دونهم نفسه فقد خانهم " وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله r : " ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلن : لا يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم ، فإن فعل فقد خانهم ، ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن ، فإن فعل فقد دخل خائناً ، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف " رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذي وابن ماجه وحديثه مختصر : وقال الترمذي : حديث حسن ، ورواه أبو داود – أيضاً – من حديث أبي هريرة . ومنها : أن يسأل الله تعالى بعزم ورغبة ، وحضور قلب ورجاء ، قال الله تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) والنبي r وإن أتى بصيغة الإفراد فهو روح كل

مؤمن ، ففي الحديث عن النبي r قال : " ما دخلت شوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها " وأيضاً إذا كان الإنسان منفردا يأتي بصيغة الجمع ، وينوي المسلمين وهو أولى ، هذا معنى ما ذكره ، أعاد الله علينا من بركاته . آمين

وسئل :

رضي الله عنه : ما الفرق بين الظن الذي هو أكذب الحديث والذي لا يغني من الحق شيئاً ، وبين الظن الذي في قوله تعالى في الحديث القدسي : " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء " ؟

فأجاب :

إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم أحد ما عنده ، ولا يدري ما يفعل به ، فإذا ظن به عبده خيرا حققه الله ، فكيف إذا تحقق العبد في الله خيرا فهو سبحانه وتعالى يحقق لعبده ظنه ، ولا تسأل عمن علم في الله ، وعلم بالله حق علمه ، سبحانه ما أكرمه

وسئل ة:

رضي الله عنه : عن القراءة خلف الإمام هل لابد منها ، أم قراءة الإمام له قراءة ؟

فأجاب :

بأنه لا يقرأ خلف الإمام إلا الفاتحة ، لما في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : " لعلكم تقرؤن ورائي ، قالوا : إنا نفعل ، قال : لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها " ولم يفرق النبي r بين أن يكون إماماً ، أو مؤتماً ، أو منفرداً ، وفي الأصل : أن الصلاة مناجاة بين العبد ورب ، ولا تكون مناجاة الإمام مناجاة عن المؤتم ، قال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) إنما الإمام يكون شفيعاً لقوله r : " ائمتكم شفعاؤكم فانظروا لأنفسكم شفعاء " وأيضاً فإن في الحديث القدسي : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله : ذكرني عبدي ، وإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : اثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هؤلاء بيني وبين

عبدي ولعبدي ما سأل ، وإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " فجعل سبحانه وتعالى الصلاة هي الفاتحة لأنه قال : قسمت الصلاة بين وبين عبدي ، ولم يذكر إلا الفاتحة مع أن الصلاة أذكار وأركان فهو كقول النبي r " الحج عرفة " مع أن أعمال حجم كثيرة لكن الوقوف لا يتم الحج إلا به ، وإذا لم يقف بعرفة لا يسمى حجاً ولو فعل أعمال الحج جميعها ، كذلك الفاتحة في الصلاة

وقال رضي الله عنه : لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحرض عبيده على إنفاق المال في الصدقة ، ويرغبهم في ذلك ، قال تعالى :(وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) فأضاف المال إليه سبحانه ، لأن السيد إذا قال لعبده : أنفق من مالي والخير عائد عليك في إنفاقه ، كان ذلك ترغيباً له في إنفاقه ، لأن الإنفاق من مال غيره والخير عائد عليه ولما أراد سبحانه وتعالى أن يحرضهم على حفظه عن الإتلاف ، قال سبحانه :(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) فأضاف المال إلى العباد إضافة ملك ، ليكونوا أشد حرصاً عليه ، سبحانه وتعالى ما ابلغ كلامه ، رزقنا الله التدبر لمعانيه

وقال رضي الله عنه : في قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : " الصوم لي وأنا أجزي به " أي إن الصوم صفة من صفاتي ، كما قال تعالى : " وهو يطعم ولا يطعم) وفي الحديث : " تخلقوا بأخلاق الله تعالى " فأمر سبحانه وتعالى عبيده أن يتخلقوا بهذه الصفة وهو عدم الطعم للطعام ، وفي وقت مخصوص ، فقوله : الصوم لي أي هو في الحقيقة لي ، لأني أطعم ولا أطعم وأنا أجزي به ، أي أنا جزاؤه لأنه تخلق بخلقي ، فجعلت جزاءه النظر إلى فأنا جزاؤه ، فإن رجلا قال للنبي r : أوصني ، فقال له : " عليك بالصوم : فإنه لا مثل له " فلو لم يكن تفسير هذا الحديث كذلك لتعطل المعنى ، تعالى الله علواً كبيراً ، إذ لو كان معناه على ظاهره لكان مثل سائر الأعمال ، لأن الأعمال كلها لله ، وهو سبحانه وتعالى يجزي بها

وقال رضي الله عنه : أنزل الله القرآن محكماً ومتشابهاً ، فالمحكم : أوضح من الشمس ، قال تعالى : (هذا بيان للناس وهدى) وقال تعالى : (قد بينا الآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) أي بين لها طريق السعادة وضدها ، وقال تعالى : (وهديناه النجدين) أي بينا له النجدين ، وإذا أشكل منه

شئ لقلة فهم ، فقد أمر سبحانه ورسوله أن يبينه للناس ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فبين r في السنة ما بينه ، وما لم يبينه فليس لنا أن نبحث عنه . وأما المتشابه : فأنزله تعالى ليختبر به عبيده وهو أعلم بهم ، فمنهم : من يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، ومنهم : من يؤمن به على الجملة فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الراسخون في العلم ، والذين ينظرون في متشابه ويحرمون حلاله ، إنما هم يتكلفون ما لا يعينهم ، ويقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفترون على الله الكذب ، ولو قيل لأحدهم : أتحلف بالله العظيم ، وطلاق امرأتك ثلاثاً ، أنا ما فسرت به هذه الآية التي هي من المتشابهات ، هو مراد الله ؟ لرجع عن ذلك خوف أ، تطلق امرأته فيصير زانياً ، ولم يعلم أنه قد كفر . قال الله تعالى : (إنما يفترى الكذب الذي لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) وقال تعالى : (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) فهذا الذي خاض فيما لا يعنيه ما علم تفسير تلك الآية التي هي من المتشابهات ، إنما هو من عند نفسه وليس معه دليل من السنة ، ولا هو مبين من عند الله ، فليته كان من أهل الدرجة الثالثة ، وهي : لا أدري لأن في الحديث : " من كذب على متعمداً ليتبوأ

مقعده من النار ومن سمع شئ مني فرده فأنا خصمه يوم القيامة " وفي الحديث عن النبي r : " العلم ثلاثة : آية محكمة ، وسنة ماضية ، ولا أدري "

وقال رضي الله عنه : سبب اندراس الإسلام خوض الناس فيما لا يعنيهم ، فأكثروا الرسوم في العلوم والكتب المؤلفات ، في بيان أشياء ما أمرنا أن نتكلف بها ، ولا نبحث عنها ، كالعلم باليد في قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى : (بل يداه مبسوطتان) وهذا لا ينبغي ولا يجوز الخوض فيه ، ويجب أن لا نتكلم فيه بشئ أبداً ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للرحمة يدين ، فقال سبحانه : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وجعل للنجوى يدين فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فيد الرحمة ويدا النجوى لا يعلم كيفيتهما إلا الله سبحانه وتعالى ، فما ظنك في العلم بكيفية يد الحق سبحانه وتعالى ، آمناً بالله . فهي كما يليق بجلاله وجماله وكماله ، فالخوض في مثل هذا أعظم الخطر ، قال الله تعالى حاكياً عن أهل النار لما قيل لهم : (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين) فتأمل ما أخطر الخوض مع الخائضين ، وهذا من جملة الخوض الذي هو إلى الهلاك أقرب بل هو عين الهلاك

وقال رضي الله عنه في معنى : سبحان الله وبحمده سبحان الله : منصوب بفعل محذوف أي أسبحه تسبيحه الذي يعلمه لنفسه ، ويليق بجلاله ، وكما يسبح به نفسه وبحمده : متعلق بفعل محذوف ، يعني : وأحمده بحمده كما يليق بجلاله ، كما قال r : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "

وقال رضي الله عنه : رأى بعض الصالحين من أولياء الله تعالى في المنام الحق جل وعلا ، فقال له : يا إلهي وسيدي ، أكرمت الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بالوحي والمناجاة ، فاجل لي شيئاً يكون بيني وبينك من غير واسطة ، فقال سبحانه : من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً ، ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد أبدل نعمة الله كفراً ، وهذا من أعظم الفوائد من عمل به أرشده الله إلى الخيرات ، والمحسنون إليك قد يكونون من جنسك ، ومن غير جنسك ، وذلك الإحسان كله هو بتسخير من المحسن الكريم الأعظم ، فما سخر لك سبحانه وتعالى دابتك وعبدك وجاريتك فدابتك محسنة إليك بحملها لثقلك ، وحملك على ظهرها ، وتطيعك أينما وجهتها ، فإحسانك إليها أن تشبعها من رزق الله ، وتسقيها ولا تحملها زائداً على جهدها ، ولا تضربها لتسير سيراً فوق ما

تطيق ، فإن فعلت فقد أسأت إليها وإن أسأت إليها فأنت داخل فيمن أساء إلى من أحسن إليه وبدلت نعمة الله كفراً ، نسأل الله العافية والسلامة ، وكذلك العبد وهو أيضاً مختص بشئ وهو قول النبي r : " خادم القوم سيدهم " فكيف إذا أسأت إلى سيدك المحسن إليك ، وبدلت نعمة الله كفراً ؟

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولم يقل نعم الله أي لا تحصوا نعمة واحدة أنعمها عليكم ، فانظر إلى نعمة الحب فإن الله سبحانه وتعالى رزقك إياه وأنعم عليك به ، وأنت تنظره موجوداً بعد أن كان في العدم ، ولا تدري كيف وجوده ، ولو تفكرت لعرفت مقدار نعمته ، فإن الله سبحانه وتعالى أولاً : أمر الأرض فخدمته بأن حفظته في بطنها ، ثم أمر السحاب فخدمته بأمطارها ، ثم أمر المطر فخدمه بسقيه إياه ، ثم أمر الشمس فخدمته بإنضاجها إياه ، ثم أمر الريح فخدمته بتلقيحها إياه ، ثم خدمه الحديد لأن منه آلات الزراعة ، ثم خدمته البقر وغير ذلك حتى حصل فسبحان الله وتعالى سخر له بركة السماء والأرض ، وما أهانه قوم إلا سلط عليهم الجوع " ومن نعمة الله سبحانه وتعالى ، أن جعل رزقك يتبعك أينما كنت ، إذ لو كان في محل

واحد وأنت تقصده لكان ذلك هو العذاب الشديد ، فإنك إذا رحلت من بلدك – مثلاً – إلى مكة فرزقك فهو مقسوم مكتوب ، وما كتب لك سوف يأتيك .

ألا ترى أنك تشرب – مثلاً – شربة من زمزم وهو سبحانه قد قسمها لك ، وعلمها منحازة عما خالطها من المياه في جوف البئر فيعلم أن هذه الجرعة في هذا الدلو هي رزق لفلان ، وهذه تراق على الأرض ، وهذه تعود إلى البئر ، يعلم ذلك سبحانه مقسماً قبل أن يوجده من العدم ، فيسوق إليك منه رزقك وأيضاً يأتيك رزقك إليها من الهند ، ومن الروم ، ومن الطائف ، فهذه رمانة قسمت لك رزقاً قبل وجودها وقبل وجودك ، فساقها إليك ، وهذا صاع من رزق ساقه إليك من الهند وغير ذلك إذ لو كلفت أ، تحمل جميع رزقك : من ماء ، وحطب ، وعلف ، وحب وجميع ما تحتاجه من بلدك ، وهو بالغرب مثلاً إلى مكة لاستغرق أكثر جمال الأرض . رجل واحد إذا أراد مثلاً أن يسكن في مكة عشر سنين ، أو سنتين ، أو سنة وهذا هو العذاب الشديد ، فسبحان المتفضل ما أكرمه ، ومن النعم : الجوارح التي أودعها فيك والحواس ، فإنك لا تعرف نعمة النظر إلا إذا فقدته ، ولو كان معك ملك الدنيا بأجمعها ، وقيل لك : اختر رجوع نظرك ، ويؤخذ الملك منك أو يبقى الملك في يدك مع فقد نظرك لاخترت النظر ، ولكنك لم تعلم بقدره

عند وجدانه ، وكل شئ ما يعرف إلا بضده ، وبضدها تتميز الأشياء ولكن لا ينفع الاعتراف بالنعم عند فقدانها . ثم قال : اللهم اجعلنا ممن اعترف بنعمك عند وجودها ، وأوزعنا شكرها .

وقال رضي الله عنه : " الدنيا سجن المؤمن " هذا الحديث معناه : أن المسجون لا يكون همه إلا الخروج من السجن ، كذلك المؤمن ليس همه إلا الخروج من الدنيا ، شوقاً للقاء ربه ، فإن النبي r لما نزلت عليه (إنك ميت وإنهم ميتون) سر بذلك سروراً عظيماً شوقاً إلى لقاء الله تعالى ، لأنه مشاهد للحق تعالى في كل حالة ، لكن سبحانه وتعالى متصف بصفات القهر والرحمة ، والعذاب في الدنيا ، والأخرى بالرحمة فقط ، فلذلك كل من أحب الله تعالى أحب لقاءه ، قال الله تعالى : (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ولأن المؤمن مخاطب بمحاسبة النفس في الدنيا ، فلذلك كانت في حقه سجناً ، فإذا لم يكن كذلك فهو من نقص إيمانه ، لأنه مطمئن إلى الدنيا ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) ولم يقل منا ، إذ لو قال ذلك لانقشت قلوب الصحابة لقوة معرفتهم بالله تعالى ، فأدبهم تأديباً لطيفاً بدمعة لا تفضي إلى الهلاك ، ومعنى الآية . ما لكم إذا قيل

لكم أي نقول لكم تعالوا إلينا قاتلوا في سبيل الله ؟ فإما أن ننصركم ، وإما أن تقتلوا فتلقوا ربكم الذي هو منتهى بغية المؤمنين ، وبقدر حبكم للقائه يكون حبه للقائكم ، ففي الحديث : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه " أثاقلتم إلى الأرض أي اطمأننتم إليها أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ورغبتم عن لقاء ربكم ؟ (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلى قليل) فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، كلنا نكره الموت ، فأجاب : إن تلك الكراهة من جهة الروح لأنها قد انست بالجسد وألفته ، ومفارقة المألوف صعب ، مع أنها في أول الأمر ما قنصت إلى قفص الجسد إلا ولها صياح ، ولولا الامتثال لأمر الله تعالى على قدر على اصطيادها الملائكة الموكلون بأن يدخلوها إلى الجسد ، لأنها مطلقة في رياض الروحانيين ، فحبست في قفص الجسد ، ثم أنست به واطمأنت به وألفته ، حتى إنها تعانقه عند الموت من شدة شغفها به ، كما يعانق المحبوب محبوبه عند فراقه ، وربما يمنى ولذلك شرع غسل الميت

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

فقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي نضيق عليه ، كقوله تعالى : (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أي ضيق عليه رزقه ، وقوله تعالى : (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) لأنه لا يظن أحد أن الله لا يقدر عليه ، فما ظنك بالنبي ، ثم لما ظن هذا الظن ضيقنا عليه في ظلمات ثلاث : لأنه أوقف الرحمة عليه ، ولم يطلقها عليه وعلى قومه ، فضيقنا عليه ووسعنا على قومه ، قال تعالى : (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) فهم ممتعون باقون في الحياة ، ولكن هذا التضييق من الحق تعالى لنبيه يونس عليه الصلاة والسلام ، هو عين التوسيع لأنه تأديب ، وأي توسيع أعظم من تأديب المولى لعبده ، به الفوز والفلاح والنجاة

ومن فوائده رضي الله عنه في الطب : أن الحنظل دواء للدغ العقرب إما ورقه أو ثمره وإذا خلط بزبل الحمام كان أعظم في النفع ، وكذلك من أدويته – أيضاً – عود القرح ، وللدغ الحية النوشادر ، وإذا كان الإنسان أو غيره حاملاً للنوشادر لا تلسعه الحية أبداً ، بل لا تقربه بإذن الله ، ومما ينفع للغدة العقرب – أيضاً – الريال إذ حك على ماء ثم لطخ به موضع اللدغة ثم يربط عليه فإنه نافع

وقال رضي الله عنه : لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون ، كان السامري يتشبه بموسى بين يدي فرعون ، ليضحكه استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبه على هذا الوجه نجاه الله من الغرق فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ، هذا بمجرد التشبه ، والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ وكيف إذا كان بحسن نية ولو لم يقم بالعمل ؟. قال الشاعر

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ** إن التشبه بالكرام فلاح

وقال رضي الله عنه : النكتة في إيراد قصة الهدهد في سورة النمل قول سليمان عليه الصلاة والسلام : (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين) فقوله وأوتينا من كل شئ ، فيه نوع زهو ، ونزر يسير من رائحة فخر خفي ، فأجرى الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد : (أحطت بما لم تحط به) تأديباً له عليه الصلاة والسلام بهذا التبكيت ، ثم أنطق الله سبحانه وتعالى هذا الهدهد بقوله : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) فأخرج الله سبحانه وتعالى

الخبء الذي في طي كلام سليمان عليه الصلاة والسلام بقصة الهدهد ، وأتى من صفات الحق تبارك وتعالى بقوله : الذي يخرج الخبء ، ولما تأدب عليه الصلاة والسلام بآداب الحق جل وعلا ، قال لما رأى عرش بلقيس عنده ، قبل أن يرتد إليه طرفه وهذا الحد لا يتعذر دونه أبداً : (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) وأراد – أيضاً – أن يؤدب بقوله هذا أي قوله : ليبلوني أأشكر أم أكفر : آصف لئلا يستنفزه شئ من الشيطان لأنه قال : (آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) فهو عليه الصلاة والسلام أضاف الضمير إلى نفسه ، وأراد به آصف ليؤدبه ، وهذا من ألطف العبارات ، فسبحان الله العظيم ، ما أبلغ هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ففروا إلى الله) فأطلق المفرور منه وقيد المفرور إليه ، أي ففروا فراراً مطلقاً من كل شئ إلى الله ، حتى إنه بلغ الحال بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لما قيل له : نأتي لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، ففر من ألمه إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا أهمك أمر ففر منه إليه سبحانه ، فإذا سلط عليك – مثلاً – عدواً فإن قابلته بالحول والحيل والعدد ، وجعلتها مجردة للمدافعة فقد فررت من الله ، لأنه هو الذي سلط عليك ذلك

العدو إلى ما معك من الجند والمال ، نسألك اللهم عافيتك . وإن جعلتها إنما هي أسباب وليطمئن بها القلب ، قال الله سبحانه : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) مع كونك معتقداً اعتقاداً تاماً أن النصر من عند الله ، وخرجت لقتال عدوك ، وأنت واثق بالله لا أنك معتمد على جندك أبداً ، فقد فررت من العدو إلى الله ، كذلك الفقر إذا ابتلاك به فإن فررت منه إلى قصد مخلوق أو إلى حرفة ، فقد فررت من الله إلى ، وسلكت معنى دعاء رسول الله r : " لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك " كنت فاراً من الفقر إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن بعض أهل الحرف من الصالحين حدثته نفسه في بعض الأيام وهو شات شديد البرد : إن لم تداوم على حرفتك فمن أين تأكل ؟ فحلف أن لا يعطيها مما كسب من تلك الحرفة شيئاً إنما أبقى فيها لقضاء حوائج الناس منها ، فهذا معنى قوله تعالى : (ففروا إلى الله)

وقال رضي الله عنه : قال النبي r من جملة دعائه : " اللهم إني أعوذ بك من القتل عند الفرار من الزحف " وقال النبي r : " وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً " وهو معنى قول اله تعالى Sad يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا

زحفاً فلا تولوهم الأدبار) الآية . فالقتل عند الفرار من الزحف تعوذ منه رسول الله r وفيه هذا الوعيد في القرآن ، وكذلك الموت على غير توبة نسأل الله العافية فإنه أكبر من الفرار من الزحف ، لأن مجاهدة النفس والشيطان هو الجهاد الأكبر كما في الحديث . فالقتل عند الفرار منه أكبر ، لأنك إذا فررت من مجاهدة النفس والشيطان ، فقد فررت من الزحف . والفرار منه : هو هتك ما حرم الله سبحانه ، أو ترك ما أمر به ، فتعوذ بالله أن نموت ونحن مصرون على شئ منه . اللهم أمتنا ونحن تائبون ، مجاهدون في سبيلك ، والجهاد في سبيل الله : هو القيام في نحر العدو ، وأي عدو أعظم من الشيطان والنفس ، وسبيل الله : هو الطريق الموصلة إلى الله (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً)

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى :(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) إلى قوله :(إنه بهم رؤوف رحيم) فابتدأهم الله سبحانه وتعالى بالتوبة وحباهم بها ، وكل واحد منهم ذنبه على قدره ، وأما رسول الله r فليس له ذنب ، كيف وهو معصوم ؟ ولكن لما عرف قدر الله سبحانه حق قدره ، نزل نفسه منزلة المقصر في حقه ، وكان ذلك ذنباً عنده ، فتاب عليه الحق سبحانه وتعالى ، باعتبار ما عنده من تسمية ذلك ذنباً ، إذ

كل واحد له ذنب باعتبار ما عنده ، وإن كان ليس ذنباً حقيقة فتاب عليهم جميعاً ولم يكلهم فيها إلى أنفسهم شيئاً ، بخلاف الثلاثة الذين خلفوا ، فإنه لما ظهر ذنبهم على رؤوس الأشهاد ، قال في حقهم تبارك وتعالى :(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) إلى قوله :(إن الله هو التواب الرحيم) فقال : ليتوبوا فوكلهم إلى أنفسهم في التوبة لكن لولا أنها سبقت توبة الله عليهم ما قدروا على التوبة (وما تشاؤن إلى أن يشاء الله) فافهم هذه النكتة .

وقال رضي الله عنه : لما قالت الملائكة – عليهم الصلاة والسلام – حين قال الله تعالى :(إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) جعل سبحانه مصلحتهم على يده في أول وهلة ، فهم أول من استفاد منه حين علمهم الأسماء ، وهم مع طول مدة أعمارهم في عبادة الله تعالى لم يعرفوا الأسماء ، ومعرفة الأسماء والعلم بها هو أعظم العلوم ، فإن كل اسم من أسماء الله إذا عرف ازدادت معرفة الله تعالى ، ثم ذكروا الفساد بقولهم : من يفسد فيها وجعلوا الفساد بسبب واحد منهم وهو إبليس ، ثم لما قالوا : ويسفك الدماء ولم يعينوا بكونه حلالاً أو حراماً ، أمرهم أن ينزلوا فيسفكوا الدماء في يوم بدر ، وبقولهم هذا ظهرت مزية الإنسان وشرفه ،

فجزاهم الله عنا خيراً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خاصمهم عنا قبل وجودنا ، لما نسبوا ذلك غلينا ، وقولهم : (أتجعل فيها) الخ . هو كسكرة أدهشتهم ، لما نزل الحق نفسه منزلة المستشير لهم فسكروا سكرة بسط ، فلا لوم ، وأي سكرة أعظم من سكرة البسط ؟ وأي بسط أعظم من أن يستشير الملك الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، ويعلم ما تخفي الصدور من عبيده ؟

(ﷺ1رضي الله عنه) في نسخة بألفي عام .

وقال رضي الله عنه : في الحديث القدسي : " إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا

نفسه " معناه باعتبار ما يكون عند نزول المصائب من السخط والجزع لا في نفس الأمر ، فإن من وكل الله سبحانه وتعالى ، وحسن فيه ظنه فلا يرى كل مصيبة تصيبه إلا خيراً ، وإن كانت في الصورة شراً فإنه يعدها خيرا ؛ لأن الصبر عليها من عزم الأمور فلولا هي ما وجد الصبر الذي ينال بسببه خيراً ، فإذا لا يرى إلا خيرا ، وهو يحمد الله تعالى عند السراء وعند الضراء عازماً ومعتقداً أن ما فعل به مولاه فهو خير ، ولو كشف له الغطاء ما اختار غيره ، ومن رأى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، أي هو الذي صيره شرا بسخطه عند نزول المصيبة وعدم رضاه بها ، وإلا فلو رضي وحمد الله تعالى لكانت خيراً فإنه بسببها إذا قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يصلي عليه الله وملائكته ، وأي خير أعظم من هذا ؟ قال الله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وهذا معنى قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لأن كل ما أصابك من عند الله ، وإذا كان من عند الله فهو خير ، وإن كان في ظاهر الامر شراً ، مع الرضا والتسليم والصبر ، فإذا لم ترض به فأنت الذي صيرت الخير شرا ، ثم تقع السيئة من العبد وقد فتح الله له باب التوبة ، فإذا تاب انقلبت تلك السيئة حسنة

في نفسها ، فهي حسنة باعتبار المال وهي من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يتب بل أصر عليها فهي سيئة وهي من نفسه بسبب إصراره عليها

وقال رضي الله عنه : في قول الله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) سماه الله ذكرى وكذلك : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وذلك لأن الإنسان عالم بالحق من نفس الفطرة ، إنما ينساه بعبوره في ظلمات الضلال " فإن كل مولود يولد على فطرة فأبواه يهودانه وينصرانه " فإذا سمع الحق عرفه لا يقدر على رده أبداً ، فإن رده فهو عناد وإنكار وإلا فقد عرف أنه الحق ، ولذلك كملت عليهم الحجة ، ولكنهم عاندوا فقالوا :(لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) فالحق ما سكنت إليه القلوب واطمأنت به (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فإنك إذا سمعت الحق علمت علماً يقيناً أنه الحق ، وهو الذي أنت عالم به ويجول في ذهنك ، لكنك لم تقدر أن تعبر عنه ، فإذا سمعته فكأنك ظفرت بضالتك المنشودة وغايتك المقصودة ، فالحق أبلج ، والحق أحق أن يتبع ، وفي الحديث ما معناه : " إذا سمعتم الحديث عني فاطمأنت به قلوبكم فهو مني ، وما لم فليس مني ، لأني لم أقل قولاً لم تطمئن به القلوب " ثم في الحديث أيضاً : " دع ما يريبك إلى ما لا

يربيك " والحق ما عليه غبار ، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

فأجاب :

أنه بتقدير نزع الخافض أي في مقام ربه وكذلك قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) ومعناه : أن من صار الحق سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها إلى آخر الحديث ، فقد صار في مقام ربه ، ومن صار في مقام ربه فقد بلغ محل الأمن ، ودخل الحمى الذي لا خوف فيه ولا حزن ، فمن خاف فيه فقد أدى حق الأدب بوقوفه في مقام العبودية على ما هو فيه من المقام العالي ، وهو مقام ربه ، وذلك معنى قول النبي r حين قال له الصحابة لما نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) إلى قوله : (وما تأخر) فقام حتى تفطرت قدماه فقال

الصحابة : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : " أفلا أكون عبداً شكوراً " ؟ فأتصف بالعبودية ووصف نفسه بالشكور الذي هو من صفات الحق تعالى ، وهذا أعظم المقامات الذي لا يدركه إلى الخواص ، وهو الخوف في مقام الأمن ، وفي هذا المقام جميع الأنبياء ومن أراد الله من أوليائه .

قال الله تعالى : (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) بسيف الحب وهو معنى قوله r : " موتوا قبل أن تموتوا" وهو الفناء عن الخلق والحياة مع الحق ، أو اخرجوا من دياركم أي من صفات البشرية إلى صفات الربوبية ، وذلك معنى قوله r : " تخلقوا بأخلاق الله " ما فعلوه إلا قليل منهم ، قوله تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) وكذلك قوله تعالى : (وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم – ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا) لأنهم إذا فنوا عن الخلق ، وكانت حياتهم مع الحق ، وخرجوا من صفات البشرية ، وتخلقوا بأخلاق الله ، كان سمعهم وبصرهم إلى آخر الحديث ، فاي خير وأي تثبيت أشد من هذا ، ثم قال تعالى : (وإذاً لأتيناهم من لدنا أجراً عظيماً) والأجر الموصوف بالعظمة هو المشاهدة لأنه أعظم الأجور ، وما بغيتهم سواه ، لا طمع لهم في جنة ولا لهم خوف من النار قال قائلهم :

إذا تذكرت أياماً لنا سلفت أقول بالله يا أيامنا عودي

كأنني يوم يأتيني كتابكم ملكت ملك سليمان بن داود

وقال آخر

حببتك لا لي بل لأنت أهله وما لي في شئ سواك مطامع

قال تعالى : (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) وهو صراط الله ، ثم قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) فهذا المقام الذي وعد الله الخائفين فيه بجنتين فقال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) والجنتان هما : الجنة الحقيقية والمشاهدة ، وجنة من فضة وجنة من ذهب داخلتان تحت الجنة الحقيقية ، ثم قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) فإن كل إنسان من المؤمنين مأمور بهذا الأمر ، وهو أن يأخذ حذره من عدوه ، وأي عدو أعظم من نفسه التي بين جنبيه ، فينفر منها بجميع أعضائه ، وجوارحه ، أو عضو من أعضائه وذلك عند الحادثة التي تأتي من كونه مثبتاً لا

يؤتي من جهة أخرى ، أو ينفر جميعاً أي يكون نافراً بجميع أعضائه وجوارحه من جميع الوجوه ، ومن جميع الجهات ، فهذا هو الجهاد الأكبر الذي قيل فيه بعد الفتح : " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " فإذا كان كذلك أمن وإذا أمن فقد ائتمر بأمر الله تعالى حيث قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) فلا خوف عليه ولا هو يحزن ، ولا يبقى للشيطان ولا للنفس عليه سبيل ، بل حياته بالله لله .

ثم قال الله تعالى : (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) أي إذا زل من قد صار في هذا المقام فذاك هو الخطر العظيم ، لأنها زلة من ، مقرب وفي صفة العزيز الحكيم غاية التوعد ، أي عزيز أن يدركه من زل من الأبعدين كإبليس وبلعم بن باعوراء ، فهو تعالى غيور (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) ، وقوله : حكيم ، أي : أنه أظهر صفة الحكيم في ذلك ، فإن إبعاد إبليس بعد تقريبه لحكمه ، وذلك بسبب إبعاده أخرج آدم من الجنة لنكد الدنيا وتعبها ، ليعرف قدر الجنة بعد العود إليها ، وتبتلي ذريته فيميز الخبيث من الطيب ، وهذا مقتضى الحكمة .

وقال رضي الله عنه : أصل التقوى : هو الجهاد في سبيل الله ، والجهاد الأكبر هو : جهاد النفس والشيطان ، والنفس هي أعظم الأعداء فهي كارة عليك في كل لحظة ، في مظهر صديق لك ، وهذا أعظم ممن كان متظاهراً بالعداوة قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فصار أعرف بالمضرة

ثم قد علمنا الحق تعالى في القرآن كيفية الجهاد من كل وجه فقال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) والنفس هي أقرب ما يليك وغير ذلك ، فإن حاربت نفسك واتقيتها ودافعتها عن جميع جوارحك وأعضائك ضعفت ، وإذا ضعفت جنحت للسلم ، فإن جنحت للسلم فاجنح لها ، وبعد لا تضرك أبداً ، فإذا كنت مطيعاً لها صرت عبداً لها ، تأمرك وتنهاك منهزماً منها في ذل وأي ذل

؟ وصرت غير متق لله تعالى ، لأنك أمنت من بطشه ومكره ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، لأنه سبحانه وتعالى توعدك إذا اتبعت هوى النفس والشيطان فأمنت من توعده بإتباع ما نهاك عنه ، ولو اتقيته لانتهيت عما نهاك عنه ، فإذا اتقيت نفسك فقد اتقيت الله ، وإذا لم تتق نفسك ولم تحاربها ولم تدافعها فلم تتق الله ، لأن تقوى الله مترتبة على محاربة النفس والشيطان

وقال رضي الله عنه : عاتب الله سبحانه رسوله r حين حرم ما أحل الله له فقال : (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) وذلك أنه أتى r جارية فعاتبه بعض نسائه على ذلك ، فحرم تلك الجارية فنزلت الآية ، فهذا رسول الله r عاتبه الله لما حرم ما أحل الله له ، وذلك مقتصر على نفسه ، فما ظنك بمن حرم من سائر الناس شيئاً على نفسه أحله الله له ، أو وضع شيئاً في الشرع عمل به الغير لاعتقادهم أنه عالم ، وهو من عند نفسه لا من كتاب ولا من سنة ، فيحرم شيئاً أحله الله أو يحل شيئاً حرمه الله فيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة

ثم قال الله تعالى : (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم) أي أن الله سبحانه وتعالى لا يعارض ولا ينازع حكمه بحكم عبيده ، بل ما حكم به المولى عمل به العبد ، وما سكت عنه المولى فليس له أن يحكم بشئ من عند نفسه ، لأن ما سكت عنه المولى فلا خطاب فيه على العبد ، والحكمة عند المولى في تركه خير ، لأنه لو كان الخير في فعله لأمر به ، ولذا قال تعالى : (وهو العليم الحكيم) بعد قوله : (والله مولاكم)

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن يتحول عن الموضع الذي غفل عن الله تعالى فيه ، وذلك أن النبي r أمر بالتحول عن المحل الذي طلعت فيه عليهم الشمس ولم يصلوا الفجر وأما المحل الذي عصى الله تعالى فيه فذلك أشد وأعظم

وقال رضي الله عنه : الركعة : صلاة لا أنه لا يسمى صلاة إلا مجموع ركعات الفريضة ، وإنه لا يطلق لفظ الصلاة إلا على الفريضة فقط ، وذلك أن النبي r كان يكمل الصلوات الخمس بنوافل إلى خمسين ركعة ، وهي التي افترضها الله عليه وعلى أمته من أول الأمر ، من قبل أن يتشفع بشورى موسى عليه وعلى نبينا

محمد وآله أفضل الصلاة والسلام ، فهو افترض عليه في أول الأمر خمسين صلاة ، فمازال يحط عنه حتى صارت خمساً ، ثم قال تعالى :(ما يبدل القول لدى) هي خمس وهي خمسون ، وذلك أنه تعالى كلم رسوله r على لسان موسى عليه الصلاة والسلام : أن ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف ، حتى بقيت خمس ليظهر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقداره r ، وينوه بشفاعته عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة ، حتى حطت من خمسين إلى خمس ، وأما النبي r فإنه كان يؤدي الخمسين كل صلاة ركعة ، كذلك صلاة الوتر فإنها ركعة ، فلا صلاة إلى أيام القرآن ، أي في كل ركعة تقرأ أم القرآن وإلا فلا صلاة ، وبالله التوفيق

وقال رضي الله عنه : قال رسول الله r : " خالفوا اليهود وصلوا في نعالكم ، وذلك أن اليهود لا يصلون في النعال إتباعا لنبيهم موسى عليه السلام ، فإن الله سبحانه وتعالى أمره بخلع نعليه عند مناجاته ، ونبينا محمد r قال الله تعالى له ولأمته :(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) فكأنه قال تعالى : قلبناك وأمتك لمناجاتنا في النعال ، فانظر إلى هذا التشريف

وقال رضي الله عنه : إذا حسنت نية العبد رأى الحق أمامه في كل شئ ، ففي الحديث ما معناه : " إن في بضع أحدكم صدقة " فقالوا : يا رسول الله ، يأتي أحدنا شهوته وله أجر ؟ قال : " ارأيتم إن وضعها في حرام أما كان عليه وزر " ؟ هذا أو معناه ، والحق هو الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) فإذا كان أمامه الحق (فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم)

وقال رضي الله عنه : في حقيقة التقوى : التقوى هي أن تجعل الله تعالى وقاية فيما بينك وبين من سواه من كل شئ ، لا كما قيل : أن تجعل وقاية فيما بينك وبينه تعالى ، لأن ذلك يكون حجاباً حائلاً بينك وبينه ، فدرجة التقوى درجة عالية ، قال الله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) اراد سبحانه وتعالى أن يجذبنا إلى عبادته ، فذكرنا نعمه علينا ليقودنا إليه ن وتارة يقودنا إليه بذكره ما أعد لنا في الجنة ن وتارة يسوقنا إليه بالوعيد وذكر العذاب ، فمن يذكر الجنة ، وما أعد فيها ، ومن كان من أهل الخوف ساقه إليها بذكر الوعيد والعذاب ن فكانت العبادة إما في مقابلة النعم وإما خوفاً من النار وإما طمعاً في الجنة ، وهنا ذكر تعالى النعم وهو قوله : (الذي

خلقكم والذين من قبلكم) وكل من قبلنا مما في السماوات والأرض فهو لنا خلقه ، فأمرنا بعبادته شكراً له على خلقنا وشكراً له على ما خلق لنا من قبلنا ، فإنه أوجدكم من العدم حيث لم يكن لكم اختيار ن وخلق الذين من قبلكم لتكنوا من نسلهم ، ثم قال سبحانه :(لعلكم تتقون) أي إذا عبدتم الله لأجل هذه الثلاثة الأمور أو إحداها فلله في أيام دهركم نفحات فيفتح عليكم باب التقوى ، وهو أن تعبدوا الله تعالى لا لأجل شئ ، بل لله بالله ابتغاء مرضاته ، فلا يشاهد غلا الله ، ولا يخالف إلا منه ولا يرجو إلا إياه وههنا تجئ الأحدية ، وتزول أوصاف البشرة ، قال الله تعالى :(وأحسن كما أحسن الله إليك) أي كإحسان الله إليك وإحسانه إليك ابتداء ، لا لأجل شئ ولا في مقابلة شئ ، وقال تعالى :(وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) فقد صار ما يريدون وجه الله تعالى ن فلا يكون جزاؤهم منه إلا ما يريدون ، لأن في الجنة ما تشتهي الأنفس وهم لا يشتهون سواه . هذه درجة المتقين

وقال رضي الله عنه : من أعظم مفاسد الدين والدنيا مداهنة العلماء للملوك ، والسكوت عن نهي منكراتهم ، وهم يظنون بذلك أنها تختل عليهم الدنيا أو يعاقبونهم ، وهذا ظن فاسد ، فإنهم لو أمروهم بالمعروف ، ونهوهم عن المنكر ،

لعظموا في قلوبهم ، ولمنعهم الله تعالى عنهم إذا ارادوهم بشر ، قيل : إن بعض الملوك أرسل إلى بعض أمرائه بأمر يظملون به الرعية ، فتواطأ الحسن البصري والشعبي بعد أن أحضرهما بين يديه ، فقرأ عليهما كتاب الخليفة ، فإذا فيه ضرر على الرعية ، وقال لهما : ما تقولان ؟ فأشار عليه الشعبي أن يمتثل الأمر ولا ينفذه كله ، يعني بصفة صلح ، فقال للحسن البصري : لو قلت ؟ قال : قد قال لك عامر ما سمعت ، قال : لابد أن تقول أنت ، فقال الحسن رضي الله عنه : هذا الأمر الذي أمرت به ظلم ، فإن تركته أطعن الله تعالى وعصيت مرسلك ، وإن أرادك بسوء فالله قادر أن يمنعه عنك ، وإن لم تنته عصيت الله وأطعت مرسلك ن وإن أرادك بسوء لم يقدر أحد أن يرده عنك ، فاختر لنفسك ما أردت ، فلما سمع الرجل انتهى عن ذلك ، ثم أمر للحسن بجائزة عظيمة ولم يعط الشعبي شيئاً ، فلما خرجا من عنده نادى الشعبي في الأسواق : يا ايها الناس ، من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل ، فإني أردت وجه فلان فأقصاني الله منه والحسن البصري أراد وجه الله فأعطاه الله منه

وقال رضي الله عنه : من أحسن أخلاق الإنسان : العفو عمن ظلمه ، فإن الله سبحانه يعامله بالعفو فيما بينه وبينه ، وأيضاً فإنه تعالى يلهم المظلوم منه أن يعفو

عنه ، ففي الحديث القدسي : " يا عبدي لا تدع على من ظلمك فإن شئت أخذته بظلامتك وأخذتك بمن ظلمت ، وإن شئت أخرتكما حتى تسعكما رحمتي"

وسئل :

رضي الله عنه : عما أتى في الصلاة التي في آخر الحزب الأعظم وارحم محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شئ ما معناه ؟

فأجاب :

إن الرحمة لا تنتهى أبداً ، وإن معنى لا تبقى رحمة ، أي لا انتهاء لها والنبي r هو الرحمة التي وسعت كل شئ

وقال رضي الله عنه : قصص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – جملة فيها التخويف العظيم لأمة محمد r ، والرجاء الذي هو أعظم من الخوف ، فأما وجه التخويف فهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج عليه الصلاة والسلام من الجنة من أجل ذوقه من الشجرة ، وهي من حق الله ليست من حق أحد سواه ، مع أنه خلقه بيده واصطفاه وعلمه الأسماء كلها ، وأسجد له الملائكة ، فما حال رجل ليس بنبي

ولا مصطفى ولا له من تلك العنايات شئ ؟ ثم ينتهك المحارم العظيمة : إما بأكل أموال الناس ، أو زنا أو قتل أو شرب خمر ، فكيف السلامة وكيف النجاة ؟ وهذا تخويف وأي تخويف . ووجه الرجاء : أن الله سبحانه وتعالى غفر له هذا الذنب بسبب توبته ، والحال أنه عالم بالله وبجلاله وبشطه ، لأنه من المقربين والمقرب هو أعلم من البعيد بصفات الملك ، وإذا كان كذلك فالذنب منه عظيم ، قال تعالى :(كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعد وأصلح فإنه غفور رحيم) وهو هنا عليه الصلاة والسلام ليس بجاهل ثم غفر له ، فالجاهل أولى بالغفران ، وقس على هذه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كداود وموسى وإخوة يوسف وغيرهم

ثم أنزل الله سبحانه كتابه العزيز على رسوله الأمين r وعلى آله أجمعين تذكيراً لأمته . وقصص الأنبياء فيه لتكون عبرة لهم وتأسياً ، وذكر ما جرى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن على رؤوس الأشهاد هو الجزاء ، لأن الله سبحانه عدل ، لا يترك شيئاً ، فجازاهم عليها في الدنيا بذكر ما حصل منهم كيلا يجازوا عليها في الآخرة ، والتائب من أمة محمد – عليه الصلاة والسلام – عقابه وجزاءه على ما فعل : ذكره ذنبه فيما بينه وبين الله تعالى ، وتألمه منه

وتوجعه ، وبكاؤه وأنينه وزفرأتته ، فكان ذلك جزاءه معجلاً في الدنيا ، لا يجازى على ذنبه في الآخرة ، فلا يلقى الله سبحانه إلا وهو طاهر من جميع ما فعل من السيئات وقد بدلت حسنات . فأي مزية أعظم من هذه المزيةو التي اختصت بها هذه الأمة ؟ وأيضاً فإنه تعالى أخرهم عن جميع الأمم ليقص عليهم قصص من سلف ، فيتعظوا ويعتبروا تحريضاً لهم على التوبة ، وهدياً لسلوك طريق السالكين ، وتحذيراً من الوقوع في ظلمة ضلال المجرمين ، فلم تبق طريق من طرق النجاة إلا أوضحها في ضمن قصص الأنبياء ، ولم تبق مهلكة إلا أوضحها – أيضاً – في قصصهم مع قومهم ، فكان من قبلنا موعظة لنا ، لنعرف طريق النجاة فنسلكها ، وطريق الهلاك فنجتنبها ، والحمد لله رب العالمين ، ثم سجد رضي الله عنه – هاهنا – وسجدنا معه

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى – حين أخذ النبي r الفداء - : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) أتى سبحانه وتعالى بصيغة الخطاب لجميع أهل بدر ليستر الذين يريدون عرض الدنيا ، وإلا فهم القليل جداً ، كذلك قوله تعالى في أصحاب موسى حين أمرهم بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم : (قالوا يا موسى إن

فيها قوماً جبارين) وفيهم من لم يقل ذلك كالرجلين اللذين قالا : (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) لكن لما كتبت عليهم التيهة تاهوا جميعهم ، فسترهم جل جلاله إذ لو لم يته إلا من قال ذلك لافتضحوا بسبب عدم تيهة من لم يقل منهم ، فسترهم بتيهة الجميع ، فسبحان الستار جل جلاله وتقدست أسماؤه

وسئل :

رضي الله عنه : عن القدر ؟

فأجاب :

بما معناه : أنه لا ينبغي لأحد أن يخوض فيه ، لأنه لا يعرف إلا بفتح من الله تعالى وعلم لدني ، ثم من فتح الله عليه لا يمكنه أن يعبر عنه أصلاً ، لأنه يمكن للمناقض أن يناقضه ن فالذي لم يعرف من جهة الله تعالى لا ينبغي له أن يخوض فيه ، ويمتثل قول الله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) وقول رسول الله r : " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره" فإنه إن بحث عنه من جهة غير الله خيل له أنه من باب قول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول رسول الله r : " أن تؤمن بالقدر خيره وشره " كاف

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) فقال : إن كثيراً ولم يبق إلا قليل ن وهم أولياء الله الورثة للعلم من رسول الله r الذي بهم يقتدي ، وهؤلاء أعز من الكبريت الأحمر قال تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) وقال تعالى : (وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال فيمن عداهم (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (بل أكثرهم لا يعقلون) فإن ظفرت بواحد من أهل العلم من هؤلاء الأقلين فعض عليه بالنواجذ ، وأنت تعرفه بالقرائن المنصوصة في القرآن ، وهو الذي لا يميل إلى الدنيا ن ولا يطمئن بها ، فيكون كبلغم بن باعوراء ، حيث أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ، فيدخل في قوله تعالى : (إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) ومن القرائن لا تجد مثله إلا قليلاً ن والحق واضح ، والحق أحق أن يتبع

وقال رضي الله عنه : في الحديث القدسي . يقول الله تبارك وتعالى : " يا عبادي أعطيتكم فضلاً ، وسألتكم قرضاً ، فمن أعطاني شيئاً مما أعطيته طوعاً عجلت له الخلف في العاجل ، وادخرت له الثواب في الأجل ، ومن أخذت منه شيئاً مما أعطيته كرهاً فصبر واحتسب ، أوجبت له صلاتي ورحمتي وكتبته من المهتدين ، وأبحت له النظر إلى وجهي " فمن فضل الله تعالى على عباده أن من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من نفسه ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن سد على نفسه هذا الباب ولم ينفق شيئاً فتح الله له باباً آخر ، بأن يؤخذ منه كرهاً فإن صبر واحتسب وقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) ومعنى إنا لله أي إن الله خلقنا له كما يشاء لما يشاء ، وإنا إليه راجعون أي تائبون ، فإن هذا أعلى وأرفع ممن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله لأن الله ؛ سبحانه قال في حق مثل هذا (وبشر الصابرين) فكأنه قيل : من هم الصابرون ؟ فقال : (الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) ولم يقل : من الله لأنه محتو لأسماء الرحمة وأسماء الانتقال بل قال : من ربهم لأن الرب اسم من اسماء الرحمة وهو ما تتربى به المخلوقات ، وإضافة الرب إلى الضمير ليدل على القرب والاتصال وأولئك هم المهتدون ، لأنهم صبروا عند

القهر والانزعاج الحاصل عند المصيبة من جهة الطبع البشري ، ومعنى قول أحد الملكين الوارد في الحديث " اللهم أعط منفقاً خلفاً وقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً " هذا المعنى المتقدم ذكره فهو دعاء للمنفق والممسك ، أي فإذا لم يكن منفقاً فيؤجر عليه فأعطه تلفاً ليؤجر عليه أعظم من الأجر على الإنفاق مع الصبر هذا معناه

وقال رضي الله عنه : حين سئل : ما معنى مواقع النجوم ؟ في قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم) أي محال وقوعها من وسط السماء إلى جهة المغرب لأنه لا يهتدي بها ما دامت في وسط السماء ، وإذا كانت كذلك تناسب المقسم به والمقسم عليه ، لأن كليهما هاد ، فالمقسم به هاد للأشباح والمقسم عليه هاد للأرواح ، ثم وصف تعالى هذا القسم بالعظم وذلك لأنه تجلى لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام – فيها ، والشمس والقمر داخلان في هذا القسم أيضاً ، وأي عظيم مثل ما يتجلى فيه الحق جل وعلا ، ثم وصف القرآن بالكرم فقال : إنه لقرأن كريم ، والكريم لا يرد سائلاً ، فمن قصده أغناه فلا يحتاج إلى غيره ولكن لم يفهمه إلا القليل ، ولذا قال تعالى : (لا يسمه إلا المطهرون) أي لا يهتدي إلى فهم معانيه ، ويكشف الحجاب عن وجوه ما فيه إلا المطهرون ، أي الذي طهروا

نفوسهم من أدناس الذنوب ، وجردوها عن الأغيار (تنزيل من رب العالمين) أي أن الله سبحانه وتعالى خاطب عبيده وكلمهم بنفسه ، تعالى لأنه ليس في العالم ولا في الآفاق إلا الله تبارك وتعالى ، فالقرآن كلمته ، والخلق كلمته وهي : كن فإذا امتزجت إحداهما بالأخرى وحصل القبول جاء الخير الكثير وظهر الحق وتدفقت الأنوار بينهما ، ثم قال تعالى : (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) أي تريدون أن تحجبوا الحق بالباطل مع أنه قد ظهر لكم أنه الحق ، والمداهنة هي بين الحق والباطل لأنه جاء في المثل : أن الحق والباطل والمداهنة ركبوا في سفينة ، فجعل الباطل يخرق السفينة فنهاه الحق فقالت المداهنة : دعه فإنما يخرق الجهة التي هو فيها فإن نهى الباطل ومنع وإلا غرق الجميع ، فهم مقرون أنه لا يدخل تحت طوق البشر الإتيان بمثله باطناً ، ومظهرون أنه سحر وأنه شعر وغير ذلك ، فهذه هي المداهنة ثم قال تعالى : (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي أعين تكذيبكم لأن الله سبحانه أمد عباده بالرزق ليعبدوه ، ويصدقوا ما جاء به رسوله ، فجعلوا الرزق عين التكذيب

رضي الله عنه : كيفية في الصلاة على النبي r : يا كامل الذات ، يا جميل الصفات ، يا منتهى الغايات ، يا نور الحق ، يا سراج العوالم ، يا محمد ، يا أحمد ،

يا أبا القاسم ، جل كمالك أن يعبر عنه لسان ، وعز جمالك أن يكون مدركاً لإنسان وتعاظم جلالك أن يخطر في جنان ، صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم ، يا رسول الله ، يا مجلى الكلمات الإلهية الأعظم

وله رضي الله عنه : كيفية في الدعاء : الله عدتي في كل شدة ورخاء ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا

وقال رضي الله عنه : قوله تعالى : (الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) قد تقدم الكلام في أثناء هذه الكراريس على هذه السورة لكن نتكلم – هنا – على قوله يراؤن فالرياء – هنا – على قسمين : أحدهما : الرياء بالعمل لأجل غير الله ، وهذا نوع من الشرك ، الثاني : أن ترى لنفسك أن قد عملت عملاً بصلواتك هذه يقربك إلى الله ، وأنت لم تحضر فيها بقلبك مع الله تعالى ، بل أنت في واد وقلبك في واد فهو لا شئ ، قال الله تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)

وسئل :

رضي الله عنه : عن الوتر إذا نام عنه الإنسان أو نسيه حتى طلع الفجر هل يصليه حين يذكره كالفريضة عملاً بقوله r ما معناه : من فاته حزبه من الليل فقضاه من بعد طلوع الشمس إلى الظهر كتب له وكأنه فعله من الليل ؟

فأجاب :

بأنه يصليه حين يذكره كالفرائض ، لأنه قد ورد في الحديث : أنه واجب قال r : " أوتروا يا أهل والقرآن فمن لم يوتر فليس منا" فهذا أمر ولا يعارضه حديث أفلح إن صدق ، لأن نزول الأحكام باق إلى أن مات r ، وكم من حكم ثبت في آخر الإسلام وليس بثابت في أوله وبالعكس

وسئل :

رضي الله عنه : عن ركعتي الفجر إذا أقيمت الصلاة ولم تصل هل تصلي بعد الفريضة أم تؤخر حتى طلوع الشمس ؟

فأجاب :

أنها تصلى بعد الفريضة ، لأن النبي r حين رأي الرجل يصليها بعد الفريضة قال له : " الفجر أربع "؟ أو معنى هذا قال : لا يا رسول الله ، إنما أقيمت الصلاة ولم أصل ركعتي الفجر فأقره r ولم ينهه

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول النبي r : " إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة "

؟

فأجاب :

أن معناه : إذا أقيمت الصلاة فلا يدخل الإنسان في صلاة غيرها ، فأما إذا كان فيها فيتمها إلا أن يخشى فوت جزء من الفريضة فإنه يخرج منها بتسليمه ولا تبطل ، بل قد تمت صلاة وذلك مراد الله منه ، أما قوله r : " إذا طلع الفجر فلا صلاة إلا ركعتي الفجر " فإنه يتمها إذا كان داخلا فيها إلا أن يخشى فوت جزء من الفريضة فقد دخل في حكم المسألة التي قبل هذه

وقال رضي الله عنه : كل إنسان نفسه طول عمره تطلب شيئاً ، ولا يعرف ما هو ذلك الشئ ، فإذا كان همه الدنيا فلا يزال يطلبها ، ويظن أن مقصوده وطلب نفسه لشئ منها فإذا ناله لم تقنع به ، بل طلبها ذلك باق فيظن أنها تطلب منها شيئاً آخر ، فإذا نالته لم تقنع ثم كذلك إلى مالا نهاية له ، ومن كان همه الرياسة فكذلك لا تطمئن نفسه إلى شئ ولا تقنع به ، وهذا الطلب الحاصل منها هو طلبها الله تعالى ، ولكنها جهلت مقصودها بالفطرة وهي ما خلقت إلا لذلك ، فلما حصلت غير ما خلقت له لم تطمئن إليه ، لأن وضع الشئ في غير محله ظلم ، والظلم باطل ، والباطل زهوق ، قال تعالى : (إن الباطل كان زهوقاً)

ومن حكاياته الغريبة رضي الله عنه : أن رجلاً أقبض رجلاً فلوساً في لحم فلم يرض بمراده من اللحم ، فحلف بطلاق امرأته ثلاثاً لا يترك الجزار حتى يرد له فلوسه بعينها ، فقال الجزار : إني قد خلطتها بفلوسي هذه ، ولم تتميز فلوسك من بينها ، فتخاصما وترافعا إلى الحاكم فلم ير كل حاكم في ذلك إلا وقوع الطلاق ، لأن تميز فلوس الرجل بعينها من بين فلوس كثيرة متعذر فسمع رجل جاهل فجاء إليها فقال : عدوا جميع الفلوس فلما عدوها أمر الجزار أن يعطي الرجل جميع الفلوس التي فلوس الرجل بينه ثم قال للرجل : أعط الجزار مثل

فلوسه هذه من غيرها وحلف رجل – أيضاً – بطلاق امرأته ثلاثاً إن حصل له الغرض أن يعبد الله عبادة لا يشاركه فيها أحد من الناس في وقت استعماله لها ، فكل قاض أفتاه بوقوع الطلاق لأنه من المحال أن يعبد الله بعاده لا يشاركه أحد فيها ، فسمع بذلك رجل صالح فأفتاه بأن يراقب الخلوة في المطاف ويطوف وحده ، فإنها عبادة لا يشاركه فيها أحد من الناس وقت خلو المطاف له

وقال رضي الله عنه : وسئل الإمام ابن دقيق العيد – رحمه الله - : ما معنى قول النبي r : " ولا تفضلوني على يونس بن متى " مع أنه قال r : " أنا سيد ولد آدم " فقال للجماعة الذين سألوه : لا أخبركم حتى تقضوا دين صاحبي هذا ، وكان له صاحب مدين فقضوه عنه ، فقال : المراد من ذلك أن قربي من الله تعالى حين ارتفاعي إلى شجرة المنتهى ، بل إلى العرش ، كقرب يونس حين كان في ظلمات ثلاث ، لا تفاضل بيننا في ذلك وهذا كما في بعض الأحاديث : أن ملكاً جاء من فوق السماوات السبع ، وملكاً جاء من تحت الأرضين السبع ، وملكاً من أقصى المغرب ، وملكاً من أقصى المشرق ، وكلهم يقول جئت من عند الله تعالى

وقال رضي الله عنه : قال رسول الله r : " ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل فيها الناس إلا فتح الله عليه باباً من أبواب الفقر ، وما صبر عبد على مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزا ، والرابعة : لو شئت أقسمت عليها ما ستر الله عبداً في الدنيا إلا ستره في الآخرة " فينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يستره ويكتمه ، ويحدث فيه توبة بينه وبين الله تعالى ، وما أجهل من ستره الله فيتحدث به كالمفتخر ، وذلك كسب ذنب إلى ذنبه

وسئل :

رضي الله عنه : ما معنى قول الله تعالى : (عتل بعد ذلك زنيم) ؟

فأجاب

إن العتل : الغليظ الجافي ، والزنيم : الذي ينتسب إلى قوم وليس منهم ، فمن الناس من ينتسب إلى الإنسانية في الصورة وهو في أخلاق السباع والشياطين ، فهو زنيم

وقال رضي الله عنه : قال رسول الله r لعائشة رضي الله عنها : " إن أردت اللحاق بي فلا تجددي ثوباً حتى ترقعيه ، وإياك ومجالسة الموتى " قالت : يا رسول الله ، من الموتى ؟ قال : " الأغنياء " فسماهم النبي r : موتى ، لأن كل عبد شغلته النعم عن المنعم فهو ميت مدفون في قبر ما هو شاغل له منها ، فحياة النفس ذكر الله تعالى والشغل به عما سواه ، وموتها شغلها بغير الله تعالى ، قال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أي زكاها بذكر الله تعالى ومحبته ، وكلما ازداد ذلك ازدادت حياتها ، ودساها أي دفنها في قبر شهواتها

وقال رضي الله عنه : قال عبد القادر الجيلاني – رحمه الله تعالى - : طلبت الله تعالى من باب الصلاة فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصدقات فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الصوم فوجدت فيه الازدحام ، وطلبته من باب الذل فولجته ، ثم التفت فوجدته خالياً ، فالذل لله تعالى أصل العبادة ، فإن الصلاة عمود الدين ، لأن فيها الخضوع والتذلل وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وذلك أنه وضع وجهه الذي هو أشرف أعضائه وفيه أشرف جوارحه في الأرض الذلول ، وقال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنت أذلة) وقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) إلى قوله : (أعزة على الكافرين)

فنصرهم الله تعالى في يوم بدر وهم أذلاء ، وفي يوم حنين لم أعجبتهم كثرتهم وظنوا العز من أنفسهم ، فقال أحدهم : لن نغلب اليوم من قلة . غلبوا ، قال تعالى في حقهم : (ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) والحال أن القائل منهم ليس من كبار الصحابة ، فعمت المصيبة ، فلا ذل إلا لله ، ولا عز إلا بالله (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) وأما الذل لغير الله فهو تعوذ منه النبي r بقوله : " أعوذ بك من الذل إلا لك " فمن تذلل لربه وخضع له فحق عليه أن يعزه في الدنيا والآخرة ، فالذل هو عين العز ، وأي عز أعظم وأكبر من تذلل العبد لمولاه ، فقد ترى رجلا عزيزاً في ظاهر الأمر وهو عند الله بالعكس ، ورجلاً ذليلاً وهو عند الله عزيز

ففي الحديث أن النبي r قال لأبي ذر رضي الله عنه : " انظر إلى أحقر الناس منظراً في عينك وهو حينئذ في المسجد " فنظر يمينا وشمالاً فوجد رجلاً في ذلة ، عليه ثوب رث ، فقال : هذا يا رسول الله ، فقال له رسول الله r : " انظر يا أبا ذر ، من أعز الناس في نظرك " ؟ فنظر إلى رجل في هيئة ، وعليه حلة ، فقال : هذا يا رسول الله ، فقال : " هذا عند الله – وأشار إلى الحقير – أفضل – عند الله – من ملئ الأرض من مثل هذا " وكلا الرجلين من الصحابة ، وبينهما هذا

التفاوت ، فانظر إلى قدر الذل لله ، والافتقار والاستكانة إليه ، اللهم خلقنا بأخلاق من اصطفيت من عبادك يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : قال الله تبارك وتعالى : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم) فقال : قد أنزلنا لأن سببه المطر الذي أنزل من السماء ، فنبتت به الأشجار التي منها اللباس والكتان ، واستمدت الأنعام منها فنبتت فيها الاصواف التي يتخذ منها اللباس ، ثم قال تعالى : وريشاً وهو الجمال ، وتقويم الخلقة على أحسن حال ، ولباس التقوى فالتقوى : لباس يواري سوأة المعاصي والذنوب التي هي أسوأ وأقبح وأزرى من السوأة المخصوصة ، والثبات لباس يواري السوأة التي هي العورة ، فانظر هل تجد أخزى وأقبح من أن تمشي في السوق عرياناً ؟ فقد تتمنى الموت أو القتل ولا تكون على هذه الحالة ، ولو عرفت وكان لك عقل لرأيت الكشف عن سوأة الذنوب والمعاصي أقبح وأزرى وأخزى لأنه خزي متصل في الدنيا والآخرة . وسوأة العورة : إنما هي في يوم من الأيام تأتي وتتحاشى أن تمر عارياً مرة واحدة

ثم من عصى الله سبحانه وتعالى مكشوف عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين ، فإن الله سبحانه وتعالى يطلع المؤمنين على معاصي الفاسقين وإن تستروا ، قال الله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) هذا في الدنيا وأما في الآخرة فعلى رؤوس الأشهاد ولذلك قال تعالى : (ذلك خير) أي لباس التقوى ذلك من آيات الله أي الإنزال لعلهم يتذكرون ، أي ما خلقوا عليه وهي الفطرة التي فطرهم الله عليها (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما) أي لباس التياب ولباس التقوى ليريهما سوآتهما أي سوأة الورة التي هي أذى ، وسوأة المعصية التي هي أشد وأزرى . ثم حذر تعالى عنه فقال : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) فهو يحرض جنوده وأولاده على إغواء أبناء آدم ليبعدهم عن الله كما أبعده عنه ، ويخرجهم من جنة القرب إلى نار البعد كما أخرجه ؛ لأن المصيبة إذا عمت تكون أهون منها إذا خصت ، فهو يريد أن تعم مصيبة الطرد والإبعاد التي هو فيها لتهون عليه . اللهم أعذنا من الشيطان حتى لا يكون له علينا سلطان

وقال رضي الله عنه : قال رسول الله r : " اتقوا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت " وحقيقة السحر : هو الخيال تظن أن هناك شيئاً ولا شئ ، قال الله

سبحانه وتعالى في حق السحرة : (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وهي لا تسعى بل حبال وعصي ، كذلك الدنيا يظن الرائي لأهل الدنيا والناظر فيهم أنهم في نعيم وفي عز وليس كذلك فإنهم في ذلك ؛ لأنهم ملكوا أنفسهم الدنيا التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وكم في يد الواحد من جميع الخلائق من جناح البعوضة ، وهو – أيضاً – في عذاب لأنه كلما كثرت عليه الدنيا ازداد خوفاً على ذهابها ، وحرصاً عليها ، وهما من كثرة شغلها وغما من تتابع بوائقها وإن كان في الظاهر تراه منعما ، وهذه هي حقيقة السحر ، اللهم اكفنا شرها ، واشغلنا بك عمن سواك بحق محمد r

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (قم الليل إلا قليلاً) أي قليلاً من الليالي مثل ليلة مزدلفة ، وبعض ليالي الأسفار والمرض ، إذ لو كان الاستثناء عائداً إلى الليل أي إلا قليلاً منه لوجب على النبي r قيام أكثر الليل إلا قليلاً منه وليس كذلك (ﷺ 1 ﵁) بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية . فقوله : (نصفه) من المجمل لقوله : من الليل نصفه أو انقص منه قليلاً الثلث أو ما بينهما ، أو زد عليه على النصف قليلاً حال من النقص والزيادة المنسوخ هو التقرير (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) فرفع الحرج بنسخ التقرير وفي كل ذلك قد امتثلت أمرنا

حيث قلنا : ثم الليل نصفه . الخ . فقلنا : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) على قراءة الفتح ، وعلى الأخرى أدنى من ثلثي الليل وأدنى من نصفه بتقديره ، ثم قوله تعالى : (علم أن سيكون منكم مرضى) مفسرة أن الاستثناء إنما هو لقليل من الليالي فهو مرفوع عن المريض والمسافر أ . هـ

وقال رضي الله عنه : آسية بنت مزاحم التي وصفها رسول الله r بالكمال حيث قال : " كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : آسية ، ومريم ابنة عمران ، وفاطمة " الحديث . وحكى الله تعالى عنها حيث قال : (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) لم يشغلها عن الله تعالى ما هي فيه من النعيم الدنيوي : من الملبوس ، والمطعوم ، والمشروب ، وأصناف التحف ، وأنواع الخدم ، ولم يشغلها – أيضاً – أذى فرعون وحزبه ، بل بقيت واقفة في الباب مع أنها مؤدية ما يجب عليها لزوجها ، وهذا أعظم مراتب الصبر ، ثم من قوة رسوخ الإيمان في قلبها ، ومحبة الله تعالى قدمت الجار قبل الدار ، فقالت : (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) ومقام الصبر عند الله عظيم ولذا قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والأجر الذي بغير حساب هو تجلي الله

سبحانه وتعالى لهم لأنهم لا يبغون سواه ، ولا يريدون إلا إياه ،وامرأة فرعون لما كانت في أعلى مراتب الصبر كان أجرها ما أعد الله للصابرين ، ثم زادها بأن جعلها زوجاً لرسول الله r في الجنة

وقال رضي الله عنه : قال الله سبحانه وتعالى :(يا أيها الذين آمنوا اجتنوبا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم) ومن الظن الذي أمرنا الله تعالى أن نجتنبه أن نظن بالله غير ما يليق بجلاله جل وعلا ، ففي الحديث أ، رجلاً جاء إلى النبي r يسأله عن سعة رحمة الله ، فلما رآه النبي r قال له – قبل أن يسأله : جئت تسألني عن سعة رحمة الله تعالى ؟ وأخبرك بقول الله عز وجل : " لو كنت معجلاً العقوبة أو كانت العجلة من شأني ، لعجلت للقانطين من رحمتي يذنب أحدهم ذنباً فيستعظمه في جنب عفوي ، فلو لم أذكر لعبادي إلا خوفهم من الوقوف بين يدي ، لشكرت لهم ذلك فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما خافوا " (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً) لأن التجسس لأجل الإطلاع على العيب منشؤه ظن السوء ، وإذا ظننت السوء بالخلق فقد ظننت السوء بالخالق ، ثم قال تعالى :(ولا يغتب بعضكم بعضا)

والغيبة هي من ظن السوء أيضاً ، ألم تعلم أن لله سبحانه وتعالى في كل شئ حكمة ؟ وأنه لولا ذنوب عبيده لما ظهر سر الغفار ، وفي الحديث : " الغيبة أشد من الزنا " وفي حديث آخر : " أشد من ستة وثلاثين زنية في الإسلام " وفي الحديث : أن رسول الله r قام خطيباً فسمعه جميع الناس حتى الأبكار في خدورهن قائلاً : " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن الغيبة أيضاً أن تذكر أخاك المسلم فتصفه بعيب فيه كأن تقول : فلان الأعور أو غير ذلك فإن ذلك من الله تعالى ، ومن عاب صنعة فقد عاب صانعها ، فإن بعض الصالحين وصف رجلاً بغدة كانت في حلقه ، فقال الحق تعالى له في سره : " لا تعرف عبادي إلا بما ابتليهم به لأميتنك بها " فكانت سبب موته

وسئل :

رضي الله عنه : عن الحديث : " ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم المجاهر بالفسق ، والمبتدع ، والإمام الجائر " ؟

فأجاب :

فقال : المراد لا يتخذ الناس أعراضهم فاكهة يتفكهون بها ، ولكن إذا أحوج الحال إلى ذلك كأن يستشيرك المستشير فتقول له مثلاً : لا تزوج فلاناً ، فإن بحث وراجعك : لأي شئ ؟ أشرت عليه أن لا يزوجه فتقول : هو يفعل كذا ، كقول النبي r حين استشارته امرأة من الصحابة أن قد خطبها فلان وفلان ، فقال r : " أما فلان فصعلوك ، وأما فلان فإنه لا يضع عصاه عن عاتقيه " فالغيبة أمرها عظيم ، فإن عائشة – أم المؤمنين رضي الله عنها – قالت للنبي r : ما أحسن صفية ، لولا أنها كذا ، ووضعت السبابة على مفصل الإبهام تعني أنها قصيرة ، فقال لها النبي r : " لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته "

وقال رضي الله عنه : قال عقبة بن عامر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : " أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك "

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (هدى للمتقين الذي يؤمنون بالغيب) والذين يؤمنون بالغيب هم قسمان : فقسم غائبون عن مشاهدة الحق تعالى ، مشاهدون لآياته ، فهم يستدلون عليه بآياته تعالى ، ويؤمنون به غيبا ، وقسم غائبون عن الخلق ، مشاهدون للحق ، فهم يستدلون به على آياته ، ويؤمنون بآياته

غيبا وقد جمعهما قول بعضهم : إذا كشفت فلا غير ، وإن سترت فكل شئ غير ، ورابعة العدوية – رحمها الله تعالى – لما قيل لها : هنا عالم له على الله ألف دليل فقالت : ومتى غاب حتى يستدل عليه ، وذلك لأن من أسمائه تعالى النور والنور يستدل به ولا يستدل عليه ، وإنما هو سبحانه وتعالى يظهر أثر أسمائه في خلقه ، فيتجلى لبعضهم باسم الظاهر ولبعضهم باسم الباطن وقال تعالى :(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) والحق هو الله تعالى فالذين يشهدونه تعالى هم المحسنون الذين قال في حقهم الصادق المصدوق لجبريل عليه السلام لما سأله : ما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه " والقسم الآخر : قوله – أيضاً - : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ولهذا الحديث معنى آخر عكس هذا التفسير ، وهو قوله r : " أن تعبد الله كأنك تراه " أتى بكاف التشبيه – هنا – ثم قال : فإن لم تكن أي لم تكن شيئاً بل فنيت بشريتك ، وجواب الشرط قوله : تراه فإنه يراك ، فالأول من أعلى إلى أجنى والآخر من أدنى إلى أعلى فافهم

وقال رضي الله عنه : في التوكل هو : إسقاط التدبير قال رسول الله r : " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كم ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً " فقال

بعض الحاضرين : بسبب أم بلا سبب ؟ فقال : وأي سبب أعظم من التقوى والإيمان ؟ قال تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فمن اتقى الله تعالى كان له الجار اللصيق ؛ لأن قد أحبه الله ، قال الله تعالى : (إن الله يحب المتقين) ومن أحبه فقد صار سمعه . الخ . ثم إن جميع عباد الله ضيوفه لأنهم وصلوا من سفر الإرادة إلى مقام الوجود ، فكيف يضيع الله تعالى عبيده وجيرانه وأضيافه ؟ حاشاه تبارك وتعالى : لو كان إنسان بهذه الصفات عند ملك من ملوك الأرض لأكرمه غاية الإكرام ، فكيف بملك الملوك ؟

قيل : إن الحجاج – وفيه من الجراءة مالا يخفى – أمر بتنقل رجل ، فقال الرجل : لك ذلك وإنما أريد منك شيئاً ، وما أظنك إلا تفعله ، قال : وما هو ؟ قال : تضع يدك في يدي ، ثم تدور بي في عسكرك ، ففعل ذلك ، فلما فرغ قال له : أتقتلني وقد ثبت لي معك حق الصحبة التي وصى بها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : (والصاحب بالجنب) ؟ فأطلقه الحجاج . وقال : إن شئت أن تبقى مكرماً ، وإن شئت أن تذهب مجازاً ، فاختار الذهاب فأجازه وأعطاه ، فتعالى الله أن لا

يكرم ضيفانه ، وحاشاه أن يضيع حقوق جيرانه ، وتنزه أن لا يكفى عبيده ، ولكن اتكل العبد على نفسه ، وقطع الأسباب التي بينه وبني سيده ، وتشبث بأسباب جعلها بينه وبين نفسه ، فوكله الله إلى نفسه ، وهو يناديه في كل حالة بلسان القرآن ، وبلسان كل آية من آياته تعالى : آيات الآفاق ، وآيات الأنفس : أن ارجع إلينا نكفك كل مؤنة ، ونصلك بخير الدارين ، فيأبى إلا الاتكال على نفسه وهواه ، فهو الضار لنفسه ، الواقع ف حفرته ، والله المستعان

وقال رضي الله عنه : قال تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) ففي كل ليلة ونهار يموت كل إنسان ويحيا (ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى) بسبب مرور الليالي والأيام يأتي الأجل المسمى (ثم إليه مرجعكم) هنا غاية التشويق لعباده وهو رجوعهم إليه فإنهم في الدنيا في غربة ، والرجوع إلى الوطن رجوعهم إلى ربهم ، وحب الوطن من الإيمان (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) أي ينبئكم بنطق جوارحكم وأعضائكم التي كنتم تملون بها الخير والشر ، وهو معنى قوله تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) لكنه قال عليهم لا لهم ، وذلك لأن الشهادة لا تكون إلا على من أنكر ولا ينكر حينئذ إلا المسيئون سيئاتهم ، فتشهد عليهم ، وأما المحسنون فلا حاجة إلى

شهادتها لهم ، فكانت الآية وهي قوله : (يوم تشهد عليهم) إلى آخرها آية وعيد ، ثم قال تعالى بعد قوله : (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده) أي شهدت أعضاؤكم وجوارحكم عليكم قهراً وإلا فهي أجزاء منكم تعذب بعذابكم ، ولذا يقولون : (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) فهو تعالى ينبئهم لكن بجوارحهم وأعضائهم فهو كقوله تعالى : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)

وقال رضي الله عنه : قال الله تبارك وتعالى : (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً) لهذه الآية ثلاثة أوجه : الوجه الأول : شهادة الزور كأن يشهد الإنسان في إبطال حق ، أو في إحقاق باطل . الوجه الثاني : أن يشهد الإنسان مشاهد الزور أي يجلس مع قوم يفعلون الزور إما بارتكاب معصية ، أو بهتك حرمة ، أو بعمل بدعة ، قال الله تعالى : (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) ولذا قال تعالى : (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) واللغو : هو الكلام فيما لا يعني ، والخوض في غير ما خلق الإنسان له ، فوصفهم الله بالكرام ، أي تكرموا بنفوسهم لله فلا يخدمون بها إلا الله ، ولا يضعونها إلا فيما يرضى الله ، ولا يكون تصرفهم إلا بالله لله ، وقد جادوا بنفوسهم في سبيل الله ، ولذا وصفهم الله

تعالى بالكرم . الوجه الثالث : أنهم الذين لا يشهدون الزور أي لا يشهدون إلا الله تعالى ، فإن ما سواه زور ألا كل شئ ما خلا الله باطل قال الشاعر :

تخذتك وجها والأنام بطانة فأنجمهم غاب وشمسك طالع

وهؤلاء أعلى درجة لأنهم لم يشهدوا غير الله ، فهم لا يرون زوراً أبداً ، وإذا مروا باللغو فهم لا يرونه لأنهم مستغرقون في ذات الله وصفاته ، ولا يرون غيره ، قال تعالى : (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) وقال في آية أخرى : (وهو الله في السماوات وفي الأرض) وهؤلاء هم الأولياء الذين يدفع الله بهم عن أهل الأرض : إما بأن يطلعهم الله تعالى على غضبه على العاصين فيتشفعون ، فيقبل شفاعتهم ، وإما أن ينظر إليهم فيسكن غضبه . قال رسول الله r : " لولا شيوخ ركع ، وبهائم رتع ، وأطفال رضع ، لصب عليكم العذاب صبا " وفي الحديث القدسي قال الله تعالى : " إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي ، جعلت نعيمه ولذته في ذكرى عشقني وعشقته ، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وصرت () معالماً بين عينيه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك الأبطال

حقاً ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فرفعت ذلك عنهم " قال الشاعر :

وإياك جزعاً لا يهو لك أمرها فما نالها إلا الشجاع المقارع

وقال رضي الله عنه : أنعم الله تعالى على عبيده بجميع النعم التي لا تحصيها الأقلام ، ولا تتسع لها الدفاتر التي تذهب دون حصرها الأعمار ، ويترك الأول للآخر ليتقربوا إليه بشكرها ، فيظهر لهم بقربة جواهر سرها ، ويسلط سبحانه عليهم المصائب والدواهي ليفروا إليه منها ، قال تعالى :(فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فمن الناس من ينقاد إلى الله بنعمه ، ومنهم من يساق إليه تعالى بسياط عذابه ونقمه ، ومنهم من لا تؤثر فيه المروءة فلا ينقاد بالنعم إلى ربه ولا يخاف من نقمه فيفر إليه ليؤمنه بقربه ، فما أقسى من هذا حاله ؟ وما أجفى وأسوأ من كالحمر والمستنفرة ؟ مثاله يريد الحق جل جلاله أن يقربه منه لينيله ما أعد له من خصائص قربه ، ويتحفه بموارد صفائه وحبه ،

فيأبى إلا الفرار منه إلى النار . اللهم إنا نسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربنا إليك يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما في السماوات وما في الأرض لبني آدم ، فملكه تعالى هو لهم لأنه غني عن ملكه ، وهم المنتفعون به ، فهو لهم باعتبار منافعه ، وهو له تعالى باعتبار أنه خلقه وكونه وتولى ما فيه مما لم يقدر الإنسان على توليه : من إمساك السماء أن تقع على الأرض ، وحفظ السماء بالنجوم لئلا تلبس الشياطين عليه دينه ، وإيجاد جميع ملكه من العدم ، فعلى الجملة هو في منفعة بني فالإنسان ملك الله له ، حتى الملائكة الموكلين برزقه والملائكة الذين حول العرش (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) إلى آخر الآية ، فليته لو علم بقدر هذا الرب العظيم الكريم الذي خلق كل شئ له ، وجعله خليفة ملكاً ، وما قدروا الله حق قدره ، سبحانه وتعالى يحب أن يقرب عبده منه فحباه بجميع النعم ، حتى أنه ملكه وهو غني عنه وعن قربه منه بجميع النعم ، حتى أنه ملكه وهو غني عنه وعن قربه منه ، والخير كل الخير ، ورأس السعادة ، وملك الدارين للعبد إذا قرب من الله تعالى ، ثم ليس في قربه من ربه تعالى مشقة ولا كلفة (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (فاتقوا الله ما استطعتم – وما جعل عليكم

في الدين من حرج) فما أيسر هذه الأسباب الموصلة على ملك الدارين ، وما أوضح هذه الطريق المستغني سالكها عن الكيف والأين ، ولكنها عميت القلوب فخاضت من المهالك في بحور (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

فإن كنت – أيها العبد – لا تعلم أن ملك الله لك ، وإن من أجلك بسط الأرض ورفع السماء وأدار الفلك ، فانظر إلى القرآن وتدبر آياته ، ينبئك بأسراره في موضح بيناته قال تعالى (والله جعل لكم الأرض بساطاً) وقال تعالى : (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) وقال تعالى : (أو لم أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون) وقال تعالى : (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) والآيات في هذا المعنى بها القرآن طافح ، وفي الحديث القدسي : " يا ابن آدم خلقت كل شئ من أجلك وخلقتك من أجلي " فسبحانه ما أكرمه أعطى عبده جميع ملكه ابتداء ، ويعطيه ملكه الدائم إذا أتى شكر النعم بالامتثال لما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه ابتداء وانتهاء ، فأي كرم مثل هذا الكرم وأي جود مثل هذا الجود ، فسبحان الكريم الجواد لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه أنيب

وقال رضي الله عنه : إذا اتقى الإنسان صار إبليس الذي هو عدوه من نعم الله تعالى عليه ، الا ترى أن الجهاد في سبيل الله لولا وجود العدو لما وجد ، ولما كانت الشهادة ؟ فهذا العدو الأعظم مجاهدته هي أعظم المجاهدات ، ومجاهدته معاكسته ، ومن جاهده حتى مات فقد مات شهيداً في سبيل الله ، أكبر من الشهادة في الجهاد الظاهر لأنه في الجهاد الأكبر الذي قال فيه رسول الله r : " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" فلولا وجود إبليس مانيلت هذه الدرجة العظمى قال الله تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فبسبب ذلك المس كان التذكر لله تعالى ، وهذه نعمة عظيمة أن يكون مس طائف سبب التذكر لله تعالى ، فإذا بلغ الإنسان رتبة التقوى صارت أعداؤه من نعم الله عليه ، ويشكر الله عليها لأن بسببها اتسعت له أبواب الخير ، اللهم اجعلنا من المتقين يا ارحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كهيئة الميزان ، كل عضو منه في يمينه يعدل عضواً في يساره ، وكذلك الجوارح فاليد اليمنى ف مقابلة اليد اليسرى ، وكذلك الرجل ، ومن الجوارح : الأذن في مقابلة الأذن ،

وكذلك العينان ، ولسانه شكوته متوسطة بين كفاف الأعضاء والجوارح ، والحكمة في ذلك أن لا يتكلم الإنسان بكلمة إلا بعد أن يزنها بميزان الشرع ، فإنه لا تعرف معادلة الكفاف إلا في الشوكة ، فيزن الكلمة إن كانت ترضى الله سبحانه وتعالى ، لأنه لابد أن يسأله عنها (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) تكلم بها وذلك كأن يكون ناهياً عن منكر ، أو آمراً بمعروف ، أو هادياً لضال أو غير ذلك ، فإذا سأله الله تعالى عنها أجاب بما يخلصه من التوبيخ والتبكيت ، وإن كانت الكلمة إذا سئل عنها بين يدي الله تعالى لا يقدر أن يتخلص من التوبيخ عليها فلا يتكلم بها ، ففي الحديث : لما سئل رسول الله r : هل يحاسب الناس على أقوالهم ؟ قال : " ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم " وقال رسول الله r : لما أوصى رجلاً : " لا تكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى تورث قسوة القلب ، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي "

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي إنما يغتر بها الذي لا عقل له ، كالمسحور حين يغتر بالسحر ، ويظنه شيئاً وهو لا شئ ، فجميع

ما في الدنيا إنما هو وهم كالسراب اسم ولا مسمى له (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقال رسول الله r : " الدنيا دار ممر ، وليست دار مقر ، فاعبروها ولا تعمروها " فترى طالب الدنيا ظمآن لها ، فكلما رأى منها شيئاً توهم أن ذلك هو الغرض المقصود فيقصده فلا يشفى غليله ، فيبدو له شئ غيره فيقصده ، وهلم جرا . إلى ما لا نهاية له ، اللهم أنا نسألك العافية والسلامة . ألا ترى أن الملك يكنز الكنوز ، ويخزن الأموال ، ظاناً أن هناك فائدة ومنفعة وليس هناك شئ ، فإنه يكفيه من ذلك جميعه ما يكفي الفقير ، وهي أكلة وشربه من ماء ، وربما لا ينهضم ما في بطنه إلا وقد أتاه الموت ، وإنما يحمله على ذلك الأمل الكاذب الذي قال تعالى فيه : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل) وقال تعالى ؛ (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثر منهم فاسقون)

ولو عرف مقدار الدنيا وأنها سريعة الزوال ، لما بنى البنيان ولا جمع الأموال ، قال رسول الله r : " إنما الدنيا كابن سبيل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها " وقال رسول الله r : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " فسماه : أحمق وفي بعض الروايات : عاجز

، فإن نال ما تمنى أتبع نفسه هواها ، وبنى البنيان ، واستكبر ومنه مال الله عز وجل عن أهله ، وإن لم ينل ما تمنى فهو مصر على القبيح ، ولكن هو أهون من الأول . من العصمة أن لا تجد ، وأما من نالت نفسه ما تمنت ، وأتبع هواها فذلك مكر من الله واستدراج ، نسأل الله العافية والسلامة . وقال سيدنا ومولانا رسول اللهr يوماً لأصحابه : " استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : يا رسول الله إنا نستحي من الله والحمد لله ، قال : ليس ذاكم ، إنما الحياء من الله حق الحياء : أن تحفظوا الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولا تنسوا المقابر والبلى ، ولا تجمعوا مالاً تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تأملوا مالا تدركون " فهذا الحديث جامع مانع من تمسك به نال كنز الدارين .

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي إنما أنتم في سفر فتزودوا فيه فإن من لم يتزود لسفره نال المشاق ، وندم على عدم التزود ثم قال : (واتقون يا أولي الألباب) أي أولو الألباب لا يرغبون ولا يسعون إلا في لباب الأمور ، ولب جميع الكون وسره هو الله تعالى ، فألو الألباب لا يركنون إلى عملهم ،ولا يتقون النار ولا يرغبون إلى الجنة بل ما مطلوبهم سوى محبوبهم ، وقع لبعض العارفين حال مع الله ، فقال له الحق تعالى : سلني من فضلي ما شئت

أعطك ، قال : يا رب ، أنت أحسن من فضلك لا تغرني بفضلك عنك فأطلب سواك ، وهؤلاء من رفع الله هممهم ، فلا يأخذون من كل شئ إلا سنامه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم) فقوله : (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني لا تشغلوا نفوسكم بغيري ، وهو عام في هذا الحكم وغيره ، فهو حاسم لمادة الأمل من كل شئ إذا بلغ الكتاب أجله ن فهو يأتي إليك فلا تشغل قلبك الذي لا ينبغي أن يشتغل إلا بالله بشئ من أمور الدنيا ، لأن ما قسم لك لابد يأتيك ولذا قال : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي مجرد الوسوسة والخواطر التي تخطر من أجل شئ مستقبل قد يكون وقد لا يكون ، هو يعلمها سبحانه وتعالى فاحذروه ولا تشغلوا نفوسكم بغيره ، ثم قال : (واعلموا أن الله غفور حليم) فالغفران لا يكون إلا من الذنب ، والبشر ضعيف لا تخلوا منه الخواطر ، ولكن إذا تنبه لنفسه وتاب من

ذلك الخاطر فالله غفور حليم ، أي لا يعجل العقوبة بل يمهل ، عسى أن تحصل منكم توبة ، فيبدل الله سيئاتكم حسنات

ثم قال رضي الله عنه : جميع سعي الإنسان للدنيا في صعوبة وعسر ، فلا يحصل له ما يريد إلا بمشقة ، وقد لا يحصل ما يريد كأن يركب الإنسان الأخطار ، ويركب البحار لكي يصيب شيئاً من الدنيا ، فقد يحصل وقد لا يحصل ، ويبنى بنياناً فلا يحصل له ما يريد إلا بتعب ونصب وخسارة ، وجميع سي الإنسان للآخرة سهل لا عسر فيه ولا مشقة ، ينال الإنسان رياضاً وأشجاراً وأنهاراً ، كل ورقة من ورق الشجر مسيرة عشرين عاماً ، بقوله : " سبحان الله والحمد لله ، ولا إله غلا الله والله أكبر " وتبنى له القصور التي لا تخرب ولا تبلى بكلمة خير يقولها ، أو بصلاة في ظل ، استظل عيسى عليه الصلاة والسلام في ظل خيمة عجوز ، فخرجت وطردته ، فبكى فأوحى الله إليه / إني سأزوجك بكذا وكذا من الحور ، ولأولمن عليك ألف سنة ، أي أن هذا جميعه في مقابلة طرد العجوز له ، فما أيسر العمل للآخرة وما أعسر أعمال الدنيا ، والحمد لله رب العالمين

____

____

(ﷺ1ﷺ) قوله : بدليل الخ هكذا في الأصل وانظر ا هـ مصححه

الفصل السادس : الصلاة الوسطى

وقال رضي الله عنه : الجملة المعترضة التي في أثناء هذه الآيات ، وهي قوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) أي مقبلين على الله تعالى بجميعكم وبقلوبكم ، لا أنكم تقومون أشباحاً وقلوبكم مشغولة بغيره (فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً) أي لا تغفلوا عن الله تعالى ، ولا تشتغلوا بغيره ، ولو في حالخوفكم (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) وهو ما علمكم بكتابه وبسنة رسوله لا غير . ثم رجع إلى حكم الزوجة المتوفى عنها بقوله : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) لحكمة في توسط جملة الصلاة أي لا تشتغلوا بغيرنا ولا تشغلوا أوقاتكم في الأحكام الدنيوية ، بل أدوا لها حقها الذي لابد منه ، ثم عودوا إلينا فتكون صفتكم كصفة ترتيب القرآن ، فإنا لم نستتم حكم

المتوفي عنها حتى دعوناكم إلينا ثم عدنا لتمامه ، فانظر إلى الحكمة في الترتيب . لا إله إلا الله ما أبلغ كلامه ، وما أحكمه سبحانه وتعالى

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى :(وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم) وكذلك ما تحرك ولكن أتى بما سكن لأنه الأولى بالذكر ، لأنه بمعنى الذي سكن لله ، وهو الذي لا يتحرك إلى سبب من الأسباب ، بل هو ساكن لا يميل ولا يتحرك إلا لله ، فهو مثل قوله تعالى :(ألا لله الدين الخالص) فالساكن من بني أدم : هو الذي سماه النبي r : المسكين فقال : " اللهم أحيني مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين" وهم القانتون الذين أمرهم بالقنوت الحق تبارك وتعالى حيث قال :(وقوموا لله قانتين) ساكنين لله ، وقال تعالى لمريم عليها السلام :(يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) فقال اقنتي اسكني فإنها كانت تقع عليها الطيور وهي قائمة لسكونها فيه حتى لا تتحرك ن فتظن الطيور أنها جماد ، فمن لم يدبر له أمراً بل أسقط التدبير فقد سكن إلى الله وصار لله

وهذا المقام هو الذي أوصى به لقمان ولده حيث قال : (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) أي مثقال حبة من رزقك لأن التدبير والاهتمام إنما يكونان في الغالب من الرزق ، فحرضه على ترك التدبير في الرزق بقوله : (إن تك مثقال حبة من خردل) أي من رزقك فتكن في صخرة والصخرة لا يتوصل إلى إخراج ما في جوفها بتدبير ولا بحيلة ، أو في السماوات كذلك فلا يعرج إليها بسلم ولا بغيره من الحيل ، أو في الأرض أي في جملة الأرض فكيف يمكن أن تلقى حبة خردل بعينها مخبوأة في جملة الأرض ، وأما باطنها فلا سبيل لك إليه ، وهي إذا كانت كذلك وقد قسمت من رزقك أتى بها الله ، فهل بقى لتدبيرك فائدة أو ثرمة ؟ إنما أنت تشغل نفسك في صلاتك بشئ لا فائدة فيه ابداً ، بل هو الخسران العظيم ، وهو أنك تضيع صلاتك بشئ لا منفعة فيه ولا فائدة ، ولذا قال الله تعالى على لسان الحكيم لقمان في وصيته لولده ، بعد تحريضه على إسقاط التدبير : (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف) والمعروف : هو الله سبحانه وتعالى فأمر به له ، وانه عن المنكر ، والمنكر : هو ما سوى الله تعالى . ألا كل شئ ما خلا الله باطل

وطالب غير الله في الكون كله كطالب ماء من سراب بقيعة

ثم قال : (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) وذلك لأن من كانت هذه صفته لابد أن يؤذي ، قال الله تعالى : (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) فهذه وصية لقمان لولده وهي مثل قوله تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) هذا حصر ، ثم قال تعالى : (ما أريد منهم من رزق) أي لأنفسهم ، وما أريد أن يطعمون بل الله يطعم ولا يطعم ، ثم قال تعالى : إن الله ، هذا تأكيد ، وأتى بالجلالة الحاوية لجميع الأسماء ، ثم أتى بالضمير المنفصل الذي هو للفصل للتأكيد ، ثم قال الرزاق فأتى بصيغة المبالغة ، ذو القوة أي ليست القوة إلا له ، المتين ، فهذا تحريض على إسقاط التدبير وأتى بهذه الصفات وهذه التأكيدات لتتوغل في ذهن السامع ، فيفر من تدبيره كفراره من الأسد ، ويعظم عليه فيتوب منه ، فهو مثل قوله تعالى خطابا لامرأتي رسول الله r حفصة وعائشة رضي الله عنهما : (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) وذلك ليكون

تحذيراً وتهديداً لهما ، فلا يعودان إلى مثل ما جرى منهما ، وفي هذا إشارة إلى ما أقر الله سبحانه من قول العزيز ، حيث قال حاكياً عنه : (إن كيدكن عظيم)

ثم قال رضي الله عنه : فاستسلم لمولاك ، واعلم أن ما قد قسمه لك لابد يأتيك حتى لو أردت أن تمنعه عنك لما قدرت ، وأد ما أمرك سبحانه وتعالى به على الوجه الذي يرضيه ، ودع عنك جميع ما سواه ، واشتغل بمولاك ، فإنك إذا اشتغلت به كفاك ، وإياك أن تركن إلى سواه ، فكم وقع في شباك الردى من ركن إلى غير الله ، والحمد لله رب العالمين

وقال رضي الله عنه : سيدنا محمد r أخذ من كل شئ سنامه ، فمن ذلك أنه قال r : " لكل نبي حرفة وحرفتي الفقر والجهاد" فالجهاد أعظم الحرف وأغلاها ، ورأس المعالي وذروة الكمال ، ثم إنه خير r بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فاختار أن يكون نبياً عبداً ، وذلك أنه إذا كان نبياً عبداً في الظاهر فهو في الباطن نبي ملك ، لأنه ليس لشئ عليه سلطان سوى الله سبحانه وتعالى ، ومن كان ملكاً في الظاهر فهو في الباطن عبد ، ، لأن كل شئ يملكه يصير له عليه حق ، ولصاحب الحق مقال . كما قال r . ثم حين خيره جبريل بين شرب القدح الخمر

، والقدح اللبن ، فاختار اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : أصبت الفطرة فالرسول r ما اختار من كل شئ إلا أحسنه ، وذلك بقدر ما أعطاه الله من العقل فسبحان المانح

وقال رضي الله عنه : يبشر الله عباده المؤمنين تارة بواسطة الرسول r ، كقوله r في أهل بدر : " لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم " وهو لأهل بدر ومن شاء من أوليائه ، قال تعالى : (أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) وذلك أن العبد إذا قوي إيمانه حتى بلغ إلى محبة الله ، وإذا أحبه صار سمعه الذي يسمع به إلى آخر الحديث ، فقد صارت تصرفاته لله ، فيعمل ما شاء ، لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولذا يقول الله تعالى لأهل الجنة في الجنة : " أنا أفعل ما شاء وأحكم ما أريد ، وأنتم الآن افعلوا ما شئتم " وأولياء الله هم في الدنيا مع الله كما يكونون في الآخرة ، وتارة يبشرهم الله بواسطة ملك كقوله : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من

غفور رحيم) وتارة يبشرهم الله تعالى بلا واسطة كقوله تعالى :(يا عابد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

فمن أحبه الله سبحانه وتعالى صار سمعه الذي يسمع به ، فهو على هذه الحالات والبشارات من الدنيا لأنه قد انمحت ظلمة بشريته بنور الله تعالى ، وانمحقت ذاته تحت ذات الله فلا يبصر إلا بالله ، ولا يسمع إلا بالله ، ولا يمشي إلا بالله ولا يبطش إلا بالله ، وبين مقام الربوبية والعبودية برزخ كبرزخ البحرين قال الله :(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) وهذا كله فضل من الله تعالى ، فإن الله قادر على كل شئ ، وعطاؤه لا يقاس بمقياس ، ولا يدخل تحت ضبط ، فإن الملك لم يصر ملكاً إلا بفضل الله وكرمه ، أرأيته هل جعل نفسه ملكاً ؟ ولو عبد الله من قبل كل شئ إلى بعد كل شئ لما نال مقام الملائكة

كذلك النبي لم ينل مقام النبوة إلا فضلاً من الله وكرماً ، فإن النبي والملك قبل وجودهما لم يختارا هذين المقامين ، وبعد وجودهما لو لم يخلقهما كذلك ويؤهلهما لذلك لما خطر على قلبهما أن يصير أحدهما ملكا والآخر نبياً ، بل فضل الله – سبحانه وتعالى – واسع لا ينحصر ولا ينضبط ، كذلك أولياء الله يمنحهم

مالا يخطر على قلوبهم ، ولا يسلك في مجال عقولهم ، ولا يتصور الشئ الذي صاروا إليه إلا بعد حصوله ، فإن أحمد ابن هارون المكني بالسبتي ، رآه بعض الصالحين في المطاف وإذا هو يمشي بين الرجلين ولا يفرقهما فرصده حتى أمسكه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا أحمد السبتي ، فقال له : من كان قطب وقتك ؟ قال له : أنا ، قال : كذا أخبرت ، قال : صدق من أخبرك . وبعضهم ربما جاء بروحه ملك وهو في صورته فيحضر في موقف بينه وبينه سنة أو أكثر ، ولا يعرف أنه ملك إلا إذا مشى في الشمس أو في القمر ، فليس له ظل ، وعلى الجملة فإن للقوم عجائب وخرق عادات لا تضبطها الأقلام ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا يسع العبد إلا الإيمان لأن من لم يصدق فقد دخل بسعة فضل الله وخيره وقدره ، وفي الحديث عن الرسول r : " من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها"

وسئل :

رضي الله عنه عن : علم الكلام ؟

فأجاب :

فقال : هؤلاء قوم آمنوا بالله على ما فهموا ، وأهل الله قوم آمنوا بالله كما يعلمه لنفسه ، وفرقان بين الفريقين فإن من آمن بالله كما يعلمه الله لنفسه يجعل عقله وراء إيمانه ، فيؤمن سواء قبله عقله أو لم يقبله ، فمن آمن هذا الإيمان عرفه الله ما لم يعرفه بنقل ولا بعقل ، وأما من لم يؤمن إلا بما فهمه هذا وقوف عند الحروف ، وبسببه وضعوا علم الكلام الذي لم يرشد إليه كتاب ولا سنة ، ولم يسلكه صحابي ، فألفوا تأليفات ، وحصروا الصفات ، تعالى علواً كبيراً . وهذا هو الذي نزه الله تعالى نفسه عنه بقوله : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) لأنهم وصفوا الله بما لم يصف به نفسه ، فهذه من أعظم المهالك ، وأخطر المعاطب ، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ويظنون أنه علم ، وإن العلماء به داخلون في أن " العلماء ورثة الأنبياء " فهم أعظم خطرا من الذين يفعلون المعاصي ، عارفين ومقرين بأنها معاص . رأى بعض الصالحين رسول الله r ، فسأله عن ابن سينا ، وعن الفخر الرازي ، فقال له : أما ابن سينا فأراد أن يأتينا من غير بابنا فرددناه ، وأما الفخر الرازي فإنه رجل معاتب مع أن الفخر الرازي رجع عن هذا المسلك وتاب منه بقوله :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من علمنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وفي بعض الأيام كان جالسا بين أصحابه فبكى طويلاً ، فسألوه عن بكائه ، فقال : دليل كنت أعتقده في الله تبارك وتعالى منذ زمان ، فظهر لي بطلانه مثل الشمس ، وما يدريني لعلي في جميع اعتقاداتي كلها هكذا ، فإذا آمن الإنسان بالله تعالى إيمانا صادقا عرفه ، وإذا عرفه خافه وخشيه ، قال تعالى :(إنما يخشى الله من عباده العلماء) ألا ترى إلى الصحابة – رضي الله عنهم – لما آمنوا بالله تعالى إيمانا صادقاً ، وآمنوا برسوله r لم يتكلوا على عقولهم في شئ ، بل آمنوا بما جاء به رسول الله r قبلته عقولهم ولم تقبله ، فإن القبلة كانت في صدر الإسلام إلى بيت المقدس بقوله r لهم وفعلوه ، ثم لما تحولت تحول r وتحولوا معه ، ولم يستنكروا ولم يشكو مع أنه قد ثبت عندهم أن بيت المقدس قبلة الانبياء من قبل ، وإن رضا الله تعالى في استقباله وعدم رضاه في استقبال الكعبة ، فانعكس الأمر ، وصار رضاه تعالى في استقبال بيت المقدس ، فآمنوا وصدقوا ولم يبق للعقول مجال ولا رأي ، فسعدوا السعادة الأبدية ، وتبينت لهم من بعد حين : نتائج

السعادة ومصلحة استقبالهم الكعبة ، فعلى الجملة : إن من آمن بالله وصفاته وأفعاله ، وكلامه وقدرته كما يعلمها لنفسه جملة وتفصيلاً إنما علمه الله ، ولم يتوصل إلى معرفته بعقله ولا بفهمه ، قال الله تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وأي جهاد أعظم من درء الشكوك التي ليست إلا من الشيطان ، وقال الله تعالى :(واتقوا الله ويعلمكم الله) وأي تقوى أعظم وأحسن من إيمان العبد بربه ؟ كما يريده ويرتضيه ويعلمه لنفسه ، اللهم اجعلنا من الذين جاهدوا فيك ، فهديتهم سبيلك يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : الحازم اللبيب من إذا ظفره الله بشيخ يعرفه بالله تعالى عض عليه بالنواجذ فإن أهل الله قليلون ، ولا يظفر بأحدهم إلا من وفقه الله واعتنى به ، ثم اقتدى به وصدقه في جميع أفعاله وأقواله ، ولو لم يقبله عقله في ظاهر الأمر ، فإن للقوم ابتلاء ، ألا ترى إلى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، فإن فيها عبرة لمن اعتبر ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام ، لو صبر على الخضر عليه السلام لرأى عجباً ، ولكنه رأى ذلك مخالفاً في الظاهر لشريعته فلم يصبر ، وفي ذلك حكمة من الله تعالى ، وتكريم لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام ليذوق مرارة تعليم المخلوق له ، فيعرف قدر حلاوة تعليم الخالق

له ، ثم الخضر عليه السلام صدق الله قوله :(إنك لن تستطيع معي صبرا) وموسى عليه الصلاة والسلام صدق الله قوله :(ولا أعصي لك أمرا) لأنه لم يأمره بأمر حتى يعصيه فيه ، وإنما نهاه بقوله :(فإن اتبعتني فلا تسألني عن شئ)

ومن هنا تبين أنه ليس من ائتمر فقد انتهى ، ولا من انتهى فقد ائتمر ، بل مصادر النهي غير مصادر الأمر ، فلما لم يصبر عليه الصلاة والسلام فإنه العلم الذي جاء لتعلمه من الخضر ، مع أنه قد جرت له عليه الصلاة والسلام أمور كالأمور التي أنكرها على الخضر ، فإنه في قوله في السفينة (أخرقتها لتغرق أهلها) قد جرى له ما هو أعظم من ذلك ، وهو اتخاذ الحوت في البحر سربا حتى وصل إلى قعره ، فالذي قدر على إمساك ذلك قادر على إمساك الماء عن دخول السفينة ، ثم إمساك البحر له لما ضربه بعصاه ، فعبره هو وبنو إسرائيل ، وكان فرق كالطود العظيم ، ثم قتل النفس قد سبق منه قتل القبطي ، ثم عدم اتخاذ الأجر على الجدار قد استقى لابنتي شعيب ، ولم يطلب منهما أجره ، مع أنه كان في شدة الجوع ، فإن قوله :(إني لما أنزلت إلى من خير فقير) لم يرد به إلا سد رمقه من الجوع ، وهنا استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، لكن طلبهما للطعام

ليس بسؤال ، وإنما هو طلب حق ، فإن الضيافة واجبة فما استطعماهم إلا ليحطوا عنهم الواجب الذي عليهم ، فالمصلحة عائدة عليهم ، لا أنهما يسألانهم مسألة افتقار إليهم ، استغفر الله العظيم ، فإذا علمت بعائدة نفع الامتثال للشيخ في أوامره ونواهيه ، فما أرى لك إلا أن تكون بين يديه كما قال عبد الكريم الجيلي رحمه الله :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع

وفي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أبان الصبح عن ليل سره وسر حسام للمحاجج قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع

وسئل :

رضي الله عنه : عن الاستثناء في قوله تعالى : (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) في حق أهل النار وأهل الجنة ؟

فأجاب

فقال : معناه الاستثناء في حق أهل الجنة للذين يدخلون النار بذنوبهم ، ثم يخرجون منها ، فيكون مستثنى من الذين سعدوا وتكون ما بمعنى من شاء ربك ، وأما السماوات والأرض فهي غير ، فقد بدلت (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) ويذلك على أن هذا المراد بالاستثناء قوله آخر الآية (عطاء غير مجذوذ) ويكون الاستثناء في حق أهل النار يعود – ايضا – على هؤلاء الذين أدخلوها بذنوبهم ، ثم أخرجوا منها برحمة الله تعالى على تفاوت مراتبهم ، وعلى هذا فالاستثناء من الخالدين ، ومع ذلك فهو متناول للخلود فأطلق عليهم لفظ الشقاء باعتبار أول الأمر ، وأطلق عليهم لفظ السعادة باعتبار آخر الأمر ، والاستثناء من مدة خلودهم في الجنة عائد إلى القبلية ، والاستثناء من مدة خلودهم في النار عائد إلى البعدية

وقال رضي الله عنه : في الدعاء وقد تقدم الكلام عليه : إن الدعاء إنما هو تشريف وتكريم لباب المناجاة والكرم ، وإلا فهو سبحانه وتعالى أعطاك يا ابن آدم كل ما أنت مفتقر إليه بسؤال حالاً لا مقالاً ، بأن جعل لك جميع ما في السماوات والأرض ، وخلق فيك ما تنتفع به من الأعضاء والجوارح ، ثم هو – أيضاً – يعلم حاجتك التي تسأله قبل أن يخلقك ، وقبل أن يخلق السماوات والأرض ، والنكتة في أمره بالدعاء : إظهار سر كرمه تعالى ، وأنه يجازي على كل شئ من جنسه جزاء وفاقاً ، وذلك أنه أمرنا سبحانه وتعالى باجتناب ما نهانا عنه ، والائتمار بما أمرنا به ، وجازانا على ذلك بأن ائتمر لأوامرنا ، وانتهى عن نواهينا ، فإنك تقول في الدعاء : اللهم اغفر لي ، فيأتمر لك بأن يغفر لك ، وتقول : اللهم لا تخزني ، فينتهي عن نهيك بأن لا يخزيك ، ولذا قال تعالى شأنه : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) أي فليستجيبوا لي بالائتمار بما أمرتهم به ، والانتهاء عما نهيتهم عنه ، فإذا كانوا كذلك فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فأتمر لأمره ، وأنتهي عن نهيه ، سبحانه وتعالى ما أكرمه ، ومع هذا فإن المصلحة في ائتمار العبد لما أمر به ، وانتهائه عما نهى عنه عائدة عليه ، واستجابة دعائه عائدة عليه ، والله

سبحانه وتعالى غني عنه في الجميع ، فانظر إلى هذا الكرم . سبحان الكريم لا إله إلا هو

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى – حاكياً عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) يريد – هنا – معرفة الكيفية ، قال : أو لم تؤمن أي أو لم تتخلق باسمي المؤمن ؟ (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي أنا معتقد اعتقادا صحيحاً ، أي متخلق باسمك المؤمن ، لكني أريد أن أنظره عياناً (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) أي على جميع جبال الدنيا من قاف إلى قاف ، فكم كل جزء من أجزاء هذه الأربعة الطيور بعدد جبال الدنيا قد لا يكون كالخردلة ، فقال له قائل : ومن وضع تلك الأجزاء على جميع جبال الدنيا ؟ فقال : هو في لحظة . فالذي أقدر آصف بن برخيا أن يأتي بعرش بلقيس الذي وصفه الله – على لسان الهدهد – بالعظم . قيل : كان يجلس عليه اثنا عشر ألفً في أقل من ارتداد الطرف ، هذا القدر الذي لا يتصور أقل منه ، فإن الطرف مفتوح ، فكم مقدار ارتداده ؟ ثم هو أقل منه ، فهذا القدر لا يتسع للكاف من كن ، والحال أنه ولى من أولياء أمة سليمان عليه الصلاة والسلام ، ثم هو كان بالشام وبلقيس باليمن فكيف الولي من خير أمة

أخرجت للناس ؟ فمن هذه قدرته قادر أن يجمع جميع جبال الدنيا بين يدي إبراهيم قبل ارتداد الطرف ، فيضع في كل جبل جزءا كما يضع الإنسان التمر في الطبق ، ثم يفرقها عنه في ذلك المقدار ، قال تعالى : (ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم) أي أنه سبحانه وتعالى عزيز أن يتجلى بكنه جلاله وكبريائه ، فإنه تجلى باسم القادر لإبراهيم في القصة بقدر لا يعلمه إلا الله تعالى .

وأما تجليه سبحانه وتعالى للجبل حين (جعله دكاً وخر موسى صعقاً) فقد قدره رسول الله r بمقدار ثلث الخنصر ، ثم قوله : (حكيم) أي سبحانه وتعالى لا ينظر لعبده إلا الصلاح ؛ فإنه سبحانه وتعالى قال لموسى حين كلمه وأقوى من ذلك ، ولو كلمتك بكنه كلامي لم تكن شيئا ، هذا معنى قوله تعالى : (حكيم) في قصة إبراهيم أي أنه ما تجلى له باسمه القادر إلا بمقدار يمكنه الطاقة له ، سبحانه وتعالى ما أعظم شأنه

ثم قال رضي الله عنه : وأعظم من هذا كله : أن رسول الله r أسرى به أولاً من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر ، ثم إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة ،

لأن غلظ كل سماء خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، ثم من فوق السماوات السبع مالاً يعلمه إلا الله من الهواء الذي جميع الجنان في طيه ، ومسافة الكرسي ، ثم مسافة السماوات سبعة آلاف سنة بطيران الملك الذي (يعرج إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف نسمة) ثم رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى موسى في السماء السادسة ، وصعوده خمس مرات ، وهذا كله في ليلة ، وما أصبح إلا بمكة ، سبحان القادر المقتدر لا إله إلا هو

وقال رضي الله عنى : قال عزير عليه الصلاة والسلام حين مر بقرية خاوية على عروشها : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) هو – هنا – ما طلب إلا الكيفية ، كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : (رب أرني كيف تحيى الموتى) إلا أنه نبي ، والمؤمن من سائر الناس ، يعلم علماً يقيناً أن الله قادر على إحيائها فرضاً ، أما نبي الله فما طلب إلا الكيفية ، لكن فيها شم من استبعاد بلفظة (أني) فأراه الله إلا حياء في نفسه ، بأن أماته مائة عام ثم بعثه ، وفي هذه المدة جميعها فاته الترقي ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أراه إلا حياء في غيره ، لأنه ما طلب إلا الكيفية من غير شمة من الاستبعاد ثم قال سبحانه وتعالى : (كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) ثم لبس سبحانه وتعالى عليه بأن جعل

قرينة طعامه كأن لم يلبث إلا (يوماً او بعض يوم) وقرينة حماره أنه لبث مائة عام ، لأنه رأى عظامه تلوح مفرقة ، ثم أحياه الله وهو ينظر ، فقال : (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير)

وقال رضي الله عنه : قال تعالى في قصة عيسى عليه الصلاة والسلام : (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) الآية فقال : بإذني لأن كل نبي وكل ولي لا يفعل شيئاً إلا بإذن الله تعالى ؛ لأنه لا يتصور أن نبياً أو لياً كاملاً يفعل شيئاً من ذات نفسه وإن أقدره الله عليه ، لأنه إن فعل شيئاً بغير إذن بقي لهواء فيه مدخل ، وربما تقبل العبادة إذا كان فيها شائبة هوى في الغالب ، ولا تكون العبادة إلى عكس الهوى النفساني ، لكن قد تتفق نادراً

وقال رضي الله عنه : يستفيد التلميذ من شيخه بقدر تصديقه له ومحبته له ، وبره به ، قال الشاعر :

أقدم أستاذي على بر والدي وإن كان لي من والدي البر واللطف

فهذا مربي الروح والروح جوهر وهذا مربى الجسم وهو لها صدف

لأن التصديق كالغناء فإن كان الإناء متسعاً أخذ بقدره ، وإن كان ضيقاً أخذ بقدره ، كذلك التصديق والمحبة يأخذ التلميذ بقدر كبرهما وصغرهما ، ففي الحديث : أن النبي r قال : " بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! بقرة تتكلم ؟ فقال رسول الله r : فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر " وهما غائبان ، وإنما أخبر عنهما r لعلمه بمبلغ تصديقهما إلى النهاية ، وهذا ثمرة قوة التصديق ، فإذا عرفت فأعلم أن لا محال على الله

وللقوم حالات مختلفة ، وطريق كل واحد منهم غير طريقة الآخر ، وطرقهم إلى الله بعدد أنفاس الخلق ، فإياك أن تشك فيما صدر منهم ، بل اغتنم تغنم ، أو سلم تسلم ، أتراهم يتورعون ويزهدون عن الدنيا التي فتنت أهلها ؟ فمنهم من يتنحى عن الملك ويغترب عن أهله ووطنه ، ومنهم من يطلق دمعه ويطلق لذة وسنة ، ومنهم من يسيح في الأرض غرباً وشرقاً ، ويقنع من العيش بم به تقوم روحه عن

التلاف توقاً ، ثم يكذبون على الله ، كلا والله ، لا يقول ذلك من يؤمن بالله ، بل والله لقد شمروا للسباق في حلبة المعالي فأحرزوا قصباته ، فكم جلى منهم مصل ، وقطع أعناق العلائق بصوارم عزماته ، وكم ماجد رضع طفل فؤاده من ثدي الحقيقة ألبان الأسرار ، وكشفت له عن وجوه المعارف براقع الأستار ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، ليس سوى الله تعالى في جميع الحالات أنيسهم .

ثم ذكر رضي الله عنه قصصا تكشف عن اختلاف أحوالهم : فمن جملتها أن واحداً منهم كان يلبس الملابس الفائقة من الثياب ، فقال له بعض الناس : يا سيدي ، ما هذه الثياب التي تلبس أنت أحق بأن تزهد فيها ؟ فقال : خذ هذا الثوب ثم بعه وائتني بثمنه ، فأخرجه السوق فاشتراه منه رجل ، ثم لما اشتراه قال : ما أحق هذا الثوب بسيدي فلان يعني : ذلك الولي صاحب الثوب ، فعسى به إليه وأهداه له فلبسه ، ثم لما وصل ذلك الرجل الذي باع الثوب رأى ذلك الثوب الذي باعه على ذلك الولي ، فبقى ينظر إلى الثوب نظرة ، وإلى ثمنه الذي في يده أخرى ، فقال له : أبعت الثوب ؟ فبقي ينظر إلى الثوب نظرة ، وإلى ثمنه الذي في يده أخرى ، فقال له : أبعت الثوب ؟ قال : نعم يا سيدي ، إنما أنا أنظره هذا الذي عليك قال : نعم ، إذاً تعرف أني لم البس غير ما ألبسني الله تعالى .ثم أخر : كان

لا يمشي إلا راكباً على الخيل ، فجاءه يوماً رجل وقال له : يا سيدي ، إنما أنا أنظره هذا الذي عليك قال : نعم ، إذا تعرف أني لم ألبس غير ما البسني الله تعالى . ثم آخر : كان لا يمشي إلا راكباً على الخيل ، فجاءه يوما رجل وقال له : يا سيدي ، أريد أن أمشي أنا وأنت لزيارة الإمام الشافعي – وهما حينئذ بمصر – قال : بسم الله نمشي ، فقال له : لكن أريد أن نمشي مترجلين على هيئة التواضع ، لأي شئ لا تمشي في كل حالة إلا على ظهور الخيل ؟ فقال : كذلك . ثم مشياً فلما شرعا في السير رآه رجل راكب على فرس فترجل ، ثم قال له : يا سيدي ، تمشي راجلاً والله لا كان ذلك أبداً ، وتطلق زوجتي ثلاثاً إن لم تركب على فرسي ، فالتفت إلى ذلك الرجل ثم قال له : عرفت أي لم أكن أركب لهوى نفساني وإنما ذلك من الله سبحانه وتعالى ، ثم ركباً . فمن كان منهم بهذه الصفة لم يكن ملتفتاً إلى النعم ، بل وجودها – عنده – وعدمها على حد سواء ، بل هو مشغول عنها بالمنعم ، وإذا أعطى شيئاً نزراً قبله وشكره ، وهو عنده كالكثير الوافر ، وعنده أن المعطي هو الله سبحانه وتعالى ، فيعظم العطية لأجل معطيها ، وعلى الجملة فأحوال القوم لا تحصى ولا تعد . اللهم اجعلنا – يا أرحم الراحمين – من أوليائك

الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هو الغالبون . آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وسئل :

رضي الله عنه : عن الحديث وهو قول رسول الله r : " إذا انتصف شعبان فلا تصوموا " ؟

فأجاب :

أن ذلك النهي من النبي r لئلا يصل الناس الواجب الذي هو شهر رمضان بالتطوع فيجب عليهم ، إذ في حياته r لم يزل الوحي ينزل ، فذلك مثل قوله r لما لم يخرج في الليلة الثالثة ، بعد أن خرج ليلتين في رمضان ، فاقتدى الناس بصلاته / " خشيت أن تفترض عليكم " ومن بعد موته r ، سن عمر رضي الله عنه صلاة التراويح ، لأنه قد زالت العلة بموت رسول الله r ، فكذلك الصوم بعد النصف من شعبان ، ويدل على أن هذه هي علة النهي : نهيه r عن صوم يوم الشك إلا لمن يسرد صومه ، أي إما أن يكون صائم الدهر أو يصوم يوماً ويفطر

يوماً ، فيصادف يوم الشك يوم الصوم ، أو بأن يكون سارداً صومه من أول شهر رجب . وللنهي علة أخرى : وهي أنه نهى r عن صوم بعد النصف من شعبان ، خشية أن تسلك أمته ما سلك النصارى ، فإنه افترض عليهم الصيام شهراً ، قال الله تعالى : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات) فمرض ملكهم ، فنذر إذا شفاه الله أن يزيد على الشهر الذي افترض عليهم صومه عشرة أيام ، فكانت اربعين يوماً ن ثم مرض ملك ثان ، فنذر زيادة ثمانية أيام ، فصارت ثمانية وأربعين ، ثم زادوها اثنين فصار صيامهم خمسين يوماً ، وجعلوه في أيام معتدلة ، لا في أيام الحر ولا في أيام البرد ، فأوجبوا على نفوسهم من عندهم لا بأمر من الله ولا من رسوله ، فصار الأمر الآن في هذا السؤال أن لا بأس بالصوم بعد النصف من شعبان ، إذ قد انتفت هاتان العلتان إلا يوم الشك ، إلا أن يكون سارداً . ومن العلماء من تحرى فمنع صوم اليوم السادس عشر منهم : محيى الدين بن العربي وهو صواب لئلا يصير الحديث منسوخاً محضا

وسئل :

رضي الله عنه : كيف يعمل من لحق الإمام في الركعتين الأخيرتين من الصلوات الجهرية ، وكان اللاحق اثنين هل يقتدي أحدهما بالآخر ، حين يقومان لتمام صلاتهما أو لا ، وهل يقرأ اللاحق في هاتين الركعتين جهراً لكونه لم يسمع جهر الإمام أو يسر ؟

فأجاب :

أن لا فائدة في اقتداء أحدهما بالآخر ، لأن اللاحق قد أدرك فضل الجماعة ولو لحق في ركوع الركعة الأخيرة ، وقول رسول الله r : " صلاة الرجل مع الرجل خير من صلاته وحده " لا يكون دليلاً لاقتداء أحدهما بالآخر ، لأنه قد صلى كل واحد منهما مع جماعة ، وأما الجهر فيجهر في هاتين الركعتين اللتين يأتي بهما بعد تسليم الإمام ؛ لأن الركعتين اللتين فاتتا عليه جهريتان لقوله r : " وما فاتكم فاقضوا " وحقيقة القضاء أن يؤدي الذي فات بجميع صفاته ، وأما قوله r في حديث آخر : " وما فاتكم فأتموه " فالمراد به أتموا عددها ، لأنها لم تكمل أربعاً ، وأما إذا لحق المؤتم الإمام في آخر ركعة من الجهرية فإنه يقوم بعد تسليم الإمام

فيأتي بركعة يجهر فيها وهي ثانية له ، ثم يجلس للتشهد الأوسط ، ثم يقوم ويجهر في الثالثة ليستكمل ما فاته من الجهر

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى :(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى : هي الجنة ، قال تعالى :(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) أي بالجنة فعمل لها عمل تصديق بها (فسنيسره لليسرى) وقوله تعالى :(وزيادة) الزيادة هي تجلي الحق تعالى كيف يشاء ، وتقديم الحسنى على الزيادة لكونها محلاً لها ، وأما تفسيرها عند أهل الباطن فالمراد بالحسنى ، أسماء الله الحسنى وقوله :(وزيادة) أي زيادة عليها لأن لله أسماء لا تحصى غير الأسماء الحسنى ، وهذا التفسير على لغتهم التي هي نتيجة قصدهم ، لأنهم لم يقصدوا بعبادتهم سوى الله تعالى ، فيكون جزاؤهم على حسب مرادهم جزاء وفاقاً ، فهو تعالى يتجلى لهم بالأسماء الحسنى لأن لكل اسم تجلياً غير تجلي الاسم الآخر ، ويتجلى – لهم أيضا – بأسماء غير الأسماء الحسنى وهي الزيادة

وقال رضي الله عنه : جميع أفعال بني آدم هي أفعال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) لأنه سبحانه خلق آدم وأهله ، وأقدره على جميع ما يفعله ، وهو خالق

لفعله وصناعته ، قال تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) ألا ترى إلى من اسقمه المرض حتى بلغ به على حالة لا يمكنه معها القيام ، ولا تحريك يد ولا رجل ، فالله سبحانه أذهب منه القوى بسبب ذلك المرض ، فلا يمكنه فعل شئ ، وإذا اراد سبحانه أن يقدره أزال عنه ذلك المرض ، فتراه يفعل جميع أفعاله ، فالفاعل هو الله تعالى ، وجميع بني آدم كلمة الله ، فليس ذلك مختصاً بعيسى وآدم عليهما الصلاة والسلام ، لقوله تعالى : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقوله في آية أخرى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) بل كل بني آدم كذلك ، وكل شئ كلمة الله تعالى ، قال الله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) فإذا عرفت هذا عرفت أن كل أعمال الإنسان وغيره ، الخالق لها هو الله تعالى ، إذ هو أقدر على كل شئ وأهله لما خلق له ، ولكن الوقوف عند القدر والإمساك عنه واجب . قال رسول الله r : " إذ ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا " ولا يمكن التعبير بحقيقة القدر فهو ثابت منفي في حالة واحدة ، لأنك إذا نفيته نسبت إلى الله تعالى العجز ، وإذا أثبته نسبت إليه الظلم ، فما بقي إلا الإمساك ومن اتقى الله كان حقاً عليه تعالى أن يعلمه

حقيقته . قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) والقدر : من العلم الذي لا يمكن أن يعلم إلا من لدنه تبارك وتعالى . فالإيمان به على الجملة ، ثم الاحتجاج به باطل

الفصل السابع : اليقين

وسئل :

رضي الله عنه : عن قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ؟

فأجاب :

أن لها تفسيرين : أحدهما : أن اليقين هو : الموت وهو الظاهر فتكون حتى للغاية ، الثاني : أن اليقين هو أن يرى الشئ عياناً ، ألا ترى أن الواصف إذا وصف لك شيئاً وأنت معتقد اعتقاداً صحيحاً لا يختلجك شك ، ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف ، لكنك لم تر ذلك الموصوف ، فأنت لا تزال تتخيل هذا

الموصوف وتتصوره ، ومعلوم قطعاً أن تخيلك وتصورك لهذا الشئ الذي لم تره لا يطابق حقيقته ، كمن يصف لك مكة مثلاً وأنت لا تعرفها ، وتصورها تصويراً لا يطابق ما إذا رأيتها عياناً ، فإذا رأى الإنسان حقيقة الأمر آمن به وهو يشاهده ، وإذا آمن بما وصفه الواصف من دون مشاهدة فهو مؤمن بالغيب ، والمؤمن إذا عبد الله حق عبادته بقدر استطاعته عرفه الله سبحانه وتعالى ، وإذا عرفه فلا يشهد سواه ، حتى إنه يحول بينه وبين قلبه أي إذا رأى قلبه بعين البصيرة وجد الله حائلاً بينه وبين قلبه ، وبهذه المعرفة تنال المعارف الإلهية التي من لدنه تبارك وتعالى

وكلما صفا صوفي صفا قلبه قربت منه أشكال المعارف ، الا ترى أن الزجاج أصله حجر كثيف ، ثم لما صفى وزالت عنه الكدورات قرب الأشخاص البعيدة ، فإن الناظور يقرب الشئ البعيد ، حتى إن ما زادت تصفيته يقرأ الإنسان به مكتوباً من مسافة بريد ، كذلك المنظرة تقرب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام ، حتى تحرق ما وقعت عليه ، وهذا أعظم من آسف بن برخيا فإنه أتى بعرش بلقيس من مسافة ثلاثة أشهر قبل أن يرتد الطرف ، وهذه أتت بالشمس من مسافة اربعة آلاف سنة قبل ارتداد الطرف ، فإنك إذا ركبتها على شئ أحرقته بمجرد وقوعها

عليه ، فالنبي r هو عين الوجود ، وواسطة عقده ، أخذ من أنوار الحق تعالى بقدر صفوه ، فالآخذ من الله تعالى بواسطته r ، ولله المثل الأعلى ولرسوله في القوى كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة ، وهذا تشريف لهذه الأمة وأي تشريف لأنهم الآخذون بواسطته ، والآخذ من الله تعالى من غير واسطته r كآخذ الشئ من الشمس من دون واسطة الزجاجة ، وذلك لأن الرسول r هو النور الذي قبضه الله من قبضة نوره ، قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فالنور : هو الرسول r إذ لو كان النور هو الكتاب لكان لفظاً متكرراً ، والحق تعالى هو سمعه وبصره وقلبه إلى آخره ، فكله r نور مع أنه متحيز في بشريته وفي عبوديته

والحق تعالى مطلق في كبريائه وفي ملكوته (وهو الله في السماوات وفي الأرض) في حال كونه على العرش استوى ، في حال كونه قلب عبده المؤمن وبصره وسمعه سبحانه ، فلرسول الله r وجهتان وجهة إلى الحق تعالى وهو المقام الذي قال تعالى فيه : (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فأعاد الضمير بصيغة الإفراد وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصلاً) فأعاد الضمير بصيغة الإفراد ،

وقال r في هذا المعنى : " من رآني فقد رأى الحق تعالى " وقال r : " إن لي وقتاً لا يسعني فيه إلا ربي " ولذا قال تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فالحجاب المستور هو كونهم ما رأوا فيه إلا البشرية والعبودية إذ لو صدقوه لرأوا ما رأى الذين قال تعالى في حقهم : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) فهو r أقرب الكون إلى الله ، بل فوق العرش الحجب سبعون حجاباً ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة ، وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنة ، وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله سبحانه وتعالى وهو الذي يقال له . عالم الرقا وهو مظاهر أسماء الله ، وهو فوق العرش والكرسي ، ووراء هذا كله نور سيد الكونين والثقلين ، الرسول الخاتم خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيد ولد آدم أجمعين

ولذا قال r حين سأله الأعرابي أين كان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : كان في عماء بالمد والقصر ، فازداد السائل حيرة ؛ لأنه إن كان بالمد وهو السحاب الرقيق فيكون معناه (يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وإن كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو على العين ، فاستفاد السائل هذا العلم من رسول الله r وبه ازداد حيرة ، فالعلم بالله تعالى كلما زاد زاد صاحبه حيرة ، وفي هذا المعنى

قال رسول الله r يوماً لأصحابه : " لو عرفتم الله حق معرفته ، لمشيتم على البحار ، ولزالت بدعائكم الجبال ، ولو خفتم الله عز وجل حق مخافته لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل ، ولكن ما بلغ ذلك أحد ن قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . قالوا : ما كنا نظن أن الأنبياء تقصر على ذلك قال : الله أعظم من أن ينال أحد أمره كله ، ووراء ذلك ما لا يعلمه إلا الله "

ومع هذا فهو r في حيرة ، ولذا قال : " رب زدني فيك تحيراً " وهو – أيضاً – مع كونه في مقام الأمن والقرب أخوف الخلق من الله تعالى ، وفي مقام الخوف قال r : " ليت رب محمد لم يخلق محمداً " يعني أنه يتمنى أن لو لم يقبض الحق تعالى قبضة من نوره لتحيز البشرية بل كانت مطلقة في أصلها ، وقال أبو بكر الصديق بل كانت مطلقة في أصلها ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ليت أبا بكر كان شجرة فعضدها جمل في فيه فكان بعراً ولم يكن بشراً ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وله r وجهة إلى الخلق قال تعالى : (واعلموا أن فيكم رسول الله) وقال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فقال : لتؤمنوا وجعله المرسل والمرسل إليه

وقال r : " لا تدخل الشوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها " فهو r حقيقة الكون كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع ، وعروق وجذوع ، وزهر وثمر ، وحقيقة الكل شجر ، فجميع دعائه r بصيغة الإفراد المراد به أمته ، فدعاؤه لنفسه عين دعائه لأمته ، فمن صفاً قلبه من أمته r وتوجه به على الله بواسطة رسول الله r ، تفجر من قلبه ينابيع الحكمة وأخذ قلبه أنوار العلم الإلهي ، فقوى بقوة قابلية الواسطة r ، ومن كان كذلك فهو الوارث الذي قال فيه r : " العلماء ورثة الأنبياء " ومن لفظ الصفاء أخذ الشاعر تسمية الصوفي صوفياً فقال :

لا تحسبن لباس الصوف لابسه يدعي به بين أرباب العلى صوفي

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وكلهم قال قولاً غير معروف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمى الصوفى

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى – لرسوله r : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فسأل رسول الله r جبريل عليه الصلاة والسلام عن معنى ذلك ؟ فقال جبريل : حتى أسأل ربي فقال تعالى : أن تعفوا عمن ظلمك ،

وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحسن إلى من اساء إليك وأما قوله تعالى :(وأعرض عن الجاهلين) فليس المراد إعراض غضب ، بل معناه : لا تؤاخذهم بجهلهم ، لأن الإنسان ربما حفر حفرة وفي علم الله أنه لا يقع فيها إلا ذلك الحافظ لها لكنه جاهل لذلك ، ولو علم لما حفرها فهذه حالة الجاهل ، فأذيتهم لك هي عين أذيتهم لأنفسهم ، لكنهم جهلوا ولو عرفوا لما آذوك ، فأعرض عن جهلهم هذا ، وتخلق بأخلاقنا فإنا نعرض عمن جهل علينا فعسى أن يتوب منه (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من علم منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) فأتمر r لأمر رهب وأعرض عن جهلهم ، حتى أنه طلب منهم أن يقتصوا منه حقوقهم إن كان لهم عليه حقوق فقال r : " أيها الناس لعله أن يكون (ﷺ 1 رضي الله عنه) قد دنا مني حقوق وأنا بين أظهركم ، فمن كان له على محمد حق من مال أو شعر أو بشر ، فهذا مال محمد وشعره وبشره ، ولا يقولن أحدكم إني أتخوف العداوة والبغضاء من محمد فإنهما ليستا من خلقي ولا من طبيعتي ، وإن أولاكم بي رجل كان له على شئ من ذلكم فأخذه أو يحللني ، فألقي ربي وأنا محلل لي " ثم قال تعالى :(وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) أتبع تعالى هذا الآية التي قبلها وذلك لأن الشيطان مجالاً عند هذه الخلال

والاستعاذة من الشيطان هي : التلفظ بلفظ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعنى قول النبي r : " وأعوذ بك منك " أن الله هو الآخذ بناصية إبليس باسمه المضل قال تعالى :(ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) فلا سلطان له على عباد الله

وقال رضي الله عنه : الصراط المستقيم الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر ، هو في الدنيا قبل الآخرة ، وفي الآخرة مروره على قدر الاستقامة عليه في الدنيا ، وهو في الدنيا في جميع الأمور وهي لا تحصى ، فمن ذلك أن تؤمن بالقدر خيره وشره ولا تحتج به ، ومن ذلك أن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى قلب عبده المؤمن وسمعه وبصره في حال كونه على العرش استوى ، في حال كونه في السماوات وفي الأرض في حال كونه (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم) من حيوان وإنسان ونام وجماد وجامد ومائع ، ومعيته مع كل شئ من ذلك غير المعية التي مع الآخر ، وهو ناظر إلى كل فرد من أفراد الكون نظرة غير نظرة الآخر ، وناظر في كل شعرة غير نظرة الأخرى ، ومصاحب لها من غير أن يشتمل عليه تعالى زمان ولا مكان ن فهو كما كان وكما يكون دائماً أبدياً سرمدياً باطناً في حالة ظهوره

ومن جملة أدعية الصوفية : كيف أعرفك وأنت الباطن الذي لا تعرف ، وكيف لا أعرفك وأنت الظاهر الذي في كل شئ تتعرف ، وهو تبارك وتعالى أول في حال كونه آخر سبحانه وتعالى ، ومن ذلك أن تباشر الأسباب ولا تقف معها كأن تمتثل قوله سبحانه وتعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) ولكن لا تقف معها فمن اشتغل بها عن الله تعالى فقد خسر ، كما أنه تعالى أمر بالتزويج ليكون بسببه النسل ، وبالتكسب ثم قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وهو معنى قوله r : " اعقلها وتوكل "

ألا ترى أنه r لما وصل بالبراق إلى بيت المقدس ربطها في الحلقة التي كانت الأنبياء تربط فيها ، مع أن البراق مأمور فأين يهرب ؟ وأين يذهب ؟ ومن ذلك أنه تعالى أمر بالأسباب التي توصل إلى الجنة والتي تقرب عبده منه ، ثم أمرنا أن لا نقف معها ، فقال تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) فإذا ركنت إلى عملك فقد اتخذت من دون الله أولياء ، قال الله

(فاعبده وتوكل عليه) أي تقرب بالعبادة التي هي السبب ولا تركن إليها ، بل توكل عليه سبحانه وتعالى ، فإذا اراد الله بعبده خيراً سلك به الصراط المستقيم فلا يميل عنه ولا يحيف ، بل كلها عثر أو كاد قادته يد التوفيق ، وعلى قدر هذا السلوك يكون المرور على الصراط يوم القيامة الذي هو ألف سنة صعوداً ، ومثلها هبوطاً ، ومثلها استواء أيضاً ، فمنهم : كطرفة العين ، ومنهم : كالبرق الخاطف ، ومنهم : كالريح القاصف ، ومنهم : من دون ذلك ، ومنهم : على قدمه وحبواً ، اللهم ثبت اقدامنا على الصراط يوم تزل الأقدام يا ارحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : معنى نية المؤمن ابلغ من عمله : أنه قد يحج الإنسان وهو في بيته من دون سفر ولا تعب ، وذلك كأن تمنعه عن الحج موانع الشرع ونيته منطوية عليه ، ولولا أنه عاقته عوائق قدمها الشرع على الحج لأتى مكة ولو حبواً ، ومن ذلك أن أهل الجنة يخلدون في الجنة ابداً مع أنه لم يعمل كل واحد إلا مدة عمره ، وكذلك من خلد في النار فهو ما عمل عمل أهل النار إلا مدة عمره ، والله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم أحداً ، لأن نية المؤمن أنه لو عمر في الدنيا أبداً مؤبداً لبقي على حالته التي هو فيها يعبد الله فيها ، ولا يشك به شيئاً ويؤمن بالله ورسوله فأبدته وخلدته نيته ، وكذلك الكافر فإن نيته لو عمر أبداً لبقي كافراً قال

تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فخلدته نيته في النار . نسأل الله العافية والسلامة

وقال رضي الله عنه : قال تعالى : (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) زعم المفسرون : أنهم أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم يبقون بين الجنة والنار ، وهذا غلط لأنه لا دليل لهم أن في الآخرة دار ثالثة ، بل أصحاب الأعراف رجال من أولياء الله ، أودع الله فيهم هذا السر وهو كونهم يعرفون كلا بسيماهم ، ولذا أتى بالنكرة التي تقتضي التعظيم بقوله : وعلى الأعراف رجال ، أي أي رجال مثل قوله تعالى : (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ومثل قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فقولهم : أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يفسره الرسول r بذلك ، حتى إنا نعتمده كما فسر المغضوب عليهم : باليهود والضالين : بالنصارى ، فيجب الوقوف على كلامه r ، وإن كان لفظ المغضوب عليهم يتناول كل من غضب الله عليه كقاتل العمد قال الله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه) وكذلك الضالين

وأما أصحاب الأعراف فلم يفسرهم الرسول r بذلك التفسير الذي فسروه ، فمن أين أخذه ؟ مع أنه قد انقطع الوحي بموته r ، فما بقي إلا أنهم فسروه من جهة عقولهم ورأيهم ، وليس للعقل والرأي في الشرع مجال ، والمعنى الظاهر من اللفظ في قوله : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) أن هذا السر وهو المعرفة السيما

في ذلك اليوم الذي يقوم فيه كل الناس حتى الأنبياء : نفسي نفسي ، لا يودعه الله غلا في رجال اصطفاهم لذلك الخطاب في يوم تطيش فيه الألباب ، فقال تعالى حاكياً عنهم : (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) ثم قوله : لم يدخلوها أي أصحاب الجنة وهم يطمعون في دخولها (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فهؤلاء أصحاب الأعراف هم كبار الأولياء لأنهم حكموا بحكم الله في ذلك اليوم الذي قال فيه تعالى : (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) فهل يتكلم في تلك الحالة غير من كان من أهل الله ، لا ينطق بحكمه قبل وقوعه ، ويعرفون كلاً بسيماهم ، يا هل ترى أن يتكلم أحد في (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) ؟ فكل

مشتغل بنفسه ، بلى . فلا – والله – يتكلم هناك (إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا)

وقال رضي الله عنه : قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب ، خصني بشئ أقدسك به دون غيري ، فقال : قل : لا إله إلا الله ، فقال : يا رب ، علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، فقال : قل : لا إله غلا الله ، فقال : يا رب ، أما هذه فكل أحد يقولها ، فقال تعالى : يا موسى ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري (وقوله وعامرهن غيري بالغ في الكلام لأنه بالنسبة إلى أن الله هو الذي عمرها فليست ثقيلة ولا في عمارتها كلفة بل هي بكلمة كن ، ولفظة كن لا تعدل لا إله إلا الله ، فانظر إلى هذه البلاغة ، ثم لم يقل في الأرضين وعامرهن غيري لأنه كذلك في السماوات ، وإنما الأرضون أهون وأدون) والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهما لا إله إلا الله

ومعنى هذا قصة الله تعالى في القرآن لرسوله r ، قال تعالى : (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى) فعجل إلى الله سبحانه وتعالى شوقاً إليه ، وخلف قومه وراءه ، وطمعاً أن ينال منه تعالى

شيئاً يختص به ، فأدبه الله تعالى بأن فتن قومه بعده وأضلهم السامري ، ثم لم يخصه بشئ دون غيره ، بل قال له : قل : لا إله إلا الله ، فأمر أن يقول هذه الكلمة التي عم بها الأقصى والأدنى من المسلمين ، وذلك ليعلم أن فضل الله لا ينحصر في أحد ، ولا يختص به أحد ، بل فضله شامل وعطاؤه سبحانه عام ، وخزائنه لا تفنى ، ولو كان جميع ما خلق الله تعالى من جن وإنس وغيرهما في درجة موسى لم ينقص من سعة فضل الله أحد منهم ، وأدب الله تعالى بهذه القصة رسوله الأعظم ونبيه الأكرم r ، ولذا قال لأبي ذر : " إني أراك ضعيفاً ، وإني أتمنى أن تكون مثلي " أي من جميع الوجوه وذلك لعلمه r بسعة فضل الله ورحمته ، وهو يتمنى ذلك r لكل فرد من أمته ، وأمره الله تعالى أن يصبر نفسه مع أمته فقال : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فهو يسوق أمته r ، ويجعلهم أمامه وظهره للملائكة ، وذلك أن قوة النبوة لا يلحق بها غيرها ، فلو لم يسقهم لتخلفوا وراءه وفتنوا r

وسئل :

رضي الله عنه : هل يستفاد قبول شورى المرأة من قبول شعيب r شورى بنته لما قال له (يا أبت استأجره) فقبل ذلك بقوله : (إني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين) ؟

فأجاب :

فقال : لا يستفاد ذلك بل يشارون ويخالفن ، وأما مقام الأنبياء فهو معصوم فيسرى سره على من لسي في مقامه ، فتستفاد الشورى عن المرأة وغيرها ببركته هو ، فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله r أن يشاور أصحابه فقال : (وشاورهم في الأمر) مع أنه r أعقل العقلاء ، وأكمل الكملاء ، وأعرف بعواقب الأمور ، وقطب الكون الذي عليه رحاه يدور ، لكنهم بسبب صحبتهم له r تدفق عليهم أنوار أسراره ، فلا ينطقون إلا بالصواب ولا يتكلمون إلا بفصل الخطاب ، فلا يقاس على مقام الأنبياء ووقتهم ولا يضاهي ، بل مقامهم معصوم ، يختص بما لا يطلق على العموم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : إذا أراد الله سبحانه بعبده خيراً رضاه بما هو فيه ن حتى يعتقد أن حصول ما هو فيه خير من عدم حصوله ، فإن أهل سبأ كانت لهم

الجنتان اللتان وصفهما الله في القرآن بقوله : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وتانك الجنتان مسافة شهر أو أكثر ، فإنهما من قرب صنعاء اليمن إلى قرب الشام قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) ووصفها تبارك وتعالى بأنها طيبة ، فإنها من طيب هوائها لا يعيش فيها البق ، ولا البرغوث ، ولا القمل ، ولا العقرب ، ولا البعوض ، ثم تضع المرأة المكتل على رأسها ، فتمضي بين الجنتين بقدر سويعة وأقل ، فلا تقطعها إلا وقد امتلأ المكتل مما تساقط من الثمار من جميع الفواكه ، مع أن الله سبحانه وتعالى قدر السير فيما بين القرية إلى القرية بحيث يمكن المسافر أن يتغذى في قرية ويتعشى في أخرى ، ويبيت في ثالثة ، فلم يرضوا بهذه الحالة بل بعضهم قالوا : لو طالت المسافة بين القرى فقالوا : (ربنا باعد بين أسفارنا) بصيغة الأمر

وبضعهم قالوا : لو قربت المسافة بين القرى ، فقالوا : ربنا باعد بين اسفارنا بصيغة الماضي على جهة الإخبار ، فلما لم يرضوا بما هم فيه ، قال تعالى في حقهم : (وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وبدلهم تعالى بجنتيهم (جنتين ذواتى أكل خمط وأثل) وهذان النوعان ليس فيهما منفعة سوى

الحطب ثم قال : (وشئ من سدر قليل) أي وهذا النوع الذي فيه بعض منفعة دون غيره من الفواكه فإنه أقلها منفعة فلله تعالى فقال : (وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) فكفران النعمة هو عدم الرضا بها وإن كانت في الظاهر ليست نعمة ، فكل ما هو من الله سبحانه وتعالى فهو نعمة ن فإن في الأسقام والأمراض نعمة للعبد ، لو يعرف قدرها لاختار وجودها عند وجودها على عدمها ، اللهم رضنا بقضائك ، وبارك لنا فيما قدرت لنا ، حتى لا نحب تأخير ما عجلت ، ولا تعجيل ما أخرت ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا قوة غلا بالله العلي العظيم

وقال رضي الله عنه : المشايخ يمتحنون تلاميذهم بأمرهم بفعل شئ مما يخالف عاداتهم ، ليعرف الصادق من غيره ، ولهم في ذلك حكايات عجيبة ليست هذه الكراريس موضع ذكرها ، ومعهم على ذلك دليل من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن) والمؤمنات يشمل الذكور والإناث ، فالمؤمنات صفة للنفوس ، أي النفوس المؤمنان ، وقد أطلق سبحانه وتعالى لفظ النفس على الأشخاص فقال

تعالى : (إن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) إلى آخر الآيات ، ثم قال : (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) فعلى قراءة الكسر يعود الضمير إلى النفس وعلى قراءة الفتح يعود إلى الأشخاص المؤمنات ، بدليل أن النبي r لما نزلت عليه (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين) على قوله : (إن الله غفور رحيم) كان يبايع الذكور والإناث بهذه الصيغة على هذه الشروط ، فيقول للذكور : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف " فدل على أن المراد بالمؤمنات : النفوس

وسئل :

رضي الله عنه : هل لمن أراد أن يأخذ شيخاً أن يطلب منه كرمة ليطمئن بها قلبه ، لأنه ربما يكون ذلك الشيخ متطفلاً وليس بأهل للمشيخة ، ثم إذا طلبها هل للشيخ أن يظهر له كرامة أم لا ؟

فأجاب :

بأنه لا ينبغي لمن أراد الأخذ أن يطلب من الشيخ ذلك ، ولا ينبغى للشيخ أن يظهر له ذلك ، لأنه إن كانت له عناية وجذب من الله تعالى ، فهو يرى جميع حركات الشيخ وسكناته كرامات إذا كان صادقاً وإن لم يكن له عناية فربما يتأول التلميذ الكرامة الظاهرة كما حكى الله سبحانه عن الكفار بقوله :(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) الآية . ثم إذا ظهرت له الكرامة ولم يتلقها بالقبول الصادق فذلك الخطر العظيم ، لأن بني إسرائيل لما سألوا عيسى أن يسأل ربهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء قال الله تعالى :(إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) فلو لم يسألوا ذلك لكان عذابهم كعذاب غيرهم إذا كفروا فتأمل ما أخطر الإنكار بعد ظهور الحجة

ثم ضرب رضي الله عنه مثلاً فقال : إذا أراد الإنسان أن يضع شيئا من زيت أو سمن في إناء ليحفظه له ، هل يحفظه التراب إذا صبه عليه ؟ لا ، بل إذا أراد الإنسان أن يصنع من التراب إناء فلابد أولاً أن يعجنه بالماء ، ثم يخدمه حتى

يمتزج بالماء ثم يهيئ صورة الإناء ، ثم ييبس في الشمس وقتاً من الزمان ، ثم توقد النار فيدخل فيها حتى ينضج نضجاً كاملاً ، ثم يخرج منها فيختبر ، فإن لم يحفظ الماء أولا أعيد في النار ، ثم يخرج ويطلى بطلاء ثم يعاد في النار ، فبعد ذلك لا يخون ، فتضع فيه ما شئت من زيت أو سمن أو غير ذلك فإنه يحفظه

كذلك الأسرار لا توضع في صدور الرجال إلا بعد تعجب ورياضة ، وخدمة من الشيخ : بالتعليم والاختبار والامتحان للرجل الذي يريد وضع الأسرار فيه ، فإن علم أنه قد صار حافظاً لا يخون وضعها فيه وإلا أمسك ، وهذا التدبير هو الذي أجرى الله عليه الكون ، فإنه تعالى كان قادرا أن يعطينا الخبز على صورة لا يحتاج معها إلى شئ من الخدم ، لكنه أولاً ألهمنا وأمرنا أن ندفن الحب في التراب ، ثم نسقيه بالماء حتى تمتد عروقه في الأرض فينبت ثم يسنبل ، ثم يحصد ثم يداس ، ثم يطحن ثم يعجن بماء ، ثم ينضج في النار ، ثم يؤكل ، وهذه قاعدة كلية في كل شئ أنه لا يحصل للإنسان شئ إلا بعد أن يدأب فيه بجد وجهد ، حتى يحصله بعد زمان وإمعان ، فقال له السائل : فبم نعرف صدق الشيخ من عدم صدقه ، فقال : بالصدق ، فإذا عاملت الله سبحانه وتعالى بالصدق واستخرته ، فحق عليه

إذا عرف صدقك أن لا يدلك إلا على الصدق (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

وقال رضي الله عنه : إسرائيل نبي الله r لما حرم على نفسه لحم الإبل حرمها الله على أولاده ، ثم زاد على ذلك بأن حرم عليهم كل ذي ظفر تبعاً له ، لكونه حرم على نفسه ما أحل له ، قال تعالى : (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) ونبينا محمد r لم يقره الله على ما فعل من تحريم نسائه ، بل عاتبه فيها وذلك عناية به r ، ورحمة من الله لأمته ، لأنه لو أقره لكان مشروعاً لأمته ، لأنه r أبو المؤمنين وما فعلته الآباء يثبت في الأبناء من خير وشر ، قال تعالى في قصة الخضر مع موسى : (وكان أبوهما صالحاً(ﷺ2رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وكان أبواه مؤمنين)

وقال رضي الله عنه : قال تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ) وقال تعالى في عكس ذلك : (ولا يلدوا إلى فاجرا كفارا) وذلك أن النبي r : حقيقة المؤمنين قال r : " لا تدخل الشوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها " وقال الله تعالى : (واستغفر لذنبك

وللمؤمنين والمؤمنات) الواو – هنا – تفسيرية أي واستغفر لذنبك الذي هو ذنب المؤمنين والمؤمنات ، وأما هو r فمن أين له ذنب ؟ وإذا فرض أن له ذنباً من حيث إنه يعده هو ذنباً وليس بذنب ، لأنه لما عرف الله تعالى حق معرفته نزل نفسه r منزلة المقصر في حق من عرفه ، فقد غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ، فعلم أنه r حقيقة المؤمنين فأمره الله تعالى بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ليتحقق له الشفاعة ، فهو r ينوب عن أمته ويشفع لهم ، والرزية كل الرزية في الذنب من المؤمن إذا أذنب وحقيقته الرسول r . اللهم إنا نسألك العافية ، ولذا كلما ازداد الإيمان في امرئ كان الذنب منه أعظم منه من غيره

وسئل :

رضي الله عنه : كيف تكون آداب التلميذ بين يدي شيخه ؟

فأجاب :

إن الأدب كل الأدب من التلميذ : أن يعي لما سمعه منه بأذنه وقلبه ، فيقتدي به قولاً وفعلاً وعقيدة ، وأما آداب الهيئات : فيجمعها ثلاث كلمات : وهن : كن مع

أهل الظاهر بالظاهر ، ومع أهل الباطن بالباطن ، وكن مع أهل الله كيف شئت ، فإنهم لا يرون الأفعال كلها إلا لله ولا يشهدون سواه ، فلا قبيح عندهم ولا شين ، بل كل ما فعل الحبيب مليح .

وقال رضي الله عنه : أخوف شئ على المريد : التهاون بحقوق الخلق وإن قل ؛ لأنه الذنب الذي لا يتركه الله تعالى وإن كان مثقال ذرة ، فإن رجلاً وقف على جزار ليأخذ منه لحماً فلما وصل إلى يده أرجعه عليه ولم يأخذه ، فخاصمه بين يدي الله وقال : يا رب ، أخذ مني هذا لحماً فأرجعه ، فوزن ما لصق بيده منه فجاء مثقال ذرة ، فكان مكملاً لحسناته التي بها يدخل الجنة ، وطرح في ميزان الجزار على حسناته فدخل الجنة ، وكان متمماً لسيئاته التي يدخل بها النار ، وطرح في ميزانه فوق سيئاته فدخل النار ، نسأل الله العافية والسلامة

وروي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مناماً بعد أن مات بشهر فقيل له : كيف كان قدومك ؟ فقال : الآن فرغت من الحساب ، حتى إني حوسبت على بقرة رأيت امرأة تحلبها وهي رابطة لضرعها ليجتمع اللبن ، فقيل لي : رأيت بقرة تعذب ولم تنقذها . وبعض الصالحين نحت تراباً من جدار على كتاب كتبه ولم يجف منه

المداد ، لعلمه أنه لا يساوي ثمناً ، ولا له قيمة ، فسمع هاتفاً يقول : سيعلم المتهاون بالتراب (ﷺ3ﷺ) ما يلقى غداً من طول الحساب

وقال رضي الله عنه : قول الله تعالى : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) من باب تكليم الخصم ليلقنه حجته ، فلو قال : غرني كرمك لفاز ونجا ، وأي غنيمة ومنجاة أعظم من الغرور برحمة الله ؟ لكنه لم يقل كذلك ، ولذا رد عليه تعالى بكلمة الردع التي هي أشد توبيخاً فقال : (كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين) إلى آخرها ، فكانت أعماله السيئة أنه مكذب بيوم الدين ، لا أنه مغرور برحمة الله

وقال رضي الله عنه : قال رسول الله r : " إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث " وفي رواية " لم ينجس " فعلم بهذا التحديد أعنى : القلتين أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث إذا كان قلتين ، ثم في حديث آخر : " الماء طهور لا ينجسه شئ إلا ما غلبت على ريحه أو طعمه أو لونه " ولم يحده بحد(ﷺ4ﷺ) فعلم من التحديد الأول أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث بما غلبت على ريحه أو طعمه أو لونه إلا إذا

كان أقل من ذلك التحديد ، وأما إذا كان قلتين فلا ينجس ولو غلبت على أحد أوصافه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) فقدم بعد قوله : (نبئ عبادي) الغفران ، ثم أتى باسمه الغفور بعد أن أتى بالضمير المنفصل الذي للتأكيد ، ثم أتى باسمه الرحيم ، ثم عطف عليه العذاب ، ولم يأت باسم الانتقام فيقول : وأني أنا المعذب مثل قوله : (أني أنا الغفور الرحيم) ، ولذا غلبت رحمته غضبه ، ثم بعد هاتين الجملتين قص سبحانه وتعالى قصة إبراهيم مع أضيافه ، والنكتة في ذلك أن إبراهيم لما نزل عليه أضيافه أكرمهم غاية الإكرام ، وتولى خدمتهم بنفسه إكراماً لهم ، قال تعالى : (ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ

دخلوا عليه فقالوا سلاما)(ﷺ5ﷺ) (قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم) فهذا عبد من عبادي يكرم أضيافه النازلين عليه هذا الإكراه ، فكيف بالرحيم الكريم إذا نزل عليه عبده ضيفاً عند الفاقة ، والاحتياج إلى الرحمة والإكرام ؟ فجعل سبحانه وتعالى الجملة التي فيها

التخويف وهي قوله : (وأن عذابي هو العذاب الأليم) متوسطة بين جملة الرجاء وهي قوله : (نبئ عبادي) وبين قصة إبراهيم . وهذا سر حكمة ترتيب القرآن

وقال رضي الله عنه : ما أخل بالملوك وأفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم إلى الجور وعدم العد ، فإن نظام الملك وزينته وروحه العدل ، فإن من اتصف بالعدل منهم – ولو كان كافراً – ظهر سره في صلاح أمور رعيته ، وانتظم ملكه وبورك في عمره ، وصار ممدوحاً مذكوراً خلفاً عن سلف ، فإن كسرى لما ذهب سمعه رآه بعض أصحابه وهو يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : فقد سمعي ، وليس بكاؤه لمجرد فقده ، ولكنه إذا أتى مظلوم يصيح لم يسمع صياحه ، ثم قال : الحمد لله أن ذهب سمعي ولم يذهب بصري ، وأمر أن من ظلم لبس الثوب الأحمر ، فيكون علامة لكل من ظلم ، ثم لما بنى الإيوان وكان مما يليه بيت لعجوز ساومها فيه فلم ترض بيعه فأبقاه لها ، ثم أمر بأن يعوج الإيوان من الجانب الذي يليه بيت تلك العجوز

وسئل بعض ملوك الكفار : ما السبب في أنهم يعمرون ، وملوك الإسلام أسرع ما يزولون من ملكهم ؟ فأراه شجرة عظيمة ثابتة في الأرض غاية الثبوت ، فقال :

هل يستطيع أحد أن يزيل هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال : هذا جوابك ، فبقي الرجل مفكرا في تلك الشجرة ما معنى كونها هي الجواب ، وبقيت همته متعلقة بها فلم ، فلم يلبث إلا يسيراً إذا هو قد سمع بهدة عظيمة فسأل عنها فقيل له : الشجرة الفلانية انقلعت ، وإذا هي تلك الشجرة فطلبه الملك فقال له : عرفت ما معنى أن هذه الشجرة جوابك ، قال : لا ، قال : إنها كانت ثابتة ذلك الثبوت الذي ليس معه لأحد قدرة على إزالتها ، فلما بقيت همتك متعلقة بها أزالتها ، فهذه همة رجل واحد أزالت شجرة عظيمة ، فكيف إذا تعلقت همم جميع الرعايا بملك جائر ، كل واحد منهم يريد زواله

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يوسع الحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، وكان مما يليه بيت العباس رضي الله عنه فطلبه ، وقال له : إني أريد أن أوسع مسجد رسول الله r ، فإن أردت أن أبني لك بيتاً مثل بيتك في جهة أخرى ، أو أعطيك ثمنه ، وندخل بيتك ف المسجد ، فأبى العباس رضي الله عنه ، فقال عمر رضي الله عنه : لابد أن تفعل ، قال العباس رضي الله عنه : سمعت رسول الله r يقول : " إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس فعمد إليه ليبنيه فوجد إلى جنبه أرضا ، فأراد أن يأخذها ، فأوحى الله إليه : " إني

أمرتك أن تبني لي بيتاً فأردت أن تغصب بيت عبد من عبادي ، عقوبتك أن لا تبينه " فقال عمر رضي الله عنه : لابد أن تأتيني ببرهان على ذلك ، فذهب إلى الصحابة رضي الله عنهم وقال : أنشدكم الله هل سمعتم رسول الله r يقول ذلك ؟ فقالوا : نعم ، فقلع عمر رضي الله عنه الميزاب الذي في بيت العباس رضي الله عنه وهو كان إلى سطح يصب في المسجد ، فقال العباس : بئسما صنعت ، فإنه وضعه رسول الله r بيده ، فقال عمر رضي الله عنه : لابد أن تطلع على ظهري أو على كتفي ، ثم ترد الميزاب حيث كان ، ثم بعد ذلك سمح العباس رضي الله عنه ببيته ذلك من غير ثمن ولا عوض ، فانظر إلى العدل وأهله تزدد معرفة بمقدار العدل ، ثم إن كل إنسان ملك على جوارحه وأعضائه فإذا كانت سيرته فيها بالعدل نال الخيرات ، واتصف بمحامد الصفات ، والعكس بالعكس ، نسأل الله العافية

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى في الصوم : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) ؟

فأجاب :

إنه في صدر الإسلام قبل نزول :(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) كان الصوم ليس بواجب ، بل من أراد أن يصوم صام ، ومن أراد أن لا يصوم افتدى بإطعام مساكين ، ثم بعد نزول آية وجوب الصوم وهي قوله تعالى :(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) بقى حكم قوله :(وعلى الذين يطيقونه) على الحامل والمرضع لأنها تطيق الصوم ، ولكن لها أن تفطر إذا خشيت ضرر ولدها أو حملها وتفدي ثم تقضي ، وأما الشيخ الهرم والذي لا يطيق الصوم بعلة فحكمه مأخوذ من قراءة : وعلى الذين يطيقونه فله أن يفطر ويفدي ولا قضاء عليه . وأما قولهم : يقدر حرف نفي تقديره :(وعلى الذين – لا يطيقونه) فهذا كلام فاسد لا يقول به عارف ، وكيف يزاد في كلام الله شئ ليس من كلامه ؟ اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان

وقال رضي الله عنه :(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) أتى – هنا – بزيادة الحرث مع أن نعيم الجنة لا يزول ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وفيها التجليات

الإلهية وليس فيها أسقام ولا آلام ، ولا حر ولا برد ، ولا تعب ولا نصب ، أهلها (على سرر متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) فذكر الزيادة في هذا الحرث بقوله :(نزل له في حرثه) ثم قال : (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) الدنيا جميعها لا تعدل عند الله جناح بعوضه ، وكم ملوك في الدنيا على زعمهم وكم تجار ، ومن زراع ، وكم صناع وغير ذلك ، فكم قسم الواحد منهم من جناح البعوضة ؟ ثم مع هذا أتى بمن التي للتبعيض فقال :(نؤت منها) فتأمل أين زيادة الحرث الأول ؟ وقدر حصة الرجل الواحد من جميع من في الأرض من حب الدنيا من قلوبنا ، واجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، وأصلح فساد قلوبنا ، وألهمنا رشدنا يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : أرواح الأموات في البرزخ : كل روح على صورة جثمانها من جميع الصفات ، حتى إن الرائي إذا رأى تلك الروح لا يراها إلا على صورة صاحبها ، مع أن الجسم قد بلى في الجدث ، وأرواح الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم : (ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم) إلى آخر الآيات . المراد بها : الأرواح ، وإنما مثل الفرق بينها وبين غيرها كمثل الرجل

اليقظان والنائم ، فأرواحهم كاليقظان وأرواح غيرهم كالنائم ، فأرواح الشهداء في تلذذها بالنعيم ، وبالبشارات عند ربهم ، والأرزاق وفرحهم كاليقظان ، وأرواح غيرهم في تلذذها وفرحها كالإنسان إذا رأى في منامنه ما يسره . ثم قال : هذا أقرب مثال يكون فهم

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) أي إن الأمانة جعلها الله سبحنه وتعالى وظيفة عظيمة ، لا يقوم بها إلا من كان في أحسن تقويم ، فكل شئ غير الإنسان خلقته قاصران عن حملها ، ولذا أبين أن يحملنها وأشفقن منها ، ولما خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، قدر على حمل الأمانة ، فمثل ذلك كأن يفصل الإنسان ثوبا طويلا عريضاً ، موفر الأذيال في أعلى مرتبة الكمال ، فكل من لبسه إذا لم يكن في غاية الطول والعرض يأبى أن يلبسه ؛ لأنه يعذب بلبسه ، ولا يقدر أن يسير به ولا يتمتع به بوجه من الوجوه ، فإذا عرض ذلك الثوب على إنسان في غاية الطول والعرض ، كامل الذات ، قبله وتمتع بلبسه وانتفع به ، كذلك الأمانة إذا لم يخنها الإنسان فهي أعظم وأكبر نافع له ، ثم قال تعالى : (إنه كان ظلوما جهولا) أي قبل حمل الأمانة أتراه جاهلاً بعد أن حملها ؟

وهو الذي علم الملائكة الأسماء ، بل الملائكة عبدت الله في الأزل ، وترقت فيها وما بلغت معرفة الأسماء حتى علمهم آدم عليه السلام ، فانظر إلى شرف الجوهر الإنساني إذا أدى الأمانة ولم يخنها ، خلقه الله أولاً في أحسن تقويم

ثم أعطاه الأمانة التي هي سبب – إذا لم يخنها – لنيل الدرجات التي لم ينلها غيره من المخلوقات ، وإذا لم يخنها صار الحق سمعه وبصره إلى آخره ، وإذا لم يخنها أدخله الله الجنة التي فيها يبيح له النظر إلى وجهه ، ويحيا بحياة الله ، وملكه الملك الدائم ، حتى إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فأي نوع أشرف من هذا ؟ وأي مزية أعلى من هذه ؟ ويا ضيعة بل يا خيبة من رغب عن هذا الفاني ، وباع الدار الباقية بهذه الدنيا الفانية التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ففي الحديث : أنها تأتي يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء ، وتسأل الله أن يجعلها لأدنى أهل الجنة ، فيقول : لا ، يا لا شئ ، اللهم اجعلنا ممن أدى الأمانة ، يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) المراد بالنافد : هو الوهم الذي نتخيله عندنا ، والوهم قتال لأن الدنيا أسحر من هاروت

وماروت ، فيخيل لنا أن هناك شيئاً ولا شئ ، كالسراب (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وأما من عرف منا قدر الدنيا ونزلها منزلتها ، وسلك فيها الصراط المستقيم فهو الفائز (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

وقال رضي الله عنه : في قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام حين شاورهم الحق تبارك وتعالى في آدم : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) معنى نسبح بحمدك ونقدس لك : أي مخلصين لوجهك الكريم ، لا أن ذلك التسبيح والتقديس معلولان لأجل جزاء أو غير ذلك ، وهذه الدرجة هي أعلى درجات العبادات التي من حازها فقد صار ولياً ، وأما الأنبياء فكلهم كذلك ، وهي مراد كل مترق ، ولكن كم تلقى دون هذه الرتبة عاثراً ، وكيف تلقى عنها مقهقراً ، وما ينالها إلا من تولاه الله وسلم أموره لله ، فأخذ بيمناه فإن الملائكة – عليهم السلام – فروا من التسبيح والتقديس المعلولين ، لكنهم أخذتهم الغيرة على الخلافة فوقعوا فيما فروا منه

وقال رضي الله عنه : (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) وذلك أن قصة الإفك اتفقت فيها متفقات ، احتوت على

كرامات ، وظهرت فيها خفيات ، فمنها : التنويه بشأن أبي بكر رضي الله عنه ، بقول الله تعالى :(ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فجعله من أولى الفضل ، من صفات الله تعالى والله ذو الفضل العظيم ، والسعة هي سعة الله عنه هي سعة الله ، لأن المؤمن المتوكل على الله خزانته عند الله ، ومن كانت خزانته عند الله فتلك سعة الله .

ومنها : إظهار مزية مسطح – رضي الله عنه – عند الله ، فإن من أحبه الله تعالى قاد إليه الذنب خيراً كثيراً ، فإن مسطحاً أتي بهذا الذنب العظيم الذي هو من أعظم الذنوب وأخطرها ، فكان بسببه الخير الكثير ، بأن وصفه الله تعالى بأنه من أولى القربى ، أي من الله تعالى ففي الحديث : " من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً " وبأنه من المساكين أي إلى الله تعالى ، وهم الذين سكنوا إليه تعالى ، الذين قال رسول الله r في حقهم : "اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكن " وشهد له بأنه من المهاجرين في سبيل الله ليخرج ممن هاجر لأجل مال يصيبه أو امرأة يتزوجها ، وهذا سر قول رسول الله r : " لعل الله اطلع على أهل بدر فقال :

اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم" ثم أتى تعالى بصيغة الأمر (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) ليتخلقوا بأخلاق الله تعالى فيعاملهم بها

(ﷺ1رضي الله عنه) قوله : قد دنا الخ هكذا في الأصل ، وحرر لفظ الحديث أ هـ .

مصححه

(ﷺ2رضي الله عنه) قوله : (وكان أبواه مؤمنين) لا مناسبة لقصة الغلام بما نحن فيه .

أ . هـ مصححة

(ﷺ3رضي الله عنه) في نسخة قدره في يوم الحساب بدل قوله : ما يلقى غدا من طول الحساب . أ . هـ مصححه

(ﷺ4رضي الله عنه) قوله : فعلم الخ هكذا في الأصل ، وهو خلاف المذاهب المشهورة .

أ هـ

(ﷺ5رضي الله عنه) قوله : (قال سلام) الخ هذه من الذاريات والآية قبلها من الحجر

.أ هـ مصححه

الفصل الثامن : المحصنات

ثم قال تعالى : (إن الذين يرمون المحصنات) فقال : (يرمون) ولم يقل : رموا لينبه جل جلاله أنه قد غفر للذين قد وقع منهم ذلك ، إنما هذا للذين يرمون فيما بعد ، وبرأ الله تعالى عائشة بأن وصفها بأنها من المحصنات ، ثم قال : الغافلات هذه غفلة ممدوحة ، لأنها غافلة عن الشر ، المؤمنات فوصفها بأنها من المؤمنات ، ثم قال : (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فعلم أنهم غير من قد وقع منهم ذلك ، لأنه قد غفر لهم سبحانه وتعالى ، وكيف يأمر غيره أن يغفر لهم وهو لا يغفر لهم ؟ بل هو تبارك وتعالى أحق بالمغفرة . ومنها : أن عائشة رضي الله عنها ، كان فيها قبل ذلك زهو على نساء رسول الله r ، لعلمها بمحبة رسول الله r لها ، فأدبها الله تعالى بذلك ومنها : أن الرسول r كان يحبها ، والله سبحانه

غيور على قلب عبده أن يسكن فيه حب غيره (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) والقلب لا يسع إلا حب واحد

وهذه الغيرة من الرب جل جلاله ، هي التي أدب بسببها نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، لما اشتد في قلبه حب ولده إسماعيل فأمره بذبحه ، وهي – أيضاً – التي أدب بسببها نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام ، لما اشتد في قلبه حب ولده يوسف فغيبه عنه ، وأدب رسول الله r لما اشتد حب عائشة رضي الله عنها بقصة الإفك ، لينكسر قلبه فلا يبقى فيه إلا الله تعالى ، وإذا صفا قلب العبد المؤمن وتطهر حتى بلغ حد قوله تعالى : " لم تسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن " فلا بد أولاً أن يذبح حتى يفنى عن بشريته ، فلا يبقى إلا الحق فينطق به ، ويبصر به ، ويسمع به ويبطش به ، ويمشي به . قال تعالى :(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) والله سبحانه وتعالى :(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) والله سبحانه وتعالى ملك الملوك فإذا دخل قرية قلب عبده أفسد أهلها ، وأهلها بشريتها والبشرية ذليلة ، والعزة لدولة الحق وسلطانها ، وحينئذ ينادي منادي

الجبار : (لمن الملك اليوم) يخاطب بعد الاضمحلال في عين العدم جميع الآثار ، فيجيب نفسه لما لم يجد سواه (لله الواحد القهار)

وقال رضي الله عنه : تنوعت أقوال المفسرين في وجه إثبات الألف في السبيلا والرسولا من قول الله تعالى حاكياً عن الكفار يوم القيامة : (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وما أصابوا الغرض المقصود وهو إثبات الألف في السبيلا تنبيه على تثنية السبيل لأنهما سبيلان : سبيل الهدى ، وسبيل الضلال ، قال تعالى : (وهديناه النجدين) فمن اهتدى لسبيل الهدى فقد اهتدى لسبيل الضلال ، ومن ضل عن سبيل الهدى فقد ضل عن سبيل الضلال ، لأنهما متلازمان من كل وجه

وأما إثباته في الرسولا فكذلك إشارة إلى أن الرسول رسولان ، رسول خارج وهو الذي جاء من عند الله ليبلغ عنه ، ورسول داخل وهو القابلية ، وكل واحد مفتقر إلى الآخر ، كنوز البصر فإنه مفتقر إلى نور خارج ، إذ لو كان في ظلمة لما رأى شيئاً ، والنور الخارج مفتقر إلى نور البصر ، فإن الأعمى لا يرى شيئاً ، ولو كانت الشمس في كبد السماء . ألا ترى أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين ، جاء كل واحد منهم قومه بالمعجزات الباهرات ، والعلامات الظاهرات ، فلم يقبل منهم إلا من ثبت في داخله رسول القابلية ، ومن لم يثبت لم ينتفع بالرسول الخارجي ، وهي المطاوعة ، يقال كسرته فانكسر يعني قبل الكسر ، وأما إذا قلت : فتلت الحديد فانفتل ، فهو باطل لأن الحديد لا ينفتل ، كذلك الكفار لم يثبت لهم رسول القابلية فلم يطاوعوا الامتثال لما جاءت به الرسل ، فهذا وجه إثبات الألف ، وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : قال المفسرون في قوله تعالى : (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) إن المراد به الرسول r وإن الضمير في ينصره يعود إليه r وليس كذلك ؛ لأنه لم يتقدم لفظ الرسول r حتى يعود إليه الضمير لا قريباً ولا بعيداً فإنه لم يتقدم ذكر اسمه r من أول السورة إلى هذه الآية ، بل الضمير في ينصره عائد إلى الموصول ، وهو من كان يظن لا إلى الرسول ؛ لكونه لم يتقدم لفظ الرسول لا قريباً ولا بعيداً ، وقد ياي ضمير عائد إلى متقدم وإن بعد ، كقوله تعالى : (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) فعلى قراءة الكسر معطوف على قوله تعالى : (وعنده علم الساعة) أي وعنده علم قيله يا رب . وعلى قراءة النصب

معطوف على البعيد ، وهو قوله تعالى : (أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي ويحسبون أنا لا نسمع قيله يا رب

وأما من كان يظن أن لن ينصره الله فلم يتقدم ما يعود إليه الضمير على وجه تفسيرهم ، بل معناه كل من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع عن نفسه هذه النازلة التي بسببها يطلب النصر ، هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ أي لو أمكنه هذا المحال ما أذهب غيظه ، فكيف وهو لا يمكنه أصلاً . ومن الضمائر التي تعود إلى البعيد قوله تعالى : (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) فإنه معطوف على قوله تعالى قبل جزء : (ولو أننا نزلنا) (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون) ثم أتى تعالى بهذه الجمل المعترضة وهو قوله : (اتبع ما أوحي إليك من ربك إلا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) إلى آخر الآيات . ثم قال : (ولتصغى) تقديره ولنبينه لقوم يعلمون ولتصغى إليه أ . هـ والحمد لله

وقال رضي الله عنه : في قول الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) متعلق الجار والمجرور في قوله بالقول

الثابت هو آمنوا وليس متعلقاً بيثبت تقديره : الذين آمنوا بالقول الثابت : يثبتهم الله ، والقول الثابت : هو قول الله تعالى وما جاء به رسول الله r

وقال رضي الله عنه في حديث ما معناه أن المؤمن يتلذذ بنزع روحه عند الموت كما تلذذ الظمآن بشراب الماء البارد في اليوم الصائف ، وأما قول الرسول r بدليل قوله r " ما يشاك أحدكم شوكة إلا وجدت ألمها " ولأ، آدم عليه الصلاة والسلام ما أكل من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها إلا لتحرك الأشقياء في صلبه الذين قال تعالى في حقهم : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا) وقال تعالى في حقهم : (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه وإنهم لكاذبون) فالنبي r هو حقيقة العالم الإنساني وأصله ، وهو r يتحمل المشاق لأجل أمته ، ويستغفر في كل يوم سبعين مرة لأجل أمته ، لأن استغفاره لنفسه r هو عين استغفاره لأمته ، أتراه يذنب r وهو معصوم ؟ أو يخاف من الذنب وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ وذنبه الذي غفر له إنما هو باعتبار ما عنده r وإلا فليس له ذنب ، لكنه لما عرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته نزل نفسه r منزلة من لم يؤد حقه تعالى كما يليق بجماله وكماله فعد ذلك ذنبا

وأما قوله r : " رب اغفر لي وتب علي " فهو استغفار لأمته وتوبة عنهم r ، فهو ممتثل لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث قال (فاعف عنهم واستغفر لهم) أي الحقوق التي لك عليهم فضيعوها اعف عنهم فيها وتخلق بأخلاقنا ، والحقوق التي لنا استغفر لهم فيها ، ويا هل تراه تعالى يأمره r بالاستغفار لأمته ولا يقبله ؟ كمن يضيفك ويغلق بابه دونك ، حاشا وكلا ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، اللهم صل وسلم على رسولك الشفيع المشفع ، وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك

وسئل :

رضي الله عنه : عما ورد من الأحاديث التي في معنى : " من تداوى واسترقى فقد برئ من التوكل " وما ورد من تداويه r بحرق الخصير وإلصاقه بجرحه ، ونحوه من النفث وقراءة المعوذتين ؟

فأجاب :

دامت إفادته بما معناه : إن الأمة على ثلاث طبقات : عليا ، ووسطى ، ودنيا ، فإذا جاء عن الشارع ما يقتضي كراهة فعل شئ إما بذمه أو ذم من فعله ، ثم جاء عنه أنه فعل شيئاً منه ، فذلك الذم درجة الطبقة العليا ، وفعله لشئ منه وهو سيد أهل الطبقة العليا ، ليحصل الفاعل له من أهل الطبقة الوسطى والدنيا حظه من محبة الله تعالى بالاتباع (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهو r في استعمال الدواء والرقية في أعلى مراتب التوكل ؛ لأنه مستعمل لها لله بالله ، لا نظر له في ذلك إلا إلى الله ، فإن استعمل عبد الدواء مثلاً مستحضرا نية الاقتداء أو الإتباع وامتثال الأمر كما ورد في إحدى روايات خطبة في حجه r : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء " فله حظه من محبة الله على قدر نيته وإيمانه ، ومن فعله من غير نية سوى التداوي فله حظه بقدره ، ولا يشترط ما قالوه : إنه لا يثاب على الفعل المباح إلا إذا نوى نية تصيره عملا صالحاً ، فإن المؤمن مثاب على كل فعل فعل يفعله ، من حركة وسكون وقول وسكوت ، ما لم يكن ذلك في معصية ، كما أنه لو فعل شيئاً من ذلك عن غير قصد فيما لا يرضاه الله تعالى فإنه يأثم ، والحجة في هذا قوله r : " إن في بضع أحدكم صدقة " قالوا : يا رسول الله ،

آياتي أحدنا شهوته وله أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أما كان عليه وزر " الحديث

وقوله : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في عليين ، ويتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها في النار سبعين خريفاً " الحديث . وفي بعض رواياته : " لا يظن أنها تبلغ ما بلغت " فالعبد إذ مل القعود مثلاً فقام ليستريح فهو مأجور ؛ لأنه ما قام إلا معتقداً أن الله أباحه ، ولو حرمه عليه ما فعله ، فهو مأجور وإن لم يستحضر النية ، وهكذا قس عليه سائر أفعال العبد مثل الأكل والشرب ، فهو ممتثل للأمر من الله سبحانه فأجره عظيم في امتثال قوله / (كلواواشربوا) وكذلك كل ما ورد به أمر الشارع ، ولا شك أن من استحضر النية لكل فعل فإن رتبته أعلى وأجل ، وأجر كل عامل على قدر عمله ؛ نسأل الله التوفيق

وسئل :

رضي الله عنه : عمن أدرك ركوع الإمام هل يعتد بها ركعة ولو لم يقرأ الفاتحة فيها ؟

فأجاب :

إن قراءة الفاتحة أسقطها الشارع عن المسبوق ، إذا أدرك الركوع مع الإمام بدليل حديث أبي خزيمة الذي صححه ، وحديث أبي بكر رضي الله عنه حين ركع دون الصف ، ومشى إلى الصف ، فقال له r : " زادك الله حرصاً ولا تعد " فإنه لم يأمره بإعادة ولو كانت لا تجزئه لأمره بالإعادة ، وقوله : ولا تعد إنما هو عن الركوع دون الصف ، لا عن اتباع الإمام على الحالة التي هو عليها ، فإنه مأمور باتباع الإمام على أي حال وجده عليها ، وورد – أيضاً – أنه r أطال الركوع في بعض صلواته طولاً زائداً ، فسئل بعد انصرافه فقال : " إن جبريل أتاني فقبض يدي على ركبتي ليدرك على رضي الله عنه الركعة " فسئل الشيخ رضي الله عنه : من ذكر هذا الحديث ؟ قال : الذي يحضرني – الآن – أنه ذكره ابن الجوزي مع أنه قد جعل بعض الأحاديث الحسان والصحاح موضوعة ، فما أورده إلا وهو عنده ثابت ، والله أعلم

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى في الحديث القدسي : " إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا الغني ، ولو أفقرته لفسد حاله " الحديث . مع ما ورد في الحديث الآخر : إن رجالاً يتخوضون في مال الله تعالى بغير حق فلهم النار ، وما يشاهد من طغيان الأغنياء وكثرة المال في أيدي الكفار ؟

فأجاب :

إن قوله تعالى : " إن من عبادي " فعباده – هنا – إما أن يكونوا الخواص منهم الذي لا يتعبدون لغيره تعالى ، فهو مثل قوله تعالى : (وهو يتولى الصالحين) يا هل ترى أنه لا يتولى إلا الصالحين ؟ بل هو متول لجميع خلقه من كافر ومسلم ، وفاسق ومؤمن ، قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال تعالى : (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) لكن التولي – هنا – خاص للصالحين باسمه الهادي واللطيف والرحيم ، وبجميع أسماء الرحمة ، وتوليه للمجرمين بأسماء العذاب كالمضل والمنتقم . فإذا عرفت ذلك علمت أن لكل اسم

من أسماء الله تأثيراً في خلقه ، وإن الحقيقة واحدة وتأثير كل اسم من أسمائها في المخلوقات ، فتأتي كل عبد جيوش الأسماء مع أن الحقيقة واحدة

ولما كان خلق آدم على الصورة وافقت الأسماء شئونه ، فالمضل يجذبه إليه ، والهادي يجذبه إليه ، والمنتقم يقول للمضل : ائتني به ، فإن لي فيه حصة ، والرحمن والرحيم يقولان للهادي : ائتنا به فإن لنا فيه حصة ، فالله سبحانه متول لجميع العباد بجميع الصفات ، وقوله : يتولى الصالحين أي بأسماء الرحمة ، فقوله : " إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله " أي عبادي الخواص ، فإن من الأنبياء من ابتلى بالفقر ، ومن الصالحين كذلك ، ومنهم من ابتلى بالقتل ، ومنهم من ابتلى بالأمراض ، لكن ذلك صلاحه باعتبار مآله ، كقطع اليد من الأكلة ، وتجرع الأدوية نعوذ بالله من ذلك ، وكذلك قوله : " إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله" أي الخواص منهم لأنه بسبب غناه يدخل الجنة ، لكونه يتصدق ويعتق ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولو كان فقيراً لسخط وربما أحوجته الضرورة لفعل أشياء بسببها يستوجب النار ، هذا إذا كان لفظ عبادي موجهاً إلى الخواص ، فإذا كان باعتبار العموم فالصلاح في قوله : " إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغني " موجه إلى السابقة فإن من سبق في علم

الله أنه من أهل النار لا يصلحه لهذه السابقة إلا الغنى الذي هو عن الفساد ، فصلاحه عين فساده ، وعلى هذا كل من بسبب غناه يكون طغيانه ، وكذلك من سبق في علم الله أنه من أهل النار ولكن لا يصلحه لهذه السابقة إلا الفقر ، وبسببه يكون طغيانه ، ولو كان غنياً لفسد حاله ، أي فسد حال هذه السابقة وهذا سر القدر ، ولا تؤدي عنه العبارة والسكوت فيه أولى

وقال رضي الله عنه : إذا أسلم العبد جميع أموره لله وفوضه له تولاه الله ، وعامله بما يصلحه ، وهو أعلم بمصالح عباده ، فإن أهل الله تعالى وأنبياءه مشوقون ومتشوقون لتجلي الحق لهم فيتجلى لهم بالقدر الذي به يتمتعون ، ويتلذذون على قدر طاقتهم واستطاعتهم ، لأنهم لا يزالون يتقربون ويتوددون إليه تعالى بالعبادات والأعمال الصالحات ، حتى يكون أبصارهم وأسماعهم فيرونه به ، فطلبوه من بابه فكان تجليه لهم رحمة ، وبنو إسرائيل لما لم يفوضوا إليه ولا طلبوه من بابه بل قالوا :(أرنا الله جهرة) تعنتا منهم ؛ تجلى لهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، فكان تجليه لهم عذاباً ، ثم قال تعالى بعد ذلك :(ثم بعثاكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) أي تشكرون نعمة الحجاب فإن الحجاب رحمة لمثلكم ، كذلك نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام :(قال رب أرني أنظر

إليك) مع أنه قد رآه حيث تجلى له في النار في أول الأمر ، لكن قوله :(انظر إليك) يريد بالجلال والجمال الذي يعلمه لنفسه ، فقال (انظر إلى الجبل) فنظر إلى الجبل ، فتجلى ربه للجبل فجعله دكا ، وخر موسى صعقاً ، والصعقة هي الموت فرآه في الموت وهو مصداق قول رسول الله r : " لن يرى أحدكم ربه حتى يموت ، وهو ما رأى إلا بقدر ثلث الخنصر من الذات " كما ثبت ذلك عن رسول الله r

وبهذا القدر كان تجليه له فوق استعداده وطاقته ، ولو كان فوق ذلك بقليل لصعق حتى لا يبقى موسى ولا يبعث ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفاته ، ونبينا محمد r لما فوض أمره إلى الله تعالى أسرى به ، وأراه إياه بقدر لا يعلمه إلا هو ، فصار في الظاهر عبداً يمشي في الناس ويتكلم معهم ، وفي الباطن أمواج بحار أنوار الحق تعالى ، ومكنه الله طاقة واستطاعه يحمل بها أعباء ما أهله الله له من مشاهدته ومحاضرته ، وتبليغ أمته الرسالة ، وأداء الأمانة فهو علوي سفلي r ، فسبحان المعطي المانح ، جل جلاله وتقدست أسماؤه ، ولا إله غيره وصلي الله على نبينا وسيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

وقال رضي الله عنه : أخفى الله ثلاثاً في ثلاث : أولياءه في خلقه ، ورضاه في طاعته ، وغضبه في معصيته ، وبه أوصى الباقر – عليه السلام – ولده فقال : يا بني ، لا تحتقرن ذنباً ، فربما يكون به هبوط الأعمال ، وغضب الرحمن ، ولا تحتقرن طاعة ، فربما يكون بها نيل الخيرات ، وبها رضا الله تعالى ، ولا تحتقرن أحداً من المسلمين ، فربما تحتقر من هو عند الله عظيم ، فتكون منازعاً الله ، وقال بعض الصالحين : إذا اعتقدت أن كل من رأيته هو الخضر فقد رأيته ، ولو كان معروفاً عندك كأخيك أو ابن عمك ، لأنه يتصور بصورته ، والله الله أن تحتقر مسلماً أو تؤذيه ، فقد يكون ولياً من أولياء الله وأنت لا تشعر ، فتكون داخلاً في غضب الله ففي الحديث : " إن الله ليغضب لأوليائه كما يغضب الليث لأشباله "

والله سبحانه يحارب ثلاثة أنواع من أهل المعاصي : قاطع الطريق ، وآكل الربا ، والمؤذي لأوليائه ، وفي الحديث الآخر القدسي : " من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة " قال تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقال تعالى في آكل الربا :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وفي الحديث : " من آذى ولياً فقد حارب الله "

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي أن تكون الخلة إلا لله تعالى ، ففي الحديث : " يا أيها الناس ، إنه كان لي فيكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى الله أن اتخذ منكم خليلاً ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل " وأما قول الله تعالى : (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) فهو دليل على ما قلناه ، لأن المتقين هم أحباء الله تعالى ، والله يحب المتقين ، فلا خليل لهم غير الله تعالى ، وليس المراد أن بعضهم أخلاء لبعض ، بل إذا تخالل رجلان في الدنيا صار عدوين يوم القيامة ، لأن كل واحد منهما اتخذ خليلا غير الله ، ولا تبقى الخلة إلا لله ، فالمستثني بقوله : (إلا المتقين) إنما هو الخلة لله فقط ، لأن حقيقة الخلة : هو أن يكون الجوهر عين العرض ، والعرض عين الجوهر كالصباغ في الثوب وهو معنى أن يكون سمعه وبصره إلى آخره

وقال رضي الله عنه : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : حمل الناس قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)

على غير معناها ، فتركوا النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، وليس كذلك ، فالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجب على كل أحد : إما بيده ، أو بلسانه ، أو بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، وقال رسول الله r : " لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليعمنكم الله بعقاب منه " وقوله : " عليك أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " هو معنى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي ضلال المضل لا يعاقب عليه من اتهدى ، فالواجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حتى تكون المعذرة ، والمعذرة هو أن ترى مصداق ما قاله رسول الله r : " مر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهو متبعاً ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك ، ودع عنك أمر العوام " وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : لما نزل قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) إلى قوله : (وذلك هو الفوز العظيم) ترك الصحابة رضي الله عنهم الأكل من أموالهم ، حتى نزل قوله تعالى : (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحة أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) فأباح

لهم تعالى أن يتصرفوا في ماله الذي اشتراه منهم بالمعروف من غير إسراف ، وكانوا إذا أكلوا جميعاً يؤثر كل واحد منهم أخاه ، وبهذا تحصل البركة ، وقال r : " خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي " وشكا الصحابة عدم الشبع إلى رسول الله r فقال : " لعلكم تفترقون على طعامكم " قالوا : نعم ، قال : " اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه " وقال r : " الذي يأكل وحده شيطان " . وفي الحديث : " الكنود هو الذي يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويضرب عبده " وكذلك إذا أكلوا أشتاتاً فلابد من الإيثار ، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت يا أرحم الراحمين .

وقال رضي الله عنه : عنه قلب ابن آدم ميزانه ، فإن أردت أيها الطالب للعلم : أن تعرف العلم النافع من غيره فانظر في قلبك ، فإن وجدته حين تقف لسماع ذلك العلم يشرئب إلى الدنيا وحب الرياسة ففر منه ، فذلك هو اضلال المبين . وإن اطمأن قلبك عند سماه بالله ، وخرج من قلبك حب الدنيا ، واستغنيت بما عند الله تعالى ، فذلك هو العلم النافع ، فعض عليه بالنواجذ ، وأت ولو حبوا ، وما جمع هذه الشروط وهذه الأوصاف ، سوى قول الله ، وقول رسول الله r . فأولا وبالذات : أنك تكون من الذاكرين الله كثيراً بقولك : قال الله ، قال رسول

الله ، ثم يصلي عليك الله عشراً بقولك : r ثم تلتمس الهدى من الذي شهد الله له بالبيان والهدى ، فقال : (هذا بيان للناس وهدى وموعظة) فما أخسر صفقة من استبدل قال الله ، قال رسوله ، بقول فلان : قال فلان . أتراه نوراً وكلام الله ورسوله ظلمة ؟ أو تلتمس الهدى من غير ما التمس منه الصحابة والصالحون من التابعين ؟ اللهم انفعنا بالقرآن العظيم ، وبسنة رسولك r

وقال رضي الله عنه : قال الله : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) عظم تعالى النفس اللوامة فأقسم بها ولا يقسم إلا بعظيم ، ثم قرنها بيوم القيامة ، وذلك لأن النفس اللوامة وهي التي تذكر ذنوبها فتلوم نفسها ، ولومها نفسها هو قيامتها ، وهو معنى قول رسول الله r : " حاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسب " فمن حاسب نفسه ولا مهما فقد أقام قيامته ؛ لأن يوم القيامة هو يوم الحساب . وفي الحديث : كان رسول الله r في سفر ، فنزل منزلاً ، فذهب رجل إلى الرمضاء وجعل يتمرغ فيها ، ويقول لنفسه / ذوقي حر النار ، جيفة بالليل وبطالة بالنهار ، وتطمعين أن تدخلي الجنة ، فبينما هو يتقلب في الرمضاء إذ أبصره رسول الله r فجاء إليه فقال : يا رسول الله ، غلبتني نفسي ، فقال له r : " إن الله قد باهى بك الملائكة " ثم قال r لمن حضر من أصحابه : " تزودوا من

أخيكم " فجعل كل واحد منهم يقول : ادع لي ، فقال رسول الله r : " عمهم عمهم " وذلك لكونه حاسب نفسه في خلوته ، ووبخها ولامها ، فالكيس اللبيب من أكثر اللوم على نفسه ، وحاسبها قبل أن يحاسب على مثاقيل الذر . اللهم إنا نسألك توبة نصوحاً ، وأن تشغلنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين

وقال رضي الله عنه : ليس ما عبر عنه من المستقبل بصيغة الماضي في القرآن لتحقق وقوعه ، كما زعم أهل المعاني مثل قوله تعالى : (أتى أمر الله) (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) (وسيق الذي اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) بل ما كان في علم الله تعالى فهو مشاهد معاين عنده سبحانه وتعالى ، فإن علمه عين إبصاره ، فكل ما يكون في يوم القيامة مشاهد له من قبل خلق كل شئ ، فإنك ترى المنى حال نزوله من الصلب وهو ماء ، والله سبحانه وتعالى يراه على الخلقة التي سيكون عليها ، ويرى في ذلك المنى عيونه بقدر حجمها ، وسمعه وبصره ، وجميع جوارحه وأعضائه على ما ستكون عليه ، بل يراع كذكل قبل خلق كل شئ ، وعلمه بالشئ تعالى عين رؤيته له ، ويرى عياناً ذرية تلك النطفة إلى ما لا نهاية له ، أرى الله سبحانه وتعالى نبيه r عياناً ليلة الإسراء كل ما سيكون ، كالمرأة تخدشها هرة ، فإنه رآها r عياناً مع أن تلك المرأة في البرزخ ورآها r كذلك في النار ، وفي

الحديث : أن رسول الله r كان يوماً جالساً بين أصحابه ، فقال : " إني أرى حجراً ألقى من شفير النار ، وله سبعون سنة يهوى فيها ، وهو الآن وصل قعرها " فلما سكت r سمعوا وجبة عظيمة حتى حصلت رجفة ، وما سكنت تلك الوجبة حتى سمعوا صياحاً في بيت رجل من المنافقين مات في تلك الحالة ، وعمره سبعون سنة ، فكل حياته يهوى في النار وحال مماته وقع في قعرها (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) فعبر r بالحجر عن ذلك المنافق ، ورآه رأى العين مع أنه في تلك الحالة في بيته لم يخرج منه ، فانظر إلى بطلان قول أهل المعاني : يؤتي بصيغة الماضي في محل المستقبل لتحقق وقوعه ، بل هو واقع وصيغته مطابقة لمعناه . والله المستعان

وقال رضي الله عنه : أعظم البلايا والرزايا والامتحانات واقعات على الأنبياء والأولياء من عباد الله تعالى ، وذلك لأن كل اسم من اسماء الله تعالى له تأثير في خلقه ، فكل واحد يطلب حظه ، فحظ المنتقم والضار والجبار منهم في الدنيا ، والخير كل الخير لهم في ذلك ، فإنه لا يبقى بينهم وبين النعيم المقيم سوى الموت ، وبقدر المشاق تكون لذة الراحة سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه : يا رب لم تعطي الدنيا الكفار والمجرمين وتزويها عن عبادك الصالحين ؟ فكشف له عن

حالة من ابتلاه الله في الدنيا من المؤمنين ، فلما رآه وما هو فيه من النعيم قال : لا يضره إذا ما ابتلى به في الدنيا ، ولو سحب على منخره من أول حياته إلى آخرها ، وكشف له – أيضاً – عمن أنعم عليه في الدنيا من المجرمين ، فلما رآه وما هو فيه من العذاب قال : لا شئ ما كان فيه ولو ملك جميع الدنيا وما فيها ، ولا شك أن كل ما فقد ولو كان أعلى وأغلى وأعز ما في الوهم فهو كلا شئ ، قال الشاعر :

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

وقال آخر :

إن التجار إذا عادوا وقد ربحوا أنساهم الربح ما عناهم السفر

هذا من غير نظر إلى أن جميع ما في الدنيا الفانية لا يعدل ما يكون لأدنى أهل الجنة الباقية ، فإن الدنيا تتصور يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء ، وتسأل الله أن يجعلها لأدنى أهل الجنة ، فيقول : لا . يا لا شئ ، أي أنت أهون أن تكوني لأحد من أوليائي ، هذا وفي طي ابتلاء المؤمنين حكم ، قال تعالى : (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)

ألا ترى أن الصحابة في أحد وقع عليهم ما وقع ليبتليهم ؟ قال تعالى : (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعني : الهزيمة ، وأي ابتلاء أعظم من هذا ؟ رسول الله r فهيم ، وهم المحقون وعدوهم المبطلون ، ويريدون إعلاء كلمة الله تعالى ، ثم حصل عليهم ما حصل قال تعالى : (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) لأن الفتنة هي الاختبار يقال : فتنت الذهب أي ألقيته في النار ليختبر ، ويظهر هل هو ذهب أو لا ؟ وهل هو جيد أو ردئ ؟ ولذة قال منهم قائل : (لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا هاهنا) وقال البوصيري في الدرر المضية في مدح خير البرية :

لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

فإذا عرفت وأمعنت فكرك فيما سنح هان عليك جميع مصائب الدنيا ، وتعلم أن في طيها مع الصبر عليها كل الخيرات ، ونيل الدرجات ، وكفى لك أسوة بصاحب المعجزات والكرامات عليه وعلى آله أفضل السلام وأزكى التحيات (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد)

وقال رضي الله عنه : قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) معناه في الظاهر قال رسول الله r : " صلوا في نعالكم " وفي الباطن " زينة الإنسان في صلاته حضور قلبه وإخلاص عمله " ومعنى الإخلاص أن تكون صلاته تلك خالصة لله تعالى كما يستحق كماله وجلاله له ، لا لطمع في شئ ولا لنجاة من شئ ، وإنما يسأل الله الجنة لكونها محل رضاه ، ويتعوذ من النار لكونها محل سخطه ، قال رسول الله r : " لا تكن كالأجير السوء إن أعطى عمل ، وإن لم يعط لم يعمل ، ولا تكن كالعبد السوء إن خاف عمل ، وإن لم يخف لم يعمل " هذا فإن بلغ العبد إلى هذه الرتبة فقد أخذ زينته ، والزينة هي مقامه في محل العبودية من جميع الوجوه

واستؤذن رضي الله عنه : من بعض من ينسب إليه في أن يقرأ في كتاب من الكتب المؤلفات فأعرض عن الجواب ، ثم قال : استأذن فيما سلف رجل شيخه في أن يدرس كتابا من المؤلفات فقال له : على اختيارك ما ظهر لك عملت به ، وهذا التلميذ المستأذن رجل غريب ، فدرس في مسجد تلك البلدة التي هو فيها ، فلما سمع شيخه بذلك قال له : يا رجل ، إنك مازلت مطاوعاً نفسك لم تقنع بشهرتك ورياستك في بلدك ، حتى أردتهما في غربتك ، يعني أن وضع التدريس كما يفعل

الآن للشيطان والنفس فيه مجال تصعب السلامة منهما ، لأن بسبب ذلك يظهر ويشتهر والظهور يقصم الظهور ، والظهور نقمة والنفس تهواه ، والخمول نعمة والنفس تأباه ، ولكن الذي كان عليه الصحابة وأهل الله من بعدهم أنهم لا يفتون إلا عند الحادثة ، حتى إن عمر – رضي الله عنه – كان إذا استفتى عن شئ يقول : أوقع ذلك ؟ فإن قالوا : لا . قال : لا تسألوا حتى يقع ، وإذا وقع فتح الله فيه ، وروي ذلك – أيضاً – عن مالك رحمه الله تعالى

الفصل التاسع : معني

وفي حديث ما معناه : " ملعون من سأل عن شئ لم يكن " وأما ما حدث من نصب المدارس لتدريس الكتب والمؤلفات فهو إلى النفس والهوى أقرب ، ولا يخلو من ذلك إلا القليل ، واتباع الهوى مذموم حتى في العبادة ، فإن رسول الله r مر ذات ليلة بأبي بكر – رضي الله عنه – وهو يخافت في صلاته ، ثم مر بعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو يجهر في صلاته ، ثم مر ببلال وهو يقرأ من القرآن آيات من سور مختلفات ، فلما كان الغداة سأل أبا بكر عن مخافته يعني

أنه يريد أن يستفهمه عن قصده ، لأن كل واحد منهم له في فعله ذلك قصد ونية فقال : قد أسمعت من ناجيت فقال : " ارفع صوتك قليلاً " ثم سأل عمر فقال : لأرضي الرحمن وأطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ، فقال : " اخفض صورتك قليلاً " ثم سأل بلالاً فقال : أخلط الطيب بالطيب فقال : " لا . فإذا شرعت في سورة فأتمها " فمقاصدهم – رضي الله عنهم – كلها حسنة ، ولكن أراد رسول الله r أن يخرجهم عن أهواء نفوسهم ، ويمكنهم من حظهم من حب الله تعالى في اتباع رسوله r (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ورسول الله r إنما كان يقف لأصحابه ليعظهم ، ويذكرهم بالله ويعرفهم به ، لا لأنه يعلمهم أحكاماً لم تقع فيها الحادثة ، ولم يحتج إلى الحكم فيها حالاً ، والصحابة رضي الله عنهم ، كانوا إذا جاء السائل يسأل يورون له الكتاب والحديث عن رسول الله r ، حتى إن رجلا سأل ابن عمر – رضي الله عنهما – عن القنفذ ، فقرأ له قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً) إلى آخر الآية . فلما لم تنص هذه الآية على تحريمه أحله ، فلما سكت قال له رجل : إني سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن رسول الله r لما سئل عن القنفذ قال : " هو خبيث من الخبائث " فقال ابن عمر إن كان أبو هريرة حدث عن رسول الله r

فهو ذاك . فانظر إلى حال الصحابة الذين هم قطب رحى هذا الدين ، ثم انظر ما أجهل من أفتى بكلام رجل من السلف وجده في هامش كتاب لم يعرفه كيف سنده ، ولا وجه اتصاله بقائله ، وربما كان مخالفاً لما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله r ، ثم إذا ناقضته بالحديث عن رسول الله يقول : لو صح هذا لا طلع عليه إمامي فما أعظم هذه الرزية التي عمت ، نسألك اللهم عافيتك ، ثم يميل عن حديث رسول الله r الصحيح ، الذي اجتهد فيه السلف الصالح من الأئمة ، حتى ضبطوه وأتقنوه وأوصلوه من ثقة عن ثبت إلى النبي r

وقال رضي الله عنه : في قول الله تعالى : (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) ليس المراد بيوتهم وديارهم ، بل المراد المعاصي ، أي عصيتم بما عصوا به ، وقد عرفتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، فإن لكل قوم نبي عصياناً غير عصيان من سواهم ، فذلك الخطاب يتناول كل عاص على تنوع العصيان ، فالذي يلوط قد تبين له في القرآن كيف فعل الله بقوم لوط ، فهو سكن في مساكنهم ، والذي يخسر الميزان قد تبين له كيف فعل الله بقوم شعيب وسكن في مساكنهم ، وكذلك سائر المعاصي ، ما من معصية إلا وقد عصى الله بها قوم ، وعوقبوا عليها بعقاب مخصوص ، فلما أجهل من عصى

الله تعالى ، وما أشده عداوة لنفسه ، وقد أخبره الله تعالى في كتابه العزيز على لسان رسول الله r ما جرى للقوم الذين عصوا الله من خسف أو صيحة ، أو رمى بحجارة ، اللهم اعصمنا حتى لا نعصيك ، واكفنا حتى لا نرجو سواك

وقال رضي الله عنه : أرسل الله سبحانه رسله ، كل رسول بمعجزة غير معجزة غيره من الرسل ، كذلك أولياؤه لا يتفق اثنان في طريقة واحدة ، فقدرة الله تعالى وصنعته أبدعت كل شئ ، فكل فرد من مخلوقات بديع في خلقته ولونه ولسانه وطباعه ، فكل إنسان لم يتقدم عليه مثله من جميع الوجوه ، ولم يتأخر عنه أحد كذلك ، وإن تشابه اثنان في جزء اختلفا في جميع الأجزاء الباقية ، وكذلك غير الإنسان من الحيوانات والجمادات وغيرها ، فإن كل فرد مغاير لغيره ، حتى الشعرات فكل فرد من مخلوقاته تعالى (ليس كمثله شئ) قيل لبعض العلماء – وهو أبو يزيد رضي الله عنه – : بم عرفت الله ؟ فقال : بوحدانيتي عرفت وحدانيته ، فهو ليس كمثله شئ ، فسبحان المبدع لا إله إلا هو ، فإذا علمت أنه لا يفيد المريد تطلبه لمراده في كتاب من الكتب المؤلفات فلابد من الشيخ ، والآخذ عنه ، لأنه متفرد بطريقة لم يتقدمه أحد بها ولم يتأخر عنه أحد ، فبحضوره بين يدي شيخه تحصل له البركة ، فيفتح الله عليه بفتوح مبتدع غير فتوح شيخه ،

وغير فتوح من تقدمه ومن يتأخر ؛ لأن خزائن الله ملأى لا تنقص ، وعطاياه لا تحصى ولا تنحصر ، ولا تقاس بمقياس ، ولذا قالوا : طرائق القوم عدد أنفاس الخلق ، وكذلك الأنبياء والرسل فإن لكل واحد منهم ديناً غير دين الآخر ، وشريعة جديدة ، وشريعة رسول الله r نسخت جميع الشرائع ، ومن بقي على دين من قبله من الأنبياء ولم يؤمن به فهو كافر ، فإذا عرفت هذا الباب علمت أنه لابد من شيخ تأخذ عنه ، وإلا كان خطؤك أكثر من صوابك . والله المستعان

وقال رضي الله عنه : الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة : اتفاق الأمة على أن الصحابة لم يكتبوا في مصاحفهم غير القرآن ، ولم يوجد مصحف من مصاحفهم إلا وفيه بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سوءة سوى براءة ، وهذا الإجماع بعد حديث عبد الله بن مغفل ، فإجماع المصاحف على كتبها مع اتفاق الأمة أن الصحابة لم يكتبوا إلا القرآن ، والإثبات مقدم على النفي ، كما يعتبره المحدثون دليلا على ما قلنا ، وأي دليل أعظم من هذا كما ترى ؟ وغيره لما سمع ولده في الصلاة قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : يا بني ، لا تكن أول من أحدث في الإسلام فإني صليت خلف رسول الله r ، وأبي بكر ، وعمر ، فلم أسمعهم يقولونها ، وقال الله تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني

والقرآن العظيم) فقال بعض الصحابة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما هي ست آيات ، يعنون الفاتحة ، قال : البسملة إحدى آياتها

وقال رضي الله عنه : دعا الله عبيده إلى ضيافته بلسان خليله إبراهيم وحبيبه محمد r ، فإن الملك إذا دعا عزيزاً عند لضيافته ، أرسل إليه أكرم عبيده وأعزهم عنده ، فقال تعالى جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، يأمر خليله r :(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقال تعالى على لسان نبيه وحبيبه محمد r :(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) فما أعظم هذا التشريف الذي شرف الله به هذه الأمة ، أن بعث إليهم لضيافته رسولين هما أفضل الخلق فقال بعض أصحابه : فالذي يجاور بمكة من الحجاج بعد أن يحج هل هو باق في الضيافة أم لا ؟ فقال : باق في ضيافة مولاه

فقال بعض أصحابه : (فإذا طعمتم فانتشروا)

فأجاب :

على البديهة بأن قال : الضيافة ثلاثة ايام ، وأيام كل أحد على قدره (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) فإن بقي الرجل في مكة مدة عمره أوفاه الله كمال ضيافته في قبره وفي الجنة ، فرقصت الألباب مما وجدت من السرور عند سماع هذا الجواب على البديهة

ثم قال رضي الله عنه : وأعظم فوائد هذه الدعوة : هو اجتماع المسلمين بعرفات ، ومزدلفة ، ومنى ، ومكة ، وفيهم الأولياء والصالحون فيشفع بعضهم لبعض ، ويهب الله مسيئهم لمحسنهم ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، والاجتماع رحمة ، والفرقة عذاب . قال الله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) مع أن هذه الآية في الكفار وهم لم يستغفروا ، وإنما استغفار النبي r لهم منه رائحة اتحاد الحقيقة ، فبها لم يعذبهم الله في الدنيا ، وقال تعالى : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتسيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما) فسلم الكافرون من العذاب بمجرد اجتماعهم بالمؤمنين ، فحال الاجتماع بالصالحين حالة سلامة ونجاة ، لأ، الله ينظر إليهم فيسكن غضبه

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فلا يعذب سبحانه وتعالى أحدا حتى يبعث إليه رسولا ، فإن الذاهبة عقولهم والصبيان ويأجوج ومأجوج لم يبعث الله إليهم رسولا ، ولكنه في يوم القيامة يبعث إليهم رسولا وهم بمعزل من الناس ، والنار تأجج ، ولها زفير عظيم ، فيقول لهم : إنكم لم تعلموا بما جاءت به الرسل ، فكل واحد يتعذر بما كان فيه ، فيقول الذاهب عقله في الدنيا ، إني كنت لا أعقل ، ولو عقلت لآمنت بما جاءت به الرسل ، وعملت بأوامرهم ونواهيهم فيقول : أنا رسولكم من عند الله إن أمرتكم بأم تطيعوني ؟ فيقولون : نعم ، فيأمرهم بأن يلقوا أنفسهم في النار ، فمن كانت سابقته سابقة السعادة ، وفي علم الله أنه لو كان عاقلاً في الدنيا لآمن ، ألقى نفسه في النار ، فيجدها برداً وسلاماً ، ومن سبقت له سابقة الشقاوة وفي علم الله أنه لو كان عاقلاً في الدنيا لما آمن لم يمكنه إلقاء نفسه في النار أبداً ، حتى إنه ربما يهم أن يلقى نفسه مراراً فلا يمكنه ، وكذلك الصبيان ، وكذلك يأجوج ومأجوج ، ففي الحديث : أنه لما مات طفل قالت عائشة رضي الله عنها : عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول الله r : " من هذه المتألية على الله ؟ وما يدريك

، فإن الله خلق للجنة خلقا وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار خلقاً وهم في أصلاب آبائهم "

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى في الحديث القدسي الذي آخره : " ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه " فإن النبي r خير الخلق أجمعين ، والله يذكره إذا ذكره في ملأ خير من ملئه ، فما هو الملأ الذي يذكره الله فيه ؟ وهو خير من ملئه r مع أنه خير خلق الله أجمعين ؟

فأجاب :

بأن الملأ الذي يذكره الله تعالى فيه هو ملؤه r نفسه ، ولكن لم يزل رسول الله r في الترقي ، فما ذكر الله تعالى إلا وارتقى إلى رتبة أعلى من الأولى ، فيذكره الله في ملئه ذلك بعد ترقيه ، فيكون ذكر الله تعالى في ملأ خير من الملأ الذي ذكر الله تعالى فيه ، لأنه قد ترقى إلى رتبة أعلى من الرتبة الأولى ، فالملأ واحد

وباعتبار ترقيه متفاضل ، ولم يزل في ترق إلى ما لا نهاية وله ، وأصحابه r ورضي عنهم أجمعين كذلك في ترق بعده r

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى :(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فضل الله ورحمته : هو محمد رسول الله r ، قال الله تعالى :(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) أي من جن وأنس وشجر ومدر وحيوان ، فما من شئ إلا وهو مستمد من نوره r وله إليه وجهة ، وقال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) إلى قوله :(والله ذو الفضل العظيم|) . فرحمة الله وفضله هو سيدنا محمد r ، وكذلك الأنبياء أخذ الله تعالى منهم ميثاقهم أن يؤمنوا به وينصروه ، كما قال جل وعلا :(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وذلك رحمة بهم ليؤبروا نخل إيمانهم به r ، فامتثلوا أمر ربهم ونصروه ، بأن بشر كل نبي قومه به r ، فقال عيسى – عليه الصلاة والسلام – كما حكى عنه الله تعالى r :(وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل

إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)

وقال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) الآية . فتعريف الأنبياء قومهم به r في التوراة والإنجيل هو عين نصرهم له r وعليهم أجمعين ، ولذا عرفوه كما يعرفون أنباءهم كما قال تعالى : (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وتعريف الأنبياء قومهم به r هو لأجل أنهم إذا أدركوه عرفوه فآمنوا به وهذا هو النصر ، ولكن لم يوفق الله إلا الأقل القليل منهم . ثم قوله تعالى : (واذكر في الكتاب إبراهيم) (واذكر في الكتاب موسى) وغيرهما ، أي أدر أسماءهم على لسانك ، ففيها رحمة عليهم ، ولهم الخير الكثير في مجرد ذكرك لهم ، فانظر إلى هذا النبي الكريم الذي لا تحصي فضائله ، ولا تعد جل كماله أن يعبر عنه لسان ، وعز جماله أن يكون مدركاً للإنسان ، وتعاظم جلاله أن يخطر في جنان ، r

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن) إلى ماذا يعود الضمير في منه ؟

فأجاب :

أنه يعود إلى الشأن ؛ لأن نزول القرآن بحسب شئون رسول الله r ، فمعرفة قلب رسول الله r مترتبة على معرفة القرآن ، فمن عرف القرآن حق معرفته عرف قلب رسول الله r وشئونه ، r وخلقه القرآن ، فتارة يكون r في بسط فيباسطه القرآن بآيات البسط ، وهي الحالة التي قال فيها r : " لي حالة لا يسعني فيها إلا ربي " وطوراً يكون r في قبض لما يجد من عدم امتثال قومه لأوامره ونواهيه ، ومخالفته له وأذيتهم له ، فينزل القرآن على حسب شأنه ، وذلك كقوله تعالى : (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) وغير ذلك . فالقبض والبسط صفتان من صفات الله تعالى فإن بسط فلا هرب منه ، كما أنه إن قبض فلا فرار منه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه

قال بعض أولياء الله – رضي الله عنه – يوماً لأصحابه : هل تعلمون ما معنى قول رسول الله r " مثل المؤمن كخامة الزرع " ؟ قالوا : لا نعلم . قال : معناه : أن

المؤمن إذا اصابته ريح البسط شكر الله ، وإن اصابته عواصف القبض رضى ، وكان منزلة القبض عنده كمنزلة البسط ، كما أن الزرع إذا أصابته شمال سجد وإذا أصابته جنوب سجد إلى موضع آخر ، فلا يعتريه من إحداهما إلا ما يعتريه من الأخرى ، إنما هو يوافق ذات اليمين بسجوده إلى جهة الشمال ، ويوافق ذات الشمال بسجوده إلى جهة اليمين ، قال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا) الآية , ومعنى هذه الآية – بلسان أهل الحقيقة – لا تسجدوا لشمس البسط ، ولا لقمر القبض ، واسجدوا لله أي : تكون عبادتكم في كل حال خالصة لله لا معلولة ، ولا تكونوا كمن إذا أنعم الله عليه أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، ولا بالعكس

كما قال : (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط) فمن كان كذلك فوجهته إلى الله تعالى في جميع الحالات من قبض وبسط وغيرهما ، وهو الإخلاص ، والإخلاص : أن لا يكون العمل إلا لله في قبض وبسط ، ولا يكون لأجل خوف من النار ولا شوق إلى الجنة ، فإن الله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) والجنة هي مال ، فمن ألهاه مال الجنة عن ذكر الله فقد نال من الخسران حظه ، لكنه دون من ألهاه مال الدنيا

الفانية لأن الله تعالى يقول : (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ومن لازم إخلاص العمل التوكل الذي هو الدرجة العظمى ، ولا ينالها إلا من خلصه الله عن جميع الشوائب

فإن بعض الصالحين قال : كل مقام – بحمد الله – وصلت إليه ومكثت فيه إلا هذا التوكل المبارك ، فما شممت له رائحة ، ومعنى التوكل أن جميع الحالات التي تصيبه من قبض وبسط ونفع وضر ، وجميع الحالات التي تعتري الشكل الإنساني بمثابة واحدة ، لا ينازع الله في شئ ولا تفرحه السراء ولا تزعجه الضراء ، بل إذا اصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ، ومما يعين على التوكل عدم الركون إلى الذين ظلموا ، قال الله تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) أي نار البعد والقطيعة ، والذين ظلموا هم الذي نقصوا ، وكل ما سوى الله ناقص ، وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، فإن أصحاب رسول الله r لما امتثلوا ما أمرهم الله تعالى به من الجهاد ، مع ما هم فيه من الضعف والفقر ، حتى أنهم كانوا يأكلون أوراق الشجر في الغزوات ، ويتقون الحفا بالرقاع ، لكنهم توكلوا على الله وامتثلوا ما أمر الله من غير ركون إلى أنفسهم ، نصرهم الله وقمع بهم شوكة الكفر ، مع ما كان عليه الكفار من القوة والعدد ، والمدد

وأصحاب طالوت لما ركنوا إلى أنفسهم واتكلوا على أهوائهم (إذ قالوا لنبي ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) فلما بعث لهم ملكاً صار منهم ما صار ، وتولوا إلا قليلاً منهم ، ومثل هؤلاء من أنزل الله فيهم قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) فحقيقة التوكل : أن لا يتمنى الإنسان شيئاً من العبادات أو غيرها ، لأنه ربما يدرك الإنسان في نفسه قوة فيتمنى عبادة أو جهادا فهذا هو الركون إلى النفس ، وإذا جاءه من الله أمر امتثله ، ولو كان يرى أنه عاجز فتوكل على الله تعالى ، ونهض له متوكلاً على الله لا راكناً إلا نفسه ولو كان في غاية الضعف ، فقط أعطى التوكل على الله حقه ، وهذا هو الظافر

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي أنهم حذروا الموت الذي هو عكس الحياة الدائمة التي قال فيها تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند

ربهم يرزقون) فقوله :(إن الله لذو فضل على الناس) مثل قوله :(يستبشرون بنعمة من الله وفضل) فأرادوا هذه الحياة (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) أي : (قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) أي : يسمع دعاءكم ويعلم ما في قلوبكم ، فإن كان طلبكم للقتال لأهواء نفوسكم فالله يعلمه ولا تنصرون ، وإن كنتم مخلصين لله في ذلك فالله يعلمه ، وأنتم المنصورون الغالبون ، وإن قتلتم فهي بغيتكم ونحن نحييكم الحياة الدائمة ، فعلم الله منهم صدق النية ، فأحسن متقلبهم ومثواهم ، وأنالهم مشتهاهم

وبالعكس قوم طالوت كان النبي r يقول لأصحابه : انظروا إلى هؤلاء يعني قوم طالوت والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، والفرق بين الفريقين : القصد والنية ، اللهم أحسن نياتنا وعاقبتنا في الأمور كلها ، يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله ، في كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علمك آمين

وسئل :

رضي الله عنه : عن استدلال من منع قراءة المؤتم الفاتحة في الجهرية

خلف الإمام بقوله تعالى :(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ؟

فأجاب :

ليس ذلك بدليل لهم ، والجواب على من استدل به أوضح من الشمس : وذلك أن الله تعالى يقول : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وهو r قال : " صلوا كما رأيتموني أصلي " وثبت في الأحاديث الصحيحة التي ليست بمعارضة ولا منسوخة أن رسول الله r كان يسكت بعد تكبيرة الإحرام سكتة طويلة ، ومثلها بعد تمام الفاتحة ، ويقف على رؤوس الآي ، فالمؤتم مخير في أن يقرأ الفاتحة ، إما في السكتة الأولى ، وإما في السكتة الثانية ، أو كلما وقف الإمام عند رؤوس الآي ، فإن فعل كذلك فقد فعل ما أمره رسول الله r في قوله : " لا صلاة إلا بأم القرآن " وقوله : " كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج " ثلاثاً . أي إن لم يأت فيها بأم القرآن واستمع قراءة الإمام وأنصت لها في حال قراءته ، ولم ينازعه بالقراءة ، فإن لم يسكت الإمام في هذه المواضع فهو الذي فرط . وأما المؤتم فلا تسقط عنه قراءة الفاتحة لأنه مأمور بالإتيان بها ، والإمام

هو الذي ألجأه واضطره إلى أن ينازعه بالقراءة ، فالتفريط من الإمام إذا لم يسكت في المواضع التي كان يسكت فيها رسول الله r ، والله المستعان

وسئل :

رضي الله عنه : عن الأوقاف التي وقفها الواقفون على أئمة الصلاة والمقيمين مع أن الأجرة محرمة عليهما ، لأن أجر الصلاة على الله تعالى ، قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) ونحن مأمورون باتباعه r ، وقال رسول الله r : " اجعل لمسجدك مقيماً لا يتخذ عليه أجراً "

فأجاب :

أنه ينبغي للإمام والمقيم إذا صرف إليهما شئ من هذه الأوقاف أن يتورع عن الأكل منها ، فيأخذان ما صرف فيهما ، ثم يصرفانه على مستحقيه : ظاهراً إن لم يخشيا على نفسهما الرياء ، أو باطناً إن خشياه ، والصارف الذي هو المتولي على تلك الأوقاف يصرفها فيهما امتثالاً لأمر واقفه ، إلا أن يظهر له أنه لولا هذه الأجرة : ما صلى الإمام ، ولا أقام المقيم ، فلا يجوز له الصرف فيهما وإن خالف

أمر الواقف ، ولا ينبغي له أن يفتش عن ذلك ولا يبحث عن قصدهما ، بل يحملهما على الظاهر ، والظاهر في حقهما أن أخذهما لها ليس في مقابلة الصلاة ، وإنما أخذهما لها لكونه وقف الواقف عليهما ، كأن يقف الواقف على رجل وقفاً وليس هو بإمام ولا مقيم فهو يأخذها امتثالاً لأمر الواقف ؛ لأنه وقفها عليه ، فالظاهر من قصدهما هذا ، ولا يبحث عن غيره ، وبالله التوفيق

وسئل :

رضي الله عنه : عما إذا وجد الإنسان في ثوبه منياً ، وتيقن أنه احتلم ولكنه ما عرف في أي نومة هو ؟

فأجاب :

أنه يحمله على آخر نومة نامها ، ولا يعيد من الصلوات إلا ما بعدها بعد أن يغتسل ، فإن مثل هذا اتفق لعمر رضي الله عنه : وهو أنه صلى بالناس صلاة الصبح ، ثم خرج إلى بلاد له فرأى في ثوبه منياً تيقن منه أنه احتلم ، فاغتسل ثم

أعاد صلاة الصبح فقط ، ولم يأمر أحداً ممن صلى معه أن يعيدها ، فعلم أنه حمل ذلك الاحتلام على آخر نومة ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل

وسئل :

رضي الله عنه : عن الحديث الذي سماه أهل المصطلح مقلوباً ؟

فأجاب :

إن ذلك غلط وليس بمقلوب ، وهو قوله r : " إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير ، وليضع يديه قبل ركبتيه " ففهم الناس أن البعير إذا برك قدم يديه ، فإذا وضع الإنسان يديه قبل ركبتيه فقد تشبه بالبعير الذي نهى عنه r ، فألجأهم هذا الفهم إلى أن يقولوا : مقلوب وإنه انقلب على الراوي ، وإلا فآخر الحديث : " وليضع يديه قبل ركبتيه " وهذا غلط فأحش ، نسخوا أمر الرسول r بهواهم ، وليس إلى الهلم فيه سبيل ، والحديث تفسيره ظاهر فإن قوله r : " إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير " والبعير يبرك على ركبتيه ، وإن كانتا في يديه لأن ركبتي البعير في يديه ، وركبتي الإنسان في رجليه ، ولذا أتى

بالعطف التفسيري بقوله : " وليضع يديه قبل ركبتيه " ليزيل الوهم الذي وقعوا فيه ، فإذا قدم الإنسان وضع ركبتيه على يديه ، فقد تشبه بالبعير في كونه يبرك ركبتيه من غير نظر إلى كونهما في يديه ، وركبتا الإنسان في رجليه ، وركبتا الجمل لغة وعرفا في يديه ، وأما ما رواه وائل بن حجر قال : رأيت رسول الله r إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه فإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه فذلك فهم الصحابي وفهم الصحابي ربما يخطئ ، لأنه ليس بمعصوم ، فلا يقابل ما قاله رسول الله r ، والله الهادي إلى الصواب

ومما أورده رضي الله عنه من الأحاديث : الحديث الأول : قال رسول الله r : " ثلاثة لا يحبهم ربك : رجل سكن بيتاً خرباً ، ورجل نزل في محل السيل ، ورجل أرسل دابته وجعل يقول : يا رب احبسها ، يا رب احبسها " الثاني : ثلاث من فعلهن فقد استكمل الإيمان : بذل السلامة للعامة ، والإنصاف من نفسك ، والإنفاق من الإقتار " الثالث : " من حضر إملاك امرئ مسلم فكأنما صام يوماً في سبيل الله ، اليوم بسبعمائة يوم ، ومن حضر ختان امرئ مسلم فكأنما صام يوماً في سبيل الله ، اليوم بسبعمائة يومن نفسك ، والإنفاق من الإقتار " الثالث : " من حضر إملاك امرئ مسلم فكأنما صام يوماً في سبيل الله ، اليوم بسبعمائة يوم ، ومن حضر

ختان امرئ مسلم فكأنما صام يوماً " الرابع : قال رسول الله r : " بعد قليل ثم يظهر الجور ، ما ظهر شئ من الجور إلا ذهب مثله من العدل ، حتى يولد ناس في الجور لا يعرفون غيره ، ثم يأتي الله بالعدل كلما ظهر شئ من العدل ذهب مثله من الجور ، حتى يولد ناس في العدل لا يعرفون غير " الخامس : قال أصحاب رسول الله r : خرج علينا رسول الله r ذات يوم وهو قابض على يديه يمينه وشماله ، فقال للذي في يده اليمنى " هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة ، وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ، ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، ثم قال r : فرغ ربكم "

وسئل :

رضي الله عنه : هل يستنبط من سر ألسنة العرب أنه يجب على كل قارئ تجويد القرآن ؟ وذلك مثل قولهم في لفظ الحلق : فإن فخمته كان اسماً لمجرى الأكل والشرب من أقصى اللسان ، وإن رققته كان اسماً لحلق الشعر مصدر حلق ؟

فأجاب :

أنه لا يجب ذلك ، فإنه موسع فيه أن يقرأه كل أحد بما يطيقه لسانه ، والمراد منه : العمل به ، قال تعالى :(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) فقوله :(يتلونه حق تلاوته) أي يؤمنون به لا أن معناه يقيمونه في ألسنتهم

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول من قال : الحمد لله كما يستحقه وأضعاف ما يستحقه ، كيف تكون مضاعفة ما يستحقه من الحمد مع أنه لا يحصر ؟

فأجاب :

بأنه لا ينحصر وما ذلك إلا تفويض إلى الله تعالى في إدراك معناه ، وفي الحديث ما معناه : " أن العبد إذا ذكر ذكراً يمكن الملائكة ضبطه وحصره فعلوا ، وإن لم ، أمرهم الله أن يكتبوه في صحيفة العبد بلفظه ، ووكلوا حصره وضبطه إلى الله تعالى " وهو تعالى يعلم كل شئ بقدر علمه وقدرته ، وعنه r أنه قال : "

مثقال حبة من خردل من أعمال القلب خير من أمثال الجبال الرواسي من أعمال الجوارح " وسئل رسول الله r : أي الحجاج أعظم أجراً ؟ وأي المصلين أعظم أجراً ؟ وأي المزكين أعظم أجراً ؟ وأي المجاهدين أعظم أجراً ؟ فقال رسول الله r : " أكثرهم لله عز وجل ذكرا "

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم)

هل المعية بالذات والعلم ، أو بالعلم فقط

فأجاب :

بأن المعية منه سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله ، وكما يعلمها لنفسه ، فإن العقل لا يهتدي إليها ، ولو كلف الله العقول بمعرفتها لحملها ما لا طاقة لها به (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) فإن الأعمى الأكمه إذ قال لمبصر : صف لي

السواد واجتهد لي في وصف حتى تخليه لي تخييلا لا يخطئ حقيقته ، فلا يقدر المبصر أن يزيد على قوله : سواد ، فيقول الأكمه : ما معنى سواد ؟ فإذا أراد المبصر أن يزيده تقريباً يقول له : عكس البياض ، فهل تراه يستفيد الأكمه بهذا الوصف ؟ بل لا يعرف إلى ما ذهب إليه وهمه إلا الله ، فتعرف أنه لا يتميز له السواد إلا إذا خلق الله له عينين ، ثم بعد أن يصير مبصراً تقول له : هذا السواد فيراه عياناً

فإذا عرفت أيها السائل هذا المثال علمت أن كلنا في ذات الله كمه وفي الحديث : " كلكم في ذات الله حمق وأنا أعرفكم طريق النجاة " وأنت لابد أن تسئل يوم القيامة عن ذلك وإذا سئلت فلابد من الجواب ، وإذا قلت : يا رب وكلت الأمر إليك في ذلك ، وآمنت في ذلك بالغيب ، لأني لم أقف على كلام منك ولا من رسولك . أن المعية بالذات والعلم ، أو بالعلم فقط ولا علم لي بشئ إلا ما أتى عنك أو عن رسولك ، فإذا كان هذا جواب أتراه يعطب أم ينجو بين يدي العدل الحكيم ؟ وإذا قال : يا رب ، خشيت أن يضل عبادك إذا أبقيت الآية على ظاهرها فقلت : بالعلم لا بالذات ، يقول له الحق : لا محالة أنا أقول : إن القرآن هدى وأنت تقول : مضل ، ولولا كلامك أنت لضلوا بكلامي ، فلولا أنت قطرت القرآن إلى اعتقادك

لضل الناس ، وهل أنا قلت في كتابي العزيز خطاباً لرسولي : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) أو قلت : ليبينه للناس فلان فهذا عاطب ، هنالك قامت عليه الحجة كالشمس إلا أن يتجاوز الله عنه . اللهم ألهمنا رشدنا حتى لا نتكلم إلا فيما يعنينا ، يا أرحم الراحمين

والفار من قوله : بالذات وقع في حفرة أعظم مما فر منه ؛ لأنه أراد أن ينزه الحق تعالى عن قوله بالذات ، والذي ألجأه إلى هذا الفرار أنه قاس على الذوات المعروفة بالعيان ، ومن شرط القياس المماثلة ، والله ليس كمثله شئ ، فإنه لا يعلم قدره عيره ، ولا يبلغ الواصفون صفاته ، فإن موسى – عليه الصلاة والسلام – رآه ولم ير إلا النار هناك ، مع أنه بعد ترقية عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات نبوته ، ونيله لمرتبة الرسالة وهلاك عدوه قال : (رب أرني أنظر إليك قال لن تراني) وذلك لأنه سأل الله أن ينظر إليه في كنه جلاله وجماله ، الذي لا يكون من المخلوقات شئ له قابلية تقدر على أن يتجلى لها به وأمنا بقدر قابليته عليه الصلاة والسلام فقد تجلى له في النار قال تعالى : (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) ثم في تكليمه تعالى له لما أدرك في كل عضو منه ، وكل شعرة وكل جارحة منه تلذذا لا يضبطه قياس ، ولا يعرفه إلا من ذاقه ، قال : يا

رب ، أهكذا كلامك ؟ قال : إنما أكلمك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الألسن كلها وأقوى من ذلك ، ولو كلمتك بكنه كلامي لم تكن شيئاً ذا في السماع من وراء الحجاب ، فكيف الرؤية

ثم تجلى تعالى للجبل وجعله دكا وخر موسى صعقا ، وإنما تجلى له كما قال الصادق المصدوق r : بقدر ثلث الخصر من جميع الذات ، فانظر إلى بطلان كلامن من فكر بعقله فقال : بالعلم لا بالذات ، أتضبط ذات من لا يعلم قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفاته بعقل ؟ بل ما يكون من نجوى ثلاثة من جميع الخلق صامت وناطق ، وجامد ومائع ، وساكن ومتحرك ، لأن كل شئ له مع الله مناجاة ، لأن الصلاة مناجاة بين العبد وربه ، وقال تعالى : (ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) مع أن كل شئ مشتمل عليه زمان ومكان ، وهو تعالى – كما كان – لا يشتمل عليه زمان ولا مكان في حال كونه تعالى العرش استوى ، وفي حال كونه – تعالى – سمع عبده الذي يحبه ، وبصره ويده إلى آخر الحديث من غير مزج وكيفية ، ولا يرجع العبد ربا ولا الرب عبداً ، بل كيف يشاء وأين يشاء ، كما يعلمه لنفسه ونقول

: آمنا بالله على مراد الله ، ووكلنا كل الأمور إليه ، ونقول ما قالت الملائكة – الكرام عليهم الصلاة والسلام – (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

وسئل :

رضي الله عنه : ما معنى الاعتبار ؟

فأجاب :

قال : هو المجاوزة يقال : عبرت الوادي بمعنى جاروته ، وعبرت الرؤيا : أي جاوزتها إلى المعنى المقصود منها ، وقوله تعالى : (فاعتبروا يا ألي الأبصار) أي جاوزوا ما أبصرتم من الآيات الذاتية والآفاقيه ، وما سمعتم من الآيات القرآنية إلى غيرها ، وهو الله تعالى ، فكل ما في الوجود يدل عليه سبحانه وتعالى ، وهو معنى قول القائل : والله ما رأيت شئياً إلا رأيت الله معه ، والآخر قال : إلا رأيت الله قبله ، أي استدل بالله تعالى على مخلوقاته ، فهذا الأخير أعلى درجة ، لأن الله تعالى عند من عرفه حق معرفته لا يستدل عليه ، بل هو الدليل على وجود مخلوقاته سبحانه وتعالى ، اللهم عرفنا إياك حق المعرفة يا أرحم الراحمين ، يا

أقدر القادرين ، إنك تفعل ما تشاء وأنت أكرم الأكرمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

وسئل :

رضي الله عنه : ما معنى قول النبي r في حجة الوداع : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت منه لم أسق الهدى ، ولجعلتها عمرة " ؟

فأجاب :

بأنه r ساق الهدى ، فنزل عليه الوحي بأن يحج قارنا فتبع الحق مراده ، كما تبع الحق مراده ومراد أصحابه في أسرى بدر ، لما قبلوا منهم الفدية ، فعاتبهم الله تعالى بعتاب لطيف حيث قال : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم اتبع الحق مرادهم بأن قال : (فكلوا مما سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم أتبع الحق مرادهم بأن قال : (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم) فأحل – تعالى – لهم الغنيمة

اتباعاً لمرادهم مع أنها كانت محرمة على من قبلهم ، وكانت تنزل نار من السماء تأكل الغنائم ، وهذه معاملة الحبيب لحبيبه ، تعود الجمرة تمرة ، فالنبي r لو لم يسق الهدى لما أوحى إليه أن يحج قارناً ، وهو قوله r : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت منه لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة " ومن هذا الباب يدور الحق حيث دار عمر ، والله ورسوله أعلم

وقال رضي الله عنه : لما سئل عن معنى قول الله تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) أعطى الله رسوله r ليلة أسري به ثلاثة علوم : علم أمره بتبليغه ، وعلم أمره بكتمانه ، وعلم خيره فيه . فالذي أمره بتبليغه : هو علم الشريعة ومن قام بها حق القيام من غير تبديل ولا تغيير ، بل سلك الطريق التي نهجها له الكتاب والسنة بحسن نية وإخلاص ، تولى الله سبحانه وتعالى تعليمه العلمين الأخرين ، وهو معنى قوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وذلك لأن هذه الشريعة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، هي أصل كل سعادة ، ومنها تتفرغ الخيرات وتنو البركات ، وهي الحبل الممدود من السماء إلى الأرض ، فمن حفظ هذا العلم هذا العلم الظاهر حق حفظه حتى عمل بمقتضاه ، علمه الله أسراره ، وأسراره هما العلمان الآخران ،

لأن القرآن جامع لثلاثة علوم ، فمن فتح الله بصيرته اطلع على أسراره ، ولا يكون ذلك إلا بالقيام بحق ظاهره من جميع الوجوه . رزقنا الله ذلك ، وبلغنا ما هنالك . آمين يا رب العالمين

وقال رضي الله عنه : من علت همته في طاعة الله تعالى ، ورسخ قدمه فيها قصد معالى الأمور في الأفعال والأقوال ، وقصد في معاني ما علمه الله تعالى من النطق ما علا ، وما ينتهي إلى ذلك إلا أنظار من نور الله تعالى بصائرهم ، وإذا أردت أن يسلك بك هذا المنهاج فأنا أشير إليه بتفسير قولك : الحمد لله . فمعناه : أن الله هو الذي حمد نفسه بلسان عبده ، وتفضل سبحانه على عبده بأن أجرى حمده على لسانه ، فإذا قصد العبد هذا المعنى فمن أين يبقى للعجب أو للرياء مدخل ؟ ثم إذا تقرب العبد من ربه جل وعلا ، حتى صار الحق سمعه وبصره ولسانه ، فهنالك الدرجة العليا والمرتبة العظمى ، فيصير معنى قول من كانت هذه صفته : الحمد لله . حمد الله تعالى نفسه بنفسه ، ومحيت عنه ظلمة البشرية بأنوار الأحدية ، فيصير جميع تصرفاته تصرفات الحق تعالى ، وهو معنى الغفر ، أي تغفر البشرية بمعنى تغطى ، لأن غفر الشئ تغطيته ومنه المغفر وهو الذي يغطي به الرأس ، فإذا قال : رب اغفر لي ، فمعناه : غط بشريتي وامحها بأنوارك

. وهذا مسلك هذا اللسان ومشرب أهله (قد علم كل أناس مشربهم) وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : للقرآن بطن وظهر ، وحد ومطلع ، فبطنه : يعلمه الخواص ، وظهره : علم الشريعة ، والحد : هو معنى كونه جامعاً لمعرفة الله تعالى وضابطاً لها ، والمطلع : لا يعلمه إلا الله تعالى ويعلمه لمن يشاء ، وهو كونه في كل كلمة منه كل شئ ، وفي كل حرف منه جميع الحروف ، وذلك كالعالم الإنساني جميعه من أوله إلى آخره ، جميع ما فيه في إنسان واحد ، فإن قولك : هو حرف واحد ، وإنما أتى بالواو عند إشباع الضمة ليمكن النطق بها ، هو حرف واحد وهو اسم الذي أوجد جميع الكون من العدم سبحانه وتعالى ، ولهذا كان أنين المريض توحيداً ، لأنه أتى بالهاء في قوله : آه . وإنما أتى بالهمزة قبلها ليمكن النطق بالهاء (وما يعلم تأويله إلا الله)

وقال رضي الله عنه كلما قرب العبد من الحق تعالى زاد ذلاله فإنه إذا صار الحق سمعه وبصره إلى آخره ، قوى أثر العبودية في الضمير المتصل بالبصر في قوله : " كنت بصره " وكلما تذلل قوى اتصاله

ولما سئل :

رضي الله عنه : عن القدر ؟

فأجاب :

وقد تقدم الخوض فيه في أثناء هذه الكراريس ، ولكن هذا تتمة له ، ضرب مثلاً في مجرد قصته فقال : كان بعض الملوك يقرب أحد وزرائه ، فحسده الآخرون ، فأراد أن يظهر وجه حبه له وتقريبه ، فبعث بجوهرة ثمينة لا توجد إلا في خزائن الملوك إلى كل واحد من الوزراء ، وأمر كل واحد منهم أن يدقها دقاً ناعماً ، فكل واحد منهم فكر في نفسه وقال : ما أراد الملك بهذا إلا اختباري ، فيصحب معها هدية ثم يرجعها إلى الملك ، ويقول له : يا سيدي ، هذه الجوهرة عظيمة القدر ة، وقد أمرت أن أدقها فلم أستحسن ذلك ؛ لأن إتلافها محض إسراف وإضاعة مال ، وليس في دقها فائدة ، فيقول الملك : أحسنت . فبعث بجوهرة إلى ذلك الوزير المقرب وأمره بدقها ، فبمجرد ما وصلت إليه أمر بالمهراس ثم دقها دقاً ناعماً وجعلها في قرطاس ، ودخل على الملك فناوله القرطاس ، فقال : ما هذا ؟ قال : هذه الجوهرة التي أمرتني بدقها ، قال : كيف

هذا ؟ أتتلفها وقد علمت ما هي عليه من النفاسة وتعلم مقدار ثمنها ؟ فلم يحتج عليه فيقول : أنت الذي أمرتني بل قال : قد أخطأت ولكن العفو ، فنسب الخطأ إلى نفسه ، فازداد قرباً لديه

وقال رضي الله عنه : من لم يشرب من مشرب أهل الله تعالى فهو غبي عن حالهم ، فأولى له السكوت عنهم وإن لم يقبل كلامهم عقله ، فإن بعضهم لما سمع قول الله تعالى)إن بطش ربك لشديد) نزل به حال فقال : بطشي أشد ، ففي الظاهر : أن هذه الكلمة بشعة ، وليست كذلك فإن معناها مستقيم : وهو أن الله سبحانه وتعالى إذا بطش لم يفرغ في بطشه ذلك جميع ما يقدر عليه من القوة والبطش ، لأنه ليس لذلك حد ، بخلاف الإنسان إذا غضب وأراد أن يبطش أفرغ جميع ما يقدر عليه من القوة والقدرة ، وهذا معنى مستقيم لا شئ فيه من الغلو . وقال بعضهم : الله لا يعلم الغيب ، فظاهره فيه بشاعة ، وليس كذلك بل معناه : أنه ليس عند الله غيب حتى يعلمه بل الغيب عنده مشهود ، وإنما يعلم الغيب باعتبار ما عند العبد ، وهذا المعنى لا غبار عليه ، والله الهادي إلى الصواب ، ومن ظن فيهم ظن السوء وكذبهم فقد دخل في معنى قوله تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) لأنه لا سبيل إلى الإحاطة بما يكنه باطن الإنسان ، بل لا يحيط بما

يشتمله ظاهرة ، فاعتقد تغنم ، أو سلم تسلم ، وفائدة الاعتقاد لا تحصل في الانتقاد ، وأرض المنتقد لا تساوي سماء المعتقد . اللهم أعد علينا من بركات أوليائك ، واجعلنا من صالحي خير أمة لخير أنبيائك وأصفيائك ، آمين يا رب العالمين

وقال رضي الله عنه : لما سئل عن قول الله تعالى :(الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ما السر في جمع الظلمات وإفراد النور ؟ النور مفرد : للفرد الصمد جل جلاله ، والظلمات للمتعددين ممن سواه ، وجميع الآيات التي في القرآن المذكور فيها النور والظلمات لا يؤتي فيها بالنور إلا مفرداً ، والظلمات جمع ، مثل قوله تعالى : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) والتي قبلها (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقوله تعالى :(هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) وغير ذلك من الآيات

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) ما حقيقة هذا الوحي ؟

فأجاب :

بأن هذا الوحي بواسطة نبيهم مثل قوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) وهو لم ينزل إليهم ، وإنما نزل إليهم بواسطة نبيهم

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى) مع أنه قال تعالى : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم) ؟

فأجاب :

أن الوحي الذي أوحى الله تعالى إلى أم موسى ، وإلى مريم بنت عمران ، وحي غير وحي الرسالة لأن وحي الرسالة لا ينبغي إلا للرجال ، لأن رتبة النساء التأخير وقوله تعالى : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم) ليس بحصر للوحي ، إنما

هو حصر للرسالة ، وكذلك المكالمة فإنها ليست للأنبياء خاصة ؟ ، فقد تكون للأولياء ، وإنما مكالمته تعالى للأنبياء المرسلين على قدر مقامهم ، وهو تبليغ الرسالة ، ومكالمة الولي فيما هو فيه خاصة

ثم ضرب رضي الله عنه مثلاً بأن قال – ولله المثل الأعلى – ألا ترى أن الملك يكلم سواس الخيل بما هم فيه من إصلاح أطعمتها وأشربتها وعدتها ، ويكلم الأمير بما هو فيه من ترميم أحوال المتآمر عليهم ، والسيرة الحسنة فيهم ، ويكلم خواصه بالأسرار التي لا يريد أن يطلع عليها أحدا ، والذي ألجأ من بني على عدم التكليم إلا للرسل أنه جعل باب المكالمة واحداً ، ولو اطلع على ذلك لما حكم . وقول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) ليس بحصر ، إنما هو تعالى يكلم كل أحد بقدر قابليته ، فهو تعالى كلم موسى تكليما كاد يذوب منه ويتلاشى تركيبه ، فمن شدة ما حصل معه قال : يا رب ، أهكذا كلامك ؟ فقال : إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الألسن كلها ، ولو كلمتك بكنه كلامي لم تكن شيئاً ، وقابلية موسى – عليه الصلاة والسلام- في ذلك الحين تقوى على ذلك ، ولم يزل بعد ذلك مترقباً ، والنبي r قال : " أوتيت جوامع الكلم " فهذا أعلى مقامات الكلام في أعلى مراتب القوابل ، فإنها لم تنته قابلية أحد من المرسلين إلى أن تقبل

جوامع الكلم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وأذقنا حلاوة الإيمان بما جاء به

وقال رضي الله عنه : في معنى الدعاء النبوي – على صاحبه أفضل الصلاة والسلام – : " اللهم حبب الموت إلى من يعلم أن محمد r رسولك " معناه : أنه لم يحب الموت إلا من كثر شوقه إلى لقاء ربه ، ولم يرض بالحياة الدنيا ولم يطمئن بها . وأما من رضي بها واطمأن بها فإنه لا يحب الموت . قال تعالى في حق أهل الكتاب : (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وقال تعالى في حق المؤمنين : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) وأما قول عائشة رضي الله عنها : كلنا نكره الموت يا رسول الله ، فهو – هنا – في حال مخصوص ، وهو أنه قد يعتري المؤمن خوف من أن يلقي ربه ، وهو غير ذاك من جميع الوجوه ، أو يذكر ذنوبه فيظن إنها لم تغفر ، فهو يحب الحياة لا لكونه راضياً ولا مطمئناً بها ، وإنما يحبها لأجل أن يدأب في الأعمال التي تقربه إلى الله ، وتغفر بها ذنوبه ويترقى في معالي الأعمال ، وهو لا يحصل له ذلك إلا في قيد الحياة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : في قول الله تعالى – في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام - : (وألقينا على كرسيه جسد ثم أناب) ليس كمال قال المفسرون : أن الجسد غير سليمان بل هو سليمان نفسه ، بينما هو في ملكه نافذاً أمره فيمن تحت مملكته ، إذ سلب عنه السر الذي به انقيادهم وتسخيرهم له ، فلم يلتفت إليه ولم يطع أمره ، قال تعالى : (ثم أناب) أي رجع إلى ربه لتنبهه إلى أنه تبارك وتعالى فتنه بذلك ، والفتنة : هي الاختبار ، قال الله تعالى : (ولقد فتنا سليمان) وذلك بعد أن قطع رؤوس الخيل وسوقها جاءت الفتنة ، وحين أناب قال : (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) وقد يظن أنه – عليه السلام – سأل ربه الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده محبة له وطمعاً فيه ، وليس كذلك ، ولكن سأل ذلك رحمة وشفقة وتخفيفاً لمن بعده ، لأن على الملك لكل واحد ممن تحت وطأته حقاً بالغين ما بلغوا ، فإن قلوا فبحسبهم ، وإن كثروا فبحسبهم ، وصاحب الحق له مقال . قال r : " دعه فإن لصاحب الحق مقالاً " وهو المعنى الذي أشار إليه عمر رضي الله عنه حيث قال لأحد أولاده : أتحسب أن أباك ملك ، إنما هو عبد للناس ، أي خادمهم وهو سيدهم ، لأن خادم القوم سيدهم ، وهنا جاءت مسألة الدور فكل من الراعي والرعية سيد ومسود ، وهي العلة التي بها

اختار نبينا r العبودية ، حيث خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، لأنه لا يريد أن يشغل قلبه بحق لغير الله تعالى . قال r : " لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً "

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى حاكياً عن إخوة يوسف : (وجئنا ببضاعة مزجاة) ما معنى مزجاة ؟

فأجاب :

بأن المزجاة : القليل ، ويدل على ذلك ما بعده (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) أي لا تنظر إلى ما جئنا به فإنه قليل ، وكذلك قول اله تعالى : (ألم تر أن الله يزجى سحابا) أي ينشئه ضعيفاً قليلاً ، ولذا قال تعالى (ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) أي يكثره وينميه بعد أن كان ضعيفا قليلا ، وكذلك مخلوقات الله تعالى كلها أو ما يبرزها جل وعلا إلى الوجود في غاية من الضعف ، ثم ينميها ، فإن النخلة أول ظهورها من جوف النواة في غاية من الضعف ، ثم لا

تزال تنمو حتى تصير إلى ما ترى من التفرع والكبر ، كذلك كل مولود وذلك أشد دلالة على القدرة الباهرة ، سبحانه وتعالى ما أقدره ، نعم . وقولهم في حلية النبي r : أزج الحاجبين أي : قليل شعر حاجبيه ، وقلة الشعر في الحاجبين : هي غاية الكمال r

وسئل :

رضي الله عنه : ما معنى الحديث : " الرؤيا على جناح طائر إذا قصت وقعت " وفي لفظ : " الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث صاحبها فإذا حدث بها وقعت ، فلا تحدث بها إلا صديقاً : صاحباً ، أو ناصحاً ، أو حبيباً " فإذا معنى ذلك المراد التعبير ، فإذا عبرها أحد وقع ذلك التعبير ، وقد تعبر ولا يقع في الغالب ؟

فأجاب ؟

بأن معناه بالفعل فإن بعض المشايخ رأى كأنه أعطى تلميذاً له عمامته ، ثم قام إلى التلميذ فقال له : إني قد رأيت كذا ، وكنت أريد أن أعطيك عمامتي في اليقظة ، ولكن أخشى أن يكون ذلك تعبيرها ، فلا أعطيك إياها ليبقى تعبيرها

بيد الله سبحانه وتعالى . وكذلك رأى بعض المحدثين : أن النبي r سقاه لبناً ، فقام من نومه يتقيأ لينظر صحة الرؤيا فحرم تعبيره ، إذ لو لم يتقيأه لأعطي من العلم بقدر ذلك اللبن . والله أعلم

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) وقال تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ثم مقت سبحانه على الكفار لما قالوا كذلك ، فقال حاكياً عنهم : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) وقال تعالى في الرد عليهم : (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) وذلك لأنهم قالوا كلمة حق يريدون بها باطلاً ، وليس قولهم ذلك تصديقاً وإيماناً ، ولكنهم قالوا احتجاجاً بالقدر فكان مقتاً عليهم ، والاحتجاج بالقدر هو الخطر العظيم ، وكذلك عدم الإيمان به ، والصراط المستقيم في ذلك – لمن أراد أن يسلك أسلم المسالك – هو الإيمان بالقدر مع عدم الاحتجاج ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال رضي الله عنه : القرآن : قد يحتمل العدل ، ويحتمل الرحمة في كثير من الآيات كقوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو

خير للصابرين) وقوله تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هو الظالمون) ومثل ذلك كثير ، فحمله على معنى الرحمة أولى وأحسن ، وهو معنى قول رسول الله r : " القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه " لا على ما زعم كثير من الناس أن المراد بذلك تفسيره على أحسن وجوهه ، فأدى هذا إلى أن كل واحد يفسره على قدر ما سنح له من الرأي ، فأوقع كثيرا في الغلط ، وحملهم على التلاعب بمعاني القرآن بالتأويلات الفاسدة ، وأخرجوه عن معناه الظاهر الذي هو بيان وهدى ، قال تعالى : (هذا بيان للناس وهدى) فإذا عرفت هذا علمت أ، المراد بقوله : " فاحملوه على أحسن وجوهه ؛ لأن رسول الله r بعث متمماً لمكارم الأخلاق ، فإذا احتملت الآية خلقين أحدهما أحسن من الآخر عمل بالأحسن فالصبر أولى من المعاقبة ، والتصدق بالقصاص أولى من القصاص ، وغير ذلك . والله الموفق والهادي للصواب

وقال رضي الله عنه في معنى قول رسول الله r : " اللهم ما أصبح بي من نعمة ، أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر "

معناه : أن من قال كذلك صباحاً أو مساءاً ، فقد صار نائباً عن جميع المخلوقات : ناطق وصامت ، وجامد ومائع ، ومسلم وكافر ، في الحمد ، فيعود عليه أجر ذلك الحمد عن كل فرد من المخلوقات ، وهذا شئ لا يعلمه ولا يحصره إلا الله سبحانه وتعالى ، فسبحانه ما أكرمه جل وعلا ، يجازي بهذا الجزاء الذي لا يعد ولا يحصى على كلمة واحدة ، ثم انظر بلاغة كلام من لا ينطق عن الهوى الذي أعطى جوامع الكلم ، r

وقال رضي الله عنه : خلوص العمل : هو أن لا يعمل الإنسان لأجل شئ : فإن عمل لأجل دنيا ، أو لخوف من النار ، أو لطمع في الجنة ، فهو العمل المعلول ، قال رسول الله r : " لا يكن أحدكم كالأجير السوء إن أعطى عمل ، وإن لم يعط لم يعمل ، ولا كالعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل " فقال بعض الحاضرين : ففي الحديث : " سبعة يظلهم الله في ظلة يوم لا ظل إلا ظله " ومن جملتهم : " رجلان تحابا في الله " فإذا أحب إنسان إنساناً لأجل ذلك أهو معلول ؟ قال : نعم . هو معلول ، وإنما أخبر رسول الله r أنهما ممن يظلهم الله في ظله جزاء لهما ، وأما هما فليسا بعالين حال تحابهما بهذا الجزاء ، أو عالمين لكنهما لم يتحابا لأجله ، بل تحابا في الله ، اجتمعا على رضاه وافترقا على رضاه من غير

نظر إلى شئ فكان ذلك جزاءهما ، قال الله سبحانه وتعالى :(ألا لله الدين الخالص) اللهم اجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهك الكريم . بحرمة القرآن العظيم والنبي الكريم ، والصحابة أجمعين وعبادك الصالحين

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) فكل من سوى الله جاهلية ، فإذا لم يرض العبد بحكم الله تعالى فيه فقد بغى حكم الجاهلية ؛ فإن المرض – مثلاً – وجميع البلايا التي هي من الله سبحانه وتعالى هي حكم الله في عباده ، فإذا تلقاها بالرضا والتسليم فقد امتثل لحكم الله تعالى ، وعلم أن كل ما كان من الله تعالى فهو خير ، وإن كان في الظاهر شراً ، فلو كشف له الغطاء لاختار ذلك الابتلاء ، اللهم بارك لنا فيما قدرت لنا ورضنا بقضائك ، حتى لا نحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت ، يا ارحم الراحمين ومن لم يرض إلا بما هويته نفسه فقد بغي حكم الجاهلية ، ولو اتصل بكل ما هويته نفسه لتغير حاله وفسد ، حتى لو كشف له ذلك لفر مما هويته نفسه أعظم فرار ، قال الله تعالى :(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)

وقال رضي الله عنه : قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) الإشارة في قوله : (ولذلك) عائدة إلى أمة واحدة باعتبار الأمر ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالاجتماع ، ونهى عن الافتراق ، قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي يجتمعوا على عبادتي وهي عائدة إلى ، ولا يزالون مختلفين باعتبار الإرادة ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً للنار ، ولذلك وقه الاختلاف بين أهل الجنة وبين أهل النار (فريق في الجنة وفريق في السعير)

وقال رضي الله عنه : تكبيرة الإحرام للصلاة : هو أن ينسى المصلى كل شئ سوى الله ويسبح في الكبرياء والعظمة ، ثم كلما انتهى إلى نهاية في الكبرياء فالله كبرياؤه فوق ذلك ، ولهذا يجدد التكبير عند الركوع فيقول : الله أكبر ، أي أكبر مما انتهيت إليه في السباحة في كبريائه ، ثم هكذا إلى وسط الصلاة ، فيتحقق عجزك عن أن تسبح في جدول من بحور كبريائه فتعود ، ثم تصل إلى الخلق في آخر الصلاة فتقول : السلام عليكم ورحمة الله ؛ لأن التسليم لا يكون إلا من عائد

من سفر ، فأما الذي هو حاضر فيلتفت على من على يمينه ويقول : السلام عليكم ، وعلى من على يساره ويقول : السلام عليكم ، فهو يعد من الجنون لأنه ليس بمشروع في حقه

وقال رضي الله عنه : إذا اطلعت على عصيان عاص فاكره منه ذلك الفعل في تلك الساعة ، ولا تحمله عليه من بعد ، لأنه ربما يكون ذلك الرجل مغفوراً له ولا يضره ذنب ، فإن الصحابه – رضي الله عنهم – لم تضرهم الذنوب ، ولا عبادة الأصنام ، ولا قتل البنات ، بل هم خير الخلق بعد الأنبياء ولهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز – مخاطباً لرسوله r :(فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون) فأمره تعالى بأن يتبرأ من عملهم لا منهم ، ثم رسول الله r ، لما بلغه أن خالد بن الوليد قتل الذين قالوا : صبأنا وهم قاصدون بذلك الشهادة والإسلام ، قال : " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد " ولم يقل : من خالد . فهذا الصراط الذي به النجاة . ثم إن الله سبحانه وتعالى قال :(إن الحسنات يذهبن السيئات) فينبغي التخلق بأخلاق الله تعالى ، لا كما هو عادة الناس إذا رأوا رجلاً فعل معصية حملوه عليها ورأوه بها مدة حياته ، نعوذ بالله من هذه الأخلاق بل إذا مرت ساعة يمكن التوبة فيها ، فلا تحمله على ذلك الذنب ولا تره به ، وإذا صلى

إماماً صليت معه ، ولا تتخلق بعكس أخلاق الله تعالى وتجعل السيئات يذهبن الحسنات . اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، يا أرحم الراحمين

ومما أورد رضي الله عنه : من الأحاديث عن رسول الله r : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " وعنه r قال : " يا عائشة ، لا تأكلي الطين ، فإن الله خلق آدم من الطين ، فحرم الطين على ذريته " وعنه r أنه قال : " من مات وفي بطنه مثقال حبة من خردل من طين ، كبه الله في نار جهنم على وجهه " وعنه r أنه قال " لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب " وعنه r أنه قال : " من بنى فوق عشرة أذرع ناداه ملك ، إلى أين يا عدو الله ؟ "

ورأى r رجلاً يصلي وثيابه مسبلة فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة ، فصلى على ذلك الحال ، وجاء إلى النبي r ، فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة ، فقال له رجل : يا رسول الله ، رأيتك أمرته بإعادة الوضوء والصلاة مرتين ؟ فقال له r : " إنه صلى مسبلا ، ولا يقبل الله صلاة مسبل " وعنه r أنه قال : " ائتزروا كما تأتزر الملائكة عند رب العالمين ، قالوا : كيف تأتزر الملائكة عند رب العالمين ؟ قال

: إلى أنصاف سوقها " وعنه r أنه قال : " من أرخى سراويله حتى تدخل تحت قدميه فقد عصى الله ورسوله ، ون عصى الله ورسوله فله نار جهنم " وعنه r أنه قال : " يا سعد بن زرارة لا تسبل إزارك فإن الله لا يحب المسبلين " وعن عبد الله بن عمر قال : رآني رسول الله r وإزاري مسبل ، فقال : " من هذا ؟ قلت : عبد الله قال : إن كنت عبد الله فارفع إزارك "

وعنه r أنه قال : " إذا وقع في رجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً ، وللقوم زاجراً وقم عنهم " وعنه r أنه قال : " من اغتاب مسلماً جاء يوم القيامة ولسانه معقود إلى قفاه ، لا يحله إلا عفو الله أو عفو من اغتابه " وعنه r أنه قال : " الغيبة أشد من ستة وثلاثين زانية في الإسلام " وعنه r أنه قال : " أول من تسعر بهم النار ثلاثة : عالم ، وشهيد ، وغني " وعنه r أنه قال : " من شفع شفاعة فأهدى إليه هدية فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا " وعنه r أنه قال : " إن الله نظيف يحب النظافة " وعنه r أنه قال : " لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والموقدين عليها السرج " وعنه r أنه قال : " نظفوا أفنيتكم فإن اليهود لا تنظف أفنيتها " وعنه r أنه قال : " أيما امرأة تطيبت ثم خرجت فهي زانية " ونهى رسول الله r أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، وأن

يكتب عليه ، وأن يوطأ وعنه r أنه قال : لعن الله اليهود ، اتخذوا قبول أنبيائهم مساجد " وعنه r أنه قال : " إن الميت يسمع الآذان والإقامة ، والسلام من المسلم عليه ما لم يطين عليه القبر ، فلا تطينوا قبول موتاكم " وعنه r أنه قال : " كسر عظم المؤمن ميتاً ككسره حياً "

وقال رضي الله عنه : قال الله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) المراد : العلماء بالله تعالى ، لأن من علم به تعالى خشية ، ألا ترى أن العالم بالحية أن فيها سما قاتلا يخشاها ويخاف منها ؟ والذي لا يعلم كالصبي يميل إليها ويأنس بها ، ويعجبه ما عليها من النقوش والصفاء ، فيباشرها بيده ولا يخافها ولا يخشاها ، لأنه لا يعلم أن هناك سما ، فقول الله سبحانه وتعالى في ابن أم مكتوم : (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى) فشهادة الله له بالخشية عين شهادته له بالعلم ، وشهادة الله مستمرة ، لأن علمه تعالى بما سيأتي كعلمه في الحال ، فالخشية في ابن أم مكتوم بشهادة الله تعالى مطلقة : ماضياً ، وحالاً ، واستقبالاً ، ولهذا خلقه النبي r في المدينة في أكثر غزواته ؛ لعلمه بالله تعالى

وسئل :

رضي الله عنه : عن قول الله تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)

فأجاب

بأن الظن يحصل للإنسان من قبل نفسه فيصدقه عليه الشيطان ، ولذا قال تعالى : (وما كان له عليهم من سلطان) أي إبليس لا يجئ للإنسان بالوساوس إلا بعد أن يؤتى من قبل نفسه ، فيلقى إبليس المجال ، وليس أنه لولا إبليس ما عصى الله تعالى ، فإن إبليس عصى من قبل نفسه وليس له شيطان ، وهو – أيضاً – يخطب على منبر في النار بما حكى الله تعالى عنه في القرآن : (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) وهذا الظن وقع فيه الناس إلا من عصمه الله تعالى ، ولذا قال تعالى : (إلا فريقاً من المؤمنين) يعني لا المؤمنون جميعهم ، بل فريق ، نسأل الله العافية والسلامة ، فإنك ترى أنك لولا سعيك في الرزق لما أكلت ولا اكتسيت ، وهذا ظن اتبعته ، ورميت اليقين وهو قول الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال

تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وهذا وإن كان في بني إسرائيل فهو عام ؛ لأن القرآن أنزل على رسول الله r ليتخلق به هو وأمته

وقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق) أي لهم (وما أريد أن يطعمون) وقال تعالى : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) أتى بقوله : الله يرزقها بإضافة الرزق إليها ثم عطف بقوله : وإياكم تنكيتاً لابن آدم ، لو فهم أن الدابة لما لم تحمل رزقها ابتدأناها بالرزق ، كما قدمناها في اللفظ بقولنا : الله يرزقها ، وابن آدم لما كان له سعي في رزقه أخرناه في الرزق ، كما أخرنا لفظه بقولنا : وإياكم ، فهذا هو ظن من قبل نفس الإنسان ، فلما ألقى إبليس المجال بهذا الظن صدقه ، فصار الإنسان عازماً جازما بأنه لو لم يسع لما رزق أصلا

كذلك العلم ظن الإنسان من قبل نفسه أن العلم هو ما عليه الناس الآن مكبون ، المنطق والتعمق في النحو والصرف وعلم الأصول ، فصدقه عليهم إبليس وصاروا عازمين جازمين بأن ذلك هو العلم لا علم غيره ، ثم يصدق الرجل قول

الرجل إذا نقله له عن صاحب مذهبه ويعلم أنه صادق لا ريب فيه فيحكم به ، وهو يعلم علماً يقيناً أن الشاهد الواحد لا تقبل شهادته حتى ينضم إليه آخر أو امرأتان ، فيرمي هذا اليقين الذي هو من قبل الله تعالى ، ثم يعمل بظنه الذي حصل عن إخبار المخبر له : بأن صاحب مذهبه قال كذا ، فيصدقه عليه إبليس ، ويرى أن ذلك هو الحق

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ثم قد يكون كلام إمامه معارضاً لكتاب الله تعالى ، أو لسنة رسوله اللذين جميع الأمة متلقية لهما بالقبول عن النقل الصحيح ، الذي لا يشك في صحة نقلهما من له أدنى مسكة بالإسلام ، فإن وجد تأويلاً قطر كتاب الله وسنة رسوله إلى قول إمامه ، وإن لم يجد تأويلاً رماهما وعمل بقول إمامه ، ويقول : لو كان هذا الحديث صحيحاً لعلمه إمامي ، فهذا معنى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) وإضافة الظن إلى إبليس : لكونه كان بسببه المجال لإبليس في كونه صدقه عليهم ، وإلا فالظن والتصديق منه ، لكن لما صار التصديق له صار الظن داخلاً تحت ، فانقلب الظن له ، وصار الظن والتصديق كلاهما له . اللهم أعذنا من الشيطان

حتى لا يكون له علينا سلطان ، وروي ابن ماجه أنه r قال : " عليكم بالبغيض النافع : التلبينة ، فو الذي نفسي بيده ، إنه ليغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه " وروي أحمد والبخاري ومسلم أنه r قال : " التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن " انتهى

وقال رضي الله عنه : ما أعظم غلطها الزمخشري في تفسير قول الله تعالى : (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون) فجعل هذا دليلاً أ، جبريل عليه السلام أفضل من رسول الله r ، ومن أين له دليل في هذا اللفظ على أنه فضل منه ؟ ولم ينظر في ليلة الإسراء حين وصل جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى ووقف ، فقال له رسول الله r : " أتتركني في هذا الموضع وحدي ؟ فقال : وما منا إلا له مقام معلوم ، ولو جاوزت قدر أنملة لاحترقت " فهذا محل الاستنباط بأن مقام رسول الله r أعلى ؛ لأنه رقى – حتى سمع صريف القلم في اللوح – إلى محل لا ينتهي إليه أحد ، وأما قول رسول الله r لما رأى الرفرف هو وجبريل عليه السلام قال : أما جبريل فغشى عليه ، وأما أنا فلم يغش على ، قال : فكان جبريل أعلم مني ، فلا يدل هذا

على الإطلاق أنه أعلم منه بل في ذلك الشئ بخصوصه ، فلا يضر السلطان أن يكون الخياط أعلم منه بالخياطة

وأما قوله r : " لا تفضلوني على يونس بن متى ، ولا تفضلوني على موسى " فذلك وقع منه r في مقام افتخار كانت اليهود تقول : لا أفضل من موسى افتخاراً منهم ، فقال r في هذا المقام : " لا تفضلوني على موسى " وأما يونس فإنه لما وقعت مذاكرة في موقف ابن دقيق العيد في التوحيد ، سألوه : ما الدليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز ؟ فقال : قول رسول الله r : " لا تفضلوني على يونس بن متى " فقالوا : من أين يكون الدليل في هذا القرآن ؟ فقال : لا أقول لكم حتى تقضوا دين هذا الرجل ، وهناك رجل عليه دين ، فكل واحد منهم قضى عنه بعضاً من دينه حتى قضوه كله ، فقال : وجه الاستنباط منه أن قوله r : " لا تفضلواني على يونس بن متى " أي في القرب من الله تعالى ، فإن قربي ليلة أسري بي وأنا في الأفق الأعلى ، وكنت قاب قوسين أو أدنى ، كقرب يونس بن متى منه ، وهو في بطن الحوت في قعر البحر

ولما كان المقام مقام التحدث بنعمة الله تعالى قال r : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " . أ . هـ . وعنه r أنه قال : " الزهد في الدنيا : أن تحب ما يحب خالقك ، وأن تبغض ما يبغض خالقك ، وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها ، فإن حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك ، وأن تتحرج عن الكلام فيما لا يعنيك ، كما تتحرج من الحرام ، وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الحرام ، وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها ، وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج من النار وأن تقصر أملك في الدنيا . فهذا هو الزهد في الدنيا "

وعنه رضي الله عنه : قال : قال رسول الله r : " ما هو لك فهو آتيك على ضعفك ، وما ليس لك فلن تدركه بقوتك " وعند قال : قال رسول الله r : " من بنى بنياناً ، أو غرس غرساً ، من غير ظلم ولا اعتداء ، كان له أجره باقياً ما انتفع به أحد من خلق الله تعالى " وعنه قال : قال رسول الله r : " أيما قوم بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله " وعنه قال : قال خالد بن الوليد رضي الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله r فقال : يا رسول الله ، إني سائلك عما في الدنيا والآخرة ؟ قال له r : " سل عمنا بدا لك " قال يا نبي الله ، أحب أن أكون أعلم

الناس ، فقال له r : " اتفق الله تكن أعلم الناس " قال : أحب أن أكون أغنى الناس

، قال له r : " كن قانعاً تكن أغنى الناس " قال : أحب أن أكون خير الناس ، قال له

r : " خير الناس من ينفع الناس فكن نافعاً لهم "

قال : أحب أن أكون أعدل الناس ، قال له r : " أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس " قال : أحب أن أكون أخص الناس قال له r : " أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى " قال : أحب أن أكون من المحسنين ، قال له r : " اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك تكن من المحسنين " قال : أحب أن يكمل إيماني ، قال له r : " حسن خلقك مع الناس يكمل إيمانك " قال : أحب أن أكون من المطيعين ، قال له r : " أد فرائض الله تكن مطيعاً " قال : أحب أن ألق الله نقياً من الذنوب ، قال له r : " اغتسل من الجنابة متطهراً تلق الله وما عليك ذنب " قال : أحب أن أحشر في النور ، قال له r : " لا تظلم أحداً تحشر في النور يوم القيامة "

قال : أحب أن يرحمني الله ، قال له r : " ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله " قال : أحب أن تقل ذنوبي ، قال له r : " استغفر الله تقل ذنوبك "

قال : أحب أن يوسع على في الرزق ، قال له r : " دم على الطهارة يوسع عليك في الرزق " قال : أحب أن أكون أكرم الناس ، قال له r : " لا تشك الله إلى الخلق تكن أكرم الناس " قال : أحب أن أكون من أحباء الله وأحباء رسوله ، قال له r : " أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله ، تكن من أحباء الله وأحباء رسوله " قال : أحب أن أكون آمناً من سخط الله ، قال له r : " لا تغضب على أحد تأمن من غضبه وسخطه " قال : أحب أن يستر الله عيوبي ، قال له r : " استر عيوب إخوانك يستر الله عيوبك "

قال : فما الذي يمحو الخطايا ؟ قال له r : " الدموع والخضوع والأمراض " قال : فأي حسنة أفضل عند الله ؟ قال له r : " حسن الخلق والتواضع ، والصبر على البلية ، والرضا بالقضاء : قال : فأي سيئة أعظم عند الله ؟ قال له r : " سوء الخلق والشح المطاع " قال : فما الذي يسكن غضب الرحمن ؟ قال له r " إخفاء الصدقة وصلة الرحم " قال : فما يطفئ نار جهنم ؟ قال له r : " الصوم " أ . هـ

وقال رضي الله عنه : قال سيدنا ومولانا رسول الله r : " والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لتفترقن أمتي على أهل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة تدعو إلى النار ، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله ، فإن فيه نبأ ما قبلكم ، ونبأ ما يأتي بعدكم ، والحكم فيه بينكم ، من خالفه من الجبابرة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وشفاعته النافعة ، عصمة لن مسك به ، ونجاة لمن تبعه ، ولا يعوج فيقام ، ولا يزيغ فيشعب ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلقه كثرة الرد ، هو الذي سمعته الجن فلم تنته أن ولوا إلى قومهم منذرين قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم " وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الفصل الثاني : معني التجلي

سؤال عن معنى التجلي ما هو التجلي ؟.

أجيب : التجلي هو ظهور نور الحق

وينقسم إلى تجلي أفعال وأسماء وهو المعنى بتجلي الصفات فتجلى الأسماء وتجلى الصفات واحد والثالث تجلى الذات

أما (تجلي الأفعال) فهو إظهار الأفعال الإلهية

وأما (تجلي الأسماء أو الصفات) : فهو عبارة عن إظهار آثار الأسماء الإلهية كأن يتجلى على أحد باسمه العليم فيعلمه علما من لدنه ، وذلك هو التجلي بصفة العليم فلا يعرف التجلي بالاسم إلا بإشارة ، فإذا علم شيئاً علم أن التجلي بصفة العلم ، اقتدار على شئ كقدرة أصف على نقل عرش بلقيس عليم أنه التجلي بصفة القدرة وهكذا

وأما تجلي الذات : فهو ظهور ذات مقدسة بلا كيف ولا جهة ولا مكان ولا زمان ولا نور ، وإذا ظهرت لا ترى هناك صفاته متميزة فيها بل هي الذات لا غير ، وأما الصفات فتعرف بظهور الآثار مثلا ، ولله المثل الأعلى

العبد تكون له الصفات متعددة يكون كريما وشجاعا وخياطا ونجارا وكاتبا وغير ذلك ولا يرى شئ من الصفات في ذاته ولا يطلع على أنه متصف بهذه الصفات إلا بصدور آثارها منه ، فإن أعطى عرفت أنه كريم وإلا لم يطلع عليه ولو كان كريما في نفس الأمر ، وإذا تقدم بنفسه في المهالك علمنا أنه شجاع ، وإذا كتب علمنا أنه كاتب وإذا خاط كذلك وهكذا ، والحال لا يدرك بالبصر شئ من ذلك متميزاً في ذاته بل هي عينه

سؤال : عن التجلي الذي صعق منه سيدنا موسى من أي أقسام التجلي هو ؟

وجوابه أنه من تجليات العظمة ومنه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) وفيه مدح له r حيث لم يتصدع . ومعناه لو تجلينا بجمعيتنا لأن القرآن في اللغة هو الجمع ، ومعناه ظهرنا في القرآن بجميعه الأسماء

قال أمير المؤمنين سيدنا على بن أبي كرم الله تعالى وجهه ، في الجنة " الحق يتجلي لعبيده في القرآن ولكن لا يعرفونه " والتجلي بجمعية كلية الأسماء لا يوجد معناه . ثم تارة يكون التجلي في الصورة ليمكن التحقق كقوله r : (رأيت ربي في أحسن صورة) فالحق لا ينزه عن الصورة وإنما ينزه عن الانحصار ، وقد تجلى لموسى عليه السلام في النار فقال (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا) وذلك أنه لما قدم من مدين يريد مصر هو وأهله ووصل إلى الطور وكانت أهله حينئذ حاملا فوضعت تلك الليلة ، وكانت شاتية شديدة البرد ، فاحتاج إلى النار للمرأة والابن الصغيرة ، فرأى نارا بجانب الطور وهو تجل من تجليات الحق تجلى له في الصورة يتبعها بعيداً عن أهله (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا) لأنه لو حصل له التجلي بقرب المرأة وحصل منه ما حصل من كون العصا تهتز كأنها جان وهروبه منها لكان فيه بعض ضرر على المرأة لكونها ضعيفة ، فلربما حصل لها ولجنينها هلاك ثم قال (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) فليس المراد بمن في النار الحال فيها بل المراد عينها أي المقصود في صورة النار

وقوله (بورك من في النار) هو الله كقوله (تبارك الله رب العالمين) وقوله (ومن حولها) موسى عليه السلام فإنه رسول مبارك ثم قال (وسبحان الله رب العالمين) أي سبحانه أن يحصر في مكان أو صورة فإنه ذلك في السماوات وفي الأرض ، والتجلي وإن كان في النار فهو مجموع فيه كل شئ في عين كونه في النار ولا يعرف ذلك إلا بالذوق فلا تبلغه العبارة على حقيقته ، والحاصل إن لم تكن من السابقين بمعرفته فكن من اللاحقين بالإيمان به

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

ولا تكن من الخاسرين بالإنكار فتكون من الذين كذبوا بما لم يحيطوا به علماً (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد)

فإن قيل : ما بال سيدنا موسى عليه السلام في هذا التجلي لم يصعق مع أنه في بدايته بالنسبة إلى الذي صعق منه ؟ وهو قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)

والجواب : أن هذا ابتدأه الحق باختياره بلا طلب فأعطاه القوة له . وذلك طلبه هو من عند نفسه فلم يعطه الحق القوة يتحمل بها ولما استعجل الرؤيا سيدنا موسى عليه السلام استعجلها قومه وطلبوها (فقالوا أرنا الله جهرة)

رأي بعض الأولياء سيدنا موسى : r فسأله عن حديث (أكان ممن استثنى الله) فقال : إني جوزيت بصعقة الطور ، فقال له : إن الرسول r قال : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) فقال إن الصعقة كانت موتا وقد سمى الله الصعقة موتا (فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي صعقتكم التي هي الموت

وقوله (فلا تجعلوا لله أندادا) تفريع هذه الجملة عما قبلها ، يقول هذه الأرزاق قوة لأبدانكم أعطيتكم إياها لتستعينوا بها على عبادة غيري (قوله أندادا) الند المساوي (تالله إن كنا لفي ضلال إذ نسويكم برب العالمين) وقال (تجعلوا) ليعم وجوه الاتخاذ كلها فلذلك لم يقل تعبدوا وقد فسر الحق ذلك في الآية التالية بقوله (يحبونهم كحب الله) بعد أن قال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا)

كأنه قيل : يا رب كيف يتخذونهم أندادا ؟ فقال (يحبونهم كحب الله) أي إذا تعلق القلب به كتعلقه فقد اتخذه ندا

فالقرآن آيات بينات يبين بعضه بعضا فهو شريك في المحبة فمن أحب شيئاً مع الله فقد أشرك مع الله في المحبة ، وأقسام الشرك ثلاثة مذكورة في القرآن :

(أحدها) : شرك التسوية وهو المذكور في قوله : (يحبونهم كحب الله)

(الثاني) : أن يحب ذلك الشئ أكثر من الله ، وهو المذكور في قوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)

وجعلهم أعداء فتوعدهم ، وأبهم المتوعد به حتى يأتي الله بأمره للتهويل كقوله : (ولا يزال الذي كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله) أي تنزل قريباً منهم حتى يأذن لها الحق بالنزول عليهم فتنزل عليهم ، فجعل هذه الأشياء كلها من قوله (وآباؤكم وأبناؤكم) إلى آخره شركاء وكل

من أحب غير الله فقد اتخذه ربا وصار هو عبده ، وفي الحديث " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش "

وقوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) من جنس إبليس (ففسق عن أمر ربه) فالفاسق هو الذي فسدت عبوديته وذلك فساد سعادته من فسقت البيضة إذا فسدت ولم تصلح للتفريخ ، فجعلهم عبيداً لهذه الأشياء بمعنى عبادا لها يعبدونها من دون الله وليس المراد أنهم يسجدون لها بل يحبونها ويشتغلون بها عن ربهم ، والأمر ليس مختصا بهؤلاء بل مراده كذلك عبد الفرس وعبد البندق وعبد المرأة وعبد الكتاب ، ومن ثم رأى بعض الصوفية بعض طلبة العلم بين أيديهم كتب فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟! ما دام في قلبه بصيرة عمى عن غيره ، حبك الشئ يعمى ويصم أي عن غير المحبوب فهو يقول : إذا تعلق القلب به كتعلقة بالله فقد اتخذه ندا

قال r (لكل أمة عجل وعجل أمتي الدنانير والدراهم) ولا أحد من هذه الأمة سيسجد للدينار والدرهم ، ولكن لما كانت لهم سماها عجلا ولو لم تصنع عجلا والعجل هو الصنم

القسم الثالث :

وهو أول درجات الإيمان أن يحب الله ويحب معه شيئاً ولكن يغلب محبة الله على محبة ذلك الشئ ، وهو وإن كان في الجملة شركاً لكنه مغتفر ، وهو الذي قال الله فيه (والذين آمنوا أشد حباً لله) فجعل التفضيل على بابه ، ويحتمل أن يكون المراد الكامل الإيمان فيكون اسم التفضيل ليس على بابه كقول يوسف (السجن أحب إلى مما يدعونني إليه) فإنه لا يحب ما يدعونه إليه

وكقوله تعالى (وهو أهون عليه) أي مستو عليه البدأ والإعادة فلا تفضيل على فهم من قال كذلك وإلا فالآية الكريمة لا ينبغي فيها ذلك ، فإن الحق يخاطب الناس بعرفهم فمن كانت له مادة أهون مما لا مادة له لأنها صارت تراباً وبقي عجب الذنب

والمعنى الذين آمنوا شديدو المحبة لله فهم يحبون الله وحده لكونهم لا يشهدون غيره في الكون حتى – يحبوه إذ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وليس في الوجود إلا ذلك وهذا المشهد هو مشهد سيدنا ومولانا رسول الله r .

فمن ثم كن يقول (اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ) والتحق به r طائفة الصوفية فهم الذين خلصوا النخالة من الدقيق التخليص الكلي ، ولا يزال أحدهم يغربل فيخرج الكبار حتى يترك الدقيق الناعم الذي يجعل في العين ، فهم كأصحاب سيدنا محمد r لا نخالة فيهم

دخل بعض الصحابة على أحد الأمراء فقال له : حدثني حديثاً عن رسول الله r قبل أن تجلس ، فقال له : سمعت رسول الله r يقول " إن من شر الدعاة الحطمة " فقال له اجلس فإنك من نخالة أصحاب محمد ، فقال له وهل في أصحاب محمد نخالة ؟

ومعنى (من شر الدعاة الحطمة) هم ، الذين يحطمون أموال الناس حطما أي يأكلونها أكلا ، وقال r : " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطمهم بالأمانة والتضحية إلا ضاقت عنه يوم القيامة رحمة الله التي وسعت كل شئ " وقال r " إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه فجار في حكمه "

وهذا شامل لكل أحد فإن أقل ما هناك أن يستر عيبه وأعمال جوراحه فلا يعدل فيها وينصحها بأن يستعمله في طاعة الله

قال r : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" فكل منا أشركه الحق في ملكه فجعله ملكا على جوارحه ، وقد أشار الرسول إلى ما ذكرنا بل صرح به في الصحابة الذين بهم زين هذه الأمة وأعلاها ؛ لأن كل واحد نده وشركيه بحسب مقامه ، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فقال r لأبي بكر : " الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل على الصفا الأملس "

وإذا كان كذلك فلا يشعر به إلا من كان له حواس حادة جداً فإن من الشرك أن يقول الرجل : ماء شاء الله وشاء فلان ، فإن الواو في لغة العرب للتشريك ، فإن كان ولابد فيجعل بينهما ثم شاء فلان ، لأن ثم تقتضي البعدية فتكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب متأخرة عنها ، وإن من الناس من يقول لولا فلان لقتلني فلان

وإذا كان هذا القدر شركاً فما بالك بما وراءه ؟! فتبين لما قررناه أن للإيمان ثلاث مراتب : دون ووسط وأعلا ، وللشرك ثلاث مراتب : دون ووسط وسفلى

فللإيمان درجات كما أن للشرك درجات :

فأول مراتب الإيمان : أن يغلب محبته على محبة غيره ، محبة طبيعية كالولد

والثانية : أن يحب الله ويحب معه شيئاً محبة شرعية كأن يحب الشئ لا يحبه إلا لله كالمال للصدقة والسلاح للجهاد ؛ أو يحب أحداً لكونه عبداً لله أو آية لله ، فإن من أحب الآية من حيث كونها آية وأثرا على موجدها فهي محبة لله ، فمن أحب غيره من أجله فقد أحبه بالأولى

والثالث : أن يستغرقه الحق عن كل شئ ويصير الحق سمعه وبصره كما يليق بجلاله ، وآيته من كتاب الله (فأينما تولوا فثم وجه الله)

محق وسحق وأعدم الكون من نظره جملة واحدة ما عدا الحق سبحانه وتعالى ، فلا يشهد في الوجود غير الله إذ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وليس في الوجود إلا ذلك

وهذا مشهد سيدنا ومولانا محمد رسول الله r من الوجه الذي من الله : " اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ "

فصاحب هذا المقام لا يأكل طعاماً عن شهوة نفس فضلاً عن غيره ، بل يأكل حفظاً للأمانة التي أمره الحق بحفظها وهى النفس لكونها نفس الله أي ذاتية الله التي اشتراها منه يقول : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

ومنه قول بعضهم : " كلوا الطعام على شهوده فإن نزلت المرتبة فعلى ذكره " فإن الأكل على الغفلة حرام في تشريكه الإرادة ... الخ فيكون من الذين لأماناتهم وعهدهم راعون

وأما درجات الشرك فثلاثة

(الأول) : أن يحب شيئاً سوى بينه وبينه بالمحبة (يحبونهم كحب الله) (إذ نسويكم برب العالمين)

(المرتبة الثانية) : التي أسفل من هذه أن يغلب جهة حب ذلك الشئ وهي التي في قوله :(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله)

فهذه أقبح من تلك فصاحبها أخسر من صاحب تلك

لطيفة : يصح أن يكون أفعل التفضيل ليس على بابه وتكون من تعليلية ، فيصير معنى الكلام حبب إليكم من أجل الله ورسوله لكونها آيات الله تشهدونه فيها ، فسر عظمته من هذه الحيثية وإن كانت غير عظيمة من حيث ذاتها (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) فلفظ القرآن يفهم منه كل واحد مقصوده في غير تعبير فاللفظ الواحد يخاطب كل واحد في مقامه حين يأتي (كل حزب بما لديهم فرحون)

وقوله (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) أي تجليه الأكبر فتجدون ما لم تجدوا قبل ذلك ، والشرك بكل وجه هو أقبح الخصال عند الله

قال رسول الله r : (يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً وأشرك فيه غير تركته وشركه) ، وفي رواية (فأنا برئ منه)

وسئل رسول الله r عن الرجل يجاهد في الغزو ويريد الأجر والغنيمة فقال (لا أجر له) وقال (فلا تقولوا هذا لله وللرحم فإنه لا يقبل إلا ما كان خالصاً) (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي شئ من دينار ودرهم وغيرهما فلابد من معرفة أنواع الشرك هذه للتجنب

كان بعض الصحابة يقول : كان الناس يسألون رسول الله r عن الخير وكنت أسأله عن الشر . لأجل ألا يقع فيه ، قال بعض الحكماء : تعلمت الشر في الخير ، ومن لم يعرف الشر من الخير غالبا يقع فيه فورطة الأنداد هذه كثيرة جدا

وقوله (أندادا) جمع الحق لأن من الناس من تكثر أصنامه فيحب أشياء متعددة ويشتغل عن مولاه ، لأنه حال شغله بشئ متفرغ له عن غيره فلا يمكن أن يكون في القلب ، ويكون الحق فيه قطعا

وفي الحكم العطائية : (العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه)

قال بعضهم لبعض الصوفية : عظني ، فقال له : احذره فإنه غيور

لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره ، وإذا كان الإنسان لا يحب أن يعانده في بيته سواه – وهو معنى قول الله (ويحذركم الله نفسه)

وقال بعض العلماء لبعض الصوفية : عظني فقال له : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وكل ما يفرق عن الله أرباب متفرقون

ووجد بعض الصوفية جماعة من الطلبة بين أيديهم كتب العلم فقال لهم : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟!

وقال بعض الأولياء لرجل من طلبة العلم بيده كتاب متن مختصر الشيخ خليل المالكي فقال له : هذا صنمك ؟! فقال له : الصنم كائناً ما كان ، والله يقول : (اذكروا الله ذكرا كثيرا) وهم لا يذكرون لا كثيرا ولا قليلا ، وأي الصنم أكبر من هذا ؟!

قال بعضهم : معبود مطاع من دون الله وتدعي التوجي ؟! الدركة الكبرى التي هي أسفل الدركات دركة الدهرين الذين يجحدون الإله ويقولون ما يهلكنا إلا الدهر ، ولقد صدقوا فإن الدهر من أسماء الله ، ولكنهم يطلقون الاسم على الكون فمن هنا أتى عليهم فهم لا يرون فاعلاً في الوجود غير الأيام والليالي ، وكذلك من يجحد الألوهية الحقة كفرعون ونمرود فلا أقبح من هذه الطائفة لأن بعض الكفار يدعون محبة الله ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

فهم أهون في الكفر من هؤلاء وإن كان الكفر كله قبيحا ، هذه مراتب المحبة ومراتب الخوف مثلها فالخائف من غير الله إما أن يخاف الله لخوفه من سواه أو يخافه أكثر أو أقل فالذي يخاف الله أكثر صاحب مرتبة الاتصال الصغرى ، فإن خاف شيئاً من خلق من أجل الله فصاحب المرتبة الوسطى ، فإن تمحض خوفه لله فهو صاحب المرتبة الكبرى

والذي سوى بين الحق وغير وهو صاحب الدرجة الأولى في الشركة ، وصاحب الدرجة الوسطى الذي يخاف غيره أكثر منه ، وصاحب الدرجة السفلى من يخاف غير الله فقط لكونه يجحد الإله ، ومن المعلوم لا يخافه إلا من يعرفه ، وهناك

ميزان يعرف المرء به نفسه في أي منزلة وهو قول النبي r (من أحب شيئاً أكثر من ذكره) فينظر المرء إلى قلبه فإن وجد ذكر الحق فيه والحضور معه في غالب الأوقات وذكر غيره في النادر فهو صاحب مرتبة الأعيان الصغرى ، فإن كان ذكر الغير مساوياً لذكر الحق فهو المشرك الأول فإن كان ذكر الله أكثر فلا يسأل عن شركه

والذي يخلص قلبه لجهة الحق ولا يجد في جميع أوقاته قلبه إلا مغمورا بذكره فذلك هو المؤمن الأكبر ، ومن وجد نفسه مستغرقا في الغير فهو العبد الخالص لذلك الغير ليس من الله في شئ كائنا ما كان ذلك الغير إن لم يكن حبه له بالله ، فأنت عبد من أحببته فاختر لنفسك من تختار كما قيل :

أنت القتيل بأي من أحببته

فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

كان رجل من أهل الثروة شيخا فلقيه أحد أيام البرد في طريق وليس عليه إلا ثوب خفيف لا يقيه من البرد فقال له : ما هذا فقال له : القلب مشحون بالفلوس

يعني أنه مستدفء بها في قلبه وأخذ له ذهبا كثيرا أنواعا بعضه قطع وبعضه صيغة فكل يصبرها صبرة ، ويصير ينقى كل صنف وحده ويجلس ينظر إليه الليل كله وهو يشتغل بها ، فإذا جاء الصبح جمعها في ظرفها وهكذا كل ليلة

فهذا هو الصنم بعينه والحاصل أن الشغل بغير الله من الجهل لأن الله خلق لنا كل شئ .. وخلقنا له ، وإذا كان كل شئ مسخرا لنا فلابد أن يأتينا (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

فلا يليق بذا أن ننزل من مرتبتنا التي هي السيادة إلى مرتبة العبودية ، وهو يقول كونوا عبيداً لي ونحن نكون عبيد ما خلق لنا فنكون عبيد عبيدنا

ومن اتخاذ الأنداد الحزن على ما ينزل بنا من البلايا والمحن فإذا كان هو يقول (ولنبلونكم) فما للعبد لا يفهم عنه قولاً ؟ بلانا بنفسه اعتناء ، وفي المثل : الحجر من يد الحبيب تمر والحجر من يد الحبيب تفاح

وإذا كان هو المبتلي فما أحلى البلوى فالحق ينزل البلاء ليجرنا به إليه (فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) ومن عرف يد الحبيب هي

الضاربة له قبلها ، وهو أرحم بنا منا بأنفسنا فما فعل ذلك إلا ليجمعنا عليه ، قال بعضهم : يقتل ويعزي ويبكي ! فكيف بكى ؟! إذ الفاعلون مظاهره فاعلون عنه ، فإذا ابتلى فليس له إلا الثناء على الله ليحوز ثناء الله عليه

وفي الحديث القدسي : (عجبت لعبدي المؤمن أمره كل خير أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني) فلا ينبغي الحزن إلا على التقصير في جانب الله ، ومن ثم كان رسول الله r متواصل الأحزان ولا يغتم لشئ إلا من أجل الله . وقد جرت عادة الله تلك في أحبائه الذين هم أكابر حضرته من الرسل فمن دونهم ، فمن ذلك وافق الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه في ذبح ولده إسماعيل لما طلب من الحق أن يهب له من الصالحين فبشره بغلام فولد له إسماعيل فأقبل عليه بالمحبة لكونه شيخاً كبيراً وما ولد له إلا في آخر عمره

فلما بلغ مع السعي وهو ابتداء منافع الولد أمره الحق بذبحه يقول في ذلك (كنت خليلي وحدي فأردت أن تتخذ خليلاً ثانياً فيصير في القلب خليلان أذبحه) ، أمره بذبحه ولم ينزل عليه من عنده موتا لتعظم المصيبة ، قال له : (تولى ذبحه بنفسك لأنك في الخلة وتريد أن تميل إلى غيرنا)

وقال (إني أرى في المنام أني أذبحك) ولم يقل له أمرني ربي أن أذبحك لئلا ينفره من ربه فيقع في قلبه كراهة ربه من حيث إنه أمره بذبحه ، وهو فهم الأمر له هو فقال له (افعل ما تؤمر) فعرف أنه مأمور من الله لا مجرد رؤيا ، فبذل نفسه لله ولم يقبل ذبحه وهو غافل فيبشر بلقاء الله لأنه مشتاق للقاء ربه فهو تعب ولا يستريح إلا بلقاء ربه ولذا قال r (لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه) فكيف بالأنبياء ؟! وإنما قال مع ذلك (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) ليطيب خاطر أبيه أي من الصابرين على فراقك لأنه حصل عنده أوان لقاء الحبيب الأكبر الذي هو الله ومفارقة الحبيب الذي هو الوالد فأعطى كل واحد حقه فقال : من الصابرين

لأن اتخاذ حبيب ثان ينافي الخلة لأن معنى الخل تخلل محبة الله جميع أ- جزائه كما يتخلل الصبغ الثوب

فيكون العرض حيث جوهره والجوهر حيث عرضه فلا يمكن بعد ذلك الانفصال ، كيف وهي (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) فلا تكشف كما

تكشف صبغة الصباغ المجازي الذي يسرق صبغته من صبغة الله على أن بعض صبغ الصباغين لا تكشف

قال بعض المقربين : لو تكلفت أن أرى غير الله ما استطعت ، وفي ذلك قيل :

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

أي كما أن الروح تتخلل البدن كله ولا تتحيز في جهة معينة دون أخرى مصبوغ بها البدن كله ، فهي كالزبد في اللبن ، وكسريان الماء في العود الأخضر ، والنار في الفحم

والأنبياء كلهم لهم خلة من الله ولكن لما كانت رتبة الخلة العليا للخليل سمي بها ، وهذا معناه ، فالحق يطلق على كل واحد منهم الوصف الغالب عليه كموسى عليه السلام وسماه بالمكالم ولما كان رسولنا r أفضلهم في كل شئ قال فيه (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) يقول أنت أنا وأنا أنت ولم يثبت هذه الرتبة لغيره ، وأكد ذلك بقوله (يد الله فوق أيديهم) أي يدك التي فوق أيديهم يدنا

(فلما أسلما) أسلم الخليل ولده للذبح وأسلم الولد نفسه لله وأبت السكين أن تذبح والحال أنها كانت حدتها تلتقط ناداه الحق (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) وفداه بذبح عظيم لأنه قد حصل المقصود من إخراجه من قلبه فليس الذبح مأموراً به إلا لذلك ، والخليل أسلم نفسه أيضاً حين ألقى في النار حتى إن جبريل قال له ألك حاجة ؟ فلم يلتفت إليه وقال له : أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى ! فقال : سله فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي

فتولى الحق إنجاءه بقوله (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) ولم يقل لجبريل : قل لها ولا للملك الموكل بالنار بنفسه وكذلك من ينزل التدبير إليه لا يكله إلى غيره ويتولاه بنفسه

وكذلك يعقوب لما أقبل على ولده يوسف بالمحبة فرق الله بينهما كأنه يقول له ... أردت أن تعمل تلك العملة التي عملها أبوك إبراهيم هنا نحن نفرق بينك وبينه ولا نتركك أن تشتغل به (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) وهو من بيته ويوسف اشتغل عن الله بمحبة والده

فلما جعلوه في غيابة الجب أوحى الله إليه ولم يح إليه قبل ذلك إلا الرؤيا قال الله (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا)

فلما فقد حبيبه جاءه الحبيب الأكبر من باب (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) أي يخلفه بهويته وهوية الحق عين ذاته

تنبيه : ليس من محبة السوى محبة النبى r لعائشة فإنه هو الذي قص علينا عن ربه ما وقع للأنبياء في ذلك كقصة الخليل ويعقوب ويوسف عليهم السلام

وإذا علمنا ذلك من ورائه فعلمه بها أولى بل حبه r إلهي ، يحب بمحبة الله في جميع من يحبه من زوجاته وأصحابه وغيرهم وسائر أحواله حتى أولاده فلا يحب شيئاً أكثر إلا الذي يعلم أن الحق يحبه أكثر ، فحبه تابع لحب ربه فلا ابتلاء له في واقعة الإفك ، وحزنه فيها لله فإن آذاه هو أذى الله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) فهو أجل من أن يحزن على فراق عائشة وإنما الواقعة كانت تأديباً لعائشة لكونها كانت تفتخر على أزواج النبي r لكون النبي تزوجها بكراً ولكونها بنت الصديق

فكان تقول للنبي r : " أرايت لو كان لك واديان واد رعى قبلك وواد لم يرع في أيهما كنت ترعى إبلك ؟ فيقول r لها (في الوادي الذي لم يرع) فأراد الحق أن يبين لها بواقعة الإفك أن ربه لا يحب الافتخار ولو بالحق ، لأن الافتخار من العظمة التي أنعم الله عليه بها فيقول بعد كل كلمة (ولا فخر) الحديث المشهور

فنزل بأم المؤمنين عائشة ما نزل من القول فيها عتاباً لها على الافتخار ، فلذلك قال الله تعالى (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) يشير إلى ما فيه من الدواء للعجب ، وإذا ذاقت مرارة ذلك لا ترجع إلى الافتخار قال رسول الله r " لا يلدغ المؤمن مرتان من حجر واحد " فكلما وقعت له واقعة حفظها

كان بعض الصوفية بالكعبة فلطم فانفقأت عينه ، وقيل : لو أنك اكتفيت فذاك وإن زدت زدناك : لكونها نظر بها إلى محرم وهكذا أحبابه لا يهملهم بل يعاقب على اليسير حتى لا يعودوا ويقع منهم ما يبعدهم عنه وغيرهم يملي له

مر بعض الصوفية على حمار له ببيت بعض الحكام بمكة فلما حاذى بالحمار البيت مال عن الطريق فقال : عقلك أحسن من عقل الباشا ، فسمعه الباشا وهو في قصره ، فدعا به فقال له : ما بالك تشبه حمارك بي أو ما وجدت غيري من

سائر الناس ؟ فقال له أعطني الأمان وأنا أخبرك . فأمنه فقال له : مررت يوما على هذا الحمار فلما وصلت إلى هذا المحل مال عنه من أجل تلك المرة الواحدة ، وأنت لم تعتبر بما يقع لك فصدقه وأخلى سبيله

وقوله (وأنتم تعلمون) أنهم لم يخلقوكم ولم يخلقوا لكم ذلك

الفصل الثالث : سئل الرسول

سئل رسول الله r عن أعظم الشرك فقال " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " والمعنى لا تستعينوا برزقي على عبادة غيري

سؤالان : الأول : إن واضع اللغة هو الله عز وجل فإن كان كذلك فتفسير كلام الله لمن توسع في اللغة وعرف معاني القرآن فإنه تتضح عنده المعاني الموضوعة لها الألفاظ لكثرة إطلاعه على المواد

والجواب : أنه لا ملازمة بين الألفاظ المشتركة الموضوعة ، وقد يريد الحق منها أحد معانيها فيصرفه المفسر للمعنى الآخر الذي لم يقصده الحق تبارك

وتعالى فيقع الخطأ ، كالعين فإنها موضوعة للباصرة والجارية والذات والتقدير فتخصيص أحدهما بالمعنى لا يفهم إلا بتفهيم الله له ، والقرائن لا تفهم شيئاً لأنها قد تكون ظاهرة بحسب فهم القرينة والحال أن هناك قرينة غير هذه خفيت عنه تظهر لغيره وقد يكون ليس معتمداً فيه على القرينة فلا يفهم معنى كلام الله إلا بنور إلهي يفرق به العبد بين الحق والباطل ، وسبيله ليس الكسب فقد يفسر العارف ويكون مراد الحق غير ذلك . بخلاف الذي أوقفه الله على مراده من كتابه ، فإذا كان الفهم إلهيا فإن صاحبه لا يخطئ (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بالبناء على الفاعل

هذا والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعض المرات لا يهتدون لمراد الحق من كل الوجوه وإن كانوا لا يخطئون ، قال الله تعالى في حق داود وسليمان (ففهمناها سليمان) والحال أن داود لم يخطئ وإنما حكم بحق (وكلا آيتنا حكما وعلما)

ولكن لما كان حكمه فيه الضرر على صاحب الغنم ، وحكم سليمان لا ضرر فيه وهو مرض للجانبين كان أولى والحق هو الذي أفهمه وذلك قول الله تعالى (إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) والنفش هو الرعي ليلاً

وقد حكم رسول الله r على أصحاب الدواب أن يحفظوا دوابهم بالليل ، وعلى أصحاب الزرع أن يحفظونها بالنهار ، فإن رعت ليلاً كان الضمان على أربابها ، وإن رعت نهاراً لا شئ عليهم ، فداود حكم بالضمان فلم يخطئ ولكن لما قومت الغنم وصارت قيمتها مساوية لقيمة الزرع حكم بأن تعطي الغنم لصاحب الزرع

والحكم كذلك من جهة أن الغريم إذا كان دينه قدر المال يحكم له به ، ولكن لما كان يمكن أن يوفى من غير ضرر بالمدين كان أولى ، فحكم سليمان أن يأخذ الغنم صاحب الزرع فيحلبها ويأخذ الزرع صاحب الغنم فيسقيه حتى يعود إلى حاله الذي أكلته فيه الغنم فيأخذ غنمه ويترك لصاحب الزرع زرعه

كان ذلك أولى لأن صاحب الزرع كان يتعيش من زرعه وصاحب الغنم كان يتعيش منها أيضاً ، فلما كانت معيشة صاحب الزرع هي التي تحمله على الاستعجال بالقيمة أعطاه إياه فصبر وصاحب الغنم ثمرته أضاعها بتفريطه في الغنم فهذا هو الفهم أ هـ

(الثاني) : الزينة قد أمر الله بها ولم يحرمها ، فإذا أحب أحد الزينة من الناس والله يقول (قل من حرم زينة الله) فما الحكم بذلك ؟ أ هـ

والجواب : أن المراد بالزينة هي زينة الله أي التزين لله ، إن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن ترى عليه كأن يتزين ليراه الحق متجملاً بما أعطاه ليحبه ، لا ليراه الناس على صفة حسنة ، فتلك زينة الناس لا زينة الله فهي مراقبة غير الله التي هي الرياء بعينه أ هـ

فكلهم طلبوا البينة على أنه لا ريب فيه ، فقال تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)

هذا راجع لقوله : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)

علم الله أن هذا الرسول الذي أرسله لابد أن تطلب منه بينة حتى يتبع أعطاه بينة الإعجاز أ هـ

والريب : التردد في الشئ ، وأثر (عبدنا) على رسولنا لأنهم لم يقروا برسالته ؛ ولا، العبودية أشرف الأشياء فلذلك وصفه الحق بها في أشرف أوقاته وهي ليلة

الإسراء فقال (سبحان الذي أسرى بعبده) تحداهم بسورة واحدة وهذا آخر الإعجاز لأنه أولا طالبهم بالقرآن كله وذلك قوله (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)

لأنه لا يحسن في العرف أن يطلب من أحد الشئ القليل فإن عجز طلب منه الشئ الكثير فإن عجز طلب منه الأكثر لأنه لما عجز عن القليل من الكثير فالأكثر أعجز وأعجز وإنما يطلب الكثير فإن عجز خفف عنه

وقوله حجة وعناد وإظهار للعباد وإلا فهم يعرفون أنه من عند الله (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فعجزوا فقال لهم لما قالوا افتراه (قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله) وقد دعاهم إلى الإيمان بها والعمل كما أنه دعا إلى الإيمان بالقرآن

فآمن به رجال عقلاء يعرفونه وامتثلوا أحكامه ، ومن الذي يجيب إلى الإيمان بها وهو يعلم أنها مفتريات افتراها فلان . ويلزم نفسه أحكاماً فقرأه عليهم فعجزوا ولم يأتوا بشئ فقال لهم (فإن لم يستجيبوا لكم) أي إلى الإيمان بها

(فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فقال في آية يونس أيضاً (أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)

أي ادعوهم إلى الإتيان بها والسورة ثلاث آيات فطلب منهم ثلاث آيات كالقرآن لها معنى صحيح تخبر بأمر مغيب إما إخبار فيم مضي وإما بما سيكون كقوله (إنا أعطيناك الكوثر) ... الخ

وسبب نزولها لما مات ولد النبي r القاسم فقال المشركون : إن محمداً قد بتر : يعني انقطع نسله فنتربص به ريب المنون ، يموت كما يموت الناس فلا يبقى معه من يحيى دعوته ، فرد الله عليهم بقوله (إنا أعطيناك الكوثر) أي أهل الكوثر فحذف المضاف أي إن أخذنا منك ولدا واحدا فقد أعطيناك المؤمنين كلهم أولاداً لك يحيون دعوتك (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) هكذا في مصحف أبي وعلى أيضاً ، والمعنى كذلك من كانت زوجته أمك من أجلها فهو أبوك ، وهذا إخبار بالغيب فإن الإسلام حين نزولها كان ضعيفاً ليس معه إلا خديجة وعلى ونحوهما فلذلك يقولون (نتربص به ريب المنون)

وقوله (فصل لربك) أي اسجد شكراً لهذه النعمة (وانحر) أي الأعداء بأهل الكوثر الذين أعطيناكهم في نحور أعدائك وابترهم ، فلم يخلفهم من أولادهم أحد يحيى دعوتهم بل من خلف ولداً ولده صار ولد النبي r وبتر أوبه ، ونحرهم بأولادهم كأبي عبيدة عامر بن الجراح فإنه قتل أباه الجراح يوم بدر ، وذلك أن أباه كان يتحرى أن يقتله فكلما رآه قبله حاد عنه وأبوه لم يزل يتبعه ليرميه فلما رأى أنه لا يدعه قتله

وكخالد بن الوليد أبوه الوليد بن المغيرة كان من المؤذين لرسول الله r فأعطى الله ولده للنبي r ، وكعكرمة بن أبي جل أعطاه للنبي r فدمرهم بأولادهم ثم قال (إن شانئك هو الأبتر)

وهذا إخبار عن مغيب أيضاً لم يقع حينئذ ، لأن دين الكفر حينئذ كان في شدة وقوة ، ولا يتخيل للناظر أنهم سيبترون ، فأخبرهم الحق في أقصر سورة بثلاث معجزات

الأولى : أن النبي له أولاد بلا عدد وهم أهل الكوثر

والثانية : فيها الأمر بنحرهم من قبل ظهورهم وكما أمر وقع

والثالثة / أخبره أن المشتركين هم المبتورون وكانوا حينئذ أقوياء بأنبائهم فانبتروا إلى الآن فما ثم من ينتسب إليهم أ هـ

فالمثلية المطلوبة هي أن يؤتي بكلام فيه إخبار بالغيب إما الأخبار من الماضي كقصص أدم وخروجه من الجنة ، وقصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون ويوسف ، والله يقول (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) أي آيات نبوة محمد r فإنه أخبر بأمر غيب ولم يكن يحضره لأنه لم يكن موجوداً بذاته في زمن يوسف

فكل هذه القصص مكتوبة في الكتب السابقة التوارة والإنجيل وغيرهما ، وكل ما حكاه سئل عنه أهل الكتاب الذين لم يجحدوه فقالوا ما أخطأ حرفاً واحداً ولم يكن جالس أهل الكتاب بل كان راعياً للغنم ، وأبعد الناس عن القصص والأخبار رعاة الغنم ، ولا يعرف الكتابة ، كتب له اسمه فلم يعرفه من طريق الظاهر

فلذلك قال لعلي حين أراد محوه : أرنيه حين كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله . فقال أبو سفيان : لو علمنا أنك رسوله ما نازعناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلي : امحه ، واكتب محمد بن عبد الله فقال على : والله لا أمحو اسمك فقال : أرنيه فأراه إياه فمحاه والله يقول : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)

وقال أيضاً حين قالوا (يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فإن افتروا كلاماً كتاباً عربيا فصيحاً فماذا يعملون في الإخبار عما مضى كما أخبر القرآن

فكيف يفترون القصص السابق ويوجد كما هو في الكتب المنزلة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى) أي فمثل هذا لا يمكن أن يفترى ؟ ومن أين يتأتى لهم الإخبار عما سيكون في المغيبات ، وكم معجزات من القرآن أخبر بها قبل وقوعها فوقعت كما أخبر ؟! فمن أين ينصبون سلالم الكهانة كذلك ويأتون به ؟!

ولما كانت المراتب السابقة الثلاث الأولى فيها بعض المشقة لكونها طلب فيها القرآن كله ، والأخريان لكونهما مقترنين بالدعوة إلى الإيمان بها ، ومن آمن بها لزمته أحكامها وتكاليفها من صلاة وصوم قال لهم في هذه الآية (وادعوا شهداءكم) أي ائتوا بمن يشهد أنها من عند الله ولا يؤمن بها حتى تلزمه أحكامها فتكفي الشهادة منه بالتوراة والإنجيل أنها من عند الله . فإنه شهادة منا أنهما حق . ولا يلزمنا أحكامهما بل كانت لأهلهما قبل نزول القرآن . فلم يأتوا بشئ ، فقال لهم الله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)

وهذه معجزة أخرى فنفى عنهم الفعل في الحال والمستقبل وكان كما أخبر فلم يأت أحد بشئ إلى وقتنا هذا

وقوله (في ريب) أبلغ من أن نقول (وإن ارتبتم) لما فيه من الإشارة إلى أنهم متفاوتون في الريب (مما نزلنا) أبلغ من أن يقول فيما نزلنا لأنه يمكن الإتيان بشئ يسير أي وإن كنتم مرتابين في شئ منه لا في كله فأتوا بسورة

وقوله (عبدنا) أتى به دون رسولنا لأنهم ينكرون الرسالة فخاطبهم بالعبودية التي لا ينكرونها وهي أشرف أسمائه r لما فيها من الذل الكامل لسيده

والعبد يعظم قدره على قدر تواضعه لسيده فلذلك أطلقها الحق عليه في أشرف أوقاته وهي ليلة الإسراء فقال (أسري بعبده) فلو كان في تلك الليلة اسم أشرف لخاطبه به ، والذل هو الوصف الموجب للنصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) يعنى أذلة لله ومن أجله لا لغيره ، وأما الكفار فأعزة عليهم كما قال الله : (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكانت العرب شأنها البلاغة في الكلام ، وأرسل الله رسوله بالقرآن وجعله معجزته الكبرى . وإن كانت له معجزات غيرها

وقوله (إن كنتم صادقين) ليس معناه إن كنتم صادقين في أنكم مرتابون ، إذ الريب لا يوصف بالصدق بل راجع إلى ما رجحوه في عقولهم من أنه ليس من عند الله ، وأنه تقوله ، لأنهم يترددون فيقولون تارة من عند الله وتارة من عند بشر آخر وتارة يقولون : تقوله

ولهذا كل رسول يعطيه الله معجزة من جنس ما عليه قومه فلما كان في بني إسرائيل السحر أرسل الله إليهم موسى باليد البيضاء والعصا تنقلب حية ،

فاجتمع السحرة فأعجزهم وذلك في قول الله (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو يوم الزينة وكان عاشوراء ، وما عمل الميقات موسى إلا بإذن الله

وكانت السحرة ثمانين ألفاً ، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ؟ واجتمع خلق لا يحصون ، إذا كان هكذا فما بالك بالمتفرجين والجيش الذي سيقطع أيدي ثمانين ألفاً وأرجلهم ويصلبهم به كما هو ، وقد أنطق الله فرعون بحقيقة حال السحرة قبل أن تظهر فقال لهم : (وإنكم إذا لمن المقربين)

وكذلك كان فصاروا في حينهم أولياء مقربين فجمعوا كيدهم وصاروا صفا واحدا وجاء موسى وهارون صفا يقابلون الثمانين ألفا أيضاً (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون)

صارت العصي والحبال تتحرك من السحر الذي عملوه فيها ويتخيل للناظر أنها تسعى (فأوجس في نفسه خيفة موسى)

خاف أن يلتبس الحق بالباطل حيث أتوا بشئ وهو يأتي بشئ فيظن الناس أنهم سواء ، وإلا فلو خاف من سحرهم لما قال له الحق (إنك أنت الأعلى وألق ما

في يمينك تلقف ما صنعوا) إنما نأخذ السحر من الحبال والعصي فنتركها حبالاً وعصياً على أصلها فلا يرى فيها ذلك التحرك ، ويزول تخيل أنها تسعى فهي تأخذ ما صنعوا وهم ما صنعوا العصي فإنها صنع الله ولا الحبال فإن الحبل نفسه ليس سحراً صنعوه

وقد بين الحق صنعهم فقال (إنما صنعوا كيد ساحر) فأخذت ذلك الكيد فقوله (تلقف ما يأفكون) معناه ابتلعت السحر من الحبال والعصي وتركتها حبالاً وعصياً على أصلها ، وإلا لو ابتلعتها وهي على حالها تتحرك لسري الاحتمال إلى أنه ساحر أكبر منها جاء بسحر عظيم ، فالمعجزة في إبطال سحرهم لا في ابتلاع عصيهم وحبالهم ولأنه يمكنهم أن يأتوا بسحر آخر يعارضون به

وقوله (فألقي السحرة ساجدين) لم يقل سجدوا لأنهم لم يسجدوا باختيارهم ، بل الحق هو الذي ألقاهم فهم مأخوذون عن أنفسهم لا بتدبرهم في ذلك ، فكان عين ابتلاع العصي لسحرهم هو عين زوال الحجاب عن قلوبهم ، فصاروا في الحين أولياء شاهدين فلذلك غابوا عن الحور والقصور وقالوا :(والله خير وأبقى) ولم يقولوا : والآخرة خير وأبقى

وقولهم (برب العالمين) لما كان يمكن أن يصرفه فرعون عن ظاهره ويقول لهم رب العالمين قالوا (رب موسى وهارون) وإلا لكان قولهم رب العالمين كافياً ثم توعدهم وقال : (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) (قالوا لا ضير) أي لا ضرر علينا في ذلك . لأن القتل يجمعنا على حبيبنا وذلك قولهم (إنا إلى ربنا منقلبون) أي ذلك التعذيب والقتل يجمعنا عليه وقالوا له : (أن كنا أول المؤمنين) فهي حقيقة فيهم فهم عن أنفسهم قائلون ذلك بربهم عن ربهم ، وهذا أمر لا تأتي العبارة إليه بشئ وإنما هي أحسن من السكوت

وفعل فرعون بالسحرة ما توعدهم به فكان يأتي بالواحد منهم فيقطع يده ويقول له : إن رجعت تركناك وإلا قطعنا رجلك ثم صلبناك فلا يرجع ، ويقول له : لا ضير ، فينقطع رجله فيقول كذلك فيصلبه هكذا حتى انتهى إلى آخرهم فلم يرتد واحد منهم لأن إيمانهم كان إيماناً شهودياً عيانياً ولو كان على الغيب ما ثبتوا هكذا

فتبين أن المعجزات والخوارق لا تجئ بإيمان ، وإنما هي إقامة حجة . فلا يؤمن أحد إلا إذا أن للإيمان أن يسكن في قلبه (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) يعني

أوجبه وأثبته كقوله (كتب عليكم الصيام) (كتب عليكم القصاص) (كتب عليكم القتال) فلا عوارض تزيله ولا خوارق تزيده (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) إلى أن قال (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) وقال الله (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال الله (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمعم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)

ولا فرق بين أن يكون خرق العادة خارجاً عن نفسه أو فيها فإنهم لما قالوا (أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) قال الله (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) أي بأنفسهم فضلا عن رقيك أنت (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)

(فإن لم تفعلوا) هذا أبلغ من أن يقولوا فإن لو تأتوا لأنه يعم ما يأتون به من عند أنفسهم وغيرهم

والخطاب راجع إلى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) وإلى المخاطبين بقوله (وإن كنتم في ريب) وقوله (ولن تفعلوا) وكذلك

والمراد نفس الأمرين مع الإتيان بالسورة والشهادة فلم يأتوا بشئ منهما ولن يأتوا به . وقوله (فاتقوا النار) أي بلا إله إلا الله فهي كلمة التقوى)وألزمهم كلمة التقوى) وهو أبلغ من أن يقول آمنوا لما فيه من التخويف

وقوله (وقودها) وقودها بفتح الواو أي الحطب ، وأما الوقود بضم الواو فهو الإيقاد فعل الفاعل الذي هو المصدر ، وجهنم لا حجر فيها ولا حطب بل هم حطبها وأصنامهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم أنت لها واردون) والنار هي حار منضغط بعضه في بعض ، وهي بنفسها تحرقهم واتقادها المروى في حديث " أوقد عليها ألف عام حتى اسودت " هو عين إيجادها فليس أنها يلقى فيها حطب فتوقد به

وقوله (الحجارة) التي عبدت من دون الله والشمس والقمر والكواكب وفائدة إدخالها أنه يحرقهم بعين ما عبده فيصير ما عبدوه معذبا لهم بنفسه وهو حينئذ يصير من جنس النار (يوم يحمى عليها في نار جهنم) الآية فالذهب والفضة من جملة الحجارة التي يعذبون بها وقوله (أعدت) أي هي صورت لهم من سابق لا النار تخلق لهم يوم القيامة بل هي موجودة

وقال الله أيضاً (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني في الدنيا

وكان رسول الله r جالساً مع أصحابه فقال لهم : إن حجرا ألقي من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن بلغ فيها ، وهم سمعوا هذه فما لبثوا يسيرا أن سمعوا صيحة في بيت رجل من المنافقين مات فعدوا عمره فإذا هو سبعين سنة ، وكان هو الحجر المشار إليه

فأصحاب جهنم هنا وهم فيها في عين كونهم هنا ، وكذلك أصحاب الجنة وقد رآها الرسول r ليلة أسري به ، وكذلك نقلت له في هواء وصاح شوقاً فقال للصحابة : 0دنت مني جنتي إنها كادت أن تمس ثيابي وذلك حين رأيتموني عين يقين وقال :(دنوت من الجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت وقال : حتى هممت أ، أخذ عنقوداً من ثمارها ولو أخذته لأكلتم ما بقيتم) وكذلك أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة

ومعنى ذلك أنها لا تمتنع من أخذها ولا تفقد في محلها وتنفصل عنه ، بل في عين أخذها هي باقية كالسراج إذا أردت أن تأخذ منه قبساً خذ منه وهو باق في أصله لا ينعدم ، فأنت أخذت منه وانتفعت ولم يحصل بذلك نقص

فمن أجل ذلك قال الرسول r " الناس شركاء في ثلاثة : الماء والنار والكلأ "

قال الحق تعالى في معنى ذلك لبعض المقربين : أرأيت إن كنت في مغارة ومعك ماء والناس محتاجون إليه وأنت غير محتاج إليه ومنعتهم من أبخل منك ؟ فقال لا أحد . فقال له : أفأمنعهم رحمتي وهم محتاجون إليها وأنا غني عنها

وقوله (للكافرين) ولم يقل لكم لأنه ثبت كفرهم فصرح به وهي راجعة إلى (ومن الناس)

قوله تبارك وتعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزاج مطهرة وهم فيها خالدون) المخاطب يفسر

بعبادنا على سبيل الالتفات ، والتبشير : الإخبار بالخبر الذي يؤثر في البشرة من باب قول رسول الله r " من أسر سريرة ألبسه الله رداءها)

فتارة في الخير وهو الأكثر وهي البشاشة التي تظهر على بشرة صاحبه ، وتارة في الشر كقوله (فبشرهم بعذاب أليم) لرؤية الحزن في وجوههم والمراد بأن الذين آمنوا هم المتقون الذين قال فيهم (لا ريب فيه هدى للمتقين) لأنه لما ذكر جزاء المرتابين . ناسب أن يذكر جزاء الذين لم يرتابوا (الذين آمنوا) المراد به ما يعم الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من الرجال والنساء

والمراد بالظالم لنفسه في كلام الله الذي قصر ظلمه على نفسه بأن أطال قيامها وصيامها وأجهدها وأتعبها بالأعمال الشاقة فلم يرحها ، وهو إن كان محموداً ولكنه يطلق عليه لأنه ظلمها حقها فإن رسول الله r قال : " إن لنفسك عليك حقا "

وليس الظالم الذي يظلم الناس قلنا لك لم يطلقه بل قيده بقوله (لنفسه) ، وأما الظالم لغيره فذلك لا يحبه الله والله لا يحب الظالمين ومن لا يحبه لا يبشر ، وهو الذي لم يتخلص من هواه من جميع الوجوه وإن قام بالعبودية لكونه يقوم فيا

بنفسه فلابد أن ينقص عليه شئ ، والسابق هو الذي قام بالعبودية بربه فإن كان ربه سمعه وبصره وسائر قواه فهو المقرب (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ولم يقر المتقربون

لكن هو الحق الذي قربهم فهم مأخوذون عن أفعالهم ، وأما المتقربون فهم أصحاب اليمين سواء كانوا مقتصدين أو ظالمين لأنفسهم ، والظالمون الظلم المطلق هم أصحاب الشمال فالآية جاملة الكل ولكن بشارتهم بحسب مقاماتهم فمنهم من الجنات في حقه جنات معارف ومنهم من الجنات في حقه جنات زخارف

والمراد بالإيمان المذكور في حديث جبريل عليه السلام (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره) فهو غير عمل الصالحات فلذلك عطف عليه

وأقل العبادة التي يدخل الإنسان بها الجنة إقامة الفرائض . أما ما وراء ذلك فهو من الربح ، فإذا اقتصر على الفرائض ورضي بذلك القدر كان كافياً ، والصلاح ضد الفساد لأن الإنسان يتجر في المال ليزيده ، وإذا كان كذلك فرأس المال محفوظ معه ويطلب الربح ، وأما من ضيع رأس المال فالربح أضيع إذ الربح

لا يعد ربحاً إلا بعد حصول رأس المال ، وقوله (أن لهم) حذف الباء لتعجيل المسرة ، وقوله (لهم) تلذذ بأن ذلك ملكهم فهو يقول لهم : الجنات لكم ، ما لأحد تفضل عليكم بل هي أعمالكم فلا منة عليكم في ذلك وهو معنى (لهم أجر غير ممنون)

فإن الإنسان إذا كان الشئ ملكه تكمل لذته فيه أكثر من كونه عارية عنده ؛ لأن ملك الغير في النفس منه شئ هذا حال الغالب ، ولو فهموا أن نسبة الأشياء إلى الحق أولى وأن العبد يتلذذ بالشئ على أنه ملك لسيده أتم وأكمل في اللذة من كونه ملكاً له لأن ملكه على حسب صفته وملك سيده على حسب كمال السيد فشتان بين الملكين

وقوله (جنات) نكرها لكونها نكرة في عين تعريفها فإنها وإن كانت معروفة في الجملة فهي مجهولة في التفصيل

وفي الحديث : " في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "

الفصل الرابع : سورة الضحي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى

سبب نزول هذه السورة هو انحباس الوحي وقول المشركين إن محمداً قلاه ربه كما حرر في أسباب النزول

(والضحى) : ها هنا هو النبي محمد r وإنما سماه الله ضحى لأنه خلق من نوره تعالى كما جاء إن الله تعالى قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمداً فكانت والضحى هو ارتفاع الشمس عن القامة وهو فرد من أفراد النور لأ، النور يكون أنواعاً مختلفة وهذا منهما

وإنما اختار هذا الفرد من بين الأنوار لأن وقت الضحى هو أشرف حالات الشمس التي تكون عليها من السناء والصفاء والاستنارة ، وبين النبي وبين الشمس مناسبة ظاهرة من حيث إن الله تعالى جعل الشمس سراجاً وجعل النبي

r سراجاً فقال تعالى جل جلاله في ذلك : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)

فلما كان بينه r وبين هذه هذا الاتصال بشهادة القرآن أطلق عليه أشرف حالاتها وأجل صفاتها قال جل وعلا (والليل إذا سجى) قال أرضاه الله تعالى في عطف الليل على والضحى إشارة إلى الإسراء ، وارتفاع النبي r بأنه مخلوق من نوره أتبعه بتذكيره أمر الإسراء والقرب والوصال

والسر في القسم بهذين الأمرين أن يكون القسم في نفسه دليلا وبرهانا على المقسم عليه وهو قوله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى) وذلك أن من كان مخلوقا من نور حبيبه فهو بمنزلة الجزء منه وقد وقع بينه وبينه من القرب والوصول ما لم يقع لغيره من ابناء جنسه ، وأنه يبعد كل البعد أن يلقي وأن يهجر لا لذنب ولا لسبب فمعنى هذا القسم في نفسه بشارة للنبي r وتبيين وتأمين وهذا من مخزون الأسرار (فتبارك الله أحسن الخالقين)

ثم قال الله تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى) قال الشيخ أرضاه الله : الآخرة هنا صفة للحال الآخرة من حالة الوحي وهي الواقعة قبل الانقطاع

وذلك لأن العلة والحكمة في انحباس الوحي هي التعطش له والترغيب فيه لأننا بخبر ما كثر وتوالي من المحسوسات إذا لم يمل فأقل أحواله أنه لا يطلب أي لا تتشوق إليه النفوس ، وما جاء بعد فقده كان له من اللذة والحلاوة ما ليس في الأول وتلك مشاهدة بشهادة الوجدان

وقال جل ذكره : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الشيخ أرضاه الله تعالى : قيل إن هذه الآية أجرى آية في القرآن ، وكذلك قال النبي r ، قال : (أرضي وواحد من أمتي في النار) وكلام النبي من المعلوم أنه صدق لا يمكن تخلف مخبره وكلام الله تعالى كذلك

والحاصل أنه لا يرضى الله تعالى إلا لخروج جميع الأمة ورضاه واقع قطعاً ، وإذا أردت أن تبرزه بالبرهان العقلي وتصوره قياساً منطقياً كان هكذا : خروج الأمة من النار يرضى النبي r ، ورضي النبي r لا محالة ، وهذا من الشكل الأول

ودليل الأول : قوله r : لا أرضى

ودليل الثاني : قوله تعالى : (فترضى) ينتج من هذا خروج جميع الأمة من النار واقع لا محالة

قال تعالى (ألم يجدك يتميا فأوى)

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : اليتيم هنا هو الذي لا نظير له على حد قول البوصيرى

حبذا عقد سؤدد وفخار أنت في اليتيمة العصماء

وإنما كان يتيما بهذا المعنى لثبوت المزايا السابقة من بين أفراد جنسه من خلقه من نور الحق ورفعه إليه ودنوه في الظاهر والله تعالى أعلم وأكرم

إن معنى قوله : يجدك على هذا يوجدك من الإيجاد لا من الوجود أي ألم يخلقك فرداً بلا نظير (فأوى) الفاء للسببية خلقك من نوره واتصالك به آواك إليه أي ردك إليه فأنت منه إليك

ثم قال تعالى : (ووجدك ضالا فهدى)

ضلال النبي عليه الصلاة والسلام عن قدر نفسه ، وحيرته في معرفة خلقه وعنصره (فهدى) أي هداك للمعرفة بنفسك وهذا من أعظم الهدى ، لأن الشخص إذا جهل قدر نفسه فربما وضعها حيث يستحق الرقع ، أو رفعها حيث يستحق الوضع فيترتب عليه مفاسد لا تخفى ، وإذا عرف قدرها تصرف فيها بحسب المراد لمولاه (ووجدك عائلا) أي فقيرا إليه تعالى (فأغنى) أي أغناك به تعالى

(فأما اليتيم فلا تقهر) لما ذكر اليتيم سابقاً ناسب أن يرشد نبيه إلى التخلق مع اليتامى بما تخلق الله تعالى به معه

(وأما السائل) أي السائل عنا والمتعرف برحمتنا وفضلنا (فلا تنهر) أي فلا تقنطه ولا تيئسه بمعنى أنك رغبت فينا فنلت فضلنا

(وأما بنعمة ربك فحدث) شوقهم إلينا وأخبرهم عنا وعن أصلك الذي هو أصلك لعلهم يأنفون من الميل إلى حضيض السوي ، ويرفعون رؤوسهم إلى حضرة جمالنا فيميلون إلينا ميل الفرع إلى أصله ، فيعشقوننا ، وحب الوطن من الإيمان ، ولا وطن لقبضته النورية التي قال لها كوني محمداً ، وخلق أجسامهم بيديه وما

أرسل الله الرسل إلا ليحببوا عباد الله في الله تعالى ويحببونه فيهم ويرغبونهم فيما يحبهم الله عليه من الأعمال والأخلاق ويذكرونهم بأيادي الله عندهم وصنائعه لديهم ، ويشفعون لدى الله فيهم ليقبلهم ، كهيئة المصلح بين العبد وسيده سواء بسواء ولا يوقفونهم مع الخوف منه ، لأنه لا يخاف المرء إلا من عدوه ، وما هناك إلى الحبيب ، بل يحذرونهم من موجب غضبه بقدر ما تمس الحاجة إليه كوضع الملح في الطعام لا غيره ، عما قليل تزجره ولكن إذا أعطيته المزجر فليكن بقدر ما يعطي الطعام من الملح ؛ لأن الخائف كثير التلفت ، والمحب يجد السير وهو سباق وفي المثل : الخائف سيار والمحب طيار ، وخوف العبودية للربوبية لازم لا ينفك وهو وحده كاف لمن عقل والله تعالى الموفق وعليه التكلان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

هذه السورة عظيمة جدا وهي وسورة الضحى سورتا النبي r

وقوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) ألم للتقرير وثبوت نعمة الشرح التي أهى أعظم نعمة وذلك من وجهين :

الأول : إيتاؤه إياها

والثاني : ابتداء من الحق بلا سبق طلب منك ، ففرق بينه وبين موسى عليهما الصلاة والسلام حيث لم يعطه ذلك إلا بعد طلب بقوله : (رب اشرح لي صدري) فهو يقول : غيرك لم يعط إلا بعد طلب ، وأنت ابتدأتك بالعطاء اعتناء بك ، والشرح يطلق على التوسيع وعلى البيان

فعلى الأول : ألم نوسع لك صدرك بنورنا حتى وسعنا ، وفي الحديث القدسي (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي الورع الموقن) ولا عبد مؤمن اتقى وأنقى وأورع منه r وعلى الثاني : ألم نبين لك حقيقتك أي بقولنا : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) فأبنا – أي أظهرنا – لك أن حقيقتك هي حقيقتنا وعنصرك هو نورنا ، والصدر أيضاً يطلق على القلب وهو المناسب للشرح بمعنى التوسيع ، ويكون مصدر أصدر وعليه : ألم نبين لك أن صدروك أي بروزك من عندنا وقبضة من نورنا فقلنا لها كوني محمداً فكانت ،

وإذا عرفت ذلك عرفت نفسك ، ومن أين أنت ومن أين أصلك وحينئذ فلا أصل . أأصل منك . ولا أشرف لكونك من نور الله ليس غيره ، فلا أعظم من الله ولا أعظم ممن هو منه نوره ، وهنا معنى غدق عبق يبعد عن العقل ولا يأتي به اللسان إلا أن يفتح الله الباب حين يذاق من حضرة الوهاب وإلا فلا عبارة تبلغه كما هو

وقوله عز وجل (ووضعنا عنك وزرك) الوزر : الحمل ، ومنه (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) والمراد به ما كان يقاسيه عند نزول الوحي عليه في ابتداء الأمر فقد كان r يرغو عند نزول الوحي عليه كما يرغو البعير لثقل الوحي عليه كمال قال الله تعالى (إنا سنقلي عليك قولا ثقيلا) وقوله (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأظهر ذاته كلها لكونها كانت في ضعف المخلوقين فتثقلها الأشياء ، فإن العبد إذا كان بنفسه كان ضعيفاً كائنا ما كان ، وفي الحديث المرفوع من دعائه r (فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وعجز) أو كمال قال

فهو يعني بذلك من حيث مخلوقيته ، وأما إذا كان بربه فهو قوي وهو لتحققه بالتقوى به سبحانه وسريان القوة الإلهية فيه حينئذ يتلقى من الله بالله وتلقيه به ،

والمعنى زالت مخلوقيتك بالرجوع إلى أصلك الأول الذي هو النور الإلهي ، ولما ذهبت ظلمة المخلوقية ذهب ما يترتب عليها من الكلف وجميع لوازمها

وقوله عز وجل : (ورفعنا لك ذكرك) أي بقولنا (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لا كما قال بعض المفسرين : لا أذكر إلا وتذكر معي ، فإنه معنى هزيل ضعيف جدا بالنسبة لما ذكرنا من أن المراد عين ذكر الله

وقوله : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أي الذين يرونك إنما يرون الله وقال r : " من رأى الحق " والحق هو الله . قال الشيخ صالح الجعفري :/ والمعنى فكأنما رأى الحق— أي رأى صورتي الحقيقية التي خلقني الله عليها لأن الشيطان لا يتمثل بي — أ هـ

ومن أعظم النعم على هذه الأمة قوله r : (من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) وأولياء الله تعالى من أمته يرونه دائماً ، والناس يرونهم ، فقد حصل للعامة الخير الكثير برؤية من يراه ، كما قيل : (لعلي أراكم أو أرى من يراكم) . بل منهم من يتصبن بصابون طاعته الشرعية ولم يتصبغ بلونه حتى يصير هو هو ، وذلك من فتح الله له باب المكالمة بينه وبينه من باب الولاية لا من باب

الرسالة والنبوة فإنه ختم بسيدنا محمد r ولا مزاحمة ، فمن أنكر مكالمة الله بما هو وهجر حقيقة الحال فليس كذلك ووقائع الأولياء تفسر ذلك

قال بعض الأولياء : وقع لي مشاهدة تجل إلهي فقلت للحق يا رب بم نلت هذا الخير الذي أنا فيه ؟ فقال لي بمحبتك لعبدي هذا يعني شيخه ، فقلت له وبم نال عبدك هذا ما نال ؟ قال : بمتابعته رسولي وزادني الحق من عنده بلا سؤال مني : ورسولي نال ذلك برحمتي

واجتمع بعض الأولياء ، المقربين في وقتنا هذا بالنبي r . فقال له r ما لكم تزهدون في كلامي ومجالستي . فقال له : من يزهد في كلامك ومجالستك يا رسول الله ؟ قال مجالسة فلان هي مجالستي وكلامه هو كلامي . يعني بذلك بعض المحققين به والمنصفين من ورثته في عصرنا هذا ، وهذا هو الخير الجسيم الذي لا خير مثله فإن الله يقول : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)

قال الله عز وجل :(فإن مع العسر يسرا) أي لما جاهدت فينا وأنت خلق أوصلناك إلينا وجعلناك حقا ، فخرجت من عسر المخلوقية وسجنها إلى يسر الربوبية وإطلاقها

قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ صالح الجعفري : أي إلى التسليم لله تعالى أ هـ

وفي قوله تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي سبل جميع أسمائنا فيدخلون علينا من كل باب ، وأنت سيدهم المحيط بهم كلهم

قال الله عز وجل : (فإذا فرغت فانصب)

المعنى الأول : فإذا فرغت عمن سواه بأن فرغ به قلبك عن الأغيار فاذكرنا ناصباً نفسك منصباً لها في طلبنا ، إذ لا يصح في العرف أن يجعل الخل في الإناء المملوء زيتاً حتى يفرغ وينظف فإنه يفسد كقوله تعالى :(واذكر ربك إذا نسيت) أي نسيت غيره

والمعنى الثاني : فإذا فرغت من تجل أشهدناكه بأن شربته ذاتك وتذوقت ما فوقه فانصب مهيئاً لطلب ذلك الفوق ، فإن تجلياتنا متراكمة عليك تراكم أمواج البحر فلا تنفصل ، فنحن مفيضون عليك على الدوام ولا يقطع عنك أبدا فكن متلقياً سرمدا

وقوله : (وإلى ربك فارغب) أي لا تقنع فإن القناعة من الله حرمان بخلاف الدنيا فهي محمودة بل كن مشتاقا إلى جمالنا وتجليات كمالنا دائما أبدا سرمدا والتعبير بـ (إلى) بأ، الحق لا نهاية له ولا غاية لمجموعة ما حصل للعبد منه فهو بالنسبة إلى ما لم يحصل شئ تافه يسير ، وكأنه الآن ذاهب إليه لم يكن في شئ من تجلياته (واتبع ملة إبراهيم حنيفا) وهو يقول أي إبراهيم (إني ذاهب إلى ربي سيهدين)

فأكابر الرسل والأنبياء والأولياء كلهم كأنهم لم يحصلوا شيئاً بالنسبة إلى ما عند الله من المشاهدة العقلية ، فالحق لا يتناهي ، وهم لا يروون ، إنما يزيدهم ما وجدوه عطشاً وهياماً

قال بعض الأولياء في عصر أبي يزيد : شربت كأساً لا أرتوي بعدها أبدا

فسمع ذلك أبو يزيد فقال : هنا من يحثو بحار الكون كلها وهو فاتح فاه ويستزيد

وفي ذلك قيل :

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما روينا

وتبارك وتعالى الله رب العالمين ، وهذا بعض الكلام على هذه السورة العظيمة ، والله الفتاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

انتهى

الفصل الخامس : المصلين

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) إلى آخرها ؟

فأجاب : هم الذين يصلون وقلوبهم مشتغلة بغير الله سبحانه وتعالى ، انظر إلى المصلي إذا توجه إلى غير الكعبة هل تصح صلاته ؟ كذلك إذا توجه بقلبه إلى غير الله تعالى ، بل توجهه بقلبه أحق من أن يتوجه بقالبه إلى الكعبة فوصفهم سبحانه وتعالى بأنهم عن صلاتهم ساهون (الذين هم يراءون) يعني يصلون بقوالبهم لا بقلوبهم يراءون والرياء هو الشرك ، نسأل الله السلامة والعافية (ويمنعون الماعون) وهو الإناء ، يعني أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق قلبه إناء سبحانه وتعالى فمنعه وشغله بغيره وكذلك جميع الذات لم يخلقها الله تعالى إلا ماعونا : أي إناء لذكره وعبادته ، بدليل قوله تعالى (وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدون) وقوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسي) فإذا منعتها مما خلق له وشغلتها بغير ما خلقت له فأنت ممن يمنع الماعون ، وما فسر المفسرون في المعاون داخل تحت هذا المعنى فإن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتد حبه ليوسف والقلب لا يسع إلا الواحد فرقه عنه تأديباً له ، ثم خفي عليه وهو في الجب بالقرب منه لما أراد أن يفرقه عنه ، وحين أراد اتصاله به وجد ريحه من مصر إلى كنعان ، فسبحان القادر لا إله إلا هو . كذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما عظم في قلبه حب إسماعيل وذلك لكونه بشر به وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر

فبلغ به الحب إلى الغاية ، فبلاه الرب جل وعلا بذلك البلاء العظيم وهو ذبحه له فسلم غاية التسليم ثم فداه الله سبحانه بذبح عظيم ، وهذا كذلك لكون القلب لا يسع إلا الواحد ، مع كونه قد عظم حب إسماعيل فابتلاه بذلك ليخلي قلبه له جل وعلا ، والذبيح إسماعيل بلا شك ، لا كما قيل هو اسحق لثلاثة أدلة :

الأول : أن الله سبحانه وتعالى ذكر قصة الذبيح إلى آخرها ثم قال : (وبشرناه بإسحاق) وذلك الترتيب في كتاب الله تعالى تقتضي الحكمة فيه ذلك

الثاني : أن اسحق لم ينقل أحد ولم يسمع أنه سكن مكة بخلاف إسماعيل ، فالنص القرآني (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) والذبح وقع بمنى

الثالث : أ، الله سبحانه وتعالى بشر إبراهيم بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب في حالة واحدة ، ولو كان اسحق لما صح الابتلاء وهو يعلم أن في صلبه يعقوب كما بشره الله به

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)

قال : العفو : هو أن تعفوا عمن أسماء إليك ، وإذا كنت كذلك فقد اتصفت بصفة من صفات الله تعالى ، فحق عليه أن يعاملك بما اتصفت به (سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم) لا كما قيل : من أن العفو وهو ما فضل من القوت ، بل قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ومنه ذلك العفو لأنه أحب ما يكون إلى الإنسان سيما عند احتياجه إليه في يوم القيامة ، والقرآن يخدم بعضه بعضا

****

وقال رضي الله تعالى عنه : إن (كان) إذا دخلت على اسم من أسماء الله تعالى فإن عملت في الاسم الرفع وفي الخبر النصب فلا تسمى ناقصة تأدباً ، إنما يقال لها الحرف الرافع للاسم الناصب للخبر ، وإذا لم تعمل سميت التامة ، وكذلك الذي تسميه النحاة زائداً لا يقال له في القرآن زائداً ، بل تحته معنى نحو قوله تعالى (حتى إذا ما جاءوها) بقيت ما هنا النافية لتؤدي معنى ، وهو أن يبقى في

الإثبات شم من النفي لأنهم ما جاءوها هم باختيارهم ، إنما سيقوا إليها (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) فبقيت النافية لتؤدي هذا المعنى

وكذلك قولهم في قوله تعالى : (فأتوا بسورة من مثله) إن من هنا زائدة ، وليس كذلك تعالى الله ، بل لا يستقيم المعنى إلا بها ، لأن قوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) أي من مثل عبدنا ، فالضمير راجع إلى عبدنا ، ولا يصح المعنى إلا بها ، فتأمل

وكذلك قوله تعالى (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فهي وإن كان المعنى للثبوت لكن أتى بالنافية هنا ليبقى شم وهو يؤدي معنى أنهم غير واثقين بالتقوى منهم ، وذلك شأن المؤمن ، فإنه ورد في حديث بعض السلف أنه عرف كذا عدداً من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق ، ذكره البخاري ، فتأمل فائدة الإتيان بما

****

وقال رضي الله تعالى عنه : في قول الله سبحانه وتعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أتى سبحانه وتعالى بلفظ أقيموا ولم يقل صلوا ، وذلك لأن الصلاة

كالأعضاء وسائر الجسد ، والخشوع روحها ، فإذا حصل الخشوع والحضور مع الحق جل وعلا صارت قائمة لأن الشئ لا يقوم إلا إذا كان له روح ، وأما إذا لم يكن له روح فهو ملقى هناك مرمى لا روح له يقوم به ، بل لا يقدر على الحركة ، وقوله : (آتوا الزكاة) ومثله قوله (مالك يوم الدين) (والأمر يومئذ لله) مع أنه جل وعلا ملك الآخرة والأولى وله الأمر في الابتداء والانتهاء ، لكنهم لما ادعوا أن لهم في الدنيا ملكا ولهم فيها أمرا سلم لهم على دعواهم سبحانه ما ألطفه تبارك وتعالى ، ساجلهم سبحانه وتعالى على دعواهم لأنهم ادعوا أن لهم في الدنيا ملكاً ولهم فيها أمراً سلم لهم على دعواهم سبحانه ما ألطفه تبارك وتعالى ، ساجلهم الله سبحانه وتعالى على دعواهم لأنهم ادعوا أن لهم مالاً فقال سلمنا ، وعليكم منه الزكاة وهو العشر أو نصف العشر أو ربع العشر ، مع أنه قد قال سبحانه وتعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) ولهذا لم يملك الأنبياء شيئاً لعلمهم أن ليس لهم شئ . فما في أيديهم جميعه لله ، هم وغيرهم فيه سواء

قيل إن أحمد بن حنبل والشافعي كانا قاعدين . إذ مر شيبان الراعي فقال أحمد بن حنبل إني أريد أن أسأل شيبان سؤالاً ، فقال له الشافعي : لا تفعل قال : لابد ، قال : دونك إياه ، فقال : أحمد بن حنبل : يا شيبان في كم الزكاة من الغنم ؟

فقال : على مذهبكم أم على مذهبنا ؟ فقال : أو هما مذهبان ؟ قال : نعم ، قال أفتني بهما ، فقال : أما على مذهبكم ففي الأربعين شاة شاة ، وأما على مذهبنا فلا يملك العبد مع سيده شيئاً ، فالجميع حق الله تعالى ؛ وسأله أيضاً عن المصلي إذا سها في الصلاة بزيادة أو نقصان بم يصلحها ؟ فقال : على مذهبنا أو على مذهبكم فقال أجبني على كلا المذهبين فقال : على مذهبكم يجبر بالسجود ، وعلى مذهبنا هذا قلب غافل يجب تأديبه ، فخر أحمد مغشياً عليه

****

وقال رضي الله تعالى عنه : كل مقدم في القرآن فهو الأهم بدليل قول رسول الله r لما رقى الصفا : أبدأ بما بدأ الله به (إن الصفا والمروة من شعائر الله) فإن تأخر الأهم فلنكته

وقال رضي الله تعالى عنه : في العناية من الله سبحانه ببعض عبيده لما قال الكهنة والمنجمون لفرعون : إنه يكون خراب ملكك على يد ولد من بني إسرائيل فأمر بذبح الأبناء ، فلما ولدت أم موسى ألقته في البحر خوفاً عليه من الذبح ، فالتقطته امرأة فرعون وقالت له (قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو

نتخذه ولدا) فقال فرعون : قرة عين لك ، فلو سكت لكان قرة عين لهما ، ثم لما أخذته امرأة فرعون أبي أن يقبل ثدي مرضعة .

ذلك قوله سبحانه وتعالى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) فرده الله إلى أمه وكانت نفقتها عليه ، وتربية موسى على يد فرعون . وأما السامري فلما خافت أمه عليه الذبح ألقته في كهف في جبل فتولى جبريل عليه السلام تربيته وصار بعد كافرا ، وفي ذلك يقول الشاعر :

فموسى الذي رباه جبريل كافر

وموسى الذي رباه فرعون مرسل

كذلك سحرة فرعون جاءوا في أول النهار يريدون أن يدحضوا حجة الله بالباطل ، وهذا شر أي شر ، فما غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد صاروا في أعلى مراتب الإيمان ، فإنه لما بعث فرعون في المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحار عليم

(فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين)

أجرى الحق سبحانه وتعالى ذلك على لسان فرعون هو أنه واقع لهم الأجر من ربهم ، وكانوا عنده من المقربين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون)

فلما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك خاف كما في آية طه (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وذلك الخوف ليس هو من ذلك السحر وهو كون الحبال والعصي صارت حيات ، ولكن خاف أن يلتبس الأمر على من لم يعرف ، فقال سبحانه وتعالى (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

ليس أنها ردت الأشياء التي خيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، وهي الحبال والعصي ، إذ لو كان كذلك لكان لهم مدخل في قدح الحجة بأن يقولوا : سحره أعظم من سحرنا فالتقمت عصاه حبالنا وعصينا ، وكما أن بعض أنواع الحيوانات

يأكل بعضها بعضاً ، فإن الحوت الكبير يأكل الصغير وكذلك الطير ولكنها أبطلت السحر

فإذا العصى والحبال ملقاة هناك لم تتحرك ، بل حبال وعصي على أصلها ، فلم يبق لهم عذر ، ولحقهم الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد لما صارت كذلك ، فما بقي إلا أن ألقى السحرة سجداً : أي ألقاهم الله سبحانه وتعالى (قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) أي : على الذي فطرنا وقدم البينات هنا على الذي فطرنا لكونها السبب (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) ولم يقولوا والآخرة خير وأبقى ، أو والجنة خير وأبقى ، وذلك لقوة إيمانهم قد تعلقت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى

فانظر كيف جذبتهم العناية في أسرع وقت ، اللهم عناية من عندك يا رب العالمين

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن (التوكل) فقال : قال الله سبحانه وتعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يسسهم سوء) وذلك أنهم علموا أن النصر لا يكون إلا من الله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن خذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) فوكلوه وفوضوا ولم يعترضوا ، لأن الموكل لا يتعرض على الوكيل إلا لأحد أمرين : إما أن يكون متهما للوكيل بنوع خيانة ، أو أنه ليس عالماً بالمضار من العدو فيدفعها ، أو غير عالم بجلب المنافع لموكله فيجلبها ، وكل ذلك غير مجوز على الله ، تعالى الله علوا كبيرا ، فلما صدقت الوكالة له جل وعلا لم يتكلوا على كثرة ولا اكترثوا من قلة فنجاهم من عدوهم ونصرهم عليهم

وفي يوم حنين يقول الله تعالى فيهم (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)

وذلك لأنه أصابهم لأنهم اتكلوا على أنفسهم فوكلوا إليها فانهزموا ولم يبق إلا الرسول r ، فعمت المصيبة جميع الصحابة ، ولم يتكلم بتلك الكلمة إلا البعض

وهي قولهم : لن نغلب اليوم من قلة ، فانظر إلى هذه المصيبة أصابتهم من الله سبحانه وتعالى ، لكنها في الحقيقة من أنفسهم (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ثم انظر إلى الحسنة ما تكون إلا من عند الله ابتداء ، فإنك إذا فعلت الحسنة فمن أقدرك عليها ؟

لك الحمد يا ربي على كل نعمة

ومن أعظم النعماء قولي لك الحمد

وقال رضي الله تعالى عنه : من لطف الله تعالى وحسن خطابه لعبيده يقول لهم في الجنة (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وجميع ما أسلفوا هو نعمة الله سبحانه وتعالى ، لكن لما كان الخطاب بأنه مقابل لما أسلفوا ارتفع المن ، وكأنهم هم الذين جلبوا لنفوسهم تلك النعمة بما أسلفوا ، وذلك من تمام نعمته سبحانه وتعالى ، فإن الإنسان إذا حصلت له نعمة يرى أن سببها سعيه عظمت لذاتها عنده ، فما أمتن سبحانه وتعالى عليهم في هذا ، والمنة له ، فما أكرم هذا الرب تبارك وتعالى ، فذلك قوله

سبحانه وتعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مع أن المعنى غير مقطوع ، بل على حاله ، والله تعالى أعلم .

وقال رضي الله تعالى عنه : لما كان يوم بدر نصر الله سبحانه وتعالى رسول الله r وجنوده ، وشاور النبي r أصحابه في أمر الأسرى ، لأن الله تعالى أمره بقوله (وشاورهم في الأمر) فاجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أخذ الفداء إلا عمر رضي الله تعالى عنه فإنه أشار بقتلهم ، فعاتب الله رسول الله r بقوله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)

والنبي r ما عمل بمشورتهم إلا بأمر الله سبحانه وتعالى حيث قال : (وشاورهم في الأمر) وقد أجمع رأيهم على الفداء إلا عمر رضي الله تعالى عنه ، ثم هو مأمور بالعفو (فاعف عنهم واصفح) وهو من خلقه عليه الصلاة والسلام المجبول عليه ، والله سبحانه أمسك الوحي في تلك الحالة ليقضي أمره ، ثم بعد نزلت أية العتاب ، ثم بعدها (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) والكتاب الذي سبق هو قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، ثم

النتيجة قوله تعالى لأهل بدر (اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم) ثم لما سبق في قضائه من سعادة العباس وعقيل ومن أسلم منهم ، فلما كملت آية العتاب قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) تابعهم سبحانه وتعالى على حسب مرادهم لأن الغنائم فيما سبق كانت تنزل نار من السماء تأخذها ، فأحلها الله لهذه الأمة من ذلك الحين ، والغنائم أحلت لهذه الأمة ، إن الله جعل زينته والطيبات من الرزق في الدنيا ، وفي يوم القيامة للذين آمنوا ، فاغتصب الكفار عليهم من التي في الدنيا ، والمغتصب عليه له أن يأخذ حقه أينما وجد ، إما بتسلق أو جهارا أو خفية ، كذلك ما اغتصبه الكفار على الذين آمنوا فلهم أن يأخذوه بأي وجه هو لمن سبق إليه ، وأما ما كان في يوم القيامة فهي للذين آمنوا لا يقدر عليها غاصب ولا يشاركهم فيها مشارك . قال سبحانه وتعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) فهي لهم في الدنيا لا لغيرهم . ثم قال (خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

فأجاب بما معناه : (والذين آمنوا) صدقوا فاتصفوا بصفاتنا وخلقوا بأخلاقنا ، فإن الله سبحانه هو المؤمن (وعملوا الصالحات) ، التي بلغوا بها إلى مقام " كنت سمعه وبصره " إلى آخره فإنا جعلنا فيهم قوة وقدرة على عمل الصالحات التي يبلغون بها إلى هذا المقام ، فإنا لا نكلف نفساً إلى وسعها ، فلم يأمرهم النبي r " تخلقوا بأخلاق الله " إلا وهو يعلم أنه أقدرهم على ذلك

وفي هذا تلميح إلى أن الله تعالى خلق أدم على صورته – أي صورته التي كان بها في الحياة الدنيا وليس المقصود صورة الحق سبحانه وتعالى – فمن بلغ هذا المقام (أولئك أصحاب الجنة) والجنة جنتان : جنة المعارف ، وجنة الزخارف لمن كان من أصحاب جنة المعارف (هم فيها خالدون) في الدنيا والآخرة ، جعلنا الله منهم بفضله آمين

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)

فأجاب بما معناه : أي أنها تعبد الله تعالى مأمورة بذلك ، قال تعالى : (وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقال تعالى : (ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون)

فهي مخاطبة بأمرين : أحدهما عبادة الله ، والآخر تسخرها للإنسان ، فإنه ذللها سبحانه لبني آدم ، وجعل منها متوحشاً كالسبع ليعرف ما قد ذلل له منها ، فهي أمم أمثالنا تعبد الله وتوحده وتمجده وكذلك الجمادات فإنها تعبد الله وتسبحه

قال الله تبارك وتعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) وقال سبحانه وتعالى في قصة داود عليه السلام (يا جبال أوبي معه)

ففي الحديث : " إن الأرض تلبي إذا لبي الحاج إلى أن تنقطع من كل جهة ، والمؤذن يشهد له كل رطب ويابس إلى منتهى صوته " وهل في الأرض إلا رطب ويابس

وقال رضي الله تعالى عنه : إن الحصى التي سبحت في كف رسول الله r هي كذلك في كل حالة ، وإنما هو كشف الحجاب عن مسامع الصحابة فسمعوها ، فكانت من خرق العادات ، وقوله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) إلى (يومئذ تحدث أخبارها) أي : تشهد للعباد وعليهم ، فكل بقعة تشهد بما صنع فيها العبد ولا تشهد بما شهدت به بقعة أخرى ، كالأذن لا تشهد بما رأته العين ، لأن ذوقها غير ذوق العين ، وكذلك سائر الأعضاء والجوارح ، فما من شئ في الدنيا إلا وهو شاهد بالتوحيد يسبح بحمد ربه

وقال رضي الله تعالى عنه : سخر سبحانه وتعالى جميع ما في السماوات والأرض لبني آدم وهي جميعها ليست مفتقرة إلى ابن آدم أبداً ، وابن آدم مفتقر إلى جميع ما في السماوات والأرض ، فالله سبحانه وتعالى أعطى ابن آدم قبل سؤاله ، وإنما سؤاله بلسان الحال لا بلسان المقال ، فجميع ما سأل من كل ما هو مفتقر إليه قبل وجوده ، ثم خلقه سبحانه وتعالى وأوجد أرزاق المسخرات له فهو راس المخلوقات وسنامها ، ولولاه ما خلقت المخلوقات ، ولا دار الفلك

فالشمس وجميع الكواكب في منفعته والدواب جميعها في منفعته ، وما توحش منها كذلك لأن بتوحشها يعرف قدر المسخرات ، وما نزل من السماء كذلك ، وجميع ما يخرج من الأرض والملائكة يستغفرون لهم ، فالإنسان يذنب والملائكة تتوب عنه ، فقسم سبحانه ذكر الملائكة بينه وبين ابن آدم قال : (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)

ثم زاد في كيفية استغفارهم ودعائهم لهم ، فقال سبحانه وتعالى على ألسنتهم : (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً) إلى قوله (وذلك هو الفوز العظيم)

فهم يستغفرون للذين تابوا ، وهم يشفعون لمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وأسجدهم له وهو في صلب أبيه ، فابن آدم له عند الله عز وجل هذا الشأن ، وخلق من أجله جميع المخلوقات فسخرها له وخلقها له وهو يعبد ما خلق من أجله ، ويعرض عمن خلق له ، فكيف هذا السقوط من الثريا إلى الحضيض ، نسألك اللهم عافيتك ، اللهم اشغلنا بعبادتك عن عبادة من سواك يا ارحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثم الجمادات كالأحجار والأشجار والأرض جميعها تدعو لبني آدم ، وتستغفر لهم وتشهد لهم بالأعمال البر كتلبية الأرض إلى منتهاها للملبي بالحج ، وشهادة كل رطب ويابس للمؤذن إلى منتهى صوته ، وغير ذلك مما لا حصى ، فسبحان الكريم ما أكرمه على عبيده

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى :(ليس الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) فكرر لفظ اتقوا ثلاثاً ، ولفظ آمنوا ثلاثاً ، وقال في آخرها : وأحسنوا مرة واحدة : أي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس عليهم جناح فيما طعموا من الطيبات من الرزق ، ثم كلما طعموا زادهم إيماناً وتقوى ، وإذا كان الأكل للطيبات بالنية على تقوية الأعضاء للطاعة زادك إيماناً وتقوى : لأن الصحابة منهم من حرم الدسم ومنهم من حرم النكاح ليتفرغوا للعبادة

ثم قال تعالى : (ثم اتقوا وأحسنوا) أي أن الإحسان مقارن للتقوى والإيمان

وفي الحديث : " إنه نزل جبريل عليه السلام على رسوله r فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالبعث قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : ما الساعة ؟ قال : مال المسئول عنها بأعلم من السائل

فإذا كان الإحسان مقارنا للإيمان والتقوى فقد صار ولياً فقد أحبه الله ، وإذا أحبه الله فقد صار سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به كما يليق بجلالة سبحانه وتعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكيف يخافون ويحزنون ، وقد صار الحق منهم بهذه الصفة

قال الشاعر :

هم الذخر للملهوف والكنز والرجا

ومنهم ينال الصب ما هو طامع

بهم يهتدي للعين من ضل في العمى

بهم يجذب العشاق والربع شاسع

وقال رضي الله تعالى عنه : في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) على حذف مضاف : أي أصحاب الكوثر ، وهم المؤمنون الذين هم أولاد النبي r كما في إحدى القراءات (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)

والكوثر و النهر الذي في الجنة ، عدد أقداحه عدد نجوم السماء : لأن الكفار قالوا : إن النبي r أبتر ، أي لا نسل له ، وإنه ينقطع ملكه ولا له بنون يقومون بملكه ، فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر)

أي أصحاب الكوثر قاموا بعده بحق الإسلام وقفوا فيه على آثاره إلى الآن ولله تعالى الحمد

(فصل لربك وانحر) أي اجعل هذا القول في نحر أعدائك (إن شانئك هو الابتر) وأنجز الله سبحانه وتعالى قوله ، وهو أن لا يبقى الآن في الآفاق جميعاً ذرية لأبي لهب ولا لأبي جهل ، ولا لأحد ممن مات منهم وهو كافر

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى (فلا اقتحم العقبة) إن العقبة بلغة العرب : هي الجبل الوعر المسالك الذي لا يصعد إليه إلا بمشقة

ثم قال : (وما أدراك ما العقبة) أي عقبة هي ؟ (فك رقبة) والرقبة هنا منكرة لتقتضي الشمول لكل رقبة محبوسة ، إما في دين فيقضي عنها فيفكها ، أو نفس وجب عليها القصاص فيكفها ، أو ضال يهديه فيفك رقبته من حبس الضلال أو غير ذلك

ثم قال تعالى : (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي جوع والمراد المطعم وهو الجائع وإن كان غيره شبعان (يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة اليتيم على قسمين

أحدهما : الملتجئ إلى الله تعالى لا يصافي أحدا غيره ولا يصادق ولا يحب إلا الله ، أو في الله فهو يرى وجود أبويه وعدمهما على حد سواء ، وهذه أعلى رتبة ، فهو يتيم وإن بلغ سن الشيخوخة

الثاني : اليتيم عن أبويه أو أحدهما ، ولا يكون يتيماً إلا ما دام لا يمكنه التكسب

والمسكين على قسمين :

الأول : هو المتمسكن إلى الله تعالى . أي الذي لا يسكن إلا إلى ربه فهو ملازم حضرته فلا يأنس إلا إليه ، وهذا هو الذي قال فيه الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله : " اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين " وهذا هو أعلى درجة

الثاني : هو اللاصق بالتراب

ثم قال تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) كان هذه من قوله " ثم كان من الذين آمنوا " تامة ، يعني تستغرق الزمان ماضياً وحالاً ومستقبلاً : أي بقي مؤمناً حتى مات كما قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا

يظلمون) ولم يقل من عمل الحسنة ليكون معناها : من جاء يوم القيامة بالحسنة ولم تحبط ، ومن جاء بالسيئة ولم تمح

وقال رضي الله تعالى عنه : (إنما المؤمنون الذي إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) قال : هذه الآية من المخوفات التخويف العظيم ، لأن (إنما) للحصر ، ومن ذا يكون متصفاً بهذه الصفة ؟! فإنه قيل لبعض الأولياء وهو الحسن البصري كيف تجد إيمانك ؟ فقال : أو من بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وأما أني ممن ذكر الله (إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) إلى آخرها فلا أدري ، والذكر هو باللسان والقلب ، والاعتبار بالعين لقوله تعالى ـ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) فهو ذكر هنا بالعين ، فإن الاعتبار في العالم ذكر وهو أعظم الذكر

وقوله تعالى : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) المراد الآيات القرآنية والعالمية ، أي إذا نظرت إلى مخلوقاته زادتك إيمانا ، لأنها آيات تتلى عليك ، قال تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

وقال رضي الله تعالى عنه : (أفرأيتم ما تمنون) الإنسان يلقي منيه ولا يدري أين صار ، فيوكل الله به ملكا خلق من سر الخالق البارئ المصور يضعه في قرار مكين ، أي لم يخن في شئ منه بل يحفظه غاية الحفظ ، ثم يكون علقة أشد من النطفة ، فإذا هو لم يصل أجله يقول لا أنقله مضغة ، فيصير مضغة وهي أشد من علقة

فيستأذن الملك ربه كذلك فيشق جل جلاله بصره وسمعه ويخلق فيه الأعضاء حتى يصير في الصورة الإنسانية فيبرز إلى الوجود وليس له عقل يعقل به ، ولا فهم يفهم به ، ولا نطق يتكلم به بما يريد ، فيجوع ويعطش وهو لا يحسن الكلام فيصيح

وذلك الصياح يدعو به ربه دعوة مضطر فيجاب في الحال والسرعة فيوجد الله له اللبن في ثدي أمه ، حتى لو أنها أرادت أن تدفعه وترده ما أمكنها ، ولو أرادت وجوده قبل أن يولد المولود ما أمكنها ، فيا ليتنا كنا كذلك مجابين الدعوة

في الحال ، ثم يوجده سبحانه وتعالى سائغاً ليس يحتاج إلى مضغ لكون الطفل بلا أسنان يمضغ بها

ولا يحتاج إلى هضم لأنه معدته غير قوية على الهضم ثم يجد فيه الري والشبع ، فيستغني عن الماء والطعام لأنه لا يقدر أن يطلب عند عطشه ماء ، ولا عند جوعه طعاماً فيهديه إليه ويهوي إليه لا إلى عضو غيره

ثم يلهمه المص على تلك الكيفية سبحانه وتعالى ، ثم لا يزال ينمو ولا ينظر عياناً لأن كل شئ إذا مددته بعد أن كان متحيزاً لابد أن تنظر لمدة تأثراً في طوله وعرضه ، وأما هذا النمو فهو في كل حالة لا يزال ينمو هو جملة وكان عضو من أعضائه وهو لا يدرك ثم يتولد معه التدبير ، وكلما زاد معه التدبير نزع الله الشفقة من قلب أبويه بقدر ذلك

فإن أمه في أول الأمر لا تستطيع أن تفارقه ساعة ، ثم بعد ذلك قد تفارقه اليوم واليومين ، ثم قد تفارقه بعد أن يكمل تدبيره الزمان كله ، فلو لم يدبر له أمراً بل رضي بالله تعالى كفيلا كما كان أولا لكفاه كل مؤنة ، وتيسير ما هو موجود أهون من إيجاد ما هو معدوم باعتبار عقل الإنسان

ألا ترى أنك قد تهتم بتيسير قوت يومك وهو موجود على ظهر الأرض ، وتيسيره أهون من إيجاد اللبن من العدم من بين فرث ودم ، حسبنا الله ونعم الوكيل

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)

فأجاب : الجهالة هنا هي أن يعمل السوء وهو جاهل بحق الله تعالى ، لا أنه جاهل أنه سوء ثم لما علمت بالله وعلمت أنه عندك حاضر لا يغيب ، وأ، السيئة الصغيرة في جناب من عصيته كبيرة وأي كبيرة ، وعلمت بطشه وصدقت وعده ووعيده وتبت من قريب ، تاب الله عليك ما لم تغرغر بالموت ، فإن تبت قبل أن تغرغر فقد تبت من قريب

فأتى الله سبحانه بـ(على) في قوله (إنما التوبة على الله) أي وجبت لأنه لو قال من الله أو لله فلا تؤدي هذا المعنى ، ثم قال تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) فذلك لا ينفع

ثم قال رضي الله عنه : واعلم أن الإنسان في كل حالة مخاطب بالموت ، قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) قال النبي r " ما مددت بصري إلا وظننت الموت يبتدرني قبل أن يرتد إلى طرفي ، وما التقمت لقمة إلا وظننت الموت يبتدرني قبل أن أسوغها

) هذا أو معناه ، ومن هنا ارتفع حكم التسويف والأمل

قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل) وقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية فالأمد والأمل بمعنى واحد ، وهو الذي يجوز أن يكون له فيه توبة ولا يتوب ولا يعلم أن الموت في كل حالة يطلبه لقول الصديق رضي الله تعالى عنه :

كل امرئ مصبح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

وقال رجال لبعض الأولياء لما رأوه لا يتكلم معهم في خوضهم : لم لا تتكلم معنا إنا نحب حديثك ؟ فأجاب : الحالة التي تحب أن تكون عليها عند الممات كن عليها في جميع الحياة فانظر إلى هذه الكلمة التي تلحق بالمعجز ، لأنك إذا رأيت الأمير النافذة أوامره إذا قيل له تموت غدا هل يبقى من أمره ذلك : احبسوا فلانا ، قيدوا الفرس ، جهزوا الجيش ، أم ينتظر الموت ويرتقب له ويتهيأ له ، دائماً متذكراً لسيئاته ، قد يذهل عمن عنده ولا يتكلم بشئ مما جرت به عادة

وكذلك غيره من أهل الصناعات والزراعة والتجارة إذا قيل له تموت غدا لا يشتغل بشئ من ذلك الذي هو فيه سابقاً، بل يشتغل بالتأهب للموت ، فانظر معنى هذه الكلمة

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله : (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) أي إن الأبرار لفي نعيم في الدين لأنهم هدى والهدى نور والنور وجود والوجود هو الله (وإن الفجار لفي جحيم) لأنهم في ضلال ، والضلال ظلمات ،

والظلمات عدم فيحيون بإحياء الله ، والأولون بحياة الله تعالى ، وليس من كانت حياته بإحياء الله ، كمن حياته بحياة الله ، وأني وأين فوجودهم كعدمهم وإن كانوا في الظاهر في نعمة

ألا ترى أن الله إذا كان حزيناً بموت ولده أو بنصر عدوه ربما كان في بستان أنيق بين نور وشقيق ، وفي يده مفاتيح الخزائن ، وبين يديه الخيل الصوافن ، تتهادى له الجواري ، وينزه طرفه في ظلال زهوه ، ويتيه في تصور زخارفه ولهوه ، ولكن قلبه في نار الحزن ، وعينه مطلقة للوسن ، قد عاف الطعام والشراب وضاقت عليه الفسيحات من الرحاب

قال تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية ، وقال تعالى فيمن عداهم (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) وقال تعالى (ولنذيقنهم منة العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

وقال رضي الله تعالى عنه في قول الله لرسوله (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) إن من هنا للتبيين ، وقال تعالى بعد أن عدد الرسل في سورة الأنعام

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) واستثنى سبحانه وتعالى واحداً منهم في أمر مخصوص فقال (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم)

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى في قصة يوسف (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أي همت فيما هو همها ، فإنها قد عرضت من قبل ليوسف تعريضات فما بلغت ما تريد ، فلما لم يمكن إلا التصريح صرحت به ، فراودته عن نفسه صريحاً ، وهو عليه الصلاة والسلام همه الخلوص منها ، فهم – لما غلقت الأبواب (وقالت هيت لك) ، وما بقي منه بد – بالتخلص منها بقتل أو بضرب أو بما يدفعها عنه ، لأنه ذلك همه لولا أن رأي برهان ربه ، والبرهان الذي رأى هو صورة امرأة العزيز ، لأنها برهان لصانعها جل وعلا ، لأن البرهان للشئ هو الدلالة عليه ، وذلك معنى قول أبي بكر رضي الله عنه : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ، ومعنى :

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

فألهمه سبحانه وتعالى أن يدرأ هي أحسن ليصرف عنه السوء والفحشاء بذلك التخلص وهو الهرب (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها

لدا الباب) وقد كان يوسف أراد أن يكلمه عند أن ألفياه ، لكنه رد أمره إلى الله سبحانه (قالت ما جزاء من أراد بأهله سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) أشارت عليه بالسجن خوفاً عليه من القتل عند الغيرة كما تفعله الملوك ، فلما تكلمت بذلك دافع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي)

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

فأجاب : إن لها وجوها ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز ، فكذلك كلامه لا يتحيز في معنى ، ومن حيزه في معنى فهو لقصور علمه وفهمه ، فأحد وجوه تفسيرها : هل جزاء الإحسان من الله ابتداء إلا الإحسان منه انتهاء ؟ أي ما ابتدأ سبحانه وتعالى من العطاء لا يسترجعه لأنه حرم ذلك على عبيده ، فما ظنك به جل جلاله وهو بالإحسان بادئ حاشاه يختم بالإساءة

ولكن إذا نزعت عن الإنسان نعمة أنعم الله عليه بها فإنما هو لكونه لم يقبلها ، فإذا ألبسه الله حلة قد يلبسها أياماً ثم يلقيها في الساعة وقد لا يقبلها ، فيقال له أعطيناك حلة فلم تقبلها نحن نعطيها غيرك ، أي نعمة كانت نعمة دين أو نعمة دنيا (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ابتدأ كل

إنسان بالإسلام لأن كل مولود يولد على الفطرة فلم يقبله البعض بل تهود أو تنصر ، وعلى هذه غيرها من جميع النعم

وسئل رضي الله تعالى عنه عن تفسير قول الله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) فأجاب : إن (ويل) واد في جهنم مخصوص جعله الله للأفاك : أي الكذاب ، وللمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وللمطففين وللهمازين اللمازين ، والهمزة واللمزة متقاربان ، وهو الذي ينظر في عيوب الناس التي لا تضره ولم ينظر في عيوب نفسه التي تضره

قال تعالى (هماز مشاء بنميم) وقال تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) أي يعيبونك (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) وهم المتشوفون بقلوبهم لما في أيدي الناس (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) وقال تعالى (الذي جمع مالاً وعدده) أي هذا الرجل الملازم على جمع ما في أيدي الناس (يحسب أن ماله أخلده) وقد لا يأكل من ماله ذلك لقمة (كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة

إنها عليهم مؤصدة) أي مطبقة (في عمد ممددة) وذلك لأن العمود الحديد صار ناراً ، والنار لا تفارقه وذلك أشد في العذاب ، نسأل الله العافية والسلامة

وسئل رضي الله تعالى عنه عن الشرط الذي في قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا)

فأجاب : إن الآية تحتمل معنيين : أحدهما قصر الصلاة من رباعية إلى ثنائية ، والآخر عدم التطويل ، لأنه ثبت أنه كان يحصل لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم حزن بعدم التطويل

وفي بعض الأحاديث " أن اثنين من الصحابة قام أحدهما يصلي ونام الآخر ، فجاء العدو ورماه بسهم فسهم اثنين أو ثلاثة ، فقال النائم للمصلي : هلا أيقظتني ؟ قال : كنت في سورة طويلة فخشيت أن أقطعها " ومفهوم الشرط معمول به في هذا المعنى ، وأما على كون القصر من الرباعية إلى الثنائية ، فليس الشرط معمولاً به ، بل تقصر الصلاة في السفر في الأمن

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى : (يؤتي الحكة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب)

فأجاب بان الحكمة هي استعمال العلم في مجالاته ، وأن يتجنب ما نهاه ربه عنه على أحسن حال ، وأن يستعمل مكارم الأخلاق مع جميع خلق الله تعالى

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : (ففهمناها سليمان) قال : المذكور في القرآن قصة واحدة وهي ثلاث قصص :

الأولى : المذكور في القرآن وهي قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلماً) وذلك أنه لما جاء الخصمان عند داود عليه السلام حكم عليه داود أن يغرم لصاحب الزرع زرعه فلم يجد ما يغرم صاحب الغنم سوى الغنم ، فغرمها جميعها لصاحب الزرع ، فمرا على سليمان عليه السلام فسألهما عن حكم داود فأخبراه ، فقال : أنا أحكم غير هذا الحكم ؛ الغنم تبقى لدى صاحب الزرع ينتفع بألبانها وصوفها ، وصاحب الغنم يقوم بمؤنة الأرض حتى تعود كما كانت عليه ، وكل واحد منهما يرد لصاحبه حقه ، فقال الله سبحانه وتعالى

(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وداود حكمه ذلك هو عين الصواب لأنه حكم عليه بأن يغرم ما أفسدته أغنامه ، فقدر الذي أفسدته فجاء بقيمة أغنام فهو عن علم وحكم ، لكن حكم سليمان أخف لأن كل واحد منهما صارت نفسه طيبة بذلك الحكم

والقصة الثانية : أن امرأتين خرجتا إلى البرية بولديهما صغيرين فجاء الذئب فافترس أحد الطفلين ، فسبقت الكبيرة من المرأتين وقد فقدت ولدها إلى داود ، وكل واحدة ادعت أنه ولدها ، ولكن لما كان في يد الكبرى حكم لها به لكون يدها ثابتة عليه وذلك عين الصواب في الحكم ، فمرتا على سليمان فسألهما عن الحكم فذكرتا له فقال : عندي حكم غير هذا ، ثم أخذ الشفرة وقال : نقسمه نصفين لكل واحدة نصفه ، فرضيت بالحكم التي هو في يدها ، والأخرى قالت : لا تقسمه يا نبي الله هو ولدها قد رضيت بحكم داود ، فعلم أنه ولدها ؛ لأنه أدركها الحنان الذي لا يتفق إلا لـلأم فحكم لها بالولد

القصة الثالثة : أنهم جاءوا بامرأة بكر حول فرجها مني ، فأراد داود أن يقيم عليها الحد ، فقال سليمان : ائتوني بنار ، ثم أحمى الذي يزعمون أنه مني على النار فنضج وإذا هو زلال بيض ، فتيقن أن ذلك كيد وأنقذها من حكم الجلد

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) وهي الجمال والكمال (ويهديك صراطا مستقيما)

وهو سر قوله تعالى (إن ربي على صراط مستقيم) (وينصرك الله نصرا عزيزا) والنصر العزيز لا يكون إلا لله تعالى

ثم قال بعد تمام هذه الآية (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) أعاد الضمير مفردا ولم يعده مثنى ، فهنا نكتة بينها قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)

وذلك معنى قوله تعالى في الحديث القدسي " لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره والذي يبصر

به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها " كما يليق بجلاله تعالى

تأمل سطور الكائنات فإنها

من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها إن تأملت خطها

ألا كل شئ ما خلا الله باطل

وفي بيعة الرضوان قال النبي r (هذه يد الله ، وأشار إلى اليمنى ؛ وهذه يد عثمان ، وأشار إلى اليسرى ، أو قال اليسار ، ثم وضع إحداهما على الأخرى)

فظهر معنى ذلك بالفعل في ارتقاء عثمان رضي الله تعالى عنه على المنبر الدرجة التي كان يرتقي إليها النبي r بعد أن ولى الامر قال الله سبحانه وتعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك وفيقا) فرقى النبي r إلى درجة النبوة ، ثم رقى أبو بكر رضي الله

تعالى عنه : إلى الدرجة التي تحتها وهي درجة الصديقين ، ثم رقى عمر رضي الله تعالى عنه : بعده إلى درجة الشهداء وهي التي تحتها

ثم جاء عثمان رضي الله تعالى عنه فرقى إلى الدرجة التي كان يرقى إليها النبي r وذلك في شطر خلافته الأخرى ليظهر سر وضع يد الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله في يد عثمان عند بيعة الرضوان ، وهم نقموا على عثمان في ذلك ، ولكنهم لم يعرفوا الحقائق في الأمور وبالله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

وقال رضي الله تعالى عنه : تأملت في قوله في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (فسخرنا له الريح تجري بأمره)

وقال للنبي r (ليس لك من الأمر شئ) فلاح لي المعنى بحمد الله تعالى ، فسررت به ، وهو أن الله سبحانه وتعالى تولى أمره جميعه في جميع أحواله في حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وسيره ووقوفه ونطقه ، فهو سبحانه بصره ولسانه وسمعه ويده

قيل لبعض الأولياء وهو أبو يزيد رضي الله تعالى عنه : فوض أمرك إلى الله فقال : ليس لي أمر فأفوضه إليه ، وفرقان بين الأمر من الله سبحانه وتعالى وبين الأمر من العبد

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) وهو جل جلاله إذا أمر بخلق حسن فهو أحق به بدليل (ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم)

فهو أحق سبحانه وتعالى إذا حضر قسمة الرحمة منه سبحانه وتعالى بين خلقه أن يرزق منها من أساء من خلقه وهو أرحم الراحمين لا يحكم على خلقه حكما إلا وهو أولى به جل وعلا

حين خرج موسى عليه السلام يستسقي بجميع قوله أوحى الله إليه : إن فيكم رجلا نماما خطاء ، فقال : يا رب عرفني من هو أستتيبه فقال : كيف أنهي عن النميمة وأكون نماماً – سبحانه وتعالى ما ألطفه بخلقه ! وأمره أ، يأمره جميعا بالتوبة فيكون من جملتهم

وفي الحديث ما معناه : إن الله لا يعذب مسلماً تسمى باسم نبي كرامة له من حيث اتحاد الاسم ، ولا يعذب الله سبحانه وتعالى من تسمى مؤمنا يقول : أنا المؤمن وقد سميتكم المؤمنين فقد وافق أسمكم أسمى فادخلوا في رحمتي ، وهذا أعظم الرجاء ، ثم قال : واجعل الخوف في معادلته فإنه ليس للتسويف هنا مسلك ، بل الرجاء يكون أكثر من الخوف لأنه ورد أن المحتضر للموت إذا كان عنده أحد فليذكره بالرجاء وسعة الرحمة

كذلك الإنسان فإنه في كل حالة محتضر (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) فليس للتسويف هنا مدخل (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن هنا يتولد التسويف ، يعني من طول الأمل وهو استبعاد الآخرة لا من الرجاء

قيل لرجل صالح علمني فقال : أجمع لك التوراة والزبور والإنجيل والفرقان في ثلاث كلمات : أن تخاف الله تعالى خوفاً لا يكون شئ أخوف عندك منه ، وترجوه رجاء أشد من خوفك منه ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وفي الحديث " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء "

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قول الله سبحانه وتعالى (وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) من هو الظان هنا ؟

فأجاب : بأن الظان هو الرجل لا يوسف ؛ لأنه لا يجوز الظن على يوسف عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه أوحى إليه الحق سبحانه وتعالى بتأويل الرؤيا ، والظن لا يغني من الحق شيئاً " وإياكم والظن فإنه أكذب الحديث " فكيف يظن يوسف فيما أوحى إليه ربه سبحانه وتعالى

وقد غلط المفسرون في قول الله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) أن الظن هنا في موضع العلم وليس كذلك ، بل الظن هنا في محله ، والمراد أنهم يظنون في صلواتهم تلك أنهم ملاقوا ربهم فيصلون صلاة مودع ، وهذه حالة الزمن أنه في كل حالة يترقب الموت

وقال رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) رحلة الشتاء والصيف هي إتيان الحجيج إليهم : أي قريش في الشتاء إن كان الحج شتاء ، أو في الصيف إن كان وقت الحج في الصيف لأنهم يقبلون إليهم من كل فج عميق ، ويقتحمون الأخطار والمشاق ، يأتون بأرزاق أهل مكة (يجتبي إليه ثمرات كل شئ)

وهذه المنة العظيمة عليهم ، أي غيرهم يسعى إليهم برزقهم مع مشقة عليه وأي مشقة ، يقاسون من الشدة والتعب والبرد إن كان الحج في الشتاء ، ومن ذة الحر إن كان الحج في الصيف ، وهم ماكثون قاطنون في أوطانهم كما تراهم الآن

(فليعبدوا رب هذا البيت) الذي هو السبب في ذلك

(الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) لا كما ذكر المفسرون من أنها رحلة اليمن والشام يرحل إليها اهل مكة وهم قريش ، لأن الله سبحانه أراد أن يظهر لهم النعمة التي هم فيها

وأما إذا سافروا بأنفسهم فهم كغيرهم من الناس ، بل يحمل إليهم من محاسن جميع الأرض وهم مقيمون في أوطانهم يأتيهم بها غيرهم ، وهذه هي النعمة العظيمة التي لا نعمة فوقها

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (أولم يكن لهم آية أن علمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين)

فقال : الضمير في يعلمه يعود إلى النبي r ، والعلماء منهم هم الذين آمنوا بنبينا سيدنا محمد r ، وأما الذين لم يؤمنوا به فليسوا بعلماء بل هم أجهل الجهال ، حتى إنه لما نزل قوله تعالى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) قال بعض من أمن بنبينا وهو عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه ، بعد أن آمن بالنبي r : والله إنا لنعرفه أعظم من معرفتنا لأبنائنا ، لأن أبناءنا قد تخوننا أمهاتهم . فهذه آية لمن كفر وأي أية

وذلك أن علماء بني إسرائيل آمنوا به لما علموا أنه رسول الله خاتم النبيين نبي الساعة ، والموصوف عندهم في التوراة والإنجيل كما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً

من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) أي أن مثل كل منهم في التوراة والإنجيل ، وكما ثبت أن آدم سأل ربه أ، يريه صور بنيه : أي الرسل منهم ، فأراه صورهم ، فصورهم آدم وجعلهم في خزانة

فلما وصل ذو القرنين سرنديب أخرج تلك الصور ليجعل لكل نبي تمثالاً ففعل ذلك ، ثم إن نفرا من المسلمين رحلوا إلى هرقل فهللوا حتى تحرك البنيان وغلق الأبواب ، فقال لهم هرقل : أهكذا يكون في بلادكم ؟ قالوا : لا ، وإنما وقع هنا لشئ يعلمه الله ، فقال هرقل : ما أحسن الصدق ، فسألهم عن النبي r فأخبروه ، فعمد إلى الصندوق وجعل يخرج صورا ويقول عند كل صورة : أهذه صورته ؟ وهم يقولون لا ، فلما وافق صورة من الصور قال ك هذا نبي الساعة وشأنه هذا ثابت إلى يوم القيامة

فهذا يدل على أن النبي r وأصحابه أمثالاً عندهم في التوراة والإنجيل حتى لا يشكوا في معرفتهم ، فهم معروفون عندهم بالصفات والذوات فهماً ورؤية ، ولما

رأوه بتلك الصفة التي فهموها ورأوها آمنوا به وهم على يقين لا يشكون بل أوضح من الشمس ، فهذه آية لمن كفر

وقوله (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم) أي القرآن (ما كانوا به مؤمنين) أي أنهم يعرفون أن النبي r من حين ولادته بينهم لم يجالس شاعراً ولا كاهنا ولا أحدا من بني إسرائيل ، فيقولون : تعلم شعرا أو سحرا أو أخبره بنو إسرائيل بسبب مجالسته لهم ، بل يعرفونه فيهم أميا لا يفارقهم ، فلما أقيمت عليهم الحجة لم يؤمنوا به

قال الله تعالى : (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم) بلسان فصيح (ما كانوا به مؤمنين) وذلك مثل قوله تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا) (ومن يضلل الله فما له من هاد)

وسئل رضي الله تعالى عنه عن القاتل هل له توبة ؟ قال : نعم ، قال الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا

إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) فيبدل قتله ذلك كأنما قتل كافرا في سبيل الله ، وعبادته لغير الله كأنما عبد الله في تلك المدة ، وزناه كأنه نكح أهله ، وكذلك ما رواه البخاري وغيره فيمن قتل تسعة وتسعين نفسا وحبرا ، وقتل البحر من أعظم البلاء

وروي أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين سأل حبرا ، فقال : لا توبة لك فقتله ، ثم ثانياً ثم ثالثاً حتى كملوا مائة ، فأتى حبرا عارفا بحقائق الأمور فسأله ، فقال : وما يمنعك من باب التوبة ؟ فقال : وكيف أصنع ؟ قال : اذهب إلى قرية كذا فإن فيها رجالا يعبدون الله تعالى فائتهم واعبد الله فيهم حتى يأتيك اليقين ، ففعل

فلما وصل نصف الطريق قبض الله تعالى روحه ، فابتدرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاختصموا ، فجاءهم ملك فحكم بينهم أن يقيسوا مسافة الأرض من حيث سافر في التوبة وإلى المحل الذي يريده ، فإن كانت مسافة السير من حيث تاب إلى هناك أكثر كان لملائكة الرحمة ، فأمر الله تلك المسافة أن تمتد فامتدت ، والأخرى أن تنزوي فانزوت حتى كانت التي سافرها أكثر فخطفته ملائكة الرحمة

وهذا الرجل من بني إسرائيل مع أن الله سبحانه وتعالى كتب عليهم (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)

فهو كمن قتل الناس جميعا مائة مرة ، فما ظنك بمن كان من هذه الأمة وقد رفع عنهم إصرهم وبقي لهم الخير ممن سبق الأمم قبلهم ، فمن قتل منهم نفسا فما قتل إلا إياها لا يكون كمن قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، فهو بالتوبة أحق وأجدر

وأما ما قاله ابن عباس : لا توبة لك . فذلك رجل كان يقتل ثم يتوب فقال : هل لي من توبة ؟ فقال له : لا توبة لك لأن نيته أن يقتل ثم يتوب لأن ذلك إصرار ، وأما من فعل الذنب ثم بعد أن فعله تاب وندم وإنما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر ، فتلك توبة مقبولة لا محالة

ومن ثم كان من الزجر الوارد في الكتاب أو في السنة يبقى على حاله كقوله r " سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : الناكح يده ، والزاني بحليلة جاره ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتى يعلنوه

، ومدمن الخمر ، والفاعل والمفعول به إلا أن يتوبوا" وأمثال ذلك ، لأن معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده يوم القيامة على مقتضى حكمته ، كذلك هذا الرجل الذي من بني إسرائيل قاتل المائة ، من ذا يعلم أن مثله يتاب عليه إذا قتل ؟

وقد ورد في حديث أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواما واسمه هناد وهو مقطوع بخروجه من النار إلى الجنة ، فأي مزية أعظم من هذه ، وفي حديث آخر " أنه توزن أعمال رجل فتستوى الحسنات والسيئات فيقال له : لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة ، فامض إلى الناس فالتمس منهم حسنة ، فيمضي على أناس لهم حسنات كالجبال ، فيستعطيهم حسنة فلا يرضون ، فيمر برجل له حسنة واحد وسيئات كثيرة ، فيقول له : خذ هذه الحسنة التي معي فإنك أحق بها مني لكونك بها تدخل الجنة ، فيقال له : خذ بيده وادخلا الجنة " وهذا الإيثار عند الله سبحانه وتعالى أمر عظيم

فقال بعض أصحابه : وأنا سمعت أن رجلين انكسرت بهما سفينة فبقي أحدهما على لوح ، فالتفت إلى صاحبة وقال له ألك أهل ؟ قال نعم ، قال فاركب على اللوح فإنك أحق بالبقاء مني لأني ليس لي أهل ، ومنه رجل يأمر الله به إلى

النار فيقول رب كيف تذهب رجلا شاب في الإسلام ؟ فيدخله الله تعالى الجنة ، ولو كان دخوله الجنة لشيبه لما دخل النار شائب ولكن معاملات الحق سبحانه وتعالى في ذلك اليوم على مقتضى حكمة الله ، وفيه يحاسب مثاقيل الذر

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

فأجاب : إنه قد غلط في تفسيرها كثيرون بما ذكروا من أنه دس إبليس في النجم : تلك الغرانيق العلي ، وإن شفاعتهن لترتجي ، وهذا لا يحكم به عقل ، ولا يقول به من له أدنى مسكة من قواعد الإيمان ، فلو كان ذلك لحصل شك في جميع الكتاب والسنة ولبطلت الشرائع حيث تمكن إبليس من أن ينطق على لسان رسول الله r ، حاشا وأبعده الله أن يتمكن من ذلك ، ثم إن النبي r إذا اتفق له ذلك فكيف بسورة القصص التي اتفقت للنبيين قبله ، لم يسمع شئ من ذلك في كتاب منزل من الكتب المتقدمة ولا عن بني إسرائيل في حديث من أخبارهم ، ولا عن سلف ولا عن خلف ، ولكن تفسيرها ظاهر لا غبار عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

وأماني الرسل وبغيتهم أن يؤمن قومهم ، فيلقى الشيطان في أمنيته تلك بأن يفسد عليه قلوبهم فلا يؤمنوا ، بل يقولون حين يدعوهم للإيمان كما قال قوم نوح (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) وقوم شعيب (يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد)

ونحو هذا كثير ، فكل نبي يتمنى أن يؤمن قومه فيلقي الشيطان في أمنيته تلك (فسبح الله ما يلقى الشيطان) من قلوب من آمن منهم في قلوبهم (ثم يحكم الله آياته) في قلوبهم (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض)

وذلك ما خيل لهم من أن نوحا بشر مثلهم وما هو عليهم بعزيز ، ومثل تصويره لهم أن تركم لما يعبد آباؤهم لا يكون ، وأنه من المحال (والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم)

فانظر إلى عود الضمائر من قوله سبحانه وتعالى (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) أي يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا

به ، فالذي يلقى الشيطان يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض والذين أوتوا العلم لا يؤثر فيهم ما يلقي الشيطان ، بل يعلمون أن ما جاءهم به رسولهم من الحق فيؤمنوا به

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلى من ظلم) وفي قراءة (إلا من ظلم)

فأجاب : إن (إلا) تكون استثنائية وتكون استدراكية ، وفي هذا الموضع يستقيم المعنيان ، فإن كانت استثنائية فالمعنى أن الجهر بالسوء لا يحبه الله إلا من ظلم فلا بأس ، وذلك حيث ينازع الرجل خصمه لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحق ، وعلى قراءة (من ظلم) بالفتح يقدر إلا من ظلمه ، وله شواهد من كلام العرب

ولكن الاستدراك أولى بالمقام ، ويكون المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء لكن من ظلم فلا يحث الله الجهر بالسوء منه ، بل العفو أولى به وهو الذي يحبه الله منه (وأن تعفوا أقرب للتقوى) ولا يكون العفو ممن ظلم إلا لمن نور الله بصيرته وهي درجة عظيمة فإن من فعل شيئا بالعبيد لاجل مولاهم فحق عليه أن يعامله بما عاملهم

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون)

أي أخرج سبحانه وتعالى النخلة من النواة ، فالنخلة وهي حية تنمو أخرجها من النواة الميتة التي لا تنمو ثم أخرج من النخلة الحية التي تنمو التمرة الميتة التي لا تنمو ، كذلك الحبة وكذلك الإنسان ، فإنه تعالى أخرج هذا الحي الذي يقوى ، ويتحرك وخلق فيه العقل الذي عليه المدار من الميت وهو المنى

ثم أخرج من الحي الذي هو الإنسان الميت الذي هو المنى ، ثم يعلم جل جلاله ما تغيض الأرحام وما تزداد ، والعلم في حقه هو بمعنى البصر فيعلم المعدوم كما يعلم الموجود ، ويبصر المعدم كما يبصر الموجود ، فإن هذه النواة والنطفة والحية من ذلك (وما تزداد) : أي ما يتخلق فيها ، والتي تتخلق يعلم كم منها إلى يوم القيامة (ويعلم مستقرها) أي ما يستقر منها

يفسره قوله (فجعلناه في قرار مكين) (ومستودعها) وهو الذي يزلق عن الرحم إذا قضى أجله ، وهو إما نطفة أو مضغة ، وذلك من أول مني خرج وهو من آدم عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة ، والعلم في حقه تعالى بصر

قال تعالى (بكل شئ عليم – بكل شئ بصير – بما تعملون بصير – بما تعملون عليم) فمتعلقهما واحد ؛ ثم إنه تعالى يعلم الشجرة التي في بطن النواة ، ثم ما يخرج من الشجرة من تمر ، فربما يكون في كل سنة وسق أو وسقان مدة عشرين أو ثلاثين سنة يعلم عدد هذه التمرات وهي في بطن تلك النواة إلى منتهاها ثم ما يغرس منها فتنمو منها نخلة ثالثة ثم رابعة إلى يوم القيامة ، وما لم يغرس بل يلقى ، كل ذلك يعلمه في بطن هذه النواة الواحدة ، وعلمه تعالى بمعنى البصر فهو يرى جميع ذلك حبة حبة وإنساناً إنساناً وهم في العدم ، فسبحان العالم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره

قال تعالى : (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) أتبع فلق الحب والنوى بفلق الإصباح وهو تنفس الصبح ، لما كور الليل على النهار ، وأولجه فيه أراد أن يكور النهار على الليل ويولجه فيه ،

ففلق الإصباح كما يفلق إهاب الشاة إذا أريد سلخها (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)

وقد يشم بعض الناس لتنفس الإصباح رائحة كما يتنفس الإنسان فتخرج رائحة فمه (وجعل الليل سكنا) أي يسكنون فيه من حركات النصب والتعب (والشمس والقمر حسبانا) أي يعرفون بهما الحساب ولا يخفى ما فيهما من منافع لا تحصيها الأقلام (ذلك تقدير العزيز العليم)

(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي فلا ينبغي أن يستنبط منها غير ما خلقت له كما يستنبط المنجمون من القرانات وغيرها ، لأن الشئ لا ينبغي أن يستعمل إلا فيما خلق له ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى خلق الثوم وجعله دواء لعلل كثيرة فهو خلق له ثم بسبب أكله تتأذى الملائكة ، حتى إنها إذا كانت رائحة الفم منتنة تختطف ما نطق به اللسان من خير من الهواء ، وإذا كانت الراحة طيبة ابتدرت لأخذه من داخل الفم ، لكن لما كان خلقه لمنفعتنا لم يضر تأذي الملائكة به ولم يحرم علينا ، بل هو جار فيما خلق له ، كذلك النجوم خلق لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر فلا نتعدى ذلك

(قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) أي منها ما يستقر في الأرحام ومنها ما يزلق منها ولا يتخلق بل يبتدره أجله ، وذلك معنى قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وذلك لأن العرب تسمى الخيل المحفوظة المربوطة التي يأتون إليها بعلفها ومائها مستقرة ، ويسمون ما أرسلوها ترعى وتسقى بنفسها مستودعة (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا)

هذا في مقابلة قوله تعالى (يخرج الحي من الميت) (نخرج منه حبا متراكبا) هذا في مقابلة قوله تعالى (يخرج الميت من الحي) ومن النخل من طلعها قنوان دانية) وهذا أمثلة ، إنما ذكر تعالى الحب أولا في مقابلة قوله (فالق الحب) (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) في مقابلة قوله (والنوى) والدانية : هي ما سهلت على الإنسان أسبابها وإن كانت النخلة عالية لكنها باعتبار ما خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان من الأيدي والأرجل دانية لأنه يلصق بها ثم يصعد فيها فيجني ثمرها (وجنات من أعناب) أخرجها من ميت كذلك (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) أي وجميع ما ذكر متشابه وغير متشابه

فقد تكون الحبة الواحدة من العنب نصفها أسود ونصفها أبيض أو أحمر ، وكذلك التمر ، وكذلك الرمان قد تكون الحبة الواحدة ذات لونين ، ثم لظاهر كل حبة لون ولباطنها لون سبحانه وتعالى

وقال رضي الله تعالى عنه لما سئل : ما هي الكلمة في قوله تعالى : (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)

فأجاب إنها قول الحق له " أسلم " ، ولأنه تعالى ربما كلم الأبناء وأراد بذلك الآباء مثل قوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) وربما كلم الآباء وأراد الأبناء مثل قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيمنا آتاهما فتعالى الله عما يشركون) المكلم آدم والمراد أولاده

وقد غلط بعض المفسرين بأن قالوا هو آدم لأنه سمى عبد الحارث وهذا باطل من وجهين :

أحدهما : أنه لا يستقيم هذا على قراءة (شركاء) لأنه سماه إذا فرضنا عبد الحارث وهو شريك واحد لا شركاء

الثاني : أن آدم يعتذر يوم القيامة إذا قصد للشفاعة بذنبه الذي أخره من الجنة ولو كان ذلك لكان أهم وأعظم أن يعتذر به يوم القيامة ، والقرينة التي دلت على أنهم أولاده عود الضمائر للفظ الجمعية (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) إلى آخر الآيات

وهذه الكلمة التي جعلها كلمة باقية في عقبه هي التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، وليست الإسلام الذي هو نقيض الكفر ، كيف وهو الخليل ؟ إنما هو إسلام الأمر إلى الله سبحانه والاستسلام له ، كما أنه عليه أفضل الصلاة والسالم لما ألقى في النار قال الله سبحانه وتعالى لجبريل : أنزل على إبراهيم وائتمر له ، فنزل إليه وهو يهوى في الهواء وقال له : ألك حاجة ؟ فإن الله سبحانه قد أمرني أن أأتمر لأمرك ، فقال أما إليك فلا ، فقال : سل ربط ، قال : عله بحالي يغني عن سؤالي

وذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما رأى المقام مقام اختيار ليعرف الله سبحانه وتعالى جبريل قدر هذا الرجل الذي خرج من صلب من قالت الملائكة فيه (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

أجاب بهذا الجواب ليوافق ذلك المقام ، فتولاه الله تعالى بأن كلم النار من غير واسطة فقال (يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فتوقفت النار عن إحراقه لا غير ، لأن الله سبحانه وتعالى قال لها (على إبراهيم) فأكلت ما عليه من الحديد وهي القيود والأغلال التي كانت عليه تؤذيه

وهذه معاملة الله تعالى لمن أسلم أمره إليه (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فإنك إذا توسطت بالعبد ليعطيك شيئاً أو يدفع عنك شيئاً فما ذلك إلا لأحد أمرين : إما أنك ترى أن هذا العبد أكرم من سيده ، أو أن خزائن العبد ملآنة وخزائن السيد معطلة ، أو تعتقد أن العبد أقدر على دفع هذا الامر الذي تريد دفعه عنك من سيده ، أو أ،ه أشفق عليك من سيده أو أعلم بوجودك من سيده ، وهذا غير جائز ، نسأل الله عز وجل العافية من كل بلية

قال الشاذلي رحمه الله عز وجل لما سئل عن الإسلام ، هو الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة ، وقال عمر بن عبد العزيز وهو مريض لما قيل له هل تشتهي شيئاً ؟ فقال ما يقضي الله تعالى

وسئل رضي الله تعالى عنه : عن قوله تعالى (سبحانك ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) قال : ذلك مثل قوله تعالى (سبحان الله عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

قال : ذلك مثل قوله تعالى (سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) أي إنما وصفوا الله سبحانه وتعالى بغير ما وصف به نفسه فهو منزه عن ذلك (وسلام على المرسلين) لأنهم لا يصفونه سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه

وكذلك عباد الله المخلصون ، وهم يعبدون الله بإخلاص المحبة لا لأجل دنيا ولا لأجل أخرى ، فإن الله سبحانه وتعالى قال (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وهو سبحانه وتعالى يريد الصحبة فكأنه قال : فأين الذين يريدوني

ثم أفراد (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وعيس روح الله عليه الصلاة والسلام مر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد الله معهم ثم قال : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : خوفاً من ناره ، فقال : قادر أن ينجيكم منها

ثم رحل عنهم فمر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد معهم ، ثم قال لهم لماذا تعبدون الله ؟ قالوا طمعاً في جنته وشوقا إليها ، فقال : قادر على أن يدخلكم الجنة . ثم مر بقوم فوجدهم يعبدون الله سبحانه وتعالى فعبد معهم ثم قال لهم : لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى ؟ قالوا : ابتغاء وجهه ، قال : هذه درجة المقربين وأنا أمرت أن ألازمكم . ثم جلس يعبد الله معهم ، فهؤلاء لا يمكنهم مفارقة الحق سبحانه وتعالى في الدنيا ولا في الآخرة ، فهم في الجنة على هذه الحالة لا يفارقهم تجليه . وسائر أهل الجنة إنما يزورونه في كل ثمان : أي قدرها فينظرون نظرة ينسون بها جميع نعيم الجنة ثم يتلذذون لذة تتنور بها وجوههم ويجدون من الراحة ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يعودون إلى أهليهم فيسرى ذلك التجلي إلى صور أهليهم فيتنورون ويكتسون نورا لم يعهد فيهم من قبل ، ثم لا يزالون متلذذين بنعيمها ما شاء الله ، ثم يجدون لها في أنفسهم شهوة كشهوة الجائع فيؤمرون بالزيارة وهلم جرا

ثم مضى رضي الله تعالى عنه : يخوض في وصف الجنة فقال : أشجار الجنة جذوعها من ذهب ليس كذهب الدنيا ، إذا نظرت في الشمس حين تطلع أو حين تدنو للغروب فهو كذلك ، طول الغصن مسيرة ثمانية أشهر وعشرة أيام ، ظلالها لا من شمس إنما هي أنوار ، إنما يجدون لذلك الظل راحة ، ثم في حركة من حركاتهم وسكنة من سكناتهم يجدون راحة ولذة لا تخطر على قلب بشر ، ففي المشي يجدون لذة وكذا في القيام والاضطجاع لا كما في الدنيا ، لأنك إذا اضطجعت في الدنيا تحصل معك راحة بسبب التعب والنصب ، وفي الجنة إنما أنت تنتقل من لذة إلى لذة في جميع حركاتك وسكناتك ، وإنما يطلق عليه فعل أو قول أو عدم ، فكله راحة ولذة ولا تشبه واحدة واحدة

ثم قال رضي الله تعالى عنه : وسأضرب لكم مثلا : إذا اجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدواب : أي لذة كل فرد ولذة جميع مشموماتها فرداً فرداً ونوعاً نوعاً ، وطعم كل مطعون كذلك ، ولذة كل ملك مال كذلك في ذات واحدة ، فكيف تكون لذة النكاح وقد صارت لذة كل فرد مجتمعة فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء وكيف طعم جميع المطعومات

وقد صارت لذة كل فرد من آدمي وغيره مجتمعة عنده ، وقس عليها سائرها ، ثم إذا انتقلت منها إلى أدنى نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم حنظل إلى طعم سكر ، ثم لو اجتمعت لذات الجنة : أي كل فرد منها في ذات واحدة من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس وغير ذلك لتجمع لك لذات جميع ما في الجنة

ثم انتقلت من ذلك إلى نظر الحق سبحانه وتعالى فهو كا تنتقل من طعم الحنظل إلى طعم السكر وأهل الله لا يفارقونه في الجنة طرفة عين كما لا يفارقونه في الدنيا طرفة عين

وقال رضي تعالى عنه : قال الله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) قدم الشر هنا للاهتمام ، لأنه ربما يكون الشر قائدا لجميع الخيرات أي أن السيئة وأي شر أعظم منها قد تكون سبب القرب من الله تعالى ، وذلك لأنه ربما أورث الذنب ذلا وانكسارا فيكون أعلى من الحسنة وأغلى ، فإن لكل دواء دواء وربما يعتري الإنسان عجب وزهو بالطاعة وذلكم داء ، فتلك سيئة وارتكاب الذنب دواؤها ، فإن بعض الأولياء ارتكب ذنبا فلما تاب منه قال : رب أنت كنت غنياً عن ارتكابي لذلك

الذنب ، فقال له : قد كان اعتراك زهو فسلطت عليك ذلك الذنب ليزيله عنك ، فأنت الآن عندي أحب إلى من ذلك

وقال r " لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلي الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبدا " قال الشاعر في هذا المعنى

تداويت من ليلى بليلى من الهوى

كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال آخر :

انظر إلى بعين قد فتنت بها

وداوني بالتي كانت هي الداء

وقال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال سبحانه وتعالى (إن الإنسان لظلوم كفار) أي يكفر الظلم بالتوبة والظلم له معنيان :

الأول : بالنقص قال تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً)

والثاني : وضع الشئ في غير محله وكلما ظلم كفره بالتوبة ولهذا أتى بصيغة المبالغة ، وفي الحديث قال رسول الله r " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجأ بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم "

وسئل رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل) ما معنى (إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ؟)

فأجاب : إن الجنب لا يقرب الصلاة حتى يغتسل إلا إذا كان عابر سبيل فله أ، يقرب الصلاة بلا غسل ويتيمم ، وعابر السبيل هو أ، يكون في طريق مخوفة إذا اغتسل خشي أن يتأخر عن القافلة

ثم سئل رضي الله تعالى عنه : عن (إذا) الشرطية في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) الآية فقال : يؤخذ منها مفهومان

أحدهما : للوجوب

والآخر : لا للوجوب ، أما الذي للوجوب فهو إذا كان محدثا

وأما الذي لا للوجوب فحيث يكون متوضأ فهو أمر ليس يقتضي الوجوب إنما هو نور على نور والنبي r كان يتوضأ لكل صلاة إلا في جمع حصل له r ، فكان يصلي الصلاتين بوضوء واحد كعرفات ومزدلفة

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي محجوباً ، وذلك أن النبي r كان الله سبحانه وتعالى سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... الخ ، وذلك أن العبد متميز عن المعبود فلا امتزاج ، وهم يرون العبد ولا يرون المعبود ، لأنه تعالى محجوب عنهم ، وحقيقة النبي r يرونه في حين العبودية لكنهم لا يرونه ، بل بينه وبينهم حجاب مستور فهم يرونه ولا يرونه ، وهذان ضدان لا يفترقان وذلك مثل المرأة ، فإنك ترى صورتك فيها بلا شك وأنت تعلم أنها ليست فيها

كذلك البحران فإن الله سبحانه وتعالى مزجهما وأحدهما ملح والآخر حلو وبينهما برزخ ، وهذا البرزخ ، وهذا البرزخ لا يدرك بل لا يعرف إلا بالذوق فإذا شربت من هذه الجهة وجدته حلوا ، وإذا شربت من هذه الجهة وجدته مالحا

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) أي إن الصلاة المقبولة وهي الكاملة الجامعة لشروطها بتأدية أركانها تامة وتأمل معاني القرآن فيها والخشوع الذي هو روحها ولا تقوم الذات إلا بالروح ، وفي الصحيح أن قارئ الفاتحة في الصلاة إذا قال : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي إلى ... آخره ، وقد تقدم في أثناء هذه الكراريس فهذا ذكر الله للعبد أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر

ثم أخذ رضي الله تعالى عنه في تفسير الفاتحة

قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) أتى هنا برب العالمين : أي رب جميع عوالم هذا العبد

ولما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد حمد نفسه ، بنفسه ولم يقل ربي لأنه سبحانه وتعالى يحمد نفسه بلسان عبده ، وكل من أراد به خيرا حمد نفسه بلسانه ، فما أعظم هذه المزية لهذا العبد الذي يحمد الله نفسه بلسانه ، وبسبب مروره على لسانه يأجره عليه ويجازيه ويقربه في الدارين وبالنعيم الدائم ، فلله الحمد على الحمد ، لأن الإنسان حال قراءة القرآن نائب عن الله تعالى

قال الله سبحانه وتعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فأضاف الكلام إلى الله تعالى ، مع أن الناطق به رسول الله r

وقوله تعالى : (الرحمن الرحيم) لما ذكر اسمه جل وعلا ترقب السامع بأي صفة يصف الله نفسه ، ثم استشعر صفة تخويف كالجبار والقهار ، فقال سبحانه : لا خوف عليك لأنه الرحمن الرحيم ، وهما اسمان في أعظم مراتب الرجاء

قال تعالى (مالك يوم الدين) لما ادعى العباد أن لهم ملكا في الدنيا عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم ، وإلا فهو المالك في الابتداء والانتهاء ، ولم يذكر ملك الدنيا لأنها لا تعدل عنده جناح بعوضة ، فذلك استهانة بها وإظهار لحقارتها ، وفيه تخويف للكافرين وتأمين للمؤمنين : أي أن الله سبحانه وتعالى ملك يوم

الدين ، وهو الذي تنزل فيه الشمس بقدر ميل حتى يلجم العرق الناس ، مع هذا يحاسب على مثاقيل الذر

(لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) فالمؤمن يستبشر بذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات أعماله الحسنة وظواهرها وصلاته تلك وهو فيها يعلم أنها ستعرض ف ذلك اليوم عند من يقول مالك يوم الدين فيزيدها تحسينا ، والكافر يزداد تهديداً وتوعيداً

ثم قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك في عبادتنا إياك

(اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم : هو صراط الله : أي الموصل إلى الله بسرعة لأنه لا اعوجاج فيه (وأن هذا صراطي مستقيما) فإذا أحب الله شخصاً كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به إلى آخره ، وسلك به صراطه المستقيم ثم صراطه المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم

قال تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم الذين أحبهم الله وهداهم إلى الإسلام ، فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة ، إذا لو أوجدك في دار كفر ما عرفت إلا ما هم عليه وكان عندك ما هم عليه هو الصراط المستقيم

وقال تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) المغضوب عليهم فسرهم النبي r بأنهم اليهود ، فهم مغضوب عليهم لأنهم ما عبدوا الله قبل ظهور النبي r إلا بما يطابق أهواءهم ليس لله خالصة ، إذا لو كانوا مخلصين في عبادة الله من قبل لآمنوا بالنبي r ، لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم ، وإبليس كان يعبد الله قبل خلق آدم ، لكن لحلاوة يجدها عند العبادة والتذاذ ، فلما أمره الله بالسجود لآدم لم يجد تلك الحلاوة واللذة فأبى واستكبر ، وكان إبعاده ولعنه ، وانقلبت أنواره ظلمة ، وحلاوته مرارة ، وقربة بعدا ، وإمهاله إنما هو في مقابلة ما عبد الله من قبل ، فهو كالخزي لأن الله تعالى لا يضيع عمل عامل ، ولو كان له العقل الوافي لما سأل الإنظار – أي الإمهال – بل لو سأل الموت في تلك الحالة كان عذابه عذاب كافر ولا يعذب عذاب جميع من أطغى

(ولا الضالين) فسرهم النبي r بالنصارى ، لأنهم قصدوا الله سبحانه وتعالى لا من الصراط المستقيم ، بل جعلوه عيسى وجعلوه متحيزا ، فهذا هو الضلال ، كذلك المسلم ربما كان يصلي ولا يبتغي بها وجه الله ، بل يرائي بها أو لأجل شئ غير الله ، فهو في غير صراط الله ، بل هو في صراط المغضوب عليهم ، وإذا عبد الله بغير ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله : فقد سلك صراط الضالين ، اللهم ألهمنا رشدنا

ثم إذا قلت أمين فمعناها اللهم كما هديتنا وأنعمت علينا بالوقوف بين يديك على هذا الوجه الذي شرعه لنا رسولك r فأنت مبتدئ بهذا الإحسان العظيم ، والكريم لا يرجع فيما وهب فأمتنا على هذه النعمة ، حاشاه يختم بالإساءة وهو بالإحسان بادئ ، وهذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها علينا إذا شكرناه عليها زادنا منها

قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) فإنه أقدرنا على الصلاة بأن خلق لنا أعضاء يمكننا بها إتمام أركانها فشكرها أن نستعملها فيما خلقت له ، ثم هدانا إلى الإسلام الذي هو النعمة العظمى فشكره أن نؤدي ما وضع له ، ثم شرع لنا

الصلاة التي هي عماد الإسلام فشكرها أن نؤديها على الوجه المشروع في كل يوم ، والجميع في زيادة إلى مالا نهاية له يزيدك في كل نعمة من جنسها والحمد لله رب العالمين

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى عنه : قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) والعبد مفتقر إلى سيده بقدر مطالبه فلا شئ في الدنيا إلا والإنسان محتاج إليه لا تستقيم حياته إلا به ، أو شئ العافية أنت مفتقر إليه سبحانه وتعالى في إعطائه إياك العافية ثم إذا صرت في عافية فأنت تحتاج إلى كل ما تستدعيه العافية من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس ومحتاج إلى ذوق تأكل به المأكول وتشرب به المشروب ، وإلى شم تشم به المشموم ، وسمع تسمع به المسموع

وغير ذلك من جميع الجوارح والأعضاء ومحتاج إلى شمس وقمر ونجوم وسماء ومطر ونبات ودواب وأنعام وبر وبحر ، بل إلى جميع ما في السماوات وما في الأرض التي هي مسخرات له ، فهو في جميع ذلك مفتقر إلى ربه تعالى ، ثم

افتقاره في الآخرة إليه أعظم من افتقاره إليه في الدنيا لأنه حاجته في الآخرة أكثر وبقدر الحاجات يكون الافتقار

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

فقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي نضيق عليه ، كقوله تعالى (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أي ضيق عليه رزقه ، وقوله تعالى (يبسط الرزق لمن شاء من عباده ويقدر) لأنه لا يظن أحد أن الله لا يقدر عليه ، فما ظنك بالنبي r

ثم لما ظن هذا الظن ضيقنا عليه في ظلمات ثلاث لأنه أوقف الرحمة عليه ولم يطلقها عليه وعلى قومه ، فضيقنا عليه ووسعنا على قومه ، قال تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) فهم ممتعون باقون في الحياة

ولكن هذا التضييق من الحق تعالى لنبيه يونس عليه الصلاة والسلام هو عين التوسيع لأنه تأديب ، وأي توسيع أعظم من تأديب المولى لعبده وبه الفوز والفلاح والنجاة

وقال رضي الله تعالى عنه : النكتة في إيراد قصة الهدهد في سورة النمل قول سليمان عليه الصلاة والسلام (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين) فقوله : أوتينا من كل شئ ، فيه نوع زهو ونزر يسير من رائحة فخر خفي ، فأجرى الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد (أحطت بما لم تحط به) تأديباً له عليه الصلاة والسلام بهذا التبكيت

ثم أنطق الله سبحانه وتعالى الهدهد بقوله (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) هذا فأخرج الله سبحانه وتعالى الخبء الذي كان في طي سليمان عليه الصلاة والسلام بقصة الهدهد

وأتى من صفات الحق تبارك وتعالى بقوله (الذي يخرج الخبء) ولما تأدب عليه الصلاة والسلام بآداب الحق جل وعلا قال لما رأى عرش بلقيس عنده قبل

أن يرتد إليه طرفه ، وهذا الحد لا يتعذر دونه أبدا (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أو أكفر)

وأراد أيضاً أن يؤدب بقوله هذا : أي قوله (ليبلوني أأشكر أم أكفر) أصف لئلا يستفزه شئ من الشيطان لأنه قال (آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) فهو عليه الصلاة والسلام أضاف العبارات ، فسبحان الله العظيم ، ما أبلغ هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقال رضي الله تعالى عنه : قال الله تعالى (ففروا إلى الله) فأطلق المفرور منه وقيد المفرور إليه . أي ففروا فراراً مطلقاً من كل شئ إلى الله ، حتى إنه بلغ الحال بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما قيل له نأتي لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، ففر من ألمه إلى الله سبحانه وتعالى . فإذا أهمك أمر فر منه إليه سبحانه وتعالى ، فإذا سلط عليك مثلا عدو فإن قابلته بالحول والحيل والعدد وجعلتها مجردة للمدافعة فقد فررت من الله لأنه هو الذي سلط عليك ذلك العدو إلى ما معك من الجند والمال ، نسألك اللهم عافيتك ، وإن جعلتها إنما هي أسباب وليطمئن بها القلب

قال الله سبحانه :(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) مع كونك معتقدا اعتقادا تاما أن النصر من عند الله وخرجت لقتال عدوك وأنت واثق بالله لا أنك معتمد على جندك أبدا ، قد فررت من العدو إلى الله تعالى

كذلك الفقر إذا ابتلاك به ، فإن فررت منه إلى قصد مخلوق أو حرفة فقد فررت من الله إلى من قصد منافعه ، وإن فررت منه إلى الله وسلكت معنى دعاء رسول الله " لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك " كنت فارا من الفقر إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن بعض أهل الحرف من الصالحين حدثته نفسه في بعض الأيام وهو شات – أي من أيام الشتاء – شديد البرد إن لم تداوم على حرفتك فمن أين تأكل ، فحلف أن لا يطعمها مما كسب من تلك الحرفة شيئاً إنما أبقى فيها لقضاء حوائج الناس منها ، فهذا معنى قوله تعالى (ففروا إلى الله)

والحمد لله أولاً وآخراً

كتاب الإلهام النافع

الفصل الاول : المحاسبة

الفصل الثاني : العلم الكسبي والوهبي

الفصل الثالث : حاسبوا أنفسكم

الفصل الرابع : الروح

الفصل الخامس :أبجدية التصوف

الفصل السادس : المريد الصادق

الفصل الاول : المحاسبة

الباب الأول

القاعدة الأولى المحاسبة

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

أما بعد........:

فالأمر الجامع والقول السامع والسيف القاطع فى طريق الله تعالى أن العاقل الذي يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ، ويحب أن يدخله الله فى سلك المقربين فى جميع المسالك إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه ، ويسأله عن ذلك الأمر فليعد الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الأمر ، فعاقبته منه فليدخل فى ذلك الأمر ، فعاقبته محمودة دنيا وأخرى.

وإما أن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله الحق تعالى منه ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر اى أمر كان ، فانه وبال عليه أن دخل فيه. وهذه القاعدة هى أساس الأعمال كلها والأقوال.

فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم :" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم" .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

قال سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه:

" أما بعد... فالأمر الجامع ، والقول السامع ، والسيف القاطع" .

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: الأمر الجامع: الذى يجمع بين العبد وربه كما قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه " حتى لا أرى فى وفى كل شئ وآله وسلم كما قال أيضا : " واجمع بينى وبينه وبين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما" .

والقول السامع

اى: الأمر الذى يوصلك إلى مقام السماع الالهى كما قال أيضا : " وأوقفنى وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام الالهى" .

والسيف القاطع

الذي يقطع الأكوان عنك كما قال أيضا : وقلدنى سيف: رضي الله عنه جاء الحق وزهق الباطل كان زهوقاصلى الله عليه وسلم. فانك ياأخانا فى الله تعالى كلما أكثرت من هذا الذكر الذى اختصنا الله تعالى به وصلت إلى الجمعين. فـ (لا اله إلا الله) تجمع بينك وبين الحق سبحانه وتعالى ، و (محمد رسول الله) تجمع بينك وبين حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذان الجمعان لا حد ولا حصر لأنواع الفيوضات فيهما .

حكم

– وعلى قدر الإكثار تتزاحم عليك الأنوار.

- وعلى قدر الاستعداد يتنزل عليك الإمداد ،- وعلى قدر الانفصال يحصل لك الاتصال.

- وعلى قدر ملازمتك لأحزابنا تشرب من شرابنا.

- وعلى قدر تمسكك بالكتاب والسنة تنال الكمال والثبات والمنة.

- وعلى قدر تمسكك بالشريعة الغراء فى نفسك واهلك تفتح لك ابواب وصلك.

- واعلم ياأخانا إن الأمر جد وليس بالهزل ؛ لفلا تستصغرن شيئا من الأمور المحرمة فى نفسك واهلك ، فترى عند الله تعالى صغيرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن لم يكن له فى قلبه تقوى ، ليس فى سبيل إرادة الحق يقوى ، فلا تدار لخلق الله فيما يغضب الله عنك سره يوارى ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم تنل من الله نفائس الغنائم.

- فما نال من هاب الرجال ، وأحب المال ، واشتغل بقيل وقال ، فاستهوته الأوهام ، فصار كالأنعام.

- فلا تخض فى طريقى هذا ولا تتكلم فى السالكين فيه ، فإنك لا تدرى حالهم ولا تفقه مقالهم ، ولا الذى بينى وبينهم ، حتى تكون على القدم الراسخ الذى لا تزلزله شبهة بوجه من الوجوه.

- وعليك بالإعراض عن الدنيا ما استطعت ، فإن الذى يقبل عليها بيننا وبينه حجاب القطيعة.

فما دعوناكم إلينا لنطعمكم الجيفة ، ولكن لتدعوا ربكم دعاء خشية وخيفة ، وقد رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ورسولا ، وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخوة.

- طريقنا هذا طريق الله تعالى المجرد عن شوائب الدنيا وكدوراتها ، ليس لنا رغبة إلا التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى قاطعين جميع العوائق والعلائق

والأغيار النفسية بالكتاب والسنة فى جميع أحوالنا وتطوراتنا وحركاتنا وسكناتنا ، راضين به عن غيره ، عاكفين على بساط انس محبته فى الدنيا قبل الآخرة.

علو الهمة فى الله تعالى

قال شيخنا رضى الله عنه طريق الله تعالى : عبادته وذكره ، والمطية فى علو الهمة ، قال عليه الصلاة والسلام :" علة الهمة فى الإيمان".

وقال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه لتلميذه الختم رضى الله عنه : " يابنى أعنى على نفسك بعلو همتك".

ويقول له: اجعل جميع أوقاتك عبادة وذكرا وإرشادا حتى يقتدى الناس بك ولا تظهر لهم غير ذلك.ا هـ.

المعنى الصوفى لكلمة : طريق

الطا: طهر رضي الله عنه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا صلى الله عليه وسلم

والراء: رحمة رضي الله عنه رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت صلى الله عليه وسلم.

والياء: يقين.

والقاف: قرب من رب العالمين.

فأساس الطريق: طهر باطنى وظاهرى وبينهما ارتباط.

قال سيدى أحمد زورق بن أحمد بن محمد بن عيسى المالكى البرنسى الفاسى رضى الله تعالى عنه المتوفى سنة 899هـ.

" على قدر طهارة الظاهر والعناية بها يحصل الخشوع فى الصلاة"

انتهى كلامه.. فيطهر ثوبه وبدنه ومكانه وطعامه وشرابه ولسانه وسمعه وبصره وجميع جوراحه من كل ما يغضب الله تعالى ، فتتنزل عليه رحمة الله تعالى فى جميع جوارحه وثوبه وبدنه ومكانه ، فيكون محاطا برحمة الله حيثما كان وأينما كان وكيفما كان.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُوجعلنى مباركا أين ما كنتﷺويطهر باطنه من سوء العقائد ، فتتنزل على قلبه الموائد ، ومن الوسواس الخناس ، فتطيب منه الأنفاس ، ومن الغفلة عن علام الغيب والشهادة ، توهب له درارى جواهر الإفادة ، وعن الحظوظ النفسية ، توهب له الرتبة العلية ، وعن حب الدنيا والمال تفتح له إلى المعارف أقفال ، ومن الأنس بغير القدوس ، يخرج من انس النفوس ، ومن حوله وقوته ورعونته ، يدخل فى حظائر قدس الحق وحضرته.

ويطهر الباطن من التلذذ بغير مناجاة الباطن ، يجد الحب الالهى فى قلبه اجل ساكن.

ويطهر النيات من الأغراض ، خشية ان يكون العمل فى انتقاض ، ويطهر الرغبات ،خشية أن يقع فى السيئات ، وأدمن القرع لباب ربك ، فمدمن القرع للأبواب يوشك أن يفتح له يوما ما .

فما تيمم بالتراب إلا من فقد الماء ، وطهر صيامك ، وحجك وقيامك وصلاتك وزكاتك ، وقراءتك وذكرك ، وجميع أقوالك وأفعالك وأحوالك بماء طهر قدس الإخلاص النازل من مزن الشهود الالهى حتى تحي به جميع الصادرات منك.إذ

الحياة حياتان يتعلقان بك: حياة روحك بالإيمان ، وحياة قلبك وحياة عملك بالإخلاص ، فمن لا إيمان له فهو ميت ﵁أو من كان ميتا فأحييناه ﷺ. ﵁أليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﷺ وإنما يصعد الحى لا الميت.

حياة الروح بالقلب

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى :﵁ فلنحيينه حياة طيبة ﷺ حياة الروح بالإيمان ، وحياة القلب بالعمل الصالح.واعلم يااخانا فتح الله عليك فتوح العارفين به والمقبلين عليه: أن الروح الحية بالإيمان غذاؤها الأعمال الصالحة الحية ، فهى دائما أبدا تتغذى بها كما يتغذى الجسم الحى بأنواع الطعام الحية بالفيتامينات. ولا يرضى بالتراب والحجر. فإذا مات سكن التراب والحجر.

كما أن الكافر المحكوم عليه بالموت يكتفي بالمعاصي الميتة المجردة عن فيتامينات الحياة.

ألا ترى ، الزانى حين يزنى يصاب غالبا بالأمراض الفتاكة كالذى يأكل الزجاج والحجارة؟! ويقال:" شبيه الشئ منجذب إليه".

فالعمال الصالحة للأرواح الصالحة ، والأعمال الخبيثة للأنفس الخبيثة. قال عليه الصلاة والسلام:" اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

ومن العطاء ، تعطى نفسك لربك

وجعل الله سببا للتيسير للخير ﵁ فأما من أعطى واتقى *وصدق بالحسنى*فسنيسره لليسرى ﷺ.

ومن العطاء أن تعطى نفسك لعبادة ربك الذى خلقك من اجلها: ﵁ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﷺ لأنك إذا أعطيت نفسك لله يسرك الله لليسرى ، ومن أنواع اليسرى بل واجلها ما أشار إليه شيخ الأولياء سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله:" ثم تأخذنى يد العناية الإلهية إليها فتجذبنى جذبا قويا مغمورا بالنور مصحوبا بأنواع اللطف والرحمات فتلقينى فى وسط

لجة بحر الذات فتغرقنى فيه لا حد ولا حصر حتى تكون ذاتى كلها بصرا ذاتيا إلهيا صرفا من جميع الجهات" .

قال مهبط الأنوار والأسرار سيدى الإمام صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: وهناك يحصل التخلى يعقبه التجلى :

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين

وان هى ناجتنى فكلى مسامع

وإذا كانت الذات بصرا إلهيا ادركت ما لا يدركه المدركون ، وأبصرت ما لا يبصره المبصرون:

قلوب العارفين لها عيون

ترى ما لا يراه الناظرونا

وقوله رضى اله تعالى عنه:" فتفيض على جميع ذاتى أنوار شهود الذات فيضا منزها عن الحدود والكيفيات" .

عنه: واعلم ياأخانا انه كما لا حصر لشهود الذات فى قلبك لا حصر لفيوضات الذات على روحك ، وكما أخفى سر روحك عنك أخفى حصر فيوضاته عليك ، وكما أخفى عنك اتصال فيوضاته النازلة عليك به ، وهكذا ياأخانا لا تزال تسبح فى بحر منزه عن الحدود والكيفيات ، طول الحياة وبعد الممات ، جادا على منهاج سراج أفق الألوهية ومعدن الأسرار الربانية ، مصحوبا بنوره ، مغمورا فى ألطاف ربك ، وفى قوله رضى الله عنه: " مغمورا بالنور مصحوبا بأنواع اللطف والرحمات " قال سيدى تعالى عنه: فيه الإشارة إلى الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذ بها يكون صلى الله عليه وآله وسلم معك ، وهو النور الذى يمكنك أن تبصره ، لأن نور الذات الأقدس لا يرى فى الدنيا ، واللطف والرحمة يتنزلان عليك بسبب الصلاة عليه كما فى الحديث " من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا" وصلاة الله عليك رحمة عليك ولطف بك.

ولنرجع إلى تفسير " طريق" فالطاء طهر ، وقد تقدم شرحه.

والراء: رحمة.

لأنك إذا تطهرت فقد أعددت نفسك لرحمة ربك وهى الطاعة قال تعالى :ﵟولولا فضل الله عليكم ما زكى منكم من احد أبداﵞ.

والمعصية عذاب لمن لم يطهروا ظاهرهم وباطنهم ، فمتى طهرت فقد رَحَمت ورُحمت.

فالطهر كحفر الأساس ، والرحمة كأول بناء يوضع فى الأساس ، قال عليه الصلاة والسلام:" من لا يرحم لا يرحم " فمن رحم نفسه بتطهيرها من معاصى ربها رحمه الله بطاعته والتوفيق إليها ، فدخولك فى طريق أهل الله يوصلك إلى رحمة الله ، قال تعالى : ﵟومن أراد الآخرة وسعى لها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراﵞ.

فطريق الله هو السعى الموصل إلى رحمة الله تعالى ، ومن أخطاه فقد أخطا الرحمة.

" والياء: يقين".

هى عبارة عما يحصل للإنسان الذاكر بسبب الواردات والكشف مما يجعله يزداد إيمانا ويقينا قال تعالى : ﵁ وان يروا آية يعرضوا عنها ويقولوا سحر مستمر ﷺ.

ومن الآيات كرامات الأولياء الخارقة للعادة يزداد بها الولى إيمانا ويزداد غيره من المؤمنين إيمانا .

" والقاف" : قرب.

قرب من الله تعال ، وذلك بعد الطهر والرحمة واليقين كما قال سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه:

واقرب منى قربا تمحق به كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك ، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء؟.

قوله : طريق الله

الإضافة للتشريف ، اى من دخله كان محفوفا ببركة الله تعالى ولطفه ، وبره وكرمه وحفظه وعنايته ووقايته ، وإكرامه وإنعامه ، وإحسانه وبركاته ، وو ارداته وألطافه الظاهرة والخفية ممتدا من شجرة الأصل النورانية.

فتتزاحم عليه العلوم والمعارف ، وتتنزل عليه الرقائق واللطائف.

قال سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه : اخبرني جدى عليه السلام: عن تالى وردى يموت على الإسلام.

وقال رضى الله تعالى عنه: ياداخل حزبى بشراك. الخير أتاك. فلا تخف كيد الشيطان.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

" أن العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ، ويريد أن يدخله الله فى سلك المقربين فى جميع المسالك".

عرف بعض العلماء العقل بأنه نور روحانى ، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية ، وهو من أعظم النعم على الإنسان ، إذ به يكون إنسانا ، وبغيره لا يساوى بهيمة ، وقد جعل الله له التكليف ، وبدونه يرفع القلم.

قال ابن عاشر رضى الله تعالى عنه:" وكل تكليف بشرط العقل" .

: العاقل هو الذى يفكر فى نجاة نفسه من نفسه. قال تعالى :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ﷺ.

فنجاتك بعقلك من سوء نفسك بما سيذكره لك الشيخ ودخولك فى حضرة المقربين.

قوله رضى الله تعالى عنه:

" إذا أراد أن يدخل اى أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه ويسأله عن ذلك الأمر ، فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل فى ذلك الأمر ، فان رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى" .

قوله رضى الله تعالى عنه:

" إذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره"

: معناه نوى أن يقوله أو أن يفعله ، والنية هى العزم على الشئ مقترنا بفعله ، ومحلها القلب ، والقلب بيت التجلى ، ومكان التخلى والتحلى ، وتارة يكون مع ملك ، وتارة يكون من شيطان.

قال السهروردى رضى الله تعالى عنه: والذى يكشف لنا عن هذا ويوضحه لنا الحديث النبوى ، قال عليه الصلاة والسلام:" إن للملك لمة ، وللشيطان لمة. فلمة الملك ايعاد بالخير وتكذيب للشر ، ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب للخير " ا هـ.

ونقل الإمام الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى كتابه روح السنة ما نصه:

قال عليه الصلاة والسلام : " إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه" .

واعلم ياأخانا فى الله تعالى ان الخاطر الذى يخطر بقلبك طالبا منك فعلا او قولا فاعرضه على الكتاب والسنة ، فان قبلاه فاعلم انه من الملك فسارع فى انفاذه ، وان لم يقبلاه ففر منه فرارك من السبع واعلم انه من الشيطان.

وقد يوسوس الشيطان للإنسان بأشياء لو نطق بها لكفر ، فإذا وصل إلى ذلك فليعلم انه وصل إلى كمال الإيمان ، ولا يجادل الشيطان فان المجادلة تزيده تمكنا ، كما نقل ذلك سيدى أحمد زورق رضى الله تعالى عنه ونظمه الناظم بقوله الذى سمعته عن شيخى المحدث الشيخ حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى بالمسجد الحسينى :

وما به يوسوس الشيطان

والقلب يأباه هو الإيمان

فلا تجادل عنده اللعينا

فانه يزيده تمكينا

قاعدة أسسها زروق

ولم تزل أقواله تروق

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

.. قولا أو فعلا

القول ما يلفظ به اللسان ، والفعل هو الذى تفعله الجوارح ، وعلى كل ثوب وعقاب ، وفى كل نور وظلمة ، وسعادة وشقاوة ، ورضا وسخط ، وراحة وتعب ، وقرب وبعد ، وجنون وعقل ، وعز وذل ، وغنى وفقر ، وعلم وجهل ، وبركة ومحقة ، وعدل وظلم ،وقبول ورد ، وتقدم وتأخر ، وجنة ونار.

قال الله تعالى :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناﷺ.

وهذا الفرقان هو المميز الذى يعرف به الإنسان الخير وما يتبعه ، والشر وما يتبعه ، وأهل التجلى يحجبهم عن كل ما يغضب الله من قول أو فعل.

قوله رضى الله تعالى عنه:

فليعلم ان الله تعالى لابد أن يوقفه بيد يديه ويسأله عن ذلك الأمر.

الوقوف

بين يدى الله تعالى

الوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة أمر عظيم يرعب النفس ويخيف القلب ، ويبعث على الفرار من كل ما فيه غضب الله تعالى.

قال تعالى :رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون* ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الحساب أمر يبعث النفس على نقد عملها من قول او فعل ، لان من علم انه سيحاسب حاسب نفسه ، قال الشاعر:

ولو إنا إذا متنا تركنا

لكان الموت راحة كل حى

ولكنا إذا متنا بعثنا

ونسال بعد ذا عن كل شئ

ومن المواقف: الصلاة ، لان المصلى يناجى ربه فإذا تذكر انه يقف بين يدى الحق تعالى كل يوم خمس مرات كان زاجرا له عن الوقوع فى شئ يغضبه.

واعلم ياخانا إن الآذان بمنزلة النفخ فى الصور ، والقيام للصلاة بمنزلة البعث ، لأنه وقوف بين يدى الله تعالى ، وفيها سماع لكلام الله ، وذكر لله ، وخشوع وخضوع لله.

وإذا كان كذلك فكل من يتذكر انه سيقف هذا الموقف لابد ان ينهاه هذا التذكار للصلاة وموقفها وروعته وما فيها من خشوع وخشية لله عز وجل وتلذذ بسماع كلامه العظيم ، وإجلال وإكبار لمشاهدة هيبة كمال جلال الحق سبحانه ، كل ذلك لابد أن يكون ناهيا وزاجرا عن الدخول فى أمر لا يحبه الله ولا يرضاه ، وصداقا لقوله تعالى : ﵁ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﷺ.

إذا فهمت كلامى هذا لابد أن ينقدح فى قلبك معنى غريب لهذه الآية الكريمة.

صلاة الواصلين

وصلاة السائرين إلى الله

وكثير من الناس يقول: فلان يصلى ويفعل المنكر ، لأنهم فهموا أن المصلى يستحيل عليه فعل المنكر ، ولعل معنى " تنهى " يختلف باختلاف الأشخاص ، فمنهم من تنهاه عن الوقوع فى المنكر بمعنى تمنعه ، ومنهم من تنهاه بعد الوقوع بمعنى تلومه وتؤنبه ، فالأول : صلى صلاة الواصلين ، والثانى : صلى صلاة السائرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عسى الله أن يتوب عليهم ﷺ ، وكذلك تلاوة القرآن تعتبر كحساب من الله تعالى للإنسان ، فمن صلى كان كمن وافى الموقف ، ومن سمع القرآن كان كمن وافى الحساب:

فكم لك من موقف وأنت لا تتفكر.

وكم لك من محاسبة وأنت لا تتدبر.

ونومك موت ، ويقظتك بعث.

فكم لك من موت وأنت لا هى.

وكم لك من بعث وأنت ساهى.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

" فان رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق سبحانه وتعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى ".

الحياة الطيبة

فى صحبة الحق سبحانه

عنه: فبادر بالدخول فى كل أمر من قول أو فعل رأيت جوابه مقبولا وفعله مرضيا فانك ستلقى أمرين عظيمين: فى الدنيا حياة طيبة ، وفى الآخرة أجرا عظيما، ويصدق عليك قوله تعالى :

﵁من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﷺ.

وأعظم شئ فى الحياة الطيبة صحبة الحق سبحانه وتعالى ومشاهدته والأنس به ، والتلذذ بذكره ، ومناجاته ودعائه ، وبذلك يكون فى جنة المشاهدة التى شرفها التواضع ، كما قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه:

تواضع. ذلا وانخفاضا لعزها

فشرف قدرى فى هواها التواضع

والتوجه إلى الجمال العالى ، كما قال ايضا رضى الله تعالى عنه:

جمالكم نصب عينى

إليه وجهت كلى

وسركم فى ضميرى

والقلب طور التجلى

وبذلك تشرب من صافى شراب بحر عشق سلطان العاشقين من رحيق مختوم ختامه مسك " وتجل لى ياالهى بسر توحيد الذات المطلسم فى آية الأنانية الموسومية ﵁أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى ﷺ حتى يكون ذلك السر روحا لذاتى من جميع الوجوه".

فقال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه عند ذاك:

وصرت موسى زمانى

مذ صار بعضى كلى

وتقدم مولانا صاحب العلم النفيس سيدنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فقال:

" ويناديني منادى التحقيق من حضرة القدس الأعلى بلسان التصديق ﵁فاعلم انه لا الا الله ﷺمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأنت وارثه على قدمه تهدى بهديه إلى صراط مستقيم ، مرآة الذات المحمدية لكل ذى بصيرة بصيرية ، آخذا عنه بواسطة السلسلة المباركة المتصلة بذى المقام المحمود وبلا واسطة من طريق الجمع الحقيقى بالذى ليس معه لباب إغلاق ، على بساط انس " واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا" فيما يمكن إظهاره ، " وباطنا" فيما يجب إخفاؤه ، وما ظهرت علوم وحكم ، ومعارف وعوارف ، وخوارق ودقائق ومدارك ، وعجائب وغرائب ، والزم فى البعض الكتمان يقظة فى عالم المشاهدة ، ومناما فى عالم الغيب ، " واجعله يارب روحا لذاتى " بدل روح حياتى حتى أحيا به حياته ممدا منه ممدا لأحبابه ، إذ لولا الواسطة لما حصلت المعرفة ، فبه عرفت وبه عرفت الأحباب الذين حبهم منه واليه والقائمين بالصلاة والسلام بين يديه ، حتى غابوا عن أنفسهم بنفائس درر معانى نظراته ، فى ميادين مجامع حضراته ، فنقلوا عنه ما عز نقله وظهر فضله:

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا ممن البحر أو رشفا من الديم

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:" حتى تكون حقيقتى هى البرنامج الكبير الجامع المحيط بأسرار كتاب حضرات الديوان الالهى ، وأكون المفيض على الكل من الفيض الأقدس ينبوع عين مادة الوجود الالهى الأزلى ، نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نقطة وجه جمال حسن الحق المشهود الالهى الأبدى ، حتى لا يبقى على عين بصيرتى بل ولا على عين ذاتى كلها من خيالات الباطل من شئ حتى تنهزم جيوش الباطل لما جاء نصر الله والفتح".

" والنصر والفتح هو الاجتماع الأعظم به صلى الله عليه وآله وسلم".

ولا شك أن مشاهدة الحسن المشهود ، به يحصل تمام الشهود القاطع لمشاهدة خيالات الباطل باستتار شمس الحقيقة بأوهام غيوم سحب العلائق العائقة عن تمام الشهود ، إذ بتمام شهوده يحصل النصر المنشود ، الذى بسيفه يزهق كل باطل مفقود ، ويظهر كل حق موجود.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه: وقلدنى سيفه ﷺ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﷺ.

:

ومن تكن برسول الله نصرته

أن تلقه الأسد فى آجامها تجم

حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه

أو يرجع الجار منه غير محترم

ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه

وجدته لخلاصى خير ملتزم

وبذلك تتحقق الوراثة النبوية التى بها الجمع ونزول الفيض ، حتى يكون هو المفيض على الكل بعد الاتصال بمن طارت منه رشاشات فاقتسمها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات من بحر زاخر وديم فياض.

وكلهم من رسول الله متلمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وكما قال ختم أهل العرفان سيدنا الشريف السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله عنه.

علمه منه العلوم منه العلوم

كعيون من بحور تمتلا

فكم لشيخنا علامة وفريد وقته وأوانه مولانا الشريف ذى العلم النفيس السيد احمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه من فيوضات تلقاها ، ومعارف املاها ، فأضاءت به قلوب صفت ، ووصلت به أنفس رقت ، ووصلت به رجال تخلت ، وشاهدت به أرواح تعلت ، فكان علمه كالاكسير ، الذى به النحاس إلى ذهب يصير.

فكم حل من أسير ، وأغنى من فقير.

وككم هذب بكلماته ، وربى بنظراته ، وله فى كل زمان تربيات ، ومع كل مريد كرامات ، فهو كالشمس مدت شعاعها ، وأضاءت بقاعها ، فلم تحجبها السماء ، إلا عمن كان تحت سماء ، فاخرج نفسك من تحت سقف كسلك وخمولك ، كى تحظى بعد تلاوة أورادك بنورك ووصولك ، فترى مالا يراه الناظرون ، وتصدق ما قاله العارفون ، فابشر بخير ما ساقك تسخير روحك ، الى وردك المورود ، فعن قريب ستحظى بحوض شيخك المورود ، وانك لهو كما هو أنت ، بروابط أسرار أنوار لوامع علائق روابط أزل اليوم أن نوديت فأجبت ، يوم أن حصل التعارف ، بينك وبين شيخك العارف ، فعرفك وأنت له منكر.

﵁ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد أبداﷺ.

فبتزكية الله لعباده ، يظهر فيهم اثر إرشاده.

فيوضات وأنوار

" ملحوظة" فعليك يا أخانا فى الله بجولة فكرك فى تلك المعانى ، بعد تطهيرك للاوأنى ، لعلك أن تدنو من باب دخلنا به كأسلافنا ، دار بلا فناء ، مفتاحه فنا ،

فقد أبدلت انسك ، وفرقت بين الأنسين ، لا سيما إذا واظبت على الحزبين الأولين ، فقد تعجب منهما أرباب العصمة ، فعليك ياأخانا بعلو الهمة ، فقد آن لك ما أن ، ولكل وقت أذان ، فأذن مؤذن للبداية ، وأذن مؤذن للنهاية ، ففى أى المرحلتين ذات العيرين أنت ، وهل سرق منك وقتك أم أنت للوقت حفظت؟! وهل ذكرتنى عند توارادك ، أم شغلت عنى بأموالك وأولادك؟! فما حظى بنا ، من نسى قربنا ، ولا نال منا ، من غاب عنا ، ومن حكم العادات ، حرم من البركات ، ومن نظر إلى غيره ، حرم من خيره وميره ، ومن قال انه قد مات ، عوقب بالفوات ، فانظر بعينى قلبك إلى من نظر إليك بهما ولا تكن من الغافلين.

فكم من ذكر ربك بالغدو والآصال ، ودع عنك شوراد القيل والقال ، فما خاب من استهدى به ، فعليك بهديه لعلك أن تهدى إلى صراط مستقيم.

إن الله قد اشترى منك نفسك فهل حصل منك القبول ، حتى تكون على القدم الراسخ فى متابعة الرسول صلى اله عليه وآله وسلم ، فلا تخرج بعد الشراء على مالك يحببك الله ، وأكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فانك كنز يغنيك ، والتجاء يكفيك.

بفخ بخ لمن لازم التهليل الجليل ، وجعل ديدنه(لا اله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) حتى يفتح الله له حانوته ومخزنه ، فيه﵁مرج البحرين يلتقيانﷺ حقيقة وشريعة ، ﵁ بينهما برزخ لا يبغيانﷺ.

" أنت على علم الله لا اعلمه أنا ، وأنا على علم من علم الله لا تعلمه أنت " ولكن كما جئتنى بأمر ربك لا بأمر نفسك.

﵁وما فعلته عن أمرى ﷺ ﵁يخرج منهما اللؤلؤ والمرجانﷺ.

صنفان لا يباعان وذم بائعهما :

﵁أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرةﷺ ولكن يؤجلان ﵁ إن يوم الفصل كان ميقاتاﷺ.

فيا خسارة نفس فى تجارتها

لم تشرى الدين بالدنيا ولم تسم

فللؤلى بحريك آلان الحديد ، ولمرجانهما معان ولمعان كل يوم يزيد .

ﵞللذين أحسنوا الحسنى وزيادةﵟ ، ﵞويزيد الله الذين اهتدوا هدىﵟ ، ﵞوزدناهم هدىﵟ.

فبإضاءة لؤلئك ومرجانك ، تبصر أسرار دقائق حقائق إسلامك وإيمانك ، فلا تخرج من بحرك الأول ، بغير تغفل عن بحرى شريعتك وحقيقتك حتى تنال منهما اللؤلؤ والمرجان ، وبهما يكشف لك عن حقيقة الإنسان ﵞ ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غداﵟ ، فان أفنيت فقد شاهدت ، ولا يكون ذلك إلا بفنائك ، وان شاهدت فما أفنيت. ويكون ذلك ببقائك.

فعجيب أمرك فأعجب منه ولا تعجب من سواك ، ولا يشغلك ما اشغل عمن سواك ، فما أنت إلا دليل لغيرك عليه بما أبدعه منك ، فكيف تحجب بك عنك ، وأنت اثر " كن فيكون" ويقول لك ﵞوفى أنفسكم أفلا تبصرونﵟ.

بحر شريعتك لولاه ما كانت حقيقتك ، وبحر حقيقتك لولاه ما تمت شريعتك.

قال أبو عبد الله الإمام مالك بن انس رضى الله تعالى عنه:" من تصوف ولم يتفقه تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق" ا

هـ. وما الطريق إلا موصل ، فلا تجعله قاطعا بهجراتك مورده العذاب ، فلا ركبت مركب القرب لتصل ، ولا جذبتك جواذب الجذب. الهجرة قبل الفتح وأنت ما هاجرت حتى يفتح لك الباب ، ولكنك أخلدت إلى الأرض ، ارض نفسك فأرضيتها واتبعت نهج غير أولى الألباب ، فلا خوف أقلقك من غيره له حتى تطمئن بذكره ، ولا بعث فيك غيرة تسبيح الطائر فى وكره.

أما آن لك أن تتخلص من أقفاص نفسك وظلمات حجبك ، إلى أنوار تجليات مشاهدة ربك ، حتى تتنزل عليك كمالات لا تتناهى ، فتدخل فى فلاح رضي الله عنه قد افلح من زكاها صلى الله عليه وسلم فتكسى من سندس رضي الله عنه عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق صلى الله عليه وسلم ونفسك قد زكت وربك ناداها : رضي الله عنه يا أيتها النفس المطمئنة صلى الله عليه وسلم ذكرت فزكت فصفت فاطمأنت فصغت فسمعت" ارجعي "عن السوى ، فقد اضر بك البعد عن خالقك ، فهلم يانفس هلم " إلى ربك " الذى خلقك فسواك ، وبما ناسب مستواك رباك ، وكنت ميتا بذكرك احياك ، وفى وادى قدسه أجلسك وهناك ، " راضية " به عمن سواه لما مزقت للسوى ، وأعرضت عن الملك وما حوى ، فصارت بذلك " مرضية " عند من على العرش استوى.

فأذن لها بالدخول فى حضرة أهل الوصول " فادخلى فى عبادى " فهم أفضل من يحبهم ، ولولاهم ما خلقت الجنة ، فهم الوارثون وهى تراثهم ، وهم المنعمون وهى نعيمهم.

" وادخلي جنتى " جنة الشهود الالهى فى الدنيا معهم فى حضرات أذكارهم " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا " وجنة النعيم فى الآخرة ﵁إن المتقين فى جنات ونهر ﷺ.

لا يحجب عنا من صار منا

فعليك ياأخانا بالتذكر فيما ذكرناه لك ، لعلك ان ترشد بنفسك إلى نفسك لك آية ، فتطوى عنك كثائف الحجب الظلمانية التي أثقلتك ووارتنا عنك ، وما وارتك عنا. وكيف يحجب عنا من صار منا؟ فإلى متى وأنت على ما أنت ، وقد سارت النجب حولك وفرحت بهم أربابهم ، وقد شغلهم نعيمهم عن شواغل أنفسهم عندما شاهدوا ما أمروا به ﵁ فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعونﷺ.

وان فى أحزابنا ما تنطق من مذاقته البكم ، وتسمع له الصم ، وأنها لجنة معجلة لمن عكفوا عليها ، فما ذاقها ذو ذوق إلا ولجت به فى لجج بحار جواهر المعانى الغالية الأثمان ، وشعت عليه شموس التجليات التى تغيبه عن الأكوان ﷺ ، حتى يقول: " كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان " .

فتارة يكاد يذيبه خشوعه.

وتارة تسيل على الخدين دموعه.

وتارة يرى أمرا عجيبا

وتارة يرى نفسه غريبا .

وتارة يكاد أن يطير من الأجساد .

وتارة يهجر النوم والوساد .

وتارة يقمر الليل بقمره.

وتارة يترقب نداء الحق بسحره.

وتارة يذكر حال شيخه فتخضر أشجاره ، وتفوح أعطاره ، وتتزايد أنواره ، وتمد إليه موائد القرى ، ويدعى إلى صافى الشرب بأم القرى.

فلا عجب فقد املاها من املاها ، فطابت بإملائه النفيس ، وأعطاها لمن وافاها وهو صاحب العلم النفيس.

إياك أن تشاهد نفسك معنا

فجل بفكرك فى عجائب كلماتها ، ولازم عليها حتى تتصل ارض قلبك بميازيب غيثها فيصب عيه من جواهر مكنوناتها لترشد بها أنت وترشد من أردناه وأرادنا من إخوانك أحبابنا ، وإياك ومشاهدة نفسك معنا ، فإنها حجابك عنا ، وقاطعك عن إمدادنا ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وهو حسبك ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فالشيخ والد الروح ، وهوا فضل من والد الجسد ، واحرص عليك منه ، فلا يمل قلبك لغيرنا عنا ، وعندنا ما لو كشف لك الحجاب عن بعض مكنوناته لذهلت نفسك.

وان لوامع بروق أحزابنا تنيرك إذا لمعت ، وتصدع عدوك إذا صدعت ، وتغنى فاقتك إذا تليت ، وتملأ علما إذا قطرة به نزلت ، وما صدود نفسك عناه إلا لنفاستها وما تقاعست عنها إلا لتقاعدك عن الكتاب والسنة اللذين هما اصل لها ومنبع فيض فيضانها وشمس قمر لمعانها.

فما أردته من أوراد غيرنا ففيها أودع وزيادة ، ولك من فضل الله علينا ﵁للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﷺ.

فكم أشغلت نفسك عنا بأمور تريد فتح أبوابها فما فتحت لك الأبواب ، وأحزابنا مفتوحة لك أبوابها وتعرفك حجابها ، وقد أذناك بها كما أذن لنا من ينبوع الحقائق الوجودية صلى الله عليه وآله وسلم.

فأذن أيها المريد من حضرة الشيخ تنل ما تريد وفوق ما تريد.

قال سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعال عنه:

أذن منى نعطيك مناك

ولا تخالف على

الاستقامة خير من ألف كرامة

لان كل شيخ مأذون من الحضرة العلية النبوية ففى أوراده إمداده لأتباعه وأولاده ، وبالعكوف على الأوراد والملازمة والمداومة يظهر لك ما اشرنا به إليك ، لكن بشرط الاستقامة التى هى خير من ألف كرامة لمن استقام فى طريقنا وتبتل ، عليه البركات تتنزل.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﷺ ..الخ.

معنى " ثم استقاموا"

قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لجماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم :

ما تقولون فى قوله تعالى :" ثم استقاموا"؟ قالوا : اى لم يذنبوا ، قال : حملتم الأمر على ما هو اشد ، قالوا : وأنت ما تقول؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان.

وروى عنه أيضا انه قال: استقاموا قولا وفعلا.

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: لم يراوغوا روغان الثعالب.

وعن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعال عنه: اخلصوا العمل.

وعن سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه: أدوا الفرائض.

وعن التفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : زهدوا فى الفانية ، ورضوا بالباقية.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

" وإما إن رأى أن ذلك الجواب لا يقبله الحق تعالى منه ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الأمر ، اى أمر كان فانه وبال عليه أن دخل فيه" .

فان قيل: إن المكروه هو الذى لا عقاب فى فعله ، فكيف يكون وبالا؟

" الجواب" : إن الوبال أقسام ومنه الوبال الروحانى القلبى ، ولا شك أن المكروه يضر الروح والقلب.

فان قيل : إن حديث النفس بالسوء معفو عنه فكيف يكون وبالا؟

قال عليه الصلاة والسلام:" ان الله تجاوز عن أمتى ما حدثتهما به أنفسها" .

" والجواب" كما قال سيدى على أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: القلب له عينان يؤذيهما التفكر فى الحرام والمكروه كما يؤذى الريح الشديد البصر.

من شرد إلى الشيخ

فقد شر إلى الله تعالى

ومعنى الشراد إلى الله تعالى هو الدخول فى حلقات العلم كما فى الحديث:" أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله" .

ويكون أيضا باتخاذ المشايخ الذين يوصلون إلى الله تعالى ، ومن له شيخ فليشرد إليه عند الوسواس وليجلس بين يديه ، فانه ترياق الأغيار ولا تنظر إليه نظرك إليه ولكن انظر إليه ظاهرا والى شيخه باطنا ، واستمع إليه ظاهرا والى شيخه باطنا ترى العجب العجاب ، ويفتح لك الباب ، ويسهل لك الوصول ، ويؤذن لك فى الدخول ، وحسن ظنك به مطيتك السريعة ، حتى تأخذ ما عنده لك من وديعة ، فهو الترجمان بينك وبين أهل البرازخ ، أهل التحقيق والقدم الراسخ.

والشيخ المنظور إليه بالنظرين ، رؤيته تقر بها العين ، يذكرك الله مرآه ، ويدنى روحك دعاؤه ورضاه.

قال عليه الصلاة والسلام :" أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله " أخرجه الإمام السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى كتابه المسمى روح السنة ، وذلك لتعلق أرواحهم بالله تعالى وقربهم منه ، فكان مثلهم كحامل المسك إذا دنوت منه شممت رائحة طيبة ذكرتك بصاحب الرائحة الزكية صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك حينما تشم تقول: اللهم صل على سيدنا محمد.

كذلك الأولياء يذكرونك الله تعالى بما لديهم من جواذب جذبتهم وروائح روحتهم ، وعرفان عرفهم ، وقرب اعزهم ، ونور سطع منهم ، وسر سرى إليهم ، وفيض فاض عليهم من معدن الفيوضات ، وكلام تسمعه كالمدام.

تارة تراهم صفوفا على الأقدام.

وتارة تراهم يقظة.

وتارة تراهم فى المنام ، قطعوا عالم الحس فانزوى أمامهم الحس ، ومزقت لهم العوائد ، فان زرتهم على أى حال قبل أو بعد نلت غالى الموائد.

أنفاسهم عطرية.

ونظراتهم روحانية.

وأحوالهم محمدية ، جليسهم لا يشقى ، ومريدهم بهم يرقى.

لابد من الوسيلة لبلوغ الطلب

﵁ففروا إلى اللهﷺ إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، والى علماء شريعته ، والى أولياء حضرته ، فان الإنسان وحده قليل ، وبإخوانه كثير ، والذئب يأكل القاصية من الغنم ، فلا تطلبن طلبا بغير وسيلة ، لان الوسائل هى الأسباب التى توصلك الى المقدور ، وتاركها يكون من المعتدين فى الدعاء ، فان الذى يسال الله تعالى الذرية ولم يتزوج يكون معتديا لتركه الوسيلة ، وهى السبب الذى يوصله إلى المقدور ، والمدار كله على العلم إذ به الدنيا والدين.

قال عليه الصلاة والسلام :" ومن أرادهما معا فعليه بالعلم" يعنى الدنيا والآخرة.

الشيخ العرف من سبل الله تعالى

والشيخ العارف ممن سبل الله تعالى الموصلة إليه ، ومن هدى إليه فقد هدى إلى سبيل الله تعالى ، لكن يبحث عنه بجد واجتهاد :﵁والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلناﷺ.

والعارف بالله تعالى : هو الذى عرف الله تعالى وقام بحقه ،وعرف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقام بحقه ، وعرف أولياء الله تعالى وقام بحقهم ، وعرف المؤمنين وتخلص من تبعاتهم.

والعرف من عرف نفسه كما قيل :" من عرف نفسه عرف ربه" .

فالنفس بها كمالات ونقائض ، فمن عرف الكمالات فأبرزها ، والنقائض فعالجها فذاك العارف.

عارف:-

العين : علم

والألف: انفصال عن السوى اتصال بمن على العرش استوى.

والراء : رغبة فى الآخرة.

والفاء: فرار إلى الله.

فالمعرفة : علم وانفصال واتصال ورغبة وفرار إلى الحق سبحانه وتعالى.

الفصل الثاني : العلم الكسبي والوهبي

والعلم علمان: كسبى ووراثى ، قال عليه الصلاة والسلام" من عمل بما علن وأورثه الله علم ما لم يعلم " .

فالكسبى : يؤخذ من صدور الرجال كما قال لى سيدى عبد العالى رضى الله تعالى عنه قبل مجيئى إلى الأزهر :" العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب " .

ووهى : وهو أنواع:

وأوله : ما كان بواسطة روح الواسطة بينه وبين عين الحقائق صلى الله عليه ويله وسلم ، وهو خفى وربما يخفى على الملتقى فضلا عن القارئ.

وإذا كان الفيض فى حال فربما خفى عن المريد المتلقى بعض ما كتبه إذا تنزل عن ذاك الحال ، وقد يكون مناما ، وقد يكون بين اليقظة والنوم ، وقد يكون كلاما بواسطة شراب أو طعام يقدمه شيخه له ن وقد يكون كالبذور فى أرض قلبه ،

وبحسب خصبها ينمو زرعها ، وقد يكون عن الشيخ يقظة بمشاهدة قلبية أو مشاهدة ظاهرية.

والثانى: الاتصال بالحضرة النبوية ، وهو اتصال عظيم يختلف باختلاف المقامات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُوما منا إلا له مقام معلومﷺ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُهم درجات عند الله ﷺ.

وبحسب الدرجات تتنزل الفيوضات ، وأعلاها درجة رؤيته صلى الله عليه وىله وسلم يقظة والسماع منه.

خرق الحجب

واعلم ياأخانا بارك الله فينا أن رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة تكون على طريق خرق العادة ، وذلك بعد أن تصل إلى رؤية ما وراء الجدار ونحوه ، ولا يكون بعين البصر ، وإنما يكون بعين البصيرة القلبية ، ويكون فى حال عجيب ، وعند احتجاجه صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا حضر صلى الله عليه وآله وسلم بمجلس ولم تحصل لك رؤيته ربما شعرت باهتزاز الأرض ، وذلك لك دون غيرك ، وربما شممت رائحة طيبة.

أقرب الطرق لرؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وفى الصلاة العظيمية ما يكشف لك كثيرا من مثل هذا ، فعليك بها إن أردت أقرب الطرق وأهونها عليك بهذه الشروط وهى:

1- أن تسبغ الوضوء مراعيا فضائله مع استعمال السواك.

2- صلاة ركعتين : الأولى بالفاتحة والنصر ، والثانية بالفاتحة والإخلاص.

3- بعد السلام تذكر ذنوبك وتنوى التوبة النصوح من جميع المعاصى ، ثم تتلو الاستغفار سبعين مرة والاستغفار الكبير سبع مرات ، ثم تتلو الفاتحة لشيخك وتشاهده بقلبك عن يمينك ثم تشاهد الحضرة النبوية أمامك.

4- ثم تتلو الصلاة العظيمية بقدر الاستطاعة وتفتح عينى قلبك عند قولك " تعظيما لحقك يامولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم".

ولا تزال تترقى ما داومت على هذه الكيفية ، وقد أشار إليها السيد الختم الميرغنى رضى الله تعالى عنه ، وقليل من هذا خير من كثير.

فلا تجعلن قولى هذا منك موضع الإهمال ، حتى يفتح الله لك ما تعسر من الأقفال.

واجتنب عند ذلك أكل البصل النيئ والثوم والكراث والفسيخ وكل ذى رائحة كريهة ، ولابد من حلق ما أمرت بحلقه ، والمسك اطيب ، وبخور المستكى التركى مع شئ من العود أو عود الند.

قال ابن النحوى رحمه الله تعالى :

وإذا أبصرت منار هدى

فاحذر إذ ذاك من العرج

لتكون من السباق إذا

ما جئت إلى تلك الفرج

فهناك العيش وبهجته

فلمبتهج ولمنتهج

وقد وقف بنا القلم هنا ، وسنرجع إن شاء الله تعالى فى ذكر مثل هذا إليك فى رسالة خاصة بالصلاة العظيمية.

قال شيخنا رضى الله تعالى عنه:

" فإنه وبال عليه إن دخل فيه"

قال سيدى الشيخ صالح الجعفرى: أى ذلك الأمر الممنوع شرعا .

والوبال : هو العذاب ، فتارة فى الدنيا والآخرة ، وتارة فى الدنيا ، وتارة فى الآخرة.

واعلم ياأخانا هداك الله وهدانا: أن مشايخ الطريق يقولون فى كلامهم :" تجمعنا الطاعة وتفرق بيننا المعصية " .

وأى وبال أشد على المريد من التفرقة بينه وبين شيخه؟

اعلم أن كل شيخ طريق مأذون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأصول الصوفية : تنحصر فى هذه الكمالات:

1- فناء فى الشيخ.

2- فإذا رأى منك قدمك إلى رسول الله صلى الله عليه ويله وسلم.

3- فإذا رأى منك النبى صلى الله عليه ويله وسلم الفناء فيه صلى الله عليه ويله وسلم قدمك إلى الله تعالى.

ثم سافر هذا الرجل إلى المدينة المنورة ومكث بها زمنا ، ثم رجع إلى بلاده ، وتوفى بها عام 1370هـ تقريبا عليه الرحمة والرضوان.

ومن الوبال على المريد إنكاره على شيخه المباشر ، أو على شيخه الذى فى البرزخ ، وعليه أن يسلم تسليما .

ثلاثة على خطر

سمعت من شيخى وأستاذى الذى هو كان سببا لى فى الخير الكثير أخذت عنه العهد منذ خمسة وثلاثين عاما وذكرت معه كثيرا ، وخدمته ولازمته ورأيت منه الكرامات والبركات. سلالة السبط سيدنا ومولانا السيد الحسن رضى الله عنه ، ألا وهو السيد محمد بن السيد عبد العالى ابن الإمام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

سمعته وهو شيخى وأستاذي السيد محمد عبد العالى الملقب بالسيد الشريف يقول : ثلاثة على خطر :

ابن الشيخ ، وزوجته ، وتلميذه المقرب إليه.

1- لأن ابنه يعتمد على جاه والده ويتكاسل عن العمل ، أما إذا اتبع والده نال حقين : حق العمل ، وحق القرابة.

2- والزوجة يخشى عليها مخالفة أمر الشيخ وغضبه ، أما إذا أطاعته فلها حقان : حق العمل بالأوراد ، وحق الزوجية.

3- والتلميذ المقرب من الشيخ ربما اطلع على عبادة الشيخ فاستقلها فى نظره ، أو يرى شيئا لا يعجبه فيظن سوءا فيهلك ، أما إذا أخلص للشيخ كان له حقان : حق الأوراد ، وحق الخدمة للشيخ"

انتهى كلامه.

وممن نال ذلك الخير الشيخ إبراهيم الرشيد تلميذ سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهما فإنه تتلمذ لسيدى أحمد ووالى خدمته حتى إن سيدى أحمد قبض ورأسه الشريف على حجر سيدى إبراهيم.

نسال الله أن يرزقنا رضا المشايخ ، وبصرف عنا شر غضبه أنه نعم الكافى القدير.

ومن الوبال فى الدنيا رؤيته لنفسه شيخا مع الشيخ قبل أن يأذن له.

سمعت حكاية عن بعض العلماء :

أن تلميذا للشيخ الغزالى رضى الله تعالى عنه صار يدرس بالبلد التى بها شيخه ، فحدثته نفسه بالخروج من تلك البلدة وأنه استغنى عن الشيخ. فركب السفينة وسافر ، ففى وسط البحر اضطربت الأمواج وتحركت السفينة ، فقال للبحر : اسكن يابحر إنما عليك بحر مثلك.

فمدت إليه سمكة من البحر رأسها وقالت له : ياأيها البحر ما قولك فى رجل مسخ هل تعتد عدة وفاة أم عدة طلاق؟

فسكت ولم يجب بشئ ، وقال لملاح السفينة : رد السفينة إلى حيث بدأنا السير ، فرجع إلى الشيخ الغزالى ، فقال له : ما الذى ردك من سفرك؟ قال : سؤال سئلته.

ثم ذكر له سؤال السمكة ، فقال له الشيخ الغزالى :

1- ننظر فيه أن كان مسخ حجرا اعتدت زوجته عدة وفاة.

2- وأن كان مسخ حيوانا آخر اعتدت عدة طلاق.

فرجع التلميذ ، فلما وصل المكان من البحر خرجت له السمكة ، فقال لها الجواب الذى سمعه من شيخه ، فقالت له السمكة :" ذاك البحر لا أنت"ا هـ.

وهكذا أن شاء الله كلما وقفت فكرتى سفينتى حتى يقال لى : ذاك من الشيخ لا منك.

إشارات خفية خطيرة

وهكذا فى الحال ما يغنى عن المقال ، وفى الإشارة ما يغنى عن العبارة ، وفى التسليم شراب التسنيم ، وفى المحبة شراب المربة ، وفى المشاهدة ما يغنى عن المجاهدة ، وفى مشاهدة ابن إدريس ما يغنى عن التدريس ، وفى ملاحظته تنزيل عبارته ، وفى خياله فيوضات مقاله ، وفى إكباره أسراره ، وفى لمعان أنواره وأحزابه فتح بابه ؟ وفى أوراده نفه أولاده ، وفى تكريم أولاده عين وداده ، وفى حب ابنه السيد عثمان ما يقربك من خمر الدنان.

وقد سلمنا له حاله ومقاله فاستفتح سماء العلو ، ففتح له ما عز على غيره ، فكان منا مكان القلب من الجسد ، فكشف له بحبه لشيخه ونال بانتسابه إليه الدرر الغوالى ابنه السيد عبد العالى.

وكم من مغترف ، وكم من سامع ، وكم من سابح فى بحره المتلاطم الأمواج المالئ للفجاج ، فعليك بالاتباع لهذا الشيخ عالى الهمم ، راسخ القدم حتى تذوق من مودته وتنال من بركته رضي الله عنه رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد صلى الله عليه وسلم من كنوز غيوب أسرار أوراد شيخه وبخدمتك له ما يسخر لك العوالم.

وقد نال ابن السنوسى من إخلاصه لشيخه الوراثة الجامعة للصفات المحيطة بجميع التجليات ، فقيل فيه كشيخه ذى الأفعال الأحمدية ، وهكذا جذب ابن الأهدل ، جذب الشيخ من مكة إلى اليمن فأكمل وهكذا جذب المجذوب ، ونال به ظافر فظفر ، واظهر الرشيد العجائب والعبر.

وهكذا كان السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، بحر علم زاخر ، وفيذ قدس طاهر ، مربيا ربانيا ، وطبيبا روحانيا ، ما غمدت أسيافه ، ولا أنكرت القرى أضيافه ، فإن الدليل فعليك بأوراده ؛ لتكون من جملة وراده.

فكم ورد عليك واردون ، وانتفع بعلمه السامعون ، وككم أحيا قلوبا فاستنارت ، وغلى سماء العلى طارت ، تلاميذه عارفون ، وأتباعهم أحمديون.

له فى كل زمان رجال تظهر ، وأسرار تبهر ، وعلامات نجمية ، ومدارك إدريسية ، تربيته لا تنقطع عن أحبابه ، ولهم موائد أنسه واقترابه ، له دول وجولات ، وجنود كالجبال الراسيات ، وكم عليه نعم من الله تترا ﵁ اعملوا آل داود شكرا ﷺ.

ومن الوبال على المريد اختلاطه بالمنكرين الذين كلامهم كالحجارة ، وان قلب المريد كالزجاجة " والزجاجة كسرها لا يجبر" فمن عرض قلبه لهم فقد عرض زجاجته للكسر.

واعلم يا أيها المريد هدانا الله وإياك لنوره التام ، وأدخلنا وإياك فى حضرة القدس التى لا يكدر صفوها بوجه من الوجوه : أن الآية فى اللغة هى العلامة التى تدل على الشئ المراد ، وهى إما قولية كآيات القران الحكيم ، وإما فعليه بلا واسطة ترى كالسماء والأرض ، وأما بواسطة كالمعجزات للرسل عليهم الصلاة

والسلام ، والكرامات للأولياء ، لأن الآية من القرآن العظيم دليل على وجود الله تعالى ، والسموات والأرض وما فيهن دليل كذلك.

والمعجزة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دليل على صدقه ، والكرامة من الولى دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

إذا علمت كلامى هذا علمت معنى قوله تعالى :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُوإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم ﷺ.

فجلوسك مع المنكرين وسماعك لقولهم حرام ، إذ أنت مأمور بالإعراض عنهم ، ففكر فى قولى هذا ولا تهمله فإنه نفيس أن شاء الله تعالى.

قال سيدى أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه: الأب أبوان:

1- أبو الروح.

2- وأبو الجسد ، وأبو الروح أفضل من أب الجسد ، وأراد رضى الله تعالى عنه بأبى الروح شيخ الطريق.

وأما أن كان الشيخ من العترة الطاهرة النبوية فيجب حبه لذلك زيادة على حبه لكونه شيخا .

وإنني أعجب بهذين البيتين للشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه:

جعلت ولائى آل طه فريضة

على رغم أهل البعد يورثنى القربى

فما طلب المبعوث أجرا على الهدى

ببعثه إلا المودة فى القربى

ومن الوبال على المريد انتماؤه للمدعين ممن يدعون الاجتهاد ، وينكرون على الأئمة رضوان الله تعالى عليهم ، وهم لا يعرفون القرآن ولا الحديث ولا علم الأصول فهم فتنة بين المسلمين ، وهم أضر على المريد السالك من المعاصى.

ومن العجب أن حالهم لا يعجب أحدا إلا الجهال وشركهم لا يصطاد إلا الجهال كما قال الشاعر: إن الطيور على أشكالها تقع.

ومن علاماتهم غبرة على وجوههم ، وأنهم من أهل الوجهين ، وبخلهم إلا على من يوافق قولهم ، وكثرة كلامهم بغير ذكر الله تعال ، وإظهار الحماقة عند الحديث معهم ، واحتقارهم لمن دونهم ولو كان أعلم وأشرف ، وكثرة غفلتهم عن ذكر الله تعالى ، وكثرة الرياء واعتناؤهم بكل ما يراه الناس ، وبغضهم للصوفية ، وإنكارهم عليهم ، وإنكار كرامات الأولياء ، واتخاذهم قولهم مهنة للعيش ، وعجزهم عند المناظرة مع أى عالم ، واحتقار جميع المسلمين وتضليلهم وتسفيه آرائهم.

فالمريد السالك فى طريق الله تعالى يحذر هؤلاء ، ويصحب الأخيار.

ومن الوبال على المريد أن تحدثه نفسه برؤية الحق سبحانه يقظة ، أو أن يرى نورا منه ، أو يسمع له كلاما ، أو يشم له رائحة.

كل ذلك مكن صفات الحوادث ومستحيل على الحق سبحانه وتعالى.

وإذا رأى نورا أو شم رائحة طيبة ، أو سمع صوتا بكلام طيب فإنه يكون ممن قال الله تعالى له: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن الذين يبايعونك أنما يبايعون الله ﷺ.

فكما أنه ناب عن الله تعالى فى البيعة لاستحالتها عليه تعالى بالكيفية المعهودة ، كذلك ينوب المريد السالك الذاكر من خوارق العادات ، أو أن يكون ملكا من قبل الحق سبحانه وتعالى ، أو أن العمل نفسه ينتقل إلى درجة الحس فتقوى الروح نوره وتشم رائحته الطيبة ، والله تعالى أعلم.

ومن الوبال على المريد الصادق تعلق حب الدنيا بقبله ، وذلك دليل على حياته الأولى النفسية العادية.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :" ها أنت حى إن كنت صادقا مت " يعنى ميولك إلى الدنيا وإلى شهواتها واغترارك بنفسك ، ورؤية عملك دليل على حياتك.

أن كنت صادقا فى حبك لله تعالى كن معه كالميت الذى ترك الدنيا وما فيها :

ومن الدلائل أن تراه مسلما

وفى حياتى قتلى

والمراد بالموت قطع النفس عن شهواتها كما ينقطع الجسم بعد الموت عن عيش الدنيا ولذائذها.

ومعنى الحياة أن تتغلب الروح على الجسد ، ويكون لها الحكم النورانى والتعليق الرحمانى.

جنود الهوى : فكانت العين تهوى النظر إلى ما تشتهى ، والأذن تهوى سماع ما تشتهى ، واللسان يهوى من الكلام ما تشتهى النفس ، واليد تتحرك على ما تأمر

به النفس ، والبطن والفرج إلى ما تأمر به النفس ، فهذه هى جنود الهوى للنفس الأمارة ، فإن تغلبت النفس على الروح واستولت على تلك الجنود كان الإنسان حيا بالحياة الحيوانية الشهوانية ، وان تغلبت الروح على الجسد كان لها الحكم على تلك الجنود ، فالأول هو الميت يعنى الشهوات ، والثانى هو الحى يعنى بالحياة الروحية الملكية ، قال ابن الفارض رحمه الله: فأهل الهوى جندى وحكمى على الكل.

فاستمع إلى تلك الغرائب لعلك أن تشهد بعض العجائب ، ففى الحزبين الأولين من أحزابنا ما يكشف لك عن سر كلامنا ، فجل فيهما بروحك حتى تموت نفسك ، وينقطع عن السوى أنسك ، ثم تموت وتحيا بها ، وتكسى ثياب القبول والبهاء.

فمن كلماتها ينهل عليك فرات عذبها المنهل ، من مناهل ما وراء المثل ، وقد جعلنا فيها ما أودعته ابن عربى فى مؤلفاته ، وابن الفارض فى منظوماته.

لا تثريب عليك أن تقرأ غير تلك الأحزاب. فقد جمعت لك ما حضر وما غاب.

هذه الكعبة ولكن أين الطائفون؟ وهذه عرفات العرفان فأين الواقفون؟ هذه يخرج منها للناس فأين الشاربون؟

واعلم أن لكل شيخ طريق عقاقير فى أوراده تصلح لأولاده السالكين طريقه ، فيها فيتامينات التقوية والتغذية ، وفيها بلسم الشفاء ، وفيها ما وصوله وهى روحه وريحانه.

ويقول سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه:

ياتارك وردى ما تنده بى.

ويقول:

واللى عرف شيخه يحميه ، واللى خدم شيخه من خمرته يسقيه.

ويقول: مريدى ينطق بريقى فى كل قصيدة.

ويتكلم عن شيخه رضى الله تعالى عنه:

سيدى وأبى وسلطانى

من البعد جانى يرعانى

كالطير حايم آه آه

وعلى المريد العاقل إذا سمع كلاما لأى ولى وصف به شيخه ايضا ولا يرى شيخه أقل من غيره بل يغتفر له تقديمه على أقرانه من أهل زمانه.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

وفى حياته قتلى.

فهما قتلان وحياتان ، فالقتل الأول قتل الروح ،وهو كناية عن تغلب النفس عليها. والقتل الثانى قتل النفس وهو كناية عن تغلب الروح عليها ، وهكذا شهداء المعارك.واعلم ياأخانا إذا أردت أن تدخل فى شهداء المعارك لتنال إحدى الحسنيين بإحدى القتلتين فى ميدان القتال ، فاقتحم ميدان الرياضة والعزلة

والانفصال ، فتحيا بإحدى القتلتين حياة الشهداء ، الذين هم أحياء بعد قتلهم وعند ربهم ، ولهم اتصال بأحبابهم ، ولهم فرح بهم وبقدومهم إليهم.

أما فى جنة عدنهم وإما فى مشاهدة ربهم ، ولكل أدراك وتوجه ، وانتباه واتصال وقرب ، وجذب وحب ، وامدادات وبركات ، ونفحات وخيرات.

وتهيأ ياعبد الله بروحك ، وأنصت بقلبك لما سيلقى عليك : ان حب الدنيا فى قلب المريد ﵁كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوتﷺ.

فحرك نسمات قربك الماحية لنعوتك. لتمحو معها بيوت عنكبوتك. فما حل إلهى فى بيت عنكبوت. لا ، والذى نفسى بيده حتى يموت ، فتخل عن سفاسف أمورك ، وانظر بعين قلبك إلينا وما سطرته يدك من سطورك.

﵁فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركابﷺ ، ﵁ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حسابﷺ. وان حجابك عنا رؤيتك لنفسك ، وغفلتك عن حظيرة قدسك ، وان سفاسف أمورك اشتغالك بدار غرورك أو ميول قلبك إليها لتغنى ، إذ كلما مال إليها مال عنا.

فلا ميول فى طريقنا لمن تذوق المعانى ، ودخل فى الميدان ، وظهرت له المرائى ، وصار هو المرئى والرائى ، وعرف ما لم يعرفه الغير ، وكان على جادة الطريق فى السير. عليكم بالأحزاب بعد تلاوة القرآن العظيم

فعليك بالأحزاب بعد تلاوة القرآن العظيم ، تتنزل عليك معانى أسرار السبع المثانى والحواميم.

ثم عليك بالأحزاب التى ما سطرها ولى فى أوراده ، ولا قدمها متقدم لأولاده ، فهى خطيبك الذى يهتز منبر قلبك لعظاته ، وشيخك الحاضر الذى تصغى بروحك لجواهر كلماته ، وغناك من فقرك ، وعلمك بعد جهلك ، وجندك الناصر ، وبأسك القاهر ، وسلطانك المجند ، وقصرك المشيد ، فإذا أهملتها فقد أضعت عزك ، وأوقفت سيرك ، وعطلت النجب واليعملات ، وحق لك أن تبكى عليك الباكيات.

وهكذا حال من ترك الأوراد ، واقتحم العقبة بغير زاد. وأدخل سيفه فى قرابه ، والعدو على بابه ، ونسى الحرب والمعركة ، ولم يذكر قوله تعالى : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واعلم ياأيها الإنسان إن أثمرت أشجارك بالورد . فبما أعطيناك من ورد ، وما شم منك من طيبها لا منك ، ومنا وإلينا لا عنك ، فلدينا بحار تعلو أمواجها ، ويعجزك عبور فجاجها .

أيها المريد أعنى على نفسك

فأعنى على نفسك بنفائس الأحزاب التى تطيب بها أنفاسك ، وتكثر حراسك ، وتزاد أنوارك ، وتطيب ثمارك ، ففكر فيمن وكلت إليه ، وكان معول سلوكك عليه ، نظراته تحييك ، وإمداداته تبقيك ، فحليهن به إذا وافاك ، وبإقباله عليك رباك.

وباقباله عليك رباك.

نعم قد أحالنا شيخنا إليه ،وأوقفنا بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتحقق به أهل الطرائق.

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

فأدر لحاظك فى محاسن وجهه

تلقى جميع الحسن فيه مصورا

ليست لحاظ الرأس ولكن لحاظ القلب ، لمن جلسوا على كراسى القرب.

فنظروا بالجميع ، إلى هذا الشفيع ، صلى الله عليه وآله وسلم.

نظروا بالجميع وما حققول النظر ، فكيف لو نظروا إليه بالبصر؟

قال البوصيرى رحمه الله تعالى :

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته

قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فايش تقول فى طريقنا هذا الذى مربيك فيه سراج العوالم صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنها لنعمة كبرى ومنقبة عظمى تتضاءل أمامها الجبال الراسيات ، وتغتبط درر معانيها البحار الزاخرات ، وذلك مما اختص به طريقنا رب الأرض والسماء ﵁يختص برحمته من يشاء ﷺ.

ومن الوبال على المريد نسيانه شيخه وتعلق قلبه بغيره وقراءته لأوراد غير شيخه مع ترك أوراد شيخه ، فيقال له كما قال سيدى عبد لبرعى رحمه الله تعالى :

آثرت غيرى على لكن

كما يدين الفتى يدان

أو أن يأخذ عهدا غير عهده بأن يدخل طريقا غير طريق شيخه ، أما إذا تحقق وكشفت له الحجب ورفعت له الرتب حتى صار يقول : أمرنا بكذا ، فلا حجر عليه إذ ذاك.

فيكون مثله كالمقلد إذا بلغ رتبة الاجتهاد.

فتارة يكون مجتهدا فى مذهبه الذى درسه ، وتارة يكون مجتهدا مطلقا .

قوله رضى الله تعالى عنه :

وهذه القاعدة هى أساس الأعمال والأقوال كلها ، فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه.

لأنها كالميزان الذى يبين المبهم ، فهذه القاعدة تبين للإنسان نتيجة العمل قبل الدخول فيه وتسمى النتائج التصورية وهى لا توجد لا عند من تحقق بهذه القاعدة.

لأنها تأمرك قبل العمل بفكرة ، تدخلك ميادين حضرة ، فيها نتائج الأعمال قبل الدخول فيها .

ثم هنا الإنسان إما أن يعلم فيرجع عن قبيح فعله لما علم ، وأما أن يعلم ولا يرجع ، وأما أنه لا يعلم فلا يرجع ، فالأول عاقل ، والثانى شبه مجنون ، والثالث مجنون.

فالذى علم سوء العاقبة من سوء العمل﵁فهو على نور من ربه ﷺ والذى علم ولم يرجع فهو كما فى قوله تعالى : ﵁ وأضله الله على علم ﷺ. ومن لم يعلم فهو ضال خاض مع الخائضين بلا علم ﵁وكنا نخوض مع الخائضين ﷺ.أى لا علم ولا عقيدة فهو منزل منزلة المجنون.

فمن جهل هذه القاعدة أساسا لهمله فقد فاز ، وأسس بنيانه على أساس متين﵁ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار ربه فى نار جهنمﷺ.

ومن تحقق فى هذه القاعدة كانت أحواله كلها على الكتاب والسنة ظاهرا بمراعاة الظاهر وباطنا بمراعاة الباطن.

والظاهر : الأعمال والأقوال.

والباطن : القلب، وفى الحديث : " ... ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " .

وكلام السيد رضى الله تعالى عنه يدخل تحت قوله تعالى :" إن الذين اتقوا إذا مستهم طائف من الشيطان" أى وسواس " تذكروا" أن الله ناظر إليهم ﵁فإذا هم مبصرون ﷺ سبيل النجاة ا هـ. جلالين.

قال سيدى صالح الجعفرى: " تذكروا " أى ذكروا الله مع وجود غفلة فنقلهم من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود حضرة ، فاطمأنت وجود حضرة ، فاطمأنت قلوبهم بعداضطرابها﵁ألا بذكر الله تطمئن القلوبﷺ.

فلما اطمأنوا شاهدوا ، فلما شاهدوا جاهدوا ﵁ وجاهدوا فى الله حق جهادهﷺ ، فلما جاهدوا واهتدوا ﵁ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلناﷺ ، فلما اهتدوا وعدهم الحسنى وزيادة ﵁ للذين أحسنوا الحسنى وزيادةﷺ.

فلما زادهم جعلوا حبه زادهم ، واشتاقوا إلى وجهه الكريم ودعوه بالغداة والعشى﵁ يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجههﷺ.

فإذا النداء الأقدس من الكمال الالهى المقدس : أين المشتاقون إلى ؟ فجفت جنوبهم المضاجع ونورهم لمع ﵁ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا

وطمعاﷺ ، فسهروا الليالى ، وأضاءوا كاللآلى ، وشمروا قانتين ساجدين وقائمين رضي الله عنه أمن هو آناء الليل ساجدا وقائماﷺ

فلما انسلخوا عن بشريتهم وتغلبت عليهم روحانيتهم ، فهؤلاء لا بد ان تكون أحوالهم كلها مبنية على السداد ، لأنها أحوال روحانية مجردة عن دسائس النفس ظاهرا وباطنا ، كصفة الروح فإنها نورانية ظاهرا وباطنا ، كذلك ما صدر منها أن يكون كذلك.

وقد نشأ الله المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة و والسلام على هذا الحال فلم يصدر منهم خلل ما بوجه من الوجوه.

وهذه الصفة فى الرسل عليهم الصلاة والسلام حقيقية وفى الأتباع وراثية.

وكذلك كل ما صدر من خوارق وعلوم ومعارف فإنها بطريق الإتباع والوراثة.

وكان من اجلهم وأوسعهم دائرة فى هذا المقام نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ربنا الى الناس كافة ، فجميع الورثة من جميع الأمم إلى يوم القيامة هم وراثه تابعوه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أجاد شيخنا الشفا القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حينما وكلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتولى تربيتنا ، وقد شاهد كثير من إخواننا ذلك إلى يومنا هذا .

فاختص الله الآخذين لطريقه المحمدى بالتربية المحمدية.

وكأن السيد لاحظ حين تلقيه الذكر الخاص به وأنه فيه الجمع بين الحضرتين وهو : لا اله الا الله محمد رسول الله. وكذلك فى قوله: واجمع بينى وبينه إلخ ، ما يزيد على التربية لأن الجمع والملازمة يزيدان على التربية.

فامتاز هذا الطريق فى أوراده بهذه الميزات المميزات له ، وأن صاحبه كانت له القدم الراسخة فى المتابعة المحمدية الظاهرة فى جميع أحواله ، فكانت الرابطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رابطة قوية متينة. وقالوا : إن كل مريد يرث من مقام شيخه محاله على قدر اجتهاده واستعداده ووثوق الشيخ به.

نقل ابن الأثير عن سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه أنه قال :" ان فى هذا الصدر لعلما لم أجد له لقنا لكن أصبت لقنا غير ثقة " ومعنى اللقن : الفهم.

قال مولانا العرف بالله تعالى الشيخ صالح الحعفرى رضى الله تعالى عن أجداده:

فالشيخ ينظر إلى ذكاء المريد وأمانته على الأسرار:وعدم اغتراره بها بعد ظهرها عليه ، ومراعاة الأدب مع الشيخ وحفظ مقامه ودرجته عنده ولا كان ليس بذاك. نعوذ بالله من ذلك.

كل ما يصدر من الشيخ غيث للمريد

واعلم ياأخانا هداك الله وهدانا : أن مثل المشايخ كالسحب تحمل رحمة الله المساقة لسقى القلوب المحمدية لتحيا بها الحياة الطيبة ، وأن رياح حبك وإخلاصك إليهم تسوق غيثهم إليك.

فرضاهم غيث ، ودعاؤهم غيث ، وأورادهم غيث ، وطعامهم غيث ، وشرابهم غيث ، واطعامهم غيث ، وخدمتهم غيث ، وتوجههم غيث ، وكلامهم غيث ، وثناؤهم عليك غيث ، وذمهم لك غيث ، وتأديبهم لك غيث ، وكل شئ حاصل منهم غيث.

فهئ نفسك لغيوث شيخك عسى أن تحيى ارض قلبك فتخرج من موت روحك إلى حياتها ، ومن غفلتها إلى التفافها ، ومن سجنها إلى إخراجها ، ومن قيدها إلى حلها ، ومن حرامها إلى حلالها ، ومن حلها إلى حرمها ، ومن حرمها إلى معرفة حرمتها ، ومن حرمتها إلى عرفات معرفتها ، ومنن معرفتها إلى فرط حبها ، ومن فرط حبها إلى حيرتها

كما قال سيدى ابن الفارض رضى الله تعالى عنه :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا

وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وبذلك تصل إلى ما وراء ذلك ، وتغيب عن ملك نفسك وجميع الممالك

وتفكؤ فى قوله تعالى : ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه﴾.

فتبحث بعد حياتك عن الحى ، وبعد فنائك عن الباقى ، فتدرك ببحثك كل شئ إلا الذى ﴿ليس كمثله شئ﴾.

فعند ذلك تكون حيرتك عبرة ، وجهلك حكمة ، وعجز قدرة ، وعدم إدراكك إدراكا.

ثم تفكر فى العرش العظيم وفى مكانه وزمانه فيرجع عقلك إليك عاجزا كليلا ، فكيف انت امام خالقه ومبدعه؟ قد أعجزتك روحك علما وهى بين جنبيك.

وهكذا عجزك عنها بين يديك دواليك.

فهل عرفت روحك ياابن التراب والسماء؟ أم وقفت عند جسمك الذى هو من طين من الطين والماء؟ وهل نظرت بعينك مقر رزقك وكيف ينزل عليك؟

فإذا عجزت عن شئونك فكيف تدرك من بيده الشئون ، وأمره بين الكاف والنون؟ فلا تحم حول الحمى فيقتلك الظما.

وفكر فى قوله تعالى : رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُوما رميت إذ ولكن الله رمى ﷺ ، فسبحان الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم.

تذكرت روحى كيف روحى فلم أجد

لروحى سبيلا والسبيل هو الوقف

فكيف لعقلى أن يفكر فى الذى

له العقل مخلوق كذا الروح والكيف

له الملك والأملاك والعز وحده

له الخير والإكرام والعطف واللطف

على العرش رب العرش لكن كقوله

وليس لنا من بعد ما قاله وصف

قال السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم :" حاسبول أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم" .

قال سيدى العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: جعل السيد رضى الله تعالى عنه: القاعدة الأولى كلها شرحا لهذا الحديث ، وغنه لشرح عظيم مطابق لمعنى الحديث.

فإذا رجعت إلى القاعدة من أولها علمت ذلك ، والله الموفق إلى سواء السبيل ، وهو حسبى ونعم الوكيل.

الفصل الثالث : حاسبوا أنفسكم

المحاسبة أنواع فيحاسب نفسه على الاختلاس ، وعلى الحرف فى القرطاس ، وعلى البرق إذا لمع ، وحمام الأيك إذا سجع.

وهل ذكرها البرق بريق الحمى

وسجع الحمام لدمع همى

وقول المهيمن : " إذ هُما" فالشئ بالشئ يذكر ، والذنب بالتوبة يغفر.

ويحاسب النفس على نفاستها وتكريمها ﵁ولقد كرمنا بنى آدم ﷺ ، وعلى تعليمها بعد جهلها ﵁ علم الإنسان ما لم يعلم ﷺ وعلى خطاها على الأرض وأين سارت ﵁ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﷺ وعلى غفلة حجبتها ، ونظرة سمتها ، وفى الحديث النبوى :" النظرة سهم مسموم من سهام إبليس " .

وعلى كلمة قالتها : لو مزجت بالبحار لمزجتها ، ألا وهى الغيبة التى أجمع العلماء على أنها من الكبائر ، ولا تجوز غيبة المسلم مطلقا على أى حال من الأحوال ، وهذا هو ظاهر الكتاب والسنة.

ويحاسب نفسه على تركها من العلم ما وجب ، وعلى المال ما اكتسب ، ومن أين طريقه ، ومن أين جاء وإلى أين ذهب؟

وعلى الموت إذا نزل بإنسان ، وهل ذكره ذلك موته وفراقه الأهل والإخوان؟
وعلى ما أنبتت الأرض من الزرع والزهور ، وهل ذكره ذلك البعث والنشور؟

وعلى النار إذا أحجبت ، وهل ذكرته الجحيم التى سعرت؟ وعلى رؤيته للحدائق والثمار ، وهل ذكره ذلك دار القرار؟ وعلى نظره إلى المبدعات والجبال الراسيات والبحار الطامحات ، والرتع السارحات ، والأطفال والأمهات ، والسفن الجاريات.

وهل تذكرت نفسه عند ذلك قوله تعالى :رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلامﷺ؟ ام ظن أنه على غفلته عن ذلك لا يلام؟ إذا كان كذلك ، فما الفرق بينه وبين الأنعام؟.

خلقك الله أيها الإنسان لتحاسب نفسك ، وتارة تهوى مع الهاوين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ثم رددناه أسفل سافلينﷺ ، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُومن يحلل عليه غضبى فقد هوىﷺ.

طريقنا كله حساب ومحاسبة

فعجل بحسابك ، قبل أن يعجل بذهابك ، فليس بعد الذهاب من الدنيا من رجعة ، وليس بعد ترك المحاسبة من فجعة.

واعلم ياأخانا أن طريقنا هذا كله حساب ومحاسبة ، واقترب ومراقبة ، لا سيما لمن واظب على الأحزاب ، ورتلها بالأسحار ، وع المشاهدة والتذكار ، وغلب عند تلاوتها روحه على جسده ، ويومه على أمسه ، وغائبه على حسه حتى تتلاشى أمامه الزائلات ، وترسخ فى قلبه الباقيات الصالحات ، حتى يكون قلبه ينبوع حكمة روحه المفاض عليها من فيض فيضان قدس معالم غيبها النازلة من رحيق مختوم ختم كلمات ربها.

فعليك ياعبد الله بالإكثار من قيامك وصومك ، وتذكرك فى قول ربك :﵁ وإنه لذكر لك ولقومكﷺ.

وعرج على الصلوات الأربع عشرة اللواتى بحرهن زاخر ، لعلك أن تحوز لتلك المفاخر ، وادخل بكليتك الروحية ، فى معانى كلماتها النورانية ، عساك ان تتصل بالنور اللامع فتستنير ، والسر الهامع فيسير بك إليه فى حضرة القدوس البديع.

فكم قد شرب من رحيقها شارب ، وكم قد اهتدى بهديها فى المشارق والمغارب.

وحسبك قول من أهديت إليه فيها ، فإنه أدرى بمعانيها ، وهو سيدى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حيث يقول فى فضلها :

" إن هذه الصلوات قد استوت على عرش الأنوار ، وأرجلهن متدليات على كرسى الأسرار ، تصلين فى كتاب الكمالات المحمدية بقرآن الحقائق الأحمدية ، قد طلعت فة سماوات العلى شمسها ، وارتفع عن وجه الكمال المحمدى نقابها ، وبحرهن فى الحقائق الإلهية زاخر ، ولهن فى القسمة من المعارف المحمدية حظ وافر ، خذهن غليك يامن أراد لأن يسبح فى كوثر النور المحمدى ، وجل فى عجائب معانيها يامن يبتغى الاغتراف من البحر الأحمدى ، تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات ، وتفسر لك بعض نقش حروف آياته البينات — والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم" .

قال سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه : قد جعل السيد أجمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه الصلوات الأربع عشرة مفتاحا لمن أراد أن يسبح فى كوثر النور المحمدى.

اعلم ياأخانا واسمع هذا بمسامع قلبك عساك أن تشرب من صافى وردك ، أن الله تعالى جعل فى الدنيا شمسا للنهار وقمرا لليل ، فأهل النهار يسبحون فى ضوء شمس نهارهم ، وأهل الليل يسبحون فى ضوء قمر ليلهم ، ويشترط فى إدراك نوريهما سلامة ما به الإدراك.

وجعل الله تعالى النبى صلى اله عليه وآله وسلم شمس نهار القلوب وقمر ليلها ، فمن شاهده بقلبه السليم الإدراك سبح فى كوثر نور شمسه وقمره صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أن من سبح فى ضوء شمس نهاره ونور قمر ليله تأتى أعماله كاملة كما ينبغى ، لوجود النور الذى يميز به ، كذلك الذى يسبح بقلبه فى كوثر النور المحمدى تأتى أعماله الدينية والدنيوية كاملة بالكمال المحمدى ، وهذا الكوثر النورانى هو المسمى بالسر السارى فى سائر الأسماء والصفات ، أعنى أسماءك فى درجاتك وخطوات روحك ، فتارة تسمى راضية ، وتارة تسمى مرضية... إلخ.

وصفاتك من قبض وبسط إلى غير ذلك ، فكل صفاتك وأسمائك تكون كاملة بسبحك فى كوثر النور المحمدى الذى به تكون نورا فترى كاملا مكملا ، ويناسبك فى هذا المقام الإكثار من الصلاة الكاملة لسيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه وهى :

" ياكامل الذات . ياجميل الصفات . يامنهتى الغايات . يانور الحق . ياسراج العوالم . ياسيدى يامحمد . ياسيدى ياأحمد . ياسيدى ياأبا القاسم . جل كمالك أن يعبر عنه لسان . وعز جمالك أن يكون مدركا لإنسان . وتعاظم جلالك أن يخطر فى جنان . صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يارسول الله . يامجلى الكمالات الإلهية الأعظم" .

سائلا بقلبك الاغتراف من البحر الأحمدى ، وإن أتمه وأكمله ما كان بعد رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ، وقد يكون بواسطة حال روحانى مع مشاهدة باطنية ، وتارة يكون من حيث يعلم المفاض عليه ، وتارة من حيث لا يعلم ، ولسعة مدد الفيض لا يدخل تحت حصر هذا الاغتراف المشار إليه.

وقد أخبر صاحب هذه الصلوات رضى الله تعالى عنه بأن من واظب على تلاوتهن ينال هذا الاغتراف ، فلا تكن مستريبا فيما لا ريب فيه ، عساك أن تغترف ما قدره الله تعالى لك مع الذين اغترفوا وكانوا هادين مهتدين ، ولها أربع عشرة صورة نورانية ، تزف بجنود حبك وإخلاصك إلى خير البرية صلى الله تعالى وآله وسلم.

خروج الأعمال المعنوية

فى صور حسية عند ترقى الروح

فإن الأعمال المعنوية قد تكون فى صور حسية ، فلا تغفل عن إشارتنا هذه لك فإنها نعمت الإشارة ، ولا عن عبارتنا فإنها نعمت العبارة ، ولا تكن ممن شغلته دروسه عن أنسه ، ويومه عن أمسه.

وما أشرت به إليك من أن الأعمال المعنوية تكون حسية ذكره سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى فى قوله:

بل يفعل ذلك بمجرد قيام هذه الصفة به ، وحكم هذا الإسم الإلهى عليه ، فإذا تحرك فى العبادات التى لا حظ للخلق فيها كالصلاة والصيام والحج وأمثال ذلك بل كل عبادة مشروعة وهو مستمد من هذه الحضرة فينوى فى عبادته تلك ما كان منها لا حظ للمخلوق فيها أن ينشئها ويظهر عينها بحركاته أو مسكه عنها إذا كانت العبادة من التروك لا من الأفعال فينشئها صورة حسنة على التمام والكمال ، لتقوم صورة لها روح بما فيها من الحضور مع الله بالنية الصالحة المشروعة فى تلك العبادة ، يفعلها فرضا كانت أو نفلا من حيث ما هى مشروعة له على الحد المشروع لا يتجاوزه لتسبح الله تلك الصورة التى أنشأها المسماة عبادة ، وتذكر الله بحسب ما يقتضيه أمره فيها تعالى ، ويزيد هذا العبد الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور لتتصف بالوجود فتكون من المسبحين بحمد الله تعالى ، إنعاما عليها وعلى حضرة التسبيح فيخلق فى عبادته ألسنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين فى الوجود .

جاءت إمرأة إلى مجلس شيخنا عبد الرازق فقالت له : ياسيدى رأيت البارحة فى النوم من أصحابك قد صلى صلاة فأنشأت تلك الصلاة صورة فصعدت وأنا إليها حتى انتهت إلى العرش فكانت من الحافين به ، فقال الشيخ: صلاة بروح؟!

متعجبا من ذلك ، ثم قال: ما تكون هذه الصلاة لأحد من أصحابى إلا لعبد الرازق ، يقول ذلك فى نفسه ، فقال لها : وهل عرفت ذلك الشخص من أصحابى ؟ قالت : نعم ، وأشارت إلى عبد الرازق الذى خطر للشيخ فيه ، فقال لها الشيخ : صدقت ، وأخذها مبشرة من الله.

" أخبرنى بهذه الحكاية عبد الله بن الأستاذ المرورورى بمرورور من بلاد الأندلس وكان ثقة صدوقا".

انتهى من الجزء الرابع ص 217 من الفتوحات المكية وهناك تمام البحث فارجع إليه إن شئت.

: واعلم ياعبد الله ما سيلقى عليك كشرح لطيف لكلام الشيخ الأكبر سيدى حيى الدين رضى الله تعالى عنه يقول: إن العمل الصالح إذا عمله المؤمن يجعله الله تعالى مخلوقا حيا يسبح الله تعالى كالملائكة الكرام.

اعلم أيها الأخ أن الإنسان فيه روح من أمر الله تعالى لا يتصل بها شئ من العمل إلا أحياه الله تعالى كما أحيا الجسم المتصل بذلك الروح ، وتمام حياة

الجسم تكون بتمام الجسم وسلامته ، والعمل يكون متصلا بالروح بواسطة الإخلاص الذى وصل به لروحه ، وإلا كان العمل كالجماد ، ولذلك أعمال الكفار وأعمال الأنعام سواء ، كما قال تعالى : ﵁إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ﷺ.

لان الأنعام ليسوا مكلفين ، فلا لوم عليهم فى موت أعمالهم ، ولان حياة الكفار روحية ، وحياة الأنعام حيوانية غير عاقلة.

وأنصت بقلبك لتلك الفائدة التى تجعل عملك حيا يسبح الله تعالى ، ولا تهملها فإنها غالية عالية.

فائدة أخرى

قال سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى فى النصف الثانى من الجزء الرابع فى الفتوحات ص 344 :

" كما أعطت النوافل أن يكون سمعك وبصرك ، فحقق فيما أبديته لك نظرك فإنك إذا علمت حكمت ونسبت ونصبت وكنت أنت أنت ، وصاحب هذا العلم لا

يقول أننى أنا الله وحاشاه من هذا حاشاه ، بل يقول : أنا العبد على كل حال ، والله الممتن على بالإيجاد وهو المتعال" .

قال مولانا سيدى صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: يقول لك الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه: لا تتهاون بالنوافل. فإن سوقها عند الله حافل. ولها شأن أى شأن. حيث جعلت الحق سبحانه لك سمعا وبصرا ياإنسان. فعليك بحافل سوقها بالليل إذا عسعس. وبالصبح إذا تنفس. وفى الضحى والأسحار. وفى البرارى والقفار. حتى يتحقق فيك معنى الحديث القدسى :" ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.. إلخ.

ولما كان ظاهر هذا الحديث يستحيل عليه تعالى أولته وقلت فيه بفضل ربى تعالى :

" كنت سمعه ... إلخ" أى كان حبى فى سمعه وبصره وجميع جوارحه ، لأن الحب القلبى إذا سرى إلى جميع الجوارح ، وزيادته تكون بسبب حب الله تعالى لعبده الذى يجعل الحب الإلهى ساريا فى جميع أجزائه.

فالمدار على حب الله تعالى لك لا على حبك له ، وبحبك له عبدته ، وبعبادتك له أحبك ، فلا تنس الحب وأسبابه ، واجعل نوافلك مدامك ، حتى تبصر مرامك.

قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

ونفلى مدامى والحبيب منادمى وهكذا توارد الأحوال ، عند تزاحم مقامات الرجال ، فلا تهملن جوادك عند السباق ، ولا يعوقك عن نهو ضك عائق سباق.

وأن تحاسب نفسك على قلقها وعدم صبرها على المكث فى المساجد التى هى بيوت الله تعالى ، وأعلمها أنها إذ ذاك تنال ثواب المرابط فى سبيل الله تعالى ، وهو الذى يكون حارسا بين الكفار والمسلمين.

قال عليه الصلاة والسلام :" وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط".

وأن تحاسب نفسك على عدم الرضا بقليل عيشك. وأنه يجب عليك الرضا بما قسم الله تعالى لك. قال تعالى :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنياﷺ.

والهم أن الله تعالى قسم المعيشة التى عليها القوام بين الإنس والجن والطير والوحش والحشرات والهوام والبهائم والأنعام والخيل والبغال والحمير والأرض والأشجار والأب والزرع.

وقسم أيضا الأنوار العلوية التى عليها قوام الملائكة والأرواح والكواكب والأعمال الصالحة ، وقسم أيض الأغيار والظلمات.

فمن وافق قسم عيشه قسم نوره كان عيشه نورا ، ولحمه نورا وعظمه تورا ودمه نورا ، وبصره وسمعه نورا ، وعقله نورا وكلامه نورا ، وبدنه نورا ورجله نورا وشعره نورا ، وعروقه نورا وجلده نورا ، وخاطره نورا ، وحاضره نورا ، وغائبه نورا ، وجميع حركاته وسكناته وخطراته وأنفاسه نورا ، وموته نورا وقبره نورا وبعثه نورا ، وعلى الصراط يرى نورا ، وفى المحشر يرى نورا. قال تعالى : ﷺ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهمﷺ.

" حكاية صحيحة " روى لى أن السيد عبد العالى رضى الله تعالى عنه عمل ببلدة الزينية بصعيد مصر " حولا " وهو المسمى شرعا صدقة على الميت ويسمى

فى مصر " بالمولد" لوالده سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس الشريف رضى الله تعالى عنه.

فكان السيد عبد العالى يقطع الخبز بيده ويقول:" إنى لأرى لهذا الخبز نورا".

وهذا الكلام من قبيل ما قدمته لك فى كلامى هذا ، وما أخبر به السيد فهو كشف حقيقى ، لأن سيدى عبد العالى رضى الله عنه يكفيه فضلا أن والده هو العلامة الشريف مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، وأن مربيه وأستاذه هو شيخ العلماء العاملين فى عصره ، والذى لم يخالف شيخه قيد شعرة سيدنا ومولانا الشريف السيد محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنه.

وقد يكون النور حسيا متفاوتا فى مرآه لاختلاف القابليات المدركة له ،كذلك النور المعنوى يختلف باختلاف المدركين.

وقد رأى سيدى عبد العالى الخبز نورا ، وغيره يراه خبزا ، وكلاهما قد طابق الواقع إبصاره ، فمن أبصر بعين قلبع أبصر نورا ، ومن أبصر بعين رأسه أبصر خبزا.

ولمنايبة ذكر " الحول" الذى يعمله سيدى عبد العالى لوالده رضى الله تعالى عنهما قد ظفرت بخطاب فى اليوم الثالث من كتابتى لهذا الموضوع.

وهذا الخطاب لسيدى عالم زمانه ، وإمام أوانه ، صاحب العلوم والكرامات ، والنفحات والبركات سيدى الرشيد الدويحى رضى الله تعالى عنه أرسله لتلميذ له يسمى إسماعيل غيره؟ ؛ لأن الخط الذى وجدته هو هكذا " إسماعيل البلياب" .

وهذا هو الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فمن عبد به إبراهيم الرشيد ، لطف به الحميد المجيد.

إلى الأخ المحترم المكرم ، والأعز الأمجد الأحشم ، الشيخ إسماعيل البلياب حفظه الله ىمين.

أما بعد .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نعرفكم بكتابكم الكريم قد وصل ، وفهمنا ما فيه وما عليه اشتمل.

أما من جهة أذكار الطريقة ، أعنى طريقة سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، التهليل والعظيمية والاستغفار الكبير.

وقال بعض الناس لسيدى أحمد رضى الله عنه: دلنى على من أسبق إلى الله تعالى ، فقال: عليك بالتهليل ، وسأله آخر فقال : عليك بالعظيمية ، وما يفضل عليها شئ فى الأسبقية إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى. والاستغفار وقت السحر. والتهليل وقدم على غيره.

والأنس يكون بحسب حاله ووقته ، فكل ما يفتح به الباب ويحصل منه زيادة الأحوال فى هذه الأذكار يكثر منه.

ومن جهة الأحزاب وحزب السيف فلكم الإذن فى قراءتهم.. ولكن الأحسن أن يكثر أولا من التهليل والعظيمية ، لأن الأحزاب لا تدرك معانيها ألا بعد الفتوح.

زمن جهة الحصون فالحصون التى فى الأحزاب يتحصن بها صباحا ومساء.

ومن جهة التسابيح الواردة فى السنة فكان سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه يشير إليها : سبحان الله وبحمده " مائة مرة" بعد الصبح إلى الطلوع ، وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، وثوابها كل مائة منها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة ، وهو عدد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر ، كذلك بعد الصبح إلى الطلوع ، وبعد العصر إلى الغروب " مائة مرة " . وثوابها بكل مائة كأنه أعتق مائة من ولد إسماعيل عليه السلام ، وكأنما حج مائة حجة ، وكأنما قرب مائة بدنه لله ، وكأنما ألجم فرس فى سبيل الله .

وان زاد : ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، ثوابها بلا حساب.

والفضل المذكور عن ذكرهما قيل الغروب وقبل الطلوع ، وإذا ذكرهما فى وقتيهما المذكورين يكون أزيد من ذلك موافقة للآية :

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُوسبح بحمد بربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبهاﷺ.

وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله إنه كان توابا " سبعين مرة " فى الصباح فقط بعد صلاة الصبح وثوابها سبعمائة حسنة.

ومن جهة ما ذكرت أن المريد إذا تلقى الذكر عن شيخه مع تركه محبة شيخه أو تركه رأسا ثم رجع إليه ، فإذا رجع فهو مقبول ولو من غير تجديد :" التائب من الذنب كمن لا ذنب له".

ومن جهة ما ذكرت من الأوراد الأخر من المسبعات وغيرها له الثواب ، ولكن الأفضل أن يلازم على أذكار أوراد شيخه ، لأن السر والمدد فيها.

ومن " الحول" فإنها أسلوب أهل الحجاز مع أن كل إنسان يصنع ذلك صدقة للميت على حول وفاته كل سنة وما يصنعه إلا أحب الخلق إليه ، ونحن ما أحد إلينا من سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه.

ومن جهة فضله لفاعله والمعين فيه والمنتسب فيه ، ومن حضره فشئ لا يحصى ولا تسعه كتابة الدفاتر ، ولا تسعه العقول ولا يسعه إلا الإيمان بالله تعالى.

ولفاعله اليد العليا عند سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ، لأن أهل الله أهل المروءة والكرم فيكافئون من صنع معهم المعروف بأضعاف كثيرة بحسب نقامهم.

ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وفى هذا القدر كفاية ، وشدوا حيلكم على التعاون فى الطريق ، وإدخال الناس فيه احصول النفع للمسلمين ، لأن أهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى حجرها والحوت فى البحر يصلون على معلمى الناس الخير ، والمتسبب فى الخير كفاعله ، وبلغوا سلامنا إلى كافة من يحوى مقامكم ، والسلام.

شرح الخطاب لسيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى

شرح خطاب سيدى إبراهيم رضى الله تعالى عنه " قوله " : وقال بعض الناس لسيدى أحمد رضى الله عنه : دلنى على من أسبق إلى الله تعالى ، فقال :" عليك بالتهليل ".

قال سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى وفقه الله تعالى : للشيخ الواصل للمريد يكشف عن حاله ، ثم يلقنه الذكر الذى يليق بحاله ، كالطبيب يعرف المرض ثم يصف الدواء الشافى له ، ولعل هذا السائل كانت نفسه أمارة ظلمانية ، فأمره السيد بالتهليل لتذهب ظلمته ويستنير قلبه ، فرضى الله عن سيدى أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس.

" قوله" : وسأل آخر ، قال :" عليك بالعظيمية وما يفضل عليها شئ ف الأسبقية إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى " .

قال لعل هذه السائل كانت نفسه نورانية فاستحقت الوصول ، فدله السيد بنفسه العالى إلى أفضل شئ فى الأسبقية ، وهى الصلاة العظيمية المختصة بطريق سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه ، ووجه الأفضلية الجمع به صلى اللع عليه وآله وسلم.

والعم يأأخانا أن الإنسان

- تارة يمزق الحجب بأعماله.

- وتارة باتصاله.

- وتارة يستصبح فى طريقه بتوفيقه.

- وتارة بتحقيقه.

- وتارة يرى أعباءه على نفسه ، فينقص فى أنسه ، وتارة يرى أعباءه على غيره فيغدق فى خيره ، ومتى اتصلت بسيد السادات ، فقد ضلت عنك المضلات ، وتنزلت عليك البركات ، ولم يحاسبك البواب.

" يدخل الجنة من أمتى سبعون الفا بغير حساب " .

فالداخلون جنة الشهود بغير حساب ، هم المتصلون بالنبى الأواب صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كانت هذه الصلاة العظيمية توصل تاليها وتدخله فى حضرة القدس بغير حساب ، فلازم عليها ما استطعت فإنها نعمت التجارة وقد ربحت.

" لطيفة " التقيت برجل صالح من الشام من ذرية سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله تعالى عنه يسمى السيد عبد الله النابلسى رحمه الله ، وذلك منذ عشرين عاما ، وكان مشهورا لأنه يعطى أحبابه أذكارا يذكرونها وفوائد تنفعهم ، فقبلت يده وقلت له : ياسيدى ، أريد منك فائدة ، فنظر إلى رأسى ثم إلى جميع جسمى ثم قال لى :" صل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم". وكنت رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك فأمرنى بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم رأيته صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك ، وامرنى بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

ومرة رأيته صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أقرأ الصلاة العظيمية فقلت له صلى الله عليه وآله وسلم: أصلى عليك بهذه الصيغة يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " بها وبغيرها ".

" وللمناسبة" لما توفى السيد عبد الله النابلسى وذلك بعد وفاة الإخوان من السودان : إن السيد عبد الله النابلسى يأتيك فى النوم فتحدث معه بما تريد ، واطلب منه فائدة لقضاء الحوائج.

وبعد العشاء قرأت له الفاتحة ويس ، ونمت ناويا مقابلته ، ففى أول منامى رأيت أننى أدخل باب غرفة ، ورأيت السيد محمد الشريف عبد العالى شيخى جالسا على سرير ، فقال لى بغضب ورفع يديه:" ماذا تريد من السيد عبد الله النابلسى؟ ألم نأذن لك بالأحزاب والأوراد؟ مثل هذا كثير عند والدى" فاستيقظت من منامى وأنا فى تعجب من أمرى هذا .

قوله :" والأنس يكون بحسب حاله ووقته" .

قال القطب الغوث سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه: الأنس بالذكر التلذذ به ، ووجود حلاوته فى القلب يكون بأمرين:

الأول: حال الروح ، وهو الصفاء الذى يمون عند التلاوة كالذوق عند الطعام.

والثانى : الوقت المناسب كضوء النهار عند القراءة ، فكما أن الأحوال تتفاوت كذلك الأوقات تتفاوت.

وقد جعل سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حيثما كان باليمن ثلاثة أوقات للدروس ، وقتا بعد الإشراق إلى ارتفاع الشمس ، ووقتا بعد العصر ، ووقتا خاصا بعد العشاء.

ومن أفضل الأوقات السحر لا سيما للاستغفار. قال تعالى : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والمستغفرين بالأسحار صلى الله عليه وسلم.

وعند نزول المطر وعند بكائك وخشيتك وغير ذلك ، ولا سيما وقت التجلى الذى أنت تدريه.

قوله :" فكل ما يفتح به الباب ويحصل منه زيادة الأعمال فى هذه الأذكار يكثر منها".

يقول هذا الكلام الذى ذكره سيدى إبراهيم الرشيد رضى الله تعالى عنه ليس للمبتدئين بل للسالكين الذين وصلوا إلى الأحوال وهم يسمون أرباب الأحوال.

أما المريد المبتدئ فيلقن الأوراد عن شيخه على حسب التقسيم المروى عن صاحب الطريقة ، فلا يخالف المريد ذلك التقسيم الدورى للأحزاب والمحامد والصلوات ، فإذا أراد زيادة أوراد لفراغ عنه فليراجع شيخه حتى يأذن له بما يناسبه.

: والذى أوجه إليه المريد بعد فراغه من أوراده:

أن يتعلم ما تيسر من كتاب الله تعالى.

ومن الفقه الذى يصحح به عبادته.

ومن علم التوحيد ما يصحح عقيدته ، حتى تقوى شريعته التى عليها مدار حقيقته.

قوله:" لأن الأحزاب لا يدرون معانيها إلا بعد الفتوح" .

الفصل الرابع : الروح

غذاء الروح

الشيخ صالح الجعفرى : صدق صاحب العلم المفيد سيدى إبراهيم الرشيد رضى الله تعالى عنه ، لكن ذلك لا يمنعه من قراءتها ، لأن الأحزاب فيها غذاء للروح فهى كالغذاء والمريد المبتدئ كالطفل ، فالطفل فى أول أمره لا يدرى بالغذاء ، ولكن الغذاء يقويه شيئا فشيئا حتى يأتى عليه زمان يدرك فيه الغذاء وأسماءه وأنواعه ، وإذا درس علم النبات ربما أدرك ما احتوى عليه الطعام من خضروات ، وإذا درس علم الطب أدرك ما فيه من المقويات.

كذلك الأحزاب تقوى الروح حتى تدرك من معانيها ما على وفق قوتها وعلمها وصفائها ، فالأحزاب تدرى بالأحزاب ، وباقى الأذكار تقوى الروح على الإدراك ، ولكل ذكر فائدة وخصوصية ، فمثل الأذكار كالفواكه المتنوعة تحمل للجسم أغذية مختلفة بها تتكامل قواه ، كذلك الروح مع الأذكار المختلفة.

قوله :" ولكن الأفضل أن يلازم على أوراد أذكار شيخه ، لأن السر والمدد فيها ."

يقول : قد تقدم هذا البحث عند قصة الشيخ أحمد الجيلانى الجزائرى فى هذا الكتاب.

وقول الشيخ الرشيد رضى الله تعالى عنه :" لأن السر والمدد فيها " ظاهر لمن كشف الله عن بصيرته.

الخير كل الخير فى أوراد الطريق

اعلم أن أوراد الشيخ فيها خيرات كثيرة من أهمها السر والمدد ، فالمدد هو عبارى عن أنوار الذكر المأذون فيه تمد به الروح لتقوى وتتهيأ للتجليات.

والسر هو ما يحصل لها من الكشف بعد ذلك.

- فالمدد فى الأوراد يتوقف على شيئين : الشيخ والاذن.

- ويتبعهما شيئان:الاستقامة والاجتهاد.

- ويتبعهما شيئان: حب للشيخ وعدم اتخاذ شيخ آخر معه.

وينشأ عن ذلك شيئان : المدد والسر.

وينشأ عنهما شيئان: انفصال واتصال.

- وينشأ عنهما شيئان التخلى والتحلى.

- وينشأ عنهما شيئان الكشف والشهود.

- وينشأ عنهما شيئان الوجد والحال.

- وينشأ عنهما شيئان القرب والتلذذ.

وينشأ معهما شيئان كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان. وعند ذلك تفوح أعطاره ، وتلوح أنواره ، وتظهر أخباره ، وتكثر زواره ، وتكثر رقائقه ، وتتزاحم حقائقه ، وينطق بالحكمة وينفع للأمة.

قال ابن الوردى رحمه الله تعالى :

لا تقل قد ذهبت أربابه

كل من سار على الدواب وصل

قوله:" الحول" قلت: ويسمى الحولية والمولد والميعاد ، وهو عبارة عن صدقات تقدم للميت تصل إلى الميت باتفاق فى أى وقت كان. وليس بلازم أن تكون الصدقة فى وقت معين بل هى تتصل فى جميع الأوقات ، وقد تصدق سيدنا سعد رضى الله تعالى عنه على أمه بحديقة له فأوقره النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمره أن يتصدق عليها أيضا بالماء ، وهذا الحديث فى الموطأ والبخارى وغيرهما .

وقد وفى الكلام على ذلك شيخنا حبيب الله الشنقيطى فى شرحه على " زاد المسلم" .

واعلم أن كل ميت يعلم بالصدقة المتصدق بها عليه ، ويعرف صاحبها وهى إحسان عظيم ، والجزاء عليها من الله تعالى عظيم.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قوله :" ونحن ما أحد أحب إلينا من سيدى أحمد بن إدريس ؤضى الله تعالى عنه".

: هذه الجملة الطيبة ذات القول السديد لم ينفرد بها سيدى إبراهيم الرشيد ، ولكن قالها سيدى الختم السيد محمد عثمان ، وقالها سيدى محمد بن على السنوسى ، وقالها سيدى محمد بن سليمان الأهدل مفتى زبيد ، وقالها كل من أخذ عن سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه ، وكل من أخذ ورده إلى يومنا هذا رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

ومعنى هذه الكلمة : لا احد أحب إلينا بعد الله تعالى وبعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أهل بيته رضى الله تعالى عنهم وبعد أصحابه رضى الله تعالى عنهم من سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه. اللهم انفعنا بمحبته وإخواننا أجمعين آمين.

ولنرجع إلى كلام سيدى أحمد بن إدريس فى ثنائه على صلواته :

قال رضى اله تعالى عنه:

" تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات ، وتفسر لك بعض نقش حروف آياته البينات" .

كتاب الحقائق المحمدية هو الذى وصل إليه العارفون بمعرفتهم بعد أن كشفوا الحجاب بمهمتهم ، فاتصلوا بعين الحقائق ، فأملى عليهم من بديع الدقائق ما عز على عقولهم الوصول إليه إلا به ، فتعرفوا إليه به فى عالم ماوراء الحس من غير ريب ولا لبس ، كما تلقاها شيخ المشايخ عن صاحبها ، فصارت بديعة فى عجائبها .

فتارة تسمع " قوة الحوقلة " ، وكفاية الحسبلة ، ورحمة البسملة " .

إذ لولاه صلى الله عليه وآله وسلم ما نفعك شئ من هذه الأذكار ، فالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم هو السر الذى به تصل إلى منافع الأذكار والعبادات.

وتارة تسمع :" اللهم صل على الكمال المطلق والجمال المحقق" .

الكمال المطلق المدرك لأهل حضرة الإطلاق المشاهدين لمن ليس معه لباب إغلاق. والجمال المحقق عند المتحققين بحقائق العلم. كأمثال السيد الختم رضى الله تعالى عنه حيث يقول:

علمه منه العلوم منه العلوم

كعيون من بحور تمتلا

وللمشاهدين حقيقة الجمال كسلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه حيث يقول:

بجمال حجبته بجلال

هام واستعذب العذاب هناكا

وترة تسمع :" ياعين حياة الحسن الذى طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات".

البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله:

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

فمن تعرض لهذه الرشاشات أدركته ، ومن اكثر من هذه الصلوات وصلته.

فعليك ياعبد الله بالإكثار من صلواتنا هذه فإنها ميزاب الرحمة التى تتنزل على قلبك بإذن ربك فتحيا حياة طيبة يطيب عيشك بطيبها ، وتلتقى روحك بحبيبها.

فأفق من غفلتك لفائق أنسك ، وشمر عن أرض جسمك لحضرة قدسك ، فبصلواتنا هذه صلة روحك بروح من أمر الله ، فلا تغفل عن ريحانها الذى فاحت أعطاره ، ولا عن بدرها الذى لاحت أنواره ، ولا عن معانيها التى تترجم عن بديع مبانيها ، فأبن روحك عن نفسك وابن من لبن مبانيها بيتا أساسه" لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله".

فابدأ بالصلاة الأولى موليا قلبك شطر قبلة القلوب ، صلى الله عليه وءله وسلم ، كساكن صبيا وساكن جغبوب ، فكم رفعت لهما أعلام عز عزت ، وكم تليا للصلوات ، وبركاتهما لأحبابهما عمت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثانى

القاعدة الثانية : الإخلاص

قال سينا ومولانا أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه آمين:

أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى فإن صحح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه ممن كل شائبة لغير الله ورسخ فى هذه القاعدة قلبه صار لا يتكلم ولا يفعل إلا عن تثبت وتأن ، وصارت أعماله كلها خالصة لا مخالطة فيها بوجه من الوجوه ، وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم ، وحبيبه الأكرم ، صلى الله عليه وآله وسلم : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجههﷺ أى لا غيره فى جميع

أمورهم. وقال عز وجل: ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى * ولسوف يرضى ﴾.

تجلى الأفعال

.

" أن لا يفعل فعلا ولا قولا حتى يقصد به وجه اله تعالى ".

الصادر عن الإنسان أما أن يكون قولا وأما أن يكون فعلا ، وللنفس عندهما حركات وأحوال تمحى وتتلاشى عند التجلى المسمى عندهم بتجلى الأفعال ، وهو أول تجل يحصل للمريد فى أول أمره ، وبه ينفى عن نفسه نسبة الإيجاد التى هى منشأ الرياء والسمعة.

فإذا تمكن فى هذا المقام رفعت عنه التبعات والملامة ، ولا يضع قدمه فيه إلا بالإخلاص لله تعالى ، وهو أن يقصد بعمله وقوله وجه الله تعالى ، فإذا قصده وجده ، وإذا وجده عبده ، وإذا عبده قربه ، وإذا قربه تجلى عليه بتجلى الأفعال ، المنقذ له من الأباطيل والأوحال ، لأن العمل كالراحلة الموصلة إذا وجهت إلى

الجهة المقصودة وصلت ، وإذا وجهت إلى غيرها كلما سارت ابتعدت ، فلا تجعلن عملك المقرب مبعدا ، ولا قلبك لما فيه ممن اليقين مفندا ، إنما إخلاصك من يقينك ،وإن يقينك هو عين دينك.

قال عليه الصلاة والسلام :" اللهم إنى أعوذ بك من الشك فى الحق ". ومن ذلك الإخلاص الذى أوصى به السيد ابن إدريس رضى الله تعالى عنه.

العم يامن هداه الله إلى دينه ، ومن عليه بعين يقينه ، أنك إذا أخلصت لله تعالى فى عملك ، وأقبلت عليه بقلبك ، أقبل الحق سبحانه عليك. وإذا أقبل عليك صارت الدنيا والآخرة كأنهما بين يديك. وتغلبت روحك على جسمك فبرزت. وأنوار أقوالك على عيونا إلهية للتجلى. وتأهبت روحك للتخلى. ورددت قول ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

مذ صار بعضى كلى

فصرت تسمع القرآن منك لما تكرم عليك ورضى عنك. وجعل لسانك ممرا للوحى الإلهى المنزل على القلب المحمدى. وجعل قلبك مهبط الفهم الربانى. ومحل التنزل لذلك السر الخفى. فقلت ما قاله ابن الفارض الصالح الولى :

ولاح سر خفى

يدريه من كان مثلى

وكلما خرقت العادة فى إخلاصك ، أطلقت من وخيم أقفاصك ، حتى تصل به إلى ما وصل المخلصون ممن تجلى عليهم الحق سبحانهبنعمة الإخلاص السارى فى السر السارى ، وبه يفتح لشعاع شمسه فتضئ جوانب قلبه. فيشاهد رئيس حزب الله مع حزبه. ﵁أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﷺ.

والعمل كالجسم والإخلاص فيه كالروح ، فعمل بغير روح ما عليه نور يلوح ، ولا منه طيب يفوح ، فاسبق ياأخانا أشجار ورودك بالإخلاص الذى فى وردك كى تحيا أشجاره ، وتفوح أعطاره ، وتغرد على أفنانه أطياره ، فتطربك نغماتها. وتحركك إلى الملأ الأعلى غريب لغاتها. فتهتز منك الروح طربا ، ويدهش العقل

عجبا ، عند رفع أسنار غوامض دقائق حقائق خفيات أمور عز على القلم تسطيرها ، وقلبك ترجمانها وخبيرها . فسله عنها . فإنه لا يسلو عنها . وسله عن الاخلاص واين مقره منه ، إذ به قد قرت عيناه. وعظمت جدواه. واهتزت أرضه وربت. وأحبت وعشقت. ولبت فأنبتت ما حير الأفكار الوصول إلى جنى ثماره. والوقوف على دقائق أخباره. والنظر إلى وامض برق أنواره.

وهل عرفت الإخلاص حتى تطلبه؟ فإذا طلبته وجدته ، وإذا وجدته أعجزك حصره. وحيرك سره. فكيف تخلص لمن خلق إخلاصك. وبيده خلاصك ، أم كيف تقصده بالعمل وقد خلقه وأبداه؟ وكونه وبراه. ويعلمه ويراه قبل أن تفصده به وتخلص له فيه. فواعجبا ثم واعجبا ممن قصد به غيره وليس لغيره فيه ذرة بوجه من الوجوه. ولذلك قال بعضهم:

" الإخلاص أن لا ترى الإخلاص"

ومعناها من ضمن الإخلاص لله فى العمل والقول أن لا ترى إخلاصك منسوبا إليك خلقا وإيجادا ، ولا أنت الذى سقته إليك حيث وجدت استعداده ،

فهذا القائل يذكرك بكلامه أن المهيمن هو الله تعالى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعضهم يقول: الإخلاص أن تقصد بعملك وجه الله تعالى. قاله النووى رحمه الله تعالى ، ويقال لصاحب هذا القول كيف يقصد من لا قصد له؟! وكيف نسب من لا عمل له؟! فإن قال عملت فما أخلص. وان قال قصدت فما أنصف. فكيف الوصول إلى الإخلاص ياأهل الصفا؟! قالوا: هو لمن صفا وتبرأ من الحول والقوة وأنصف وغاب عن إخلاصه وعمله. وعن تفكيره وأمله فيما هو أعز وأرقى ، حيث طلعت شمسه وترقى ، فصار ليليه كنهاره. وأضاء ليليه بأقماره. واستشهد بالنجم حيث سهر وقال:

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى

جفنى وكيف يزور من لم يعرف

وتلذذ بخطابه حيث وقف على بابه.

وقال له ما قال. وهو فى مقام الأنس والدلال. نادته الجنة وحورها فأعرض عنها. ونادته النار فما خاف منها. وظهرت له الدنيا فما مال قلبه إليها. وتيسرت له الأسباب فلم يعول عليها. وصار هو فى أمصاره كسكان البوادى. هاجرا للمحافل والنوادى. راضيا وحده بأنيسه. تائها بدندنته مه جليسه. قال عليه الصلاة والسلام:" حولها ندندن".

فقال أهل الظاهر : حول الجنة الزكية.

وقال أهل التصوف: حول الحضرة العلوية ﵁ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﷺ. فهلا استبقت مع المستبقين ، أم كنت من النائمين ، أم لعبت بالدنيا فألبستهم ثوب الخيلاء ، وتسلط عليهم إبليس فأمر فيهم ونهى. ﵁ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﷺ. فهل قارنت بين الحزبين ، أم تجاهلت المقارنة لوضوح الفرق. أم التبس عليك الأمر حتى قلت: لا خلاف ولا فرق. وكيف يدرك الفرق من فقد البصيرة ، وهو يدرك بها لمن ظهر نور بصيرته. فكان له دليلا بعد حيرته. فوصل إلى علم بعد جهل.

وإلى عدل بعد ظلم. وإلى عنى بعد فقر.

واعلم أن هذه الثلاثة التى ذكرها السيد أحمد رضى الله تعالى عنه وهى:

- الأولى: صحة القصد لوجه الله تعالى.

- والثانية: غسل القلب من الشوائب.

- والثالثة: الرسوخ ، فهى أوتاد تلك الخيمة التى سترى عجائبها ، وتعرض عليك غرائبها ، وفكر كيف السيد رتبها بهذا الترتيب؟!.

وذلك أن مثل هذا التوجه والغسل والرسوخ كمن قصد زيارة السلطان ، فإنه إذا صح اغتسل ونظف ثيابه للمقابلة ، فإذا وقف أمامه رسخ وثبت ، واعلم يامن توجه إليه فؤادنا ، وخاطبناه بروحنا: أن المريد إذا قصد بعمله وجه الله تعالى خرجت روحه من جسده. وهذا هو غسلها حتى تتلقى مشاهدة من تلاشت أمام كنه ذاته العقول. بمصباح من أمره لا مادة ولا أفول ، فتسقى فى حضرة أنسه ما فى وصفه ابن الفارض رضى الله تعالى عنه يقول:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى

ونور ولا نار وروح ولا جسم

وبهذا الشرب الذى تشرفت بشاربيه البرازخ ، يكون الكريد مريدا ، ويوصف بالثابت الراسخ ، والحذر ثم الحذر من الزلل بعد الرسوخ فى طريق الله ﵁ فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﷺ فما زل من عرف ، ومن عرف ما انحرف.

وسبيل الله تعالى كتبه ورسله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام ، وأولياؤه وعلماء شريعته العاملون العارفون رضى الله تعالى عنهم ، فمن دعا إليهم دعا إلى الله ، ومن صد الناس عنهم صد عن سبيل الله ، لأنهم يبلغون الخلق عن اله بطريق الوحى أو بطريق الوراثة أو بطريق الاستنباط الناشئ عن كمال الوراثة والاتباع ﵁ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﷺ.

قال صاحب العلم النفيس سيدى أبو العباس العرائشى مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى اله تعالى عنه:

" وصار لا يتكلم ولا يفعل فعلا إلا عن تثبت وتأن".

فلما رسخ قلبه ، زال عيبه ، وسمى قلبه ثابتا فصار لا يصدر عنه شئ إلا وهو مصحوب بالثبات كاللقمة الخارجة من العسل لا تخرج إلا وهى ممزوجة بالعسل وكالثوب الذى يوضع فى صندوق فيه عطر إذا لبسته شم منه رائحة العطر ولهذا قيل:" كل قول برز وعليه كسوة القلب الذى برز منه" .

ويؤخذ من كلام شيخنا السيد أحمد رضى اله تعالى عنه أن الفعل كذلك. ومعنى الثبات: هو ثبات القلب عند مشاهدة الحق سبحانه وتعالى عن أن يرى فيه ما لا يليق بمشاهدته تعالى.

" حكاية" كان الشيخ حجة الإسلام الغزالى رضى الله تعالى عنه يدرس الفقه فوصل إلى باب الحيض ، فوقف يصلى إماما وفكر فى باب الحيض الذى سيقرؤه ، وكان له اخ عابد يصلى خلفه فكشف له عن ذلك فخرج عن الصلاة.

فيجب على الصوفى العارف أن يكون ثابت القلب عند المشاهدة الإلهية عن الحركوة القلبية إلى الغير أو التفكير فى أى شئ سوى هذا الحال ، وفى الحديث :" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" .

والعمل والقول اللذان يكونان عن تثبت ورسوخ هما مثبوتان فى سجل الثابتين.

قال الله تعالى : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والقول الثابت يتبعه العمل الثابت ، ومن ثبت عند القوم على القول والعمل ، حفظ من الآثام والزلل :

فحقق ثباتى ياإلهى وإن أمت

وجدت ثباتى عند قبرى وبعثتى

وشيخى هو ابن إدريس بحر موارد

جليسى أنيسى بل إمامى وقدوتى

فإن غاب عن عينى فما غاب حبه

وما غاب عن روحى ولا عن بصيرتى

عليه رضاء الله ثم أمانه

وروح وريحان وأزكى تحية

وآل وأصحاب وكل من انتمى

إلى ورده السامى لدى كل أمة

قال سيدى صاحب العلم النفيس مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه:

" وصارت أعماله كلها خالصة لا مخالطة فيها بوجه من الوجوه".

الأعمال تشمل الأقوال كما فى قوله تعالى : ﵁والله خلقكم وما تعملونﷺ. لأنه لما ثبت ورسخ أخلص إخلاص العارفين وذاق شراب الثابتيين فأحياه الله بالإخلاص.

وهذا يكاد أن يدخل بالتلويح فى مقام شهود ثبات صاحب العلم النفيس ، سيدنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه حيث يقول : " حتى لا تتصرف لى جارحة إلا بإذن صريح".

: وهذا الإذن لا بالأذن يسمع ولكن لمن علا نوره مناره فصار فى مقام الجمع يجمع ، فانتقل بالوداد ، من واد إلى واد ، وتنزلت عليه واردات الأوراد. فوقف وقفة وراء الوراء ، وهناك الإذن الصريح لأهل النداء.

قد صفا وقتنا وراق الشراب

وتجلت لنا وزال العتاب

وسمعنا من الحبيب الخطاب

ولذلك صار لا مخالفة فى أعماله بوجه من الوجوه ، لماترك جميع الوجوه لوجه واحد ، وشمر فى مقام الشهود عن الساعد ، واستعان بمن أخلص له عن كل معين وسائد ، فهجر الوسائد ، وصنوف الموائد ، فنادته من الجنة قصورها ، وحيته من خيامها حورها ، ففر إلى منى ذات الخيام ، فذكرته خيامها الخيام ،

فساق إليه ريح الجنة نحو مسجد الخيف روائح ، وذكر المطية على الصراط لما رأى من الهدايا الذبائح ، فإنها تذكر الأضاحى لمن أضحوا مضحين ، وكأنها سارت بهم على الصراط إلى دار المتقين.

وذكرته القبة التى فى وسط الخيف النبى الأنور صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه نزلت عليه فيها سورة الكوثر. وتذكر الخليل ورؤيته. والذبيح وقصته عليهما السلام. وهكذا تنفع المؤمنين الذكرى. فذكر المؤمنين ولك البشرى.

واعلم يامن أحبنا فى اله الأكرم ، وفقك اله للعمل بما تعلم ، لا تجعلن حجاب نفسك ساترا لك عن طهر قدسك ، ولا تقوينه بكثرة طعامك وشربك.

تلاوة القرآن تفتح لك الأبواب

ولقد كان لنا فى تلاوة القرآن أجل تمزيق لتلك الحجب ، وأسرع ما يكون فى رفع الرتب ، فلا تجعلن كلامى هذا منك موضع الغفال ، ولازم تلاوة القرآن تفتح لك الأقفال ، فما وجدنا أسرع للفتح منه لمريدنا ممن عرفناه وعرفنا .

واعلم ثم اعلم وافتح مسامع قلبك لما سيلقى عليك ، أن لكل حرف من القرأى نورا وعلما وسرا ولطفا وخيرا وبرا ونصرا وكشفا ووجدا وقربا ونصحا وحبا وثباتا ، ويثاب التالى بكل حرف عشر حسنات.

فإذا تلوته حركت غيث حروفه جميعها فيهطل عليك نفيس نفائس جواهر باهر ما فيها ، فتتلاشى أمامه الدنيا ومبانيها ، فهو إمامك المبين ، وجليسك الأمين ، يبين لك ما أبهم عليك ، ويفتح باب الخيرات إليك ، دواء قلبك إذا سقم ، وأرحم بك من كل قريب ورحم ، وهو المدافع عنك أمام الأهواء إذا عصفت عواصفها ، ويصف لك سبل نجاة عز واصفها ، وهئ نفسك عند تلاوته لما هو أعظم ، وسلم عند متشابهه وقل الله تعالى أعلم.

قال سيدى الشفاء سلالة خاتم الأنبياء صلى الع عليه وآله وسلم مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

" وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لحبيبه الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :﵁ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجههﷺ أي لا غيره فى جميع أمورهم.

استدل السيد رضى الله تعالى عنه بهذه الآية على ما قدمت لك فى هذه القاعدة الثانية ، ثم فسر وجه الدلالة بقوله :" أى لا غيره فى جميع أمورهم ".

ونفعنا به آمين : معنى الأمور: الأحوال ، وهى إما أخروية وإما دنيوية ، فالأخروية تسمى عبادات ، والدنيوية تسمى عادات.

والعبادات يثاب على فعلها ، والعادات قد يثاب عليها بالنية كمن أكل الطعام ونوى به التقوية على الطاعة ، وكمن لبس الثوب ونوى به ستر العورة للصلاة ، وبهذا يستطيع أن يريد بجميع أموره وجه الله تعالى حتى لو أطعم كلبا أو هرا أو قدم كلأ لبهيمة أو سقاها إلى غير ذلك ، قال عليه الصلاة والسلام :" فى كل ذى كبد حرا صدقة ".

أى فى كل حى من إنسان أو حيوان أو بهيمة أو طير تفعل معه خيرا لوجه الله تعالى ، ولو أن تنقله الشمس على الظل لك صدقة وثواب.

قال الشاعر :

كن راحما لجميع الخلق كلهم

وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة

وقد ورد فى الحديث أن إمرأة دخلت الجنة بسيقها كلب ، وأن إمرأة دخلت النار بهرة قتلتها عطشا وجوعا .

وقول السيد أحمد رضى الله تعالى عنه:

" لا غيره فى جميع أموره"

هذا نفى للغير عند من نفوا عن أنفسهم الأغيار وأمميطت عن أرواحهم الأستار ، فلم يشهدوا غيرا حتى يريدوه ، ولا رقيبا غير الله حتى بأمورهم يقصدوه ، غابوا عمن سواه فغاب من سواه عنهم ، رضول بالله مرادا فرضى الله عنهم ، الغير ظلام وهم قد سلخ ليلهم عن نهارهم ، فصاروا فى نهار لا ليل معه آثار أوزارهم ، تريد ان تخدعهم الدنيا فخدعوها ، وتريد أن تملكهم النفس فملكوها ، إذا ضحكت لهم الدنيا قالوا : " شر أهر ذا ناب" وإذا عرضت عليهم نفسها قالوا لها :" الدنيا جيفة وطلابها كلاب " .

وانظر فى قوله تعالى : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجههﷺوكيف أكرمهم الله تعالى حيث أمر نبيه صلى الله عليه وىله وسلم بالصبر معهم ، ولم ينالوا هذه المنقبة بذكرهم الغداوة والعشى ، ولكن بما هو أشرف من هذا وهو إرادتهم وجه الله الكريم ، فالإرادة حققت الكرامة ، فلما أرادوا وجه من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل شئ هالك إلا وجههﷺ ، أمر خير خلقه صلى اله عليه وآله وسلم بأن لا تعدو عيناه عنهم ، فهم وإن كانوا فى شوق إلى من غابت عنهم رؤيته ، فقد أقر أعينهم بمن شرفتهم نظرته ، إذا رأوه ذهبت أحزابهم ، وازداد إيمانهم ، وإذا رآهم قواهم ورباهم ، سراج منير تستنير به قلوبهم ، وشاهد ومبشر لهم بما تقر به أعينهم ، ونذير لهم ينذرهم ويحذرهم ، وداع لهم إلى الله بالله إذا جاءوه أو جاءهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله ﷺ ، ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم نبى التوبة ونبى الرحمة قال سبحانه : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لوجدوا الله توابا رحيماﷺ.

" فائدة " يقول إذا عصيت نفسك وخالفت وعن الفضائل تخلفت ، وعن دعوة الحق تولت ، وصارت جموحة الأخلاق ، منفرة للرفاق ، أجدبت أرض قلبها ،

بنسيانها لذكر ربها ، وتسربلت بالخمول والكسل ، وصارت حليفة الباطلة والفشل.

عليكم بالإكثار من الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

فعليك بالإكثار من الصلاة على نبى التوبة صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنك إذا أكثرت من الصلاة والسلام عليه وصلك ، وإذا وصلك تاب الله عليك ورحمك.

وهذا أقرب سبل الخير المنقذة لك ، واجعله المرئى لمرآة قلبك ، متوجها به صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربك ، فهو إمام روحك المبين ، رضي الله عنه وما هو على الغيب بضنين ﷺ ، سراج أفق الألوهية ، لمن أراد أن يسسر فى ضوئه إلى حضرة الألوهية ، ومعدن الأسرار الربانية ، لمن أراد أن يطلع على الأسرار الخفية ، لوح علم اله المخزون ، لمن أراد أن يطلع على الجوهر المكنون ، تبصرة المستبصر ، وتذكرة المستذكر ، ومفتاح فتح الفاتحين ، وقدوة الراسخين وشطرت بيت السيد الميرغنى رضى الله تعالى عنه:

واشهدنى نور جمالك فى

ذات المختار أبى السرج

واجعله ممدى بالتحف

كلتا الدارين وطب أرج

شهودا خارجا عن المعقولات والمحسوسات لكامل الذات ، وجميل الصفات ، ومنتهى الغايات ، واجعله لى إماما ، يقظة ومناما ، فى عالمى المعنى والحس ، بلا حجاب ولا لبس ، واهدنى بنورك إلى نورك ، حتى أكون من أهل شهود نورك ، وكملنى فى قدم المرقى بنفحات كمالك ، حتى أكون من أهل نور جمالك.

فهو صلى اله عليه وآله وسلم الذات المكملة النورانية ، بمشاهدته يحصل الكمال والنور ، ويتفاوت الكمال والنور تفاوتا عظيما على حسب مراتب القرب منه صلى الله عليه واله وسلم ، فجرد نفسك لنفائس قدسك ، لتحظى بجنة قربك ، وتأدب بآداب القوم ، خشية العتاب واللوم ، لكى حبل وصلك يقوى.

ﭬإن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىﷺ.

ولا تحد النظر إليه إذا رزقت الجلوس بين يديه :

كأنه وهو فرد من جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

وشطرت هذا البيت الذى للشيخ البوصيرى رحمه اله تعالى :

كأنه وهو فرد من جلالته

فى هيبة الأسد إذ كانت لدى أجم

كأنه حين يمشى من مهابته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

انظر الى جبريل حين تأخرا

والمصطفى قد سار فى أنواره

جبريل يخشى الاحتراق وأحمد

يقوى بحول الله فى أنواره

نور الجلال له الجلال وبعد ذا

كشف الحجاب ونال من أسراره

نور ولكن ليس كالأنوار يا

أهل الشهود كذاك فى أعطاره

أمر غريب للقريب بقربه

لاحت له الأنوار فى أذكاره

اشرب أخى شراب أرباب الصفا

واترك طريد النفس فى إنكاره

أول ما خلق الله نور نبيك صلى الله عليه واله وسلم فنبأه وعلمه ، وجمله وكمله ، وقدمه وكرمه ، وقربه ورفعه ، وآواه وقرن اسمه باسمه.

فقال السيد الميرغنى رضى الله تعالى عنه فى الهيام :" وأشهدنى نور جمالك ".

أى نور جمال إبداع قدرتك ، فى روح منبع حياة حب أهل محبتك ، " وطب أرج " لأن مشاهدته صلى الله عليه وآله وسلم يتبعها النور والأرج ، الطيب الذى يفوق كل طيب ومعه الفرج ، الذى هو لسان كلمات الله التامات المبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم بالبيان الإلهي : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما ينطق عن الهوى ﷺ السراج المنير المسرج لسرج الإلهيين ، ومعدن كنوز الأسرار الدافع بأنواره شرر الشر عن أهل محبته بلوامع أنواره.

كنت بالجامع الأزهر الشريف يوم الأحد الخامس من ربيع الأول سنة 1381هـ الموافق الخامس من أغسطس سنة 1962م.

وقد شطرت بيتا من منفرجة سيدى مصطفى البكرى الخلوتى رضى اله تعالى عنه :

ودع الأكوان وقم غسقا

واتل القرآن بلا حرج

واطرب واشرب ماء غدقا

واصدق فى القول وفى اللهج

:

أيها المريد الصادق دع الأكوان عنك

دع الأكوان عند مشاهدة الرحمن ، فإن مشاهدة الجبار لا تقبل الأغيار ، وامح صور الكون التى جعلت زينة للأرض وابتلاء لك ، فإن وقفت معها أوقفتك ، وان

فكرت فيها أرشدتك ، وان اشتغلت بها حجبتك ، وان طالبتها طالبتك ، وان فرحت بها أحزنتك ، وان تلذذت بها فارقتك ، وان استأنست بها أوحشتك ، وان أقبلت عليها أدبرت عنك ، وان اعتززت بها أذلتك ، وان استنصرت بها خذلتك ، وان استغنيت بها أفقرتك ، وان أحببتها أبغضتك ، وان خدمتها استخدمتك ، وان قربتها أبعدتك ،وان ملأت بها قلبك أفسدته أو عقلك أتعبته ، أو جللتها صغرتك ، أو مدحتها ذمتك.

لذلك دع الأكوان أيها الإنسان ، وما ذكرته لك هنا هو الذى أشار إليه صاحب العلم النفيس الشريف أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله:" وتجل لى ياإلهى بالعظمة الإلهية التى لا تبقى ولا تذر للمتجلى عليه بها من جميع وجوهه وحيثياته وادراكاته كلها مشهودا غير الله ".

وهذا التجلى لا يحصل إلا لمن ودع الأكوان ، ومحيت عنه رعونات التلوين ، وتغلب على الأوان ، لا لمن قتله الوقت بسيفه ، وأرهقه الهوى بجيشه.

واعلم ياأخا الزهد والورع ، أن فى أحزابنا غوالى الجواهر فلها لا تدع ، واجعلها سراج ظلامك ، وحلية كلامك ، فما أسرعها لجذب قلبك ، وإشعال حبك

، فهى التى بأسرارها تكشف لك عن حقيقة الأكوان الخالية الثابتة الزائلة الحادثة المتجددة الصامتة الناطقة ، وعن الرياح المرسلة والسحب الهاطلة والبحار الزاخرة ،وهى التى تعرب لك عن الطيور إذا غردت ، وعن الأسد إذا زرأت ، وعن البحار إذا اضطربت ، وعن الكواكب إذا تحركت وشع ضوووؤها ، وعن النهار إذا أقبل عليك بآياته ، وعن الليل إذا أدبر وأقبل ، وعن روحك وخواصها ، وعن نفسك وأحوالها ، فتجلى عظمة الألوهية فيد ضياءات تمحو عن لوح نفسك آثار صور الكون ، فمن لم تمح عنه صور آثاره لم ينغمس فى أنواره ، فوجوه روحك وحيثياتها وإدراكاتها وكلياتها يحيطها تجلى عظمة الألوهية بسور ﵁ فأينما تولوا وجه الله ﷺ.

فأينما تولوا بوجوه أرواحكم وحيثياتها وإدراكاتها بعد فناء الأكوان فثم وجه الله تعالى عند تجلى عظمة الألوهية ، فهناك مشاهدة وجه من ليس كمثله شئ ، عند فنائك لكل شئ ، وغيبتك عن كل شئ " دع الأموان وقم غسق " لمشاهدتك لمن ليس كمثله شئ.

الفصل الخامس :أبجدية التصوف

وقد هيأت روحك لتسبح فى بحر سبوحك ، لتتلقى :

علم (ألف) الأحدية التى غيبتها كمن سواه.

وعلم (باء) البقاء لتكون باقية الباقى " بك أبقنا".

وعلم (تاء) التوجه لتكون كتوجهة إلى وجه واحد من جميع الوجوه.

وعلم (ثاء) ثواب أهل العبودية بالتباع المحمدى منزلة منزلة.

وعلم (جيم) جمال النور المحمدى عند الاجتماع الأعظم ، بالنبى الأكوم ، صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلم (حاء) حياتك الطيبة بإيمانك وعملك الصالح ﵁من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبةﷺ.

وعلم خاء خوفك من جلال ربك عند قربك ﵁يدعون ربهم خوفا وطمعاﷺ.

وعلم (دال) دنوك من حظيرة القدس الأعلى ، حين سجودك وقولك :" سبحان ربى الأعلى " .

وعلم (ذال) ذكائك عند اتصال روحك بأزكى الحليفة ، لتتنزل على قلبك الرقيقة من فيض فيضان علوم الحقيقة.

وعلم (راء) رحمة ربك التى تجعلك رحمة للمؤمنين.

وعلم (زاى) زكاة نفسك وفلاحها ﵁قد افلح من زكاها ﷺ.

وعلم (سين) سعادتها الأبدية قال تعالى : ﵁وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ﷺ.

وعلم (شين) شكرها على نعم ربها لتحظى بزيادة قربها ، قال تعالى : ﵁وإذ تأذن ربك لئن شكرتم لأزيدنكم ﷺ.

وعلم (صاد) صدقها فى معاملة ربها ، قال تعالى : ﵁ يا أيها اللذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقينﷺ.

وعلم (ضاد) ضياء قلبها بنور ربها عند الطمأنينة بذكره ، قال تعالى : ﵁ألا بذكر اله تطمئن القلوبﷺ.

وعلم (طاء) طهر ربها من رجسها لتحظى بعالم قدسها ، قال تعالى : ﵁ولكن الله يزكى من يشاء ﷺ.

وعلم (ظاء) ظفرها على عدوها لاعتمادها على ربها ، قال تعالى : ﵁ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهادﷺ.

وعلم (عين) علمها باكرام ربها الأكرم ، قال تعالى : ﵁ علم الإنسان ما لم يعلم ﷺ.

وعلم (غين) غيرتها على دينها ؛ لتنال الغاية القصوى فى الاتباع المحمدى ، قال تعالى : ﵁لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنةﷺ.

وعلم (فاء) فلاحها ، فى عالم تزكيتها ، قال تعالى : ﵁ قد افلح من زكاها ﷺ.

وعلم (قاف) قربها ، فى عالم حبها عند مشاهدة حبها ، قال تعالى :

ﵞونحن أقرب إليه من حبل الوريدﵟ.

وعلم (كاف) كفايتها شر غوايتها وشر أعدائها. قال تعالى : ﵞ فسيكفيكهم

الله وهو السميع العليم ﵟ.

وعلم (لام) لومها لنفسها من هيبة ربها ، قال تعالى : ﵞ ولا اقسم بالنفس

اللوامةﵟ.

وعلم (ميم) موتها قبل أن تموت لتحيا بالحياة الملكية. قال تعالى: ﵞ الله

نور السموات والأرضﵟ.

وعلم (هاء) نورها بنور ربها الذى هو نور السموات والأرض. قال تعالى :

ﵞوالذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلناﵟ.

وعلم (واو) ولاية ربها لها فى عالم النور والبهاء. قال تعالى : ﵞ الله ولى

الذين آمنوا ﵟ.

وعلم (لا) من لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وعلم (ياء) يسرها ، قال تعالى : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسنيسره لليسرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه تسعو وعشرون علما التسعة بمنزلة التسعة أشهر التى يترلبى بها الجسد فى البطن ، والعشرون بمنزلة العامين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن اراد أن يتم الرضاعة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فإذا أتم الرضاعة لزمته القناعة ، وصحبته الطاعة ، فالقناعة تورث الزهد ، والطاعة تورث التقوى.

(فزاى) الزهد زكاة ، (وهاؤه) هداية ، (وداله) دلالة ، فيلازم الزكاة وهى طهارة الظاهر والباطن ، ويلازم الهداية لنفسه وللناس ، ويلازم الدلالة على الله فيدل نفسه وغيره على الله.

(وتاء) التقوى توكل ، (وقافها) قرب ، (وواوه) ورع ، (وياؤها) يقين ، فيحصل على القناعة والطاعة والتقوى والزهد والدلالة والتوكل والقرب والورع واليقين.

فهذه التسعة تضاف إلى تسعة وعشرين فيكون العدد ثمانية وثلاثين ويضاف إليها الإسلام والإيمان تبلغ أربعين بمنزلة أربعين ليلة التى هى الميقات رضي الله عنه فتم ميقات ربه أرعين ليلة ﷺ.

وبعد ذلك يكون قد تهيأ للمكالمة الإلهية التى أشار إليها السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله :" غاية مكالمتك".

وتلك المكالمة الروحية الذوقية الغيبية هى التى عليها مدار الولاية ، وهى من باب خرق العادة مما لا تصل إليه الإشارة ، ولا تومئ إليه العبارة ، أمرها مفهوم ، وسرها مكتوم ، وشربها مختوم رضي الله عنه ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﷺ.

موقف عز عن أكون نؤوم

وكسول قد غره الدينار

ومحب لنفسه وهواها

شغلته عما يراد الديار

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى

لما رآك القلب بالتقديس

والروح مسور بخير مورث

وأبحث جسمى من أراد جلوسى

قال سيدى الشفاء مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :" وغاية مكالمتك " يعنى واسالك يارب غاية مكالمتك ، وهى التى بها بعلو النور والبهاء فى حضرة الأنس من وراء عالم الحس ، حيث تتلاشى الغايات بغاية المكالمة للذين يريدون وجهه ، وقد أرادهم قبل أرادتهم له ، وسبقت إليهم منه الحسنى ، قال تعالى : ﵁ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﷺ أى مبعدون عن نار القطيعة فى الدنيا ، وعن نار الحميم فى الآخرة ، فقد فارقتهم إرادة ، وغشيتهم إرادة ، شغلتهم عن شواغل العبادة ، تكاثرت عليهم

الآيات ، فتزاحمت فى ساحتهم الواردات ، تشتاق قلوبهم لحبيبهم إذا اشتاقت القلوب إلى أحبابها ، مروا على أهل الجنة فوجدوهم عاكفين على بابها ، فقالوا لهم ما أردنا هذا النعيم ، ولكن أردنا وجه الكريم ، فبشرهم سبحانه بقوله :﵁وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرةﷺ.

فصبروا أنفسهم فأمر الحق سيدهم عليه الصلاة والسلام أن يصبر نفسه معهم ، فتشرفوا به حيث أرادته مع أرادته صلى اله عليه وآله وسلم﵁واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجههﷺ.

قال صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه:

وقال الله عز وجل : ﵁وما لأحد عنده من نعمة تجزى * الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضىﷺ.

استدل السيد رضى اله تعالى عنه بهذه الآيات ليفيدنا بأن الذى يريد بعمله وجه اله تعالى جزاؤه على الله أن يرضيه. لأنه أرضى الله تعالى بالإخلاص

بالعمل ، فوعده الله تعالى بالرضا فى الجنة ، وبالرضا فى الدنيا بجنة المشاهدة بعد الفتح ﵁إذا جاء نصر اله والفتح ﷺ.

اعلم أن الفتح بالنصر ، وأن النصر بالهداية ، وأن الهداية بالجهاد ﵁وجاهدوا فى اله حق جهاده ﷺ. ﵁والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﷺ.

فإذا وصلت إلى الفتح فتحت لك أبواب جنة المشاهدة الثمانية: جنة المراقبة. وجنة المحاسبة. وجنة المشاهدة. وجنة التجلى. وجنة التلذذ بالذكر. وجنة الوحشة من الغير. وجنة الأنس بالله. وجنة الفناء لما سواه.

قال البوصيرى رحمه اله تعالى :

ودعوا أن تلكموا الدار لكم

فادخلوها بسلام آمنينا

قال اله تعال عن أهل الجنة : ﵁ ادخلوها بسلام آمنين ﷺ ، وقال تعالى : ﵁لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﷺ.

كذا أهل الشهود الذين أماتوا أنفسهم وشهواتها فأحياهم الله ، فأمنوا موت القلوب ، لما شربوا من ماء سماء الغيوب ، ما تلاشت به عنهم الغفلة والعيوب.

وقال تعالى : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﷺ. وقال تعالى : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﷺ.

وقال تعالى : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﷺ. وكما أنه سبحانه وتعالى حفظ القرآن العظيم حفظ مقره ومكانه تكرمة له ، قال تعالى : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بل هو قرآن مجيد * فى لوح حفوظ ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام :" فإن النار لا تحرق قلبا وعى القرآن " فبشرى لحفظة القرآن بحفظ اله لهم ولقلوبهم لأجل القرآن.

فهو السور المنيع ، والحصن القوى ،؟ والصاحب الوفى ، ان حفظته حفظت ، وان تلوته أثبت ، وأن علمته به نجوت ، وان دعوت إليه هديت ، وان حكمت به عدلت ، وان حكم عليك سعدت بقبول الشهادة لك إن أحسنت العشرة وراعيت الصحبة وقدست الحكمة.

من جاهد به فقد جاهد ، ومن تدبر آياته فقد شاهد ، له السلطان القاهر ، والحجة البالغة ، وآيات الجامعة ، إذا جهلت علمك ، وإذا أظلمت نورك ، وإذا تكاسلن نهضك ، قول فصل يفصل بين الحق والباطل ، ويرد ببلاغته كل ملحد ومجادل ، ما أكثر ثمار أشجاره لا تنقطع ثمارها كلما دنوت قطفت ﵁ إنه لقرآن كريم ﷺ.

فكما ربيت جسمك بأنواع الثمرات الأرضية ، فلا تحرمن روحك من أنواع الثمرات السماوية ، فعرج على كل ثمراته لتحيا بها حياة أهل الذكرى.

فإذا تدبرت آياته رأيت حكمه عليك تترى ، فتحييك كما أحيت الذين من قبلك ، قال تعالى : ﵁ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﷺ. وقال تعالى : ﵁ وإنه لذكر لك ولقومك ﷺ.

اعلم أن للجسد روح الحياة ، وللروح روح البينات ، فالجسد يجيا بروحه ، والروح تحيا بروحها ، والحى من جمع بين الروحين ، وروح الحياة لا كسب له فيها ، وروح القرآن له فيها كسب ولكن الأولى بعد خلق ، قال تعالى : ﵁ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﷺ.

والثنية بعد اصطفاء قال تعالى : ﵁ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﷺ ، وما أحسن الخلق والاصطفاء إذا اجتمعا .

ولما أرضى سيدنا ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بلابلا بن رباح الحبشى رضى الله تعالى عنه ، رضى الله تعالى عنه كمت فى الحديث الوارد .

وقد لقب بالصديق والرفيق والعتيق لأنه أنفق ماله ابتغاء وجه الله الكريم ، فنال من اله تعالى الرضا والتكريم ، وكان بلال حينما يعذبه الكفار يقول: " أحد أحد " ولما حضرته الوفاة قيل له : نأتى إليك بطبيب؟ وهو يقول:

غدا نلقى الأحبه

محمدا وحزبه

وهكذا الاحباب إذا دنت ركائبهم تذكروا أحبابهم ، وودوا ذهابهم.

وكانت آخر كلمة قالها سيدى عبد العالى الإدريسى رضى اله تعالى عنه :" الله "ومدها فخرجت روحه الشريفة معها .

وهكذا الأحباب لا يخرجون من الدنيا حتى تغيب عنهم الدنيا بمشاهدة محبوبهم ، قلوبهم تشكره ، ولسانهم يذكره ، قد نسوا جميع الوجوه لتعلقهم بوجه واحد رضي الله عنه كل شئ هالك إلا وجهه * له الحكم وإليه ترجعون صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

القاعدة الثالثة :" الرحمة "

قال سيدى أحمد بن إدريس رضى اله تعالى عنه:

أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ، ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير ، فإن رسخ فى هذه القاعدة واستقام فيها قلبه أفاض الله سبحانه وتعالى على سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية ، وأذاقه حلاوتها فنال من الإرث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل : رضي الله عنه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم :" إن لله عز وجل ثلاث حرمات ، فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ اله له شيئا : حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى " وفى هذا المعنى قول النبى صلى اله عليه وآله وسلم لأبى بكر الصديق رضى اله تعالى عنه " لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير".

قال صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

" أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير".

قال صاحب العلم الثرى سيدى صالح الجعفرى رضى اله تعالى عنه : وقد أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه المعانى بقوله: " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه". أى ليس على سنتنا السمحاء.

ومن يكون كذلك فله حظ وافر فى الإرث المحمدى ، قال تعالى : ﵁ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﷺ ، وقال عليه الصلاة والسلام: " إنما بعثت رحمة " .

فمن أراد الرحمة لنفسه فليرحم غيره ، قال عليه الصلاة والسلام: " من لا يرحم لا يرحم" .

وقد رويت هذا الحديث المسلسل بالأولية عن شيخى الشيخ على محمد إمام مسجد دنقلا المتصل إلى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه إلى نتهى السند ، وكان ذلك فى عام 1345هـ ، وأيضا قد تلقيته بإسناد آخر عن السيد عبد الحى الكتانى بالمسجد الحسينى بمصر ، وذلك فى عام 1360هـ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء " . ومن جعل قلبه رحمة للمؤمنين فقد استجلب الرحمة الإلهية إليه ، وفتح أبوابها نحوه ، فينال من الإرث المحمدى على قدر تمكنه فى هذا المقام.

قال تعالى فى وصفه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم :رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمؤمنين رؤوف رحيمﷺ ، وعلى قدر الإرث يكون الاتصال بالموروث ، وعلى قدر الرحمة تكون المنفعة للعباد ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : " أحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعباده" فتدخله الرحمة فى مظهر اسمه تعالى " النافع " فلا يتعرض لضرر المؤمنين بوجه من الوجوه ، بل يتسبب فى جلب النفع إليهم.

قال عليه الصلاة والسلام:" من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل " ، وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه: " الولى فى زماننا هذا الذى ينتفع به أعداؤه يؤذونه ويدعو لهم بالخير" ، وهذه أيضا فى التراث المحمدى.

قال البرعى رحمه الله تعالى :

ودعوة أحمد رب اهد قومى

فهم لا يعملون كما علمنا

والعفو والتجاوز ومقابلة السيئة بالحسنة إنما يكون بسبب الرحمة.

وكل من كان كذلك ينطق عليه قول سيدنا الشفاء صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى أحزابه:

" ثم تصب ياإلهى على ذاتى فيوضات بحر محيط الرحمة الإلهية ، حتى أكون كلى رحمة إلهية فى جميع عوالمك الإطلاقية والتقيدية ، ويكون لسان رحمة ذاتى فى جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة ﵁ ورحمتى وسعت كل شئ ﷺ.

وسبب انصباب فيوضات بحر الرحمة الذاتية على ذاتك هو إعراضك عن لذاتك ، وتخليها عن أنا والأنانية ، بتحلى إخلاصها بصدق النية ، وانغماسها فى بحر عين الوحدة ، وبحر﵁إنما المؤمنون إخوةﷺ ، فرحمت النفس نفسها لما رحمت إخوتها ، فصارت فى حضرة الإطلاق آية الرحمة ، فنالت جزاء رحمتها بانصباب الفيوضات من بحر الرحمات.

فاهتزت أرض جسمها وربت ، فصارت كلها رحمة إلهية وأينعت فى جميع العوالم: لاغطلاقية مع اهل الإطلاق ، والتقييدية مع أهل التقييد ، ثم يوفق لسان رحمة ذاتى من جميع جهات روحى يتلو بلسان روحى فى جميع جهات الخلق آية

الرحمة الإلهية المطلقة : ﵁ورحمتى وسعت كل شئ ﷺ التى عمت الإيجاد بعد العدم والرزق والعافية والذرية والآجال وتأخير العقوبات ، كل ذلك لم يدخل فى التقييد.

وقد جهل إبليس فظن أنه يدخل فى الرحمة ، واحتج بهذه الآية على بعض العارفين ، وقد جهل إبليس أن الرحمة مطلقة ومقيدة ، فالمطلقة عمت كل شئ حتى الكافر ، والخاصة فى قوله تعالى :﵁فسأكتبهاﷺ.

وقد امتن الله على الخلق مؤمنهم وكافرهم بقوله :﵁ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاﷺ وغير ذلك فى الآيات ، وقد أشار إلى المقيدة بقوله تعالى :﵁وكان بالمؤمنين رحيماﷺ.

فمن ذهب إلى بلاد الكفار ليدعوهم إلى الإسلام ، وذهب إلى مجالس الفساق ليدعوهم إلى التوبة ، وإلى بلاد الجهال ليعلمهم أمور دينهم ، وإلى العاملين المؤمنين ليذكرهم ، فقد أخذ بالرحمتين وتخلق بالخلتين ، قال عليه الصلاة والسلام :" تخلقوا بأخلاق الله " يعنى التى يجوز للخلق أن يتخلقوا بها ، كالرحمة والعفو والكرم والرأفة والعلم والعدل والإحسان وغير ذلك.

﵁إن اله يأمر بالعدل والإحسانﷺ ، ﵁وليعفوا وليصفحواﷺ.

أخرج صاحب هذه القواعد فى رسالته المسماة " روح السنة " ، وروح النفوس المطمئنة " هذه الأحاديث:

وربما تعرضت لشرح بعض كلماتها على وفق الإلهام والمدد الإلهى فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فأقول بالسند المتصل على السيد أحمد بن إدريس رضى اله تعالى عنه عن رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم انه قال:

" والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم. قالوا : كلنا رحيم ، قال: لا ... حتى ترحم العامة ".

قلت: وهذا ما أشرت إليك آنفا من الرحمة المطلقة التى يكون صاحبها كالبحر يروى كل من يرده.

والجنة جنتان : معجلة وهي جنة المشاهدة الإلهية في الدنيا ، ويكون التلذذ فيها بذكر الله تعالى كما يتلذذ أهل الجنة بنعيم الجنة ، ولذلك كان r تقر عينه بالصلاة ، وللعارفين على قدر درجاتهم في الإرث المحمدي ، وجنة المشاهدة في الدنيا لها أبواب كثيرة من أجلها : أن يوطن قلبه على الرحمن لجميع المسلمين ، فإن كان من ارباب الترقي الروحي وصلت به رحمته إلى جمعية عيون الحقائق الرحموتية r فينال في ذلك على قدر أهليته ، ثم يتلو لسان رحمة ذاته من جميع جهاته في جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة ، وبلسانه الذي يتكلم به في مقام إجابة لسانه إذا ترجم عن جنانه ، وعند ذلك تقول الروح للسان : الله حسبك :(أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) فيستطيع أن يتلوا من جميع جهاته في جميع جهات الخلق على طريق التراث المحمدي لمن على جميع الخلق علا وسما المشار إلى مقامه r بقول ربه تعالى :(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)

واعلم يا أخانا في الله تعالى أن مدارك الإدراك تشبه دورة حركة الأفلاك ، فنظم مدار حركة إدراكك ، بعد تنظيم حركة دورة أفلاكك ، حتى لا ينبغي لشمس

حقيقتك أن تدرك قمر شريعتك فيقع خسوف التخليط ، ولا لليل غيب سرك أن يسبق نهار روحك في الوجد والشهود

فإذا انتظمت أفلاكك ظهرت أنوارك ، فتكون ذاتك كلها نوراً ذاتياً صرفاً من جميع الوجوه ، فتجلس روحك على منبر قدسك منورة بنور ربك ، وقد أشرقت شمس نهارك على أرض جسمك ، فتنزلت الرحمات على قلبك ، فتوطن على الرحمة لجميع المسلمين ، وصرت رحمة بين عباد الله ، ملحوظاً بعين الله ، مرحوماً برحمة الله (سيجزيهم وصفهم) (وما ربك بظلام للعبيد)

وبالسند المتصل إلى الشريف مولاي السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه قال : وعنه r أنه قال : " يقول الله عز وجل : إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي "

انظر كيف جعل ربك وصول رحمته تعالى إليك متوقفاً على رحمتك لخلقه ؟! فإذا رحمت الخلق فإنما أنت في الحقيقة ترحم نفسك ، وإذا حرمتهم رحمتك فقد حرمت نفسك ، كالذي يسقى الأشجار بالماء لتثمر فينتفع بثمرها ، فهو في

الظاهر يسقي الأشجار ، وفي الحقيقة إنما هو يسقي نفسه ، وإذا ترك سقيها فقد ترك مصلحة نفسه ورحمته إياها

وبالسند المتصل إلى سيدي الشريف مولاي السيد أحمد بن إرديس رضي الله تعالى عنه أنه قال : وعنه r أنه قال : " ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه " أيش تبجيل الكبير ؟ احترامه وتوقيره لكبر سنه ، وذلك من عادة الأشراف والعرب إلى يومنا هذا ، ورحمة الصغير : الشفقة والعطف عليه لضعفه وصغر سنه وعقله ، ويعرف للعالم حقه من الإرث المحمدي ، قال عليه الصلاة والسلام : " العلماء ورثة الأنبياء "

وحق الأفضلية ن قال عليه الصلاة والسلام : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم "

فمعرفة حق العالم واجبة على كل مسلم ، ويجب احترامه لأجل الخلافة ، قال عليه الصلاة والسلام : رحم الله خلفائي ، قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يبلغون الناس سنتي "

والأمة بخير مادام العلماء فيها ، والأمة بخير ما وقرت علماءها واستمعت لأقوالهم وعملت بها ، قال البوصيري رحمه الله تعالى :

كيف نخشى الضلال من بعدك . وفينا وارثوا نور هديك العلماء

وبالسند المتصل إلى صاحب العلم النفيس رضي الله تعالى عنه أنه قال : وعنه r أنه قال : " من سره أن يقيه الله من فور جهنم يوم القيامة ويجعله في ظلله فلا يكن بالمؤمنين غليظاً وليكن بهم رحيما "

ايش ؟ لأن الجزاء من جنس العمل ، فالذي يرحم المؤمنين في الدنيا يرحمه الله تعالى بالنجاة من عذاب جهنم ويظله تحت العرش يوم القيامة

وبالسند المتصل إلى صاحب العلم النفيس أنه قال : وعنه r أنه قال : " إن العبد ليقف بين يدي الله تعالى فيطيل الله وقوفه حتى يصيبه من ذلك كرب شديد فيقول : يا رب ارحمني اليوم ، فيقول : هل رحمت شيئاً من خلقي من أجلي فأرحمك ؟ هات ولو عصفوراً "

ايش ؟ كن رحيماً بخلق ربك يرحمك يوم لا ينفعك مال ولا بنون ، واعلم أن الرحمة تنفعك ولو لحيوان أو طير أو بهيمة ، لأن الله تعالى خلقهم مثل ما خلقك ، قال تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلى أمم أمثالكم)

قال صاحب العلم النفيس رضي الله تعالى عنه :/

ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير ن فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام فيها قلبه افاض الله سبحانه وتعالى على سائر جسده أنواره الرحمة الإلهية وأذاقه حلاوتها ، فنال من الإرث النبوي حظاً وافراً عظيماً من قول الله عز وجل : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا معنى قول رسول الله r : " إن لله ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً : حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي "

وفي هذا المعنى قول النبي r لأبي بكر رضي الله تعالى عنه : " لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير "

الحرمات : الحقوق ، فمعنى حرمة الإسلام : أي ما يطلبه الإسلام من المسلم ، وهي أمور كثيرة لا يكمل الإسلام إلا بها كقوله r : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " وكقوله r : " المسلم أخو المسلم " وكقوله r : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " وكقوله r : " أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا غله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " وكقوله تعالى : (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان)

وبالجملة : فمن راعى ما وجب في الإسلام ففعل ، وما حرم فترك ، فقد عظم حرمة الإسلام ، ويدخل في قوله r : " احفظ الله يحفظك " ومن لم يكن كذلك فلم يعظم حرمة الإسلام وحينئذ فمن أضاع فجزاؤه الضياع

وفي الحديث : تدعو الصلاة على من اضاع وقتها فتقول : ضيعك الله كما ضيعتني "

وحرمة النبي r : حقه الذي أوجبه الله تعالى علينا ، كطاعته في قوله وفعله ، واحترامه وتوقيره وتكريمه ، والاعتراف بفضله وشفاعته ، وجاهه ورفع ذكره

وعلو درجته ، وأنه موصوف منذ خلقه الله تعالى بالزيادة في الإيمان والعلوم والأنوار والدرجات والبركات والأسرار والنفحات والخيرات

وكذلك يكون بعد أن لحق بالرفيق الأعلى أعلى مقاماً وأجل إكراماً وأوسع علماً وإدراكاً وكشفاً وشهوداً وسماعاً ورداً للسلام ، ولا يجوز لمؤمن أن يعتقد فيه غير ذلك ، أو أنه قد مات كموت الخلق ، بل أحياه الله تعالى بعد موته بحياة تفوق حياة النبيين والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وحياة الشهداء ، وحياة الملائكة الكرام ، وحياة الأحياء من أهل الدنيا

ويجب عليك أن تحبه r أكثر من نفسك ، وأن تصلي وتسلم عليه ، وأن تزور روضته الشريفة لتحظى برد سلامه r عليك ، وتحصل لك بركته r وبركة نظره إليك ودعائه لك

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل أهل بيت النبوة رضي الله تعالى عنهم . ومن أعظم الصلة لهم زيارتهم بعد مماتهم ، والتسليم عليهم والترضي عنهم

" لا تحقرن أحداً من المسلمين " احتقار المسلم هو الازدراء به والتكبر عليه ، قال عليه الصلاة والسلام : " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم "

وقد نادى الله تعالى في القرآن عباده بما يدل على الأخوة والمساواة فقال : يا عبادي . يا بني آدم . يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع

القاعدة الرابعة : مكارم الأخلاق

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله r لتمامها ، وهو قول النبي r " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وهذه القاعدة هي زبدة الدين ، وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبده ومع جميع الخلق ، قال رسول الله r : " أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثري " قالوا وما قبعثري يا

رسول الله ؟ قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشيرة

وقال مولانا العظيم : (وقولوا للناس حسنا) أي لا قبحاً ، وقال عز وجل : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) والأحسن هو الذي جمع الحسن وزيادة

وبالجملة فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاتركه ، فإن الله يعامل العبد بوصفه وخلقه الذي يعامل الخلق به ، فإن المجازاة على الوصف بالوصف (سيجزيهم وصفهم) (جزاء وفاقا) فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبدا لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد ، وكذلك جاء في الحديث عن الله عز وجل أنه يقول للعبد يوم القيامة : جعت فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني ، ومرضت فلم تعدني . فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين . وكيف تستسقي وأنت رب العالمين ؟! فيقول له سبحانه وتعالى مفسراً لذلك : أما إنه مرض عبدي فلان فلو عدته

لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان ، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، واستسقاك عبدي فلان ، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي . مفسراً سبحانه نفسه في قوله : جعت ومرض واستسقيت بقول : جاع عبدي فلان ، ومرض عبدي فلان ، واستسقاك عبدي فلان . فمعاملة العبد لملاحظة سيده هي معاملة السيد بلا شك

فمن رسخ قدمه في هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله في كل شئ فلا يراقب غير الله تعالى

ومجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبي r " أكرموا الله أن يرى منكم ما نهاكم عنه " وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك

والأمر الذي يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شئ رقيب ، وعلى كل شئ شهيد ، وهو قوله تعالى : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها وألفها لزمه الحياء من الله تعالى أن يقول قولا أو يفعل فعلاً لا يرضاه

الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب (وهو معكم أينما كنتم) فإن الله تعالى معه وناظر إليه

فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلاً أو يسرق والناس ناظرون إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه ، فإنه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً ، والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ويحط قدره عندهم ، ولا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعاً ، وهذا معنى قول النبي r في الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "

فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه . وبالله التوفيق

وصلى الله على مولانا محمد وآله وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

قال بحر العلوم الغوالي والد السيد عبد العالي الشريف مولاي السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله r لتمامها وهو قول النبي r : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

ايش ؟ اعلم أيها الإنسان الذي أنس بأورادنا ، وصار من أولادنا ، وروحه من روحنا ودنا وملأ قلبه بودنا ، وإن تناءت بلادنا ، أ، لهذا الحديث معنى أعز معنى وهو أنه عليه الصلاة والسلام أول من نبأ عن الحق سبحانه فهو أساس مكارم الأخلاق بنبوته والمتمم لها ببعثته

وهو أول من عرف الحق بالحق ، وأول مظهر للقدرة والإرادة ، فهو أول المفاض عليهم وآخر الموحي إليهم

فهو r فاتحة الموجودات ، ومجمع بحري الحقائق الأزليات والأبديات ، (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) النبوات والولايات في أزليات (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) ، وفي أبديات : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)

فهو r متمم النبوءات في عالم (لتؤمنن به ولتنصرنه) ومتمم مكارم الأخلاق في عالم (قم فأنذر وربك فكبر)

وفي عالم الأتباع المحمدي منزلة منزلة على سبيل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

مكارم الأخلاق

جاء r بمكارم الأخلاق التي أبدلت الظلمة نوراً ، والشرك توحيداً ، وحولت الجهالة علماً ، والعداوة صلحاً ، فصار الناس في عدالة بعد ظلم . وقوة بعد ضعف . وعلم بعد جهل . وكرم بعد بخل . وتواصل بعد تقاطع . وشجاعة بعد جبن . وجهاد بعد استسلام . وعزة بعد ذلة . وتعاون بعد تخاذل . واجتماع بعد افتراق . وائتلاف بعد تنافر . وشعور بعد لا شعور . وإحساس بعد لا إحساس . وحياة بعد موت . ونور بعد ظلمة . (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس)

فغرس r في قلوب المؤمنين شجرة طيبة ثمارها التواضع والسخاء والعفة والوفاء ، يتواضع أميرهم لفقيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، ويرحم كبيرهم صغيرهم ، الملهوف بينهم يغاث ، والمريض يعاد والميت تشيع جنازته ، والسائل لا ينهر ، واليتيم لا يقهر ، والأمانة لا تضيع

والعالم يسمع قوله ويعرف حقه ، والقرآن يكتب ، والعلم يطلب ، والحقوق موفورة ، والمساحد معمورة ، هاجرين قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، أمرهم شورى بينهم ، ولم يختل في شعوبهم أمنهم ، كل ذلك من مكارم الأخلاق التي جاء بها r

واعلم بأن من أجل أخلاقك . دخولك في حضرة خلاقك وسبحك في عالم المكارم والتكريم . حتى يضئ بذكرك الليل البهيم جادا في أمورك على المنهاج القويم . جانياً من غرس المكارم النبوية ثمارها . راداً من نفسك شيطانها وعارها ، جالساً على كرسي " واجمع بيني وبينه " زائراً كالسبع ن رافعاً لراياتك السبع ، متقلداً سيف (جاء الحق وزهق الباطل) ، متوكلاً على ربك فلا يتعرض لك في طريقك إنس ولا جن إلا أعدمته بسيفك . متلقياً درر معاني جواهر نفائس غوالي

العلوم والمعلومات . من فيض من طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات ، ناظراً بعيني قلبك إلى مقر قرار الفهوم والقراءات ، الذي من لوح كنهة قرأ المقربون كلهم حقية التجليات ، شجرة الأصل النورانية فلا نور إلا منها استتار سناه ، ولمعة القبضة الرحمانية التي بنضرتها تنضر كل نضر مرآة ، معدن الأسرار الربانية فلا سر إلا من سره مسراه ، فتعرض لذلك السر بكثرة الصلاة والسلام على سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء ، لعل قلبك مما فيه يبرا . وتتزاحم على بابه نفائس الدرر الغوالي التي عزت على غير عزيز بربه . مكين في قربه : مديم لحزبه

قال سيدي صاحب المقال العالي أبو الشريف عبد العال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" وهذه القاعدة هي زبدة الدين " :

يعني قاعدة مكارم الأخلاق لأن العمل بالدين ينتج مكارم الأخلاق . فهي زبدته وثمرته وبالتجارب : الرجل التقي يوفق لمكارم الأخلاق ، وغيره يظهر منه سيئ الأخلاق

ثم شرع السيد رضي الله تعالى عنه في بيان حقيقة مكارم الأخلاق فقال :

" وحقيقتها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبده ومع جميع الخلق "

في العبد للكمال وهو العبد الكامل الذي وصفه السيد أحمد رضي الله تعالى عنه في أحزابه بقوله : " واجعلني يا رب لك عبداً محضاً عبودية خالصة لا رائحة ربوبية يها على أحد من خلقك "

وإذا كان كذلك كان هينا لينا متواضعاً في غير ضياع حق ولا انتصار لباطل ولا جبن أمام ظالم

والحديث : " وخالق الناس بخلق حسن " والخلق الحسن يشمل القول والفعل ن فمن عامل الخلق بالخلق الحسن فقد عاملهم بمكارم الأخلاق

وفي هذا البيت الأخير إشارة إلى ما روي لي عن السيد مصطفى الإدريسي رضي الله تعالى عنه : أكرم جدي السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه بمكة غاية الأكرام

وفي بعض الأحيان كان سيدي يتمثل بحديث الرسول r الذي قاله لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لما جهز جيش العسرة ، والذي جاء بمعناه العارف بالله سيدي سر الختم الميرغني رضي الله تعالى عنه بقوله :

لا يخف عثمان شيئاً بعد ذا غفر الله له ما اكتسبا

والحديث هو : " ما ضر عثمان ذنب بعد اليوم "

قال صاحب العلم النفيس رضي الله تعالى عنه مستدلاً بالحديث الآتي على ما قدمه من أن المؤمن يكون هيناً لينا :

قال r :

" أهل الجنة كل هين لين سهل قريب ، وأهل النار كل شديد قبعثري . قالوا : وما قبعثري يا رسول الله ؟ قال : الشديد على الأهل ، الشديد على الصاحب ، الشديد على العشيرة "

يصف النبي r أهل الجنة بقوله " هين لين سهل قريب " وذلك بالمؤمنين كما قال تعالى : (رحماء بينهم) فالمؤمن من يكون مع أخيه المؤمن هيناً ليس صعباً قاسياً ، سهلاً ليس وعراً ، قريب الرضا ليس ببعيدة

وفي الحديث : " المؤمن هين لين سريع الغضب قريب الرضا " فالمؤمن حقاً يعمل بقوله تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) وبقوله تعالى (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) وبقوله تعالى : (ويدرأون بالحسنة السيئة) يعني من قدم إليهم سيئة قدموا إليه حسنة ، وهذه الصفة من أجل مكارم الأخلاق ، وقد وعد الله فاعلها بأن عدوه يكون بعد العداوة ناصراً له محباً حباً عظيماً ، فتلك مكافأة معجلة في الدنيا للذين يتصفون بهذه الصفة الكريمة

الألفة سبيل التحابب

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام : " المؤمن من يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف " ، وقال تعالى : (وألف بين قلوبهم)

فالألفة التي بين قلوب المؤمنين منة من أعظم المنن ونعمة من أجل النعم ؛ إذ بها يحصل التحابب والتعاون والتآزر ، فلا يسمح المؤمن بضرر أخيه ومقاطعته واستسلامه لعدوه ، بل يكون له أخاً ، كريماً لا لئيماً ، مساعداً لا معانداً ، مواصلاً لا مقاطعاً ، محققاً قول الحق سبحانه : فأصبحتم بنعمته إخواناً

وقد وصف r أهل النار بالشدة على الأهل والصاحب والعشيرة ، وفي الحديث : " والمنافق إذا خاصم فجر "

فلا تكن شديداً على أهلك فيبغضوك ، ولا على أصحابك فيهجروك ، ولا على العشيرة فيبدلون العشرة قطيعة لك

وقد قال تعالى : (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) فوصف الله سبحانه أهل النار بالتخاصم وهم في النار ، ووصف أهل الجنة بالإخلاص والأخوة في الجنة فقال سبحانه (ونزعنا ما في صدروهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فأهل النار أهل تباغض وتقاطع في الدنيا والآخرة ، وأهل الجنة أهل توادد وتحابب في الدنيا والآخرة ، قال عليه الصلاة والسالم : " أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة "

قال مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" وقال الله تعالى : (وقولوا للناس حسنا) أي لا قبحا وقال عز وجل : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)

والأحسن هو الذي جمع الحسن وزيادة : بفضل الفتاح المتعال : اللهم ارزقني صواب المقال : لما خلق الله الإنسان في أحسن تقويم كما قال تعالى : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ناسب بأن يأمره بأن يقول أحسن القول ن وقد قال سبحانه في وصف الحمار حينما نهى عن التشبه به : (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) فالذي خلقه الله في أحسن تقويم يقول التي هي أحسن للذي خلق في أحسن تقويم ، وذلك يتناسب أيضاً مع التكريم ، قال تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) ومن تكريمه أن يقول التي هي أحسن وأن يقال له مثلها ، ومن تكريمه تحريم سبه ولعنه ، وغيبته وقتله واحتقاره ، والهمز واللمز له ، والظن فيه والقدح والشماتة والنميمة والفضيحة ، وإضاعة الفاحشة والإفك عليه والبهتان ، وقذفه وحسده والحقد عليه والضغينة ، وضياع حقه وانتقاص قدره ، وغشه وغدره والكذب عليه ، وبخسه وبخس ما ينسب إليه ، ووصف باللقب المسئ ، ونهره وزجره وضربه ن

والمكر به والبغي عليه والكيد له وسحره ، وتخويفه وإدخال الحزن عليه ، وقطع الطريق عليه ، ومنعه الماء والهواء والظل ، ومنعه الطعام والشراب ، ومنعه الصلاة والزكاة والحج والعبادة لأن الله تعالى قد كرمه وحفظ عليه التكريم بالإيمان والإسلام

وأما الكافر فقد أضاع تكريمه بالكرف قال تعالى : (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)

والجهر بالسوء من القول مبغوض عند الله مبغوض عند الملائكة ، قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) فلا تقولن قولا لا يحبه الله تعالى ، وقد ورد في الحديث أنه r أخرج لسانه الشريف وقبض عليه وقال : " أمسك عليك هذا " فقال السائل : أفنؤاخذ بما نقول ؟ قال عليه الصلاة والسلام : " ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ، وقال عليه الصلاة والسلام : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه ضمنت له الجنة "

فمن فكر في هذه الآيات الكريمة وتلك الأحاديث الصحيحة حافظ على لسانه تمام المحافظة لا سيما بعد أن علم أن الملك يكتب عليه كل كلمة يقولها ، قال تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال تعالى : (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : الكبيرة : الضحك ، والصغيرة : التبسم

قال سيدنا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" وبالجملة فالذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله ، وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه "

عنه : أشار بهذا القول إلى ما قاله سيدنا على كرم الله وجهه لابنه سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه : " يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك : أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها "

قال عليه الصلاة والسلام : " المسلم أخو المسلم " ، وحينئذ فلا ينبغي للأخ أن يعامل أخاه بالمعاملة التي يكرهها لنفسه ، لأن أخوة الإيمان ارتباط باطني عظيم أقوى من ارتباط الأنساب ، وانظر إلى قوله تعالى : (ولا تلمزوا أنفسكم) وهل الإنسان يلمز نفسه ؟ ولكن لشدة الاتصال الأخوى يجعل القرآن الذي يلمز لأخيه المسلم كأنه لمز نفسه ، وقال عليه الصلاة والسلام : " الناس سواسية كأسنان المشط " ، وكيف يكون الأمر كذلك إذا عامل المسلم أخاه المسلم بما يكره أو أسمعه ما يكره

قال

أسمع لغيرك ما يرضيك مسمعه

ولا تفه بقبيح القول للناس

النفس ميزان ما يرضيك من أحد

أو كان يغضبها من منطق قاسي

فاجعل لغيرك ما يرضيك يرض به

وما يسئ فلا تذكره للناس

واسمع نصيحة بن إدريس سيدنا

نعم النصيحة في قلب وقرطاس

قال صاحب العلم النفيس الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" إن الله تعالى يعامل العبد بوصفه وخلقه الذي عامل الخلق به ، فإن المجازاة على الوصف بالوصف (سيجزيهم وصفهم) (جزاءا وفاقا)

وكلام السيد هذا يشبه كلام سيدي محيي الدين ابن عربي رضي الله تعالى عنه : " معاملتك للخلق معاملة الحق لك "

يعني أن الحق سبحانه يعاملك من جنس معاملتك لخلقه ، وقد استدل سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه بهذه الآية (سيجزيهم وصفهم)

وجعل المجازاة في الآية عامة في الدنيا والآخرة ، لأن المحسن له الجنة في الآخرة ، وله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال تعالى : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، وقال تعالى : (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ، والفوز العظيم في الدنيا والآخرة ، وأي فوز أعظم من التوحيد ومن مشاهدة رسول الله r ؟

قال سيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه : وللمناسبة أذكر شيئاً من هذا فأقول والله حسبي ونعم الوكيل : مشاهدة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله r كانت بالبصر ، وبعد أن لحق r بالرفيق الأعلى كانت بالقلب عن سابق رؤية ، ولعامة المؤمنين إلى يوم القيامة عن سماع أوصافه r ، فارتقت الروح وصفت ووصلت إلى مشاهدة حقيقية ، فهو r مشاهد للأولين والآخرين ، ومحبوب للأولين والآخرين ، فهو r محبوب العوالم العلوية والسفلية ن وقد استدل سيدي أحمد رضي الله عنه على أن الجزاء من الله تعالى يكون وفق عمل الإنسان ، فاستدل بقوله تعالى : (جزاءاً وفاقا)

قال الشريف ابن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلاً يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن أكرم عبداً مراعاة لسيده فإنما أكرم السيد ، ولذلك جاء في الحديث عن الله عز وجل أنه يقول للعبد يوم القيامة : " جعت فلم تطعمني ، واستسقيتك فلم تسقني ، ومرضت فلم تعدني ، فيقول العبد : كيف تجوع وأنت رب العالمين ؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين ؟ وكيف تستسقيني وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه وتعالى مفسراً له ذلك : أما إنه مرض عبدي فلان فلو عدته لوجدتني عنده ، وجاع عبدي فلان أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي "

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى : " الزهد ثلاثة أوجه : اترك الحرام وهو زهد العوام ن وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص ، والإعراض عما يشغل عن الله وهو زهد العارفين "

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : " الزهد ثلاثة أحرف : زاي وهاء ودال ، إشارة إلى الإعراض عن زينة الدنيا وعن الهوى وعن الدعاوي "

تفسير صوفي لكلمة زاهد :

الزهد ثلاثة أحرف كل حرف يشير إلى سبع صفات وهي :

الزاي : تشير إلى سبع صفات وهي :

زينة القلب بالحكم والمعارف

زهوق الباطل وخيالات الدنيا وما فيها (وقل جاء الحق وزهق الباطل)

(زلفى وحسن مآب) في الدنيا والآخرة

زيادة الهدى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اهتدوا إلى أن الله حق ، وأن الآخرة باقية ، وأن الدنيا فانية

زوال حب الدنيا عن قلوبهم لما علموا أنها جيفة وطلابها كلاب

زجر القلب النفس عن توجهها إلى حطام الدنيا ولذاتها

زيه بزي الصالحين من أهل التقى والفلاح والدين

والهاء : تشير إلى سبع صفات وهي :

هدايته على سبل الله الموصلة إلى حظيرة قدسه

هباته الباقيات الصالحات لما زهد في الصور الفانيات

هجرته للذات لما هجر اللذات

هيمانه بحب الله عن كل شئ لاه

هيونته بعد قسوته

همه الآخرة وما فيها بعد زهده في الدنيا وما فيها

هبوطه إلى أرض التواضع (إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون)

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)

دعاؤه المستجاب لكونه صار من الأحباب

وللدال : سبع صفات وهي :

دلالته على الله تعالى لما غاب عن نفسه الفانية

ديدته داوم ذكر الله تعالى لأ ، الدنيا تشغل من تعلق بها عن ذكر ربه سبحانه

دعواه حمد الله تعالى لما يرى غيره من المغترين المغرورين

دوام التوجه إلى الله تعالى مع التلذذ بمناجاته وتلاوة ذكره الحكيم

دنوه من حضرة التقديس بكثرة الذكر الذي هو منشور الولاية

دخوله حضرة القرب الإلهي ووقوفه عند السماع العام الذي يدرك بالأذواق ما اللحظة فيه خير من ألف عام

فهذه إحدى وعشرون من ضرب سبعة في ثلاثة بقدر عدد الواجب والجائز لله تعالى ن فمن تحقق بالصفات المتقدمة وهي الإحدى والعشرون جاز له أن يدخل حضرة القدس التي هي حضرة الله عز وجل الذي له عشرون صفة واجبة وصفة جائزة

إحدى وعشرون صفات الزهد

لمن يريد حضرة للماجد

فيكسى ثوب التقوى . وثوب القبول . وثوب الوقاية . وثوب التوفيق . وثوب الطمأنينة . وثوب السكينة . وثوب العفة . وثوب القناعة . وثوب الحلم . وثوب العلم . وثوب الهيبة . وثوب الأوبة . وثوب السلام . وثوب الإيمان . وثوب الهداية . وثوب الولاية . وثوب المشاهدة . وثوب المجاهدة . وثوب الحب . وثوب القرب . وثوب الإكبار ز وثوب الأنوار . وثوب الكمال . وثوب الوصال . وثوب التجمل . وثوب التحمل . وثوب النصر ز وثوب اليسر . وثوب حسن الخاتمة . فهذه تسعة وعشرون تضاف إلى الصفات المتقدمة وهي إحدى وعشرون فيكون المجموع خمسين صفة بعدد صفات الله تعالى الواجبة والجائزة والمستحيلة وعدد صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام الواجبة والمستحيلة والجائزة .

وبذلك يكون قد جمع بين الشريعة والحقيقة ويكون مكملاً كمالاً إلهياً محمدياً من جميع الوجوه

ثم يرجع إلى أرض الطبع التركيبي مع مباشرة الأسباب . أو مع التجريد شيخاً معلماً . أو أستاذاً مرشداً في مقام البسط . أو في مقام القبض . أو في مقام الحب ز أو في مقام الجذب . أو في عزلة عن الناس . في جوف غار . أو رأس طود . أو على ساحل بحر . أو في وطنه . أو في غربة . أو في صحو . أو سكر . أو محو . أو فناء . أو بقاء . أو فرح . أو بكاء . أو وجد . أو شوق . أو تلذذ . أو سماع . أو سياحة . أو شعث . أو نضرة . أو فكرة . أو حضرة . أو جلوة . أو عشق . أو هيام . أو فطر . أو صيام . أو ناطقاً . أو صامتاً . أو مطرقاً . أو شاخصاً . أو بالمطاف كل عام . أو بمنى يوم الجمار . أو بعرفات مع الأخيار . أو بين المروة والصفا . أو في زيارة النبي المصطفى r . أو في المواجهة عند الروضة النبوية . أو في مشاهدة خير البرية . أو في الترقي إلى العوالم العلوية . أو في مشاهدة الحضرة الإلهية .

فهذه تسعة وأربعون إلى الخمسين المتقدمة تكون تسعة وتسعين بعدد أسماء الله الحسنى وعند ذلك ينال المقام الأسمى

أيها المريد افعل الخير مع الخلق لأجل الخالق

فتخلق أيها الأخ الكريم بذلك الخلق العظيم . أطعم الجائع . اسق الظمآن . اكس العريان عند المريض . فرج عن المكروب . اقض حوائج ذي الحاجات . وافعل الخير مع خلق الله لأجل الله تجد ربك وربهم عندهم ، فمن راعى مخلوقاً لأجل خالقه فقد راعى الخالق سبحانه

أسأل الله تعالى أن يوفقنا أجمعين إلى العمل بهذه الأقوال في جميع الأحوال حتى تكون صفاتنا كاملة مكملة من جميع الوجوه

قال صاحب العلم النفيس مولاي الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه

" فمن رسخ قدمه في هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله في كل شئ فلا يراقب غير الله تعالى "

: لقد أجاد السيد وأفاد . وللجهالة قد اباد . كيف يراقب العبد . وقد جد السير ز فلا سير ولا غير ز قد اباد . كيف يراقب العبد . وقد جد السير . فلا سير ولا غير . قد فارق الحنادس . ولهو المجالس . وغاب عن الأغيار . وما غاب عن فعل الأخيار . تسوقه إلى الخير أقدامه . ويدعوه إلى الهدى إقدامه

ويقول

خدمت ربي وقفت على أقدامي

حتى رأيت ملوك العشق خدامي

لكعبة الحسن تجريدي واحرامي

يومي كعامي وكالأيام أعوامي

شاهدت حقا وقد فسرت أحلامي

نشرب في موكب العشاق أعلامي

فأين الغير ؟ وأين أنا ؟ وأين الأين ؟ وأين الحجاب والبين ؟ وشتان ما بين ناظر بالقلب وناظر العين . وهل صاحب التجلي عن الحضرة يولي ؟ أم لغير المتجلي يشاهد ويعامل ؟ هذا حقاً هو الولي الكامل . وايش يعمل بالغير بعد أن لا غير ؟ فإن ترك محبة الغير فلا ضير إذ هو في غياهب الأنوار . وتنزلات غيوث الأسرار . لاح له من جانب الغور لائح . وفاح له من حضرة الحب فائح . وجرت له في بحار الحب الجواري كالأعلام . تحمل موائد الحب لأرواح التجريد والإحرام

قال صاحب العلم النفيس الشريف سيدي أبو العباس العرائشي مولاي السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

وجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبي r : " أكرموا الله أن يرى منكم ما نهاكم عنه وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك "

معنى أكرموا الله أي استحيوا من الله ، لأن الحياء من الإيمان ، وأعلاه الحياء من الله عز وجل ، وهو يبعث الإنسان على فعل الواجبات ، فلا يفقده الحق حيث

أمره ن أي لا يراه تاركاً للواجبات ، وأيضاً يبعث الإنسان على البعد عن المعاصي فلا يراه ربه يفعل فعلاً أو يقول قولاً نهاه عنه سبحانه

وإذا كان كذلك فقد اتصف بأعلى اصواف الحياء

ويتفرع من ذلك أ، لا يترك شيئاً أوجبه الله تعالى عليه لخلقه ، ولا يقدم إليهم شيئاً نهاه الله تعالى أن يقدمه إليهم ، قال عليه الصلاة والسلام : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "

قال سيدي الشفاء سلالة خاتم الأنبياء r بحر العلوم ونبراس الفهوم الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

" والأمر الذي يبعث العبد على هذه الأمور هو الحياء من الله تعالى ، وهو أن يعلم علم حضور أن الله عز وجل على كل شئ رقيب ، وعلى كل شئ شهيد ، وهو قول الله تعالى : (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)

: أشار السيد رضي الله تعالى عنه إلى أن أسباب الحياء المراقبة والمشاهدة وهما مظهران لاسميه تعالى الرقيب والشهيد

فمن علم أن الله تعالى يرقبه راقبه . ومن علم أن الله تعالى شهيد عليه شاهده . فمن شاهده فله الشهيد . وكان ممن أوفى بالعهد . ومن لم يشاهده كان كالبهائم . لا يخشى لومة لائم . في فعل الآثار والجرائم . ومن أيقن أن الله يعلم ما في نفسه ز خرج من عوالم نفسه وشهوات عالم حسه . إلى عوالم أنسه

وقد أخبر السيد رضي الله تعالى عنه بفوائد الحياء وأسبابه فقال :

" فإذا أشغل العبد قلبه بهذه المراقبة ، واستعمله فيها ، وألزمه إياها حتى اعتادها وألفها ، لزمه الحياء من الله تعالى أن يقول قولاً أو يفعل فعلاً لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب (وهم معكم أين ما كنتم) ، فإن الله تعالى معه وناظر إليه ن فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلاً أو يسرق والناس ناظروا إليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس إليه فإنه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه ، فإذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً ن والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ويحط قدره عندهم

ولا شك أنه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعاً ن وهذا معنى قول النبي r في الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر إليه . وبالله التوفيق وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله "

قال صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه : لقد أفاد السيد رضي الله تعالى عنه وأجاد ن وأتى بما يستنير به الفؤاد ، جزاه الله تعالى عنا أحسن الجزاء ورضي عنه وأرضاه ، ولقد اشار رضي الله عنه إلى أعلى مقامات الإحسان بقوله : " وتجل لي يا غلهي بمقام الإحسان الجامع لأسرار كمال اعبد الله كأنك تراه . حتى أشاهد الحسن الذاتي الإلهي الكمالي المطلق الساري في جميع جزئيات العالم وكلياته ، فتنجذب روحي وجسمي بل كلي وسائري إلى مغناطيس الجمال الإلهي ز فأذوب فيه ولوعا وعشقاً عن كل شئ سواه ز حتى أكون عين العشق الإلهي . بل عين الحسن والجمال ز بل حتى تكون ذاتي كلها عشقاً ذاتياً وجمالاً إليها صرفاً من جميع الوجوه "

: ومن كشف له عن الحسن الذاتي كيف يميل قلبه إلى الفئ الغيري ؟! ومن شاهد الكمال المطلق السار كيف ينظر إلى خيالات الأغيار ؟! من جذبت روحه وجسمه إلى مغناطيس الجمال ن كيف لا يتخلص من الأوهام والأوحال ؟! ومن ذات ولوعاً وعشقاً عن كل شئ سواه ، كيف لا يتلذذ بذكر مولاه ؟!

ومن كان عين العشق الإلهي كيف لا تشتاق إليه الأكوان وتستتير بنوره القلوب والأبدان ؟! ومن كان عين الحسن والجمال كيف لا يكون ذات اتصال وتنفع بأقواله الرجال ؟! ومن كانت ذاته عشقاً ذاتياً فقد ارتقى مقاماً عليا ، ومن كانت ذاته جمالاً إليهاً كان عند ربه مرضياً ، وقد اشار السيد رضي الله تعالى عنه على مقام الحياء بقوله : " وتجل لي يا إلهي بمقام الحياء الجامع لكل خير سر قول نبيك سيدنا ومولانا محمد r : إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين "

وهذا أشبه بقوله تعالى : (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) يعني من كان يحب مغفرة الله تعالى وعفوه فليعف وليصفح عن عباده . ويؤخذ من هذا أن الله يحب المتصفين بصفات الكمال ويتجلي عليهم بمثلها (للذين أحسنوا

الحسنى وزيادة) ويفعل معهم مثلها ، وحقيق أن مقام الحياء جامع لكل خير ن وفي هذا إشارة إلى الحديث " فإن الحياء لا يأتي إلا بخير "

ومن وصل إلى هذا التجلي لا يبالي بالناس ، إذ الحياء من الله تعالى يتلاشى معه الحياء من الناس ، والذين لم يكونوا كذلك إنما يستحييون من الناس ، فإن غابوا عنهم فعلوا ما شاءوا ، وأن حضروهم تركوا ما يستقبح من أجلهم ، وأما الذين حياؤهم من أجل الذي لا يغيب فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً من القبائح ، ونور الحضرة لديهم لائح ، هممهم رفع درجاتهم عنده ولو سقطوا عند غيره ، لا يبالون بالقواطع إلا عنه . ولا بالموانع إلا منه . فاتق الله ما استطعت وافتح لنفسك بالله أبواب القرب . فما فتحت على عبد إلا حاز بها أعالي الرتب . وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة . فمن تمسك بهما فقد نال غاية المنة ز ونادته السعادة وأقبلت عليه وأتاحت له ذلولها . ودقت له في عوالهما طبولها

الفصل السادس : المريد الصادق

أنف عنك ما سواه

أنف عن نفسك ما سواه لترتقي . فما دخل الحضرة إلا القلب النقي . فإذا ظفرت بالنقاوة . ذقت لذكر ربك حلاوة . إذا بقلبك حلت . لحلاوة غير العبادة عنك جلت فإذا جلت عنك الأغيار أزيلت عن قلبك الأستار ز وهبطت عليه أنواع الأسرار ز عند كل نفس وحركة وقول وفعل . وحياك ابن الفارض رحمه الله بقوله

ولاح سر خفي يدريه من كان مثلي

فللشمس ضوء قبل الإشراق . وللتجلي سر قبل التلاق . فأكثر من قول لا إله إلا الله . لتعرف النفي والإثبات ز وتبدل منك الصفات بالصفات . فصفات نفسك حجاب قدسك . فمزقها بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما سمعه علم الله) لتكسى من صفات محمد رسول الله r

واعلم يا أخانا في الله ، نظر الله إلينا أجمعين بألطاف أهل ولايته ، أن هذا الذكر ثقيل على النفس لنفاسته وسرعة هدايته ، ويحصل به أمران عظيمان عليهما مدار الإصلاح ، وهما عنوان الخير والفلاح :

الأول : تمزيق الصفات النفسية . وهو أثر قولك لا إله إلا الله

والثاني : اتصافك بالصفات المحمدية . وهو أثر قولك محمد رسول الله r ؛ لأنه باب الله تعالى الموصل إلى حضرة الحب والقرب . قال سيدي أبيض الوجه البكري رضي الله تعالى عنه :

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

والإتيان من هذا الباب يكون بأمرين :

الأول : حبه r كما ينبغي

الثاني : متابعته r في الأقوال والأفعال

وكأني بك إذا أكثرت من هذا الذكر ستفتح لك أبواب ما خطرت لك ببال ، ولطالما بحثت عن ورد غير هذا طالباً ما حدثتك به نفسك ، ولقد دللناك على كنز لو فطنت له ، ولكنك لازلت تنظر إلى الجيفة على غير ما هي عليه ، ولو كشف ران قلبك لأبصرت ما أبصره العارفون ، ولوليت عنها إلى ما ابصرته بصيرتك ، وعلقت به سريرتك ، وعندي في أورادي ما يكل عنه تعبير لسانك ن وتفكير جنانك ، فإلى متى وبيننا المباينة ؟ أما آن لك أن تكون من أهل المعاينة ! فما دخلت

لنا قلباً ولا خطرت لنا بخاطر ، ولقد فررنا منها حينما فر إليها غيرنا ، وكان فرارنا إلى الله (ففروا إلى الله)

واعلم أن أرض طريقنا هذا لا يسقى إلا بماء الدين الخالص (ألا لله الدين الخاص) ولا يثمر شجره إلا الكلمة الطيبة التي تصل إلى السماء (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)

فما عبدناه سبحانه للدنيا التي هي كهشيم تذروه الرياح ، ولكن لنفحات تتنزل في المساء والصباح ، وابتغاء وجهه الكريم ، والتلذذ بقربه وحبه ومناجاته والتذلل بين يديه ، والإقبال عليه ، وشهوده شهوداً خارجاً عن المعقولات والمحسوسات والفكريات والنظريات ، فكيف اشتغلت بذكره وعبادته وما شغلك ؟.

ويقول ابن الفارض رحمه الله تعالى :

فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

يعني الحضرة الإلهية ، والتجليات الربانية ، في مقام كشف الحجاب وإزالة الأسباب . وغيبة وحضور . وفرح وحبور وصفاء ونور . في مقام الفناء لدار الغرور

. وصرف القلب عن الجنات والقصور . إلى ما هو أجل وأعلى (سبح اسم ربك الأعلى) (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وأي حسرة اشد من حسرة من فاته الإيمان . وغره الشيطان . وحرم من الطاعات واحتضن المخالفات . وحرم من لذة العبادة . وجعلها عنده كعادة وحرم من التخلي ز ومنع من التحلي . ولم يكن من أهل التجلي ؟! فإلى متى يا أخانا وأنت في سكرتك . مكبلاً بغفلتك . غرتك من طردناها ز وشغلتك من سلوناها ؟!

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : " النفس إن لم تشغلها شغلتك " يعني إن لم يتشغلها بأوامر الله شغلتك بأوامرها وهكذا الحال . رحم الله الرجال . كيف عرفوا فأثمرت معارفهم ؟ وكيف فروا فسلمت نجائبهم ؟ وكيف كشفوا عن خفيات الأمور . لما استنارت منهم الأنفس والصدور ؟

أيها المريد نهض نفسك بنفسك

وابك على يومك وأمسك

فإلى متى يا عبد الله وأنت تسمعنا سماع المستريب فيما يسمع ؟! وعندك سيوف تلمع . لو حركتها لكانت لكل القواطع عنك تقطع . كم من ليال قد نمتها فما عادت عليك إلا بما عادت ؟ وكم من أيام فيما ليس يعنيك قد أضعتها ؟ وفي ظنك أنك أضعت الليالي والأيام

ولكنك أضعت عمرك الذي كلما مر منه يوم فليس يعود إلى يوم القيامة واراك تبكي على فلان إذا قيل مات وانقضى عمره ، ولا تبكي على عمرك وهو في كل يوم ينقص ولا يزيد ، وأخشى أن تلحق بنا مفلس الحال ، مكبل البال ، منغمساً في الاوحال ، فنهض نفسك بنفسك ، وابك على يومك وأمسك

أيها المريد ماذا تريد

من هذه الدنيا

فواعجباه منك ثم واعجباه ! ماذا تريد من جيفة يؤذيك ريحها ويثقلك أكلها . ويطغيك قربها . ويعاديك أهلها ، إن أقبلت عليها شغلتك . وأن أعرضت عنها

خدمتك . وإن أهنتها أكرمتك . وإن أكرمتها أهانتك ، قولها يضحك أهلها وفعلها يبكيهم ؟!

لما كانت نعمه عليك كثيرة ، وحياتك في الدنيا زائلة وأعوامك في القبر كثيرة ، ويوم الحساب يوم طويل ، والحياة في الآخرة لا نهاية لها كان الأمر منه سبحانه موافقاً لحالك تمام الموافقة ، لأنه أمرك سبحانه بالإكثار من ذكره لا بالذكر وحده ، وحقيق أيها الإنسان إنك لفي حاجة شديدة إلى الإكثار من ذكر ربك ؛ ليكون الإكثار مدافعاً عنك أمام النقم الكثيرة والذنوب الكبيرة ، والأعوام الطويلة ، فلا تترك سلاحك وأمامك الهيجاء ، فإن مكائد الشيطان لك كثيرة ، فأعد له عدة أهل الفلاح ، وإلا يقال لك : كساع إلى الهيجاء بغير سلاح

وقد وعد الله سبحانه الذاكرين الله تعالى كثيراً والذاكرات بالمغفرة والأجر العظيم ، فبشرى ثم طوبى للذاكرين المكثرين ، تلذذوا بذكر حبيبهم وعندهم هو عين النعيم

وقد وعد سبحانه الذاكرين له بطمأنينة القلب في الدنيا والآخرة أيضاً ، والقلب يطمئن بذكر الله تعالى لأن الذاكر يذكره خالقه سبحانه ، فإذا ذكر القلب

الخالق سبحانه ذكره الله تعالى (فاذكروني أذكركم) وإذا ذكر الرب عبده إطمأن القلب بذكر الله عبده ؛ لأنه أكبر من ذكرك لربك (ولذكر الله أكبر) لأنه به تحصل الطمأنينة للقلب ، وكأنه يشاهد ما وراء الغيب ، أناس قلوبهم مشغولة بالأرزاق ، وهو قلبه مشغول بالخلاق ، وهم يعملون للدنيا كأنهم يخلدون ، وهو يعمل للآخرة عمل من قيل لهم غدا ترحلون

اطمأن قلبه إلى زوال الدنيا فنظر إليها وكأنها أمامه زائلة ، واطمأن إلى الجنة ونعيمها فكأنها أمامه حاضرة ماثلة ، إذا فزعت القلوب إلى بعيد ، فزع إلى من هو أقرب إليه من حبل الوريد ، وإذا خاف الناس من عاجز بالقضاء مقهور ، خاف هو ممن بيده تصاريف الأمور ، فلا المزعجات تذهب الطمأنينة إذا استقرت ، ولا الدنيا تدخل قلبه إذا أقبلت أو تولت

متوكل على خالقه ومولاه ، واثق بما عنده عما عند سواه ، إذا بكى غيره على فإن تراه يبكي من خشية الله ، وإذا اشتاق غيره إلى الأغيار شاقه ذكر الله ، نهاره كليلة وليله كنهاره ، يزيل عن سبل سعادته ما حفت به من مكاره ، فلا تصطاده النار بمصائد الشهوات ، ولا تخدعه النفس بما لها من رغبات

وكيف لا يكون كذلك وقد ذكره الحق سبحانه فأخذ في الأسباب فدخل حضرة الأحباب ، والأحباب لا يحبون ما يكره حبيبهم بل يكرهونه ، والأحباب يحبون ما يحب حبيبهم بل ويوقرونه

ولما كانوا كذلك سمواً أحباباً ، وشربوا من شراب الحب أكوابا ، ذكرهم شعارهم ، وحبهم دثارهم ، جذبتهم يد العناية فهم المجذوبون واحتضنتهم الهداية فهم المهديون ، كم سهروا من ليل وكم ركبوا للجهاد من خيل ، عباد بالليل وفرسان بالنهار ، فطناء أذكياء لا يخدعهم خداع ولا تعطلهم عن جهادهم أوجاع ، لا يبالي أحدهم أشبع أم جاع ؟ أضاءوا الكون بأنوارهم ، ونفعوا الخلق بأسفارهم ، وكانوا لله في أسفارهم ، وعمرو الدنيا بأذكارهم ، لهم بالنهار جولات ، وبالليل حضرات ، رحم الله بهم عباده وهدى بهم ، وجعل الإخلاص في قلوبهم ، ذكر الله تعالى شعارهم ، والحياء دثارهم ، والتوحيد عقيدتهم ، والجهاد بغيتهم ، والإسلام دعوتهم ، والقرآن إمامهم ، والنبي r حبيبهم وقدوتهم

حديث شريف

وبالإجازة المباركة والسند المتصل إلى الحافظ المحدث الشريف السيد أحمد بن إدريس إلى الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله r : " حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة "

قال العالم الصوفي الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري المالكي رحمه الله : قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود ، والنبي r لم تقر عينه إلا بالله تعالى ولذلك قال في الصلاة ولم يقل بالصلاة

الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه : الصلاة حبيبة الأرواح ، وفيها مناجاة حبيبها وتنزلات فيوضات المناجاة والتجليات ، وهي عرس الأرواح ، ومهبط الريحان والراح ، وحق للعيون أن تقر بها ، لأن فيها القرب من ربها

فعليك يا أخانا بالإقبال عليها فرضا ونفلا ، لتنال بها ما ناله المصلون الذين خشعوا لربهم في صلواتهم ، فنالوا من ربهم فلاح المفلحين ، وإنابة المخبتين ، أفق يا عبد الله من غفلتك ، وقدم في حياتك لآخرتك

حكم من فضل الله تعالى

قد من الله تعالى بها على بإلهام منه

- ظلمت فأظلمت فهل لك أن تعمل بمنار ربك حتى يستتير قلبك ؟

- وعدلت عن الحق فاعوج سبيلك . فهل لك أن تعدل حتى يعتدل مسيرك ؟

- ظللت تحت ظلال جهلك . وأخلدت إلى أرض نفسك وما استظللك بظل سيفك . حتى تخلد بأرض أكلها دائم وظلها

- ألفت راحتك . وما مددت لفقير راحتك . فلو استوت سفينتك على جودي صفا سريرتك . لوقف إحدى الوقفتين . ورجوت إحدى الحسنيين . مع الذين عرفهم ربهم فعرفوه من " ألست " فدعاهم إلى عرفات فتعارفوا بمن عرفوهم يوم أن كانوا جنوداً مجندة

- والذين وقفوا أمام عدوهم . فاستوى عندهم سيل دماء عدوهم مع سيل دمائهم إذ بالأول معزة دينهم . وبالثاني جنة ربهم

- فلا تمل فتمل إذ الملل من الخلل

- فتخل لتخلو وتتحلى فما تحلى غير خال . ثبت في ميدان التجلي مع الرجال

- فلما تجلى للقلوب الخالية عن غيره تزاحمت على حبه للعاشقين له مطامع لو أظهرها لأنكرها . ومن أجل ذلك نكروها فجلسوا على كراسي مراسي النهايات (إلى ربك منتهاها)(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) غذاؤكم ودواؤكم وشفاؤكم (الله نزل أحسن الحديث كتابا)

- فإذا لأن قلبك بذكر ربك فلا ريب أن يلين لك الحديد الذي هو جوارك . إن جوارحك كبستان فيه من كل الثمرات . وقرآن ربك هو عينه بما أفاد ونهى وأمر . فمن لا قرآن عنده لا حديقة له ولا ثمر فالجنة الثانية بالجنة الأولى "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا يا رسول الله ... وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر " . (وللآخرة خير لك من الأولى)

- جنة الخلد خير من جنة الدنيا ، لأنك تنال فيها شيئين عظيمين :

الأول : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

الثاني : " أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا" (ورضوان من الله أكبر)

• فإذا قمت من نومك . فقد أقامك الذي قوم قوامك . فهو الذي أحياك بعد موتك وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من منامه يقول : " الحمد لله الذي أحياني بعد مماتي وإليه النشور "

• فهيئ نفسك لمن بيده أنفاسك . وذكره إن استطعت عند كل نفس . وخاطر وهاجس إذا هجس . فأنفاسك حراسك إذا فطنت لذلك . لأنها من آثار قدرة مالك الممالك

• فمن العبث نسيانك لجليسك . ووحشتك من أنيسك كم جالسك وأنت تذكر . وكم آنسك وأنت لا تشعر . وربما كان ذلك بواسطة وبلا

• كما خلقك مستقراً ومعرضاً للبلى فالروح مستقر وما سواه فان ، وكحركاتك وسكناتك والزمان . فما بقي ذكرك البقاء . وما فنى ذكرك الفناء

• فهل وصلت حتى تتصل ؟ أم تريد أن تمد رجلك قبل الوصول ، ويدك قبل الدخول ، بل غبت وما غاب ، وتواريت بالحجاب ، وأردت الدخول من غير باب ، فكم سمعت كلامه (حتى يسمع كلام الله) ، وكم ذكرتك أيامه : (وذكرهم بأيام الله) ، فأين حل كلام منك ، وماذا نقلت أيامه عنك

يا طويل الأمل هل تستطيع أن تطيل الأجل ، حتى تصلح العمل ؟ إذا عجزت عن تطويل أجلك ، فكن قادراً على تقصير أملك ، وجاهد نفسك وقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا تتكاسل وتتقاعد وتقول : الأمر لله

• نعم الأمر لله ، أمرك فما امتثلت ، ونهاك فما انتهيت ، فاحكم على نفسك ببصيرتك ، ولا تعتذر بجدل قولك ، (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)

• بل أنت تشهد على نفسك بما وصفها ربك . (وإنه على ذلك لشهيد) فواعجباه أتريد شاهدا بعد نفسك ؟ أم أنت مطمئن إلى ما بعد قبرك

• لقد رجوت وما عملت . وأعرضت وما خفت (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فمن أين لك هذا الرجاء وأنت قد غفلت عن وحي تنزل من السماء لو رفعت راسك إليه لرفعك ؟ ولكنك أخلدت إلى الشيطان فوضعك .(ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض)

• ما أنت إلا كالسيف في قرابة ، أما آن لك أن تظهر هذا السيف ليظهر لك نوره . وينجلي عن قلبك ديجوره فالقراب جسمك الكثيف . الذي حجب صفاء روحك اللطيف

فلولا الغمد يمسكه لسالا

• وأسمعك من بديع إلهامه مقالاً . فأخرج روحك بآيات ربك إلى نور ربك (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وأضئ أرض جسمك بالعمل بكتاب ربك (وأشرقت الأرض بنور ربها)

المعاني الرقيقة

الفصل الاول : ماء الغيب

الفصل الثاني : تجلي الحق

الفصل الثالث : السر

الفصل الرابع : الهمة

الفصل الخامس : الله

الفصل الاول : ماء الغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه عن معنى هذه الأبيات :

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر

ولا تيم بالصعيد وبالصخر

وقدم إماما كنت أنت أمامة

وصل صلاة الفجر فى أول العصر

فهذى صلاة العارفين بربهم

فإن صلاة العارفين بربهم

فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

فقال رضى الله تعالى عنه : هذه الأبيات للشيخ الجنيد رضى الله تعالى عنه , ثم قال : توضأ بماء الغيب

معناه :

تطهر بطهارة التجلى الإلهى ؛ لأن الماء متجا فيه الحق باسمه المحى فلذلك يجد المتوضئ أثر الحياه عاجلا من النشاط فى أعضائه فهو يقول كن حيا بحياه الله فان الغيب هو الله تعالى لكونه عند الخالق غيبا لا يشهدونه ومن شهد منهم

فلا إحاطة عنده ولا يحيطون علما فهو الغيب أيضا والكل غائب عنه وهو من باب الحج عرفة فان كل شئ غائب يطلق عليه غيب

لم يذكر التجلى فى القرءان إلا مرة واحدة قال تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا : وقد أشار الى ذلك السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه فى الأحزاب يقول وقد صار الجبل وهو من الصم الراسى الشامخات دكا وخر موسى وهو من كبراء خواص أصحاب الوحى صعقا من ظهور قدر أنملة الخنصر من نورك كما أعلمتنا بذلك فى الوحى الإلهى بقولك : فلما تجلى ربه للجبل دكا وخر موسى صعقا

تجلى الحق فى الماء ليس كتجليه للجبل

تجلى فى الماء ليس كتجليه للجبل و إلا لما رأيت ماء موجوداً ولكن المراد بالتجلى هنا تجلى الإمداد أى :أمد الله تعالى الماء بمظهر من مظاهر اسمه المحيى فصار الماء يحيى بهذا الإمداد والإحياء : إما حسى كما فى الحيوان والنبات وإما معنوى وهو ما يحصل من نشاط وانتعاش فى الأبدان عند استعمال الماء.

وقد أشار ابن الفارض رضى الله تعالى عنه إلى هذا المعنى بقوله:

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت

لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

أشار إلى أن مدامة العارفين نجلى عليها الحق باسمه المحي أى:أمدها بمظهر من مظاهرة

ومن هذا القبيل ظهرت المعجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام والكرامات للأولياء رضى الله تبارك وتعالى عنهم.

تجلى الحق على عباده الصالحين

ولما تجلى الحق سبحانه باسمية القوى والسريع على الذى عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا استطاع إحضار عرش بلقيس فى أقل من طفرة عين

وهكذا يا أخانا كلما صرت مظهرا لاسم من الأسماء انقاد لك ما شئت من الأشياء ؛ لأنك صرت بريئا عن حولك وقوتك وأعمالك تحصل بحسب نيتك فأنت تنوى والفعال غيث قدرته همى : وما رميت إذ رميت و

لكن الله رمى

وهذه صفات العارفين الذين طهروا أنفسهم بماء الغيب من الأرجاس والزلل فأسمع أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سارية بن زني من مسيرة شهر بقولة ياسارية الجبل الجبل . من ترك الحزم ذل واستطاع سارية أن يسمع لأن التجلى كان للاثنين

كما توقع تجلى السكينة (إذ أخرجة الذين كفروا ثانى اثنين)

كما حصل تجلى الامن من الحق سبحانه للنبى صلى الله علية وآلة وسلم بلا واسطة وللصديق رضى الله تعالى عنه بواسطة صلى الله عليه ةآله وسلم (إذ يقول لصاحبة لا تحزن إن الله معنا)

والتجلى بالثبات لطلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه يوم لأحمد حينما وضع النبى صلى الله عليه وسلم قدمية الشريفتين على طهرة ثم قال : (وجبت يا طلحة . قال : ما هى يا رسول الله قال الجنه)

والتجلى بالثبات لعكاشة رضى الله تعالى عنه حينما أعطاة النبى صلى الله عليه وآلة وسلم عرجونا فصار سيفا فلولا التجلى الإلهى بالثبات لعكاشة لما استطاع حمل هذا السيف ولا الضرب به

وكذلك تجلى الحق سبحانه بالثبات على سيدنا على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه يوم الفتح حينما وضع قدميه على كتفى النبى صلى الله عليه وآلة وسلم عند الكعبة لإنزال صنم خزاعة من فوقها

لطيفة قال الشيخ الألوسى رحمة الله تعالى : دخلت فاطمة بنت لأسد رضى الله تعالى عنها داخل الكعبة فأجاءها المخاض فوضعت ابنها فأكرمة الله تعالى بوضعة داخل الكعبة وأكرمة بإنزال الصنم من على ظهر الكعبة

وقد أشار الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه إلى ذلك بقولة

يارب بالقدم التى أوطأتها

من قاب قوسين المحل الأعظما

وبحرمه القدم التى جعلت لها

كتف المؤيد بالرسالة سلما

ثبت على متن الصراط تكرما

قدمى وكن لى محسنا ومكرما

واجعلها ذخرا فمن كانا له

أمن العذاب ولا يخاف جهنما

وأيضا تجلى الحق سبحانه وتعالى على سيدنا على كرم الله وجهه باسمه القوى فخلع باب خيبر بيده اليمنى بعد أن أعجز الجيش خلعة فلما رأوا ذلك كبروا جميعا لذلك المظهر العجيب

وقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم كانوا إذا مشوا فى الظلام أضاء لهم نور يمشون به فإن نفرقوا تفرق النور معهم وهذا مظهر من مظاهر تجلى اسمه النور وهكذا مظاهر التجليات لا تتحصر

وكان تجلى الواسطة بين العلمين الصبر للاثنين فصبر سيدنا موسى عليه السلام حتى وصل إلى ثلاث مسائل مختلفة وصبر سيدنا الخضر علية السلام حتى كشف له عنها

وكان التجلى الإلهى على رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم بالقوة التى يعجز عنها العالة أجمع حينما ضمه سيدنا جبريل عليه السلام بالقوة الملكية التى من علامات نبوته صلى الله عليه وآلة وسلم أنه يتحملها (فضمنى حتى بلغ من الجهد) وكذلك ثباته صلى الله عليه وآلة وسلم عند تنزل الوحى بالطريق الخارق للعادة

ولما كان القلب المحمدى مظهر التجلى بالقوة والثبات كان مهبط الوحى (نزل الروح الأمين على قلبك) فكان الجالسون لا يسمون الوحى ولو سمعوا لصعقوا ,

لأن الحق سبحانه لم يتجل عليعم بالقوة الإلهية التى تؤهلهم لسماع الوحى الإلهى ثم بعد ذلك يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم على حسب استعدادهم الفطرى واستعدادهم الإيمانى

واعلم ي عبد الله – أكرمنى الله واياك بتجلى المعرفة – أن سماع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم ليس كسماعه من غيره بل سماع خاص محاط بخصوصيات النبوية ونظراته المحمدية فالنظر إلى وجة النبى صلى الله عليه وآلة وسلم له خصوصية وسماع صوته صلى الله عليه وآلة وسلم له خصوصية والجلوس بين يديه صلى الله عليه وآلة وسلم له خصوصية .

ومن أجل ذلك : نال الصحابه جميعا رضى الله تعالى عنهم رتبة الاجتهاد والقدوة الحسنة قالب علية الصلاة والسلام : (أصحابى كا النجوم بأيهم اقتديهم اهتديتم) ولما كان صلى الله عليه وآلة وسلم شمس الشريعة وقمر الحقيقة كان أصحابه نجوم الاهتداء , قال عليه الصلاة والسلام (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذيم يلونهم)

ومن أجل ذلك تزاحمت الأنوار والبركات والفيوضات على الأولياء الذين رأوه صلى الله عليه وآلة وسلم بعد مماته يقظة وسمعوا منه وجلسوا بين يدية . وكان لهم القدم الراسخ فى التمسك بالكتاب والسنه كسيدى أحمد بن ادريس وتلميذة سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنهما حيث أخبرا بذلك ووجد لهما كلام فى مؤلفاتهم يدل على صراحة على ذلك.

وأنواع اللتجليات كثيرة متنوعة وقد ذكر منها شيخنا الفاء صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى أحزابه ثلاثا وخمسين تجليا وهى يجلى سر اليومة الإلهية ةتجلى مقام الاستواء وتجلى العظمى الجامعة تجليات الألوهية التجليات الألهية الواحدية التجليات الإلهية الملكية , تجليات الربوبية , التجليات الإلهية القدرتية , التجليات الإلهية الفطرية . التجليات الإلهية البدئية والإعادية . التجليات الإلهية الإحاطية . التجلياتن الإلهية الولائية , تجليات الهوية الإلهية , تجليات الوجة الألهى , التجليات الإلهية الأحدية الصمدية . تجلى عيون بصائر القرآن الإلهى , وجوه تجليات الإسم الله , وتجلى توحيد الذات تجلى أسرار الكتاب المكنون الألهى , تجلى عظمة الذات تجلى أسرار الذات تجلى الحقائق الذاتية الإلهية الكمالية . تجلى الاسم العليم .

تجلى حقائق معارف الأنبياء والمرسلين , تجلى الذات القوتية . تجلى النور الأعظم تجلي غيب الهوية الإلهية الإطلاقية الإحاطية , تجلى الكبرياء الذاتى , تجلى الكلام الإلهى , تجلى عين العين . تجلى مقام الإحسان . تجلى عين بحر المحبة الذاتية الإلهية , تجلى العافية الكاملة , التجلى بقوة ذاتية للتحميل , التجلي بالجلال والجمال والعظمة والكبرياء والنور والبهاء.

التجلى الأعظة الإحاطى , التجلى بحلاوة الأيمان , ولذة التقوى , التجلي بلاسم العظيم الاعظم , التجلى بالاسم النور الإلهى , التجلى بسلطنة الألوهية , التجلى بالرحموت الأعظم , التجلى بالرهبوت الأكبر , التجلى بالغبوت الأنور , التجلى بكنوز المعارف الذاتية , التجلى بمقام الحياء , التجلى بعلوم النواكيس القرآنية , التجلى بالحقائق الكهنية الذاتية الإلهية , التجلى بسر توحيد الانانية المصون التجلى الأعم الإلهى الإحاطى , التجلى بالعين الحقيقة الإلهية , التجلى بطوات الألوهية .

وختام اتجليات : اللهم تجل لى بذاتك حتى تسرى فى ذاتى لذة الألوهية ....
الخ

ظهور أثر التجلى على الأشباح

وموضع التجلى الأرواح وقد يظهر على الأشباح أثره كبكاء صاحب تجلى القيض وضحك صاحب تجلى البسط , وعلم صاحب تجلى العلم , وكرم صاحب تجلى الكرم , وعزلة صاحب تجلى الأنس بالله . وهكذا إلى منتهى التجليات

فالمتجلى خفى , التجلى خفى , والمتجلى به خفى والروح المتجلى عليه خفى وبينهم تعارف قديم فتلك الخفياتن قديمة باقية (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشدهم على أنفسهم ألست قالوا بلى.

واعلم يا أخانا ثم اعلم ما سيلقى عليك لتعلم أن الحشر حشران لجميع العباد فالحشر الأول : حشرهم يوم ان قال لهم الحق سبحانه : (ألست بربكم) والحشر الثانى : يوم القيامة لهم (ولقد جئتمونا فؤادى كما خلقناكم أول مرة) فالذى حشرهم أول مرة وأشهدهم على أنفسهم وأسمعهم خطابه قادر على أن يحشرهم مرة ثانية وأن يسمعهم خطابه كما أسمعهم أول مرة

فائدة : التجلى الأول كان مصحوبا بالمشاهدة والسماع والإجابه فقال سبحانه (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) أى فاستمعوا له بآذانكم مشاهدين لربكم ببصائر قلوبكم لعلكم ترحمون بالتذكار فالمشاهدة تذكر المشاهدة والسماع يذكر السماع قال ذو النون المصرية رحمة الله كأنه فى أذنى الآن يعنى السماع الإلهى القديم يوم أن قال سبحانه لعبادة (الست بربكم)

فالمعرفة قديمة وهى حق والإنكار حادث وهو باطل فإذا التقيا زهق الباطل وبقى الحق (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)

فيلزم من قول العباد فى الأزل : بلى أن يكونوا طائعين لربهم لأن الاعتراف بالربوبة يستلزم طاعة الرب سبحانه فالطاعة حق والحق يزهق الباطل فمن أقبل على الطازهقت معاصية لأحقية الطاعة وبطلان المعصية

ومن اختار المعصية فقد اختار اللاحق وأصل الاختيار يكون للسابق ولهذه النكته المهمة يفرح الطائع لأنه اختار السابق ووضع الشئ فى موضعة (فبذلك فليفرحوا) ويندم فاعل المعصية لأنه اختار اللاحق ووضع الشئ فى غير موضعة ولم يكن موفيا لاستلزامة السابق.

فالمعصية : ميمها مررتها عند الروح المؤمن , فالمعاصى ليست مرتعا للأرواح وإنما هى مرتع للنفوس الأمارة المظلمة

قال :- علية الصلاة والسلام :- (إذا مررتم برياض الجنه فارتعوا قالوا : وما رياض الجنه يا رسول الله ؟ قال حلق الذكر

وهذا الحديث أول ما سمعته عن شيخى العارف بالله تعالى السيد محمد الشريف بن العارف بالله تعالى السيد عبد العال بن العارف بالله تعالى سيدى ومولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – قال السيد محمد الشريف – رضى الله تعالى عنه -: يؤخذ من هذا الحديث استحباب الاجتماع فى حلق الذكر وأن العارفين يتلذذون بذكر الله تعالى كما يتلذذ أهل الجنه بنعيمها . أ هـ

(شرح كلام السيد محمد الشريف – رضى الله تعالى عنه) يقول أن الإجتماع فى حلق الذكر سنه وليس بدعة كما يدعية المدعون لورود حلق الذكر فى الحديث

وقد فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ذلك وأقرهم النبى صلى الله عليه وآلة وسلم كما فى صحيح مسلم

فناء الأغيار يورث الأنوار

وأما تلذذهم بالذكر فلأسباب :

أولها (فناء ما سوى الله – تعالى – عن عين البصيرة حتى نفسه ولذلك كان السيد كثيرا ما يقول وهو فى الذكر (أفن نفسك يا ذاكر) ولقذ ضكرت معه كثيرا والحمد لله وفناء الأغيار يورث الأنوار وهى بمنزلة الذوق اللسانى للقلب

الشئ الثنى : مشاهدة الحق سبحانه مشاهدة منزهة عن الكيفيات خارجة عن المعقولات حتى يظهر أثر المشاهدة للروح وهو بمنزلة نعيم الجنه ولا يفضلة إلا الرؤية الإلهية كما قال صاحب بدء الأمالى رحمه الله فى وصف أهل الجنه عند رؤية الحق سبحانه

فينسون النعيم إذا رأوه

فيا خسران أهل الاعتزال

والمعنى : ينسون نعيم الجنه لنعيم الرؤية الإلهية كذلك العارفون فى الدنيا ينسون نعيم الدنيا لما يجدونه فى قلوبهم وأرواحهم من التلذذ بمشاهدة الحق – سبحانه وتعالى – كما قال سيدى عبد الله المحجوب الميرغنى – رضى الله تعالى عنه –:

وشاهد الذكر مع المذكور

وغب عن الجنان والقصور

والسيد عبد الله المحجوب الميرغنى من العلماء الأولياء الواصلين

نقل الجبرتى فى تارريخة عن الشريف الرضى تلميذ السيد المحجوب قال : دخلت على السيد المحجوبي ذات يوم وسألته عن نسبه , ففتح صندوقا وأخرج لى منه نسبه الشريف فقلت له وأين أسانيد الأحاديث النبويه فقال لى عنى رضى الله عليه وآله وسلم) فعلمت أنه فى مقام الاتصال المحمدى

قلت : وهذا الكلام الذى نقله الشريف الرضى – رحمه الله تعالى ــــ يؤيد ما كتبه سيدى أحمد بن إدريس فى رسالته المسماه بالجواهر من أنه تلقى أوراده جميعها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقظة وقد صرح السيد أحمد – رضى الله تعالى عنه – بان كل من أخذ طريقة سينال حظا وافرا من اجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومناما وإن شئت فاقرأ قوله :

(واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما

وكلام السيد محمد الشريف – رضى الله تعالى عنه – يفيد أن التلذذ بالذكر شئ عظيم

إسمع يا أخانا ثم أنصت بقلبك الى كلامنا هذا إن العارف بالله إذا ذكر الله تعالى تلذذت روحة وجسدة وشعره وهو يشعر بذلك وهو فى هذه الحالة لا تحرقة النار ؛ لأنه فى حضرة اتصال يقلب له جميع المضار نفعا (قلنا يا نار كونى بردا ولاما على إبراهيم)

(بردا) لأنه فى حالة تقلب الأذى نفعا (وسلاما) عن أن يشغله هذا البرد عن التلذذ الروحانى بذكر الحق – سبحانه – قال – عليه الصلاة والسلام -: (حسبى الله ونعم الوكيل كلمة أخى إبراهيم حين القى فى النار) فالمشاهدة يتلذذ بنظرة الغيبة عن نفسه لا عن المشاهدة كما قال العارف :

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظرى

فغب وعنكم لا تغيب سرائرى

وكذلك سمعه فى لذة الشهود كما قال العارف

فأذنى لم تسمع سوى نغمه الهوى

وإنى منكم لا من الطير سامع

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) تؤتى أكلها الطيب اللذيذ كل حين منها لها

على وفق الماهدة من المشاهد والتجلى من المتجلى فيجتمعان فى روح واحدة , شهود تجلى

وسركم فى ضميرى

والقلب طور التجلى

وسركم شهودى لكم الذى به يحصل التجلى لى منكم ثم تؤتى شجرة إيمانى أكلها كل حين لروحى بإذن ربها

(وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت وحقت) كذا أرض الجسم التركيبى بعد نفخ صور التجلى , تتخلى النفس عن كل شئ سوى الحق جالسة على كرسة المشاهدة ناظرة بقلبها إلى ربها مفتحة أبواب علوها نازلة عليها منها عيون واردتها الصارفة لها عما سوى الحق من جميع الوجوه انتهى شرح كلام السيد الشريف

الشرح قوله رضى الله تعالى عنه :

فلذلك يجد المتوضئ أثر الحياه عاجلا من النشاط فى أعضائة

من بيانية وما بعدها بيان لقولة : أثر الحياه لأن الحركة والنشاط والقوة من صفات الحى لا الميت

والحكمة فى وجود المتوضئ النشاط أمران

الأول : ما ذكرة السيد رضى الله تعالى عنه من قوله : إن الحق متجل على الماء باسمه المحيى

والامر الثانى : شعور الروح بدنو لقاء الحبيب لأن الوضوء كالبشرى باللقاء كمن كسل وخمول وقيل له إن والدك بالباب يريد أن يتحدث معك فهذه المقالة تحدث به نشاطفى الحال

الفصل الثاني : تجلي الحق

تجلى الحق على الماء وعلى الروح

وهناك أمر ثالث وهو أهم : توجه الروح عند الوضوء إلى لقاء الحق سبحانه . وبه تحدث مبادئ التجلى الإلهى الذى ينعش الروح بعد إكمالها الوضوء أو الغسيل وحينئذ يجتمع تجليان تجلى الحق على الماء وتجليه سبحانه على الروح

والمناجاه الإلهية فى الصلاه تجتاج إلى روح وجسد وقد أعد تجليه على الماء الجسد عند استعمالة للماء كما أعد تجليه على الروح الروح عند توجهها إليه

وبهذين التجليين يدخل المصلى فى حضرة لا إدراك وهى : الله أكبر وفى حضرة إدراك وهى السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ثم يدخل بهما الحضرتين الالهية والنبوية فالاولى مظهر قولك لا إله إلا الله والثانية مظهر قولك محمد رسول الله

ثم يدخل بهما حضرتى القرءان الطاهرة فيظهر على جوارحة جميعها العمل بكتاب ربه سبحانه فى جميع حركاته وسكناته وأنفاسه كلها من جميع الوجوه

ويدخل فى حضرة القرآن الباطنة حتى تكون روحة روحا قرآنية صرفا فى جميع الوجوه فللظاهر قولة تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك)وللبان قولة تعالى : (

وكذلك اوحينا إليك روحا من أمرنا) فالذكر للسان والجوارح والروح للروح ولقد قيل السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى آخرة وأمرة (لا شيخ لك إلا القرآن)

وقوله : فهو يقول :

كن حيا بحياه الله

الشرح : الحياه كلها لله فما معنى حياه الله ؟ فالإضافة على اللام أى حياه لله وعلى تقديرصفة أى حياه محبوبة لله وهى الحياه الطبية التى أشار إليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (من عمل عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياه طيبة) فيكون المعنى إعمل بشرع الله تعالى لتحيى بالحياه الطيبة التى يحبها الله تعالى ويرضاها قال تعالى -: (أو من كان ميتا فأحييناه)

اعلم ياعبد الله أن الموت موتان : موت يحصل بخروج الروح من الجسد الأكبر , وموت يحصل بالنوم وهو الموت الأصغر وكذلم الموت المعنوى قسمان : موت اكبر وهو الذى يحصل للكافر بسبب الكفر وموت أصغر : وهو الذى يحصل للمسلم

بسبب المعاصى فإحياء الكافر من موت كفره بالإسلام وإحياء المسلم من موت معاصية يكون بالتوبه والاعمال الصالحة فالولى الصالح إذا صار حيا بالله له وصفان الول فى قوله تعالى (لهم البشرى فى الحياه الدنيا)

والنور يكشف للولى عن نفسه لنفسه وعن نفسه للناس والبشرى من ربه لنفسه ليطمئن قلبه قال تعالى (قال بلى ولكن ليطمئن قلى) وبشرى أيضا لإخواته وأحبابه قال تعالى (فبشر عباد)

قال سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله تعالى عنه

إن تكن بالله قائم

لم تكن بل أنت هو

أنت سر الغيب من

أسمائه والشمس هو

وقول السيد النابلسى رضى الله تعالى عنه -: (الشمس هو) إشارة الى قولة تعالى (الله نور السموات والأرض) فلولا النور لما ظهر شئ لك ولا غيرك والظاهر سبحانه وتعالى هو الذى أظهرك بشمس الوجود لك ولغيرك (فمحونا آيه الليل) أى العدم (وجعلنا آيه النهار مبصرة) أى الوجود فالعدم لا تهدى به العقول إلى شئ والوجود تهتدى به إلى رب الوجود فالوجود دليل قطعى على الموجد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا)

ثم أعلم لأن الحياه بالله تحتاج الى موت يسبقها كحياه الشهيد فإنها توهب لصاحبها بعد موت قبلها كذلك العارفون يكونون أحياء بالله بعد موتهم فى حب الله

قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه (فالموت فيه حياتى) أى فالموت فى حب الله فى حياتى بالله وحياه الحب فى منتهى الرقى والقرب قال الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه (فأذوب فيه ولوما وعشقا) أى فى حب الله لأحيا فيه بالله تعالى وهكذا يخبر العارفون عن أحوالهم

ومما سمعته عن أحوالهم

ومما سمعته عن شيخى العارف بالله تعالىة السيد محمد الشريف هذه الأبيات لسيدى عبد الكريم الجيلى رضى الله تعالى عنهما

خلع العذراء متيم الأحشاء

فعلى الحياه تحية من نائى

لله درك يا زمان صبابتى

دم لى ففيك مجامع الاهواء

يا راحلين وفى الفؤاد رحيلهم

والقاطنين وربعهم أحشائى

وقد أشار سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه إلى نوع من أواع الحياه بالله تعالى بقوله :

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمو عنا

وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

فبعد كمو موت وقربكم حيا

ولو غبتمو عنا ولو نفسا متنا

فجعل القرب لله هو الحياه بالله ومن صار حيا بالله ذكر اسمه تعالى الحى ومن ذكر الحى القيوم لأن الحياه تحتاج إلى قوام من القيوم فصار حيا بالله مستغنيا عن كل حى سواه قائما بالقيوم مستغنيا عن كل مقوم سواه

وإلى هذا المقام أشار سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقولة (وتجلى لى يإلهى بسر القيومية الالهيه التى قامت بها شيئات الأشياء كلها سر قيومتك الإلهية المودع فى قولك : الله لا إله إلا هو الحى القيوم)

قلت : ويحصل للعارف فى هذا التجلى الاستغناء عن كليات العالم وجزئياته ظاهرا وباطنا بالحى القيوم

قال السيد محمد اليمانى لوالده الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهما باليمن وكان صغيرا إذ ذاك : (يا أبت نفذ الحب آتنا بالحب قال له والده يابنى إن والدك لا يملك الحب قل يا رب الحب آتنا بالحب فصار يرفع يديه إلى السماء عند باب المنزل ويقول يا رب الحب آتنا بالحب فما مضت أيام قلائل حتى جاءت الجمال تحمل القمح والأرز وخيرات الله تعالى

حال أهل التجريد مع رب العبيد كلما دعوه لباهم وكلما سألوه أعطاهم تمر عليهم الايام والليالى الرجل منهم بغير ربه لا يبالى خدموا مليكهم فخدمتهم الملوك ليس فيهم فى الدنيا فقير ولا صعوك تذللوا لله فذلل لهم الصعاب وفتح لهم من الخير كل باب فالابواب مفتوحة لهم من غير مفتاح يدخلونها بسلام فى مجمع الارواح

الدنيا لديهم صاغرة والاخرة لديهم ماثلة حاضرة

شربوا على ذكر ربهم صافى الشراب فصارت الدنيا تر أمامهم مر السحاب

رأوها فعرفوها زائلة فعرفتهم فاقبلت عليهم بعد اعراضهم عنها فخدكتهم فهى تتشرف بخدمتهم اذاهم راوا العار فى خدمتها وهى تفر اليهم لعلو قدرهم اذا هم فروا منها لخستها

لبسوا لفتنتها الدروع وتحصنوا من غوائها بالخشوع

أمدهم الله بجنوده فما ضعفوا وما استكانوا ولحبهم لربهم اعلنوا (إذ يوحى ربك الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) قال سيدى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم

وكيف يطيق النوم ولهان هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت

جفونا لعينيك الدموع السواجم

نهارك يا مغرور لهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره غبه

كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

قوله

فان الغيب هو الله – تعالى – لكونه عند أكثر عند أكثر الخلق غيبا لا يشهدونه ومن شهده منهم فلا إحاطة عنده (ولا يحيطون به علما) فهو غيب أيضا والكل غائب عنه وهو من باب الحج عرفة فإن كل شئ غائب يطلق عليه غيب

الغيب وأنواعه

قلت : قال القرطبى رحمه الله عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) الغيب ما غاب عنا قال الشاعر

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا

يصلون للأوثان قبل محمد

نعم الغيب هو ما غاب عنا وينقسم إلى قسمين

الأول : غيب حقيقى وهو الذى لا يعلمة إلا الله سبحانه وتعالى – ويدخل فيه الحق – سبحانه وتعالى

والثانى غيب إضافى وهو الذى يكون لبعض الخلق شهادة وللبعض الآخر غيبا فما وراء السماء الدنيا غيب بالنسبة لنا شهادة بالنسبة لسكانها والكعبه غيب كان بالهند مثلا شهادة بالنسبة للطائفين بها وإذا دخل عليك إنسان وفى جيبة مائة دينار وأنت لا تعلم فهى بالنسبة اليك غيب وبالنسبة اليه شهادة وهذا الغيب الاضافى ينقسم الى قسمين الى ممكن الوصول اليه كالكعبه والدنانير وغير ذلك وإلى غير ممكن كالوصول اليه يدرك بالأسباب العادية المتعارفة كأن يسافر إلى الكعبة أو يدخل يده إلى جيب العادية المتعارفة كان يسافر الى اكعبة او يدخل يده الى جيب صاحب الدنانير ثم يخرجها فيعدها ويعرفها أو يكشف له وهو فى بلده

فيرى الكعبه أو يكشف له عن عدد الدنانير أو يكشف له أيضا عن الغيب الذى لا وصول إليه بطريق العادة

وهذا الذى جاء عن طريق الكشف يسمى عند العلماء التوحيد الامر الخارق للعادة المسمى عندهم بالكرامة يظهر على يد شخص عامل بالكتاب والسنه والكرامة أمر مجمع عليه عند جميع الامم على اختلاف اديانهم

وقد اخبر الشيخ ابن تيمية رحمة الله ان الكرامات ستبقىفى هذه الامة الى يوم القيامة ذكر ذلك فى الرسالة الدمشقية ومن اراد ان يطلع على العجائب والغرائب فليقرأ كتاب جامع كرامات الاولياء لشيخ النبهانى رحمه الله

ومن الغيب الوحى عند نزولة على النبى صلى الله وعليه وآلة وسلم فإن الصحابة لا يرون سيدنا جبريل عليه السلام ولا يسمعون الوحى والنبى صلى الله وعليه وآلة وسلم يسمع ويرى فهو صلى الله وعليه وآلة وسلم من عامل المشاهدة وعند الصحابة رضى الله تعالى عنهم من عالم الغيب وكذلك يومك الذى ياتى فى غد هو من عالم الغيب فاذا جاء صار من عالم المشاهدة وهكذا ايامك والظروف من الازمنة والامكنة مظاهر للغيب الذى يمكن ابرازة وكذلك جسدك حينما كان

فى بطن أمك كان غيبا ثم ظهر وسيغيب تحت التراب وكل جسم انسانى يحمل غيبين : الروح وهى لا يمكن إظهارها بحال من الأحوال والخواطر القلبية وهى يمكن إظهارة فى قوالب الألفاظ المعبرة عنها

ومن الغيب ما هومعدوم كالاشياء قبل خلقها فلا يمكن الوصول اليها الا اذا خلقت ومن الغيب ما هو موجود ولا يمكن الوصول اليها فى عالمة وهى الارواح قبل نزولها الى الاشباح

وقوكله رضى الله تعالى عنه :-

(لكونه عند أكثر الخلق غيبا لا يشهدونه ومن شهده منهم فلا إحاطة عنده) (ولا يحيطون به علما)

الشرح

قلت : المراد بأكثرالخلق جميع الخلق فلم ير الله تعالى إلا نبيا صلى الله وعليه وآلة وسلم لكن بلا كيف ولانحصار

وقوله رضى الله تعالى عنه

فهو غيب أيضا

أى الحق سبحانه وتعالى لأنه محجوب عنا بالنسبة إلينا من الغيب ونحن بالنسب الى علمه من المشاهدة

وقوله رضى الله تعالى عنه

والكل غائب عنه

هذه الجملة لعلها أن تكون محرفة من الكتاب ولعل الصواب أن يكون وهو محجوب أو مغيب عن الكل ومعناها أن الابصار لا تدركة سبحانه وتعالى:-

وهو من باب / الحج الغيب كثيرة وإطلاقها على الله وحدة فى قول الناظم :

توضأ بماء الغيب

تغليب له على افراد الغيب الاخرى للأهمية وان كانت تسمى غيبا كما أن للحج أركانا غير الوقوف بعرفة لا يتمك الحج الا بها واطلق النبى صلى الله وعليه وآلة وسلم الحج على عرفة فقط لاهميته لا على انه لا غيب سواه

حكم ونفحات وانوار جعفرية

فتجرد من محيط الشهوات ومخيط الهوى الى عرفات قدسك بالوادى المقدس طوى فعساك ان تسمع النداء لترتحل عن الافياء فما فاء ولا سرى نحو كثبان طى ولا طوى بعيس جدة البيداء طى وكيف يطوى عن عرفات مى فما سبحت أرواحهم الا باجنحة اعمالهم ولا نشطت افكارهم الا بقلة آمالهم

فلا تحير روحك بين زائلين جسدك وأملك وانهض بكليتك الى حظيرة قدسيتك وعملك فما انت الا غريب طيار مالك فى هذه الدنيا من قرار

انسيت يوم ان طرت من السماء الى الارض لاقامة السنه واداء الفرض الى اجل مسمى ثم تطير كما كنت

فهل نسيت انك طائر ؟ أم الى ارض جسمك أخلدت وهل يعيش طير بغير طيران ام يتنعم روح علوى بغير قرآن أم انستك الغفلة السفرة الكرام البررة

وكيف ركنت الى الوحوش الارية والكوارث السامة والبلايا النازلة والبلاقع الخاوية وكيف استبدال روحك أصوات القرآن العلوية بمنكرات الاصوات السفلية ما بين ناهق ونابح وسخاب ونائح وطعان وكاشح ؟

أفق من غفلتك الى يقظتك ومن رقدتك الى جنتك فقد آن أوان رحيلك الى مقيللك بظليلك

فهناك العيش وبهجته فلمبتهج ولمنتهج

قال سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه وقوله

إن كنت ذع سر

المراد بالسر كينونة الحق سمعا وبصرا ويدا ورجلا كما يليق بجلاله من غير حلول ولا مزج أن يرجع العبد ربا ولا الرب عبدا ولا ولا ولا بل حقيقة الالوهية لا تعرف الا بالذوق ومن عرفها لالسان عنده يبلغها لغيره , كحلاوة العسل لو عبر عنها المعبر ما عبر ما أدركها من لم يذقها على ما هى عليه ولا وجد طعمها ولذتها كمن ولد أعمى وأردت ان تعبر له عن لون البياض والسواد والخضرة والصفرة ونحوها فانك لا تقدر تصف له وذهنه يذهب الى غير ما وصفت له

نعم ان كان فيك قدرة تزيل عنه العمى فتريه اياها فحينئذ يعرفها ذوقا زالا سبيل الى ايصالها اليه بوجه من الوجوه وقد ورد النقل المجمع على صحته عند كافة المحدثين وان اختلفت رواياتهم فيه فالاصل متفق عليه فيجب فيجب الايمان بها كما يعلم الله ولا يجوز الخوض فيها بالفكر والتكذيب بها تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا مانع فى وجدانها ذوقا ففى الحديث : (من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها

وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى اللتى لا تجامعها شائبة بنجاسة غير ولا سوى لكونه رجع إلى أصلة الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض

منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآلة وسلم وهو أصل الكل الشرح قولة رضى الله تعالى عنه

المراد بالسر كينونة الحق سمعا وبصرا ويدا ورجلا كما يليق بجلاله من غير حلول ولا مزاج ولا أن يرجع العبد ربا ولا الرب عبد ولا ولا ولا

أراد السيد رضى الله تعالى عنه بقوله : كينونه الحق الحديث القدسى الآتى الذى منه كنت سمعه اللذى يسمع به الخ

اعلم يا عبد الله ان الحق سبحانه يستحيل عليه أن يكون منفصلا عن شئ أو أن يكون منفصلا عنه او يتصل بشئ او يتصل به شئ ولا يدنو من شئ دنو حس بل تنزة سبحانه عن جميع الحوادث

اذا علمت ذلك فاعلم أن ماكان متشابها من الآيات والأحاديث النبوية فللعلماء فيه رأيان السلف يؤمنون به مع صرف ظاهرة عما لا يليق بالحق حبحانه وتعالى والخلف يؤولون قال سيدى إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة رضى الله تعالى عنه

وكل نص أوهم التشبيها

أوله أو فوض ورم تنزيها

وهذا الحديث من قبيل المتشابه وقد عبر شيخنا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى شرحة عن طريقتى السلف والخلف ففى أول كلامه أشار الى مذهب السلف وفى آخر كلامه اشار الى مذهب الخلف كما ستقف علىذلك ان شاء الله تعالى

فقوله رضى الله تعالى عنه (ولا ولا ولا) تاكيد لمذهب السلف ثم اراد ان يدلل عليه فقال

بل حقيقة الألوهية لا تعرف الا بالذوق ومن عرفها لا لسان عنده يبلغها لغيره

قلت المراد بالذوق الوجدان الروحانى القلبى الشعورى والمراد بالعرفة وصول القلب الى ما جاء به الشرع من صفاته سبحانه وتعالى لا معرفة الالوهية كما هى كما العارف بالله

وندرك منها مع كمال عقولنا

كما يدرك الخفاش من ضوء الشمس

وكما قيل

البحث عن كنه ذات الله اشراك

والعجز عن درك الادراك ادراك واراد بقوله : ومن عرفها الوصول الى التجليات التى تقدم ذكرها التى يتلذذ العرفون بها ولذلك ضرب المثل بالعسل لا معرفة حقيقة الذات الاقدس التى لا يمكن لمخلوق ان يصل اليها كما قيل (ما عرف الله الا الله)

وقوله : (لا لسان عنده يبلغها لغيره) لان لذات التجليات الالهية التى عند العارف لا يمكن ان يوصلها الى المحرم منها الذى لم يعرفها بالكلام معه والوصف له بوجه من الوجوه ولما كان للتجليات وجهتان الذوق والمشاهدة ضرب المثل بالعسل للذوق وبالاعمى للمشاهدة

وقوله – رضى الله تعالى عنه

وقد ورد النقل المجمع على صحته عند كافة المحدثين وان اختلفت رواياتهم فيه فالاصل متفق عليه

اشار رضى الله تعالى عنه الى هذا الحديث القدسى الذى ستسمعه

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنتة بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ احب الى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصرة الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وائن سألنى لأعطية ولئن استعازنى لأعيذة) رواة بخارى

وعن أم المؤمنين السيد عائشة :- رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(قال عز وجل من آذى لى فقد استيحل محاربتى وما تقرب الى عبدى بمثل اداء الفرائض وما يزال عبدى يتقرب الى النوافل حتى احبة فاذا احببته كنت عينه

التى يبصر بها واذنه التى يسمع بها ويده التى تبطش بها ورجله التى يمشى بها وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به وان دعانى اجبته وان سألنى اعطيته وما تددت عن شئ أنا فاعمله ترددى عن وفاته وذاك لانه يكره الموت وانا اكره مساءته) اخرجة أحمد والحكيم الترمزى وأبو يعلى , والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الطب , والبيهقى فى الذهد وابن عسكر عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله تعالى عيه وسلم قال : (قال الله تعالى ماتقرب الي:العبد بمثل اداء الفرائض وان ليتقرب الى بالنوافل حتى احبة فاذ احببته كنت رجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولسانه التى ينطق به وقلبه الذى يعقل به وان سالنى اعطيع وان دعانى اجبته) اخرجة لبن السنى فى الطب

وقوله رضى الله تعالى عنه

ويجب الايمان بها

أى الكينونة فى قوله تعالى كنت سمعه ....الخ

وقوله رضى الله تعالى عنه:

كما يعلم الله

هذا هو مذهب السلف الصالح فى المتشابه

وقوله

لا يجوز الخوض فيها بالفكر

هذا ايضا تقرير لمذهب السلف

وقولة

و اتكذيب بها تكذيب لله ورسوله

لا ن الحديث صحيح كما علمت

وقوله

ولا مانع من وجدانها ذوقا هذا تشبيه بمذهب الخلف لان الوجدانى الذوقى لا يتأتى الا عن شئ من المعرفة غير انه لا اتاويل هنا حيث لا مجال للعقل فيه والاذواق تنزه عن الادراك فكيف يدرك من ذاق حلاوة شهوده

قوله

ففى الحديث من بلغه عنالله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلهاا

ويشترط فى نيلها التصديق بها والسعىلا فى الوصول اليها بطريقها المختص بها

اما اذا سعى لها غير سعيها لم ينلها ولو صدق بها كما لو سعى لها سعيها ولم يصدق بها

فالاول اتى البيوت من ابوابها قال تعالى واتوا البيون من ابوابها) وسعى لها سعيها قال تعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا

والثانى لم يأت البيوت من ابوابها قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

اتيت بيوتا لم تنل من ظهورها

وأبوباها عن قرع مثلك سدت

والثالث يأتى البيوت من ابوابها ولكنه شك فى وعد الحق فكان جزاءه الحرمان

وينبغى للمؤمن ان يعمل لكل فضيلة سمعها عن الله تعالى معتقدا حصول ما وعد الحق به وربما نال فوق ما كان قاصدا قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :-

ونلت مرادى فوق ما كنت راجيا

ولتلك الفضائل عشب متنوعه فتاره تتعلق بالآخرة فقط وتارة تتعلق بالدنيا وترة تتعلق بهما معا فالشعبة التى تتعلق بالدنيا ترى فى الدنيا عند مراعاة شروطها المتقدمة والشعبة الأخوية تنقسم الى قسمين تجليات روحانية قلبية وهى تحصل فى الدنيا ونعيم اخروى وهو يحصل فى الآخرة

ومنهم من شغله نعيم التجلى عن كل نعيم فاستنارة به حلك الليل البهيم وله فى كل نفس تعمل كما قال سيدى عمر بن عبد الفارض رضى الله تعالى عنه

ولى عن كل شغل بها شغل

ومنهم من تغلب عليه الحال والوجدان فدخل وهو فى صلاته جنه الرضوان

ومنهم من نال منالا لم يكن فى حسبانه وكان عنه لا هيا كما قال سيدى عمر بن الفرض رضى الله تعالى عنه

وفى سكرة منها ولو عمر ساعة

ترى الدهر جندا خادما ولك الحكم

ومنهم من رأى مالا يرى فأحجم عن المقال

ومنهم من قال بلسان حاله فلم يدر السامعون ماذا قال

ومنهم من اذا سرى بع عن حاله ربما انكر مقاله

ومنهم نائح وكاتم

ومنهم صائم وقائم

ومنهم من سكن الجبار والقفار

ومنهم من خفى عن الزوار كما قال سيدى عمر بن الفارض

رضى الله تعالى عنه

خافيا عن عائد لاح كما

لاح فى برديه بعد النشرطى

كهلال الشك لولا أنه

أن عينى عينه لم تتأى

فتراه يصف حال المحب العاشق وضعفة حتى صار يشبة العلامة التى فى الثوب المطوى من أثر الطى بعد نشره وصار فى خفائة كهلال الشك ويقول لولا انينة عينى الباصرة لم تتاى عينه لم تقصد ذاته ولم تعرفه فى اى مكان لخفائة وقد اشار الى ذلك رضى الله تعالى عنه بقوله

أخفيت حبكمو فأخفانى أس

حتى لعمرى كدت عنى أختفى

وكتمتة عنى فلو أبديته

لوجدته أخفى من اللطف الخفى

حكم

وهكذا ياخانا جاء الخفاء من الخفاء والوفاء من الوفاء والواردات من الأوراد زالحب والشوق من فرط الوداد

وأهديت الغوالى لمن ترك الغوالى وأوقدت السرج لمن سهر الليالى

وانهل غيث مزن المعصرات لمن تحققوا بحقائق التجليات

وفتحت أبواب القلب فدخلوها من بمفاتيح حركات اللسان بذكر فتحوها فوجدوا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن نفائسها ما أفاضته ألسنتهم وسطره بنانهم

فعليك بسماع فيوضاتهم عساك أن تحظى ببعض بركاتهم فما ضل من صحب الأكابر أو صار فى ركبهم بل يصل الى ما وصلوا ولو جاء من بعدهم قال الله تعالى -:(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من علمهم من شئ)

فأرح راحلتك تحت ظلال أشجارهم فعساك ان تطرب بتغريد اطيارهم فكم غرد دواء قلوبهم رطبا فاكلوها فقرت بها أعينهم ووجدوا لها ذوقا عجبا فيها ما يشفى الصدور ونعش الأرواح ويغتصب من اغتصبة العدو الى اهوائه حتى يعود الى ربه شاكرا لنعمائه ذاكرا له بالقلب والقالب مفكرا فى ارتفاع السحب ودورة الكواكب ومنهم من تبعثه ثمارهم ليطير الى أوكارهم فما وصل من اتصل بارضة

وفى امره حار وانما الوصول لمن فارق أرض الطبع التركيبى والى سماء العلو طار حتى يكون طيرانه فى عوالم قدسه بعدد أنفاسة وحركاته وسكناته وخطراته حتى لا يخلو عن التجلى الالهى بوجه من الوجوه

الطهارة الكبرى هى خلع صفات النفس

واثبات صفات الروح

وقوله رضى الله تعالى عنه

وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى التى لا تجامعها شائبة غير ولا سوى

تنقسم الطهارة الى ثلاثة أقسام

1- حسية وهى التى تتعلق بازالة عين النجاسة وتسمى طهارة الخبث ولها يرصف بها الثوب المتنجس بعد غسلة بالماء وهو كونه صار طاهرا فالماء حسى والنجاسة حسية فاذا التقيا بان ازال الماء المجاسة ظهر بعد ذلك أمر عنوى يسمى

الطهارة ولذلك إذا أزيات النجاسة بماء طاهر غير طهور لا يثبت الوصف المعنوى المسمى بالطهارة

2- وطهارة حسية يترتب عليها طهارة معنوية وهى طهارة الحدث الأصغر والأكبر فالماء حسى والحدث سواء أكان أكبر أو أصغر معنوى فاذا التقى الماء الحسى بالحدث المعنوى فازاله ظهر حكم معنوى يسمى الطهارة

وهذة الطهارة المتقدم ذكرها تسمى بالطهارة الصغرى لانها تتعلق بالمحسوسات وتقابلها الطهارة الكبرى التى أشار اليها السيد رضى الله تعالى عنه وهى التى تتعلق بالنفوس كما قال عليه الصلاة والسلام (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس)

فالجهاد جهادان : أصغر وهو الحسى وأكبر وهو معنوى

إذا فهمت هذه كلام الاستاذ الشفاء رضى الله تعالى عنه فى قوله وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى كانه يقول لك : الطهارة قسمان صغرى . وكبرى

وانما قدمت لك بحث الطهارة الحسية وهى استعمال الماء ينشأ عنها طهارة معنوية تبيح لمن اتصف بها ان يدخل الصلاه مثلا كذلك كجاهدة النفس الحسية بكثرة الصوم والذكر والعزلة والصمت والسهر تجعلها تتصف بصفة معنوية تسمى الاستقامة وهى المعبر عنها بالطهارة الكبرى وهى تبيح لصاحبها ان يدخل حظيرة القدس وبعبارة اخرى الطهارة الكبرى هى خلع صفات النفس الامارة واثبات صفات الروح فاخلع نعليك انك بالوارد المقدس طوى

اعلم يا من وفقه الله الى اورادنا وأحزابنا حتى شرب شرابنا وأثبت صوتنا فى نرآه قلبه ان الخلع خلعان خلع ظاهرى وهى الذى يتعلق بالحس وخلع معنوى وهو الذى يتعلق بالنفس ففى قوله تعالى :- اخلع نعليك اشار الى الخلع الحسى والذى فى قوله تعالى (لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون أشار الى الخلع المعنوى النفسانى , لأن حظيرة القدس فى مقام المكالمة الالهية لايصح فيها الخوف م غير الله لانها حضرة مشاهدة ومكالمة ومعيه

وقد دلت الاية الشريفة على ارتباط الطهارتين ارتباط الطهارتين ارتباطا تتوقف فيه الطهارة الثانية على الاولى قال تعالى (وثيابك طاهر) فان كان المراد

الطهارة من النجاسات وقد نشأ صلى الله عليه وآله وسلم طاهر الباطن والظاهر والثياب فالمراد التزام المداومة لزوم المداوم على ذلك كقوله تعالى (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وكقوله تعالى فاصبر لحكم ربك وكقوله تعالى : يا ايها النبى جاهد الكفار وقد كان صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم أتقى الخلق وأصبرهم لحكم ربه وامام المجاهدين

وفى حق غيرة صلى الله عليه وآله وسلم أمر بايجاد الطهارة الظاهرة والباطنة تكون من باب أولى وقد جاءت صريحة فىقولة تعالى (مخلصين له الدين) فالإخلاص طهارة باطنية

قوله

التى لا تجامعها نجاسة غير ولا سوى

قلت المراد بالغير والسوى : اشتغال القلب بغير الله تعالى وهذا عندهم بمنزلة النجاسة احسية فى الثوب تمنع صاحبها دخول الصلاه كذلك النجاسة المعنوية تمنع صاحبها دخول الصلاه ولذلك يقولون (حضرة القدوس محرمة على أرباب

النفوس الامارة بالسوء الظلمانية المشغوله بغير الله تعالى قال الشيخ الاخضرى-رحمة الله ــــ :

فاخلع نعال الكون كى تراه

وغض طرف القلب عن سواه

واعلم يا عبد الله أن المؤمن فى تطورات أحواله كالليل والنهار فاذا تغلبت شمس إيمانه على ظلمة نفسه فهو فى نهار وإن تغلبت ظلمة نفسه على شمس إيمانه فهو فى لبل قال تعالى:"فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة"

ولذلك (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن)بل يستر ظلام نفسه سمش إيمانه حتى يقع فى المعصية والشمس توارى ولا تزول إذلوزالت لما رجعت ولذلك يندم المؤمن عقب فعل المعصية وذلك بعد عودة شمس إيمانه التى وارتها ظلمات نفسه.

ولما كان الرسل – عليهم السلام- معصومين كانت شمس إيمانهم فى الدنيا أشبه بشمس يوم القيامة التى لا ليل معها فآية نهار الرسل- عليهم السلام محو لها بوجه من الوجوه.

وحال العارفين أشبه بشمس أيام آخر الزمان التى تمكث عاماًلا تغرب غهم ليسوا كغيرهم من عامة الناس قال شاعرهم:

إن سمش النهار تغرب بالليل

وسمش القلوب ليست تغيب

فانتبه لشمسك عن طمسك ولنهارك عن ليلك "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون" فاحذر أن ينسلخ نهار قلبك عن قلبك فتظهر آية ليل نفسك فإن ظهر ليلها تأمرت وهى لا تأمر بخير قال الله تعالى:"إن النفس لأمارة بالسوء" وقال تعالى"وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً"فإذا أمرت نفسك خسرت يومك وأمسك نصحها غش وعلمها جهل وقرينها عدو قال البوصيرى – رحمهالله-:

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

وقوله- رضى الله تعالى عنه-:

لكونه رحع إلى اصله الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أصل الكل

قلت:أشار- رضى الله تعالى عنه- بذلك الى الحديث الذى أخرجه الحافظ عبد الرزاق فى مسنده ونقله عنه العلامة الشيخ أحمد القسطلانى- رحمة الله تعالى- فى كتابه: (المواهب اللدنية) وشرحه العلامة الشيخ الزرقانى- رحمة الله- ونقله العلامه الشسخ النبهانى رحمه الله تعالى- فى كتابه (الأنوار المحمدية) ونقله كثير من المحدثين وأرباب السير ونقله الفقيه العلامة الشيخ إبراهيم الباجورى- رضى الله تعالى عنه وكذلك العلامه المحدث الشيخ اغبن حجر الهيثمى- رحمه الله تعالى- ولفظه:

عن جابر بن عبد الله الانصارى- رضى الله تعالى عنه- قال: قلت: (يا رسول الله- بأبى أنت وأمى- أخبرنى عن أول شيى خاقه الله- تعالى- قبل الاشياء . قال: يا جابر:إن الله- تعالى- خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدوى بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء :فخلق من الأول السماوات ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء :فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

وقول الشريف السيد أحمد بن إدريس رضىالله تعالى عنه:

لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أصل الكل.

قلت :هذا الكلام يشرحه لك قول السيد- رضى الله تعالى عنه- المنقول عنه فى الكتاب المسمى بالعقد النفيس ص 185 ونصه :وسئل- رضى الله تعالى عنه- عن قوله تعالى:"واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" فأجاب أن لها تفسيرين:

أحدهما :أن اليقين هو الموت وهو الظاهر فتكون حتى للغايه.

الثانى:أن اليقين هو أن يرى الشىء عيانا الا ترى أن الواصف إذا وصف لك شيئاً وأنت معتقد اعتقاداً صحيحاً لا يختلجك شك ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف لكنك لم تر ذلك الموصوف فأنت لا تزال تتخيل هذا الموصوف وتتصوره ومعلوم قطعاًأن تخيلك وتصورك لهذا الشىء الذى لم تره لا يطابق حقيقته كمن يصف لك مكة مثلاً وأنت لا تعرفها فتتصورها تصوراً لا يطابق ما إذا رأيتها عيانا.

فإذا رأى الإنسان حقيقة الأمر أمن به وهو يشاهده وإذا آمن بما وصفه الواصف من مشاهده وإذا آمن بما وصفه الواصف من مشاهدة فهو مؤمن بالغيب.

والمؤمن إذا عبد الله حق عبادته بقدر استطاعته عرفه الله- سبحانه وتعالى- وإذا عرفه فلا يشهد سواه حتى إنه يحول بينه وبين قلبه أى إذا رأى قلبه بعين البصيره وجد الله حائلا بينه وبين قلبه.

وبهذه المعرفه تنال المعارف الإلهية التى من لدنه- تبارك وتعالى- وكلما صفا صوفى وصفا قلبه قربت منه أشكال المعارف ألا ترى أن الزجاج أصله حج كثيف ثم لما صفى وزالت عنه الكدورات قرب الأشخاص البعيدة افن الناظرون يقرب الشئ البعيد حتى ان مازادت تصفيته يقرأ الانسان به مكتوبا من مسافة بريد كذلك المنظرة تقرب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام حتى تحرق ما وقعت عليه وهذا أعظم من فعل آصف بن برخيا فانه أتى بعرش بلقيس من مسافة ثلاثه أشهر قبل أن يرتد الطرف وهذه اتت بالشمس من مسيرة اربعة آلاف سنه قبل ارتداد الطرف الثانى فانك اذا ركبتها على شئ احرقته بمجرد وقوعها عليه

فالنبى صلى الله عليه وسلم وآله وسلم هو عين الوجود وواسطة عقده اخذ من انوار الحق تعالى بقدر صفوة فالاخذ من الله تعالى بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ولله المثل الاعلى ولرسوله فى القوى كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة وهذا تشريف لهذه الأمه وأى تشريف لأنهم الآخذون بواسطته والآخذ من الله تعالى من غير واستطه صلى الله عليه وآله وسلم كآخذ الشئ من الشمس من دون واسطة الزجاج وذلك لأن رسول الله صلى لله عليه وآله وسلم هو النور الذى قبضه الله من قبضة نوره قال تعالى (ذد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

فالنور هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذ لو كان النور هو الكتاب لكان لفظا متكررا والحق تعالى هو سمعه وبصرة وقلبه الى آخره فكله صلى الله عليه وآله وسلم نور مع أنه متحيز فى بشريته وفى عبوديته والحق تعالى مطلق فى كبريائة وفى ملكوته (وهو الله فى السموات وفى الأرض) فى حال كونه على العرش استوى

فى حال كونه قلب عبده المؤمن وبصره وسمعه سبحانه

فلسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهتان وجهة الى الحق تعالى وهو المقم الذى قال تعالى فيهخ (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فاعاد الضمير بصيغة الإفراد زقال تعالى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) فأعاد الضمير بصيغة الافراد وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المعنى (من رآنى فقد رأى الحق) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ان لى وقتا لا يسعنى فيه الا ربى) ولذا قال تعالى : (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فالحجاب المستور هو كونهم ما رأوا فيه الا الشرية والعبودية اذ لو صدقوه لرأوا ما رأى الذين قال تعالى فى حقهم : (ام الذين يبايعونك انما يبايعون الله)

فهو صلى الله عليه وآله وسلم أقرب الكون الى الله بل فوق العرش الحجب سبعون حجابا ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنه , وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنه وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله سبحانه وتعالى والكرسى ووراء هذا كله نور سيد المونين والثقلين الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم أجمعين

ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الأعرابى أين كان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق . قال كان فى عماء (بالمد والقصر) فازداد السائل حيثره لأنه ان كان بالمد وهو السحب الرقيق فيكون معناه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغماء) وإن كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو العين فاستفاد السائل هذا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبه ازداد حيرة فالعلم بالله تعالى كلما زاد زاد صاحبه حيرة

وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما لأصحابه (: (لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار , ولزالت بدعائكم الجبال ولو خفتم الله عز وجل حق مخالفته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ولكن ما بلغ ذلك أحد) قالوا : وا أنت يا رسول الله ؟. قال :) ولا انا قالوا ما كنا نظن أن الأنبياء تقصر عن ذلك قال (الله أعظم من ان ينال أحد امره كله , ووراء ما لايعلمه إلا الله

ومع هذا فهو صلى الله عليه وآله وسلم فى حيرة ولذا قال (رب زدنى فيك تحيرا) وهو أيضا مع كونه فى المقام أخوف الخلق من الله تعالى وفى مقام الخوف قال صلى الله عليه وآله وسلم : (ليت رب محمد لم يخلق محمداً) يعنى

أنه يتمنى أن لو لم يقبض الحق تعالى قبضة من نورة لتحيز البشرية بل كانت مطلقة فى أصلها وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ليت أبا بكر كان شجرة فعضها جمل فى فيه فكان بعرا ولم يكن بشرا , فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف

وله صلى الله عليه وآله وسلم وجهة الى الخلق قال تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله) وقال تعالى : يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) لتؤمنوا بالله ورسوله) وجعله المرسل والمرسل اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم (لا تدخل الشوكة فى رجل أحدكم إلا وجدت ألمها)

فهو صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة الكون كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع وعروق وطلوع وزهر وثمر وحقيقة الكل شجر فجميع دعائه صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة الإفراد المراد به أمته فدعاؤه لنفسه عين دعائه لأمته

فمن صفا قلبه من أمته صلى الله عليه وآله وسلم وتوجه بها الى الله تعالى بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفجر من قلبه ينابيع الحكمة وأخذ قلبه أنوار العلم الإلهى فقوى قابلية الوساطة صلى الله عليه وآله وسلم ومن كان

كذلك فهو الوارث الذى قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم (العلماء ورثة الانبياء)

ومن لفظ أخذ الشاعر تسمية الصوفى صوفيا فقال :

لا تحبس لباس الصوف لا بسه

يدعى به بين أرباب العى صوفى

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا

وكلهم قال قولا غير معروف

ولست لأمنح هذا الاسم غير فتى

صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

من العقد النفيس

قولة

لكونه رجع الى أصبه الذى هو نور الحق الظاهر ... الخ

شار بهذا الى قوله الله نور السموات والارض ومن معانى هذه الآية الشريفة اى منور السموات والارض وما فيهن بالأنوار الحسية والمعنوية

الانسان له أصلان التراب والروح فمن والروح فمن أخلد الى الارض واتبع هواه فقد رجع الى اصلة الترابى ومن طهر نفسة ونورها بأنوار العلم والعمل فقد رجع الى أصله الروحانى

ونور الحق الظاهر هو الذى خلقة الله تعالى بقدرته ثم خلق منه نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

بعد أن خلق الله الارواح بقوله ن اودعها مقرها فهى جنود مجنده تتنزل الى الارض على وفق ما كتب لها اذ لكل روح أجل فى السماء واجل فى الارحام واجل فى الارض واجل فى المحشر واجل فى الجنه واجل فى النار قال تعالى لكل أجل كتاب

والروح بعد نزولها من الجنين الى الارض تبقى مطلقة الى عهد البلوغ وبعده اما ان تكون متصلة بالنور المحمدى واما ان تكون منفصلة واتصالها بالايمان وانفصالها يكون بالكفر

والاتصال اما ان يكون قويا بالطاعات واما ان يكون ضعيفا بالمعاصى والاتصال القوى يتفاوت بتفاوت القرب فمن توضأ بماء الغيب فقد رجع الى اصله اى اتصل بالنور المحمدى اتصالا ظاهريا بالتمسك بالكتاب والسنه واتصالا باطنيا بالمحبة الخالصة فيمتد ظاهرا بالمدد الظاهرى والوراثة الظاهرة والاتصال الظاهرى ويمتد باطنا بالمدد الباطنى والى هذا اشار سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله تعالى عنه بقوله

(اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار

فانشقاق الاسرار لمن طهرت منهم السرائر وانفلاق الانوار لمن استقامت منهم الظواهر

وقوله

وهو أصل الكل

يعنى فى الامداد كما اشار الى ذلك البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

قال الامام السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه الذى طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الالهية جميع المبدعات

وقال الشيخ الاكبر سيدى محى الدين بن عربى رضى الله تالى عنه

كذلك عين البصيرة حجابه الريون والشهوات وملاحظة الاغيار من العالم الطبيعى الكثيف الى امثال هذه الحجب فتحول بينه وبين ادراك الملكوت اعنى عالم الغيب

نور الوجود

فاذا عمد الانسان الى مرآة قلبه وجلاها بالذكر وتلاوة القرآن فحصل له من ذلك نور ولله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود فاذا اجتمع النران تكشف المغيبات على ما هى عليه وعلى ما وقعت فى الوجود غير ان بينهما لطيفة معنى وذلك ان الحسي يحجبة الجدار والبعد المفرط وعين البصيرة ليس كذلك لا يحجبة شئ الاما ذكرنا من الران والكن واشباه ذلك الا انه ايضا ثم حجاب لطيف اذكره وهو ان النور الذى ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب فى الحضرات الوجودية لا يعمها كلها ولا ينبسط منه عليها فى حق هذا المكاشف الا على قدر ما يريد الله تعالى وذلك هة مقام الوحى

دليلنا على ذلك أنفسنا ذوقنا له ولغيرنا قوله (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى) مع غاية الصفاء المحمدى وهو قوله :(او من حجاب فمهما ظحهر ممن حصل فى هذا المقام شئ من ذلك على ظاهرة فة حق شخص فتلك الفراسة وهى اعلى درجات المكاشفة وموضعها من كتاب الله تعالى (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) من السمة والعلامة كما قلنا ولا يخطىء أبدا بخلافه الفراسة الحكيمة وثم كشف آخر فى الفراسة وذلك أن الله جعل فى العالم حضرة

السماك فيها صور بنى آدم وأحوالهم فى أزمانهم الى حين انفصالهم وهى مخبوءة عن جميع الخلائق العلوى والسفلى الال عن القلم واللوح

فاذا اراد الله اصطفاء عبد وان يخص بهذا المقام طهر قلبه وشرحه وجعل فيه سراجا منيرا من اسمائة خاصة يسرجة من الاسماء الالهية الاسم المؤمن المهيمن وبيده هذه الحضرة وذلك السراج من حضرة الالوهية ياخذه الاسم المؤمن فاذا استنار القلب بذلك النور الالهى وانتشر النور فى زوايا قلبه من نور عيم البصيرة بحيث يحصل له ادراك المدركات على الكشف والمشاهدة لوجود هذه الانوار

فاذا حصل القلب على ما ذكرناه جعل فى ساحة من ساحات هذا القلب تلك الحضرة التى ذكرناها فمن هناك يعرف حركات العالم وأسراره هـ آخر اجزء الثالث من الفتوحات المكية ص 241 للشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى – رضى الله تعالى عنه

وانما ذكرت لك هذا الكلام ليكون لك كشرح بنفس عال لكلام السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه بنفيه العالى حينما قال (لكونه رجع الى اصله الذى هو نور الحق الظاهر

قوله

وإلا تيم بالصعيد

قال صاحب العلم النفيس أبو العباس الريف السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه

التيم : القصد قال الله تعالى – ولا تيمموا الخبيث) والصعيد : ذات العبد وجسمه التاربى وفيه اشارة الى الصعود بمعنى الترقى يقول ان لم تكن من اهل هذا السر فكن من القاصدين العاقدين انفسهم على تحصيلة الجادين فى طلبة بالتقرب بالنوافل حتى يحبك الله فاذا احبك كان سمعك وبصرك الى آخرة كما أخبر الله تعالى بذلك عن نفسه ولا تتثبط وتهن وتيأس

وإذا دمت على ذلك الطلب أدركت لا محالة دنيا وأخرى (إنما الأعمال بالنيات) ومن يخرج من بيته الى الله ورسوله ثم يدركة الموت فقد رقع أجره على الله) (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم

واصلاحه بتجلى الحق فيه واتساعه حتى يسع الحق (لن يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى الورع)

قوله :-

الصعيد ذات العبد جسمه الترابى

الفصل الثالث : السر

لما تقدم ان السر هو الذى يتوضأ بماء الغيب والذى تغلبت روحة على جسدة فصار روحانيا من عالم ساغ له ان يتطهر بماء الغيب فهو الطاهر فى مرآه البطن فى مجلاه معك وليس معك وأنت معه ولست معه

فان لم تكن كذلك فاعلم ان جسدك الترابى تغلب على روحك النورنى فامرك بالتوجة الى الجسد لتصلحه بوضع الاكسير من واردات الذكر على كثافته حتى يشف وعلى ثقثله حتى يخف وعلى نومه حتى يقل وعلى عقله حتى يستنير

ولذلك قال السيد أحمد رضى الله تعالى عنه

وفيه اشارة الى الصعود بمعنى الترقى يقول ان لم تكن من أهل هذا السر فكن من القاصدين العاقدين أنفسهم على تحصيله الجادين فى طلبه بالتقرب حتى يحبك الله فاذا احبك كان سمعك وبصرك الى آخره كما أخبرك الله تعالى بذلك عن نفسه

قلت

لا وصول الى غيب

مع ارتكاب الذنب والعيب

أشار السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه الى انه لابد للمريد القاصد من جد واجتهاد بلا كسل ولا رقاد حتى ينال ماناله العارفون ويدرك ما ادركه المحققون

فلا وصول الى غيب مع ارتكاب الذنب والعيب ولا دنو للأوان إلا لأرباب الورد فى الأوان ولا وضوء بماء غيبهم إلا لمن شرب تسنيم شربهم فمن دفع المهور سيقت اليه الأجر

ومن كان من الذاكرين الله كثيرا عند المحراب وصف قدميه عند الميزات تنزلت عليه غيوث الرحمه الر حمانية وغسلت قلبه بماء غيبها وسقاه الساقى من زمزمة شرارا طهورا فانتعش الجسم الترابى وامتلا قلبه نورا وطاف بالبيت العتيق طواف الإفاضة بعد أن وقف بعرفات عرفانه وتنزلت على قلبه علوم من منبع فيضان الإفاضة وسعى أحسن المساعى علم أن تيممه بالصعيد يستلزم القيام بالواجبات فأداها والترك للمنهيات فقلاها وان الفوافل سبيل الحب فأكثر من النوافل فسوق ليله بسوقه اليها فى ديجورة حافل وقد رآه الحق سبحانه قبلا عليه بكليته فأتحفه عظيم عطيه ب كنت سمعه الذى يسمع به وبرة الذى يبصر به الى آخر الصفات القريبة فصار مظهرا من المظاهر الغيبية

ومعنى كنت سمعه يعنى يسمع عن الله لا عن الغير لأن الغير عنه غاب ومعنى (كنت بصره الذى يبصر به يبصر فعل مكسوا ببديع صنعته وباهر حكمته

يذكرة الليل اذا أظلم ما أغفله الغافلون والصبح إذا تنفس ما يلهو به اللاهون وتذكرة الأرض اذا كسيت بكسائها الأخضر خضر الجنه

وتذكرة الثمار باختلاف الوانها غايه المنه ويذكره اهتزاز الأشجار اذا هبت الرياح اهتزاز الأرواح للقاء الحق سبحانه بالعشى والصباح

ويذكرة اختلاف الألوان باختلاف الأرض فى طبقاتها وتذكرة فصول الزمان اختلاف الكواكب فى دوراتها ولا يرى شيئا إلا ويرى الله قلبه ولا يرى لمخلوق فعلا غريقا فى بحر (هل من خالق غير الله) مستبشرا ببشرى (الله خالق كل شئ) مفكرا فى التصيل والبيان فى محكم القرآن (والله خلقكم وما تعلمون

أيها امريد أطلق لفرسك العنان

لتصل الى الميدان

فاين أنت وأين عملك وأين تفكيرك وأين أملك هيهات هيهات تلاشت الأفكار يا أخانا فى هذا الميدان فلا سباق لفارس فيه وغابت الارواح عن الاشباح عند ظهور الحق سبحانه وتعالى وتجليه وكلامى هذا واضح عند كل عارف يدريه

فان لم تكن كنهم فانهض بجد واجتهد وأطلق لفرسك العنان حتى تصل الى هذا الميدان فهناك ابواب وبوابون وحجاب واقفون فاذا وصلت اليهم استقبلوك ورحبوا بك وحيوك ومن على فرسك أنزلوك وعلى كرسى العز أجلسوك وقدموا لك شراب قوله تعالى (ولله العزة ولسوله وللمؤمنين) فلما شربته روحك اعتزت بربها وتذكرت قول القطب الغوث السيد عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه

(بسم الله العزيز معتز بعلو عزه وكل عزيز بعزه الله يعتز

يقول) صالح الجعفرى

رضى الله تعال عنه

عزيز أعز العرفين بعزه

وتوجهم بالعز من بعد ماذلوا

لباسهم التقوى وبالوح أقبلوا

على الله بالذكر الكثير وما ملوا

تذل تبتل قدم نوافلا

كمن عرفوا المحبوب فى ليلهم صلوا

فكان لهم سمعا وكانوا به له

على العهد قد وفوا وفى حبهم جلوا

فإن لم تكن منهم تيمم بصاعد

كمن جاهدوا للنفس حقا فما ذلوا

فإن شئت أن تحيى سعيدا فهذه

سبيل دوى الإسعاد ساروا وما ولوا

لأحمد بن ادريس ورد كمزنة

فكم أخصبت أرض القلوب بما يحلو

فعرج على أحزابه وطيرقه

فدنياك حر والطريق هو الظل

ويأتيك ابن ادريس مهما أردته

فما غاب عن أهل الطريق وإن كلوا

وفى ورده من ورده

لك العطر والياسمين والمسك والفل

وريح لدنياك الدنيئة منتن

ولا جمع بين الحس والقبح يا خل

فمن طلب الدنيا رأيناه مبعدا

ومن طلب الأخرى يجئ له الكل

عباد الله هلموا الى طريقنا

(والا تيم بالصعيد) خذ بجسمك الترابى من الترح الى التهليل العالى حتى يتهلل وجهك بالنور والفرح وهو (لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) فإنه لا شئ مثلها لذنوبك يهدم فهلم ثم هلم الى طريقنا أقدم

طريق الله يا ناس ما فيه غبار يصلح لتاليه ويزيل عنه الأغيار وايش يريد بالدنيا من طلق غوالها الدنيا ملعونه وملعون كل ما فيها إلا ذكر الله والأنبياء والمرسلين والعلماء والأولياء العارفين المتقين والمسلمين والمؤمنين وكل وسيلة موصلة الى الرحمن

وماذا تريد من الدنيا يا إنسان ما خطرت يوما على قلوب من عرفوها ولا من ربهم فى حضرة قربه طلبوها سبحان الله يا هذا ما أكل الجيفه غلا كلب عقور ولا ضل الطريق إلا من فقد النور

ويشتد الحال عند شم ريح الجيفة لمن تعود شم بخور المسك ودخانه وللنجس دخان ولولا شمك ما ميزت بين الدخانين ولولا إيمانك ونور بصيرتك ما ميزت بين الدارين ولا اخترت حزب الله من الحزبين

قوله

وبالصخر

قال الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه

الصخر هو العزم القوى الصلب الذى لالين فبه بوجه من الوجوه والصبر لأن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد من صبر على الطلب بلغ الأرب ونال أعلى التب ومن علت همته فى الله بلغت به إلى مناه

قوله :-

العزم القوى

أى اقصد العزم القوى فيكون إطلاق الصخر على العزم القوى فيه استعارة تصريحة كقوله : اقصد البحر فى حانوته أى الرجل الكريم والعزم القوى فى النية لأنها العزم على الشئ مقترفا بفعله فكأنه يقول إذا لم تكن ذا سر فعليك بفعل الصالحات لأنها منبع السر ولا تؤخر عزما لصحته مع الاستطاعة على العمل كما قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه

.... فحظك الـــ

بطالة ما أخرت عزما لصحة

وكما قيل

على قدر أهل العزم تأتى العزائم

وقوه العزم تشعر بقوة الإيمان قال عليه الصلاة والسلام : (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) أراد بالقوى قوى الإيمان والروح والقلب لا قوة الجسد لأن قوة الجسد مع ضعف الإيمان لا قيمة لها

ويدل على ما قال سيدى أحمد – رضى الله تعالى عنه قول الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) فلمكا أخذ الكتاب بقوة ونشاط وعزم استحق العطاء قال تعالى : (وآتيناه الحكم صبيا) فنال حكما وعلما قال تعالى وكلا آتينا حكما وعلما) وقد جرت العادة على أن الإمداد على قدر الجهاد والجهاد على قدر الاستعداد والجهاد تتبعه الهدايه الى الطريق المقصود قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا) وأجل الجهاد أسماه وأفضلة وأعلاه

وجد بخط سيدى محمد بن على السنوسى على أحزابه ما نصه :

وجد بخط المؤلف أى سيدى أحمد بن إدريس رضى لله تعالى عنه :

(الصدق سيف لا ينبو , وواد لا يكبو وهو السلطان الأعظم فى الإدارة فإن تكمن فى مملكته لا يقف لصاحبه شئ فلذلك وقع الابتداء به)

شبه السيد أحمد رضى الله تعالى عنه الصدق بالجواد القوى الذى يسرع بصاحبه الى المقصود لأنه يلزم من التصديق بالجنه الصدق ويلزم منه المسارعة الى المصدق به فالصدق جواد قوى وسيف بتار

أيها المريد جاهد تشاهد

فاركب جوادك يا عبد الله وادخل به ميدان الرجال (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

واضرب بسيفك شيطانك وأهواء نفسك مجاهدا بكتاب ربك (وجاهد به جهادا كبيرا) أى بالقرآن حتى تكتب مع الذين عرفوا الحق ولا زموا الأوراد وجاهدوا فى سبيل ربهم حق الجهاد (وجاهدوا فى الله حق جهاده)

فمن جاهد حق الجهاد فقد بلغ الوداد ومن بلغ الوداد وصل الى المراد ومن وصل الى المراد فقد المراد ومن فقد المراد ركب الجياد جاهد حق الجهاد وأشهر البتار ومن أخذ البتار كشفت له الأستار وظهرت له الأنوار وخاض من الحب المعامع ماله من دافع وقلد سيف الرهبه والهيبة فتاه بمكة وتاره فى قبض وتاره فى مقام الصدق العلى كعلى وتاره فى مقام السماع الإلهى .

فعليع بطريقنا ها الى من أخه كان كفاله من منه امتدت جداويل جميع الإلهين صلى الله عليه آله وسلم لتكون عبدا الهيا ربانيا محضا من جميع الوجوه حتى تنظر الى الدنيا نظر المستريب ليظهر لك السر العجيب

فما سر ظهر لمن اليها نظر ولا كشفت الحجب لمن طلب فيها الرتب ولا جالس أهل الحضرة الالهية من جالس أهل الدنيا بالمحبةو القلبية

ولقد نفضنا قلبنا منها نفض القديم هباها عندى كالحديد ان شاء الله تعالى لا أغير بها كمن غرتهم وأشغل بها كمن شغلتهم وأراك لا تزال تخوض لجحها كالخائضين وتأكل غثها وسمينها كالااكلين فمهما كتبت ومهما ألفت فانا نرى منك مالا تراه أنت

أفق من غفلتك وأنانيتك وعليك بأحزابنا التى تغسل قلبك بماء الغيب وتجعلك ا سر وبر فما طلبته من أمر آخرتك ففى الزاخرة وما طلبته دنياك ففى جواهرها المتناثرة فما أسوأ حظ من تكاسل عن خير أخراه وما أشغله عن لك إلا شيطانه وهواه

فلا أراك بعد ها الحال إلا أن توالينا موالاه الروح للجسد ولقد طال الزمان معرفتك بناء وإنا لنأسف غايه الأسف عليك إ لم تشرب من شربنا فما أعددناه إلا لأمثالك فجرد قلبك عن حبك لنفسك ومالك ولا تعتمد على مادرسته من علوم ولا على اقبال الناس عليك فانما الإقبال هو اقبال الخق عليك واقبالك عليه

أم آن لك أن تجول بروحك فى الأحزاب الخمس التى هى بعدد الصلوات الخمس وما أثقلها الا على من خشع وما أبعد معنيها الا لمن اتبع

أيها المريد

ليس لنا من معول الا على الواحد الأحد

فاتبع ما بلغك من حالنا وتخلق به وما حالنا الا الكتاب والسنه فهل انت كذلك ؟ ولقد فررنا من ملكها ووظائفها فرارك من الاسد ولم يكن لنا معول الا على الواحد الاحد وكان حظنا منها ما بلغك فهل بلغت به ما اردت ؟ ام تلايد بغير عن شخك فان قوافله سارت مشرقة وسرا مغربا

سارت مشرقة وسرت ومغربا

شتان بين مشرق ومغرب

فروحنا مع من يشبه روحنا وحالنا مع من يشبه حالنا فهئ روحك لذلك ودعك من وسواسك وخيالك فلو كشف لك الحجاب لرأيت العجب العجاب

وانى لأرجو الله بما رجوته لإخوته ممن توجهوا الى ذلك الورد الثافى الأحمدى المحمدى ففتحت لهم أبواب نفائسة بعلمه النفيس فلا غرابه فانه ورد ابن ادريس كان الله لك ولإخوتك معينا وآخذا بكم الى مشاهدته التى تؤهلكم الى مراقبة فى جميع أحوالكم آمين

فما صلينا فيها بالأجرة ولا شغلنا عن شهوده كسوه ولا مال قلبنا الى زهو ولا لهانا عن الحق لهو فجاهد نفسك للتخلص من جميع ذلك لتصل الى مناك فقد آن وقت رحيلك فما خلد فيها من سبقك والى متى انت مشغول بدنياك والجهاد عليك

واعلم بان راحتك فى مد راحتك الى خير من تمد اليه الايدى واجعلها عن مدها الى سواء فى قيد فاذا مدتها اليه كسيت الذله فشتان بين عز وذل ومفضال وكل

إيش هذا النوم الكثير كأنك قد خلقت للطعام والمنام ؟ اذا لم تصم انت فمن الذى يصوم ؟ واذا لم تقم أنت فمن الذى يقوم ؟ايقوم الاعلاب سكان البوادى ؟!أم قطاع وارباب النوادى ؟!

كتف تركته وما تركناه ؟ وكيف هجرته وما هجرناه ؟ فهو طريقنا وعليه المعول فى الوصول فما عدنا من بدع لكن مبدعات ولا خرافات ولكن حكم بينات أين القرآن ؟ أين القرآن ؟ أين أنت من القرآن ؟ أين أنت من القرآن ؟ أين أنت من ابن ادريس ؟ أين أنت من ابن ادريس ؟ أين أنت من ابن ادريس ؟ أين أمن من ابن ادريس ؟ إيش هذا الحال ! إيش هذا الحال !

حالك ما يعجب يا نوام

أترك منامك

إيش كتبوا لك لاأقلام

أقلل كلامك

أجزل فى الإنعام للأرحام

تلق مرامك

صل كثيرا مدى الأيام

شاهد إمامك

على النبى خير الأنام

يسمع سلامك

والصبر : باؤه بذلوهو بذل الأنفس والمهج ونزع الضيف والحرج لفتح أبواب الفرج وشم نسيم الأرج فما خاب من بذل والممسك عن هذا ذل وإن هددوا بالقتل حنوا

ومشارب الأوليا تختلف فمن ذلك ما نقله العارف بالله تعالى أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى

(المتوفى سنة 380 هـ)

قال : سمعت ابا القاسم البغدادى يقول : سمعت الدروى يقول : كنا ليله العيد مع أبى الحسن النورى فى مسجد الشونيزى فدخل علينا إنسان فقاللنورى أيها الشيخ غدا العيد ماذا أنت لابسه ؟ فأنشأ يقول :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لا بسه

فقلت خلعة ساق عبده جرعا

فقد وصبر هما ثوباى تحتهما

قلب يرى ربه الأعياد والجمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها

يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا

الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى

والعيد ما دمت لى مرأى ومستمعا

قال : ﷺ سيدنا ومولانا عالم زمانه وغوث أوانه فضيلة الشيخ صالح رضي الله عنه الجعفرى عفا الله عنه ﷺ ونفعنا آمين رضي الله عنه

لما سألوا الشيخ عن ثياب العيد أجابهم بأنه أعد الكسوة التى تكرم بها عهليه خالقه وهى خير لباس قال تعالى : (ولباس التقوى ذلك خير) ومن ضمن ما نسج به هذا الثوب الفقر الى الله تعالى فى جميع الأمور (اللهم إنى أعوز بك من الفقر إلا اليك) وصبر على بلاء الله تعالى وقضائه وقدرة قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وتحت الثوبين قلب يرى رضاء ربه عليه هو الأيعاد والجمع ويقول خير الملابس للقاء الله تعالى الثوب خلعه عليك فى الحياه الدنيا فمن كساه الله فى حياته لباس التقوى لقيه به بعد مماته وكان عنده من المكرمين (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ويقول حياتى كلها حزن ومأتم إن غاب

الشهود الإلهى عن قلبى وأنا فى عيد وفرح وسرور ما دام الشهود الإلهى لى أمرى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) ومستمعا (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)

وقد وجدت بخط الشيخ عمار التونسى نقلا عن الشيخ الرزقانى ما نصه : الشيخ معروف بن فيروز الكرخى نسبه الى كرخ بغداد من المشايخ الكبار شيخ السلسلة أستاذ السر السقطى كان ابن حنبل وابن معين يختلفا اليه ولم يكن علم الظاهر مثلها فيقال لهما : مثلكما يفعل مثل ذلك فيقولان كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله تعالى ولا فى سنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (سلوا الصالحين) كان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فقال : قل : ثالث ثلاثه . فيقول بل اله واحد فضربه ضربا مبرحا فهرب وأسلم

وهو من موالى السيد على بن موسى الرضا وزأسند الحديث عن جمع وكان مجاب الدعوه وكراماته وفوائدة كثيرة وكان يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل , فيقال له إن أخاك بشرا الحافى لا يأكل فقال إن أخى حبسه الورع وأنا بسطتنى

المعرفة إنما أنا ضعيف فى دار مولاى مهما أطعمنى أكلت مات سنه مائتين وقيل إحدى ومائتين والدعاء عند قبره ببغداد مجرب بقال من قرأ عنده مائة مرة (قل هو الله أحد) وسأل الله ما يريد قضيت حاجته ومثله إذا وقف الزائر بينٌ بر أشهب وابن القاسم رضى الله تعالى عنهما بالقرافه ويقرأ سورة الإخلاص مائة مرة ويدعو مستقبلا القبله يستجاب له اهـ عن الشيخ الزرقانى رحمه الله فى شرحه على المواهب اللدانيه

والصبر : باؤه إشاره الى رباب الله فمن صبر عند قرع باب الله تعالى ظفر قال الشاعر

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

وباب الله تعالى هو الباب الذى من دخله تال جنه المساهدة فى الدنيا وجنة النعيم فى الآخرة ولكنه يحتاج الى صبر (حفت الجنه بالمكاره)

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى

فقلت لها يا قرة العين هل الى

لقاك سبيل ليس فيه موانع

فالحاسم للموانع هو الصبر فمن فد ازال الموانع ورفعت له البراقع فيظل ما بين راكع وساجد وقلبه بالمساجد (تراهم ركعا سجدا)

والراء رحمه الله تعالى لأن من دخل بابه وجد رحمته ولها الأسبقية لمن استبقوا الخيرات (سبقت رحمتى غضبى) , (فاستبقوا الخيرات) , (والسابقون السابقون * أولئك المقربون)

(ففروا الى الله) أدخلوا بابه تجدوا رحمته فهو أرحم الراحمين

والصبر للنفس كالعقل فمن لا عقل له فهو مجنون , ومن لا صبر له فهو كالمجنون ,ولذلك ما من نبى إلا وقد صبر

قوله

لأن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد

قلت لأن الصبر كالحياه وجسد بلا رأس ميت فالصبر حياه وعدمه موت كالرجل الذى رجع من الجهاد وقد آلمته الجراحات فلم يصبر نفسه فكان بفقد صبره

وقوله :

فمن صبر على الطلب بلغ الأرب

جعل السيد رضى الله تعالى عنه السبيل الموصل لقضاء الحاجات هو الصبر فمن سلكه وصل لمقصده وناله ومن لم يسلكه ضل الطريق

وقوله :

ونال أعلى الرتب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (واعلم أن النصر مع الصبر) والدرجات والرتب متوفقة على مخالفة النفس والمخالفة متوفقة على الصبر قال تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فالصبر أولا والنصر ثانيا , والفتح ثالثا

وقوله :

ومن علت همته فى الله بلغت به الى مناه

الفصل الرابع : الهمة

قلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (علو الهمة من الإيمان) وفى كلام الشريف سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه إلى تلميذة الشريف سيدى محمد عثمان الميرغنى رضة الله عنه فى خطاب أرسله اليه (يا بنى أعنى على نفسك بعلو همتك)

واعلم يا أخانا أن علو الهمه يبلغ بصاحبة الى القمة فاذا علت فقد علا بها صاحبها وعلوها بالله ةفى الله وهى التوجه الخالص المحض الى حضرة الحق سبحانه كما قال سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه

شغلت بحسن وجهكم عن شواغلى

وكما قال رضى الله تعالى عنه :-

ولم يبق لى جسم يلذ بغيركم

كأنى بالعرش المجيد معلق

وهكذا يا عبد الله كلما علت همتك طهرت ذمتك , وكلما اذدت فى الطاعات علوت فى الدرجات علو فى الحياه وفى الممات قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

واعلم أن روحك أنزلت من السماء وجسدك من الأرض فإن عملت بما أنزله الله من السماء وفعت أعمالك الى السماء وتاقت روحك الى العلياء ةان لم تعمل به أخلد جسمك بروحك وعملك الى الأرض فلا تفتح لك ولا لعملك أبواب السماء

فمن كانت همته فى الارض فهو فيها وإن كان يمشى عليها ومن كانت همته فى عباده رب السماوات متشبها بسكانها فهو فيها وان كان بالغبراء فلا غرابه اذا خرقت له العوائد ونوعت له الموائد فقد هام بهمته وذاق كأس محبته وقدح زناد قلبه بزاد الشوق فاستنارت جوانبه فصارت الجمادات تخاطبة وتلا الشفاء فشفا قلبه فشف ونهض جسمه فخف فجاهد فشاد سبل ربه فهدى اليها بالله قال

تعالى (والذين جاهدوا لنهديهم سلبا) فكم لله من ماهد وكم من مشاهد وكم من عارفن وكم له من قائمين

فحرك بعلو همتك زمام راحلتك , لعل بذلك تتحرك أعمالك برياح شوقك فتضطرب أمواج بحر عملك مخلصا للديان فيخرج منه اللؤلؤ والمرجان فتتلألأ عرائس أعمالك وتتحلى بلؤلؤك ومرجانك وتتوج بقمر إسلامكوإيمانك فتسمع النداء الحق من الملك الحق (هذا ما توعدون لك أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)

قال الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه قوله

وقدم إماما كنت أنت أمامه

الإمام المطلق هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم (واتبعوه لعلكم تهتدون) , (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ومن أحبه الله كان سمعه وبصره كما يليق به

قال العبد الفقير الشيخ صالح ﵁ الجعفرى ﷺ رضى الله تعالى عنه ﵁

الإمام المتقم على غيره والنبى صلى الله عليه وآله وسلم إمام امخلوقات لأنه أول ما خلق الله نوره صلى الله عليه وآله وسلم (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) أخرجه الحافظ عبد الرازق فة مسنده

وهو صلى الله عليه وآله وسلم أول النبيين قال عليه الصلاه والسلام :- (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) أخرجة الترمذي وقد صلى بجميع الأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليله الإسراء أخرجة البخارى وغيره

وأيضا فهو صلى الله عليه وآله وسلم يؤم ويقصد يوم القيامه للفاعة وأيضا يؤم ويصد يوم القيامه للشفاعه وايضا يؤم للاستغفار قال تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وايضا يؤم ويقصد صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام المقربون بالنداء مع التفخيم فىكل صلاة (السلام عليك أيها تلنيى ورحمة الله وبركاته)

واعلم يا عبد الله وافتح مسامع قلبك لما سيلقى هعليك أن القبلة قبلتان : قبلة الجسد وى الكعبه المشرفة وصحة الصلاة متوفقة على التوجه الىالكعبه وصحتها باطنا متوفقة على توجه الروح اليه صلى الله عليه وآله وسلم فيلاحظ فى بدء صلاته أنه متوجه الى الكعبه ويلاحظ فى ختامها انه متوجه اليه صلى الله عليه وآله وسلم

فهذا بيت الله وأمر الله تعالى استقباله قال تعالى : (وحيث ما كنت وفلوا وجوهكم شطرة) وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى جعل الله تعالى بيعته بيعته وطاعته كذلك قال الله تعالى L ان الذين يبايعون انما يبايعون الله) , (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وهو صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة المقبوله الذى اذا توسل به الظالم لنفسه وجد الله توتبا رحيما فكيف يكون حال الطائع

وكأننا فى صلاتنا نجئ اليه صلى الله عليه وآله وسلم مسلمين لنجد الله توابا رحيما وسلامك يبلغه صلى الله عليه وآله وسلم كما فى صحيح البخارى : (إن هذا السلام) الذى فى التشهد (يبغ كل عبد صالح لله من أهل السماء والأرض) والنبى صلى الله عليه وآله وسلم خير الصالحين وإمامهم وتحصل بذلك فوائد

الأولى : أنه عليه الصلاة والسلام يشهد لك بأنك تصلى وأكرم بها من شهادة

الثانية : أنه يرد عليك السلام .

الثالثة : أن الدعاء منه صلى الله عليه وآله وسلممستجاب والسلام دعاء

الرابعة : أنك تكون آمنا فى الدنيا والآخرة إذ السلام معناه الامان

الخامسه : تنالك رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخره

السادسة : تنالك بركة الله تعالى فى الدنيا والآخرة وذلك عام لك ولأهلك وأولادك وأموالك

وهكذا شاهدنا حال المصلين فى الدنيا مبدعين عن الهلع والجزع والبخل قال تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين) لأن بركات دعائه صلى الله عليه وآله وسلم حاصلة لهم , ولا ينكر ذلك إلا مكابر وكيف لا يكون كذلك وقد أرسله الله تعالى رحمه للعاملين ؟ قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمه للعالمين) والمصلون فىأولئل المرحومين به

صلى الله عليه وآله وسلم قلت بفضل ربى تعالى فى إحدى قصائد الكتاب المسمى

:

المدائح المقبولة

رسول الله قد أنزلت رحلى

ببابك والسلام عليك منى

لعلمى أنك الحصن المعلى

فنعم الحال والمختار حصنى

لأنك رحمة الرحمن عمت

جميع الخلق من انس وجن

وروضته الشريفة يا أخانا

تسر القلب من هم وحزن

بها روح وريحان ونور

بها سعدى وإرشادى ريمنى

بها المختار بساما تراه

يحيى الزائرين بكل أمن

يبشرهم بما جاءوا اليه

ويشفع للجميع بلا تأنى

وقلت فى الرائية

يا رحمة الله عمت كل كائنة

فى العالمين وفضل الله ينشر

وقلت بفضل ربى تعالى

إن الصلاة صالة الإنسان

تاركها يكون فى حرمان

توصل العبد الى مولاء

وعن قبيح فعله تنهاء

قبلتها الكعبه للأشباح

والهاشمى قبةلا أرواح

والله مولانا العظيم الأكبر

منزه عن كل شئ يخطر

تشهده بالقلب لا بالعين

منزه عم زمن وأين

فيدرك الأبصار والقوبا

وكل مخلوق يرى محجوبا

عن أن يراه أو يرى مثالا

جل اله العرش قل تعالى

ويشهد النبى بالصلاه

لكل من صلى من الهداه

ويبلغ السلا للمختار د

يرده بالحب فى وقار

فيحصل الأمان بالرحمات

لكل من صلى وبالبركات

فى نفسه وأهله وماله

ورزقه كذاك فى عياله

ولا يكون هلعا جزوعا

مضطربا معسرا منوعا

وذاك من أجل النبى يرحم

فى هذه الدنيا به ويكرم

لولاه ما صمنا ولا صلينا

ولا عرفنا الله واهتدينا

بيعته البيعه للرحمن

طاعته الطاعة للديان

أبشر به يا من أزل الرانا

وانظر له فانه يراا

وهذه نهاية الطريق

لإبن إدريس على التحقيق

منه اليه فى مقام القرب

منك اليه فى مقام الحب

وسالك هذا الطريق قد يصل

فى مده وجيزه وينفصل

عن سائر الأغيار بالأنوار

لا سيما فى حضرة المختار

فاكتم أخانا السر عن سوانا

واشرك اله العرش إذ هدانا

أحزابنا الجنه والشهود

ياشهدها المشود والوجود

يا عزها لمن أعز الله

ياغيثها لزاهد تلاها

يا خيرها لمن خلا فؤاده

يا ودها لمن نما وداده

يا بحرها الزاخر بالمعانى

ممزوجة بدرر القرآن

يا نورها الوضاء فى الظلام

يا بدرها الموصوف بالتمام

يا حسرتى على الذي تلاها

ولم يلح لقلبه سناها

أيش الذى يبغيه من دنياه

والرازق المعبود قد كفاه

ي أيها المريد ي أخانا

يا من أحب وردنا أتانا

أيش الذى دعاك أن تميدا

بعد ظهور الحق أو تحيدا

ما عندنا لهو ولا غرور

ولا خرافات ولا ظهور

بل عندنا الله هو الوقصود

الواحد الموجود والمعبود

فة حضرة المختار خير الخلق

مستغرقا مشاهدا للحق

مشهدنا شهد عظيم المنه

فى سور القرآن ثم السنه

وشيخنا يزأر كالأسود

وينظر الآخذ فى الورود

كأنه الشمس له شعاع

والمنكرون سره قد ضاعوا

شيخ الشيوخ فارس الميدان

فذاك ابن ادريس ذو العرفان

إن كنت قد سلكت للطريقة

لابد يوما أن ترى الحقيقة

وشيخنا فيها هو النبى

هذا طريق ورده سنى

يا أيها الناس الى طريقى

تقدموا لتشربوا رحيقى

يا طالب الدنيا فعنا ولى

ما نقبل المغرور فى التجلى

ما نقبل المدفوع فى هواه

ولا بنو طريقنا ترضاه

إيش حال من يقلبها لعاب

فحاله مآله سراب

نريدها أخرى وذا يريد

حطام دنياه فذا تبديد

اسمع كلامى لا تخالف فنى

يا طالب الدنيا فبعدا عنى

ومنهج الشيخ هو الأحزاب

سيرته السنه والكتاب

وكل ما خالف لا نرضاه

فاحذر من التغيير أن تهواه انتم صلاة الله بالسلام

على النبى أحمد الإمام

وآله والتابعين السنه

والحمد لله عظيم ===

ما الجعفرى سأل الرحمن

مغفرة ورحمه أمانا

قال سيدى صاحب العلم النفي أبو اعباس السيد أحمد بن ادريس الشريف الحسنى رضى الله عنه

قوله

كنت أنت أمامه

أى صيرت نفسك أمامه وخلفته وراءك باتباعك هواك

الإمام يقتدى به ومن تقدم عليه فقد تعدى فإذا تاب فقد رجع واقتدى بإمامه وهذا كنايه عن عدم العمل بالشريعه الغراء وأما عند الفقهاء فالتقدم ممتنع عندالشافعية وكرة عند المالكية بلا عذر ثم بين أن التخلف هنا ليس على حقيقته بقوله باتباعك لنفسك وهواك

قال تعالى L إن النفس لأمارة بالسوء) وقال تعالى : (ولا تتبع الهوى فيضك عن سبيل الله) والهوى نوع من أنواع رغبات النفس , قال تعالى : (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس)

قال البرعى رحمه الله

وخالف النفس فى هواها

إن اتباع الهوى هوان

وقال الشاعر

نون الهوان من الهوى مسروقى

فإذا هويت فقد لقيت هوان

وقلت

إحذر هواك فإنه يهوى بمن

ملك الهوى أعناقهم فى الهاويه

ان القوى هو الذى غلب الهوى

ليس الذى غلب الأسود الضارية

كم من مريد قد أضر به الهوى

لو كان يعقل ما تمنى الفانية

واعلم أن النفس على قسمين : نفس تتبع الهوى , وهى الأمارة بالسوء قال تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء)

ونفس تائبه راجعه الى بها وهى المرحومة بالتوبه والرجوع الى الله تعالى قال سبحانه : (إلا ما رحم ربى) ومن أجل الرحمات دخولها تحت قول سيدى أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه : (وقدم إماما كنت أنت أمامه) وفى هذا المقال ينال مقام المتابعه , ثم الوراثة ثم الفيوضات ثم المكاشفات ثم المشاهدات الخرجه عن المحسوساتوالمعقولات وهناك يترنم الروح الموهوب بقول المحب الحجوب :

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وهناك ي أخانا لة رأيت القوافل فى الميادين الحافلة عند وراء ما وراء العقول العاقله لأمسكت لجام جوادك حتى تحفل بأورادك فما جند غير مجند لنفسه خاج الى يقينه عن حسه وعن حدسه الى حظيرة قدسه ما وضع قدمه فيها

مضطرب الأقدام ولا من أضاع السهر والقيام ولا من لم يسمع أنغام طيور عدنه سماعا ربانيا بأذنه فتطربه الأنغام طربا يسوقه الى الأمام هناك الهناء والمنافع أو غرد قمرى على الأيك ساجع :

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى

وإنى منكم لا من الطير سامع

ولاح للروح من جانب الغور لائح وفاحت لها بالرقمتين روائح فتحركت الروح تحرك الولهان وغاب صاحبها عن الزمان والمكان فنادى فى حضرة ذكرة مع المحافظة على

الفصل الخامس : الله

سرة : (الله . الله)

خل الغرام لصب دمعه دمه

حيران توجده الذكرى وتعدمه

وذلك هى سيدى صاحب المقام العالى : السيد محمد الشريف بن سيدى عبد العالى رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما وجعل الجنه متقلبهما ومثواهما

قال السيد الشريف سيدى أحمد ابن ادريس رضى الله تعالى عنه

لأن من لم يكن من أهل هذا الشأن يصيب تارة ويخطئ تارة لكونه لا يدرى شيئا ولم يسلك سبيلا فضلا عن أن يقفوا أثرا ويضع القدم موضع القدم بتقديم الإمام ولا يعلم أنه تقدم وإن تلاه فإنما يتلوه بطريق الاتفاق لأنه من شأنه ذلك فهو مطلق غير مقيد بالإمام لعدم رؤيته (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فليس من الذين قيل فيهم : (إتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) لأنه إلى الآن لم يؤت النور .

قوله رضى الله تعالى :

لأن من مل يكن من أهل هذا الشأن يصيب تارة ويخطئ تارة لأكونه لا يدرى شيئا

قال راجى رحمه ربه ومغفرته وعافيته وعفوه صلى الله عليه وآله وسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

صالح الجعفري ﷺ رضى الله تعالى عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عنه حال المتقين الذين ليسوا من أهل المشاهدة وأنهم يصيبون تارة ويخطئوت تارة وقد جعل إصايتهم اتفاقية , لأنها ليست عن مشاهدة لذلك نزلها منزله العدم وحكم على صاحبها بأنه قد تقدم على إمامه

وعلل ذلك بعدم الرؤيه وضرب له المثل بالأعمى

ويؤخذ من كلامه أن أرباب المشاهدات لا يخطئون وإن كانوا معصومين وذلك بسبب قربهم من المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدتهم له واجتماعهم به فى جميع احوالهم كما قال سيدى الشفا سلاله المصطفى ابو محمد سيدى ومولاى الشريف السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه فى صلاته العظيمة :(واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما واجعله يا رب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم)

وقال رضى الله تعالى عنه : (وتجل لى يا إلهى بحلاوة الإيمان ولذة التقوى).

وانظر يا عبد الله الى هذا الكلام العجيب الغريب واستمع اليه سماع منصت أريب اعلم أن حلاوة الإيمان قد أدركتها الأرواح بواسطة الخطاب الأزلى جينما قالوا :(بلى) وقد أشار اليها سيدى سلطان العاشقين عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه بقوله:

ولى فى هواها نشوة قبل نشاتى

ستبقى معى ابدا وان بلى الجسم

لان العاشقين للذات الاقداس قالوها بفرح وسرور ونشوة لانهم سمعوا خطاب الحبيب كما قال سيدى الغوث ابو مدين رضى الله تعالى عنه :

فلو سمعت اذناك حلو خطابنا

لمت غراما واشتياقا لوصلنا

وحلاوة تدركها الروح عند سماع الخطاب الثنى وهو القرآن وهى تتفاوت بحسب مقامات الرجال وأجلها ما أشار اليه سيدنا الشريف الصفى الوفى

الرضى السيد أحمد ابن ادريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (حتى أتلوه بلسانه الذى يتكلم به).

اقبلوا علينا عباد الله

ايش تقول يا أخان فى هذا المقام والله ما يدرك الا بالأذواق التى تتضاءل معها سعة الأوراق أقبلوا علينا عباد الله الى ما دعوناكم اليه فما دعوناكم الا الى الكنز المطلسم والسر المخزون والعلم المكنون فتلاوه القرآن بهذا الحال تتضاءل أمامها الجبال وانه لحال ونعم الحال شرود عن نؤوم الرجال فما عرفوه حتى تركوه كالبائعين لسيدنا يوسف عليه السلام لو عرفوه ما باعوه بثمن بخس دراهم معدوه وكانوا فيه من الزاهدين وهكذا الحجاب يقلب الحقائق حتى لا يفرق صاحبه بين التبر والتراب

لو دخلت حظيرة الشريف ابن ادريس صاحب العلم النفيس وتأملت فيما قاله واقتديت بفعاله وتلوت الذكر الحكيم : بلسانه الذى يتكلم به لربت من رحيق التسنيم ولكنك باعدت بين جوادك وجواده ووادك ووداده فأرخى عنان فرسه فى

نيل المعالى فنالها فهنيئا له أبو محمد أبو عبد العالى وأرخيت عنان فرسك لجميع الحطام والمال

ما نهضتك أحزابنا وهى تنهض الشامخات الرواسخ ولا وجهت قلبك يوما الى الالتفات الى العز الباذخ

فكم فيها من توجهات للمتوجهين وتجليات للمتأهبين فهى كأعمال المجاهدين فى سبيل الله زرعها فى يوم وفيه حصاده فما هى الا جواهر كلمات جمعت فى عقد نفيس لا تباع ولا تشترىولا توجد الا عند ابن ادريس ما غاب عنك أجل وأرقى مما حضر (إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

قد أشار بن الفارض رضى الله تعالى عنه الى هذه الحلاوه بقوله فى آخر الفائية : يا أخت سعد ... إلخ

وحلاوة تحصل بواسطة التجلى الإلهى وهى التى أشار اليها السيد ابن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (بحلاوة الإيمان)

قلت : وهذا التجلى يتبعه لذة التقوى لأن الحلاوة إذا وضعت على اللسان ذاق طعمها وتلذذ بها

فحلاوة الإيمان الحاصلة بواسطة التجلى الإلهى تجعل امتثال الأوامر واجتناب النواهي لذتهم للمتابعة ولذلك قدموا إمامهم أمامهم وكانوا مقتدين به فيدخلون فى قول الجنيد رضى الله تعالى عنه :

(وقدم إماما كنت أنت أمامه)

زلذة التقوى التى أشار اليها السيد الشريف انما هى من قبيل الذوقيات الوجدانيات عند ارتاب المشاهدات

ولذة التقوى ينتقل صاحبها من التلذذ بالأعمال والأقوال الى التلذذ بالاتصال والمشاهدة ويجعلون بعدهم عن هذا الحال عذبا وموتا

كما قيل : (وما عذابي إلا حجابي) وكما قال سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه :

تضيق الدنيا إذا غبتمو عنا

وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

فيعد كمو موت وقربكم حيا

ولو غبتمو عنا ولو نفسا متنا

وكما قال سيدى الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه :(وأنا إذا تركت ذكر الله أموات) يعنى : الذكر الذى مع المشاهدة واللذة والاتصال , لا الذكر الذى نحن نعرفه .

وقلت بفضل ربى تعالى :-

حلاوة الايمان يا أخانا

مثمرة اللذة فى تقوانا

بها نرى الشهود فى الأعمال

وسائر الأقوال والأحوال

إذ الشهود مظهر التجلى

ومهبط الأسرار والتدلى

صاحبه يغرف للمعانى

من دور الحديث والقرآن كأنه الغريب فى منواله

وجاذب الأرواح فى مقاله

كابن ادريس علىالقدر

من أقمر الدنيا كمثل البدر

تعرفه كلا وتدعيها

لو كشف الحجاب مت تهيا

هيهات عن الوصول

ما دمت فى المسير فى عدول

اعرف طريق الشيخ يا أخانا

قد حجب الناس عن الطريق

لكثرة الأهواء والتفريق

وابتعدوا عن نهجنا السني

الواضح الصوفي والجلى

طريقنا هو الكتاب المرشد

وسنه قائلها محمد صلى عليه الله بالتسليم

والآل والأصحاب بالتكرم

ما الجعفرى زار للمختار

فى حضرة الشهود والأنوار

وما تلى مريد الأورادا

فنال من صاحبها ودادا

عن ابن إدريس ؤضاك ربى

ما أحرم الحجيج أو يبلى

والجعفري صالح يلقاه

فى عرفات القرب أو يراه

وقول سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه (حتى تسرى فى ذاتى لذة شهودك فى جميع أنفاسى من غير التفات الى شئ سواك).

هذا هو المقام التمكين الذى صاحبه وصل الى حلاوة الايمان ولذة التقوى فيتلذذ صاحبه بالشهود الالهى لذة تحجز العارف عن التلذذ بشئ سوى ذلك كما قال سيدى أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه :

ولم يبق لى جسم يلذ بغيركم

كأنى بالعرش المجيد معلق

لأنه متلذذ بعدد الأنفاس بجسمه مع الناس وغاب بروحه عن اللوح والقرطاس , وطابت منه الأنفاس , وصدق فى النهايه والأساس طاب له السماع وتنورت به البقاع خلع العذراء ودارت له الكاسات وحصل له التواجد بين الأكابر فى الأسحار كما قال شاعرهم :

طاب السماع وهبي النسمات

وتواجدت فى حانها السادات

هبت عليهم نسمة سحريه

خلع العذار ودارت الكاسات

سمعوا بذكر حبيبهم فتما يلو

طربا وزالت عنهم العبرات

وأما قوله تعالى : (ومن لم يجعل له نورا فما له من نور) ففيه التبرؤ من الحول والقوة الى حول الله تعالى وقوته فالذى يجعل النور هو الله تعالى , قال تعالى : (وجعل الظلمات والنور) ولهذا الجعل أسباب وهى اتباع الأوامر الالهيه التى توصل العبد الى حلاوة الايمان ولذة التقوى حتى يجعل الله له نورتيكشف له عن حجب الجمال والكمال بعد الإتصال بقدر الحال فيتلذذ بالتابعة أولا كا قال سيدى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه (بالاتباع المحمدى منزله منزله) وبعد ذلك التلذذ بالمشاهدة كما قال أيضا رضى الله تعالى عنه : (حتى تسرى فى ذاتى لذة شهودك فى جميع أنفاسى)

وأما إذا لم يكن كذلك فليس بذاك وقد قال فيه الشريف ابن ادريس رضى الله عنه : فليس من الذين قيل فيهم (اتقوا فراسه المؤمن فانه ينظر بنور الله) لأنه الى الآن لم يؤت النور .

أراد رضى الله تعالى عنه الفراسه العامه بجميع أنواعها لأنها تتنوع باعتبار درجات العباد وهى كشف خارق للعادة فان كان من نبر فهى معجزة أو من ولى فهى كرامه أو من عامة المؤمنين فهى فراسة بكسر الفاء

قال الشريف مولاى السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه : (فهو يقول : الإمام كنت تتقدم عليه لعدم بصيرتك به ها أنت قد أبصرته فاتبعه وقدمه كما قدمه الحق فكن مقتديا بربك فى ذلك متخلقا بخلقة متحققا باسمه المقدم والمؤخر)

الشرح : قوله (فهو يقول) أى سيدى أبة القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه .

قوله : (الإمام كنت تتقدم عليه لعدم بصيرتك به)

الإمام هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم والتقدم عليه صلى الله عليه وآله وسلم هو مخالفته وعدم متابعة وعدم الدخول فى حزبه الذى هو حزب الله تعالى قال سبحانه وتعالى : (ألا إن حزب الله هم المفلحون) ربسبب اتباعه لخطوات الشيطان والدخول فى حزبه الخاسر قال تعالى : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

فلما تاب وأناب والى ربه رجع وآب ومزق الحجب وفتحت له الأبواب فدخل الدار مع الأعلام وأبصر الإمام قال له سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه : (ها أنت قد أبصرته فاتبعه) والمتابعة التامة هى التى وصف بها الشريف المكى السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله تعالى عنه شيخه الشريف أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه حيث قال : (تلميذ ابن ادريس ذى الأفعال الأحمديه)

قال الشارح وهو السيد سر الختم الميرغنى رضى الله تعالى عنه :

(الأفعال المحمدية) هى التمسك بالسنه فى الأفعال والأقوال وقى جميع الأحوال وكان شيخ الأستاذ هكذا

وفى سيرة سيدى ابن ادريس رضى الله تعالى عنه أنه كان يقيم الليل ويشغل نهارة بالعلم وكان يطيل الصلاه وكان لا يتكلم الا بذكر الله والعلم وكان زاهدا فى لذات الدنيا ومتاعها والالتفاف اليها

وكان يلبس العمامة على القلسونه ويرسل لها عذبه ويقصر الثياب ويأمر أصحابه بإعفاء اللحى وكان يحرم الدخان وشربه وكان لا يجمع الإخوان إلا لأجل العلم وتلاوة القرآن

وكانت مجالسه كلها علما على اختلاف أنواع العلوم وكان من حفظة القرآن بالقراءات الماهرين بها وكان له باع طويل فى التفسير على إختلاف القراءات وبالجملة فالمتابعه المحمدية هى العمل بالكتاب والسنه ولا يكون العمل تاما إلا بالعلم والعلم هو المتابعة الحقيقية

ومن العلم الربانى أن تعرف أن تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منزلته وحقه وأن تقدمه على نفسك وجميع أحبائك وأقربائك لأن الله سبحانه قدمه وكرمه فإذا قدمته صلى الله عليه وآله وسلم فقد اقتديت بربك تعالى حيث أمرك بتقديمه فامتثلت وبالاقتداء به فاقتديت وكنت مطيعا لقول سيدى الشريف ابن

ادريس رضى الله تعالى عنه حيث يقول : (وقدمه كما قدمه الحق فكن مقتديا بربك فى ذلك)

قلت : الاقتداء بالله تعالى هنا هو امتثال أمره سبحانه وتعالى فى قوله : (إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

أما قوله رضى الله تعالى عنه : (متخلفا بخلقة متحققا باسمه المقدم والمؤخر) فقد أشار رضى الله تعالى عنه بهذا الى حديث (تخلقوا بأخلاق الله) أى فيما يجوز التخلق به كالحلم والعلم والكرم وتوقير النبى صلى الله عليه وآله وسلم واحترامه .

وفى الحديث القدسى : (يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم)

قوله : (متحققا باسمه المقدم والمؤخر) أى : جاعلا نفسك مظهرا لهذين الاسمين حينما أخرت نفسك وقدمت صلى الله عليه وآله وسلم وجعلته قدوة لك كما فى قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لأن جميع الانفعالات

الكونيه مظاهر الاسماء والصفات الإلهية فالموت مظهر لاسمه تعالى المغنى وهكذا قال تعالى : (الله خالق كل شئ)

قال الشريف سيدى ابن ادريس رضى الله تعالى عنه قوله :

وصل صلاة الفجر

النورانى بعد أن انفجر لك النور من قلبك وصرت ترى به , صل الصلاة ذات النور وهى تبصر فيها وتشاهد ما تصلى له , وأتم نشأتها الحسية أيضا كما كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى كافة البرية (صلوا كما رأيتمونى أصلى)

القلب له ظلام يسمى الران وهو قلوب الكفار والعصارة بسبب الكفر والمعاصى قال تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وأما قلوب المؤمنين العاملين ففيها نور يسمى الفجر أعلاه الذى فى قلوب النبيين والمرسلين عليهم الصلاة الوسلام وأدناه الى فى قلوب عامة المؤمنين وأوسطه فى قلوب العارفين

وهو المراد هنا ؛ لأن صاحبه قد انفجر نورة فى قلبه فابصر امامه فتبعه فصلى صلاة العارفين بربهم

(لطيفة) الإمام صلى الله عليه وآله وسلم نور والذى انفجر فى القلب نور فإذا اتصل النور بالنور تم الهناء والسرور وذهب الهوى والغرور قلت فى قصيدتى المسماه بالمقبوله :

حبه فرض وحتم

مدحه خير وغنم

ليس يأتى القلب هم

للذى يهوى محمد

وقوله رضى الله تعالى عنه :

وأتم نشأتها الحسية أيضا

تحذير من النقص المشار اليه فى الحديث قال عليه الصلاة والسلام : (إذا صلى العبد الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها)

ورأى صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يسصلى فلما فرغ من صلاته قال عليه الصلاة والسلام ((صل فإنك لم تصل)) وإنما حكم صلى الله عليه وآله وسلم على صلاته بالعدم لعدم تمام نشأتها

فيجب على العامل تمام نشأة الأعمال حتى يتم جسدها وروحها فتمام جسدها باتقان النشأة الظاهرة وتمام روحها الإخلاص الباطحنى وقد تقدم بحث مثل هذا فى كتابى المسمى (شرح القواعد)

واعلم أن الأعمال بمنزله الطلب المقدم للأمير لأجل الإذن بالدخول عليه فإذا استحسن الأمير بطلب أذن لصاحبه بالدخول عليه وإذا لم يستحسنه منعه والأعمال هى الموصله الى الدخول فى الحضرة القدسية فمن صلح عمله أذن له ومن أفسد عمله منع

فحسن أعمالك فانها لك واتقنها فان الناقد بصير يبصرك ومزق حجاب نفسك الذى به يتسلط الشيطان عليك فمن مزق حجابه فقد طرد الشيطان عن بابه

فحبائل الشيطان المظلمه تتصل بحبائل النفس اذا أظلمت فحاذر من ظلمتها وأوامر ابليس تسيطر على النفس عند حركة شهواتها فامت نفسك المخالفة بالبتار ولا تطعها فى أوامر شهواتها فانها مطيعه النار

وملك جوارحك لروحك واجعلها لها مأمورة لا للشيطان والنفس والهوى

قال الشيخ أحمد الدردير رضى الله تعالى عنه

ويا مالك ملك جميع عوالمى

لروحى وخلص من سواك عقولنا

أردا بالعوالم الجزارح لأنها اذا كانت روحانية تغلبت على شهوات النفس وتخلص العقل عن حجاب السوى المانع فى كشفة الجامع كما قال أيضا :

ويا جامع فاجمع عليك قلوبنا

وكما قال ايضا

وجد لى بجمع الجمع فضلا ومنه

وداو بوصل الوصل روحى من الضنا

قوله رضى الله تعالى عنه :

كما يصليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى كافة البريه

أى : لاجل أن يقتدى به البرية الى يوم القيامة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) أى على الحضار منكم الناظر الى أن يصلى كما رآنى وليبلغ الشاهد منكم الغائب وهكذا كل جيل مأمور أن يبلغ من بعده الى يوم القيامه لتحصل تمام المتابعه التى بها بتم كمال النشأة العمليه

" لطيفة " ولم يقل صلى الله عليه وآله وسلم : كما علمتمونى أصلى لأنه لا يعلم مخلوق ما بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين ربه تعالى ولا يستطيع مخلوق أن

يصلى صلاته ولا أن يصل الى ما فيها من إخلاص قلبى وشهود ربانى فهو يصلى لله تعالى على وفق علمة بربه وخوفه منه قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((أعلمكم بالله وأخوفكم من الله أنا))

قال الشريف ذو المعالى أبو عبد العالى سيدى أحمد بن ادريس رضى اللع تعالى عنه :

رأى بعض العارفين الاولياء الحق فى نومه من نوماته فقال له : يا رب أى الوضوء عندك أكمل ؟ قال : الذى فيه لمعه ولا إسراف قال له : فأى الصلاة عندك أقبل ؟ قال : التى ليس فيها ذكر جنه ولا نار

اتفق العلماء جواز رؤية الله تعالى مناما كما أنهم اتفقوا على عدم فى الدنيا يقظة قال الشيبانى الأزهرى رحمه الله تعالى :

ومن اقل فى دار الحياه رأيته

فذلك زنديق طغى وتمردا

وقد رأى الحق مناما من الفضلاء منهم الإمام أحمد ين حنبل رضى الله تعالى عنه وقد ذكرت شيئا من ذلك فى كتابى (المنتقى النفيس) و (وشرح القواعد)

قوله :-

الذى ليس فيع لمعه ولا إسراف

اللمعه هى الجزء الذى لم يصل اليه الماء فى الغسيل أو الوضوء لأنه يشترط الاسباغ فيهما واللمعه تبطلهما .

والاسراف كثرة الماء فيهما قال ابن ابى القيروانى رحمه الله تعالى : (وقلة الماء مع احكامالوضوء سنه والسرف فيه غلو وبدعه وقد توضأ صلى الله عليه وآله وسلم بمد وهو وزن طل وثلث بالبغدادى وتطهر وهو أبعة أمداد بمده صلى الله عليه وآله وسلم)

قال سيدى أحمد زروق رضة الله تعالى فى شرحة على الرساله : الوسواس غالبا يعترى الصالحين غير أنه لا يبقى إلا مع من بعقلة خبل وقال فى القواعد إحكام طهارة الظاهرة يقوى طهارة الباطن

قلت : وفى ذلك حكمة فسبحان من حكم ان بين الظاهر والباطن جواذب وكلاهما قد يكون مظهرا للآخرين قال عليه الصلاة والسلام :(من أسر سريرة ألبسه الله رداءها) وقال تعالى :(إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا) وقال بعض الصاحبة رضى الله تعالى عنهم :(كنا نعرف أخلاقنا من دوابنا) وبلغى أن السيد أحمد الريفى رضى الله تعالى عنه تلميذ السيد محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنه ركب فرسة يوما قبل أن يقرأ حزب الس فجمحت على غير عادتها حتى نزل منها وقال :(عندك الجق ما قرأت السيفى) وهكذا الأحوال يا أخا الكمال مراتب وجواذب والمدار على الجواذب الباطينة حتى زيادة الأحياء والأموات ولولا الجواذب الباطنية ما تزاورت الأشباح وقلت بفضل ربى تعالى وأنا بالقبة الحسينية :

يا أهل بيت الطهر لازال طهركم

يطهر من يأتى اليكم بحبه

جواذب حب من قديم تواردت

على قلب من يهوى فجاء بجذبه

وهذا شراب الطهر يسقاه من أتى

اليكم ويوم الحشر يروى بعذبه

وقد جاءكم حزب الإله مسلما

وأنتم عباد الله سادات حزبه

فجدكم المختار أشرف مرسل

وشرفتمو بين الانام بقربه

على جدكم صلى الإله مسلما

وصلى عليكم والأفاضل صحبه

متى صالح يتلو مدائح معشر

بمدحهمو يرجوا إزاله حجبه

ليدخل فى أحزاب الكرام أولى التقى

ويشهد أحبابا كراما بقلبه وقلت بفضل ربى تعالى :

خير بيت بيت النبى وأنتم

آله والدخول منكم عليه

كل من زاركم يراكم بنيه

أنتمو نورة ومنه اليه

قال الشفاء أبو الوفاء الشريف أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

والله يقول : (أقم الصلاة لذكرى) أى للسكون والصمت لا لذكر شئ غيرى من جنه ونار وغيرهما فلا تهد فيها إلا إياى فتتغيب عن أفعالك بكبرياء الحق ومطالعة جماله)

قوله :

التى ليس فيها ذكر جنه ولا نار

استدل على ذلك الشريف رضى الله تعالى عنه بهذه الىيه (وأقم الصلاه لذكرى) كأنه يقول لا تذكر بقلبك مخلوقا مع ذكرالخالق وهذا يسمى مقام التجرد عن الغير وكشف العامة

قوله :

أى : للسكون والصمت

أى : سكون الروح عن الجولان فى حضرة الحق عند التجلى بحجابها وكشفها وذلك عند كشف حجاب المناجاه وسدل الحجاب على الأغيار إذ الشهود بحجاب وكشف كما أن الغفلة بحجاب عن ذى الجلال وكشف لمشاهدة الإيار وتمام السكون هو الذى أشار اليه رضى الله تعالى عنه فى احزابه يقول : (حتى لا أرى فى وفى كل شئ وفى لا شئ الا اياك) وعند ذلك يحصل السكون التام وقد أشار الى ذلك سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه وقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة

على خاطرى سهوا قضيت بردتى

أى : تحرك باطنى الى مخلوق عند التجلى

قوله :

والصمت وذلك فى مقام السماع الالهى الذى أشار اليه رضى الله تعالى عنه فى أحزابه بقوله : (وأقفنى وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام)

وهذا المقام صاحبه فى نشوة وطرب مع المحافظة على الأوامر الإلهية بتثبيت الله تعالى له وقد أشار الى ذلك أو ما يقاربه به سيدى عبد الكريم الجيلى رضى الله تعالى عنه فى عينية بقوله :

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى

وإنى منكم لا من الطير سامع

وذلك عند مشاهدة أصر القدرة المحض . وقد أشار الى ذلك ابن الفارض رضى الله تعالى عنه بقوله :

وكل الذى شاهدته فعل واحد

بمفرده لكن بحجب الأكنه

إذا ما أزال الستر لم ير غيره

ولم يبق فى الأشكال أشكال ريبه

قلب : وذلك يحصل لأرباب المشاهدات بعد الكشف الأكبر الذى هو بعد الكشف عن حقائق الأشياء إذ العارف لا ينتقل عن الأثر الى المؤتمر الا بعد معرفة الأثر معرفه خارقة للعادة

قال تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وذلك لأنه الكشف يتبعه اليقين والكشف الأكبر بعد البقين وبعد الكشف

الأصغر العلم وهو علمان علم بالأثر وقد يكون بالمشاهدة : (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى) : وبعد ذلك حصل العلم بالثانى وهو العلم المؤثر المبدع (واعلم أن الله عزيز حكيم)

ومن العلم الأول الحاصل بالمشاهدة (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) وبعد ذلك حصل العلم الثانى (قال أعلم ان الله على شئ قدير)

ومن العلم الأول (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) ومن الثانى الوصول الى أ، الله لا يغيب

تنوع اسرار الله

فة ملكه

كما اقل سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه

لله فى الكون أسرار ترى فيه

قلت : وتلك الأسرار أنواع متنوعة وفروع متفرعة فقد يكون السر فى الهواء (قال إنى لاجد ريح يوسف) وقد يكون فى الجماد (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا)

وقد يكون فى القلب (قال أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)

ومن الذى يكون فى القلب رؤية سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الحطاب رضى الله تعالى عنه وسماعه قوله المدينه المنورة حينما قال وهو يخطب يوم الجمعه على منبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم :(يا ساريه الجبل الجبل من ترك الحزم ذل)

ومن السر القلبى قول أمير المومنين سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه :(أتدخلون علينا وفى اعينكم أثر الزنا

وقد يون فى الجماد كالشفاء الذى فى العسل (فيه شفاء للناس) وقد يكون فى الأنعام (وإن لكم فى الأنعام لعبرة) وقد يكون فى الحشرات (فتبسم ضاحكا من قولها) قد أضحكة السر الالهى السارى فيها الذى به نطقت حيث نادت

وسمعت المنادين وأمرت وذكرت المساكن وأضابفتها الى اربابها وحذرت وذكرت المحذر منه وأضافته الى المحذرين وذكرت المتسبب فيه وذكرت من معه وأضافتهم اليه واعتذرت عن المتسببين فى المحذر منه : (ي أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون

وتلك الأسرار موجودة والوصول اليها بقدر قوة الأنوار الفلبية كالبصر الظاهرى مشاهدته على قدر قوة ابصارة ومن ذلك الشبع الذى فى الطعام والى فى الماء والاحراق الذى فى النار

ومما يرد به على الكفار أهل الطبيعة أن الطبيعه لا تتخلف تأثيراتها ولكن الاله سبحانه وتعالى قد يعكس تأثير الش الى ضده قال تعالى : (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم) (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) (وأوحينا اليه لتنبئهم) (فنادى فى الظلمات) فالنار موضع احراق وتعذيب صارت موضع سلامة وتلذذ بمناجاة الحبيب

الجب موضع وحشة وهلاك صار موضع وحى وأنس بالحبيب

والظلمات موضع وحشية وهلاك صارت موضع ذكر ومشاهدة

الغار موضع مخافه لوصومل العدو اليه صار موضع أمان وسكينة ومعيه ربانية (لا تخف ان الله معنا) ولو أخذت فى النقل لنهت فى رسع الميدان

قوله :

فلا تذكر فيها الا اياى

إعلم يأخا التوفيق سقانى الله واياك من صافى الرحيق ان الصلاة فرضت ليلة المعراج فى ساعة كشف الحجاب وظهور الأنوار الالهية على الحضرة المحمدية فى مقام شهود (كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان) فالصلاة تذكرة لتلك الليلة التى فيها الؤية الالهية والمشاهدة الربانية فهى معراج الارواح وهدية الفتاح إكرما للنبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

فالنيه بمنزلة الدعوة وتكبيرة الإحرام كالدخول فى السماء الأولى والقيام لها : السماء الثانية , وقراءة الفاتحة : السماء الثالثة , والقيام لها : السماء الرابعة , والركوع : السماء الخامسة : والرفع منه , السماء السادسة : والسجود , السماء

السابعة : قال عليه الصلاة والسلام : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)

لذلك كان الأليق بها كما قال الشريف : (فلا تذكرة فيها إلا إياى)

ولما كان السجود تذكارا لسجوده صلى الله عليه وآله وسلم فوق السماء السابعة , وتذكارا للتجلى الإلهى ناسب أن يقول الشريف الإدريسى مولانا السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه :

فتغيب عن أفعالك بكبرياء الحق تعالى ومطالعة جماله

كما قال أيضا :

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظرى

فغبت وعنكم لا تغيب سرائرى

وقال رضى الله تعالى عنه :

(وأن تحققنى بشهود ذاتك يا ذا الجلال والإكرام تحقيقا كليا وشهودا عينيا يستغرق جميع ذاتى وصفاتى وجملة أجزائى وكلياتى)

قلت : وإنما سأل الله التحقيق لأن صاحب هذا المقام قد تحقق بالحقائق وصار مظهرا لاسمه تعالى الحق , وصارت آبه وجه روحه من كتاب الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل) لأن هذا الشهود لا يكون الا لمن صار حقا محضا صرفا من جميع الوجوه وفى هذا المقام يقول الشيخ أحمد الدرديرى المالكى رضى الله تعالى عنه :

ويا حق حققنى بسر مقدسى

لأدرى به سر البقاع مع الفنا

ويقول / ويا باقيا أبقنا فيك أفننا

فصاحب البقاء بالله هو الذى يقول : وأن تحققنى بشهود ذاتك

وقول الشريف رضى الله تعالى عنه

(يا ذا الجلال والإكرام إشارة الى القبض والبسط)

(والله يقبض ويبسط) لأن التجلى بالجلال وحده لا يطاق فسأل الله تعالى أن يجمع له فى التجلى بين الجلال والاكرام

وهيئ قلبك يا عبد الله لما سيلقى عليك أصلح الله لك الحال وفيوضات تساق اليك ولا يحجبك عن ذلك الا اغترارك بنفسك ووقوفك مع قطران عملك فيا أخلص يخلص لك العالم ولا تقل انىعالم وخاطب بروحك وذكرها بأيام الله وجاهد لشهودك

تجلى الجلال

اعلم ان التجلى الالهى تتدكدك منه الجبال الراسيات قال تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) فكان التجلى بالجلال على الجبل ولذلك تدكدك ولو كان التجلى بالاكرام ما تدكدك الجبل ولذلك قال شيخنا ومربى أرواحنا : يا ذا الجلال والاكرام

ولابد عند ذلك من استغراق جميع الكليات والجزئيات كما أشار الى ذالك العارف بالله تعالى ابن الفرض رضى الله تعالى عنه :

وصرت موسى زمانى

منذ صار بعضى كلى

وذلك لأن العين بعض فصار الجسد كله يبصر ولأن الأذن بعض فصار الجسد كله يسمع ومعنى (وصرت موسى زمانى) يعنى التجلى لا فى النبوة والرساله لأنه يقول

وسركم فى ضميرى

والقلب طور التلى

والسر هو المشاخدة القلبية التى أشار اليها الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (مشاهدة خارجية عن المحسوسان والمعقولات) لأن التعطيل فى المحسوسان والمعقولات وفى مشاهدتها الابتلاء . قال الله تعالى : (إنا جعلنا على زينه لها لنبوهم) فاذا خرج عن التجلى عن المحسوسان والمعقولات فار الابتلاء ووصل الى المراد وسمى القلب الباطنى طور التجلى ولم يتدكدك للتجلى

بالاكرام الباطنى وسمى الجوراح جبالا وكنى عن سكونها للهيبة الجلاليه الالهية بالتدكدك فقال :

صارت جبالى دكا

من هيبة المتجلي

الروح مثل الجسد فى الصورة

ومن الاستغراق للكليات والجزئيات أنك تسمع جميع كلياتك وجزيئاتك تذكر الله تعالى ويحصل لها تلذذ غريب وعجيب وذلك لأ انفعالات الروح الباطنى تظهر على جميع الهيكل الظاهرى لأن روحك كجسدك فى الصورة وشهودها فى عالمها كان شهودا استغراقيا فاذا تحققت بالشهود صرت هكذا

وأشار الى هذا الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه بقوله

وشاهدت حسنا شاملا كل وجهة

وكانت من الوجهات أيضا مظاهرى

المظاهر جميع مظهر وهو مكان ظهور أثر الروح وهو الجسد فشاهد بقلبه الحسن الشامل لكل وجهة فى جسدة وجزئياته حتى ان العين نبصر والأذن تسمع فى حالة النوم لأن النوم صار للجسد نوما صوريا لا حقيقا (نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام) وذلك كموت الشهداء (بل أحياء عند ربهم يرزقون). (أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى)

ولذلك كان صاحب هذا الاستغراق مظهر العجائب منه اليه به فى حيث لا محسوسات ولا معقولات من حيث التجلى الالهى فيرى به أنه له لا لغيرة (واصطنعتك لنفسى) فظهر سر الصانع فى المصنوعات لما أبصر وسمع بجميع كلياته وجزئياته شهودا عينيا روحانيا جثمانيا من حيث لا جسم إلا الرسم وعند ذلك تبدو أسرار وتلوح أنوار ليلة كنهارة من تزاحم أنوارة كما أشار الى ذلك ابن الفراض رضى الله تعالى عنه بقوله :

ولا ح سر خفى

يديه من كان مثلى

ولما كان النظر بجميع الكليات والجزئيات قال :

جمالكم نصب عينى

اليه وجهت كلى

أي نصب كلياتي وجزئياتي التي صارت تبصر مالا يبصره المبصرون ، وهذا هو الاستغراق الكلي الذي أشار إليه كنزنا وذخرنا الشريف ابن إدريس رضي الله تعالي عنه ، وأيضا أشار إليه بقوله :-

شغلت بحسن وجهكم عن شواغلي

كأني من عشق الجمال مخلق

ولما عمت تلك اللذات الروحية الجسد كله عند الاستغراق الكلي قال رضي الله تعالي عنه :

ولم يبق لي جسد يلذ بغيركم

كأني بالعرش المجيد معلق

وهناك يا أخانا ما يكل عنه اللسان ويعجز عنه البيان ، ويدهش صاحبه ، ويكل كاتبه ، وفي التصديق به قربة .

فصدق لعلك أن تدرك ما في النية ، فكم فتح عليك من ميزاب ، وما أوجفت عليه من خيل ولا ركاب ، وكم تزاحمت عليك ذخائر النفائس لعلك أن تستأصل حب الدنيا من قلبك لتذوق حلاوة ذكر ربك .

أيها المريد بانبا باب الله

فماذاق حلاوة أحزابنا ، من طرق غير بانا وباب الله وقفنا عليه كوقف الواقفين بعرفات ، جهله من جهله ، وعرفه من عرفه .

فأقبل علي الأحزاب بكليتك مع التدبر والتأني ، ومع التجريد الباطني عن شوائب كدورات نفسك الأمارة لعل أن تظهر لك إمارة ، فكم من واصلين بها إلي عظيم التجليات وكم من كاتبين عنها نفائس الكلمات .

فأين أنت ؟ أين أنت ؟ كيف تكاسلت بعد أن فهمت ؟ وكيف ذقت الشراب الإدريسي وما همت ؟ فكم به من هائم وصائم وقائم ! إشرب شرابنا الغالي تظهر لك اللآلي ، وينفعك مقالي .

إياك إياك والدنيا فلا تقبل عليها يا أخا التجلي ، وعنها أدبر وولي فوالذي نفسي بيده إنك تاركها غصبا ، فاتركها باختيارك تزدد حبا وقربا ، إغسل قلبك وطهر من حب الجيفة قبل أن تقرأ أحزابنا ، ولا تخلط اللبن بالخل فيفسد .

إيش حالك يا نائم الليل ، وفاتتك فرسان الخيل ! إيش حالك يا غافل النهار ، فاتك الغيث المدرار .

لا ينفعك إقبال الناس ، ولا ينفعهم إقبال عليهم إلا إذا كان الله ومن الله (إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه) فالذهب لا يشتري بالخزف ، والمعالي لا تنال بالزهو والترف ، فهلم إلي باب قيام الليل كما قال ابن النحوي :

وصلاة الليل مسافتها

فاذهب فيها بالفهم وجي

واتل القرآن بقلب ذي

حرق وبصوت فيه شجي

هلم إلي ما لا يخطر ببال ، هلم لتفتح لك الأقفال ، وانظر بقبلك ثم انظر لعلك أن تنظر :

رفعوا اليك من العلا أعلاما

فإذا نظرت فقد لقيت كراما

بيض الوجوه لهم قيام في الدجي

شربوا من الحب الوفي مداما

بالروح تبصرهم وتلقي وفدهم

وفدوا إلي البيت العتيق قياما

نظروا إليه بأعين همالة

ورأوا هناك أفاضلا أعلاما

قوله

في أول العصر

(قوله في أول العصر) قال الشريف مولاي السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالي عنه :

لأن صاحب هذا المقام له الأولية ، وهي حقيقة فيه لكينونة الحق له – كما تقدم – سمعا وبصرا ولسانا ورجالا وفؤادا كما يليق بجلاله ، ومن أسمائه الأول ، والعصر الزمني من قولهم العصر الفلاني ، وفي عصر فلان ، وليس العصر المعتد به إلا زمن النور الذي انفجر له فيه ، وما قبله ظلمة ، والظلمة والظلمة عدم ، فلا عصر إلا وقت الإبصار فهو (أول العصر) .

معني كلام السيد ابن إدريس رضي الله تعالي عنه : المراد بالفجر انفجرا النور الإلهي في القلب ، والمراد بالعصر الزمن الذي حصل فيه الانفجار ، فيكون تقدير الكلام هكذا :

وصل الصلاة النورانية في أول زمن حصول النور .

قوله :

لأن صاحب هذا المقام له الأولية

قلت : يقول السيد رضي الله تعالي عنه : لا ينبغي التأخر والتواني ، بعد ظهور النور وطهر الأواني ، إذا التأخر عيب في هذا المقام ، قال ابن النحوي رحمه الله تعالي :

وإذا أبصرت منار هدي

فاحذر إذ ذاك من العرج

لتكون من السباق إذا

ما جئت إلي تلك الفرج

فهناك العيش وبهجته

فلمبتهج ولمنتهج

وقد أشار إلي ذلك السيد بن إدريس رضي الله تعالي عنه بقوله(حتي لا أذهل عنها في المشاهد القدسية طرفة عين ولا أقل من ذلك) .

قوله

وهي حقيقة فيه

أي : الوصيف بالأولية لأنها مظهر من مظاهر اسمه تعالي الأول .

قوله

(لكينونة الحق له كما تقدم سمعا وبصرا ولسانا ورجلا وفؤادا كما يليق بجلاله)

يقول إمام عصره وأوانه سيدي الشيخ صالح الجعفري غمرنا الله تعالي ببركاته ونفحاته آمين ورضي الله تبارك وتعالي عنه وعن ذريته وأولاده : لعل الكتاب أسقط كلمة " ويدا " ومعني هذا قد تكلمت فيه في كتاب (المنتقي النفيس) وفي كتاب (شرح القواعد) ، وعلي كل حال فالظاهر غير مراد لاستحالته .

قال الشريف السيد بن إدريس رضي الله تعالي عنه : (هذا وقد قال رأس ديوان حضرات الوحي لسان الحق الذي لا ينطق عن الهوي المواجه بالخطاب في

حضرة التكليم رسولك الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلي الله عليه وآله وسلم (إن دون الله عز وجل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، وما تسمع نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت) وسأل صلوات الله وسلامه عليه الروح الأمين جبريل صلوات الله وسلامه عليه بقوله : وهل رأيت ربك ؟ فانتفض وقال إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو دنوت من أدناها لاحترقت) .

وقال الشريف ابن إدريس رضي الله تعالي عنه ،(وأنت الله ذو السبحات الوجيهة الإلهية المحرقة ، رداؤك الكبرياء وإزارك العظمة وحجابك النور لو كشفته لأحرقت سبحات وجهك ما أدركه بصرك من خلقك) .

قال الشيخ محمد فخر الدين الرازي رحمه الله تعالي في شرح قوله عليه الصلاة والسلام :(إن الله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهة كل ما أدراك بصره) وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها : سبعون ألف .

قال الفخر رحمه الله تعالي : لما ثبت أن الله تعالي متجل في ذاته كان الحجاب بالإضافة إلي المحجوب لا محالة ، والمحجوب لا بد وأن يكون محجوبا إما بحجاب مركب فقط أو بحجاب مركب من نور وظلمة أو بحجاب مركب من ظلمة فقط .

(القسم الأول) المحجوبون بالظلمة المحضة .

هم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية إلي حيث لا يلتفت خاطرهم إلي أنه يمكن الاستدلال بوجود هذه المحسوسات علي وجود واجب الوجود أم لا ؟ وذلك لأنك قد عرفت أن ما سوي الله تعالي من حيث هو هو مظلم ، وإنما كان مستنيرا من استفادة النور من حضرة الله تعالي .

فمن اشتغل بالجثمانيات من حيث هي هي ، وصار ذلك اشتغالا حائلا له عن الالتفات إلي جانب النور كان حجابه محض الظلمة .ولما كانت أنواع الاشتغال بالعلائق البدنية خارجة عن الحد والحصر فكذا أنواع الحجب خارجة عن الحد والحصر .

(القسم الثاني) المحجوبون بالحجب الممزوجة من النور والظلمة .اعلم أن من نظر إلي هذه المحسوسات فإما أن يعتقد فيها أنها غنية عن المؤثر ، أو يعتقد فيه أنها محتاجة ، فإن اعتقد غنية فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة .

(أما النور) فلأنه تصور ما هية الاستغناء عن الغير ، وذلك من صفات جلال الله تعالي وهو من صفات النور .

(وأما الظلمة) فلأنه اعتقد حصلوا ذلك الوصف في هذه الأجسام مع أن ذلك الوصف لا يليق بهذا الوصف ، وهذا ظلمة ، فثبت أن هذا حجاب ، ممزوج من نور وظلمة .

ثم أصناف هذا القسم كثيرة ، فإن من الناس من يعتقد أن الممكن غني عن المؤثر ، ومنهم من يسلم ذلك لكنه يقول المؤثر فيها طبائعها أو حركاتها أو اجتماعها وافتراقها أو نسبتها إلي حركات الأفلاك أو إلي محركاتها ، وكل هؤلاء من هذا القسم .

(القسم الثالث) المحجوبون بالحجب النورية المحضة :

واعلم أنه لا سبيل إلي معرفة الحق سبحانه إلا بواسطة تلك الصفات السلبية والإضافية ، ولا نهاية لهذه الصفات ومراتبها ، فالعبد لا يزال يكون مترقيا فيها ، فإن وصل إلي درجة وبقي فيها كان استغراقه في مشاهدة تلك الدرج حجابا له عن الترقي إلي ما فوقها .

ولما كان لا نهاية لهذه الدرجات كان العبد أبدا في السير والانتقال وأما حقيقته المخصوصة فهي محتجبة عن الكل فقد أشرنا إلي كيفية مراتب الحجب ، وأنت تعرف أنه عليه الصلاة والسالم إنما حصرها في سبعين ألفا تقريبا لا تحديدا ، فإنها لا نهاية لها في الحقيقة . انتهي كلام الشيخ الرازي رحمه الله .

يلوح لخاطري والله تعالي أعلم أن تنوع الحجب إلي نور وظلمة إنما هو باعتبار الخلقة ، فحجاب الأرواح نور وحجاب الأجسام ظلمة وليس ذلك باعتبار الصفات الحاصلة من المحجوب .

ولذلك كانت حجب جبريل عليه السلام من نور فقط ، وإذا وصل الكامل إلي درجة فوق الروح والجسد أزال جميع الحجب ، ولا يكون ذلك بالعمل بل باختصار

الله تعالي ، ولم يحصل ذلك إلا لنبينا صلي الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ، وهذه الحجب حجب حقيقية وليست معنوية .

أما الحجب المعنوية فهي التي تكون باعتبار الأوصاف التي تصدر من المحجوب نفسه ، وذلك كالحجاب المسمي عند القوم بحجاب الغفلة ، وهي الظلمات التي تكون بسبب الكفر والفسوق ، وحجب نورانية وهي التي تكون باعتبار الإيمان والعمل الصالح .

فالأول الظلماني : الذي يحصل باعتبار أوصاف الشخص يسمي حجابا عن مشاهدة الله .

والحجاب الثاني النوراني : الذي يحصل بالأعمال الصالحة يسمي حجابا عن مشاهدة غير الله تعالي ، قال تعالي (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم م الظلمات إلي النور) .

وإنما قلت : والأجسام حجابها الظلمات لأنها ترابية لا تتحمل حجب الأنوار فسبحان من جمع بين الروح والجسد وأعطي كلا حجابه اللائق به ، قال تعالي : (الذي أعطي كل شئ خلقه ثم هدي) .

ولما كان الحق سبحانه من أسمائه لنور أذن لأصحاب الحجب النورانية المحضة المكتسبة برؤيته يوم القيامة ، وجعل النور يلوح علي وجوههم ن قال تعالي (وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة) وجعل أهل الظلمات المكتسبة المحضة مجردة عن النور عليها غبرة ، قال تعال (ووجوه يومئذ عليها غبرة) قال القرطبي : إذا قال الله تعالي للحيوانات يوم القيامة : كوني ترابا تصير ترابا ويتطاير ذلك التراب وجوه الكفار ، فهذه هذ الغبرة . انتهي كلام القرطبي .

وحجبوا عن رؤية الله النور قال تعالي (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) .

والمجوب الظلمانية المكتسبة قد أشار إليها القرآن (كلا بل علي قلوبهم ما كانوا يكسبون) فجعل هذا الحجاب سببه الكسب ، وأما الحجب الأول من النور وظلمة فلا دخل للكسب فيها ، لأنها من حكمته في كل شئ ، وليس كمثله شئ ، وإليه يرجع كل شئ (ألا إلي الله تصير الأمور) .

قال الشريف بن إدريس رضي الله تعالي عنه :(وليس العصر المعتد به إلا زمن النور الذي تنفجر له فيه وما قبله ظلمة ، والظلمة عدم فلا عصر إلا وقت الإبصار فهو أول العصر) .

قلت : هذا تعليل لقوله (أول العصر) لأن من عاش مائة سنة وفتح له بعد خمسين فأول عصره ما بعد الخمسين ، والذي قبلها كالعدم ، وتعليل عدميته أنه ظلمة ، والظلمة عدم النور ، فأخذ العدم في مفهومها .

قلت بفضل ربي تعالي :

ما مر من زمان في الظلام

قد حكموا عليه بالإعدام

إذالظلام عدم والنور

هو الوجود قمر يدور

فابدأه بالأعمال ذات الخير

ولا تبطئ أبدا في السير

هذا زمان الفيض والأسرار

عرج علي العليا بالأبتدار

قال الشريف بن إدريس رضي الله تعالي عنه :

قوله :

(فهذه صلاة العارفين بربهم)

هم الذين اهتدو به إلي معرفة أنفسهم (من اهتدي فإنما يهتدي لنفسه) ومن عرف نفسه فقد عرف ربه (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق) أهل المعرفة الخارجة فإنهم غي ذائقين لهذا المعني .

قال ﷺ رضي الله عنه الجعفري عفا الله عنه وعن والديه ﷺ ورضي الله تعالي عنه والحقنا به آمين رضي الله عنه قوله :

هم الذين اهتدوا به إلي معرفة أنفسهم

أشار بذلك إلي صفات النفس السبعة التي لا تدرك إلا بواسطة الذكر ، ولا يكون العارف عارفا حتي يعرفها ويهتدي إلي معرفتها .

ولما كانت تلك الصفات بعيدة المدي وعرة الطريق لا تدرك إلا بالتبرؤ من الحول والقوة قا رضي الله تعالي عنه (هم الذين اهتدوا به) قال تعالي (من يهد الله فهو المهتد)

وقوله :

إلي معرفة أنفسهم

سماها معرفة لأنها تتوقف عليها المعرفة ، فالجنيد رضي الله تعالي عنه قوله : (العارفين بربهم) والسيد رضي الله تعالي عنه يقول : إلي معرفة أنفسهم ، لأن

الجنيد أشار إلي المسبب وهي معرفة الله تعالي والسيد أشار إلي السبب ، وهي معرفة الأنفس ورضي الله عن السيد لأنه أشار إلي أمر مهم وهو أنه لا بد من السبب أولا ثم المسبب ثانيا ، لأنه مقدم بالطبع فيكون مقدما في الوضع .

قال الأخضر رحمه الله تعالي في سلمه :

وقدم الأول عند الوضع * لأنه مقدم بالطبع

ولذلك السيد فسر الآيه بالسبب ، لأنه استدل بها علي قوله (معرفة أنفسهم) . وأما التفسير بالمسبب فهو أن تقول (من اهتدي) إلي الله تعالي بالمعرفة والإيمان عإنقاذه من النار ودخوله الجنة ، وإنما بينت هذا البيان خشية أن يعترض ، معترض والله الموفق إلي سواء السبيل .

ثم استدل السيد رضي الله تعالي عنه علي قوله بهذه الجملة التي ذكرها حجة الإسلام الغزالي رضي الله تعالي عنه في كتابه بقوله : قال رسول الله صلي الله عليه وآله سلم : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) . وسمعت عن مشايخي أنها حكمة لسيدنا علي كرم الله تعالي وجهه ورضي الله تعالي عنه .

وسكت السيد عن اسنادها لعل ذلك لأجل الخلاف ، ومعناها واضح جلي يعني أن معرفة النفس تؤدي إلي معرفة الله تعالي .

ثم استدل ايضا بهذه الآية : (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم) لأن الآية في اللغة معناها العلامة علي المؤثر فجعل الله العلامة التي في الكون من باهر الصنعة وعظيم الحكمة ودقة الإتقان تكشف وتبين عن صفات الخالق وهي قسمان : حسية وهي الكونية والجثمانية ومعنرية وهي النفسية .

والرؤية قسمان : بصرية وهي للمحسسوسات ، ومعنوية وهي التي للمعنويات .

ولما كان من أسمائه الظاهر والباطن جعل الآيات ظاهرة وباطنة كما جعل النعم ظاهرة وباطنة ، قال تعالي (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)

وقد أشار الي ذلك كله مولانا الشريف بن ادريس رضي الله تعالي عنه بقوله : (وتجل لي يا الهي بالتجلي الأعم الالهي الاحاطي الجامع للآفاق والأنفس سر قولك (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

قوله

لا اهل المعرفة الخارجة ، فانهم ليسوا ذائقين لهذا المعني

قلت : وذلك كالعوام ومن لم يسلكوا طريق القوم منهم كما ينبغي ، كما قالوا ومن تفقه ولم يتصرف فقد تفسق .

وقد نسب شيخنا حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالي هذا الكلام غلي الامام ابي عبد الله مالك بن انس رضي الله تعالي عنه ، ومما يحضرني من شرح الشيخ له أنه قال : وفسق قسوة قلبه ، وحبه للدنيا الفانية والخوف من غير الله تعالي ، وكتمان الحق ، وجعل العلم وسيلة الي الدنيا ،وذلك كله سببه عدم تصرفه ، انتهي كلامه رحمه الله تعالي .

قال صالح الجعفري ومن مشايخي الذين ادركتهم ممن ممن جمعوا بين العلم والتصوف شيخي العارف بالله تعالي السيد محمدالشريف بن السيد عبد العالي بن السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالي عنهم ، والشيخ محمد ابراهيم السمالوطي ، والشيخ محمدبخيت المطيعي ، والشيخ حبيب الله الشنقيطي ،

والشيخ يوسف الدجوي ، والشيخ علي الشيب ، والشيخ حسن مد كور ، والشيخ عبد الرحمن عليش والسيخ محمد أبو القاسم الحجازي ، والسيد عبد الحي الكتابي ، والشيخ أبو الخير الميداني شيخ علماء سوريا .

واليبد احمد الشريف الغماري ، والسيد عبد الله الشريف الغماري ، والشيخ علي أدهم المالكي السوداني ، والشيخ حسن مشاط من علماء مكة المكرمة ، والشيخ محمد الحلبي ، والسيد عبد الخالق الشبراوي والشيخ محمد عطيه البقلي والشيخ مصطفي صفوت والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي والشيخ محمد العناني شيخ السادة المالكة والشيخ عبدالحليم ابراهيم والشيخ ابو يوسف والشيخ الدلييشني والشيخ سلامة العزامي ولاشيخ صادق العدوي والشيخ احمد وديدي من بلدة رومي بالسودان والشيخ علي محمد امام وخطيب مسجد دنقلا والشيخ سيد حسن افندي والشيخ علي بن عوف احمد النجار المدرسان بمسجد دنقال رحمهم الله تعالي وغيرهم من مشايخ الأزهر الشريف .

ومن مشايخي الصالصحين الشيخ عبدالله عثمان التنبكتي رحمه الله تعالي وأما مشايخي في الطريق والاسناد فقد ذكرتهم في كتاب " المنتقي النفيس "

ومنهم اليد محمد ادريس المهدي السنوسي المتصل الاسناد بشيخنا الشريف بن ادريس رضي الله تعالي عنه .

وقوله :

فانهم غير ذائقين لهذا المعني

اشار السيد رضي الله تعالي عنه الي المعني الذوقي الذي يدرك بالذوق المتوقف علي المعرفة ، وقد أشار الي المعني السيد الغوث ابو مدين رضي الله تعالي عنه بقوله :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه

ومن دراه غدا بالروح يشريه

وقد يعبرون عنه بالخمر للدهشة العظيمة التي تحصل عند تذوقه قال ابن الفارض رضي الله تعالي عنه :

فدهشت بين جماله وجلاله

وغد لسان الحال عني مخيرا

وهكذا يتكلمون بحالهم زمقالهم ، عند قربهم ووصالهم .

وقلت بفضل ربي تعالي :

فمنهم من يقول ولا يبالي

ومنهم تارك بعض المقال

ومنهم شاطح في القول شطحا

ومنهم صامت ليلا وصبحا

ومنهم ساكن قمم الجبال

ومنهم منزو بين الموالي

ومنهم علم يهدي الدراري

ومنهم سره خوفا يواري

ومنهم بائح وله دلال

ومنهم عابدا وله كمال

ومنهم من يكن بالليل زائر

كمثل السبع للأرواح زائرا

ومنهم من ين سهر الليالي

كمثل البدر مصحوب المعالي

ومنهم احمد بن ادريس حقا

ترقي بالوصال فصار ارقي

ومنهم من يكن بالمدح هاما

كمثل الميرغني نظرا المقاما

فسار نحوهم يا ابن الافاضل

وسلم في الطريق ولا تجادل

الى الاحزاب فكر فى المعانى

وطهر يا موفق للاوانى

عسى بالنور وتحظى يا مريد

وبالتقوى يلين لك الحديد

وبالاحزاب تكشف للخفايا

وتنهل المواهب والعطايا

عسى بالنور تحظى من خفى

قريب منك ذى قدر على

هو ابن ادريس ها انا ذا اقول

وشمس الوصل ليس لها أفول

فالا رواح مزج يا أخانا

بجمع أو فرق ترانا

الى المرآة فانظر ما تراه

وهل أنت الذى فيها تراه

تحركه بلا مس ويحكى

فيضحك أن ضحكت كذا ويبكى

فما انت الذى فيها ويأتى

بما تأتى به فى أى وقت

وهل انت الذى أم أنت أنت

ومن قبل التشخيص اين كنت

فلو علم المريد لكان يعلم

بحال الشيخ يا هذا ويفهم

فما غابت عن الأرواح عينى

وأين مقرنا أم أين أينى

تلاشت حاله الأشباح لما

ترقى الروح لما الفيض عما

ونفقه للغات ولا نغيب

عن المولى المهين والرقيب

به نبقى به ندرى الخفايا طريقتنا بها خير المزايا

تجل فى تجل فى تجلى

عن الدنيا وما فيها فولى

شهود فى شهود فى شهود

مودتنا عن الرب الودود

ومن طلب الزخارف ما دراها

طريقالحق فاسلكها تراها

طريقتنا القريبة فى الوصال

بها بحر الجواهر واللآلى

يها ادريس طيار كطير

ومن جاءوا اليه كأهل بدر

بها ادريس سلطان ينادى

على الأبناء فى كل البلاد

هلموا أقبلوا نحوى تعالوا

فكم قوم لنا جاءوا فنالوا

فو أسفلى على أهل الطريق

إذا ناموا ولم يصلوا رحيقى

فما شرب المدامة ذو منام

ولم يدخل مع القوم الكرام

أأنت الحى فى الدنيا وتدرى

وذا قد مات ياجهلان قدرى

بل الاحياء أحياء الشهاده

وموت الحب عندهم شهاده

أشرت وقد أشرت وقد أشرت

لعل البعض يفقه ما قصدت

صلاة الله يتبعها سلام

على المختار ما نفع الكلام

كذا آل واصحاب تراهم

على حب الاله وقد سقاهم

طهورا صافيا وقد ارتضاهم

عبادا مخلصين وقد حباهم

عبيدك صالح يرجو رضاكا

ونورا ساطعا يرجو غناكا

وقد سأل الله تعالى الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه التجلى الأعم الجامع للأنفس والآفاق ليكون مظهرا لاسميه تعالى : الظاهر والباطن فيفاض عليه بالمعرفتين الظاهرة والباطنه وعند ذلك لا يبقى شئ فى الوجود الا يعرفه حتى الجمادات ؛ لأن العارف من عرف الأشياء وعرفته عرفها أنها قامت بربها كما قال البوصيرى رحمه الله تعالى :

وقامت بربها الأشياء

وذلك يدرك بالذوق ومعرفتها له تدرك بالالهام الالهى وقد نادت لنخله أبا مدين رضى الله تعالى عنه وقد خاطبت النمله سيدنا سليمان عليه السلام وقد

أوبت الجبال مع سيدنا داود عليه السلام وقد أظهرت عصا سيدنا موسى عليه السلام العجائب

الشيخ العارف

تخاطبه الأشجار والجمادات

وقد سمعت عن شيخى السيد محمد الشريف رضى الله تعالى عنه يقول : العرف بالله تعالى تخاطبه الأشجار والجمادات وتقول له : أن خلقت لكذا وكذا من المنافع فلا يلتفت اليها ويقول لها : لا أريد الا وجه الله تعالى فان التفت اليها واشتغل بمنافعها منع وقفل دونه الباب

وحينما كان بهذا الكلام رايته يبكى وتتقاطر دموعه وهو فى هذا الحال اذ أقبل عليه رجل يسمى الشيخ عثمان عوض الله من كابوت فقال للسيد : مرحبا يا أبا هاشم , فقال له السيد : دعنى من كلامك هذا

قال السيد ابن السنوسى رضى الله تعالى عنه لجدى السيد أحمد بن ادريس أمل على نسيك حتى أكتبه . فقال له : نسبى الكتاب والسنه أنظر الى فان

وجدتنى على الكتاب والسنه فقل : أحمد بن ادريس على الكتاب والسنه وهذا نسبى يقول الله تبارك وتعالى (اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى ألا وهو التقوى

وأما ما نسمعه من الناس من أن السيد أحمد رضى الله تعالى عنه قال : إن الزامن قد طال الخ فالله أعلم به وما احببت أن أكتبه لانه يضر ضعفاء الايمان والناس مؤتمنون على انسابهم

وما فى الحديث (اليوم أضع أنسابكم) فالمراد بها أنساب غير النبوة وغير المؤمنين فانها مرفوعه ومتصلة ببعضها قال تعالى :(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ) قال تعالى :(ذرية بعضها من بعض) وقال تعالى :(وكان أبوهما صالحا) وقال عليه الصلاة والسلام (حسين منى وانتا من حسين) صححه الشيخ الزرقانى شارح الموطأ فى رساله له ل تطبع وقال صلى الله عليه وآله وسلم (فاطمى بضعة منى من أغضبها فقد أغضبنى) أخرجة الشيخان البخارى ومسلم

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبى وصهرى) ويدخل فى ذلك نسب الإسلام فانه لا ينقطع

وأما قوله تعالى : (فلا نسب بينهم) أى الكفار لا تنفعهم الأنسابل قال تعالى : (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) وإنى أحمد الله تعالى على ما أطلعنى عليه وأسأله ان يوفقنى الى الأدب مع أجدادى رضى الله عنهم وان يصل نسبى بهم وكما جمع بينى وبينهم فى الدنيا ان يجمع بينى وبينهم فى الآخرة انه سميع الدعاء

قال أبو القاسم الجنيد رضى الله تعلى عنه :

(فان كنت منهم فانضج البر والبحر)

قال الشريف العالم الفقيه المحدث مولانا السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه

البر من أسماء الله تعالى الحسنى أى فامزج الحق بالأشياء كلها فان البحر هو الماء (وجعلنا من الماء كل شئ حى)

وما فى البحر الا شئ حى وفى الحديث (يشهد للمؤذن مدى صوته كل رصب ويابس) وهل فى الوجود الا رطب ويابس ؟ وهل يشهد الا عالم ؟ وهل العلم يكون بغير حياه ؟ فهو يقول : لا ترى الأشياء مجردة عن الحق بل أشهد الكون كله أسماء الهيه

فان الحق الذى عهبر عنه بالبر من اسمائه الأول والآخر والظاهر والباطن فلا يشهد حينئذ الا اياه

أيها المريد

الكون كله مظهرا للأسماء الالهيه

البر من أسمائه تعالى , وهو كثير البر والخير والإحسان قال تعالى حكايه عن أهل الجنه : (إنا كنا قبل ندعوه انه البر الرحيم)

قوله

فامزج الحق بالأشياء كلها

فسرها بقوله9 بعد (لا ترى الأشياء مجردة عن الحق بل اشهد الكون أسماء الهيه) ومعنى المزج الخلط وهو كنايه عن شدة القرب وليس مرادا ظاهرا كما فى اصطلاح الصوفيه لانهم لا يريدون الظاهر

قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه :

من لى باتلاف روحى فى هوى رشأ

حلو الشمائل بالارواح ممتزج

وفسر السيد هنا المزج بالمظهرية وهو أن تجعل الكون كله مظهرا للأسماء الالهية فاذا نظرت الى الأحياء فهم مظهر لاسمه المغنى والخلق مظهر لاسمه الخالق وهكذا وهذا معنى قول الصديق رضى الله تعالى عنه : (ما رأيت أحدا إلا ورأيت الله قبله) أى إلا وشاهدت فعل اللع تعالى فيه وأثر قدرته قبل أن أشهده , زاستشهد الشيخ أحمد الصاوى المالكى رحمه الله تع8الى بهذا البيت

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا

رأيت جميع العاملين ملاحا

وقد تقدم لك مثل هذا الكلام وقال تعالى : (والله خلقكم وما تعلمون)

واعلم ثم اعلم أن من اعتقد ان الله يتصل بشئ أو شئ يتصل به أو بصفاته كفر فلا مزج ولا اختلاط ولا اتصال ولا انفصال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وكل كلام الصوفيه مؤول وليسش على حقيقته

وقوله :

فان البحر هو الماء

السيد رضى الله تعالى عنه يضرب لك مثلا عن الغائب بالمشاهد وهو الماء والغائب عنك قدرة الله تعالى وأنت حينما تشاهد الحى تشاهد أن حياته متوقفة على الماء وأنه حى بسببها

كذلك فى الغائب تشاهد بقلبك أن جميع المخلوقات متوقفة على قدرة الله تعالى , فلولا الله تعالى ما مجد شئ

وقوله :

وما فى الوجود إلا شئ حى

أى فهو مظهرا لا سمه تعالى الحى وكون الأشياء تشهد للمؤذن استدل به على مظهرين : الحياه والعلم لانهما مظهران لا سيمه تعالى المحيى والعالم

ومن ذلك قول الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه فى احزابه (وتجل لى يا لهى بسر القيومة الالهيه التى قامت بها شيئيات الأشياء كلها) المراد من هذا هو ما قاله (لا ترى الأشياء مجردة عن الحق)

وقال رضى الله تعالى عنه فى أحزابه (وتجل لى يا الهى بالعظمة الجامعه لمعانى الأسماء الإلهية التى هى مجمع بحور حقائق الأسماء كلها فاتحقق بحقيقة الحقائق الأسمائية جامعا حقيقة كل اسم الهى بشريعة قائما بحقيقة فى سماوات روحى ربشريعته فى أرض جسمى فتكون آيتى من كتاب الله عز وجل من حيث تجليات الألوهية (وهو الله فى السمواتوفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويلعم ما

تكسبون) حتى أكون كلى وجوها ناظرة كل وجه الى اسم على سنه شرائع التجلى فى الحقائق) الخ

هذا كله معناه (فانضح البر والبحر) كما فسرة السيد رضى الله تعالى عنه وقوله : جامعا حقيقة كل اسم الهى بشريعة قائما بحقيقة فى سموات روحى وبشريعته فى أرض جسمى) اشارة الى المظهرين للأسم الالهى من جانب الجقيقة ومن جانب الريعة فمن حكم عليه بالرجم شرعا فهو محكوم عليه من جهة الحقيقة بالقضاء والقدر

وذلك معلوم فى سماء الروح ومحكوم عليه بالشرع وذلك معلوم لأرض الجسم بواسطة السماء من الشرع

فمن وقف مع الحقيقة عطل الاحكام ومن وقف مع الشريعة انكر القضاء والحق ان يكون مع الاثنين ولذلك قال السيد رضى الله تعالى عنه (حتى لاينبغى لشمس حقيقتى أن تدرك قمر شريعتى فيقع خسوف التخليط)

وعن الإمام مالك رضى الله تعالى عنه غنه قال : ومن تصرف ولم يتفقه فقد تزبدق قال الشيخ حبيب الله الشنقيطى : معناه أن العابد الجاهل يكشف له الله تعالى الخالق لكل شئ وكل شئ بقضائه وقدرة فيعطل الشريعه ويتزندق نعوز بالله من ذلك

والمراد بسماوات الروح منازل النفس السبعة فالروح تسبح فى سمواتها السبع وفى كل سماء لها وصف وحال وأرض الجسم : هو الجسد المخلوق من التراب فهو مظهر لأثار الروح الطيبة والنفس الخبيثة فالارض يخرج منها طيب المأكحولات والمشمومات كالبرتقال والورد ويخرج منها المر وردئ الرائحة كالحنظل ولما كان الجسد باعتبار مظاهر الروح يشبه الارض سمى ارضا (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) فالسماء الأولى للنفس تشغل الروح لأنها سماء الزينه والنفس فيها أمارة

وقوله

فلا يشهد حينئذ إلا إياه

أى إلا أثار أفعاله وصفاته سبحانه وتعالى كما قال رضى الله تعالى عنه فى أحزابه : (حتى لا أرى فى وفى كل شئ وفى لا شئ الا اياك)

قال الشريف رضى الله تعالى عنه :

وهذا بعض الكلام عليها والله تعالى الموافق الفاتح للأبواب المدخل من وقف بالباب الرافع له الحجاب وصلى الله على مولاى محمد وعلى آله فى كا لمحة ونفس عدد ما وسعه على الله

نقل ذلك من رساله للعارف بالله الشيخ اسماعيل النواب فى مدرسة السليمانية فى الحرم الشريف فى 27 شوال سنه 1310 على يد أفقر العباد محمد امين الحصنى

خطاب السيد أحمد بن ادريس

للشيخ مكى

وهذا الخطاب الذى أرسله السيد أحمد بن ادريس رضى الله تعالى عنه الى تلميذة الشيخ مكى

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن ادريس الى أخيه وحبيبة المكرم الشيخ مكى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد : وصل كتابكم فالحمد لله على سلامتكم وعافيتكم وقد كتبنا اليكم عظة على حسب ما خطر فى القلب الله تعالى ينفعكم بها والمسلمين آمين

اعلم با آخى انك لا تحتاج الى تبصير فى أهل زمانك فالحذر من الذين ينتسبون الى العلم ولا يعلمون به واتخذوا العلم تجارة دنوية ولم يقرأوة لوجه الله ولم ينفعهم من العلم بشئ بل ضرهم علمهم غايه الضرر فباعوا دينهم بدنياهم

وقد تبرأت الرسل عليم الصلاة والسام فكل من أخذ الأجر على العلم الذى أمرهم الله أن يبلغوه للخلق فكل واحد منهم بقول (وما أسالكم عليه من أجر ان

أجرى الا على رب العالمين) والعلماء ورثة الانبياء فحاد هؤلاء المنتسبون الى العلم فى هذا عن طرق الانبياء فخسروا الدنيا والآخرة فنسأل الله تعالى ان يرجع بنا وبهم الى طريق الهدايه وان يسلك بنا وبهم سبيل الرشاد انه قريب مجيب

وأرصى نفسى ةاياك بتقوى اللع العزيم فان التقوى خير زاد الى الآخرة قال الله تعالى : (وتزودا فاتن خير الزاد التقوى)

وعليك يا اخى بتقوى الله العظيم فان التقوى مفتاح العلم قال الله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم)

وعليك يا أخى بالتقوى فان التقوى مفتاح الفلاح قال تعالى (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

ووعليك يا أخى بالتقوى فانها وصية الله للذين خلوا من قبلكم فى الاولين والآخرين قال الله تعالى : (ولقد وصينا الذبن أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله)

وعليك يا أخى بالتقوى , فان التقوى مفتاح الولايه قال الله تعالى :(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وعليك يا أخى بالتقوى فان التقوى مفتاح النجاه فى الدنيا والآخرة

قال الله تعالى :(وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون)

وعليك يا أحى بالتقوى فان التقوى مفتاح الكرامه قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم)

وعليك يا أخى بالتقوى فان التقوى نفتاح المخرج من كل ضيق ومفتاح الرزق من حيث لا يحتسب قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب)

وعليك يا أخى بالتقوى فان التقوى مفتاح اليسر قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

وعليك يا أخى بالتقوى . فان التقوى مفتاح القبول قال الله تعالى :(إنما يتقبل الله من المتقين)

وعليك يا أحى بالتقوى , فان التقوى مفتاح الفرقان والمغفرة قال الله تعالى :(إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم)

وعليك يا أخى بالتقوى فان التقوى مفتاح معبه الله مع العبد قال الله تعالى :(ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

جعلنى الله واياك من المتقين الذين أقبلوا على الله تعالى بكليتهم فلم يشغلهم عن الله شاغل ظاهرا وباطنا فتولاهم الله بعنايه فخلصت محبتهم لله من جميع الوجوه فصاروا اذا قاموا فى أمر قاموا فيه بالله ولله واذا قعدوا عن أمر قعدوا عنه بالله ولله فصارت حركاتهم وسكناتهم بالله ولله فى كل شئ

وعود لسانك ذكر الله تعالى حتى يستولى ذلك على القلب فتكون من الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق الموات والأرض

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يروقنا وإياك حلاوة الإيمان الكامل الذى يكون القلب معه خاشعا لله تعالى على كل حال وأوان وأن يرزقنا واياك الشوق الى لقائة تعالى فى كل نفس من الأنفاس انه تعالى سميع الدعاء

والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم ومن يلوذكم ورحمة الله وبركاته

تم الكتاب بفضل الله تعالى وببركة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

حظيرة التقديس

الفصل الاول : سيرته

الفصل الثاني : رسائل إلي تلاميذه

الفصل الثالث : رسائل من تلاميذه

الفصل الاول : سيرته

الباب الأول

فى اسمه وسيرته وعلو قدره ومكانته

وطريقته الجليلة وشمائله الجميلة

هو سيدنا ومولانا شيخ المشايخ القطب الأصيل الكامل، الولى الصالح الجليل، الإمام العالم المشهور بمحاسن الأخلاق والشمائل، الكثير الآيات، الشهير الكرامات، الجامع بين علمى الباطن والظاهر، صاحب الولاية والسهر الباهر، ذى المناقب التى هى أشهر من شمس الضحى، والقدم الذى إقتفاه من سلك سبيل الرشاد من الصلحا، بحر العلم الزاخر، فخر الأوائل والأواخر، الذى أشرقت شمس فضله فى أفلاك السعود، ونظم فى سلم الأفاضل كنظم الدرارى فى أسلاك العقود، قطب دائرة الوجود ومظهر تجليات عالم الشهود، ركن الولاية والهداية، بحر العلم والحلم والدراية، الأستاذ الإمام الكبير، الذى لم تسمح الأعصار له بنظير، أزهر به جامع الفضل وأنار، وأشرق برأيه علم العلم وإستنار،

حتى إستمر بالمعارف الإلهية، والكرامات الباهرة السنية، ذاته رياض آداب كلها أزاهر، وبحار علم كلها جواهر، شيخ الإسلام وبهاؤه، ومصباح أفق العلم وضياؤه، ذو اليد البيضاء فى المعارف، والباع الطويل فى العوارف، والقدم الراسخ فى الحقائق والكرامات، والصدر الواسع لأنوار التجليات، صاحب الأحوال الشريفة والمقامات المنيفة، حجة العارفين،وقدوة السالكين، نور الأولياء المقربين وبقية السلف الصالحين، أوحد العلماء العاملين وبركة أهل الملة والدين، سيدنا ومولاه كفاية المؤمنين، العارف بالله تعالى ذو التحميد والتقديس السيد أحمد بن إدريس الحسنى نسبا .المغربى مولدا . من ذرية الإمام السيد إدريس بن عبد الله من السادة الإدريسية الساكنين بالمغرب، نفعنا الله ببركاته وأنشقنا نسمة من أسرار نفحاته.

شيخ تسامى بالسما وعلاها

وحوى بعزة عزة وحلاها

وبدا بنور المظهرين مجملا

يولى إلى كل القلوب ضياها

متمكنا فى شأنه متلونا

بشريعة يغشى المريد سناها

متحققا بحقائق وسرائر تزهو على مر الدهور رباها

متحليا بمحامد الصدق الذى

أوقاته دوما تشد عراها

يبدى من العلم اللدنى حكمة

بدقائق الإرشاد مذ أملاها

أعظم به من كامل ومكمل

وبمرشد للعالمين هداها

وبمعالم وبعامل وبعارف

وبقطب أكوان غدا يرعاها

لا زالت الرحمات تنشى روحه

ويعم كل الحاضرين نداها

اللهم إنشر عليه نفحات الرحمات والأنوار. وأفض علينا مما أودعته من الأسرار.

ولد رضى الله عنه بأرض المغرب ببلدة فاس المباركة الشهيرة فجرت بمولده أذيال البهاء والإفتخار.

ثم جد فى الإجتهاد، وسلك سبيل الرشاد، فأخذ العلم عن العلماء العاملين وصحب أكابر العارفين . وحصل ما لا بد منه للسالكين والأصفياء المخلصين، فى علوم التصوف والدين . ورزق التوفيق والهداية ولا حظته السعادة والعناية.

ثم قدم إلى مكة فى العام الرابع عشر بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام وأقام بها أربعة عشر عاما من الأعوام.

ثم توجه على صعيد الريف بهمة قوية مابين قنا واسنا فى قرية يقال لها الزينية وأقام بها خمس سنين .

ثم رجع إلى مكة المشرفة البلد الأمين وأقام بها نحو اثنتى عشرة من السنين.

ثم توجه قاصدا نحو اليمن فوصل إلى زبيد وإلى الحديدة ونواحيها، ورجع إلى قرية تسمى صبية فأقام بها مدة من الزمن، وكانت مدة إقامته باليمن نحو تسع سنين، يلقن الذكر، ويرشد المريدين، وكثر مريدوه وأتباعه، واشتهر عند الأكابر تلقيه وسماعه.

وأخذ عنه الطريق والعلوم، والإشارات إلى الحى القيوم، خلق كثير من أهل المغرب والريف والصعيد، ومن أهل مكة ونواحيها، وأهل اليمن وغيرهم من ذوى القدر السديد، فقلد أجياد مريديه مننا، وادخر لهم عند الله اجرا حسنا وجلى

لهم عروس مجد وفضل زفت إلى كفو مجدها، وشمس علم حلت فى بروج سعدها، متنزها فى رياض العلوم والمعارف، مقتطفامن أوراقها ثمار الحكم واللطائف . فتولى القبانية والغوثية بعد إنتقال شيخه وأستاذه سيدنا الشيخ عبد الوهاب التازى رحمه الله تعالى ونفعنا به وبقى فيها إلى أن لقى الله تعالى ولحق بحزبه.

وأما طريقته رضى الله عنه فإنه أخذ الطريقة عن شيخه وأستاذه السيد العارف بالله تعالى والدال عليه سيدى عبد الوهاب التازى الذى مكث فى الغوثية أربعا وثلاثين سنة عن شيخه صاحب الذهب الابريز وملاذى الغوث الجامع، والغيث الهامع، العارف بالله تعالى والدال عليه سيدى عبد العزيز الدباغ عن شيخه وسيد العرب والعجم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وتلقى طريقة الشاذلى أيضا عن شيخه وملاذه سيدى أبى القاسم الوزير بسنده إلى سيدى الشيخ أبى حسن الشاذلى رضى الله عنه عن شيخه الإمام القطب الغوث الفرد الكامل شيخ الإسلام سيدى عبد السلام بن مشيش عن شيخه القطب سيدى عبد الرحمن المزنى عن شيخه القطب سرى السقطى عن شيخه القطب سيدى الحسن البصرى عن شيخه قطب الأقطاب سيدنا ومولانا الحسن بن على رضى

الله عنهما عن شيخه ووالده القطب سيدنا ومولانا على كرم الله وجهه عن امام المرسلين وسيد المتقين وحبيب رب العالمين سيدنا مومولانا وحبيبنا وشفيعنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الأمين جبريل عليه السلام عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم عن الجليل جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

وأما الطريقة والأذكار التى يلقنها لأصحابه فتلقنها من حضرته صلى الله عليه وسلم كما هو مقرر عند أهل الطريق الأقوم بعد الرياضة والإقبال على المولى بالكلية فتحصل لهم نتيجة : ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)).

والحاصل أنه من الأولياء الصالحين والأصفياء المقربين والأكابر العارفين والسادات المقدسين بوأه الله أعلى المنازل، وجمعت له العلوم السنية وانتشرت مناقبه وعمت مواهبه وفاضت على الخليقة أسراره ونفحاته ووسع البرية فضله وبركاته حتى صار بدرا مشرقا فى سماء هذه الأقطار الحرمية والبلدان اليمانية موصوفا بالإستقامة فى سائر أفعاله المرضية . واشتهر بالمعارف الإلهية الباهرة السنية إلى أن حظى من العلوم الإلهية بأعلى المراتب وحاز من الأسرار الربانية

أسنى المناقب . وله كرامات ساميات سافرة المحيا فى المواكب، ترشد إلى الحق بأنواره الساطعة كزهر الكواكب . بوأه الله بحبوبه جناته . وتغمده برحمته ورضوانه، ونفعنا بأسراره وأمدنا بمدده وبركاته وأنشقنا نسمة من أسراره ونفحاته . اللهم انشر عليه نفحات الرحمات والأنوار، وأفضى علينا مما أودعته من الأسرار

الباب الثانى

فيما له من الكرامات محاسن الصفات

وفى بعض أحواله وأقواله الدالة على فضله

وشمول قدره وارتفاع مكانه

أما كراماته رضى الله عنه فهى شهيرة أضوأ من شمس الظهيرة، وكان خلقه رضى الله عنه موافقا للقرآن والسنة.

فمن كراماته رضى الله عنه : كان فى بعض الأيام حضر مجلسه جماعة من العلماء الأعلام مع رئيس العلماء القاضى حسن أحمد عاكش وسألوه عن جملة من المسائل العلمية فأدناهم بما لا يخطر لهم ببال من المواهب من الملك المتعال ورجعوا إلى مقرهم وقالوا كلام السيد هذا كلام وجيه ولكن كنا نرجح كلام العلامة فلان والعلامة فلان، فقال لهم القاضى حسن : نحن وأنتم ندعوا الله تعالى أن ينين لنا الحق معه أو مع من ذكرتم من أقوال العلماء، فاستحسنوا ذلك ودعوا الله ورقدوا . فأرى الله للعالم السائل منهم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وسأله عن المسائل التى اختلفوا فيها فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتبع قول فلان؟ فقال : اتبعوا من أقواله وافق الكتاب وسنتى حتى عدهم كلهم ويقول لهم صلى الله عليه وسلم اتبعوا من أقواله ما وافق سنتى . ثم قال : يارسول الله أنتبع قول السيد أحمد بن إدريس ؟ فقال عليه السلام على هيئة المتعجب : سبحان الله فهل لإبن أحمد من كلام ؟ انما يتكلم بسنتى ويعبر بلسانى. فأصبح الرجل فرحا مسرورا وأخبر أصحابه وأتوا إلى السيد أحمد وذكروا له الرؤيا، فقال لهم الحمد لله حيث ظهرت لكم الحقيقة ونسأله التوفيق، وفهموا من ذلك أنه كان من العلماء وورثة الأنبياء.

ولما قدم رضى الله عنه إلى زبيد اليمن وأقام بها مدة هرعت إليه أكابر السادات والعلماء كالسيد عبد الرحمن مفتى زبيد وغيره، وصاروا يترددون إلى مجلسه صباحا ومساءا ويسمعون منه الغرائب من العلم اللدنى الذى لا يخطر لهم ببال ويسألونه عن المسائل العويصة ويجيبهم بما ينشرح اليه الصدر من الجواهر النفيسة، فلما رأوا ذلك منه اتفق رأيهم على أن كل واحد منهم يكتب مايراه صعبا من مشكلات التفاسير والأحاديث ويجعلونه فى ورقة وأنت ياسيدى عبد الرحمن تتولى السؤال ونحن نسمع رد الأسئلة فإن أجاب سلمنا له . وحضروا بين يدى الأسياذ رضى الله عنه فأقبل عليهم وقال للسيد عبد الرحمن بطريق الكشف : أخرج ما عندك من الأسئلة وانظر أول سؤال وهو للسيد فلان ويتكلم عليه بما يبهر العقول إلى آخره، ويأتى بمناسبة السؤال الثانى ويقول : وهو للسيد فلان وهو كذا وكذا ويتكلم عليه بكلام لم يخطر على بال، ويأتى بمناسبة السؤال الثالث وهو يقول : هذا للسيد العلامة فلان وهو كذا وكذا ويتكلم عليه أيضا بكلام يدهش العقول حتى استوفى جميع الأسئلة، وتعجبوا من صدق الكشف الذى ليس فيه لبس كأنه معهم حين وضعوا الأسئلة جوابا جوابا وغزارة العلم والجواب على

كل سؤال بلا كلفة ولا مشقة وأذعنوا له وعرفوا فضله رضى الله عنه . وصاروا يأتونه بعد العشاء ويسألونه عن بعض التفاسير على بعض الآيات.

ومن جملة ما سألوه عنه تفسير قوله تعالى : ((ان المسلمين والمسلمات)) آية الأحزاب إلى آخر الآية فجلس فى تفسيرها أحد عشر يوما مجلسا فى الصباح ومجلسا فى العشاء وفى كل مجلس يأتى بغرائب وعجائب لم تسمع بها قبل ذلك غضا طريا ثم التفت اليهم وقال لهم : لو أطال الله أعمارنا وصرنا نتكلم على تفسير هذه الآية إلى يوم القيامة بشرط أن كل مجلس فيه شىء جديد لفعلنا ذلك وان شئتم نخرج من لجة البحر الى الساحل فلا بأس، فقالوا له قد عرفنا الغاية وأن انفاقكم من العلم اللدنى الذى لا تحويه الأقلام والأفكار، ودونوا منه أسفارا عديدة وهى عندهم موجودة الآن وحصل الانتفاع بها . وكان رضى الله عنه اذا سئل عن سؤال أولا ينظر فى كف يده ويقلبه ظاهرا وباطنا ويمده ويطويه ويتكلم بالغرائب والعجائب التى لا تخطر ببال.

وسأله القاضى حسن أحمد عاكش عن تفسير قوله تعالى :((والذى قدر فهدى)) فجلس ثلاثة أيام صباحا ومساء يتكلم بكلام جديد غير الذى سمع أولا

ثم قال لنا : لو أطال الله أعمارنا إلى يوم القيامة ونحن نتكلم بما فتح اللع علينا من مننه ما استقصينا ذلك وان شئتم نخرج من لجة البحر الى ساحله ونكتفى بصدق العبارة دون الاشارة، فقالوا له : ياسيدى فقد عرفنا فضلكم ونحن نتشوق الى آخر السورة .

ومما حكاه لنا مسألتين هو عن نفسه فى ابتداء أمره بالمغرب بينا أنا على سبيل التقصير مقر عن مريديه عن مثل ذلك .

قال : بينما أنا ذات يوم أمشى فى السوقاذ مرت علينا طائفة من الشرطة محتاطين بواحد أسير لم يمكن خلاصه منهم لشدة الوثاق والحرص عليه فقال الأستاذ رضى الله عنه لبعض الجماعة : مثل هذا فى نظركم له مخرج من بين هؤلاء ؟ فقالوا له : لا مخرج له فقال لهم : انظروا كيف تصريف أهل الله تعالى وخرق العادة منهم فالتفت الى الشرطة وقال لهم : ((اهدؤا عليه)) بهذه الكلمة فخرجت القيود والأغلال منه وتفرقت الشرطة عنه ومضى على سبيله وكان مظلوما .

والمسألة الثانية : خرج رضى الله عنه الى باب مدينة فاس فرأى الشرطة على الباب والمساكين يأخذون من الفقراء الداخلين بشىء من أثمار البساتين التى تسقط ويأتون بها لعيالهم وضعفائهم فضح الفقراء من ذلك فقالوا : لعلنا نجد معينا أو شافعا، فلما رأى رضى الله عنه ما بهم من الجور قام حسبة لله تعالى وقال : ائتونى برجل منكم شجيع يبلغ الخبر للملك حكم م نأمره ويرد لنا الجواب فقام رجل من الحاضرين وقال : أنا أبلغ الملك فقال له : قل للملك واحد يقول لك ولا تسمينى له قل له الأمر الذى جعله على ضعفاء المسلمين اتركه ولك فيه خير فى تركه وان ما تركته أراك تشوف ما يحصل لك، فوصل الرجل الى السلطان فأخبره بكلام الشيخ فطأطأ رأسه ساعة ورفع رأسه فقال للرجل : من هذا الذى ارسلك ؟ فقال له : أمرنى أن لا أخبرك باسمه فقال له : قل له أعطيتك مطلوبك وتركت للناس حالهم كما أمرت وأنا عندى حاجة وهى أن القبيلة الفلانية خرجت من طاعتنا وجهزنا عليهم جيوشا كثيرة ولم نظفر بهم وحصل منه فساد كثير فلا يصلحون الا بدخولهم تحت طاعتنا . فرد الشيخ عليه مع الرجل أن قل للملك : قد أعطيناك ذلك، فلم يلبثوا الا وقد أقب كبراء القبيلة وعرفاؤهم وطلبوا الصلح من السلطان ودخلوا تحت الطاعة.

وذكر الشيخ رضى الله عنه من أسعد له بسر بمجرد ما يخالف تحصل له العقوبة فى نفسه وأما الكامل فلا يفعل شيئا من الخوارق الا باذن خاص .

وقال لنا رضى الله عنه : مازلت أطلب طريق الله تعالى عند المشايخ الى أن قيل لى : الآن مابقى على وجه الأرض أحد تنتفع منه الا القرآن . فحمدت الله تعالى أن جعل مشربى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهدانى به . وانظر ياأخى فى أحزابه تعرف مشاربه أنها لا تتناهى .

وكان رضى الله عنه يقول : العارف فوق مايقول، وكان يقول : سفن العبارات ليس لها فى بحر الأذواق من نصيب انتهى كلام الشيخ .

وانى كنت فى بلادنا أطلب العلم بين يدى والدى القاضى صالح الرشيد، فجاء أخ لى أكبر يقص رؤيا على الوالد، وكان للأخ امرأة توفيت فى تلك الأيام قال : رأيتها فى المنام فسألتها ما فعل الله بك بعد قدومك عليه ؟ فقالت : جمعنا الله سبحانه وتعالى نحن والأموات جميعا بين يديه، وقال لنا : أنتم حضرتم زمن عبدى أحمد بن ادريس فسامحناكم جميعا من أجله . هذا ما سمعته من الأخ . وحكاه لى الأخ فى مجلس الدرس بين يدى الوالد، ونحن فى بلاد السودان،

وسيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه بأرض اليمن ولا أخذنا عنه الطريق، ولا رأيناه بل سمعنا به سماعا وجاهه وصل الينا . وبعد ذلك جمعنا الله به وأخذنا عنه الطريق وجلسنا بين يديه .

وقال رضى الله عنه فى مجلسه أن بعض أهل الله يعطيهم الحق سبحانه وتعالى أهل عصرهم بالشفاعة عنده، فتذكرت قصة امرأة أخى فقصصتها على الأستاذ رضى الله عنه من أنها والأموات الذين معها سامحهم الحق من أجل وجودهم فى عصركم فقلت له : هذا الأمر صحيح ؟ قال : نعم .

وحكى لى بعض اخوانى كان فى السياحة قال : فاتفق لى فى بعض الأيام وأنا فى البرارى والقفار فاشتد على الحر والظمأ الشديد حتى أشرفت على الهلاك فعمدت الى شجرة هناك بقرب الطريق، فهيأت لى مضجعا فقلت : هذا هو الموت، فتذكرت أن الشيخ سيدى أحمد رضى الله عنه قال لنا : ان مريدى اذا نادانى وهو بالمغرب وأنا بالمشرق أو عند جبل قاف أجبته وان كان صادقا سمع رد الجواب والاجابة له بلبيك . قال الأخ فقلت ياسيدى أحمد أدركنى فأنا على ما ترانى من الهلاك عاطشا وجائعا، وكنت مستلقيا على ظهرى وطرف الثوب على

وجهى وسمعت حركة شىء وضع فى الشجرة، فرفعت الثوب عن وجهى وسمعت حركة شىء وضع فى الشجرة، فرفعت الثوب عن وجهى واذا بى أرى بين أغصان الشجرة شيئا مثل البطيخة وعليها رغيفان كبيران، فقلت فى نفسى هذه تخيلات فمن يأتى بالرغيفين والبطيخ فى هذا الموضع فوضعت الثوب على وجهى وتيقنت بالموت وبقيت مترددا فى نفسى هذا خيال أو حقيقة، فكشفت الثوب عن وجهى أيضا فنظرت فاذا أنا بالبطيخة والرغيفين على ما هما عليه، فقمت اليهما وأخذتهما من بين أغصان الشجرة واذا بالرغيفين كأنما أخرجا من التنور الآن والبطيخة من أطيب ما يكون وأكلت من الرغيفين حتى شبعت ورويت من ماء البطيخة وسرت حتى وصلت أرض العمران وذلك ببركة الأستاذ رضى الله عنه .

وحكى لى الأخ المذكور قال : فى بعض سياحاتى فى بعض البلاد ومعى أناس جمعنا السفر معهم من غير سابقة معرفة فجاءنا الليل ونحن فى فلاة من الأرض خالية من العمران وبتنا فيها، فاذا بسبع له زئير وصوت هائل يحوم حولنا، وخافوا خوفا شديدا وقالوا لبعضهم : من عنده سر من شيخ أو التحاصين الواقية فليفعل فقالوا كلهم : ما عندنا شىء وقال لهم : أنا من أصحاب السيد أحمد بن ادريس ومنسوب اليه وفى حماه فقالوا : نحن أصحابك اجعلنا معك فى حماه فقال لهم :

مرحبا، وجعلوه من الجهة التى فيها السبع وهم خلفه ورقدوا فأتاهم السبع حتى وصل عندهم وشم بأنفه عند رأس الأخ وولى هاربا مثل المطرود ورجع الى غابته، وصاحب السياحة هذا رجل من أهل الكرد .

ومن كراماته رضى الله عنه أن واحدا من أصحابه المغاربة كانت له امرأة مسيئة وأتعبته غاية التعب، ففى بعض الليالى أغاظته بكلمة فضربها ضربة شديدة فخرجت روحها وحركها فوجدها قد ماتت، فخاف على نفسه من الحكام فقام فى الليل حتى طرق الباب على الأستاذ رضى الله عنه فأذن له بالدخول، فأخبر الشيخ بما هو حاصل، وقام الشيخ معه ووصلوا الى بيت المغربى ووجد المرأة ميتة كما هى فخاف المغربى خوفا شديدا وقال : ياسيدى أحمد بن ادريس كيف الخلاص من هذا الأمر الفظيع دنيا وآخرة ؟ فقال له الأستاذ : نحن نتوجه الى الله تعالى فى كشف هذا الكرب وأنت تستر ماترى فقال المغربى : مرحبا فجعل الشيخ عصاه على المرأة ماشاء الله فأحياها الله تعالى بمنة وقدرته كرامة لوليه وجعل لأهل التقوى فرجا ومخرجا وعاشت المرأة بعد ذلك ماشاء الله تعالى أن تعيش .

ومن كراماته رضى الله عنه أن واحدا من الإخوان صحب الأستاذ مرة فى مكة ثم أمره بالقدوم الى ناحية الصعيد ومعه جماعة من الاخوان وأمره عليهم لأجل السنة متأسيابها ونزل الإخوان الى جدة وتعثر عليهم الحال بعدم الزاد والمصاريف فأراد الأخ الأمين أن يرجع الى مكة فقال له الإخوان : كيف ترجع الى مكة وأنت أمير علينا فى السفر ؟ فاهتم لذلك الأخ وترك الرجوع الى مكة فقام فرأى فى المنام كأنه أتى الى مكة وجلس بين يدى الأستاذ وقال له الأستاذ : خذ هذا الكتاب وسافر على بركة الله تعالى فأخذ الكتاب وجعله فى جيبه فلما أصبح الصباح وصلوا الصبح فتذكر الرؤيا فقال لهم الأخ : أنا رأيت البارحة كأنى وصلت الى مكة ووجدت الأستاذ وأعطانى مكتوبا وجعلته فى جيبى، فأدخل يده فى جيبه فوجد الكتاب فأخرجه ووجد مكتوبا ((يارب يسر ولا تعسر، رب تمم بالخير ياكريم)) فذكر الإخوان هذا الذكر ففرج الله عنهم وتيسرت لهم الأمور على أحسن حال وسافروا على بركة الله تعالى .

ومن كراماته رضى الله عنه أن واحدا من أصحابه كان فى المدينة المنورة وكان معه بعض الإخوان المحبين وكان هو من العارفين بأحوال الشيخ فتذكر هو ومن معه من الإخوان بأحوال الشيخ رضى الله عنه فعظم على رجل من الحاضرين

هذا الأمر لما سمعه من فضل الأستاذ وهاج الحال على الأخ، فرفع طرفه الى السماء فرأى عصافير فقال لمن حضره من الإخوان فى مجلسه : لو دعوت هذه العصافير بإسم الشيخ سيدى أحمد لأجابتك فتساقطت كلها بين يدى الحاضرين، فمات بعض العصافير وطار بعضهم .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه وقع قبل وصولنا اليه ونحن قد كنا أتينا الى الحج بمكة وهو باليمن فبعد فراغنا من الحج أصابنى مرض شديد حتى انى لا أستطيع القيام الى قضاء الحاجة فخشيت من الموت على هذا الحال فتضرعت الى الله تعالى أن أظفر بشيخ كامل يعرفنى بالله المعرفة الخاصة وبرسوله حتى أموت على معرفة تامة، فتوسلت بسيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه، فبمجرد ماغمضت عينى بالنوم رأيت سيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه جاء الى وأنا مضجع على سرير فوقف عندى فقال لى : دواءك أن تجعل لك بين جلدك ولحمك زمزم، فقلت له ، ياسيدى أنا مريض أنت افعل لى فالتفت وقد حضرت عندى قربة زمزم على ظهر واحد سقاء فلما وصل عندى سيدى أحمد خرق الجلد فى خاصرتى ووضع رأس القربة فى ذلك المحل فصار لها دوى فى بدنى كدويها فى الدوارق الى أن فرغت كلها فى ذاتى وسال منى العرق شيئا كثيرا حتى نزل تحت

السرير فاستيقظت وأنا أجد فى قوة الى القيام برجلى الى أى مكان كان فحصلت لى العافية ببركة الأستاذ، وبعد أيام حصل لى مرض شديد فتوسلت بالشيخ فرأيته فى المنام فى خيمة عظيمة فى محل مرتفع وحده فى خيمته فسلمت عليه وقال لى : اجلس فجلست أمامه فقال لى : أنت خائف من الموت قلت له نعم فأخذ ورقة وكتب فيها سطرين لا تموت حتى يكون عمرك ثمانين سنة، والسطر الثانى لا تموت حتى تكون من أكابر العارفين بالله تعالى، وأعطانى الورقة وقال لى : اقرأها فقرأتها فحمدت الله تعالى على ذلك، ثم تذكرت أنى سابقا ما حصلت لى رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك للأستاذ فقال لى : اجلس نريك فرأيت فى يدى شيئا يطوى فيه الغزل وأنا صرت فى المثال على كيفية الغزل ولا أرى نفسى الا غزلا، وأخرج منى خيطا وجعله فى ذلك الشىء وطوى منى نصيبا فظهر لى شخص فإذا هو على كرم الله وجهه، ثم طوى ما شاء الله فظهر شخص ثانى، فإذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه . ثم طوى نصيبا فظهر شخص رابع، فإذا هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وأنا بقيت ضعيفا جدا مثل الصبى الذى يرضع، ثم طوى نصيبا فظهر لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاستيقظت من نومى فرحا مسرورا بهذه الرؤية .

وبعد انقضاء الحج توجهنا الى اليمن واجتمعنا بالأستاذ رضى الله عنه فى مدينة صبيا المباركة فى أرض اليمن فى ابتداء سنة ثمانية وأربعين بعد الألف ومائتين وفى أول ليلة من قدومنا عليه وقبل أن أنتسب اليه فى الطريق فعاملنا بحكم الضيافة، فبمجرد ماغمت عينى أطلق على بحر من نور عظيم حتى أغرقنى واستولى على فلم أستطع الخروج منه حتى كدت أن أهلك من شدة تراكم الأنوار على فاستيقظت من نومى وجسدى يضطرب . وفى اليوم الثانى أخذنا عنه الطريق وانتسبنا اليه قال لنا : أنا طريقى ما عندى كون يترقى فيه المريد لأن يصل الى مقصوده الا على الذى ليس وراء الله مرمى ((وأن الى ربك المنتهى)) بل ما تحط قدمك الا عنده فى حضرته، الحمد لله حصل لنا منه المدد الذى لا يدخل تحت حصر العبارة وهو مصداق قوله عليه السلام فى الحديث القدسى :((أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) فإذا واجهك الكريم بفضله فلا راد لحكمه وربك فعال لما يريد .

ومن كراماته رضى الله تعالى عنه أن اتفق لى فى ذات يوم وأنا أقرأ فى أحزاب التجليات اذ جاء من نفحات الجود وتجليات المعبود ما يوجب الإستهلاك من السحق والمحق والفناء المحض الى أن الجأنى الى عدم الإدراك، وبعد مدة من

الزمان أتتنى القوة والشعور بالموجودات وبقى كل عضو من الأعضاء بل كل جزء من الأجزاء فيه ألم عظيم من تجليات الجلال، وفى كل ساعة أنتظر خروج الروح من آخر الليل من تمام اليوم الى الليلة الثانية، فخطر لى أن أخبر الأستاذ بذلك الأمر فأرسلت اليه واحدا من الإخوان وقلت له : قل له أنا كنت أقرأ فى أحزاب التجليات فحصل لى منها حاصل أمر عظيم والآن أنا مشرف على الهلاك ان لم تدركنى بنظرة تخرجنى من الجلال الى الجمال فى التجليات ومن الفناء الى البقاء فى جميع الحالات، فأرسل لى مع الرسول وقال : قل له يقول لك كان، فوصل عندى الرجل : يقول لك الشيخ : كان، فبمجرد ما قال لى الرجل يقول لك الأستاذ كان فر عنى الألم جميعه ساعة واحدة ووقفت من ساعتى، وصرت كأن لم يكن بى شىء قط وحمدت الله تعالى وعرفت أنه متحقق بما قاله السادات الصوفية : أول الطريق جنون وأوسطه فنون وآخره كن فيكون . فلله دره من أمام جمع جميع الفضائل والمعالى بل ومن تبعه جذبه الى درجات الكمال العوالى والحمد لله على لقائه ومحبته .

ومن كراماته رضى الله عنه أن ركاب بغلته انكسر فأمر خادمه بأدائه الى الحداد ليصلحه فوضعه فى النار مرارا فلم تفد فيه شيئا فرجع الى الشيخ

فأخبره بذلك فقال له الشيخ : أنا عبد من عبيد الله أكرمنى الله أنه من جاورنى لم تحرقه النار، فكيف بمن جاوره فى بلده الأمين فكان رجل بالمجلس لا يرى للجوار أثرا فانتفع من هذه الواقعة فعرف فضل الجوار ومراعاة الجيران .

ومن كراماته رضى الله عنه أن واحدا من مريديه مات بمكة شرفها الله تعالى ودفن بالمعلى، وكان رجل من أهل الكشف منور البصيرة من الإخوان واقفا عنده حين الدفن، فرأى سيدنا عزرائيل عليه السلام أتى بفرش من الجنة وسرج عظيمة ووسع القبر مد البصر وفرش للميت المذكور ووضع له السرج وقال الرائى فى نفسه : ليتنى اذا مت يكرمنى ربى بمثل هذه الكرامة فالتفت اليه سيدنا عزرائيل عليه السلام، وقال له : كل واحد منكم له مثل هذه الكرامة ببركة الصلاة العظيمة وهى التى أولها ((اللهم انى أسألك بنور وجه الله العظيم)) الى آخرها المنسوبة للأستاذ سيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه .

ومنها أن شخصا أتاه بألف ريال ودفعها اليه فلم يقبلها منه وردها اليه وترجاه فى قبولها بمن هو حاضر بين يديه فقبلها منه وفرقها على من عنده من حينه من

الفقراء الحاضرين لديه ولم يترك منها شيئا لنفسه ولا لعائلته تولاه الله تعالى بحسن رعايته .

وقال رضى الله عنه : بشرنى جدى عليه الصلاة والسلام وقال لى : ((من انتمى اليك ياولدى أحمد فلا أكله الى ولاية غيرى ولا كفالة غيرى أنا كفيله ووليه)) وكفى بهذه الولاية لأهل النسبة الى هذا الطريق كفاية .

وقال رضى الله عنه : سئل بعض اخواننا المقربين أهل الوصلة والإجتماع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالنا عند الله وعنده، فقال له عليه السلام : ابنى أحمد بن ادريس قطب لا كالأقطاب، وغوث لا كالأغواث، وفرد لا كالأفراد، وجرس لا كالأجراس، فوق الكل وممد الكل، والله على ما أقول وكيل وجوابنا نرده بين يدى الله تعالى يوم القيامة.

وقال رضى الله عنه : الإخوان مايعرفون مقدار طريقنا الا إذا غمضت عين الواحد منهم بالموت فيرى ما أعده الله له من أجل هذه النسبة فى الطريق، وهذه بعض من كراماته والا فكراماته لا تعد ولا تحصى ولا يمكن ضبطها ولا تستقصى، وما ذكرته فهو نقطة من بحر زاخر ولمعة من بعض تلك الأثر .

وأما أوصافه رضى الله تعالى عنه : فهو طويل القامة، أبيض اللون مشرب بحمرة، نحيف الجسم، واسع العينين، طويل الوجه، أزج الحاجبين، فى شعره شيب، وكان يديم الذكر مجافيا جنبيه عن التكاسل، متوجا بشريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد فهمه الله أسرار البدايات، وأطلعه على أعلى النهايات، فهو بحر الحقائق، وموضح الطرائق، صاحب الأسرار الصمدانية، والدعوات الرحمانية، واللطائف القرآنية، والمعارف الفرقانية، والمواعظ اللقمانية، والفتوحات الربانية، والشمائل الكنهية .

ماذا أقول لمن تكامل وصفه

فالمدح فيه وان تطاول قاصر

قد اتضحت فضائله للخاص والعام، والمأموم والإمام .

وبالجملة انه ملك العلمبأزمته والعرفان والخصال بجزئياته وكلياته، صفاء قلبه على وجهه يلوح، ونفائح مسك الحكم من فيه يفوح . رقيق القلب ذو سكينة ووقار وحياء، اذا خرج ازدحم الناس على تقبيل يديه وركبتيه والتشبث بأذياله

والتبرك برؤية وجهه، ما وضع يده على قلب قاس الا رق ولان، كلامه يقود سامعه الى السجود ويجرى فى القلب كجريان الماء فى العود، وكانت تأتيه الفتوحات من كل مكان، وعيشته كعيشة الملوك مع قطع النظر عما سوى الملك الديان، وكان رضى الله عنه يقول :((نحن ضيوف الله فى أرضه والضيف يواجه المضيف . ومن حمل الزاد الى دار الكريم أو سأل شيئا منه وهو فى منزله عد لئيما)) وما هو حاصل منه من مدده فلا يسعه القرطاس ولا ضعفاء العقول من الناس.

وفى هذا القدر كفاية ومقنع، لمن كان له قلب ومسمع، والا فكرامته لا تسعها الطروس والكواغد ولا الألواح.

والحاصل أنه من أكابر أهل الله وأعيان الأمة الهاديين الى سبيل النجاة . وله الكرامات

الظاهرة المأثورة ، والأحوال الجميلة المشهورة، والآيات الزاهرة، والمقامات الفاخرة، جمع شيم العز المنيع، وحاز سجايا الجلالة والمهابة والشرف الرفيع، كيف لا وهو خلاصة بنى الزهراء البتول ؟ وفرع الشجرة الطاهرة الموصلة بالنبى الرسول صلى الله عليه وسلم الذين جعل الله حبهم هو الوسيلة العظمى، وقربهم

يوصل فى الدارين الى كل مقام أسمى، وزاد قدرهم العى تنويها بشأنهم وتنويلا كما قال تعالى :((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)) فاليهم كل مكرمة تئول اذا ماقيل الرسول، ولله در من يقول :

البيت بيت علا والعلم شيده

والأصل من عنصر المختار منتخب

والفرع فرع عظيم بالفخار سما

لقد سما فتدلت دونه الشهب

بالمصطفى المجتبى المختار قد شرفوا

وشرفوا من لهم بالود ينتسب

هم هم القوم والفخر الفريد لهم

وحبهم خير ما يقنى ويكتسب

لهم خصائص إمداد فضائلهم

من المهيمن لا تحوى لها الكتب

يظهرن أنوارها للكون حيث ترى

للعين كالشمس سرا ليس ينحجب

وليس يبدو لنا إلا القليل بهم

لكي يؤدي لهم بعض الذي يجب

أدام الله ديم الرحمات تنهل على أرواحهم الطاهرة الزكية ، وألحقنا بهم رب السماء في درجات الآخرة ، وأمدنا بمددهم وبركاتهم ، وأنشقنا طيب أعطارهم

اللهم انشر عليه نفحات الرحمات والأنوار وأفضى علينا مما أودعته من الأسرار

الخاتمة

في ختام أيامه ووفاته وانتقاله لطيب مقامه

فلما أن دعاه الكريم الرحيم إلى داره ، ليتمتع بمشاهدة النعيم في جواره ، بعد أن كملت له المنازل الرفيعة ، وانتشرت كراماته الطاهرة الوسيعة ، وجد في الاجتهاد حتى فاق على أقرانه الأفاضل ، وحاز علماً وفضلاً وكمالاً تقصر عنه يد المتناول ، وبث لوائح الأذكار الراقية بسنده المتصل عن الأكابر ، إلى أمثل الأوائل والأواخر وسيد العشائر ، إلى أن آن أوان أغول قمره ، وانقضت مدة حياته وعمره ، فتوفي في ليلة السبت المبارك بعد العشاء ليلة الحادي والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام سنة 1253 (ثلاث وخمسين بعد المائتين والألف من هجرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام) ودفن بمدينة " صبيا " من أرض اليمن المبارك . فرحمة ربي تغشى روحه وضريحه إلى يوم يبعثون . اللهم انشر عليه نفحات الرحمات والأنوار وأفض علينا مما أودعته من الأسرار . وها أنا أقول مستمداً من فيض المصطفى رسول الله r :

ما بين بث مدامع وبلابل

طفح الغرام بكل جسم ناحل

واشتد هجر المبتغي لجماله

وغدا المشوق كواله وكذابل

أواه من ذات الحجاب من لها

حصن تمنع عن مقام الجاعل

أه عليها ما ألذ وصالها

إن كان تسمح بالوصال الآجل

لا تطمعن في وصلها فهو الذي

عين السراب ممره بتخايل

ولقد سبا كل القلوب خيالها

كيف الذي هو عينه في الحاصل

فارجع إلى العجز الذي من حازه

حاز الهنا مع المنى بتواصل

وأصحب هدى إجلاله بتأدب

مثل ابن إدريس الإمام الكامل

الفخر أحمد وهو أكمل من رقى

في ذروة أمنن به عن فاضل

هو أحمد الأفخر أكمل من رقى

أسنى مقام شامخ أو فاضل

قطب المعاني والمباني مرشد

بتمكن لأواخر وأوائل

شيخ الحقائق والطرائق موصل

من جاءه من ناقص أو كامل

لب الشرائع هديه لمريده

فوق أنها بمطالع ومنازل

دوماً على هدى الرسول مقامه

بتذلل وتدلل وتواصل

ولقد نشا متمسكا بفضائل

للدين تسمو عن فضائل فاضل

حتى ترقى في المعالى واحتسى

كأس الحمية من أجل مراسل

وأتاه أذن للخلائق مرشد

فبدأ فريداً غوث كل معامل

بالذكر والتهذيب خير مهذب

ومسلكاً بالشرع ليس بغافل

ولكم كرامات له لا تنحصر

تنبيك عن إجلاله بالعاجل

وله الخطاب من العلى بباسط

ومخصص بمكارم وحلائل

واقصد له وضريحه في كل ما

ينبو عليك من الشواهد ذاهل

واسأل به مولاك يوليك المنى

دنيا وأخرى كل فيض وابل

يا ربنا نرجو به منك العطا

والجماع الخيرات عند أكامل

والحاضرين وأصلهم مع فرعهم

ولمن لنا أوصى بفيض شامل

وأدم على ذاك الضريح سحائبا

تنهل رحما من غديق هاطل

بالسيد المختار سر سرائر

شات الحقائق عين فعك الفاعل

وبآله وبصحبه وبتابع

ومحبهم وموصل ومواصل

صلى عليهم ربنا ما غردت

ورق الحمام على أراك باسل

أو ما حدى حادي النجائب معلنا

بالشوق يطرب للعلا بوسائل

أو ما سرى برق الحجاز مناديا

ومخبرا عن ذات خدر مائل

غصبا لها صب تحرك شوقه

وطفا على البحر البديع الكامل

وتغرد القوال فيها قائلاً

ما بين بق مدامع وبلابل

اللهم انشر عليه نفحات الرحمات والأنوار وأفض علينا مما أودعته من الأسرار . وإلى هنا انتهى ما أردناه ونجح ما رمناه وقصدناه فلنرفع أكفنا إلى مغدق النعم متوسلين إليه بحبيبه الأعظم وصفيه الأقدم r وبآله الذين هم أعظم وسيلة وبأصحابه الجامعين لكل فضيلة وبمن تليت فضائله وآثاره ولاحت على الحاضرين شموسه وأقماره أن يسلك بنا منهجه وسبيله ويوردنا من حبه سلسبيله

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل مغنم ، وثبات الحجة والمحجة ، وبقاء البهجة وصدق اللهجة ، واجعل لنا من كل ضيق فرجاً ، ومن كل شدة مخرجاً ، واشغل قلوبنا وألسنتنا بذكرك وجوارحنا بشكرك ، وآمنا من غضبك ومكرك ن واحمنا من عصيانك ومخالفة أمرك ، وعافنا من كل داء ولا تشمت بنا الأعداء ، ولا تقطع عنا عوائد الجود والندا ، وأنلنا بلا محنة مراتب الشهدا ، واعتقنا من النار ، واجعلنا من عبادك الأبرار ، واسكنا دار القرار ، بجوار حبيبك المختار r

اللهم توفنا على الإيمان ، واحفظنا من نزغات الشيطان ، ولا تجعل له علينا سبيلا في كل آن ، وسلمنا من موجبات السلب والحرمان ، وبوئنا المثوبة والكرامة ، وأجرنا من أهوال يوم القيامة ، واعصمنا من موجبات الحسرة والندامة ، واحشرنا تحت لواء المظلل بالغمامة ، وأنلنا النظر إلى وجهك المصون ، وأقر برضوانه منا العيون ، واقضي عنا بكرمك وجميع الديون ، يا من أمره بين الكاف والنون ، وارحم آباءنا والأجداد ، واحفظنا في المال والأهل والأولاد ، والأشياء والأحباب والأحفاد ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، وعافنا من جميع الأمراض والأسقام ، والأدواء والآلام ، وهون علينا شدة الفزع وسكرات الحمام ، وتوفنا بفضلك إذا حضر الأجل على حسن الختام ، وتفضل بالعفو والغفران على هذا الجمع ، ومتعنا وإياهم بالعافية والبصر والسمع ، واجعلنا من العائدين الفائزين ، واكتبنا من السعداء بجاه سيد المرسلين ، ووفق اللهم من تسبب في جمعنا هذا لرضاك ، وتفضل عليه بكرمك وعطاياك ، وجامعها وكاتبها وقارئها والسامع .

وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد حبيبك ومصطفاك وعلى آله وصحبه ومن والاه ووالاك واجعلنا أجمعين من عبادك المؤمنين الذي آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

ولادة السيد الإمام أحمد بن إدريس ونشأته

كانت ولادة هذا السيد العظيم سنة 1163هـ ببلدة ميسور أو ببلدة العرائش التابعة لسلطنة فاس ومراكش ، وكان لهذا الإمام العظيم شأن كبير ، حيث نشأ أولاً في موقع رأسه الشريف العرائش ، وبعد أن ترعرع وحفظ القرآن العظيم وكثيراً من المتون ، ونال قسطاً وافراً من العلوم وبلغ العشرين من عمره ، انتقل إلى بلدة فاس عاصمة السلطنة المغربية إذ ذاك ، وانتسب إلى جامع القرويين بها ، ومكث يطلب العلم أولاً ، ثم يدرس ثانياً نحواً من ثلاثين سنة متواصلة ، إلا أنه كان يرحل أحياناً أثناء دراسته هذه إلى بعض المشايخ الكبار في بعض ملحقات فاس للأخذ عنهم . ولم يترك في زمنه أحداً من المشايخ المعتبرين والذين عاصرهم إلا ورحل إليه وأخذ عنه وهؤلاء هم مشايخه رضي الله عنه وعنهم

مشايخ الإمام السيد أحمد بن عبد الله بن إدريس بفاس وبلاد المغرب :

أولهم الإمام المحدث الكبير الشيخ محمد التاودي ابن سودة المتوفي سنة 1209هـ

والشيخ محمد ابو عبد الكريم الذهبي المتوفي سنة 1199هـ والشيخ عبد القادر بن أحمد العربي بن شقرون المتوفي سنة 1216هـ

والشيخ المجيدري الشنقيطي ، وكان شيخه في السلوك أولاً

ثم كان خاتمتهم بفاس الشيخ الكبير سيدي عبد الوهاب التازي رحمه الله ورضي عنه وهو الذي تم أمره ولعا شأنه على يده ، وهو عمدته في كافة مروياته ، وكان حضرة الشيخ عبد الوهاب التازي قبل أن يعرفه السيد أحمد بن إدريس يحضر كمستمع في حلقة السيد أحمد بن إدريس وكان يعجبه صوته كما تعجبه طريقة تدريسه ، وكان السيد أحمد بن إدريس يرجع في أموره ومشاوراته وسلوكه إلى الشيخ المجيدري الشقيطي ، وكان المجيدري تلميذاً للشيخ عبد الوهاب التازي وصادف أن عرضت مسألة للسيد أحمد بن إدريس فاستشار فيها شيخه المجيدري وقال له : حتى اشاور شيخي التازي فقال له السيد أحمد بن إدريس :

ألك شيخ أكبر منك ؟ قال نعم ، شيخي وعمدتي هو الشيخ عبد الوهاب التازي فقال له : اذن اجمعني به ، فذهب المجيدري إلى التازي وأخبره فقال له: مره ليأتيني فأتاه ، وأخذ عنه وانقطع إليه كلياً وكان يلازم طريقة الجباء معه ولا يرفع صوته عنده فكان أحياناً يقول له الشيخ التازي : أين تلك الهدرة يا أحمد ؟ ويعني بذلك نبرات صوته لما كان يدرس ببلدة تازة من بلدان المغرب الأقصى قرب حدود الجزائر ، وكانت مدينة علم ورخاء ولا تزال كذلك ، وبعد ملازمة السيد أحمد بن إدريس للشيخ عبد الوهاب التازي مدة مباركة قدرها الله توفي رحمه الله ورضي عنه

وبعد وفاته لازم السيد أحمد بن إدريس الشيخ أبا القاسم الوزير وكان من الصالحين الكبار وذوي المقامات العالية إلا أنه كان متستراً غير أن المدة لم تطل وتوفي أيضاً الشيخ أبو القاسم الوزير

وبعد وفاته عقد السيد أحمد بن إدريس العزم على التوجه إلى جهات المشرق والحجاز ليتزود بمعلومات أكثر وليقضي فرضه ويتشرف بزيارة جده الأعظم سيدنا محمد r وليهاجر في الحرمين الشريفين

رحلة السيد أحمد بن إدريس من فاس إلى المشرق :

وفعلاً بدأ رحلته من فاس في أواسط عام 1212هـ ومر في طريقه على الجزائر وتونس وطرابلس وبنغازي وكان ذلك سيراً وكان طريق البر من بنغازي إلى حدود مصر فيها مخاوف من بعض الأعراب المتحاربين ، لذلك قرر الركوب بحراً من بنغازي إلى الإسكندرية بعد أن مكث في بنغازي مدة من الزمن تعرف أثناءها ببعض البيوت وألقى دروساً في بعض مساجدها وأثنى على أهلها وعلى أهل الجبل الأخضر وبرقه وقال فيهم : " هذه بلادنا فيها تحيا أورادنا حيها سعيد وميتها شهيد طوبى لمن أراد الخير بأهلها وويل لمن أراد الشر بأهلها " وكانت إشارته هذه إلى السيد محمد بن على السنوسي حيث هو الذي أخذ عنه وهو خليفته الذي أحيا أوراده وذكره بدون زيادة أو نقصان في البركة وغيرها رضي الله عنهما

ثم ركب من بنغازي عام 1213هـ بمركب شراعي إلى الإسكندرية وعند وصوله إليها ونزوله بالجمرك كانت معه كتب ثمينه قيمة لا تفارقه لحظة ولا يرضى بها بديلاً فجاء المفتشون وسألوه عنها وكانت الكتب داخل أكياس مخيطة

ومربطة لأجل الحمل فقال لهم : كتب ، فأخذوا يطعنون الأكياس بأسياخ الحديد المجوفة وهو يصيح ويقول لهم : حرام عليكم لا تمزقوا كتبي ، فلم يعبئوا به ، فرفع يده إلى السماء وقال : " يا رب جيب لهم النصارى " أي سلط عليهم النصارى وقد استجاب الله دعاءه فلم تتم تلك السنة ولم يخرج من مصر حتى دخلها الفرنسي نابليون بجيوشه سنة 1213هـ واستولى على الإسكندرية والسواحل

وبعد وصول الإمام إلى القاهرة توقف بالأزهر مدة يسيرة قام خلالها بالقاء بعض الدروس في جامع الأزهر فأعجب به كل من حضره وسمع عنه ولذلك أخذ عنه مشايخ كثيرون ، ورافقه بعضهم إلى الحجاز

ودخل مكة آخر عام 1213هـ ومكث في الحرمين الشريفين ما بين مكة والمدينة والطائف ما يقرب من ثلاثين سنة قضاها في التدريس ونفع العباد وإرشادهم إلى الطريق المستقيم ودعوتهم إلى العمل بما يحتمه عليهم دينهم الإسلامي

وخرج من مكة إلى الصعيد بمصر مرتين – أو ثلاثاً – وقام بالدعوة إلى الله .
وأخذ في الصعيد عن الشيخين الجليلين حسن بن حسن القنائي والشيخ محمود الكردي .

ثم عاد إلى مكة المكرمة دون إقامة طويلة وإنما كانت في تلك المرتين حوالي خمس سنوات فقط ولم يبق خلال هذه المدة عالم من علماء الحرمين الشريفين أو ممن يفدون إلى الحرمين إلا وتتلمذ له وأخذ عنه

وممن أخذ عنه السيد محمد بن عثمان الميرغني مؤسس الطريقة المرغنية ، والشيخ إبراهيم الرشيدي مؤسس الطريقة الرشيدية ، والشيخ محمد حسن ظافر المدني الدرقاوي ، والشيخ محمد عابد سندي صاحب الأسانيد المسماة حصر الشارد في خليفة الشيخ دردير صاحب التصانيف رضي الله عنه أتى إلى الحج وأخذ عنه ، ومنهم العلامة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل مفتي زبيد أتى إلى الحج أيضاً وأخذ عنه ، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الديلمي من قضاة زبيد أيضاً ، والسيد سليمان ابن ابي القاسم الأهدل ، والعلامة الشيخ عبد

الكريم العتمي وغيرهم ممن لا يحصون ، وتخرج عنه أعلام خدموا الدين الإسلامي جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء .

وفي مدة وجوده بمكة عام 1218هـ دخلها السعوديون وكانوا يطلقون عليهم الوهابيين لاتباعهم للشيخ محمد ابن عبد الوهاب داعية نجد ، وكان أميرهم إذ ذاك الإمام عبد العزيز بن محمد بن مسعود عام 1220هـ وتولى ابنه الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ودخل الحجاز ثانياً عام 1221هـ ومكث السعوديون بالحجاز سبع سنوات ، ثم حاربهم حاكم مصر محمد على باشا بأمر من الحكومة العثمانية وأخرجهم عام 1228هـ وكان أمير مكة إذ ذاك من الأشراف ذوي زيد واسمه الشريف غالب بن مساعد

دخول الأمير سعود بن عبد العزيز لمكة واجتماع السيد أحمد بن إدريس به

كان للسيد أحمد بن إدريس أتباع كثيرون وكان بعضهم تصدي للرد والقدح في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلما قدر الله وجاءت الجيوش السعودية لاحتلال مكة قال هؤلاء العلماء للسيد أحمد بن إدريس أخرج بنا من مكة لأنهم إن وجدونا بطشوا بنا فقال لهم رحمه الله ورضي عنه : أنني لا آمر أحداً منكم

بالخروج من مكة ولا أنهاه غير أنني أقول لكم من جلس فلا يلحقه إلا الخير إن شاء الله تعالى وأنا جالس ، فهرب بعضهم وجلس البعض

وبعد وصول الأمير سعود ودخوله مكة وكان شديداً ومتعصباً في مذهبه جاءه السيد أحمد بن إدريس حسب العادة للتهنئة والسلام عليه فقابله بحفاوة بالغة وأكرمه إكراماً عظيماً وألبسه مشلحا بيده وقال له يا شيخ كنا أحق بزيارتك ولا كنت تكلفك نفسك ثم اصدر أوامره على كافة عماله بعدم التعدي على أحد ممكن ينتمي إلى السيد ، كما عفا عن أصحابه الذين كانوا يطعنون في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان الإمام سعود الكبير هذا أمر بتقتيلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة فعفا عنهم وحقن دماءهم ، وهذه سجايا آل سعود ومكارم أخلاقهم التي ورثوها عن أوائلهم وهي العفو عند القمدرة وعدم أخذ المسئ بإساءته وقبول عذر المعتذر مهما كان ذنبه ، وبذلك مكن الله لهم في البلاد وسخر لهم القلوب والعباد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . فتعجب الناس لهذا التسخير الإلهي

ثم أن السيد أحمد بن إدريس أمر أتباعه بعدم المجادلة أو المناظرة مع أي إنسان ، وإذا سئلوا عن أي قول أو مذهب يقولون : لا إله إلا الله فقط . وصار هذا دينهم مدة وجود السعوديين بمكة وهو من عام 1121هـ إلى غاية عام 1228هـ

رحلة مولانا السيد أحمد بن إدريس من الليث إلى اليمن :

بعد أن ودعه الإخوان وخليفته السيد محمد بن على السنوسي ورجعوا إلى مكة ركب من الليث في سفينة شراعية ووالي سفره بحراً إلى اللحية ومر في طريقه على موانئ القنفدة والبرك وجيزان ولم ينزل بها

وبعد وصوله اللحية مكث بها أياماً ثم والى رحلته برا إلى الزهرة ثم الحديدة فبيت الفقيه فزبيد وبعد مكوثه بها نحواً من شهرين وإلى رحلته حتى وصل المخا ووصل إلى جبل موزع وأقام به اياماً ثم عاد إلى المخا ومكث بها أربعة أشهر ولم يبق أحد في تلك الجهة إلا ووفد عليه وتلقى عنه وسمع منه ثم عاد إلى زبيد ومكث بها تسعة أشهر بقية سنة 1344هـ وكان نزوله عمد السادة آل الأهدل . وخلال هذه المدة لم يترك الدرس والوعظ والإرشاد والدلالة على الله يوماً واحداً حتى عم نفعه بالله تعالى للخاص والعام

وخرج من زبيد إلى قرية تسمى " وصاب " في الجبل للغصلاح ما بين قبيلتين متحاربتين ومكث بها أياماً قلائل ثم عاد إلى زبيد ومنها توجه إلى بندر الحديدة ومكث بها أياماً معدودة ومنها سلك طريق الساحل عائداً إلى بلاد السادة المراوعة ولم يمر على بيت الفقيه . واجتمع بالسادة المراوعة وأخذوا عنه ومكث عندهم ما يقارب من الثلاثة أشهر ، ثم توجه إلى " القطيع " وجلس به ما شاء الله وبعد ذلك والى رحلته إلى بأجل ، وأقام بباجل مدة بسيطة وفي خلال رحلته هذه لم يخرج من بلدة من هذه البلدان حتى يقيم فيها من يقوم بمثل عمله . ولم تطل إقامته إلا في المدن الثلاثة زبيد وبيت الفقيه والمخا وبعد خروجه من باجل والى رحلته إلى بلدة أبي عريش ، وكان أمير تلك المنطقة وما يتبعها هو الشريف على ابن حيدر بن حمود من الأشراف إلى أبو مسمار وهم ينتسبون إلى الأشراف آل أبي نمى فأكرم نزل السيد إكراماً عظيماً وهيأ لسيادتته كل أسباب الراحة والاستقرار ولذلك آثر الإقامة في بلدة صبيا الواقعة في المخلاف السليماني بالقرب من أبي عريش التابعة للشريف على بن حيدر

وفي صبيا اجتمعت عليه أمم كثيرة وقام رضي الله عنه بالدعوة الصالحة إلى الله تعالى والإرشاد ، وكان أهل تلك الجهة غلب عليهم الجهل وتركوا أمور الدين والشرع ولم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم أما واجبات الدين فمتروكة تماماً لذلك كرس مولانا السيد كل مجهوداته آناء الليل وأطراف النهار في المساجد والمجتمعات وفي بيته حتى كون نخبة مباركة من طلاب العلم قاموا بالدعوة إلى الله تعالى والعمل بكتابه حسب المستطاع وبالتالي هي أحسن

وبوجوده في صبيا أصبحت كعبة المريدين والتابعين له فما من يوم إلا وتصبح غاصة بالزوار والقادمين من أنحاء اليمن وجبال السروات والحجاز ووفد إليه تلميذه وخليفته السيد محمد ابن على السنوسي من مكة مراراً مع بعض الأخوان والمريدين ، وكان يرتب له قافلة من مكة تخرج على رأس كل شهر تحمل إليه ماء زمزم وكل ما هو ضروري لسيادته من الحجاز طيلة إقامته بصبيا وكانت حوالي تسع سنوات لأنه رضي الله عنه خرج من مكة عام 1241هـ وتوفي عام 1253هـ فالمدة الواقعة بين التاريخين اثني عشرة سنة منها أربع سنوات في تنقلاته والباقية هي التس استقرها بصبيا

مؤلفاته :

وهذه هي مؤلفاته رضي الله عنه :

رسالة الأساس ، رسالة القواعد ، روح السنة ، العقد النفيس في نظم جواهر التدريس ، التصوف والسلوك ، كتاب الأحزاب ، كيمياء اليقين

ولم يخلف إلا ثلاثة أولاد فقط هم السيد محمد القطب والسيد عبد العالي والسيد مصطفى ، فأما السيد مصطفى فقد توفي صغيراً بعد والده

وأما السيد محمد القطب فكان عمره حين وفاة والده 36 عاماً وعاش بعد والده 52 عاماً ، وخلف السيد محمد القطب ولداً واحداً هو السيد على بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن إدريس ، كان عمره حين وفاة جده الإمام رضي الله عنه أربع سنوات فقط حيث كانت ولادته عام 1250هـ ثم عاش بعد جده 70 عاماً قضاها في عبادة الله والدعوة إليه

وكان من أكابر الصالحين وهو الذي أسس العائلة الإدريسية في صبيا باليمن ورفع شأنها ونشر طريقة جده وأحيا ذكره ما بين المخاليف والقبائل وجمعهم

والتفوا حوله واتبعوا دعوته ، وأنجب رحمه الله ثلاثة أولاد ذكور هم السيد محمد ابن على الإدريسي مؤسس إمارة الأدارسة باليمن والسيد الحسن بن على الإدريسي والسيد أحمد بن على الإدريسي ، فأما السيد أحمد فكبر وتوفي قبل أن يتزوج ولم يعقب ، والسيد محمد اشتغل أولاً بطلب العلم في صبيا ثم انتقل منها إلى مكة وطلب بها العلم ، ثم انتقل إلى الأزهر بالقاهرة وتمم فيه دراسته ونال قسطاً وافراً من العلوم وبرع فيها ثم رحل من مصر إلى الجعبوب ومنها إلى الكفرة حيث إقامة الإمام السيد محمد المهدي السنوسي وزاره بها ومكث عنده مدة وأخذ عنه ثم عاد إلى صعيد مصر وزار أبناء عمومته آل السيد عبد العالي الإدريسي بالزينية ، وفي عام 1323هـ عاد إلى صبيا موقع رأسه قبل وفاة والده وكانت عودته بطلب ملح وسريع من والده ومن مريدي ومحبي والده وشيوخ القبائل ، وبعد عودته بقي مع والده قريباً من سنة ونصف ثم توفي والده رحمه الله تعالى وقام هو مقام والده بالدعوة إلى الله والإرشاد فغار منه الأتراك الموجودون بجيزان وعسير والحديدة وأرادوا أن يكيدوا له ويقبضوا عليه ويرسلوه إلى استانبول مركز الخلافة فحال دونه أهل تهامة قاطبة وحاربوا الأتراك حتى

أجلوهم من تلك الجهة ، وأقاموا أميراً عليهم ، وبذلك تأسست الإمارة الإدريسية وتوسعت حتى جبال " فيفا " في ناحية نجران وحتى الحديدة الصدور.

الصدور بإذن الخبير اللطف بما تلقيته عن شيخي السيد محمد الشريف

وطبع الحزب المسمى بكنز السعادة لسيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه

ولا يزال لديه كتباً تحت الطبع ومنها كتاب الإملاء لسيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه

وقد طبع أيضاً كتاب النفحات الكبرى وهو من إملاء سيدي أحمد على تلميذه السيد السنوسي رضي الله عنهما ، وقد نفد وسيعاد إن شاء الله طبعه . وكتاب كرامات سيدي أحمد للشيخ الرشيدي رضي الله عنهما

ومن تأليف شيخنا الجعفري كتاب مفاتح كنوز السماوات والأرض . وقد فرح بها فرحاً عظيماً السيد حسن الإدريسي رضي الله عنه ، وأمر بطبعه مرة أخرى فطبع ، وسيطبع مرة ثالثة إن شاء الله تعالى ، وهو كتاب نفيس جداً حيث جمع بين الأوراد وكيفية تلاوتها بوضوح تام

وأول كتاب طبع لشيخنا الجعفري كتاب أسرار الصيام ، وقد نفد وأعيد طبعه

وفي المدائح الكتاب المسمى المقبولة في مدح النبي r . وكتاب البردة الحسنية الحسينية ، وكتاب روضة القلوب والأرواح في مدح آل بيت النبي صفوة الفتاح . وكتاب لآلئ البحار في مدح النبي المختار r . وكتاب زهرة الحدائق في مدح خير الخلائق r ، ومفرحة الفؤاد في مدح آل خير العباد r

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في شيخنا الجعفري ، وأن يوفقه إلى نفع العباد آمين

وله كتاب أخرى تحت الطبع والله يتممها وينتفع الناس بها ويدعون له بالخير

ولتمام النفع ألحقت بالمناقب هذه الخطابات المنسوبة إلى الشيخ سيدي أحمد بن إدريس ، والي الشيخ سيدي محمد ابن على السنوسي ، وإلى الشيخ سيدي إبراهيم الرشيدي رضي الله عنهم أجمعين

الفصل الثاني : رسائل إلي تلاميذه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه الشيخ مكي ابن عبد العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد وصل كتابكم أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر ، الذي لا سخط بعده أبداً

ثم اعلم يا أخي أن الدنيا راحلة ولا غنيمة فيها إلا طاعة الله تعالى . وأفضل طاعته تعالى وأعظمها أجراً ومنفعة عند الله تعالى ذكر الله تعالى . فعليك يا أخي بكثرة ذكر الله سراً وعلانية قال سيدنا ومولانا رسول الله r : " ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله عز وجل " . نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين لا شغل لهم إلا بالله ، ظاهراً وباطناً دائماً أبداً سرمدا آمين

وسألت أيها الأخ عن قطع الإصبع الزائد وقطعها متيسر بلا تعب فلا بأس بذلك . وتوكل على الله واقطعها ، والله يتولى هدانا وهداك

والسلام عليك وعلى أهلك وأولادك ومن يلوذ بك ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه وصديقه الشيخ مكي بن عبد العزيز أعزه الله عنده في الدنيا والآخرة .. آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... فقد وصلت مكاتبتكم ، أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا حجاب بعده أبداً آمين

وسألت أيها الأخ عن الأشياء التي سألت عنها ، " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم "

الجواب والله الموفق للصواب : لا بأس بحرق نوى التمر ، لأن فيه منفعة للناس ، والله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ، ومن جملة ما في الأرض نوى التمر ، ومن جملة منافع التمر المحرق أنه يمسك الإسهال المفرط إذا دق وسف

وإسناد اللوح المكتوب فيه القرآن إلى الجدار فلا بأس بذلك ، فإن اللوح المكتوب فيه القرآن أصله الأرض ، والأرض أصلها الماء ، والماء أصله نور سيدنا محمد r ، فأصل الكل طاهر ، ووضع اللوح على الجدار كذلك ، والمصحف كذلك

وتارك الصلاة لا يصلى على جنازته لأن رسول الله r قال فيه " فمن ترك الصلاة فقد كفر "

وقال r : " من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهارا "

ويكفر تارك الصلاة بقول ابن حبيب من المالكية ، وإذا كان كافراً كما سمعت فلا يجوز الصلاة عليه ، لأن ترك الصلاة عليه يكون ردعاً وزجراً لتاركي الصلاة ، فالأولى ترك الصلاة عليه

وأما عيادة المريض التارك للصلاة فمندوبه إذا كان بنية العائد أن يأتيه ويعظه ، فإنه إن تاب قبل الغرغرة قبل الله توبته ومحيت ذنوبه ، ويكون ذلك في ميزان من تاب على يده ، وأن صح وصلى يكون ذلك في ميزانه

وأما دفع الزكاة له إن لم يوجد غيره من المصلين فلا بأس بذلك ، لأن العواقب مجهولة لا يدري بأي شئ يختم له

ولا يسلم عليه لأنه يجب هجره ، والسلام يخرجه من الهجران ، وقد قال رسول الله r : " تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وألقوهم بوجوه مكفهرة ، والتمسوا رضاء الله بسخطهم والتباعد عنهم "

وأما ضيافته فلا بأس ، وأما الأكل معه في آنية واحدة فلا يجوز

وأما غسل الجنازة فلابد من تعميم الماء لكل الشعر أعلاه وأسفله ، وإلا فلا طهارة . هكذا أمر رسول الله r

وأما سماع صوت الأجنبية من غير التذاذ به لتصحيح القرآن فلا بأس ، لأن رسول الله r كان النساء يسألنه ويجيبهن ويسمع صوتهن r

ووصيتي إلى إخواني : عودوا أنفسكم الأخلاق الجميلة والأفعال الحميدة مع الله تعالى ومع عباده ، فإنه من لم يزهد في عوائده القبيحة من أجل الله تعالى فقد زهد في الله من أجل عوائده الخبيثة ، والله يهدينا وإياكم إلى الصراط المستقيم

والسلام على جميع إخواننا كلهم ورحمة الله وبركاته ، وعليك أيها الأخ مكي وعلى أهلك وأولادك كلهم ، وعلى جميع من يلوذ بكم ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه المكرم الشيخ مكي ابن عبد العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... وصل كتابكم والحمد لله على سلامتكم وعافيتكم

وقد كتبنا لكم خطبة على حسب ما خطر في القلب ، الله ينفعكم بها والمسلمين

واعلم يا أخي أنك لا تحتاج إلى تبصرة في أهل زمانك ، فالحذر الحذر ثم الحذر الحذر من الذين ينتسبون إلى العلم ولا يعملون به ، فاتخذوا العلم تجارة دنيوية ولم يقرءوه لوجه الله تعالى ، ولم ينفعهم الله به ، فهم يأخذون على كل كلمة يقولونها للناس في العلم ذنباً ، فهم يأكلون الحرام ، ويلبسون الحرام ، وينكحون الحرام ، فأعمى الله بصائرهم فلم ينتفوا بشئ من العلم ، بل أضرهم علمهم غاية الضرر ، وباعوا دينهم بدنياهم ، وقد تبرأت الرسل عليهم الصلاة والسلام من أخذ الأجرة على العلم الذي أمرهم الله أن يبلغوه للخلق ، وكل واحد منهم يقول : " وما اسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين " ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فحاد هؤلاء المنتسبون إلى العلم في هذا الزمان عن طريق الأنبياء ، فحضروا الدنيا والآخرة . نسأل الله تعالى أن يرجع بنا وبهم إلى طريق الهدى ، ويسلك بنا وبهم سبيل الرشاد . أنه قريب مجيب

وأوصى نفسي وإياك بتقوى الله العظيم ، فإن التقوى خير زاد إلى الآخرة ، قال الله تعالى : " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح الفلاح ، قال الله تعالى : " واتقوا الله لعلكم تفلحون "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى وصية الله في الأولين والآخرين ، قال الله تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح الولاية قال الله تعالى : " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى : " وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون "

وعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الكرامة قال الله تعالى : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم "

وعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الفرج من كل ضيق ، ومفتاح الرزق من حيث لا يحتسب العبد قال الله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح اليسر قال الله تعالى :" ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح تكفير السيئات ، وتعظيم الأجر قال الله تعالى : " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا "

فعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح القبول قال الله تعالى : " إنما يتقبل الله من المتقين "

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح محبة الله قال الله تعالى : " إن الله يحب المتقين"

وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح معية الله تعالى مع العبد قال الله تعالى : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "

جعلنا الله وإياكم من المتقين الذي أقبلوا على الله بكليتهم ، فلم يشغلهم عن الله شاغل ، ظاهراً وباطناً ، تولاهم الله بعنايته ، فخصلت محبتهم في الله تعالى من جميع الوجوه ، فصاروا إذا قاموا لأمر قاموا فيه بالله لله ، وإذا قعدوا عن أمر قعدوا عنه بالله لله ، فصارت حركاتهم وسكناتهم بالله

وعود لسانك ذكر الله تعالى حيث يستولي ذلك على القلب فتكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض

أسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياك حلاوة الإيمان الكامل الذي يكون معه القلب خاشعاً لله تعالى على كل حال وأوان ، وأن يرزقنا وإياك الشوق إلى لقائه تعالى في كل نفس من الأنفاس أنه سميع الدعاء

والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم وجميع من يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه عثمان نظر إليه بنظر عنايته المنان

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد .. فقد وصل مكتوبكم ، أوصلك الله إلى رضوانه الأكبر وعزه الأفخر . ونسأل الله تعالى جميع الشمل به والالتذاذ بقربه وأنسه ، والاشتغال والانهماك في حبه ، والغيبة عن خلقه من جنه وأنسه ، أنه قريب مجيب

وعليك بتلاوة الأحزاب . وأكثر من هذا الذكر الذي خصنا الله به من بين أوليائه ، وفقد أخذ من حضرات قدسية ، فهو " لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " . ولقن هذا الذكر للاخوان فإن نتيجته عظيمة جداً ، والعدد بحسب الطاقة ، والسلام منا على جميع الإخوان . والسلام عليك وعلى أهلك ورحمة الله وبركاته ، وقد سمينا محمداً ابن أرباب محمد نور فهو أوفق والله أعلم

" مكتوب بخط سيدي أحمد بن إدريس والكاتب الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويحي – تاريخ ميلاد سيدي أحمد ابن إدريس رضي الله عنه في كتب السادة السنوسية رجب سنة 1173هجرية "

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه محمد عثمان ، نظر إليه الواحد المنان بعين العناية والرضوان آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... أيدك الله بروح منه ولا أخلاك وقتا عنه . فشمر عن ساق الجد والاجتهاد . واترك الراحة والرقاد ، وقم لله عز وجل على قدم الصدق واجعل علو همتك فيه أعظم زاد . وإياك وإياك وإياك حتى من إياك والاغترار بإقبال الخلق عليك وتعظيمهم إياك ، فإنها فتنة وابتلاء ، وملاحظة إقبالهم سم قاتل ، وبرق خلب ليس فيه مطر هاطل فاقطع يأسك منهم ، واحسم طمعك عنهم ، وأقبل على

مولاك بكليتك قلباً وقالباً ، فإنه لا أضر على الفقير الصادق من طمعه في الخالق فإن الطمع في الخلق سيف قاطع عن الحق

وأعل همتك في الله حتى يتقدي بك إخوانك ، ولا تستند إلى الراحة والبطالة فيأخذون بحالك فيهلكون ، فاحملهم على الجد والاجتهاد ، قو يقينهم في الله بالحال والمقال ، فإنه قد صبحنا جماعة من الإخوان المغاربة فعلت همتهم في الله ، فحازوا قصب السبق في المعرفة بالله ، فانفتح لهم الباب من الله ، فانخرقت لهم العوائد ظاهرهم وباطنهم فصاروا من المحدثين من حضرة الحق بلا واسطة حتى أن كلامهم جمع في كراريس فيما فتح الله عليهم به من مكالمات وبشارات مما لم يسمع به من أكابر الأولياء المتقدمين ، حتى أن بعض الأكابر كأبي يزيد البسطامي استصغر نفسه في جنب أحدهم ، فجد السير ، واجتهد لتكون في أول السابقين ، فإني تعجبت من صدق هؤلاء الذين ذكرتهم لك غاية العجب ، فإذا دخلوا الخلوة أتوا بالعجب والعجائب من غرائب المعارف والمكاشفات واللطائف ، فإذا حضروا المجلس كوشفوا بما يبهر العقول بحسن معاملتهم مع الله وقطع ما سواه ، وإني لا أحب أن تكون دونهم ، بل أحب لك أن تكون من أعلاهم

واعلم أني فيما حرضتك عليه نعم المعين بالهمة والدفع إلى الله ، وقد اتخذت الله لك وكيلاً وكفيلاً فيما رغبتك فيه ، وجعلته جل وعلا خليفة عليك ، فأعني على نفسك بعلو الهمة في الله ، وقطع العوائق والعلائق القاطعة عن الله

والسلام عليكم وعلى أولادك وأهلك وجميع من يلوذ من الإخوان ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى الابن وقرة العين واثمد العينين محمد عثمان نظر الله إليه بعين عظمته وكبريائه ، والحقه بتجلي جلاله وجماله وكماله محفوظاً بعين عنايته ورعايته آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد

اعلم علمك الله بكل خير وصرف عنك كل شئ وضير لا تجزع من تجلي النكرة فإن الأسرار كاملة فيها مستقرة ، فمن ليس له تجلي النكرة لا يتم له تجلي المعرفة ، فإن بضدها تتميز الأشياء . " والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما

قلى وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى " ثم أني قصرت من إطناب اللسان اكتفاء بما سيقع بيننا من الإطناب في الجنان فإنها سترد عليك واردات الهية ، تشفي العليل ، وتعز العبد الذليل

وأما الشر فقد أمنك الله أنت وجماعتك من شره ومكره بحوله وقوته " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله "

وأما الخلوة فلا يصح لك الانقطاع الكلي في هذا الوقت من أجل تعلق الإخوان بك ، وإنما يصح لك الاختلاء في أوقات مخصوصة . وخلوتك الخصوصية بالله تعالى هو أن تختلي بأحزاب التجلي في بعض الأوقات ، لصفاء القلب وتنويره واجتلاب الواردات الإلهية

وأما الفتح الكبير العام الذي هو تجلي سلطان الكبراء وفيض تجلي العظمة على جميع أجزاء البدن من شعر وبشر وعظم ولحم ، فعن قريب يصل إليك . وعلى جميع إخوانك سيلا عاماً لا يبقى ولا يذر إن شاء الله تعالى ، والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة بدءاً وختماً

من الابن إلى والده ، ومن العبد إلى سيده ، ومن المستمد إلى ممده ، ومن الجدول إلى بحره ، ومن محمد عثمان إلى حضرة دائرة أهل العرفان ، قطب رحى حيطة الولاية . مصدر الأسرار والعناية ، من لا تبرز الخلع لأكابر وقتنا إلا بمدده الطامح ، أكسير الله في الوقت والإحسان ، كبريت أحمر أهل المعاني ، الجالس على بساط القرب في حضرة الذات ، الذائق أعظم مشاهد الصفات ، سلطان حضرات الأولياء ، طراز الدواوين الإلهية ، وزير نقطة الكمالات المحمدية ، المعبر بلسان الحق لكل سامع من أهل السمع ، مظهر سر اليد والقلب والبصر ، ذو الرفع ، آية الله الكبرى للمتقدمين والمتأخرين ، نعمة الله العظمى على أهل منازل التمكين ، مرآة الحقيقة الأحمدية ، برنامج كمالاتها المحمدية ، المتمكن في الشهود والتقديس ، سر روحي الشريف مولاي أحمد بن إدريس ، أدام مولاي على إمداده في سائر اللحظات ، وعمني وأولادي وأهلي وأصحابي بفيضه في الحياة وبعد الممات

أما بعد ...

فقد وصل مكتوبكم فكشف ما على القلب من رين ، فجرت العبرة لما نالها من عبرة . أصابني سوء أدبي فابعدني عن حضرة الوحي العظيم وجاءني قبح فعلى فدحضني عن مورد القرآن الكريم ، ونالني خبث نفسي عن حضرتكم منزل الإلهام السليم وكشف الحجاب ، وسد الباب وانسدلت دون إبنكم الأستار بلا ارتياب ، أستاذ اكشف لي الحجاب . عمدتي افتح لي الباب . بلغ من الأتباع ألوف ، وهب الفيض والأنس المعرف

يا بحر الإله لكل مريديه

يا فيضا يعم الواصلين

اغث بنا غدا في مبعداته

وأدركه بلطف الوالدين

اسقني مولاي حقلاً رويا

وخذني إليك أخذاً قويا

هذا وبعد وصول الجواب لم يكن للتخلف أسباب ، ولكن ما علمه الأستاذ من أحوال الزمان فأنا في ديار المحب والمنقاد كثير ، وإقامة المعايش بفضلكم ليس بها تقصير ، وقد كثرت الأتباع والعيال ، والقيام بمثلهم في الحجاز يحتاج إلى أموال ، فليخبرنا الأستاذ عن الحقيقة بالحال أن اقتضى قدومنا وحدنا أو معهم هو أعلم بما يصلح الحال ، وحامل الكتاب أعلم بأحوالنا ، فاعتمدوه على ما تختاروه لنا ، وأرسلوا لنا كيفية خلوة تجمع المفرق ، وبعض أوراد تجدد المعتق ، وبلوا المرسول بقطرة ، وعموا الابن محمداً بنظرة

هذا والسلام على الأستاذ من كل منتسب ومنتمي ومحب ومحتمي كعربي وإسماعيل وصالح وعبد الماجد والنبيل وإبراهيم ومحمد وحماد والهواري والحجازي والشيخ محمد والطاهر وعلى حامد وعيسى وإدريس ز والسيدة صفية وأختها رقية وجوريكم أم كلثوم وزينب . وكل من انتسب إلينا وتقرب

ثم السلام منا على عمدتنا في المصادر والموارد ومنهلنا في كل صاعد ووارد سيدي محمد ابن سيدي وأمهاتنا أهل البر والندى وسيدي إبراهيم وإخوانه . هذا وافتح الباب لكل الطالبين وخصوصاً المذكورين والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ابنه وقرة عينه عثمان بن ابي بكر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من جميع جهاتنا تعمنا

أما بعد .. وصلنا خطابكم ونحن بمكة أعزها الله ، فجاء الينا الكتاب السادس عشر في محرم عام 1235هـ فحمدنا الله على عافيتكم ، فلنا سنة كاملة في مكة عام 1234هـ ، فحضرنا حجة الجمعة ، فانتظرنا قدومك في هذه السنة ، وقد أذن لنا في القدوم فقدمنا بخير مقدم

فالعجل العجل بالحضور عندنا كيفما أمكن فقد آن وقت حضوركم ، ولكم البشرى بحصول مقصودكم

أن هلم ثم هلم إلى أرض الحرم المقدسة التي هي من أول يوم على التقوى مؤسسة ، أن هلم إلى الخيرات والنور والبركات . أن هلم إلى قدسك وزوال همك وعكسك . أن هلم إلى عزك الذي يملؤك سروراً من عرشك إلى فرشك . أن هلم إلى السر المكنون الذي هو من الله كن فيكون . أن هلم إلى شرح صدرك الذي

أنقض ظهرك ورفع ذكر . أن هلم إلى كوثر النور المحفوف بالأفراح والسرور . أن هلم إلى رفع القدر الذي ليس معه شئ . أن هلم إلى الوعد الصادق الذي من جميع الجهات بالنور دافق . أن هلم إلى الوعد الذي لا يخلف والسر الذي لا يكشف ، فحدد نظرك وشحذ فؤادك وأعزم بكليتك ولا تترك جزءاً من جزئياتك . أقبل فقد جاء وقت النصر والسرور وهو قوله r : " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور "

والسلام منا على الأخ الصادق العربي الخطيب ، وله البشارة بما يرجوه من القريب المجيب ، فعن قريب إن شاء الله يأتيه ما يسره ، ويقول : " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا "

والسلام على كافة الإخوان والخلان وكل من لاذ بكم وانتسب إليكم مدى الزمان

ووليدكم المبارك محمد بخير وأخته عائشة التي زادت بعدكم وأمها بخير

والسلام عليكم وعلى من تعلق بكم من أنس وجان ، ونسأل الله أن يجمعنا وإياكم جمعاً لا فرقة بعده في أعلى حضرات الرحمن الرحيم المعصوم من كل عائق وقاطع وشيطان . أنه جواد حنان منان . لا إله إلا هو إليه الإنابة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه الشيخ عربي الهواري

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

وأما ما ذكرتم في الاعتناء بكم فأنا أولى بكم منكم ، وأرغب في الخير لكم ومن لاذ بكم من الإخوان ، إذ الوالد لا يحتاج إلى من يسترحمه على ولده فحنانته منه

وصدرت إليكم وصية أوصينا بها أخاكم عثمان فتأملوها فإنها من أجمع النصيحة في طريق الله عز وجل لكم وللإخوان أينما كانوا ، فارحموهم بها رحم

الله عز وجل لكم وللإخوان أينما كانوا فارحموهم بها رحم الله الجميع ، وإن فهمتهم ما فيها من إشارة بل صريح العبارة فستهون إلى كل بشارة

وأما ما يكون عليه العكوف فهو ذكر الله عز وجل قيامها وقعوداً وعلى جنوبكم ، فإن استطعتم ألا يفوت أحداً منكم نفس من أنفاسه غير ذكر الله فافعلوا ، وستحمدن مشورتنا عند الله تعالى

ومن أجل ما يطوي المسافات هذا التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " فمن عقله جعله ديدنا والصلاة العظيمة في الإكثار منها الخير الجسيم

والاستغفار بأي صيغة كان فهو أمان من العذاب بنص الكتاب ، ومن أجله الصيغة الكبرى المعلومة عند الإخوان وها هي : أستغفر الله العظيم الخ

وكان ذكرنا صار إليكم . واللطيف كل يوم ألف مرة ، وعلى رأس كل مائة الدعاء مرة ومن زاد زيد له في الخيرات ، وأن يسر الله أحداً من الإخوان يصل إلى نواحيكم زدناكم من فضل الله

هذا وعليكم بالعهد في تبليغ الإخوان حتى يعلم كل واحد اين يضع قدمه مع ربه ، وقد أجزناكم بذلك . وتلقينه لمن أراد أن يسلك الله به سبيل المقربين من أوليائه ، والمادة بالنور حاصلة إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه الشيخ محمد بن مجذوب ، جذبه الله بمغناطيس محبته إليه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فاعلم يا أخي أنه لم يفتك حج ولا غيره ، فأنت معنا ونحن معك حيث ما كنت ، وأثر ذلك عندك ظاهر وقد وجهنا إليكم قميصنا الذي كنا نلبسه تبركاً وتشبهاً

وحرض الإخوان على الخلوة وبالصلاة العظيمية ، ومن لم يقدر عليها فعليه بالعزلة والصمت

ووسع صدرك معهم ، فإن الله أمر نبيه r بقوله : " فاعف عنهم " يعني في حقوقه r ، " واستغفر لهم " أي تب عليهم في حقوقنا التي لنا عليهم ومن لم يتب عن زلة إخوانه فليس بوارث كامل

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانك كلهم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه وقرة عينه الشيخ محمد بن مجذوب ، جذبه الله إلى كمال معرفته ومحبته آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فقد بلغنا كتابكم الأول والثاني والثالث وأجبناكم عن وصول الحوائج التي أرسلتم فإنها قد بلغت كلها كما ذكرتم

وقد ذكرنا لك أنك تدخل من رأيت فيه همة وقوة وعزم الخلوة ، فإن رسول الله r حض على إدخال بعض الإخوان الخلوة وأمر أن يدخلوها بالصلاة العظيمية فدخلوها فانفتح الباب بينهم وبين الله ورسوله

والسلام عليكم وعلى جميع من معك ورحمة الله تعالى وبركاته والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام التامان الأكملان على نبيه الكريم وآله وصحبه وجنده وحزبه الحائزين الفضل العظيم

هي العبد الأذل كثير الخطأ والزلل محمد بن أحمد بن إدريس إلى حضرة مركز العلوم الأحمدية ، ومهبط الإمدادات الإدريسية ، قاموس المعارف الإلهية ، وبرزخ مجمع الأسرار الربانية ، مرشد المريدين إلى حياتهم الأبدية الذي عرف بخلوص النية والطوية أخينا الكريم وصديقنا الحميم المتخلق بالأخلاق النبوية ، والمتحلي بأكمل الأوصاف المرضية الشيخ إبراهيم الرشيد . إن قلت أخي قالوا

أخا من قرابة فقلت لهم أنه لشكور قارب بنسبي من ربي وعزمي وهمتي وإن فرقتنا في الأصول الناس ، زاده الله مما أولاه وأسبل عليه من جزيل أنعامه

السلام عليكم منكم وإليكم ورحمة الله وبركاته وإن تفضلتم بالسؤال عن حليف الأشواق وكليم الفراق فنحمد الله إليكم على نعمه التي لا تحصى ورحمته التي لا تستقصي . ولا نسأل إلا عن ذاتكم وكيفية أحوالكم جعلكم الله في أكمل الحالات فبلغني بحمد الله ما يسر الخاطر . لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام ، زادكم الله رفعة ، وجمعنا بكم في أتم نعمة

والذي نعرف جنابكم أن كتابكم الكريم وصل وبه كمال الأنس والسرور حصل ، وحمدنا الله على عافيتكم حيث أثبتنا بتفصيل أحوالكم والإخوان الكرام العظام الحشام موسى وعبد الله وخلف الله وصلوا إلينا بالسلام ، فباتوا لدى الحقير كنزول العافية على السقيم ، فوجدناهم بحمد الله في الغاية في محبة الأستاذ والمتعلقين بطرق الله . نور الله قلوبنا وقلوبهم بنور معرفته ، وأفاض على سرائرنا أنوار محبته

والهدية العظيمة والعطية الجسيمة البن والشاي وكتاب علوم الدين وشرح القصيدتين . الجميع وصلوا ، وأوصلكم إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر وألبسكم حلل التقوى والمعرفة بالله أنه كريم منان

هذا يا أخي وقد صادف الرقم والجماعة سائرين وجعلنا بينهم كمال التفصيل عقب هذا إليكم والسلام عليكم وعلى الإخوان أجمعين ورحمة الله وبركاته والسلام سنة 1288هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إلى أخينا وصديقنا الحبيب الصادق والخل الموافق الذي هو بمكارم الأخلاق العلية والشمائل المرضية ، شيخ الطريقة وإمام الحقيقة الأنور بالنور ، الولي الكامل المتقفي أثر النبوة قدوة الموحدين أخينا إبراهيم الرشيد

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وآله قراء القرآن ، وأصحابه الذين شيدوا أركان الإسلام . منا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من لديكم من الإخوان

وبعد ..

إن سألتم عنا وعن جميع الأهل والإخوان فنحن بحمد الله في أيسر حال وأتمها . نريد رؤياكم ولا نسأل إلا عنكم وعن حالكم ، وعن من يلوذ بكم ، جعلكم الله كذلك بل فوق ما هناك

وخطابكم الأول والثاني وصلا وبهما الأنس والسرور العظيم حصلا ، وحمدنا الله على عافيتكم وصلاح حالكم ، وتحققنا ما في كتابكم أن حصل عليكم من الامتحان والابتلاء ما لا يزيد عليه ولا يخافكم أن الله لا يبتلي عبداً إلا أحبه وكفى الأنبياء وهم أكرم الخلائق إلى الله ومع محبة الله ابتلاهم ، ليزدادو خيراً أو قرباً إليه ، والأولياء مقتدون بالأنبياء ، ونحن سرنا ما حصل عليك وبشرنا لتنال به عند الله أعظم درجة ، والحمد لله على ما أولاكم بعنايته

ونحن اطلعنا على أمركم فلا تظن أنه يدخل معنا كلام من هو يحسد لكم فنحن عارفون محبتكم للأستاذ وأنكم قائمون على أثره ، فجزاكم الله عنا خيراً ، إليكم بإحيائكم الطريق ونحن أعجبنا أمركم وفرحنا بوصولكم غاية الفرح . وسلموا لنا على نفوسكم ومن حواه مجلسكم الشريف من الإخوان جميعاً خصوصاً وعموماً من عرفناه ومن لم نعرفه ، والسابق واللاحق ، وعلى الشيخ الكامل محبنا عبد الواحد وجماعته

ومن دلينا الأهل جميعاً والإخوان والأولاد وجميع المحبين يخصوكم جزيل السلام والدعاء وصيتكم . لا تنسونا حال المراقبة والمشاهدة والله يحفظكم ويلي عونكم بمنه وكرمه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريراً في شوال سنة 1273هـ من على بن محمد بن أحمد ابن إدريس – ومن مصطفى بن أحمد بن إدريس عفا الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى أخيه وحبيبه في الله تعالى الأخ الأمين صالح التويم حفظه الله وتولاه وحرسه بعين عنايته ورعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته

وبعد ...

فإن كتابكم الكريم قد وصل وقرأناه وفهمنا مضمونه وما عليه اشتمل . وأوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر آمين يا كريم

وكان من جملة ما ذكرتم لنا أنكم أرسلتم بنا جوابات ونحن لم يأتينا جواب إلا وأرسلنا رده وما ندري عدم وصولها من أي سبب

وأيضاً من ضمن ما في كتابكم أن نسطر لكم جواباً في فضائل الأذكار ، ومناقب سيدي أحمد بن إدريس وفضل الكلمة والعظيمية والتسابيح

أما فضل الكلمة ففي الحديث القدسي : " سأل موسى ربه أن يخصه بعمل قال له يا موسى " قل لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله ، قال : يا موسى لو أن السماوات السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله " . وكيف إذا كانت بهذه الصيغة : لا غله الله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " لو أن قائلاً يقول : لا إله إلا الله لا إله إلا الله وأمد الله في عمره من ابتداء الدنيا إلى يوم القيامة وهي مقبولة منه كانت أكثر منها الأولى بما لا يعلمه إلا الله تعالى . افهم السر في قوله : في كل لمحة ونفس

وكذلك العظيمية . سئل رسول الله r عن فضائلها قال : تزن دلائل الخيرات بألف ألف ألف مرة ن في مرة عدها ثمانية عشر ، ومرة أخرى عدها عشرين ، أعني ألف ألف ألف ، وهي أعظم وأكثر من ذلك ، وهذا تقريب لنا . افهم السر في قوله : في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم

وأما التسابيح كما في الحديث لعمه العباس لا نطيل بذكره

وأما مناقب سيدي أحمد بن إدريس فإن واحداً من أهل الكشف اجتمع بالرسول r وسأله عن سيدي أحمد قال له : وليد أحمد فرد لا كالأفراد ، وجرس لا كالأجراس ، وغوث لا كالأغواث ، فوق الكل وممد الكل ، وذلك نذر يسير عن حقائقه ، فإذا أردت معرفته فعليك بالأحزاب ، وهو فوق ما يقول لأن العالم الرسمي دون قوله ، والعالم الحقي فوق قوله ، لأن الأذواق ، والمعارف الإلهية والحقائق لا تعبر ، لأن اللسان يكل عن ذلك ، وكما أن أذكاره لا تعد فضائلها ، فهو لا يعرف قدرة ومناقبه ألا الله ورسوله .

والسلام عليكم

وكذلك وصل في كتابكم أنكم تريدون الكتب ، المواهب اللدنية والأحياء والشفا ، فعليك بالمواهب اللدنية والأحياء والشفا ونرجو الله أن يجمع لنا ولكم المواهب وما بعدها الظاهرة والباطنة آمين

وبلغوا سلامنا الجزيل على الأخ حسن محمد ومحمد طاهر ومحمد أحمد ومحمد كيتال ومحمد صالح وأحمد رقيم وعلى عبده ابن الشيخ عجيب المانجلك

والأخ محمد ولد التويم والسيد أحمد ولد حسن والأخ مصطفى والأخت أم الحسن بنت ولد قعاش وزوجتكم جمال والأخ عمر والأخ الأمين والأخ خوجلي وخير الله محمد والشريف عبد الله والأخ محمد ولد بتول والأخ عمر والأخ الأمين والأخ خوجلي وخير الله محمد والشريف عبد الله والأخ محمد ولد بتول والأخ محمد بن أحمد معاش والأخ محمد الأمين موسى والأخ محمد نور الهدى ومحمد صالح

ونرجو لكم ولجميع الإخوان خصوصاً وعموماً الفيض التام والشهود الدائم ، وألا يجعل فينا شائبة لسواه آمين

ومن عندنا يقرئكم السلام الإخوان منهم محمد ابن على والأخ عبد الرحيم القرباوي وموسى ومحمد صالح ومحمد المعلاوي وفحل ومحمد أبريمي ومحمود الحجازي وأبو محجوب وعبد الرحمن الحضري ومحمد الشامي . وجميع الإخوان يقرءوك السلام

، والدعاء لكم تجاه الكعبة المشرفة . وعلى الله القبول أنه أكرم مسئول

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى الأخ المحترم الأعز الأمجد الأحشم الشيخ إسماعيل البليابي حفظه الله آمين

أما بعد ..

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرفكم أن كتابكم الكريم قد وصل وفهمنا ما فيه . أما من خصوص أذكار الطريق أعنى طريق سيدي أحمد ، التهليل والصلاة العظيمية والاستغفار الكبير . قال بعض الناس لسيدي أحمد بن إدريس قدس سره : دلنا على من هو أسبق الناس إلى الله فقال : عليكم بالتهليل . وسأله آخر فقال : عليك بالصلاة العظيمية ، وما يفضل عليهما شئ في الأسبقية يعني بالوصول إلى الله تعالى . والاستغفار وقت السحر . والتهليل مقدم على غيره . والأنس يكون بحسب حاله ووقته . فكل ما يفتح له الباب ويحسن منه زيادة الأفعال يكثر من

ومن جهة الأحزاب والحزب السيفي فلكم الأذن في قراءتهما ، ولكن الأحسن أن يكثرمن التهليل و العظيمية لأن الأحزاب ما يدري معناها إلا بعد الفتوح

ومن جهة الحصون التي في الأحزاب يتحصن بها صباحاً ومساء

ومن جهة التسابيح الواردة في السنة وكان سيدي أحمد يشير إليها : سبحان الله وبحمده مائة مرة بعد صلاة الصبح إلى الطلوع وبعد صلاة العصر إلى الغروب . وثوابها كل مائة منها بمائة ألف حسنة وأربعة وعشرين ألف حسنة عدد الأنبياء والرسل

وأيضاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كذلك بعد الصبح إلى الطلوع وبعد العصر إلى الغروب مائة مرة ، وثوابها كل مائة كأنما أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل وكأنما حج مائة حجة ، وكأنما قرب مائة بدنة وكأنما ألجم مائة فرس في سبيل الله ، وإذا زاد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله فثوابها بلا حساب ، وأيضاً لمن ذكرها بعد الغروب وبعد الطلوع ، وإذا ذكرهما في وقتيهما المذكورين يكون أزيد من ذلك لموافقة الآية : " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب "

وأيضاً سبحان الله وبحمده أستغفر الله إن الله كان تواباً سبعين مرة في الصبح فقط بعد صلاة الصبح وثوابها سبعمائة حسنة

ومن جهة ما ذكرت عن المزيد إذا تلقى الذكر من شيخه وتركه مع محبة شيخه وتركه رأساً ثم رجع إليه ، فإذا رجع مقبول ولوفي غير تجديد ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

ومن جهة ما ذكرت من الأوراد الأخرى كالمسبعات وغيرها فلا مانع وله الثواب ، والأفضل الاقتصار على أوراد شيخه ، لأن للسر والمدد فيها

ومن جهة الحول وسببه فإنه أسلوب أهل الحجاز ، أن كل إنسان يصنع ذلك صدقة للميت على حول وفاته ، وما يصنعه ألا أحب الخلق إليه ، ونحن ما أحب علينا من سيدي أحمد أحد

ومن جهة فضله لفاعله والعين فيه والمتسبب فيه ومن حضر في شئ منه فلا يحصى ولا يحصر ولا تسعه العقول ، وما يسعه إلا الإيمان ، ولفاعله اليد العليا عند سيدي أحمد ، لأن أهل الله أهل المروءة والكرم ، فيكافئون من صنع معهم

المعروف بأضعاف كثيرة بحسب مقامهم عند الله ، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً .
وهذا القدر فيه الكفاية

وشدوا حيلكم على التعاون وإدخال الناس في الطريق لحصول النفع للمسلمين لأن أهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في حجرها والحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير ، والمتسبب في الخير كفاعله . وبلغ سلامنا إلى الأخ دفع الله ومحمد عبد الله ومحمد أحمد ، وجميع من لديكم من الإخوان . ودمتم سالمين . ومن جهة الهدية قد وصلت ، وجزاكم الله كل خير ووقاكم من كل شر . وأساس كل شئ تقوى الله العظيم ، وهي إتباع المأمورات واجتناب المنهيات .
والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى الأخ المحترم الشيخ ولد حسين نارتي حفظه الله

أما بعد ..

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرفكم أن كتابكم الكريم قد وصل وفهمنا ما فيه وما عليه قد اشتمل . أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر .

وإن سألتم عنا فنحن بخير بسؤالنا عن كلية أحوالكم أجراها الله على السداد ، ووقفنا وإياكم لما يقربنا في مرضاة رب العباد

وأما من جهة الأخ الذي ذكرت في جوابك أنه أتاكم بكتاب يسمى الميزان ويقول العمل به لازم ، من أين له ذلك ؟. فلا ميزان ألا كتاب الله ، ولا نطلب الهدى ألا من سنة رسول الله r . ومن يبتغ الهدى في غيرهما أضله الله . وهما القسطاس المستقيم . ويا أخي ميزانه أطرحه في البحر إن أمكن ذلك ، ولا تمشي علينا هذه اللعبات

ونحن نخبركم مما من الله به علينا تحدثاً بنعمة الله تعالى ، قال الله تعالى : " وأما بنعمة ربك فحدث " . لو جعلت البحار كلها مداداً والعالم كلهم كتاب لا يحصرون ما أمدنا الله به من العلوم ، ومع ذلك كله تركناه ولا نكتب منه شيئاً خوفاً أن نميل عن نهج سيدي أحمد بشرعة واحدة . وكان رضي الله عنه يقول : " أتيتكم من المحل الذي لا يأتيه الباطل " ويمسك لحيته ويقول : أردد جوابي بين يدي الله تعالى في محضر الرسل عليهم الصلاة والسلام " فقال أبو العباس المرسي وكان غوث زمانه : لو قلت قال الله تعالى حتى ينقطع النفس بالموت لفعلت ، ولو قلت قال رسول الله r حتى ينقطع النفس يعني بالموت لفعلت ، وأترك ذلك كله أدباً مع شيخي ، وأقول : قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وهذا الرجل عامي قد لعب به الهوى ، مثلم كمثل سفينة لعب بهما الموجه من كل جانب حتى أشرف بها على الهلاك . والعجب ثم العجب ثم العجب من أمثالكم كونكم صحبتمونا ، وعرفتم أسلوبنا وتتوهمون في مثل هذا ، لا تمتثلون له ، أما لا فمثل هذا أن ثبت له حال عذره أنه مجذوب والمجذوب لا يصلح للإرشاد بل هو محتاج للتربية . هذا وقد أفدناكم . والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . هذا خطاب من الأستاذ الأكبر السيد محمد بن على السنوسي إلى شيخه الأستاذ الأكبر السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنهما

قال رضي الله عنه بعد الديباجة ما نصه :

واعلم سيدي أنني مذ فارقتكم ومددكم الجزيل هاطل ، وصيب ديمه وابل ، ومما جعلته أنان لما مررنا بحلي أورية مطراً غزيراً وسيولاً عظيمة عمت أغلب أراضي اليمن ، ثم سرنا إلى تخون أرض الشام وهاتف يقول لي : أرأيت هذه الأمطار والسيول كيف صارت في أجزاء الأرض وسوف تحصل بها خضرة يانعة وتثمر بها ثمرة مباركة نافعة . فقلت له : بلى فقال : لكل واحد من زائري قطب العوالم وعين ذات سيد ولد آدم أعظم مما رأيت ، وأجل وأكبر من الإمداد التي لا تخطر بجنان ولا يكفيها لسان وأمور طويلة أنسانيها ما بي من الأمراض

ومنها لما كنا قبالة قنفدة ببير عاجة ، أقبلتم رضي الله عنكم وأفرغتم على شيئاً لا أعرف تكييفه غير أن فيه تثليث ، فهمت منه تحقيق المقامات الثلاث أسلكتموني إياها سلوكاً ثانوياً ، ثم كأنكم نشرتم كل واحد منها نشراً واسعاً لا يستطاع حصره ولو في دهو ر طويلة سيما الأخير ، وكررتم به الإضافة فصار حق اليقين ، وهكذا مع تخافق تجلياتها وتلون أنواعها حتى رأيت أن عقلي كاد أن يطير ن وقد حصل فيه شئ لولا أني كنت وحدي ليلاً لنقل عني أمر طويل عريض ، لكن بفضل الله مددكم جزيل ساتر ، ثم خاطبتموني قائلين : إياك أن تهتم بأمر النجاسة فدعها على مراد الله . ثم لما هال الأمر وطال وصار العقل في طيش وزلزال ، ابتدأتني الحمى واشتد حالها حتى أدهشت من يراني ، وفتر عزمي وانحلت فرائصي ، وحينئذ ذقت بعض معنى قوله تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً " بحيث صرت أرفع للركوب وأنزل إليه ثم كابرت السير صبيحة الوقعة إلى الأحسية فوجدنا بيوتاً فارغة ، فأقمنا بها خمسة أيام والحمى بحالها ، والزاد لا أطعمه إلا الماء واللبن أن وجد أحياناً ، وفي اليوم الرابع من نزولنا ذلك بين ظهره وعصره وقعت أمور طويلة عريضة من جملتها : أقبل رجل مرفوع بين السماء والأرض طائر بلا أجنحة ولا ريش إلا أن حركته ثقيلة

ضعيفة ، ولا زال يدنو مني وأشاهده عياناً حتى لمس يجنبه السرير الذي نحن عليه فسألته عن حركته فقال : أني ضعيف جداً فيما ترى ، ومما من الله على وجدناك في طريقي ، فإن من دنا منك أو لامسك كملامستي هذه حصلت له قوة عظيمة لا تحصل لأحد ولو بعبادة الدهر كله ، أو كما قال ، ثم انفلت من عندي في الجو كأنه السهم لا أسرع منه ولا اقوى وكأنه بريد اقليم والرجل مسن أشيب ، ثم جاء اثنان يريدان ما أراد وهما ماشيان أحدهما أشبه شئ بأخينا الطيب التازي ، وليس به إلا أني توهمته أولاً أنه هو لشدة ما بينهما من الشبه

ثم انسلخت روحي من هيكلي أو تعدد الهيكل وطرت في الجو طيراناً مسرعاً يسبق خطف البصر حتى دخلت عندكم وجلست عند منكبكم الأيمن ، ورمت السلام عليكم ، فسمعت بعض حركة لأهل البيت في طرف المكان كأنهم يناولون شيئاً في خدمتكم ، فخرجت مسرعاً وقد حصل المقصود برؤيتكم ، وعلمي بعلمكم إياي لعقيدتي أنكم أنتم الجالبون لي

ثم توجهت نحو المدينة ، وإذا نحن بالروضة فرمت الوقوف من وراء الستور كلها حيث كانت الصحابة تقع أقدامها ومنعني الأدب فاكتفيت بموقف العامة ،

فلما قضيت المراد ورجعت إلى الأحسية وفي كل ذلك أني لا أظن وأتيقن أني جئتكم ، وجئت بجميع هيكلي إلا أني سألت الإخوان إذ ذاك فعلمت أن ذلك إنما وقع بالروح أو تعدد الذوات ن ولما رجعت إلى الأحسية فوضتم إلى إمداد الإخوان ، فابتدأت بمن معني إلا أن بعضهم أفرغ عليه منه حتى يغيب فيه ولا يحصل منه شئ ، والبعض منهم يقبله كله ، والبعض بعضه ، ولا زلت كذلك ، وإذا برجل من أهل السلا أو الرباط من الذين يلبسون الجلابيب السود تطاول على من مكانه يريد أذيتي ماذا عنقه فاغراً فاه كأنه يريد ابتلاعي أو ينفخ على فيذرني قاعاً صفصفاً ، رجلاه ببلده ، ورأسه عندنا بالأحسية ، وما أفزعني ذلك ولا أهالني منه شئ إلا أن الله حرك يدي مشيراً بها إليه بإرادة قصم رأسه من بدنه ، فانقطع رأسه وفاه فاغر ، وبقي رأسه عندنا بالأحسية ورجلاه ، وهو ممتد على الأرض كالثعبان

ثم غابت غني ذاته ورأسه جميعاً ، وهذا كله وبعض الجماعة الغشم الذين لا يعرفون حالي قريباً مني يتحدثون يريدون إفاقتي وأنا أسمعهم وأفهم كلامهم ، وتزايدت على الأمور وتراكمت فزجرت الإخوان عن حديثهم فأطالوا في الكلام . فانقطع خلال ذلك أمور طويلة عريضة

ومنها أننا قبل أن نصل إلى ...... بنحو اليومية أقبل رجل من أهل المغرب بعد رحيل القافلة ، وهو على فرس ذكر أزرق خاطف العرقوب ، وبيده رمح طويل وهو راكض فرسه مغير كأنه يريد النصرة لنا ، فركبت معه فرساً لا أقدر الآن على وصف ، وإذا بجمع في جم غفير يريدون صدنا عن الطريق فالقتال من أكابر أولياء ذلك المحل ونواحيه ونواحي القنفدة ، فأقبلت عليهم نحن وذلك طعناً وضرباً بالسيف حتى انهزموا جميعاً في أسرع من ثمن الساعة أو أقل ، ورأيت واحداً من الإخوان معهم وقد اصابه شئ من جراحات السيف فلقيني فأردت كلامه ، فتسدد عني حياء من قتاله لنا ، فتفكرت في أمر هذا الرجل فعرفته بعد وإذا هو أخو جدي التاسع ولد سيدي عبد الله الذي أخبرتم يحضرني بعض أحيان وهذا يذكرون من ولايته أمراً عظيماً ويصفونه بأنه كان أحد الإمامين الخاطبية ، والله أعلم بغيبه

ومنا : أننا لما وصلنا طرف الشارقة واشتد الحال فرمنا النزول عند الشريف على بن راجح للشدة التي اصابتنا ، فلما نزلنا في محل وسالنا وأخبرنا بمكانه قلنا : غداً إن شاء الله نذهب إليه ، ثم رفع لي السرير وأبعدوه منهم لمكان قضاء

الحاجة لموجب الإسهال الذي معي ، فلما استقريت بمكاني وانفصل عني وإذا بأهل العناية من أشراف بني حسن يتحاورون في أكرامنا ونزولنا عند من يكون ، وفهمه منهم أنهم كرهوا نزولنا عند على بن راجح المتقدم ، ثم انصرفوا ، وإذا أنا بالسرير تحتي تحرك واهتز حتى شعرت بأنها حركة غيبية ، ثم رفع في الهواء وأدخل مكة وقصد به البيت الذي به أهلي فأنزل وسط الحوش وأنا خائف أن يشعر بي أهل البيت أعني النائمين به من الإخوان فإني أرى أشخاصاً نياماً ، ثم رفع وأدخل الحجرة الشريفة ، فنزلت من فوق السرير ، وجلست في الأرض ، وخرج الرسول r من وراء الستور ، وسلم على وهون ما بي ، ثم اجتمع إذ ذاك خلق كثير لا أحصى عدده ، وكانت الآفاق كلها بين يديه ونحن نشهد قربها كأنها في طرف المجلس لما أرى من إصغائها لقول الرسول r وهو يقول : هذا ولدي ، وهذا نخبة أولادي ولدي أحمد وخليفته ، فمن أخذ عنه وأدخل حزبه أو أخذ بيده فقد أخذ عنا وأدخل حزبنا وأخذنا بيده ، ومن آذاه فقد آذانا ، ومن أكرمه فقد أكرمنا ، وسوف يمد الله في عمره حتى يفتح الله به أعينا عمياً وآذاناً صما وقلوبا غلفا ، وذكر أموراً طويلة عريضة بعضها نسيته وبعضها استحييت أن أذكره لعظمه وانحطاط قدري عنه ، ولما فرغ r من قوله وأذن بالرجوع فرفع السرير كأنه ذو

روح عاقل ، فأردت زيارتكم ، فأنزلتني برحابكم من صبيا حتى برد غليلي ، ثم ردني لمكاني الذي أنا به مع الجماعة ، فلما أصبحنا تركنا أمر الذهاب إلى ابن راجح وتحملنا المشقة من حيننا إلى بئر الشاقة المعروفة بحادثة لعذوبة مائه ، فنزلنا قريباً منه ، فهذب رفيقي ينظر لي في قريبة لعله يجد لي مكاناً وإذا أنا بكم رضي الله عنكم عندي ومعكم جماعة من الأولياء وهم يقولون لكم : أثقلتم عليه خففوا عنه . فقلتم لهم رضي الله عنكم : هذه حصة الأكابر لا ينقص منها شئ ، فقيل لكم : وهل هذا من الأكابر . فانتهرتم القائل وقلتم : هل مثله أحد أو على وجه الأرض كبير مثله ، فاستكثر السائل ذلك واستكثرته في نفسي وقلت :/ هذا له تأويل عندهم ، واشتد بنا المرض هناك ، فأقمنا بها ثلاثة أيام ، ثم رحلنا قاصدين الليث فكنت جالساً ورأيت شيئاً نازلاً من السماء عظيماً فخفت منه وأنا في صلاة العشاء ، فسجدت فقيل لي : هذا قصدك إن لم تعتقد ما قاله لك أستاذك وأنت بالشاقة على حقيقته ، أو كما قال ، وإلا وقع عليك ، فاعتقدت حقيقته وحقارة نفسي ، فاستحال ذلك السواد بياضاً ، وحل بي حتى تشرب منه بدني ، وأتممت الصلاة قائماً بعد أن كنت أصلي جالساً من منذ مرضت

ولما وصلت كنت في بعض الليالي وقع بي أمر هائل فرأيت سيدنا عزرائيل عليه السلام في قصة طويلة فسألته عن نفسي هل جاءني لقبضها ؟ فقال لي : أجلك بعيد إنما بقى لك ثلاثة وثلاثون سنة لتذكر الله فيها ، أما كما قال : فتذكرت قول الرسول r : وسوف يمد الله في عمره .... إلى آخره ، مع أن الغالب عندي ما كنت أظن إلا أن الأجل قد حضر لما اراه من شدة المرض وأهواله الشاقة ، وإذا جاء وقت الرحيل قاموا إلى الفر فعرفوني فوقها فأجلسوني في السرج فأقول : يا سيدي أحمد فتسير الفرس ويحصل لي انتعاش ثم نشاط كأني صحيح ، ولا أزال كذلك أسير نحو من ساعتين ونصف أو ثلاث ساعات وتذهب القوى فينزلوني وهو نصف المرحلة وغداً كذلك وهكذا ، ولذا سرنا أربعة عشر يوماً في مسير ثلاثة ايام ، فلولا مددكم والالتجاء إليكم ما كنت أصل الليث ، ولا أتحول من مكاني الذي أصبت فيه ، فالأمر منكم بدءاً وإليكم عوداً والله منشئ الخيرات كلها . رضي الله عنكم وأرضاكم بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وصديقه الشيخ مكي ابن عبد العزيز أعزه الله بولايته الكبرى في الدنيا والآخرة آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد ...

أسعدك الله وأسعد بك . قد وصلنا مكتوبكم أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده أبداً

والحمد لله على عافيتكم ، ثم اعلم أعلمك الله بخير أني ولله الحمد أدعو لكم بخير ولمن تعلق بكم من الأهل وغيرهم

وأوصيك يا أخي بتقوى الله والتزام طاعته ، فإن العمر نفيس عزيز وضياعه في غير طاعة الله وبال وخسران . أعيذ نفسي وإياك من ذلك

وقد سألتني أيدك الله عن تقطير الماء للمحتضر وقت النزع ، قد شاع فعله شرقاً وغرباً ، ولا أعلم فيه من رسول الله r أمراً ولا نهياً ، إلا أنه r لما حضرته

الوفاة كان يضع يده في الإناء وفيه الماء ويمسح بها وجهه ويقول : " سبحانه الله ، إن الموت لسكرات اللهم أعني على سكرات الموت " ولا بأس بفعله أن ظهر على المحتضر يبس في فمه أو عطش

وسألت عن كتابة الأوراق فيها أسماء الله تعالى وشئ من القرآن ، ووضعها مع الميت في القبر ، لم يرد أن رسول الله r فعل ذلك ، ولا فعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، والذي لم يفعله الرسول r ولا أصحابه لا خير فيه ، والسلام عليكم

ثم اعلم يا أخي أن الدنيا راحلة ولا غنيمة فيها إلا طاعة الله ، وأعظمها أجراً ومنفعة عند الله ذكر الله ، فعليك بذكر الله سراً وعلانية ، قال سيدنا ومولانا رسول الله r : " ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده : الذاكرون كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله تعالى "

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين لا شغل لهم إلا بالله ظاهراً وباطناً دائماً أبداً سرمدا آمين

وله رضي الله عنه وأرضاه

من أحمد بن إدريس إلى أخيه بل ولده محمد عثمان أيده الله بتأييد الرضوان وجعله من خاصة عباد الرحمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في حضرة الإحسان آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

فاعلم ايدك الله بروح منه ولا أخلاك وقتاً عنه : أن طريق الله مبنى على الجد والاجتهاد حتى يتخلص العبد لربه ، ولا تكون الرئاسة ، فإنهما سببان قاطعنا عن الحق ، ومعلوم ما أخبر به الحق عن رسله عليهم الصلاة والسلام من قطع مادة الطمع ، وكل واحد يتبرأ ويقول : " وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين " وما سقط من سقط من الفقراء المنتسبين إلى الله تعالى إلا بحب الرئاسة والطمع في الخلق ، وصار أمرهم دنيوي لا ديني ، وأعيذ نفسي وإياك ممن هذا حالهم ، فاحترس من ذلك غاية جهدك ، والله ولي توفيقك ، وما أحتاج

فيك إلى وصية ، وما كان القصد من طلبنا لك في الحضور عندنا إلى للتخلص من هذه العلل . والسلام عليك وعلى جميع أولادك وجميع الأهل والإخوان ورحمة الله وبركاته

وعند وجهنا إليك فرجيتنا التي كنا نلبسها ، نسأل الله تعالى أن يكون فيها الإشارة إلى الفرج العام الذي يعم الخاص والعام .. آمين آمين آمين . الله الله الله في قطع الشوائب والعلائق ، والوقوف مع الله على قدم الصدق حتى يتخلص العبد بكليته للحق

وفي الكتاب الذي وجهناه إليك لما قدمنا إلى اليمن وأنت في ناحية السودان كفاية ، وقد وصل ذلك الكتاب إلى أقوام فانتفعوا به غاية النفع ، وعلموا به حقيقة طريق الله على أي شئ هي ، فعليك به ، فإن ذلك الكتاب لما اطلع عليه من هداه الله وعلت همته في الله انتفع به غاية النفع والله المستعان

وله أيضاً رضي الله عنه وأرضاه

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه وحبيبه ووليه محمد عثمان ، كان الله له كينونة أهل الإحسان ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ...

فقد وصلنا كتاب من أخينا محمد بن السنوسي يستأمرنا في نفسه من جهتكم وما عمدناه عليه ليستعين عليه بالله عز وجل سواء كان أنزالكم منزلتنا والتأدب معكم على مقتضى ذلك ، والمصاحبة على وجه المناصحة ، أو كف نفسه وتسليم أحوالكم لكم ، فأجبنا عليه بالنصح لله وفيه ، وهذا كتابنا منا لك

فاعلم أيها الولد أن الله عز وجل لم يوص عباده الأولين والآخرين ألا بتقواه قال تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله "

ولما كانت التقوى أيضاً تحتاج إلى اقتباس من أهلها قال لنا : " اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " يعني في التقوى ، لأنه ليس كل من ظهر له التحقيق بذلك هو كذلك في نفس الأمر حتى يختبر نفسه بصحبة من تحقق بتقواه ، فإن الذهب لا يتميز خلوصه حتى يعاير مع ذهب قد خلص ، فإن جاء عياره كعياره وجب قبوله

واقتناؤه ، هكذا شأن من كانت له الرغبة في الله لا يزال مستغرقاً وسعه في إخلاص عبوديته لربه ، وينظر إلى من هو أعلى منه ويشمر عن ساق الجد وساعده ليلحق بالسابقين ، ولا ينظر لمن هو أدنى منه فتقنع نفسه بما هو غيه ويبقى واقفاً . والقناعة من الله حرمان

فإذا عملت بذلك فإن كانت الهمة كما نعهده فيك فلا يكن أمراً أهم عليك ولا شيئاً أحب إليك من صحبة أخيك محمد ابن السنوسي ، فعليك به ، فاتخذه صاحباً صديقاً ، فإنه قد انسلخ من نفسه انسلاخاً كلياً كما تنسلخ الحية من نفسها ، فهو في أمر عظيم من الله في نفسه ، ومع ذلك لا يرى لنفسه شيئاً ، وهمته طالبة المزيد من الله تعالى ، فإذا صحبته فأنزله منزلتنا لكونه نسخة صحيحة منا ، ومنحاش بكليته إلينا لا رائحة أجنبية عنده ، وبنظرك

له بتلك العين تتمكن من بذله لك النصح وقبولك منه ، ونحن قد أمرناه أن لا يدخر عنك نصيحة ينصح بها أعز حبيب في الله علينا وعليه ، فاصغ له بإذن واعية ، وستحمدني على ذلك من الله تعالى ، وتجد معه ما تجد معنا إن شاء الله

تعالى ، وتعرف ذلك في نفسك حينئذ ، ومن عرف الشئ من نفسه لا ينكره ولا يفتقر في علمه إلى أخبار خارجية

واعلم أننا ما قلنا لك ذلك لنحط من قدرك ونذلك ، بل لنرفع ذكرك ، ونتمم نورك ، ونديم بالله سرورك ، نصحاً لله نصح الحبيب المبر بحبيبه ، فتصاحبا في الله حتى يجمعنا الله عز وجل بحرمه الأمين قريباً غير بعيد أن شاء الله تعالى فاصحبه صحبة الذين يريدون بصحبتهم وجه الله

وطريق الله يحتاج إلى الرفقة والتعاضد والتناصر على الأعداء القاطعين عن الله . فلا يؤخرك عن ذلك شئ من الموانع أن أردت الفلاح التام . ومثلك يكفيه الإيجاز فضلاً عن الإطناب هذا وأنت منا بالمكان الذي أنت به . والله وليك ومؤيدك والوكيل عليك . والسلام عليك وعلى من لديك وحرمة الله وبركاته

ولسيدنا ومولانا السيد محمد بن على السنوسي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

إنه من عبد ربه محمد بن على بن السنوسي الحسني الإدريس إلى أخيه في الله وصاحبه من أجله وصفيه ووليه ونهاية وده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه

وبعد ..

فإن تفضلتم عنا بالسؤال فنحن بحمد الله في أحسن حال سوى ما حل بنا من فقد الأستاذ . يعوضنا الله وإياكم في مصيبتنا خيراً فإنه قد صار إلى رحمة الله تعالى يوم الواحد والعشرين من رجب من سنتنا هذه سنة 1253هـ وقد كنا ارتقبنا مجيئكم في هذه الأعوام فما أراد الله ، فبادر أن تيسر لك الأمر إلى زيارة بيته الحرام ، وزيارة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

واعلم أن الذي أوصى به نفسي وسائر إخواني وصية الله في الذين خلوا من قبل : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " ، والعكوف على بابه والانحياش إليه ، والغيبة في جنابه ، بحيث يرى ويشهد بكل مسمع ومشهد والغيبة عن الرائي والسامع بصيرورته الرائي والسامع بشهود الحق في

عين الخلق والخلق في عين الحق على سبيل : " لا يزال العبد يتقرب إلى بالنواف حتى أحيه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به " .... الحديث .

واحذر اخواني كلهم التدابر والتنافر والتفاقم والتشاجر ، وإياهم والاختلاف والزيغ والانحراف ، وقد قال تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "

وقال تعالى : " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ "

وأوصيهم بالتوادد والتحابب لخلص الأصحاب وخلاصة الأحباب ، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب . وليحذروا من غير أبناء الجنس ممن يوقع فيهم وهن الطريق ويوليهم العكس ، فلقد بلغني عن أفراد رجعوا عن الطريق بسبب اختلاطهم بمن يرومهم بإشغال التحريف وشواغب التمزيق ، فكونوا على تمام حذر من غير إثارة فصول كدر ولا مكر ، وفلا تغرنكم الزخارف الغالية والحالية ، وتدعون ما أنتم عليه من الحق الصميم والصراط المستقيم ، فإن طريقكم طريق الرسول التي لا يعتريها زيغ ولا أغول ، وجنا جني إمدادها داني ، وسلسبيل لذيذ

شرابها مرئ هانئ ، فعضوا عليها بنواجذ العزم ، واكتبوها بنواهد الحزم ، ومن أراد تحقيق ذلك فليشمر عن ساعد الجد لما هنالك إلى أن يحظى بما يبهر العقول ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وأما من كان أمعة في الرجال مصنع لتزاوير تمويهات القال فلا يأتي منه شئ وليس من الله في شئ

إذا بلغكم كتابنا هذا فعليكم باستعمال أساس الطريق جميعكم ، مجددين التوبة إلى الله مستمدين معترضين لنفحات الله ، ملازمين أذكاركم على سبيل الانفراد والاتحاد بدون جمع أعداد لما كان عليه الرسول وأصحابه صلى الله عليه وسلم مع تعهد أحوالكم وترقب ما عساه عارض بمسالككم ، ونهض فاتر عزائمكم بعكوف الخلوات وآداب عمارة القلوب في الجلوات فإن السعيد من وجد من يأخذ بيده عند الزلات ويذكره صوادم الغفلات

وكونوا جميعاً عباد الله اخوناً في تمام التعظيم والاحتشام والتوقير والإكرام والتحابب والتباذل والتناصح وعدم التغافل ، وما أشكل عليكم فردوه إلى الله ورسوله

وإياكم ونصرة الانفس بزايف المقول ، فإن مبنى طريقنا على خالص المتابعة وترك المراء ، وشغايب المدافعة ، واتباع الحق ، حيث ظهر من كل أحد عظم أو صغر على أي وجه كان تعلماً أو تعليماً ، قال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما "

وقال عليه الصلاة والسلام : " الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه "

ولقد عهدنا إليكم باتخاذ زاوية تأوون إليها ، وتذكرون الله فيها . وتجدون قلوبكم عندها ، ولو من خالص الإخصاص ، ليتم لكم تمام الاختصاص ، ويتوفر الإخلاص ، ويختلي فيها أرباب القلوب ليحظوا بالمواهب ونيل المطلوب .

فمن يرد طريقتنا الإشراقية ، وينال بها مرامه من طريقتنا البرهانية ، فلقد أمرنا بأمر الأستاذ كافة الإخوان بلزوم قراءة مثل : صحيح الموطأ ، وبلوغ المرام في الحديث ، ورسالة ابن أبي زيد في الفقه ، وبقراءة الرسائل السبع في التصوف التي هي : الرائية والهائية في خالص السلوك والفضيلة ، والحاتمية ، والرسلانية ، والفصوص في خالص العرفان والبرزخ بينهما الزهد ، والحكم العطائية مرتبة

الأبواب أو بدونها ، فإنه لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله وبدليله ، والأولان في كل منهما ما ينيف على الستة عشر والسبعمائة من الأحاديث الصحيحة المستوفية لسائر الأبواب . وفي الرسالة نحو أربعة آلاف حديث ، كذلك بستمائة بلفظها ثلاثون مائة بمعناها محررة مهذبة منقحة عالية الإسناد إذ ما بين مؤلفها وبين الإمام ألا شيخان خاصة . وأما الكتب السبعة المذكورة فهي خلاصة ما يتعلق بمقام الإحسان ، وما يؤدي إليه من المقامين قبل المراد من قوله : " اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ... الحديث . تجدوا أنتم حظكم من ذلك على حسب ما استطعتم

وأبشروا بالإذن والفتح التام من الأستاذ الإمام خاتمة العارفين الأقطاب العظام

وإياكم ومن يزهدكم في العلم ممن لا خبرة له بما عليه أماثل القوم ، فإنهم على فريقين : إشراقية وبرهانية ، فأصحاب الأولى دأبهم تصفية النفوس من الأكدار ، وتوجيهها نحو الحق لتمنح المعارف والأسرار بدون تعلم ولا تعليم من بابا : " واتقوا الله ، ويعلكم الله " وأصحاب الثانية دأبهم إتباع الأوامر ، واجتناب

النواهي ، واقتباس العلوم الأربعة : التي هي علوم الذات والصفات ، والفقه ، والحديث والآلات ، حسبما هو مبين عند الشاذلي وزورق رضي الله عنهما

وطريق أستاذنا رضي الله عنه جامع بينهما . فمن أراد الإشراقية سلك به سبيلها ، ومن أراد البرهانية سلك به سبيلها ، وهي الأغلب على أحواله في نفسه لكونها أفضل الطريقين من حيث أنها أغلب حالات النبي r ، وغالب أصحابه

والأمر الذي أمرناكم به ويكون معيناً لكم على سلوك السبيلين باقياً فيكم إلى يوم الدين ، فاسلكوا سبيل الاتباع واتركوا ما عداها وأن استوى على سوقه " فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " فتيقنوا واستيقنوا وثبتوا واستثبتوا . وعليكم بمذاكرة الصادقين من ابناء الجنس الصالحين ، فقد قال عليه السلام : " إن الإيمان يختلف في جوف أحدكم كما يختلف الثوب على ظهوركم ، فتعلوا اليقين بمجالسة أهل اليقين " . من الله علينا وعليكم بتمام الإيقان والإحسان بحيث لا نرى ولا نشهد إلا الكريم الديان بمنه وكرمه آمين

وله رضي الله عنه وأرضاه

إنه من عبد ربه سبحانه محمد بن على السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي إلى أخيه في الله وصفيه وحبه ونهاية وده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه

وبعد

أخي : فالمطلوب منا جميعاً إقامة ما خلقنا لأجله من العكوف على التزام محققات العبودية ، واجتناب دواهي منازعات الربوبية ، بتعمير ظواهرنا بالآداب على متابعة أفعال وأقوال عبده الأكبر وصفيه الأنور r ، وتعمير بواطننا بمراقبته تعالى في جميع حركاتنا وسكناتنا بحيث لا نفعل ولا نقول إلا ما نعلم أنه يرضيه عنا ، وندع كل ما سواه ، ونخلص ديننا من شوائب الأكدار وملاحظات الأغيار ، بحيث يكون نصب العين في كل مشهد بكل ما يرى ويشهد ، ونشهده في ذلك الشهود إلى أن يغيب الشاهد في المشهود ، أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون ، فإذا شهدته كانت الأكوان معك

وسبيل ذلك التزام الطاعة ، والمساعة إلى نوافل الخيرات على سنن النبي والنهج المصطفوي من باب " لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وفؤاده الذي يعقل به ، ولئن سألني لأجيبنه "

ولا سبيل إلى ذلك السبيل إلا بالدخول من باب العلم الشرعي من حديث وتفسير وفقه على الوجه الأكمل الذي كان عليه السلف وورثه عنهم الخلف ، وهي طريقة الكامل من البرهان والعيان ، وهي أفضل الطريقين وأكمل الفريقين

أو بالدخول من باب المجاهدة ، وارتكاب مشاق المكابدة بمخالفة النفوس ، وأذاقه البؤس ، وملازمة الأذكار آثار الليل وأطراف النهار ، حتى تنقدح الأنوار في قلب الذاكر فيستنير منه الباطن والظاهر من باب : " أن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسخ . قيل : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ : قال التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الفوت " ، ويستفيد العلوم منه به إليه ويستغني عن المعلم في كل ما يؤول أمره إليه من باب :

" واتقوا الله ، ويعلمكم الله " ، وما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا وعلمه ، وليس العلم بكثرة الروايات ، إنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء ، وهي طريقة الإشراق

فاختر لنفسك أي السبيلين تريد للوصول إلى الله به فإنه سبيل حق ، وإياك والخروج عنهما وسلوك غيرهما بالإهمال مع الغافلين المكبين على الأكوان الذاهلين ، فقد ورد : " من سجد وقلبه ينازع في أمر فإنما سجوده لما كان في قلبه "

وورد : " من أحب شيئاً كان له عبداً ، تعس عبد الدينا ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش "

وفي الحكم : " ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً " وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً

وإياك أن تطلب على عملك جزاء عاجلاً أو آجلاً ، أو تشهد أن لك في ذلك العمل أثراً . فتشرك بخالق القوى والقدر ، فإن الإخلاص له مراتب : فرتبة إخلاص العوام عدم طلب الثناء والسمعة ن ورتبة إخلاص الخواص عدم طلب

الجزاء الآجل أو المقامات المرتفعة ، ورتبة إخلاص خواص الخواص التبري من الحول والقوة ، وهي رتبة الكمل من أهل الفتوة ، وأعلاه رتبة كمال الموحدين غيبتهم عنهم فيمن له ، شاهدين باضمحلالهم في مشهودهم وافتقادهم مع وجودهم ، يعطون كل ذي حق حقه على الوجه المحمدي بطريق الإرث الحالي المشهد ، من الله علينا وعليكم بالإرث النبوي والعرفان الأحمدي المصطفوي ، إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير . والسلام .

وله رضي الله عنه وأرضاه

الفصل الثالث : رسائل من تلاميذه

إنه من عبد ربه محمد بن على بن السنوسي إلى أخيه ووليه وقرة عينه ونهاية وده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه

وبعد ..

عليكم ببذل الوسع في تمام التوجه إلى الله تعالى ، والانحياش إليه بالكلية قلباً وقالباً ، حتى لا ترى ولا تسمع ولا تشهد سواه ، فافن عنك وافن عن فنائك باقياً به في فنائك ، معطياً كل ذي حق حقه جليله ودقيقه على منهاج مجابه الأعظم ورسوله الأكرم ، مكسياً ظاهرك بمجاهدته ، ومحلياً باطنك بمشاهدته ، فاستعن به على طاعته . جعلك الله هادياً وارثاً كلياً . إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير آمين

والذي أوصي به نفسي وإخواني تقوى الله بإتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده بأعمال الظواهر بالمجاهدات ، وإغمار البواطن بالمشاهدات . فعليكم إخواني بشهود الله ، وإتباع السنة على سنة خير أمة يهدون إلى الحق وبه يعملون ، وبه يحيون وعليه يموتون

فإن مراتب السلوك غالبها يمكن فيها بأنواع المجاهدات وارتكاب مشاق المعاناة . ألا إن أعلاها وأكملها وأنهاها هو تجلي الذات ، فليس لطامع فيه مطمع

وأن علت رتبته إلا بمتابعة الرسول r في الحقير والجليل والكبير والصغير موقع القدم على القدم ، والحجر على الحجر

فشدوا إخواني حياذيمكم عليها صابرين على مهام حبها ووقع صلبها ، والمرجو من ذي الفضل الكريم أن يسلك بنا وإياكم سننها على الصراط المستقيم أنه بر رحيم عفو كريم

وإن سألتم عن الإخوان فهم ولله الحمد بخري جزيل وإقبال على الله . ولقد هذبهم السفر ، وأزاح عنهم كل شين وضرر فلم يبق فيهم لغير الله مأوى ولا لسواه شكوى

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه الشيخ مكي ابن عبد العزيز . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فاعلم أن الذي أرجوه لك من الله خيراً كثيراً لا نهاية له ، وقد بشرنا في إخواننا كلهم خيراً كثيراً وأنت ولله الحمد من خواصهم عندنا ، والله المحمود على كل ذلك

وأما ما ذكرت من أمر الجمعة فإنها صحيحة وإن لم يضق المسجد الأول ، وكل ما قيل غير ذلك فلا اصل له . والكتابة وقعت على عجلة . والحمد لله الذي جمع بينك وبين رسوله حتى سمعت منه r أننا وإياك على السنة والحمد لله على ذلك . والسلام على جميع من يلوذ بك من أولاد وأهل وإخوان والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه الشيخ مكي ابن عبد العزيز . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

فإنك أيها الأخ سألت عن أشياء عرض عليك فيها أشكال ، واعلم أن الشريعة المطهرة لا معارضة فيها ولا أشكال إلا في فهم الذي ما عرفه الله حقيقة الحال

وحقيقة الفقه الذي قلت فيه لا نأخذ مسألة من مسائل الصلاة وغيرها . فالعم أن حقيقته هي أقوال رسول الله r فركض جبريل عليه السلام برجله فنبع ماء ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، والنبي r ينظر إليه حتى فرغ ، وجميع مسائل الوضوء مجموعة في هذه الكيفية بنظر العيان لا بنعت اللسان ، فإن المعاينة أوضح من كل قول عند الفطن والبليد خلاف القول . قال في الصلاة r :" صلوا كما رأيتموني أصلي " . فمن صلى معه r مرة واحدة أو مرتين أو أكثر علم جميع كيفية الصلاة علم عيان لا يشك في شئ منه ، وقد عين النبي r أحكام الزكاة حكماً حكماً . وحج r وقال : " خذوا عني مناسككم " ، فهذا هو عين الفقه الذي أرسل الله به رسوله

وما أشكل عليك في الحديث من كون الصحابة كانوا مسافرين معه r في رمضان فقالوا : " منا الصائم ومنا المفطر " فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم . هذا كان في أول الأمر ، ثم بعد ذلك لزم على الناس الفطر وهي القضية الأخرى التي سافر فيها في رمضان فأفطر r وأفطر معه بعض القوم وصام بعضهم ، فقال في الصائمين : " أولئك العصاة ، أولئك العصاة " . وقال r : " ليس من البر الصيام في السفر " فإذا لم يكن من البر فليس هو طاعة

. وقال r في حديث آخر : " الصائم في السفر كالمفطر في الحضر " فليس بين هذا وبين ما تقدم تعارض ولا أشكال

ثم اعلم يا أخي أعلمك الله بكل خير أن الأشكال الذي يقع لك في بعض الأشياء لا تنقطع مادته من القلب من جميع الوجوه إلا بالمواجهة حتى تعرف كل شئ في محله على أصله

لنسأل الله أن يهيئ لك الأسباب حتى تأتي إلى هاهنا فتعلم حقيقة الحال الذي لا إشكال معه أبداً آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده محمد عثمان نظر إليه بعين عنايته الرحمن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فقد وصلت كتبكم من رسولكم . فالحمد لله على عافيتكم . أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر وسلطان تجليه الأعظم الذي لا حجاب بعده أبداً

ثم اعلم أعلمك الله بكل خير أنا قد بعثنا إليك العام نحضك على القدوم إلينا ، فإلى الآن ما وصل أوان المجئ لأجل تلقيط ما بقي لكم من الرزق هنالك

وقد وكلناك إلى الحق سبحانه وتعالى حتى يزعجكم إلى القدوم بالوارد الإلهي القهري الذي لا يمكن معه التخلف ولا يمكن مع العذر ولا الانفكاك بوجه من الوجوه ، ويتولاك في بيان الأمر كما تولانا فيه ، ولك البشرى وللإخوان جميعهم بما ترجوه من خير مولاكم

والوصية الجامعة لك ولهم وصية الله في الأولين والآخرين قال الله عز وجل : ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " ، فالله يحققنا وإياكم بتقواه حتى نكون من الذين قال فيهم جل وعلا : " أن الله يحب المتقين "

وقد قال سبحانه وتعالى : " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره ... " الخ الحديث ، فإذا صار الحق سمعاً وبصراً صرنا حقاً كلنا كما يليق بالجناب المقدس

وقد أمر الأخ ابن مالك بكتابة الخلوة لكم فكتبها والحن فيها كثيراً . عسى الله أن يهديكم إلى فكها . ولا شك أن الخلوة إن لم يحصل فيها فتح يحصل منها صفاء القلب ، ويحصل فيها المبشرات . وأما فتوحكم الذي يحصل معه التجلي الكلي ورفع العطاء عن ملكوت السماوات والأرض فما يحصل ذلك إلا بعد حضوركم عندنا

والسالم عليكم وعلى جميع من يلوذ بكم من الإخوان ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وثمرة فؤاده عثمان بن محمد ابن أبي بكر عبد الله الميرغني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

أسعدك الله بعنايته ووقاك شر خليقته آمين

اعلم يا ولدي أن أهل زمانك وإن تملقوا بظواهرهم فقلوبهم محشوة بمقاصدهم الضيفة التي لا تفيد في جانب الله شيئاً . وما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يصبر نفسه إلا مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وصحبة أو باش الناس الذين لا يريدون في صحتهم الله ورسوله سموم قاتلة لحينها للدين إلا أن يعصم الله ، فتحفظ من أهل زمانك جهدك ، فإن ودهم ليس بخالص لله ، والله يعصمك من الناس .

وأما ما ذكرت من التوجه إلى السودان ففيها متاعب كثيرة ، وفيها بعد المسافات وتطويل في الزمان . فإن أمكنك التخلص من ذلك فتخلص . وأما صلحاء السودان فقد كثرت عليهم الأثقال وأرادوا أن يحملوها غيرهم ويستريحون منها ، وأهوال هناك عظيمة وفيها بعض منافع للناس . والله المستعان

. وهديتكم المباركة قد وصلت ، مقطع القماش وكذلك العمامة . أوصلك الله إلى رضوانه ودار السلامة آمين

والسلام عليكم من جميع من عندنا ، والسلام منا على الشيخ صادق وعلى جميع من يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه ووليه وصفيه الولي محمد بن مجذوب جذبه الله بتجليله إليه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

فالواصل إليك حامل الكتاب وهو رجل من علماء الهند ، وهو من إخوانك المحبين ، فلاحظه بما ينفعه في طريق محبة الله . وسلام منا على جميع الإخوان

والكتابة عن عجل . وقد أرسلنا إليك كتبنا قبل هذا عسى أن تكون وصلتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده

ثم اعلم أيها الأخ أني عزمت أن أرسل إليك الحزبين العظيمين المسميين بالورد الأحمدي والسر السرمدي ، ويسميان أيضاً بالسر الأعظم والكنز الأكرم فأمرت بعض الإخوان بكتابتهما فكان مريضاً ولم يأتنا بهما عند الإرسال ويصلان إليكم إن شاء الله تعالى

واعلم أن كل ما يرد عليك من المبشرات اكتبه ولا تضيعه ، كان r إذا صلى الصبح قال للصحابة : " من رأى منكم رؤيا فيقصها " وذكر أنها من الوحي ولا ينبغي تضييع الوحي ، فإنه ما أتى الله سبحانه به سدى ، وانظر قصة يوسف عليه السلام حفظ الرؤيا هو وأبوه سنينا طويلة ، فلما وقع تأويلها في عالم الحس قال على الفور – لكونها على ظهر قلبه هذه المدة الطويلة – : " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً " فإياك أن تكون من المفرطين

بسم الله الرحمن الرحيم

من سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه :

سلام منا إلينا ورحمة الله تعالى وبركاته تعمنا . من الوالد إلى الولد ، وقرة العين غاية الأولياء ، المحمديين بلا شك ولا مين بشهادة رسول رب العالمين ، محمد عثمان الآخذ بأعلى غاية العروة الوثقى في مقام الإيمان والإحسان

السلام عليك أيها الولد الصفي ورحمة الله تعالى وبركاته وتحيته ورضوانه

أما بعد ..

وصل إلينا كتابك الأول والثاني ، أوصلك الله إلى تجلي كماله

ثم اعلم أن مخالطتك هذه مع الإخوان جعلها الله لك تسلية عن الفكرة في الأمر الذي تعلمه لأنه يعلم منك استعجال الوقت ولابد من كونه عن قريب إن شاء الله تعالى " كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار "

واعلم أني ذكرت لك الكلمات التي تقتضي المدح في صدر الكتاب لتعلم فضل الله الأكبر ونعمته العظمى عليك ، فيتعين عليك حينئذ القيام بشكر المنعم جل وعلا

واعلم أيها الصفي أنه لو سال من عيون العالمين جداول دموعاً شوقاً إلى الله تعالى وخوفاً منه لكان يحق لي ولك أن نبكي صديداً ، ولو سال من عيون العالمين جداول دموعاً لكان ينبغي لي ولك أن تسيل من عيوننا بحور دماً لعظم النعمة علينا " اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور "

وكيف لا وقد قام سيدنا ومولانا رسول الله r حتى تورمت قدماه من طول القيام بين يدي الله لما نزل عليه قوله تعالى " إنا فتحنا لك فتحاً مبينا " .. السورة ، فقيل له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال r في جوابهم : " أفلا أكون عبداً شكوراً " وفي باطن هذا أن تأملت أموراً عظاماً تتحير فيها الأفكار ، وتذهل فيها العقول ، وقد علمت السبب الذي يجب علينا فيه الشكر . وفقني الله تعالى وإياك إلى شكره إنه قريب مجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده البار وقرة عينه وسره وزينه محمد عثمان .

جعله الله من خواص أصفياء الرحمن . انه حنان منان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

فاعلم أعلمك الله تعالى بكل خير ، وأزال عنك كل هم وغم وشر وضير ، وأبدل مرارتك حلاوة ، وحجابك كشفاً ، وغفلتك ذكراً ، وأعراضك إقبالاً ، وأبدل لذتك بغيره لذة به ، وأغرقك به فيه حتى لا تعرف منك ولا من غيرك سواه

فاتخذ لك ساعة تختلي فيها بربك ، وتوجه إليه في الخلوات بالحزبين العظيمين المسميين بالورد الأحمدي ، والسر السرمدي ، والمسميان بالتجليات العظمى والغرق في بحر الأسما فإنهما من أعظم أدوية القلوب في كشف أسرار الغيوب

وابشر فإنها قد تواردت علينا بشائر الخير التي ليس معها ضير . وبعد هذا عن قريب يأتي بك إلينا على أحسن حال ، وأيسر إقبال ، وأعز مجالاً بلا غم ولا هم . وعن قريب إن شاء الله تعالى يأتيك البشير بقميص يوسف العزيز فترد بصيراً ، ويزيل عنك الضر والعجز . والسلام عليك وعلى جميع من لديك ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه عثمان بن ابي بكر

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد ...

أسعدك الله بتجليه ورضوانه . وباعد بينك وبين سخطه وعصيانه آمين

ولقد ذكرت أنك تريد التاكة أو الحبشة فأنت مخير بينهما ، وجهة الحبشة أرشد . وحيث ما توجهت فأنت في حفظ الله وأمانة ، وأنت في وديعته التي لا تضيع

والسلام عليك وعلى جميع من لديك من الأهل والإخوان ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولدنا الصفي عثمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ..

فاعلم أعلمك الله بكل خير ، وصرف عنك كل شر وضير ، أن مكتوبك قد وصل ، أوصلك الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده أبداً ، وأوصلك إليه إيصاله الأعظم الذي لا قطع بعده أبداً آمين .

فهلم ثم هلم إلينا عسى الله أن ينقذك من كل هم وغم وعائق ومانع وقاطع ، وعسى أن يجمع الشمل ، ويتصل الفرع بالأصل ، وتزول الظلمات ، وتتوجه إلى المسرات ، ويهدي الله سبحانه وتعالى إلى الصراط المستقيم والدين القويم

والسلام عليك وعلى أهلك وأولادك وجميع من يلوذ بك ورحمة الله تعالى وبركاته منا إلينا

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وصفيه وولده وقرة عينه محمد عثمان نظر الله إليه بعين العناية والرضوان آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد ...

فكلامي معك بلسان القلب لا بلسان العرف المعروف بين الإخوان . جعلك الله ممن كان الحق سمعه وبصره حتى سمع من ذلك اللسان وتعرف منه فصل

الخطاب والبيان ، والسلام عليك وعلى جميع من لديك من الإخوان ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده ووليه وصفيه محمد عثمان تولاه الله بولايته الكبرى الواحد المنان واصطفاه لمشاهدته في غاية مقام الإحسان بلا سابقة بلاء ولا تعب ولا امتحان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ..

فقد وصلت هديتكم المباركة مع الإخوان المباركين رفعهما دفعهم الله أعلى درجة مع المقربين الواصلين إلى الرحمن

ثم اعلم أن البشائر قد تواترت من حضرة الرحمن إلى جميع الإخوان وقد تكفل لنا r فينا : من انتسب إليكم لم أكله إلى كفالة غيري ولا لولاية غيري أنا وليه وكفيله

وهذه بشارة عظيمة ومنزلة كريمة . جعلنا الله لها من الشاكرين

ووصيتي إليك وإلى جميع الإخوان وصية الواحد المنان في محكم القرآن " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " . جعلنا الله وإياكم من المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون آمين . والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم من الإخوان ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه ونهاية زينه الشريف الكريم عثمان أيده بروح منه المنان

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه

وبعد ..

لقد وصل كتابكم الكريم أوصلكم الله إلى نهاية البر والتكريم وحفظكم أينما كنتم أنتم ومن لديكم

وما ذكرت من الخروج من مكة للعلة المذكورة فلا بأس فقد أصبت ، أصاب الله بك جادة الحق في كل شئ آمين . هذا ومن لديك كلهم متحوفون بالسلام ، وكافة من لدينا مسلمون على جميعكم ، جمع الله الجميع جمعاً لا يزايله فرق آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده محمد عثمان

سلام الله منا وإلينا ورحمة الله وبركاته تعمنا

أما بعد ..

فإن الأمر الذي أخبرتك به لم يكن تعذراً ، ولو كان عندي غير ذلك لذكرته لك ، والأمر كما أخبرك به سيدنا رسول الله r الصادق المصدق الذي لا أصدق منه

في جميع خلق الله . وأنه إنما مرادي أن يكون ذلك بأمر منه r الذي أمره هو أمر الله عز وجل ، لأن ذلك هو مبنى أساس الصوفية المتحققين بالحق الذين أنوارهم مبنية على أمر الحق لا على هوى أنفسهم وما يظهر لهم من عند أنفسهم ، وإلا نحن كنا عينا لكم المكان قبل هذا الوقت . والله سبحانه وتعالى عند حقائق الأمور ، والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده عثمان ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فإن الأمر كما أخبرك به r لا في حق فلان ولا في حق غيره . أما فلان فقد جاء نور فتح مرتين أو ثلاثة ، فيظهر شئ من جنابنا يسلبه منه لا شك في ذلك أبداً كما أخبرك r ، وإن عاد إليك فلان فأخبره بما قال لك r عنا وعنكم ،

وأخبره بالصفة التي ذكرها لك r فإنها عند فلان محفوظة مقررة في نفسه . والأولى أن تتركه حتى يقع الاجتماع بيننا ونتكلم فيها . وأما ما أخبرك به r من رفع البلاء عنا وعنكم فهو كذلك . نعوذ بالله من الشك والتلبس

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

" تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور "

" فسبحان الله الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون "

وبعد ...

فإنه من عبد ربه سبحانه . أحمد بن السيد محمد الشريف ابن السيد محمد بن على بن السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي إلى الأجل الأفضل الأعز الأمثل أخينا حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته والموجب لهذا السؤال عن الأحوال لازالت محفوفة بالتكريم والإجلال . وإن سألتم عنا فإننا ولله الحمد تحت مجاري الأقدار ساكنون ، وفي قبضة من يقول للشئ كن فيكون ، ولنفحات المولى جل وعلا متعرضون ، وبما حكم به سبحانه وتعالى راضون ، وعن جميع ما لا يرضى الخالق بحوله وقوته معرضون ، وبما وعدنا به الله ورسوله موقنون ، ولاختلاس المنون مترقبون ، سائلين منه تعالى منح ما بشر به الصابرون القائلون عند المصيبة : " إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون "

آجرنا الله وآجركم في مصيبتنا ومصيبتكم ، فالأستاذ الذي طالما أرشد الخلق ، وإلى طريق الحق يهدي ، سيدنا السيد محمد بن السنوسي المهدي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، ونفعنا بأسراره وأسرار آبائه ، وجعلنا من المفلحين الذين هم حزب الله من أوليائه وأصفيائه ، فقد نقله الله من الدنيا إلى الآخر التي هي . في منتصف نهار يوم الأحد الثالث والعشرين من صفر الخير من سنة عشرين وثلاثمائة وألف

ضاعف الله له الخيرات وضاعف الضعف ألوف ضعف ، وسقى بشأبيب الرحمة تربته ، وأسكنه مع الذين أنعم عليهم جنته . أنه جواد كريم بر رحيم . ومنا جزيل السلام على كافة الإخوان والمحبين . ومن عندنا مسلم عليكم صنونا السيد محمد عابد والسيد إدريس وكافة الأنجال والإخوان والمحبين في الثالث من المحرم عام 1320هـ

وبعد كتابة هذا الخطاب انتقل الأخ محمد بن السيد أحمد الريفي إلى رحمة الله في شهر ربيع الأول . تولاه الله برحمته وأسكنه فسيح جناته

قد نقلت هذه الكلمات التي سطرت في هذه الرسالة التي جمعت بين كرامات وخطابات للشيخ سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه لأجل أن يعرف أبناؤه الذين هم أبناء روحه الآخذين طريقته المحمدية الأحمدية علو قدر شيخهم وما أعطاه الله تعالى من واسع فضله وعظيم كرمه ، لأن الفتوح في الطريق متوقف على أمور :

الأمر الأول : أن يعرف المريد منزلة قدر شيخه حتى يمتلئ قلبه بتوقيره واحترامه ، ويشاهده عند تلاوة أوراده مشاهدة الأخذين عنه في أيامه

الأمر الثاني : أن يحبه حباً عظيماً حتى لا يقدم عليه شيخا من الموجودين في زمانه ، لكي لا يميل قلبه إلى شيخ آخر ، فإن من مال قلبه مال وقفل الباب دون الوصال ، ولم يدر معنى حديث : " أرحنا بها يا بلال "

الأمر الثالث : أن يعرف فضل أوراد شيخه حتى لا يستخف بها بتلاوة غيرها ويتركها ، ويكون مثله كمن غرس غرساً ومنعه الماء فمع نفسه الثمر ، وهيهات هيهات أن يثمر غرس بغير ماء .

الأمر الرابع : أن يعلم أحواله كيف كانت في حياته الدنيا حتى يقتدي به ويكون حاله كما كان شيخه ، فإن كل شيخ يحب من مريده أن ينتهج نهجه ، ويكون على الحال الذي كان عليه من غير تغيير ولا تبديل ، وبذلك يكون وارثاً له حقاً ، لأن كل مريد يرث شيخه لكن بشرط أن يكون حاله كحال شيخه

الأمر الخامس : ألا يعلو على شيخه بحال من الأحوال مهما وهبت له المعلومات ، ومهما كشفت له مكاشفات ، ويرى نفسه فرعاً لشيخه ، ودائماً سرمدا

تتوق إليه روحه ، كما قال سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه : " أصلي الهوى والفرع يطلب أصله "

الأمر السادس : الأدب مع الشيخ الذي لقنك أوراد الطريق فعليه أن يلقنك الأوراد / وأن يعرفك الشيخ والطريق وعليك أن تحبه وتتأدب معه من أجل شيخ الطريق ، لأن شيخ الطريق له باب وهو الشيخ الذي لقنك الأوراد . والحضرة المحمدية لها باب وهو شيخ الطريق الأصلي

والحضرة الإلهية لها باب وهو النبي r

وقلت بفضل ربي :

الشيخ باب الشيخ أعرف فضله

فبه الوصول إلى الذي هو أحمد

وبأحمد بن إدريس تدخل حضرة

فيها الحبيب هو النبي محمد

باب الإله نبينا تدخل به

في حضرة القدس التي لا تنفد

واعلم بأن الورد خير وسيلة

أنوار روحك دائماً تتجدد

ما دمت تقرؤه فأنت محبب

ومقرب ومعلم ومؤيد

فابشر بخير أن دخلت طريقنا

يأتيك فتح عن قريب تسعد

فلشيخنا ابن إدريس خير تجارة

الربح فيها للذي هو يقصد

فعليك يا أخا في الله تعالى أن تفكر ، فإن التفكير من تمام الإيمان ، لا تنس أنك بأخذك للورد المحمدي الأحمدي صرت في كفالة النبي r . والدليل على قولي هذا لك ، رؤيتك له r مناماً ، وكان r يرشد الناس بالدروس العلمية بالقرآن العظيم ، وقد تبعه شيخنا سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه في ذلك فكان يرشد الناس بالقرآن الكريم والعلم ، واستمر على ذلك حتى لقي ربه . وقد سألت الله تعالى أن يوفقني إلى ما كان عليه شيخنا العالم الشيخ ابن إدريس صاحب العلم

رضي الله عنه . فعلى جميع اخواني أن يساعدوني في تصور الدروس العلمية ، وأن يحفظوا شيئاً من القرآن الكريم وإن شاء الله سنجعل مكاناً مخصوصاً للإخوان لحفظ القرآن ، فما عندنا إلا الدرس وحفظ القرآن ، فأعينوني بعلو همتكم . فما جمعتكم إلا على هذا الدرس الذي فيه تفسير القرآن وشرح الأحاديث النبوية والفقه في الدين وحفظ القرآن وتلاوته ، فالعبادة لله وحده ، والعلماء هم الوارثون المرشدون . قال r : " العلماء ورثة الأنبياء " .

شهد مشاهد الأرواح

الفصل الاول : المعرفة رأس مالى

الفصل الثاني : الحب أساس

االفصل الاول :المعرفة رأس مالى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وسلم أجمعين .

وبعد

فيقول عبد ربه صالح المدنى بن محمد بن صالح بن محمد الجعفرى: قد اطلعت على شرح للسيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه مطبوعا فى رسالة

منقولة عن خط السيد محمد بن السيد على اليمنى الإدريسى رضى الله تعالى عنه. شرح حديث :

(المعرفة رأس مالى)

فوفقنى الله تعالى إلى تصحيحها وطبعه وسميتها(شهد مشاهدة الأرواح التقية،من بحر علوم جد السادة الإدريسية) راجيا من الله أحسن الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وإنى أوصنى إخوانى جميعا بقراءة هذه الكتب المنسوبة إلى شيخنا الأستاذ السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، إذ فيها المدد والفتوح، التى منها : كتاب العقد النفيس، وشرح القواعد، والمعانىالرقيقة، وشرح الصدور، وشهد مشاهدة الأرواح التقية، وكتاب المنتقى النفيس، وكنز السعادة، ومفاتح الحنوز، وكتاب التفسير المسمى الفيوضات الربانية.

وإنى لأعجب من كتاب شرح القواعد كأنما سيدى أحمد يتكلم مع روحك، ولابد لكل آخذ لهذه الطريقة الإدريسية أن تشعر روحه بحال عند قراءة شرح

القواعد، وقد أرسل لى بعض أهل السودان وصية يقول فيها : هذا الكتاب يجب أن يكون عند الوسادة، وكثيرا مايغلب على البكاء، ويليه كتاب المعانى الرقيقة ففيه أيا الذخائر الغالية.

ثم أعلم ياأخانا فى الله تعالى، كشف الله ران قلبك، وعرفك أسرار ذكر ربك.

أن طريقنا هذا كراماته معانى، تضىء لها الأوانى، ويتنفس نفيس صبحها للنفوس الساهرة، وينهل غيث مزنها على القلوب الطاهرة، فاستمع بروحك إلى مايتلى عليك من نقوش ظهر فيها نقش روحنا على لسان من أحبنا، ولا تشغل بجسدك عن روحك فإنه الحجاب عن شيخك الذى هو فى سماء العلو الروحانى، فالاتصال بروحك، لا بجسدك، ولا بمالك وولدك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى).

فاستمع بارك الله فيك، فما الموقف موقف تعصب وجدال، ولاقيل وقال، وإنما هو موقف تدكدكت فيه الجبال، والرجال رجال.

وانظر بارك الله فيك إلى شيخك تراه أسدا زائرا، وكوكبا سائرا، وبحرا زاخرا، وجندا حاضرا، ونورا ظاهرا، وسرا باهرا، وسوقا عامرا، وسيفا زاجرا، وسلطانا قاهرا، وأميرا آمرا، وملكا طائرا، وحميما ناصرا.

تلك أمور حيرت العقلاء، وأدهشت الأذكياء، فما هى يابنى بمحسوسات تحس، ولا مكونات تجس، إنما هى :

صفاء ولا دماء ولطف ولا هوى ونور ولانار وروح ولا جسم.

فأفق من غفلتك، وإنتبه من رقدتك، وأقبل على وجه واحد يغنك عن جميع الوجود.

وعلم ثم اعلم أن طريقنا هذا جعلك فى كفالة إمام المرسلين___ صلى الله عليه وآله وسلم___ يتولى تربيتك كما يربى الوالد ولده فهل أيقن قلبك بهذا الحديث؟ وكيف حالك أمام رسول الله___ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فهل تريد أن تلتفت إلى غير طريفنا لتتخذ لك شيخا غير النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتلعب بك الأهواء، وتميد بك الغبراء؟

فما عرفنا من تفلت منا، ولا أخذ الحقائق عنا، ولا شرب من رحيقنا من ترك سوقنا، ولا ورد وردنا من ترك أورادنا، ولا دندن ولا دنا، ولا حل بقلبه ودنا، شاهد بقلبك أن المربى ناظر إليك، ليصب ميازيب الرحمة عليك.

فما أهل هذا الطريق إلا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، اتصلت أرواحهم بمربيها، فكان الأمر منه وإليه.

فلا شيخ لهذا الطريق الإدريسى إلا سيدى أحمد، وقد أحالنا إلى جده سيدنا محمد___ صلى الله عليه وآله وسلم.

وتلقاها عنه السيد محمد بن على بن على السنوسى، فصار إماما فى المعارف والدروس.

وتلقاها عنه السيد محمد عثمان الميرغنى، فشرب من بحر الحقيقة سر الشريعة السائغ الهنى.

وتلقاها عنه السيد إبراهيم الرشيد، فشرب من بحر العلم المفيد.

وتلقاها عنه السيد بن الأهل، فشرب من بحر العلوم كل علم عليه المعول، بحبه السيد أحمد من مكة إلى زبيد تحول.وتلقاها عنه الشيخ المدنى ظافر، فنال تطهير الباطن والظاهر.

وتلقاها عنه السيد السواكنى المجذوب، فنال للسر العالى الموهوب.

وتلقاها عنه البليانى، فدخل فى زمرة الأحباب.

وتلقاها عنه الشيخ أحمد الصاوى، فبها هو للفضل حاوى.

وتلقاها عنه الشيخ الحسن السودانى، فنال غاية الأمانى.

وتلقاها عنه الشيخ عبد الله أبو المعالى، فنال منها الرتب العوالى.

وتلقاها عنه الشيخ التوم السودانى، فدخل حضرة القرب والمعانى.

وتلقاها عنه الشيخ المكى، فصار عن مآثر شيخه يقول ويحكى.

وتلقاها عنه الشيخ عبد الله السنى، فغرف من كل فن.

وتلقاها عنه خلق كثيرون، فنالوا السر المصون.

وتلاميذهم أخذوا عنهم، فصاروا أقمار الدياجى، وكل يرشد الناس ولربه يناجى.

فالذى تلقى هذه الطريقة عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ هو سيدى أحمد بن إدريس ـــ رضى الله تعالى عنه ـــ، فهو شيخ الطريقة حقا وصدقا، وكل من أخذ هذا الطريق وجب عليه أن يعرف صاحبه وإلا فلا فائدة فى مسعاه، لأن مدد الطريق يتوقف على معرفة الشيخ وتلاوة أوراده، ومن لم يكن كذلك فليس بذاك.

فما طريقى بالذى ، وما أنا بالبذى.

ولا ما أعجبك من عجب ، ولا ما أطربك من طرب.

سبحان الله من سار ، على قدمى غلب.

ماهذا الطريق إلا متابعة رسو الله صلى الله عليه ةآله وسلم فى الأقوال والأفعال ظاهرا وباطنا.

طريق الله ظاهر ياناس ذهب صافى مافيه نحاس

قرآن وسنه ، وخير لباس لباس التقوى، مافيه وسواس

يذكر بالنية، ما كاين لباس طاهر مطهر، خالى الأدناس

والشيخ ينادى، وقت العسعاس اذكر ياولدى، ذكر الأكياس

واشرب شرابى، مايجيب نعاس يانايم ليلك، صيد الإفلاس

اهجر منامك، شد الكراس اقرأ أورادك، عن خير الناس

فعلى كل مريد سلك هذا الطريق المسارعة إلى مذاكرة كتب شيخه حتى يحصل انسجام بين الروحين، ينجذبان وبينهما برزخ لا يبغيان، ويحصل علم الأذواق، وهو ليس فى الأوراق، فعليك بالبحث عن الحقيقة فى السطور، لعلها أن تشع على الصدور، فيتنزل من سطورك، مايزيل لغرورك، ويأتى بسرورك (فبذلك

فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فشتان بين جمع وجمع، وسمع وسمع (واجمع بينى وبينه) (فى مقام السماع العام)

إياك أن تغفم عن الإشارة، أو تلتبس عليك العبارة، أو تتحكم فيك الأمارة.

تجارتنا هذه نعمت التجارة، وربح ومربح مافيها خسارة.

وقف على بابه الملوك والسلاطين وماوقف على بابهم، وحينما رأوه اقشعر إهابهم، وحاشاه ما أخذته رهبة وما هابهم.

فإلى أين تنقل أقدامك، والموت أمامك، وإيش حالك، لايفعك عمك ولا خالك.

عملك إذا لم يكن خالصا لوجه الله لا يقبله الله، فأين إخلاصك؟ وهل خرجت من سجن نفسك أم لا تزال فى أقفاصك؟ وهل بلغك عنه كيف كان؟، وكيف أحرمت خلفه فى الصلاة وأوضعت الأركان؟! وهل وقف الوقفتين حتى تقفهما لله ولغيره ولم يخيل إليك أن عزتك عندهم (ولله العزة ولرسوله) وما عليك لو نفضت يديك منها نفض القديد وتهيأت للتجلى الإلهى ففى كل نفس تجل جديد .

هذا عسلنا فيه شفاء للناس مايصلح معه الحنظل، طوبى لعبد عرف مولاه وعيه توكل، وعلا وجهه الكريم أقبل.

نفر منك كما يفر الطير إذا خالفت حالنا، وقد كنا معك كرواسى الجبال، وكالملائكة إذا إذا رأوا الكلب أو سمعوه أو الصورة أو سمعوا صوت الجرس، كذلك الأرواح العالية هذا حالها معك.

فلا تنس قولى هذا لك وما أشرت به عليك، لعل الواردات أن ترد عليك، فإنه لا وارد بغير ذكر، ولا دخول فى حظيرة بغير فكر.

أسرع أسرع إلى أنواع الموائد، فلكل ورد وارد، فما هى كموائدك التى أخلدت إليها فأثقلك بخارها وأثقلت ثقلها، وإنما هى موائد عز أن يوجد مثلها، يزال بها كسلك ونعاسك، وإضطراب قلبك ووسواسك، ورق بها كثائف الحجب، فترى الروح ماهو العجب، فتسمع مالم تكن تسمعه من قبل، وتقوم حق القيام بالسنة والفرض، وتمشى على الماء، وتطوى لك الأرض، لكن زهدنا فى ذلك لأنه هالك، وتمسكنا بقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه) فوجهت وجهى للباقى (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) فشغلنى عن جميع الوجوه :

شغلت بحسن وجهكم عن شواغلى

ولى عن كل شغل بها شغل

ولقد أناخت ببابه أنواع الكرامات، فنظر إليها نظره إلى الدنيا، وأعرض عنها إعراضا كإقبالك عليها، وفر منها فرارا كبحثك عنها، وزهد فى الملك وقد كان له ذلك، وهجر وطنه ليتفرغ لعبادة المالك، فأبدله الله ملكا خيرا من ملكه، وأهلا أكثر من أهله، وبلادا بدل بلده، فكيف لا يكون كذلك وهو صاحب العلم النفيس، مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس ـــ رضى الله تعالى عنه.

وهكذا شأن الصالحين كل يقول :

ونلت مرادى فوق ماكنت راجيا

فسر فى طريقهم، عساك أن تشرب من رحيقهم، فما احتار من سار، ولا عطلته المنغصات والأكدار، بل هو فى فرح من فرح أهل الجنة الذين هم فى جوار الله، وفرحهم لله.

أول دعائهم تسبيح، وآخره حمد وشكر(دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

فلا تترك نصيبك من الدنيا الذى به تنال نصيبك من الآخرة، فعلى قدر عبادتك فى الدنيا لربك يكون إرثك فى الجنة، قال تعالى :

(ولا تنس نصيبك من الدنيا)

وقال تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك)

أى وأحسن إلى نفسك بالعبادة، كما أحسن الله إليك بالإيمان، وقال تعالى ولا تبغ الفساد فى الأرض) لأنه ليس من شأن المؤمن، وقال تعالى :(بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان) فأحسن إلى نفسك إلى نفسك بعبادة ربك قبل أن يفوتك ذلك بالموت، قال تعالى :

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) أى الذين أحسنوا إلى أنفسهم بعبادة ربهم.

جعلنى الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يوفقنى وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله.

.

حديث السنة المحمدية

روى عن سيدنا على كرم الله تعالى وجهه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سنته، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

المعرفة رأس مالى، والعقل أصل دينى، والحب أساسى، والشوق مركبى، وذكر الله أنيسى، والثقة كنزى، والحزن رفيقى، والله سلاحى، والصبر زادى، والرضا غنيمتى والعجز فخرى، والذهد حرفتى، واليقين قوتى، والصدق شفيعى، والطاعة حسبى، والجهاد خلقى، وقرة عينى فى الصلاة، وهمى لأجل أمتى، وشوقى إلى ربى).

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

المعرفة رأس مالى

روى عن سيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه (أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سنته، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :(المعرفة رأس مالى) هو أن يعرف الله عز وجل، هو الأول فليس قبله شىء، والآخر فليس بعده شىء، والظاهر فليس فوقه شىء، والباطن فليس دونه شىء، وهذا الحد هو الذى حد الله تعالى به نفسه كما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : كان من دعائه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ (أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء) إلى آخر الحديث.

فالمعرفة : أن يمحوا الكون جملة واحدة من نظره، ولا يكون وجهه إلا لله عز وجل(فأينما تولوا فثم وجه الله) فهو رأس المال، وبه تحصل التجليات.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والعقل أصل دينى

(والعقل أصل دينى) العقل رأس كل خير، وما أنعم الله على عبد بنعمة أكبر من العقل، به يفرق بين الحق والباطل والإيمان والكفر، وبه يميز الحلال والحرام، وبه يعقل الأمور التى ترضى الله عز وجل، والأمور التى تغضبه، فهو رأس كل نعمة، والمعرفة التى هى أساس الإيمان لا تعرف إلا به، لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، فلما عقل الإمتثال وعقل الأمر والنهى سمى عقلا مأخوذ من عقال البعير، فهو الذى يعقل الناس على مايحبه الله ويرضاه.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل الثاني : الحب أساس

(والحب أساسى) الحب أساس المعرفة، ورد فى الحديث (ألا لا إيمان لمن لا محبة له)

أى لله، وحقيقة الحب : الميل، فمن لم يمل بكليتيه انتفى منه الحب.

وأفضله أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فإذا اتبعه وفعل الأمور التى يحبها الله عز وجل أحبه الله.

والمراد أن يتبع رسول الله صلى عليه وآله وسلم فى أوامره ونواهيه، فإذا أحبه الله أقبل العبد عليه لا محالة، كان من دعاء داوود عليه الصلاة والسلام (الهم إنى أسئلك حبك وحب من يحبك، وأسألك العمل الذى يبلغنى إلى حبك، الهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد) نص على الأمور المذكورة، لأنها تأخذ القلب وتشغل عن الله عز وجل، فإن لم يشتغل بالله عز وجل واشتغل بتلك الأشياء، خيف عليه الجحد لنعم الله، والعياذ بالله تعالى.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والشوق مركبى

(والشوق مركبى) الذات الإنسانية مركب، والروح والشوق ريح ذلك المركب، فمادام التعلق حاصلا بالله عز وجل فالمركب سائرة، والشوق فوق الحب، والحب :

الميل إلى الله عز وجل، والشوق: الإسراع بغير وقوف، فقد يوجد الميل ولا يوجد الشوق، وإنما إذا وجد الشوق فالميل موجود لا محالة.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

وذكر الله أنيسى

(وذكر الله أنيسى) ورد فى الحديث :

(اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل) والمسافر لا يأنس فى سفره إلا بالمصاحب، وورد فى الحديث :(ما من نفس يتنفسه الإنسان إلا وقد خطا به خطوة إلى الآخرة) فالأنفاس هى السفر، فإذا كان ذكر الله هو الأنيس فى ذلك السفر، فنعم الصاحب فى السفر، ونعم ما استأنس به من ذكر الله تعالى فى سفره.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والثقة كنزى

(والثقة كنزى) ورد فى الحديث :

(لايؤمن أحدكم حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده) وورد فى الحديث :

(كنز المؤمن ربه) وورد : (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت) فما بقى مع العبد إلا الوثوق بالله عز وجل، إذا لم يعطنا الله مما فى أيدينا أو مما فى أيدى غيرنا لم نقدر أن نأخذ شيئا.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والحزن رفيقى

(والحزن رفيقى) ورد فى الحديث :

(من أسف على آخره فاتته تقرب من الجنة مسيرة ألف عام، ومن أسف على دينا فاتته تقرب من النار مسيرة ألف عام) فالحزن يعظم على قدر عظمة

المحزون عليه، والحزن والأسف على ما فات، فإذا كان الأسف على ما فات من التجليات الإلهية فنعم الأسف.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والعلم سلاحى

(والعلم سلاحى) العلم أساس المعرفة، وأساس كل خير، وبه الوصول إلى عظمة الله فى القلب بحسن التفكر، كما قال تعالى : (فاعتبروا يا أولى الأبصار) ولا يكون ذلك إلا بالعلم.

شرح قوله صلى الله عليه وسلم

والصبر زادى

(والصبر زادى) العبد مسافر فى أنفاسه ولحظاته، وزاده فى سفره اتباع الأوامر والنواهى، ولا يتم له ذلك إلا بالصبر، وإن لم يصبر مشت به نفسه إلى ما يغضب الله عز وجل.

شرح قوله صلى الله عليه وسلم

والرضا غنيمتى

(والرضا غنيمتى) الغنيمة الكبرى الرضا بقسمة الله عز وجل، ورد فى المناجاة : (ياموسى إذا رضيت عنى فقد رضيت عنك، وإذا سخطت ولم ترض بقضائى استوجبت سخطى).

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والعجز فخرى

(والعجز فخرى) العجز هو الإعتراف بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، قال صلى الله عليه وآله وسلم (الفقر فخرى وبه أفتخر)

والفقر فقد الأشياء من القلب، وامتلاء مكانها بالحب لله عز وجل، وهذا الفقر هو الذى افتخر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقر من حيث كونه فقرا لله عز وجل بالقلب فهو فقر محمود ومفتخر به، وأما الفقر المستعاذ

منه الذى قرنه – صلى الله عليه وآله وسلم ــــ بالكفر فقال : (اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر)

وقال – صلى الله عليه وآله وسلم : (كاد الفقر أن يكون كفرا) فهو فقد الحق من القلب، وتعلق القلب بالأشياء التى تصده عن الله عز وجل، فإذا انعدمت هذه الأشياء من القلب وامتلأ القلب بالتعلق بالله عز وجل فهو الفقر الذى افتخر به رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والزهد حرفتى

(والزهد حرفتى) والزهد رتبة عالية شريفة، وهو أن لا يتعلق القلب بشىء من الأشياء، بل يعرض عنها جملة واحدة، ويزهد فيها، ولا يأخذ منها إلا ما يقربه من سيده ومولاه، وأن يكون واثقا بالله عز وجل، ولا يدخل فى قلبه إلا مولاه، فقد ورد فى الحديث : (كنز المؤمن ربه) وهذا هو الجنة المعجلة، ومن كان هذا وصفه

فمطعمه أحسن المطاعم وملبسه أحسن الملابس، والمشتغل بغير مولاه دائما فى عذابه.

فمن أقبل على الله تعالى بكليته وزهد فى الدنيا جعلها الله تعالى خادمة له، فقد ورد فى الحديث القدسى : (يادنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك).

قيل لبعض الأولياء : لم زهدت الدنيا؟

قال : لزهدها فى، وقال بعض الملوك لبعض الأولياء : ما أزهدك يا فلان! قال أنت أزهد منى، قال : وكيف؟ قال : أنت زهدت فى الحور والقصور ومابقى، وأنا زهدت فيما يفنى من هذه الأمور الدنيوية، فانظر إلى هذه الموعظة التى وعظ بها الصوفى هذا الملك.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

واليقين قوتى

(واليقين قوتى) اليقين شهود الحق، قال عز وجل : (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرىء (بشهادتهم) فشهود الحق هو قوتهم، فهم دائما قائمون بشهودهم شهودا بعد شهود .

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والصدق شفيعى

(والصدق شفيعى) الصدق نعم الشفيع عند الله عز وجل (ومن أصدق من الله حديثا) فمن أعطاه الله الصدق فقد أعطاه وصفه وخلقه بأخلاقه، فمن صدق فى توجهه إلى سيده ومولاه فلا شفاعة أعظم من ذلك، وأصل الطريق إلى الله عز وجل الصدق، والعلم بأن مولاه إنما خلقه لعبادته، فلا يزال العبد متوجها إلى الله فى عبادته صادقا فيها (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) فيصدق العبد فى طلب العلم، ويعلم لأى شىء خلقه ربه، ويتوجه بكليته إليه قلبا وقالبا، فالصدق سيف لا ينبو، وجواد لا يكبو، وإنما كان القرآن معجزا لكونه صدقا، وقال بعض الأولياء – وهو سيدى محيى الدين بن العربى ـــ : قيل لى : أتدرى بم صار القرآن معجزا ؟! قلت : لا، قيل لى : لكونه صدقا .

اصدق يكن كلامك معجزا

فعليك بالصدق فى مصاحبة الحق والخلق، فلا تصاحب الحق إلا بالصدق، ولا تصحب الخلق إلا بالصدق.

وحقيقة الصدق التوجه إلى الله تعالى بالكلية، قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)) والتحرى هو أن ينظر فى ذلك الأمر الذى سيقدم عايه عن كان صادقا فعله وإلا تركه، لأن الحالف يظن أن ذلك يقرب الرزق وهو عين تبعيد الرزق عنه، وورد فى الحديث : (ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : السبل إزاره، والمان الذى لا يعطى إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) فإنه يغضب الله عز وجل ويكون سببا لذهاب الرزق لذهاب الرزق، وعليك بالصدق فى معاملة الحق والخلق، فإنه يأتيك إن شاء الله تعالى الخير الكثير.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

الطاعة حسبى

(والطاعة حسبى) أى : شرفى وكفايتى، فإنه من أطاع الله كفاه كل شرورهم، وورد فى الحديث : (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ــــ أى شرفها ــــ ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) أى : مسكت تراب الجنة ولصقت به، وهذه الكلمة دعوة صالحة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وورد فى حديث آخر : (من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقيرا، ومن تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوج امرأة لدينها كان سكان له منها وكان لها منه)

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

والجهاد خلقى

(والجهاد خلقى) الجهاد جهادان : جهاد الكفار أى : الدعوة إلى الله عز وجل، وجهاد النفس لدعوتها لصدق الإقبال إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وآله وسلم : (لكل نبى حرفة وحرفتى الفقر والجهاد) والفقر خلو القلب من الأشياء وامتلاؤه بالله عز وجل، وإنما اختار صلى الله عليه وآله وسلم الفقر لأن

رياحه زعازع لا يثبت فيه إلا الكمل من الرجال. فإن بعض الناس أعطى بعض الأولياء شيئا من المال وضعه فى حجرة وهو جالس، فقال أردت بصدقتك هذه أن أكتب فى ديوان الأغنياء وتدعنى خمسمائة عام واقفا فى العرق والفقراء فى الجنة ؟! مالى إليها من حاجة. فقام فتساقطت فى موضعه قال : فما رأيت أعز منه حين تركها وقام، ولا أذل منى حين صرت أتتبعها، فأهل الله يخافون على زوال غناهم، قال الله عز وجل : (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) وقال الله عز وجل : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) فالتزم ـــ صلى الله عليه وآله وسلم – فقره الذى سماه الله به، فإن المراد بالناس هو لأنه أصلهم ـــ إذ الكل من القبضة التى هى نوره ـــ حتى لقى الله عز وجل، ولم يرد أ، يشارك مولاه فى صفة الغنى صلى الله عليه وآله وسلم.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

وقرة عينى فى الصلاة

(وقرة عينى فى الصلاة) ولم يقل بالصلاة، لأنه غائب عن أفعاله بقرة عينه، والمراد بقرة عينه شهوده محبوبه عز وجل فى صلاته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال : (أرحنا بها يابلال) يريد الصلاة، لأن فيها شهود الحق.

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

وهمى لأجل أمتى

(وهمى لأجل أمتى) الإهتمام بأمور المسلمين من الحقوق الأكيدة، فقد ورد فى الحديث : (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)، وقال الله عز وجل : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وهى كثرة الهموم والغموم، فقد ورد فى الحديث : (إنى لآخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفحمون فيها كما يتفحم الفراش فى المصباح) فهم يغلبونه، أى : يخالفونه ويلقون أنفسهم، والمراد بالأمة أمة الدعوة وأمة الإجابة، لأنه ـــ صلى الله عليه وآله وسلم – رحمة للعالمين، قال الله عز وجل : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم

وشوقى إلى ربى

(وشوقى إلى ربى) قال الله عز وجل : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وإذا كان كذلك فكيف يكون الإشتياق؟ ولكن ذلك من باب قول القائل :

ومن عجب أنى أحن إليهم

وأسأل عنههم دائما وهم معى

وتبكيهم عينى وهم فى سوادها

ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وهذا الشوق كل واحد ينال منه على قدره، فإذا تمكن صار عشقا وشغفا، فإذا صار عشقا وشغفا غاب فى وعشوقه كمجنون ليلى، قال لها : إليك عنى فقد شغلنى حبك عنك، وهذا من ضلال المحبة أغناه الإتحاد بها عنها، وهو مقام الفناء، وحقيقة الفناء : الإتحاد (فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به) الحديث، كما يليق به عز وجل، وليس المراد مايتوهمه من لا بصيرة له مما ينزه

مولانا جل وعلا عنه، فذلك كفر وضلال والإتحاد الذى يذكره أهل الله رضى الله تعالى عنهم أمر ذوقى لا يمكن التعبير عنه، فهو من علوم الأذواق لا من علوم الأوراق.

فلم تهونى ما لم تكن فى فانيا

ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

المناظرة

الفصل الاول : قبل البدء

الفصل الثاني : انعقد المجلس

الفصل الثالث : السيد يرد

الفصل الاول : قبل البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفقير إلى مولاه تعالى ، حسن بن أحمد بن عبد الله بن عاكش غفر الله له

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ، وآله المطهرين ، وصحبه أجمعين

وبعد فقد سألني الأخ العلامة الصديق الفهامة الجليل ، المحقق النبيل : عز الإسلام ، ونور حدقة الأنام محمد بن شيخنا الشريف عبد الرحمن بن سليمان الأهدل ، مد الله أيامه ؛ أن أشرح له صورة المناظرة التي وقعت في شهر جمادى الثانية سنة 1245هـ بين شيخنا الرباني العارف بالله ، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة (سيدي أحمد بن إدريس الحسني المغربي) وبين الفقيه ناصر الكبيبي الجوني وبعض فقهاء عسير ؛ وهم عبد الله بن سرور اليامي ، وعباس بن محمد الرفيدي ، إذ كنت حاضر في ذلك الوقت ، وأنا أسبح في ذلك البحر ،

بسبب ما ساعد البخت ، وذلك أن الله تعالى قد من علينا بقدوم شيخنا المشار إليه لبلدة صبياً في تلك المدة في شعبان سنة 1244 وكان ذلك من أجل نعم الله على هذا القطر ، وكانت صبياً في تلك المدة تحت حكم الأمير على من مجثل ، فاختارها الأستاذ للإقامة ، وقد أجرى عليه الأمير الكفاية ، وكان له في ذلك الشرف الأصيل ، والذكر الجميل ولما استقر صار كمية للقاصدين وهرع الناس إليه من كل فج ، في كل وقت وحين ، حتى كانت صبياً تضئ بالأنوار أيامها ، وتنشر على سائر البقاع أعلامها ولله در القائل

وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

وكان يحضر لديه جماعة من علماء تهامة ، وكنت أنا من جملتهم ، وله في اليوم مجلسان مجلس بعد الإشراق حتى يتعالى النهار ، ومجلس بعد العصر حتى وقت المغرب ، وكان يحضر في ذلك الوقت أمم من الناس فينثر عليهم درر الفوائد في البكور والآصال ، على قدر مقام السائلين ، ويعطي كل أحد جوابه على قدر مداركه ، بحسن عبارة لها الجمادات تلين .

وكان الفقيه عبد الله بن سرور مقيماً في صيبا ، ويحضر مجلسه في غالب الأوقات وينفر طبعه مما يسمع من كلام الأستاذ الإمام ، ويشمئز ثم يكثر من الأسئلة ، فأتولى الجواب على سؤاله عن الحاضرين ، لتخريج العبارة على وجه يقبله ذهنه ، ولهذا السبب وجد المنكر على الجانب الإدريسي من الجامدين على الظاهر باباً للقيل والقال ، أما أهل الدراية ومن يعرفون مصطلح السنة والكتاب ، فيعرفون أن طريقته جارية على صحيح الكتاب والسنة ، وفي الحقيقة إنه لم تصدر منه إلا علوم زاخرة ، ومعرف باهرة لأنه من العلماء الربانيين فإني بحمد الله قد لازمته ، وأخذت عنه علم الطريقة وعثرت من معارفه على زبد الحقيقة ، فهو رباني هذه الأمة المحمدية ، وقطب دائرة الولاية الأحمدية ، التي لم يصل إلى مداها أحد من أهل عصره ، ولم يتحل بحلى معارفه عالم من علماء دهره . قد خاض في بحر من العلوم بتوفيق القدير ، فدع قول غيري ممن مال عنه ، وخذ بقولي فلا ينبئك مثل خبير

والفقيه عبد الله بن سرور هذا ممن حفظ القرآن ، ولم يتفقه إلا بشئ يسير أخذه من بعض علماء تهامة ، ولم يتمكن في العلوم ، حتى يميز بين المعلوم والموهوم ، واتخذ بلاد عسير وطنالة ، ودان بمعتقد الطائفة النجدية أي الذين هم

على مذهب محمد بن عبد الوهاب في إطلاق الشرك الأكبر على جميع الأمة المحمدية ، من غير تفريق بين الموحد منهم والمشرك الذي يعتقد النفع والضر في غير الله تعالى ، وقد حدثت بين المتقدمين من أمرائهم وقائع مختلفة بسبب هذا الاعتقاد ، حتى سالت بها سيول من الدماء ، في هذا القطر التهامي . كما هو مسطر في تاريخ علماء اليمن ، ومعلوم بالتواتر لمن عقل ، وليس العهد ببعيد

فتلقى الفقيه عبد الله تلك الكلمات من بعض أولئك الأتباع ، في مجلس أصحاب شيخنا السيد أحمد نفعنا الله به وعرضها على ما بلغ إليه علمه ، فأعتقد أنها خارجة عن معتقده ، وأنها ليست من العلوم التي دان بها هو وأهل بلده ومازال يراجعني فيما كان يسبح . وأرشده إلى ما يصون عرضه ودينه ، فلم يذعن لنصائحي ، وقد تحقق أني لا أقبل منه طعنة في شيخنا ، رضي الله عنه .

ومازال يصرح أن السيد أحمد بن إدريس يعتقد مذهب ابن العربي من الاتحاد والحلول ، يعني أن الله تعالى يحل في كل صورة ، ويتحد بها . وهذا كفر ، وهو مذهب النصارى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وقد كتب نسخة حصر فيها اعتراضاته على شيخنا

منها اعتقاده بهذه النحلة الكفرية ، وأن أصحابه يبالغون في تعظيمه بما يقرب من عبادة الخالق ، من تقبيل يديه ورجليه ، والخضوع الزائد له وأنهم يحملونه على السرير إلى بيته إذا خرج ، ولا يرضون مشياً على الأرض إكباراً وتعظيماً ، وأن هذا عين الشرك ، لأنه لا يستحق التعظيم بمثل ذلك إلا الله تعالى

وإن أصحابه قد أشركوا بمثل هذا الفعل ، وأن إقرارهم عليه خطأ ، وأنه اعتقاد مذهب ابن العربي كفر كما كفره بذلك طائفة من العلماء

وأن السيد أحمد يفسر القرآن بغير ما تدل عليه اللغة العربية ، مما لا تقتضيه دلالة الكلام ، على اختلاف أنواعه

وأنه يؤخر صلاة العصر حتى تصفر الشمس ، ويصلي فريضة المغرب بقرب صلاة العشاء ، بسبب تطويل الركعتين قبل صلاة المغرب وكلا الأمرين منهي عنه

وأن بعض أصحابه يصحب الأحداث ، ويستحسن مجالسة أهل الصورة الحسنة من المراد ، وربما جرى من بعضهم الفاحشة

وان منهم من يختلي بالأجنبية من النساء ، ولا يحترز من المقدمات التي هي رائد الزنا

ومنهم من يقدح في علوم الشرع ، وفيما ألفه علماء الإسلام من أصل وفرع وهذه أمور لا يحل لأي أحد السكوت عليها ، ولا يليق ولي الأمر أن يتغافل عنها

ولما كتب عبد الله بن سرور هذه المسائل في رسالة . بعث بها إلى الأمير على بن مجثل فأرسلها الأمير أولاً إلى الشيخ العلامة إبراهيم بن أحمد الزمزمي ، وهو من العلماء الراسخين في العلم . وبعد إطلاعه عليها أرشد الأمير إلى إعدامها وتمزيقها ، وألا يصغى إلى شئ مما فيها ، ويزجر مؤلفها ويمنعه من التعرض لما لم يبلغ إليه فهمه . فلم يصغ الأمير إلى كلامه ، واستحسن رأي (مطاوعته) مثل الفقيه ناصر الكبيبي الذي تولى تقرير ذلك الأمر في الاعتراض واعتقد أن ذلك من نصرة الدين . حتى أدى الحال إلى أن الأمير أرسل كتاباً يخطه إلى السيد محمد بن حسن بن خالد . عامل صبياً يشير عليه بأن من يتبع أقوال السيد أحمد بن إدريس من اصحابه يؤمر بالخروج من صبيا . ويسفر إلى البلاد البعيدة . فلم يستحسن ذلك الصنع . بل راجع الأمير هو وبعض علماء الجهة في

عدم استحسانه هذا الرأي . أما ناصر الكبيبي هذا فذو دعوة عريضة في العلم .
وليس هو في الحقيقة كمستواه ، وإنما هو ذو مكر ونفاق . وقد خدع بمكره ونفاقه
من لا يدري الحقائق . ولو أنه جلس بين يدي من يرشده إلى الصواب لرجع عن
تخطئة غيره ورميه بكل مكروه فلما نزل الأمير من السراة إلى أبي عريش لجهاد
الأتراك الموجودين فيه ، ووصل إلى صبيا أعاد الخوض في هذه المسألة فقام
ناصر الكبيبي ؛ وقال للأمير أنا أقوم بمناظرة السيد أحمد بن إدريس ، وأورد
عليه المسائل التي نسبها إليه عبد الله بن سرور ، وإلى أصحابه ، وبعد استقرار
الأمير بصبيا استدعى يجمع من العلماء من أهل المخلاف الموجودين بصبيا ،
فممن حضر من علمائهم وأعيانهم السيد يحيى بن النعمي ، والسيد العلامة على
بن محمد بن عقيل الحازمي ، والسيد العلامة عيسى بن على ، والقاضي العلامة
عبد الله بن محمد السبيعي ، والقاضي العلامة إسماعيل بن بشير ، والسيد
العلامة على بن محمد الشوش . والفاضل السيد حسن بن محمد بن عبده ،
والفقيه محمد بن عبده الجاوي ؛ وغيرهم من فقهاء البلد . وكنت ممن دعى إلى
حضور ذلك المجلس فحضرت ولما تم اجتماع من ذكروا كافة بحضرة الأمير على
طلب إحضاء فقهائه . فحضر ناصر الكبيبي . وعبد الله بن سرور . وعباس بن

محمد الرفيدي وقال الأمير : إني لم أجمعكم إلا لما قد علمتم ما نحن عليه من الدعوة الإسلامية وإنا قائمون في تجديد التوحيد . وهدم الشرك وهذه رسالة كتبها عبد الله بن سرور ، فيها حوادث جارية مما ينافي التوحيد . ويقدم في جانب الإسلام وأهله . والمقصود إطلاعكم عليها . فإنا لا نقول ولا نفعل إلا بقول أهل العلم ، فقرأت تلك الرسالة في ذلك المجتمع . وتولى قراءتها الفقيه يحيى كاتب الأمير

وبعد أن ألقاها تماماً قال الأمير : ما تقولون ؟ فبادر السيد على بالجواب وقال : هذه الأمور لم تكن صادرة من السيد أحمد . فعارضه ناصر الكبيبي قائلاً : لا تقل السيد أحمد ، فإن السيد هو الله . بل قل الشريف أحمد أو أحمد ابن إدريس . فقال له قد قال r لبسطه الحسن " إن ابني هذا سيد " وقال للأنصار لما أقبل سعد بن معاذ " قوموا لسيدكم ، ولفظ السيد إطلاقه في الشرع شائع لا محظور فيه

فقال الأمير ليس هذا من مقصدنا ، إنما القصد أن تتكلم يا علي . فقال على ابن محمد بن على : أنا عرفت السيد أحمد بن إدريس أيام مهاجرته في مكة سنة

1236هـ . وهو من العلماء الأكابر ، ولا نظير له فيما علمنا بالأقطار الإسلامية ، في معارفة في العلوم الشرعية وعلوم الحقائق ، وليس يوزن بأحد من أهل هذا الزمان إلا رجحه . وقد أقر له بكمال العرفان الجهابذة من علماء الشرع الذين هم القدوة لنا في هذا الزمان . وهم مثل مشايخنا السيد عبد الرحمن بن سليمان . والقاضي عبد الرحمن بن أحمد البلهكي ، صاحب بيت الفقيه ومن في طباقتهم من علماء اليمن والشام ، ومثل عالم صنعاء القاضي محمد بن على الشوكاني الذي عرفه بالمكاتبة . وأطنب في الثناء عليه ، وأرشد الناس إلى الاستكثار من علومه . فقال إنها حديثة عهد بربها . فيما رأيته في خطاب له إلى السيد عبد الرحمن بن سليمان

وكذا السيد الحافظ عبد الله بن محمد الأمير ، وأخوه المحقق قاسم بن محمد وابن أخيه العلامة يوسف بن إبراهيم . فإذا كان مثل هؤلاء العلماء الذي تسنموا غارب الاجتهاد . وما منهم إلا وله مصنف في علوم الإسلام . وهم رضي الله عنهم أئمة نقاد . طأطأوا رؤسهم له أدباً . وأذعنوا له فماذا يكون مثل ناصر الكبيبي ، وعبد الله اليامي . الذين نسبتهما إليه كنسبة صبيان المكتب إلى

الجهابذة من العلماء . فإنكارهما على السيد أحمد منكر ولا ينبغي لك أن تساعدهما على ذلك

فلما سمع الأمير قوله التفت إلى السيد يحيى بن محسن فقال له ما تقول أ،ت وهؤلاء العلماء . وكل منكم يتكلم بمفرده ، ويبدي رأيه . فهذا دين ما فيه محاباة فقال السيد يحيى : هذا الأستاذ رجل كما وصفه على بن محمد ويزيد على ذلك بأنه في الدرجة مثل السيد الصادق ، والسيد الباقر من أهل البيت ، وأنت قد نشرتم بقدومه إلى بلادكم . والآن بهذا العمل معه تكدرون المشرب فإذا لم تريدوا أن يقيم معكم في البلاد التي تحت حكمكم ، فاطلبوا منه الارتحال عنها ، لأنه قد فارق أشرف البقاع بدون هذا الإزعاج ، وأما فتح باب الاعتراض عليه من أمثالنا ، وأمثال هؤلاء الإخوان الذي تحت خدمتكم وطاعتكم ، فهو أمر لا يليق ، وحيثما توجه هذا السيد الإمام لقي الإكرام وقد سبح في بحر لسنا من الذين يخوضون فيه ، وما هلك من عرف قدر نفسه ، بل يكون ذلك من باب اعتراض من لا يدري على من يدري ، وهذا هو الجهل البسيط

وقال عبد الله السبيعي وكان في طبعه حدة أنا بحضرتكم الآن وبموافقة هؤلاء الأعلام أناظر لكم ناصر الكبيبي وعبد الله ، وما اسألهما إلا عن بعض مسائل من ظواهر الشرع في باب الطهارة والمواقيت ، فإن أجابا على الصواب عرفت أنهما عالمان ، وحسن إطلاق (لفظ) عالم وفقيه عليهما وإن عجزا عن مناظرتي أيقنت أنهما عاجزان عن مناظرة سيدي أحمد بن إدريس ، حيث إنه البحر الذي لا ينزف

وقد صوب كل الحاضرين هذا الرأي ، وتكلم كل أحد عن نفسه مستحسناً ما قرره هؤلاء العلماء

فغضب عبد الله بن سرور وكان فيه طيش ، وقال للأمير إن هؤلاء الناس قبل أن يصلوا إليك ، تواطأوا على هذا الرأي فيما بينهم ، ثم التفت إلى الجماعة وقال لهم أنتم يا علماء تهامة ، ألا تغضبون لهذه المنكرات الصادرة من أصحاب السيد أحمد ، وعندكم عقائد في الصالحين ، تخافون من السيد أحمد ولا تخافون من الله ؟ فقال له بعض الحاضرين من العلماء إن هذا الكلام سفه ، فالغضب لله تعالى يكون عند وجود المنكر ، وفعل السيد معروف ، وأنت قد خلطت المعروف

بالمنكر ، وأردت أن نساعدك عليه ، وقد برأنا الله سبحانه وتعالى من أن نرضى مخلوقاً فيما يغضب الخالق ، أو نقر باطلاً ، ولكن رأينا أن افتراء المعائب على مثل هذا السيد الإمام مما تعجل عقوبة المفتري عليه ، وأما قولك إننا نخافه فهو في غير محله ، لأنه لم يكن بيده سيف ولا سنان ، بل إن سلاحه الذي يحارب به المعاندين والمكابرين أدلة السنة وقطعيات القرآن ، وسهام الأدعية التي لا تخطئ مستحقاً وقد جاء في الحديث الصحيح " من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) وإذا لم يكن العلماء أولياء لله فما في الدنيا ولي . ومن بارز الله تعالى بالمحاربة فقد هلك

فقال الأمير نحن مالنا في جدالكم وخصامكم شئ ، وإنما نلزمكم في هذه الليلة أن تتوجهوا ومعكم ناصر الكبيبي ، وعبد الله بن سرور وتعقدوا مجلس المنازرة بينهما وبين السيد أحمد بن إدريس بوجودكم ، والحق أكبر من كل أحد ، ولا نقر أحداً في بلادنا على الباطل ، وحبل الدين متين ، فتفرقوا على هذا الاتفاق من عقدة مجلس المناظرة ،

الفصل الثاني : انعقد المجلس

ولما جاء وقت الاجتماع عين الأمي رطائفة من خواصه من عسير ، ليحضروا وقت المناظرة ، فأقبلوا وهم يحفون بالفقيه ناصر الكبيبي ، والفقيه عبد الله . ولما وصلوا إلى مكان السيد أحمد بن إدريس وجدوه جالساً على سرير وبين يديه من ذكر من علماء تهامة ، وتلاميذه كافة فعند وصولهم صافحوه وحفوا بسريره من كل جانب وجلس ناصر في صدر السرير وبالجانب الشرقي محمد بن حسن بن خالد والسيد علوان بن محمد ، وكثير من سادات المخلاف ، وكبار بني شعبة وبالجانب الغربي عامة الناس ، فلما غص المجلس بالحاضرين ، تنحنح ناصر الكبيبي . وابتدأ بخطبة في الوعظ على عادة النجديين (الوهابيين) وثنى بشرح دعوة النجدي . وكان استهلال كلامه إن الناس كانوا في جاهلية يعبدون الأصنام ، ويستحلون المحرمات فتجرد للدعوة محمد بن عبد الوهاب

فقال السيد أحمد صواب هذا الكلام : فبعث الله رسوله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام لأنه هو الذي أنقذ الناس من الجهالة . وتحمل أعباء

الرسالة ، وشرع شرائع الإسلام ، فقال الكبيبي ، : محمد بن عبد الوهاب مجدد الإسلام . فقال السيد أحمد إنا لا ننكر فضله ، وله مقصده الصالح فيما صنع وقد أزال بدعا وحوادث ، ولكن شاب تلك الدعوة بالغلو ، وكفر من يعتقد في غير الله تعالى من أهل الإسلام واستباح دماءهم وأموالهم بلا حجة فقال الكبيبي ، ما فعل إلا ما هو الصواب ، فقال السيد أحمد هو عالم من العلماء والعصمة مرتفعة عن غير الأنبياء ، وهو يخطئ ويصيب ، فإن أصاب فله أجرام ، وإن أخطأ فله أجر ، وهو معفو عنه في خطئه ، ولكن لا يحل لكم أن تقلدوه فيما أخطأ فيه ، لأن ذلك مبلغ علمه ، وما وفق له ، ولم يكلفه الله إلا بذلك ، وأنتم مع هذا بمعزل عن أخذ دليله ، ومعرفة سبيله . فقال الكبيبي الشرك الأكبر قد عم الأقطار كلها . والناس كلهم قد رأوه . وضعف الإسلام في المشرق والمغرب . واليمن والشام . ولولا أن الشيخ محمدا جدد الإسلام . لكان الناس قد غرقوا في ظلمة الكفر . فقال السيد أحمد معاذ الله تعالى . ما كان هذا مذهب الشيخ محمد . أنا تعرفت في مكة بأولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عبد الله وحسين وسليمان . وكذلك تعرفت بمسعود بن عبد العزيز فرأيته رجلاً عالماً . ومن ذكرتهم لك علماء يعرفون الحجة ويلتزمون اللوازم عند واضح المحجة . ولم يكن اعتقادهم ما أنت عليه .

وهم بريئون مما تنسبه إليهم . وإنما أنت نشأت في بلدة أهلها عوام . وما عرفت من يرشدك إلى الصواب . بل حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . وهذه الأمة المحمدية . الحكم عليها كلها في جميع الأقطار الإسلامية بالشرك الأكبر والضلال العام . يرده صريح الأدلة ، وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن أمته نصف أهل الجنة . هذا مع ترادف القرون من لدن آدم صلوات الله عليه . إلى بعثة نبينا r في ألوف من السنين ، وهم أمم متكاثرة ، لا يعلمهم إلا رب العالمين ، ومع هذا فهم نصف ، وهذه الأمة المحمدية نصف ، فزن كلامك بميزان الشرع ، لتعرف الخطأ من الصواب ، فقال ناصر هذه المشاهدة والقباب الموضوعة في اليمن ، ليست إلا الاعتقاد في أهلها ، فقال السيد أحمد لاشك أنه وقع من كثير من العامة ، ومن هو قريب منهم من الخاصة شئ من العقائد المفضية إلى الشرك ، وتنوسي الشرع المحمدي بسبب إهمال الملوك لذلك ، وعدم استماعهم لإرشاد أهل العلم ، والدنيا مؤثرة في كل زمان ومكان ، وأما خواص الأمة ، ففيهم طائفة من العلماء وغيرهم ، لا يزالون ما بقيت الدنيا قائمين على الحق ، يحفظ الله بهم الشرع ، فهم منزهون عن الشرك ولا يخلوا قطر من الأقطار منهم ، فلا يصح لكم الحكم بالشرك على الأمة جميعها بسبب من جهل

من عوامهم ، ومن لم يتقيد بالشرع من خواصهم ، ومن كفر مسلماً فقد كفر بنص الأحاديث ، وأما القباب والمشاهد ، فهي بدعة منافية للشرع المحمدي ، لم يحدثها على القبور سوى جهالة الملوك ومياسير العوام من غير مشاورة العلماء ، والباطل لا قيد له . فوجم ناصر ، وأحصر عن الجواب ، ثم قال يا أحمد إنك لا تعرف الفرق بين الدينين . فقال السيد أحمد لا إله إلا الله هي الفرق بين الدينين ، ويا سبحان الله المثلى يقال هذا المقال ؟ وإنما أنت رجل محمول على السلامة ، لكونك ساكناً في البادية ، وفي الحديث (من سكن البادية فقد جفا) وقد خاطب جفاة الأعراب سيد الخليقة صلى الله عليه وسلم بما كدر خاطره فصبر ، ولنا به أسوة حسنة ثم قال ناصر ، أنت تعتقد نحلة بن العربي ، وهو يقول بوحدة الوجود ويصوب فعل إبليس ، لما ترك السجود لآدم ، وقد جعل العلماء سؤالاً في ذلك وأجاب علماء الإسلام من أهل عصر هو غيرهم بكفره ، وكفر من يعتقد مذهبه ، فقال السيد هذا ابن عربي توفي في سنة 726هـ وبينك وبين زمانه فوق الخمسمائة من السنين ، فهل شافهك بهذه المقالة ، حتى تهتك ما حرم الله عليك من رمي مسلم بالكفر ، ونحن من إسلامه على يقين ؛ فلا ننتقل عنه إلا بمثله فلا تتقول عليه ، فقال ناصر ، هذا الاعتقاد مذكور في كتبه صريحاً — فقال السيد

وما يدريك أنه قائله ، لاحتمال أنه مدسوس عليه من البعض ، فاحكم على هذا الكلام إن ضاقت عليك وجوه التأويل أنه كفر ، ولا تحكم على ابن عربي أنه كافر ، لأنه لا يصح لك بأي طريق الجزم بكفره ، ولو عرفت الحقيقة ما خضت في هذا المجال الذي يضيق عنه بكل حال ، ولست من رجال هذه الطائفة ، وأهل كل فن يسلم لهم في فنهم ، وأضرب لك مثلاً يليق بالمقام ؛ رجل دخل السوق وعرف مخازنه ، وما اشتمل عليه من أنواع الفواكه والمعاطر وغيرها ، ورجل لم يدخل ذلك السوق ، فضمهما مجلس ، فاندفع داخل السوق يحدث الناس بما شاهده فيه ، ويصف الذي رآه عياناً ، وذلك الذي لم يدخله يعترض عليه فيما شاهده ، فهل هذا شأن عاقل بل يحكم عليه العقلاء بالجهل والسفه ، لأنه اعتراض بما لا حقيقة له به ، وفي مثل هذا أنشد بعضهم شعراً

فإذا كنت في المدرك غرا ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

وإذا لم تر الهلال فلم لا ناس رواه بالأبصار

فقال الكبيبي ، وأنت يا أحمد ، الناس يقبلون يديك ورجليك ، ويضخع لك أصحابك خضوعاً لا يليق إلا لله جل وعلا ، وهذا عين الشرك فالتذلل نوع من العبادة ، والعبادة لا تجوز لمخلوق

فقال السيد أحمد إن كنت متعبداً بالشرع المحمدي فاسمع ما أقول لك ، قد صح في الحديث أن وفد عبد القيس لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، قبول يديه ورجليه ، وقد جمع بعض المحدثين جزءاً في جواز تقبيل اليدين والرجلين . وأوراد أحاديث جمة قاضية بجواز تقبيل أيدي أهل البيت وأيدي غيرهم من العلماء ، وأما قولك إن مثل هذا الفعل عبادة . فلو عرفت معنى العبادة ما قلت هذه المقالة ، العبادة في طريق . والتعظيم والأدب في طريق . فتعظيم العلماء واجب ، قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه) ومن حقوق العالم التأدب معه بتقبيل يديه ، ومعرفة فضله ، ومن عظم عالماً فقد عظم الله ورسوله r ، لأن العالم حامل للشرع الشريف ، فالتعظيم في الحقيقة تعظيم لما هو حامله ذلك العالم ، وقد ثبت حديث (العلماء ورثة الأنبياء) وإذا كانوا ورثة الأنبياء كان للوارث ما للموروث من التعظيم كما أن ما عليه من تبليغ الشرع عليه

على أن في الحديث المذكور (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم) الخ ، فإذا كانت الملائكة الذين هم خواص الله من خلقه تفرش أجنحتها لطالب العلم ، فما قولك في غيرهم ، ممن لا يداني شيئاً من علو شأنهم ، وجاء في الحديث القدسي أن النبي r قال حاكياً عن الله تعالى (من أراد أن يكرمني فليكرم أحبائي ، قيل يا رب من أحباؤك ؟ فقال العلماء) واعلم أن سادات الناس ثلاثة ، والملائكة والأنبياء والسلاطين وكلهم عظموا العلماء ، فقد عظم الملائكة آدم عليه السلام ، وسيدنا موسى عظم الخضر ، وعظم عزيز مصر سيدنا يوسف ، ومن عظم ما عظم فهو مؤمن ، ومن استهان بذلك فهو خارج عن دائرة الإيمان ، والأعمال بالنيات فمن قصد بذلك التعظيم امتثال أمر الله تعالى ورسوله r ، فقد فاز بالحسنى ، ومن أراد معتقداً فاسداً وظهر لنا حاله ؛ وجب إرشاده إلى الصواب ، ولا نقره على معتقده الفاسد ، وأما الترفع عن تعظيم ما يستحقه العلماء ، فهو من أخلاق المتكبرين الذين قال الله فيهم (فلبئس مثوى المتكبرين) أي جهنم . فقال ناصر أما نحن فعندنا مثل هذا شرك ، فقال السيد سبحان الله ، أورد لك الأدلة ، كتاباً وسنة ، وتقول هذا شرك ، إن هذا من الضلال البعيد

فاستشاط ناصر من الغيظ ، وقال : أن الشرك تحت هذه العمة يعني عمامة السيد

فتبسم السيد وقال أن الشرك الذي هو في اعتقادك لا يضرنا نسبته إلينا ، وأما باعتبار ما عند الله تعالى فنحن على قدم راسخ في التويح ، وأنتم بارك الله فيكم عرفتم هذه النسخ التي تسمونها الأصول والقواعد ، وظننتم أن علم الكتاب والسنة هو ما اشتملت عليه تلك المختصرات وهذا من الجهل المركب ، وقد تولى الله تعالى حفظ دينه وشرعه الذي أرسل به رسوله r ، وهيأ له علماً دونوه في الدفاتر ، وصار الشرع المحمدي بعناية أهل العلم محروساً من الزيادة والنقصان ، ولو اطلعتم على ما اطلع عليه غيركم من العلم الواسع ، لظهرت لكم الحقائق ، ومشيتم على أوضح الطريق ، ولكن ضيقتم على أنفسكم فضاقت عليكم المسالك ، وقصرتم دين الإسلام على ما عرفتم . وزعمتم أنكم ناجون وغيركم هالك وهذا من ضيق العطن . وتحجير الواسع . فالله يهدينا وإياكم . ثم قال ناصر وأنت يا أحمد تفسر القرآن بغير ما دلت عليه اللغة العربية ، وقد قال تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربياً) وهذا تحريف لكتاب الله تعالى ، فقال السيد حاش لله أن نفسر القرآن بغير مدلوله الظاهر منه ، وهذه تفاسيرنا للآيات معروفة ، وتحمل

النصوص على ظواهرها من اللغة العربية ، ونرى أن العناية بالتفسير الظاهر لابد منه ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ، ولم يحكم التفسير الظاهر ، فهو كمن ادعى بلوغ صدر البيت قبل أن يتجاوز الباب ، ونحن بحمد الله ممن أحكم التفسير الظاهر ، ولا ننكر أن في طي الآيات القرآنية إشارات خفية ، إلى دقائق تتكشف على أرباب السلوك ، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ومعرفة ذلك من كمال العرفان ، ومحض الإيمان ، وعلى ذلك دل ما جاء في الحديث (إن لكل آية ظهراً وبطناً ، ولكل حرف حدا ، ولكل حد مطلعاً) قال أبو أبو الدرداء رضي الله عنه : لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يجعل للقرآن وجوها ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يجعل للقرآن وجوها ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثر القرآن ، وقال باب مدينة علم المصطفى على بن أبي طالب كرم الله وجهه (لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من أم القرآن لفعلت) وهذا لا يحصل بمجرد الجمود على ظاهر تفسير الآيات وليس فيما نقول من تفسير الآية إحالة الظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهومه منه ما جاءت

الآية له . ودلت عليه في عرف اللسان العربي ، وثم إفهام باطنة يفهمها من الآيات القرآنية من فتح الله تعالى قلبه ، ومن اتقى الله علمه ما لم يعلم

فسكت الكبيبي ، ولم يهتد لجواب . ثم قال يا أحمد أنت تميت صلاة العصر بتأخيرها عن وقتها وهذا لا يصح

فقال السيد أحمد ، هذا لا نتعمده ، ولا نقصده حتى يكون من إماتة الصلاة ، ولا ندخل في الصلاة إلا في وقتها المضروب لها ، لكن يقع التطويل فيها ، كما كان عليه رسول الله r ، من أنه كان يذهب الذاهب إلى قباء ، وهي على نحو ميلين من المدينة ، ويلحقه اللاحق وهو في أول ركعة من صلاة الظهر والعصر على النصف من ذلك وقد صلى أبو بكر رضي الله عنه صلاة الفجر بسورة البقرة ، ولما سلم من الصلاة قال له بعض الصحابة كادت الشمس أن تشرق فقال لو أشرقت لم تجدنا غافلين ونحن لو غربت علينا الشمس لم تجدنا غافلين ولم نشتغل عن الصلاة بمال ولا بينين من أمور الدنيا بل هذا شأننا ومن لم يعرف هدى المصطفى r في الصلاة يعترض لمثل هذا فقال . الكبيبي قد قال النبي r من أم بالناس فليخفف فقال السيد هذا من وضع الدليل في غير محله لأن من قال هذا كان يصلي

المغرب بالأعراف وهي مائتان وست آيات والأحاديث لا تناقض فيها والتخفيف أمر نسبي يختلف باختلاف حال المصلين والمؤتمين ولكل حال مقام وكان المصطفى r يدخل في الصلاة والمؤتمين ولكل حال مقام وكان المصطفى r يدخل في الصلاة وهو يريد التطويل فيسمع بكاء الصبي فيقصرها لئلا تفتن أمه وأصحابنا كلهم عز أب على قدم التجرد ولا شغل لهم غير التفرغ للعبادة فنحن نطيل بهم الصلاة وهم لا يرضون منا بغير ذلك ولا مشقة عليهم في هذا العمل لأن الصلاة راحة كل مؤمن كما قال سيد المؤمنين وإمامهم r أرحنا بها يا بلال أي بالصلاة وقد قال الله تعالى (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) فهي لا تكبر عليهم وليس بمعنى أنها صغيرة في صدورهم ولا يستثقلونها فهم لا يرونها إلا راحتهم العظمى لأنها مناجاة بين العبد وربه تعالى وقد جاء في صفة المنافق الأدبار عنها وينقرها نقر الديك ثم قال الكبيبي ويقع منكم التأخير لصلاة المغرب إلى قرب العشاء وهذا بدعة وفي الاشتغال بالركعتين قبل المغرب وتطويلهما مخالفة للسنة فقال السيد نحن نطيلهما عملاً بالسنة فقد كان r يقرأ فيهما بالطور ويقرأ فيهما بكثير من طوال السور كما هو معروف في محله وما علينا لو دخل علينا العشاء فإنا في طاعة وأما الركعتان قبل المغرب فهما سنة هجرها الناس اجتمع فيها

أنواع السنن الثلاث ، من فعله وقوله وتقريره r ، فنحن نراهما من السنن ، لا نتركهما ، ومجرد ترك الناس لهما لا يلزمنا الترك ، لأنا لم نقل إنهما واجبتان ليكون الإخلال بهما معصية ، بل هما سنة ، فالإنكار متجه على المنكر لسنتيهما ، لا على من فعلها فأعرف ما تقول فسكت الكبيبي فقال له عبد الله بن سرور . أنسيت ما عليه أصحابه وكانت بيده نسخة ، فقال نعم يا أحمد ؛ أصحابك يقترفون المنكرات وأخذ يعددها وكان السيد مسنداً ظهره على الكرسي الذي هو جالس عليه فقعد في بحبوحته ، وقال اسمع يا أيها الرجل ، وخذ مني جواب هذه الأمور مجملاً ومفصلاً ، تنتفع به في هذه الموارد ، وتستضئ به لأنك للمعارف العلمية فاقد . فقال ناصر ، هات ، فقال السيد أخبرني أصحابي خير أم أصحاب رسول r ، وهم خير القرون ، فقال السيد ، هل قرأت القرآن ، فقال قرأته فقال هل مر بك قوله تعالى (الزانية والزاني . والسارق والسارقة ومن يعصي الله ورسوله . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق – ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) قال نعم فقال السيد ، هذه أمهات الكبائر من المآثم ، هل نزلت عن

أسباب أم مجردة عن ذلك ، فقال ناصر عن أسباب ، فقال السيد العصمة مرتفعة عن غير الأنبياء عليهم السلام ، وكل بني آدم خطاءون ، كما ورد في الحديث . فعلى فرض صحة ما تدعيه لا يلزمنا التجسس بل نقول كما قال معلم الشريعة من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، ومن أدى لنا صفحته أقمنا عليه حد الله تعالى ، وقد جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، وقال له ههنا شربة الخمر مغلقين على أنفسهم الباب ، فقال له ، يا هذا نهينا عن التجسس ، ثم إن التكلم بهذا ونسخه في رسالة ، وعده من المعائب علينا ، إثمه عليكم أكبر ، لأن التكلم به معصية ، وفي هذا الكلام ما هو قذف ، وقد علمت أن الله تعالى يقول (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإن لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فمن روي شيئاً مما رقم في هذه النسخة ، بغير تمام النصاب الشرعي نقول له أنت كاذب كما قال الله تعالى ، وإن كان صادقاً فيما قال ، لأن صدقه وحده في هذا كذب عند الله ، فالقائل منكم أو من غيركم لهذا من غير إقامة نصاب الشهادة كاذب بنص الكتاب العزيز – وأما الجواب التفصيلي فاصغ له بقلب حاضر ، أعلم أن الله تبارك وتعالى له الخلق والأمر ، خلق عباده ليعبدوه ، وقدر مقادير عنده في لوح محفوظ ، قبل أن يخلق الخلق بألفي عام وعلم مآل

عبده ، مؤمنهم وكافرهم وطائعهم وعاصيهم وسعيدهم وشقيهم واتصفت بصفات عليه الرحمن الرحيم . الغفور . الغفار . الستار . العفو الجبار المنتقم . وغير ذلك من اسمائه الحسنى الجمالية والجلالية ، وخلق مع ذلك دارين داراً لمن أطاعه وداراً لمن عصاه ، فوجود العاصي والمعاصي في الأرض محقق وثابت وقوعه أزلا كما قالت الملائكة عند خلق أبي البشر (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون) فقطع الحق جل جلاله بهذا الجواب لسان الاعتراض ؛ فمحال أن لا توجد معصية من المكلفين فمن لم يعصمه الله تعالى من تكليف مالا يطاق ، لأنه لو عدم العصاة من الأرض ما تبين فضل الطائعين ، ولولا طرق الأسقام ، ما عرف فضل العافية ، ولولا مس الجوع والظمأ ما عرف فضل الشبع والري ولولا وقوع الخوف ما عرف فضل الأمن . وعلى هذا التعداد وبضدها تتميز الأشياء ، ومع ذلك لو كان الناس كلهم مطيعين لله تعالى ، لا يوحد منهم عاص ، لتعطلت أكثر أسمائه الحسنى من المغفرة والرحمة والستر ، فأنها مظاهر آثار الذنوب ، ولكان خلق النار عبثاً : فقد اقتضت الحكمة الربانية وقوع المعاصي من المكلفين لا محالة ، لأنهم لا يستطيعون أن يقدروا الله حق قدره ، وليس في قدره المخلوق هداية الخلق أجمعين ، فقد قال

الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

هذا سر القدر الكوني الذي من اطلع عليه من أفضل العلماء وأكابر الأولياء

استراح وهو لا ينافي ما كلفنا به شرعاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل

يلزم كل مسلم الإرشاد ، لما أوجب الله تعالى على عباده ، والغضب في مخالفة

أمره ونهيه ، والهداية بيد خالقها

وقد علم المهتدي من الضال . ثم تكلم السيد هنا بكلام على طريق الأرشاديلين

له الجماد ويهتز له من كان حاضر اللب والفؤاد بما يضيق عنه قلم التعبير ، وربما

كان إيراده فتنة لمن لا يعرف الغوص في ذلك البحر الغزير

مالي وللبحر وأهواله أسترزق الله من الساحل

الفصل الثالث : السيد يرد

ثم قال السيد . ولا يحسن منكم عد ذنوب غيرنا قدحاً فينا ، وتجعلونه من المعائب علينا ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولو اطلعنا على شئ مما تنسبونه إلى أصحابنا لما سكتنا عنهم ، ولنقمنا عليهم غضباً لله تعالى ، وأرشدناهم إلى التوبة ، ولكن ما علمنا ذلك ، ولا نخوض فيه ولا يلزمنا الجواب عن هذه الأمور ، والكاملون نظرهم إلى محاسب الأعمال ، والناقصون نظرهم مقصور على معائب الرجال . فأطرق الكبيبي عند ذلك وغرق في بحر لا يحسن السبح فيه ، ولم يبلغ فهمه إلى تلقي هذه المعارف ، فحظه منه السماع لا الفهم لتلك اللطائف ، وقال بقيت مسألة واحدة ؛ أنت وأصحابك تقولون إن علوم الشرع هذه رسوم ، وقشر لا لباب فيه ، فقال السيد هذا أول مجلس ضمنا وإياك ، فهل سمعت ذلك مني أو روي لك به ذو ثقة عني ، ومع هذا لا يصح لك الحكم بما لم تسمع مني فقال ناصر يقول الناس فقال السيد إن الشيطان يلقى على من لم يتقيد بالقيود الشرعية ليرمي الناس بما هم منه بريئون منه بهذه الكلمة يقول الناس يقول الناس فقال الكبيبي يا أحمد أصحابك يصرحون بهذا . فقال السيد لا نكثر الهمهمة ، قطع الكلام ، إن العلم عندنا ، قال الله وقال رسوله ، وما هما غير الكتاب والسنة من لا يعرفها ، إن القرآن نزل بلغة العرب وما كان من علوم الفروع

فهو مستنبط منها ولا حق بها وحاصل الكلام أن ما دل عليه صريح الكتاب والسنة بطريق الدلالات المعتبرة في الشرع من حكم أصلي أو فرعي ، وجب العمل به وإرشاد الناس إليه ، وما خالف الكتاب والسنة من أي عمل كما هو المشاهد من كتب الرأي المحض ، وما عليه الفلاسفة من تحكيم عقولهم ؛ ومن دان بدينهم بما لا يطابقه عقل ولا يوافقه شرع فهو من الرسوم التي لا يحل لمؤمن أن يدين الله بها والعصبية ، في اتباع المذاهب ، وتحزب أهلها أحزاباً وتضليل بعضهم بعضاً ، حتى صاروا كأنهم ملل مختلفة ، كما يعرف ذلك من عرف أيام الناس ، واطلع على مؤلفاتهم ، فهذا لا نرضاه وننهي كل مسلم عنه لأنهم أمة واحدة ، خير أمة ، ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، فأنى يكون التفرق والتعصب ، ولم نزل ننهي الناس عن ذلك في بلاد الحرمين وغيرهما ، والحمد لله ما من حاثة تقع في الدنيا إلا ولها منزع من كتاب الله تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) والسنة هي شرح القرآن عرف ذلك من عرف ، وجهل من جهل ولا يستطيع أحد أن يرد علينا صحة هذا القول ، ولكن أكثر الناس قد آثروا الخلق على الحق ، وظهر آثار ذلك في الكون باختلاف الأحوال ، ووقع التعادي بينهم (وما ربك بغافل عما يعملون) ولكنه يمهل ولا يهمل ، فسكنت شقاشق الكبيبي ،

ولم يدر ما يقول ، وقال دنت الشمس للغروب ، وبقي في النفس أشياء – فقال له السد الطيب ابن أخي سيدي أحمد بن إدريس إن غربت أتينا بالفوانيس والسرج ، وتمم اعتراضاتك ، فلم يصغ لذلك وقام من المجلس فأنشد بعض الحاضرين

وابن اللبون إذا مالز في القرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وتفرق الجميع ، وقد أذن المؤذن لصلاة المغرب ، فتقدم السيد رضي الله عنه وصلى بالناس ، وبعد انقضاء الصلاة دخل بيته ، واستدعى بالسيد على ابن محمد والسيد موسى بن حسن والشيخ عبد الله والسيد الطيب وأنا معهم ولما جلسنا بين يديه ، قال لنا ظهور الجهل من أشراط الساعة ، انظروا ما وقع من هذه الأمور التي ما كنت أحبها ، والتي لم يوجبها إلا جهلهم وضعفهم ، وهم مساكين قد جمدوا على ظواهر من الشرع ، وعرفوا جزئيات من العلم وضالوا من خالفهم بها ، وليتهم إذا لم يعلموا وعلموا فهموا ، وإذا ضلوا وأرشدوا قبلوا ، ولكنهم مجبولون على المكابرة والعناد ، وذلك شأن الجاهلين وقد ذكر الحكايات التي جرت له من المناظرة بينه وبين علماء المغرب عند خروجه من بلده من مدينة فاس ، بجامع القرويين ، وأيام إقامته بمكة ، وشكر نعمة الله عليه ، إذ ما من

معترض أو مجادل إلا فلقه بالحق الواضح ، وأسكته بالحجة ، وفي صباح اليوم التالي وصلنا إلى جنابه على جاري عادتنا ، وبعد شروق الشمس وجلوسنا للدرس ، لم نشعر إلا والأمير على ابن مجثل وثلة من حاشيته قد وصول المقابلة السيد ، وعند وصولهم صافحوه ، فاستدعى بسرير للأمير على بن مجثل ، فجئ به ، واجلس عليه ، فابتدأ يلاطف سيدي أحمد بالكلام الطيب ، والسيد يسرد له الأحاديث التي فيها القوارع والزواجر ويملي عليه أنواع الوعظ للترغيب تارة والترهيب أخرى ، ويخوفه بخطر المقام الذي هو فيه ، إن لم يحصل منه السير على المنهج النبوي ، والتحكيم للشرع الشريف في الأقوال والأفعال ، واتباع سنة الخلفاء الراشدين حالاً ومقالاً ، فقام كاتب الأمير المسمى على بن يحيى وكلم سيدي أحمد سراً بأ، الأمير يريد أن يختلي معه ببيته خاصة ، ويكلمه فقام السيد ، واستدعى الأمير ، وقد دخلنا ضمن من دخلوا ثم اندفع الأمير يعتذر مما حصل من توابعه وفقهائه ، ومن سوء أدبه مع جناب السيد ، وإنما كان قصده غير هذا وهو لم يرض بذلك وإنما هم غلبوه على رأيه ، ولم يستطيع مخالفتهم ، لأنه ولا هم إلا حكام ، فقال السيد أنت في هذا المقام لا ينبغي لك أن تطاوع من لا يعرف من العلم إلا اسمه والتجرأ على العلماء ، وقد جاء في الحديث ما من خليفة أو

أمير إلا له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحثه عليه ، فعلامة بطانة الخير أن ينقل إلى أميره محاسن الناس ويتقرب إليه بما ينفعه عند الله ، وعلامة بطانة الشر أن ينقل إلى أميره معائب الناس ، ويتتبع عورات المسلمين ، ومن الواجب على مثلك أن يسند أموره إلى عالم قد أخذ العلم عن أهله ، وتربى بين يدي المشايخ ، وشهد له العلماء بالسبق في المعارف ، وهم موجودون بحمد الله تعالى . وفي الحاضرين بمجلسنا من هو بهذه الصفة ، ولو سألت لعثرت على المطلوب فمنهم أخونا فلان ، وأخونا فلان ؛ وعدد جماعة ، وأما هؤلاء (المطاوعة) فهم يخبطون خبط عشوء ، ولا يحل لك أن تقلدهم الأمور الشرعية فإنهم يوردون الفتاوى والأحكام ، عن غير خطام ، ولا زمام ، فسكت الأمير ، وقال نحن يا سيدي أحمد على عزم لجهاد هذه الطائفة من الترك في أبي عريش ، فقال له السيد ، أن أبا عريش فيه طائفة من أهل البيت النبوي ، ابوهم رسول الله r الذي تدعو الناس إلى القيام بشرعه ، وفيهم العلماء ورثة الأنبياء ، وأناس فضلاء ، ومالا يحصون من المتصفين بالإسلام حقاً ، وهؤلاء الذين معهم من الترك إنما هم بعض عساكر والبلاد أمرها لصاحب مصر ، فكيف تقاتلهم على هذا الوجه ، والله سبحانه وتعالى قد منه خير خلقه عليه الصلاة والسلام ، من دخول مكة ، عام

الحديبية ، ومن أن يطوف بالبيت الحرام ، نظراً لمن فيها من المؤمنين قال الله تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما) فانظر كيف منع الله رسوله r من دخول مكة ، وأهلها كفار لأجل من فيها من المؤمنين خشية أن تصيبهم المعرة ؛ أي المشقة ، فكيف لا يراعي الكثير ممن بهذه الصفة والإيمان والمطلوبون لكم ، هم قلة يسيرة ، فقال الأمير لابد أن نشعرهم فمن خرج من بينهم سالمناه ، ومن تأخر معهم قاتلناه وقام الأمير من المجلس فهذا حاصل ما وقع كتبناه ثم قرأناه على سيدي أحمد رضي الله عنه وحيث طلبتم نقله نقلناه لكم وذكرنا لكم الأسباب التي أوجبت هذه المناظرة وتفضلوا فأعرضوه على حضرة والدكم شيخنا وكافة أهل الحضرة ؛ والسلام عليكم ورحمة الله

كتبه الفقير لمولاه حسن بن أحمد بن عبد الله بن عاكش في جمادى الثانية سنة 1245هـ

وبعد كتابة ما تقدم من المناظرة ، عثرنا على أجوبة لم يوجد أصول أسئلتها ، إلا أننا رأينا الحاقها بالمناظرة ، لشدة ما بينهما من الارتباط ، بحيث تصح أن تكون إيضاحاً لبعض نقط منها وذلك إتماماً للفائدة

قال الأستاذ الشريف سيدي أحمد ابن إدريس ذو المقام النفيس (أما بعد) نقول لكم إن بعض أصحابنا يقول إنه يرى النبي r ، فهذه دعوى

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات اصحابها أدعياء

وفي الحديث لو يعطي الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، فإن اثبتم عليه ذلك ، فحينئذ يرد ذلك إلى الله ورسوله ، إن وجد قبل ، وإن لم يوجد ترك ، ولا نقدر مفروضاً ونتكلم عليه وقد كان عمر رضي الله عنه ، إذا سئل عن شئ لم يقع يقول دعوه حتى يقع وكان عمر إذا سئل عن مسألة ، يقول أوقعت ؟ فإن قيل له نعم جمع الصحابة رضي الله عنه فتكلموا فيها إن لم يعلم فيها شيئاً من كتاب أو سنة ، وإن قيل لم تقع ، يقول دعوها حتى تقع . ينزلها الله بمن شاء يعني فإن أنزلها لهم . فتح عليهم فهم حكمها من الكتاب والسنة . وكان يقول لعن الله من يسأل عمالهم يقع

فلنا بهم أسوة . وأما قولكم يحصل منهم التمايل والرقص . فلا نعلم أن أحداً يتمايل تمايل السكران ويرقص . فإن في حضرة الحق الذكرية شغلاً عن اللعب فإن المؤمن يستحي من ربه أن يراه على حال غير مرضي عنده ، ونحن لا نقول به . بل حين بلغنا عنكم سابقاً ما بلغ قلنا لهم أتركوا الاهتزاز في الذكر مع أنا لا نعلم فيها نهياً عن الله ورسوله موافقة لخواطركم لكونكم ترون تركه سد ذريعة . وأما قولكم يعظمون المخلوق بغير ما شرع التعظيم له به فإن كنتم تريدون بذلك التقبيل فهو مشروع . وقد ذكرنا لكم أدلته فاعترفهم بها أمس وقبل هذا قد بينا لكم منها ما يسر الله فقبلتم الحق فهو سنة متبعة لا ينكرها إلا من لا يدري أدلتها إذا دري وعلم وجب عليه القبول

وإن كمنتم تريدون غير ذلك فلا وجود لشئ من ذلك عندنا حتى ننهي عنه والخضوع الذي هو مقصود للتعظيم ظاهر . ومن أهوى ليأخذ حاجته أو يصافح أخاه أو يساره فظاهر ولا يتمكن القائم مما ذكر مع القاعد إلا بالهوى وقد أهوى النبي r على عثمان بن مظعون وهو ميت مسجي فقبله وقال له رحمك الله يا عثمان ما نلت منها ولا نالت منك ، ولا خصوصية في ذلك ، وقد أهرى عمر ليقبل رجل أبي عبيدة ، وأهوى مسلم ليقبل رجل البخاري ، فما فعلوا ذلك إلا ليروا

الناس أن هذا ليس منهياً عنه ، وأما الذكر جهراً فوارد فيه أحاديث صحيحة ، والنهي عنه يحتاج إلى دليل . فإن الله يقول (وما نهاكم عنه فانتهوا) وفي الأحاديث من قال (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير) في السوق بأعلى صوته ، كتب (له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة)، ومنها ما كان على عهد النبي r ، حتى قالت الصحابة ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله r إلا بالتكبير ، أي برفع الصحابة أصواتهم بالتكبير ، حين يخرجون من المسجد حتى تبلغ أصواتهم إلى أقصى المدينة ، ومنها أنهم كانوا يقولون عن أمر رسول الله r

اللهم لولا أنت وفي رواية

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

ويقول ذلك r ، والصحابة (بأعلى أصواتهم يقول هؤلاء ويجيب عليهم هؤلاء ، وغير ذلك ، ولم يقل لهم الرسول r " لا تذكروا الله جهراً إلا في هذه المواضع "

والنهي عن ذكر الله تعالى من أبدع البدع ، فلا نقول به ، ولا نرتضي لمسلم أن يلقى الله وهو يصد الناس عن ذكر الله ، ولو لم تكن استدامة الجهر . فإن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي يوم عيد بالمصلى فقال له ما كنا نفعله على عهد رسول الله r ، قيل له لو نهيته قال قد أخبرته وما أحب أن أنهي عبداً إذا صلى ، فكيف وقد ورد الترغيب في الجهر في الصحيح ، فمن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله r قال الله عز وجل لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى ، وهذا هو الجهر فليس قوله في ملأ هو السر وإلا فلا فائدة في قوله في نفسه ، وأما القول بأن رسول الله r لا يعلم الغيب ، فهو تذكيب للقرآن . وقد ذكرتم أول الآية وهو قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) وجوابكم هو الذي تركتموه (إلا من ارتضى من رسول) فالرسول ليس من نفسه علم بل ما أظهره الله عليه اطلع عليه ، وأين أنتم من قوله (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حدياً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) وأي غيب أعظم من هذا . وأي غيب أغيب من هذا ، ويلزم من هذا ففي جميع الشرع ، فإنه كله غيب جاءنا به رسول الله r ، وهذه

المسألة هائلة ، لا ينبغي لمؤمن أن يلج فيها ، فإنظروا ماذا تقر لو ، فإن كنتم تريدون أنه لا يعلم شيئاً غائباً ، ولا يعلمه الله به أصلاً ، فارجعوا عن ذلك ، فإنه إذا علمه الله علم ، وإن كنتم تريدون أنه لا يعلم الأشياء كلها كما يعلمها الله ، فهذا كل مؤمن يقول به ، فما فائدة ذكره ، وأما أصحابنا فلا يدعي الغيب منهم مدع حتى ننهاه عنه ، وأما القول بما قال ابن العربي ، فإبن العربي وغيره ينظر في كلامهم ، فما كان حقاً قبل ، وما كان بالملأ وهي ، وهذا يستوي فيه حتى الكفار ، فإذا جاء الكافر بكلام حق قبل منه ، فإنه لا أكفر من إبليس ، ومع ذلك قال فيه الرسول للصحابي لما صدق أما إنه صدقك وإنه لكذوب ، ولما قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، قال له الحق (فالحق والحق أقول) يعني قلت الحق ، فأقول لك الحق ، وأما قول من قال بكفره ممن ذكرتم وغيرهم ، فهو وإياهم يقفون بين يدي ربهم ، وأما نحن فالذي يجب علينا أن نقول (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وال تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) (وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) إنما الواجب علينا التثبت في كلامهم ، ومن جملة ذلك الكلام في ابن العربي ، فاعلموا رحمكم الله ، أن ابن العربي من الناس من ذمه ، ومن الناس من مدحه

وهم من أكابر العلماء ، يقر أولئك بجلالته عليهم ولا نرتكب مواقع الخطأ ولأن نسلك سبيل حسن الظن أحب إلينا ، فإن كان قد ذمه من ذكرتم فقد مدحه خلق أكثر ووثقه ونفي عنه ما نسب إليه جمع من العلماء والأولياء ومنهم الحافظ السيوطي ، وصنف فيه مصنفاً أسماه تنبيه الغبي في الذنب عن ابن العربي ، ومنهم القيصري والبرزنجي في مؤلف وابن جماعة وصاحب القاموس محمد بن يعقوب الفيروزابادي . حتى قال فيه بعد إطناب طويل

والله والله والله العظيم ومن أقامه حجة لله برهانا

إن الذي قلت بعض من مناقبه ما زدت إلا لعلى زدت نقصانا

وذكر الشعراني في مؤلف له أنه ترجم له جماعة بالصديقية الكبرى وأن جميع ما في كتبه مما فيه الإلحاد مكذوب عليه دسه اليهود في كتابه الفتوحات . قال وقد وجدت النسخة التي له عليها خطه ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك فاختصرتها ، ونحن مسئولون عما نقول ، وهذه الكتب لم تتحقق أن جميع ما فيها من هذا الرجل ولا قرأناها على إنسان ، وهو قرأها على إنسان أوقفه على المراد منها ، وهكذا إلى أن تنتهي إليه ، بل هي كتب ننظر فيها بعين الإنصاف ، فما كان له

شهادة الكتاب والسنة قبلناه ، وما رده الكتاب والسنة رددناه ، مع اعتقاد أنه لم يقله كما ذكر الشعراني ، فنبني على المحقق ونترك المكذوب ، وهؤلاء القائلون من العلماء بتكفيره وتضليله لو ثبت عندهم براءته ، وبلغهم ، وبلغهم ما بلغنا فيه ، لرجفوا عما قالوه ، وهم أولى بالرجوع ، فأنهم لم يكفروه إلا بما رأوا من الكلام المنسوب إليه ، ولم يجتمع به أحد منهم . فما حكموا إلا على المقالة ، لا على نفسه ، فهذا ظننا والله أعلم ونحن لا نقلد أحداً في دين الله . لا هو ولا غيره من العلماء ، إلا في النقل عن الله ورسوله فقط ، فتصدقهم في النقل خاصة ، وما قالوه من عند أنفسهم نرده إلى الله ورسوله . هذا ما يجب علينا مع كل من جاءنا بشئ من عند نفسه . (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) وما نحن معولون في شرع الله على رأي أحد ولا مكذبون للعلماء فيما ينقلونه إلينا عن الله ورسوله . فهذه حقيقة ما نحن عليه وإن اختلفنا في الوقت نرجع إلى الله ورسوله ، فوقت الصبح أوله حين يطلع الفجر إلى الأسفار . وأول العصر حين يصير ظل كل شئ مثله إلى أن تصفر الشمس وهو متفاوت في نفسه فينقسم إلى أول ووسط وآخر . والكل يطلق عليه أول

وقد أمر رسول الله r المؤذن أن يصبر بعد الأذان بقدر ما يفرغ الآكل من أكله والمعتصر من حاجته . ثم يقيم فلابد بعد تحقق الوقت والأذان أن يصبر الناس من ذلك امتثالاً لأمر رسول الله ، ثم إذا دخلوا في الصلوات وأطالوا فلا بأس . صلى الصديق رضي الله عنه الصبح بالبقرة . قسمها في الركعتين . قال الصحابة حتى ترفنا الشمس فناداه عمر بعد أن فرغوا رحمك الله يا أبا بكر كادت الشمس أن تطلع . قال له لو طلعت لفتنا غير غافلين . ولأصلي عمر بآل عمران

قرأ قراءة بطيئة حتى قال الراوي . لا أنسى قراء ألم الله لا إلا إلا هو الحي القيوم الخ وقرأس رسول الله r في المغرب بالأعراف قراءة مفصلة ، حرفاً بحرف حتى لو يشاء السامع أن يعد حروف القرآن لعدها ، قسمها في الركعتين فلا شك أنه استغرق الوقت كله قطعاً ، فإن غابت واخواننا فارغون عن شغل ، فما لم عذر في تخفيف الصلاة وخطفها ، وقد كانت صلاة رسول الله r تقام ، فيذهب الذاهب إلى قباء ورسول الله r في الركعة الأولى وفي رواية في الصلاة فإن تمادي الحال بالمصلي إلى استغراق الوقت كله ، فقد سمعت ما فعل الرسول r وصاحباه رضي الله عنهما ، ولا تحب أن ننقص عهد رسول الله r من تطويل الصلاة ، وما كان يخفف إلا لعارض كأن يسمع بكاء صبي فيخفف . ونحو ذلك

قال رسول الله r (إني لأدخل في الصلاة أريد تطويلها فأسمع بكاء الصبي فأخفف مخافة أن أشق على أمة) والتأخير عن الوقت معلوم . وأما تعليق ما يكتب فيه أسماء الله أو شئ من القرآن الذي تسمونه التمائم . فهو وارد جاء أبو دجا== إلى رسول الله r لما وجد في داره ما يخلفه فكتب له رسول الله r كتاباً وأمره بتعليقه هناك ، فذهب ذلك . وكان ابن عمر يلقن أولاده من كان بلغ أوان التلقين . هذه الكلمات التي أخذها عن رسول الله r ومن لم يحسن الكلام منهم كتبها وعلقها عليه . وهي (أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) فقد أنهينا إليكم بعض الأدلة فيما ذكر . والله يتولانا وإياكم بالتوفيق ويجنبنا الزيغ عن الطريق ، والحق أظهر من الشمس في الظهيرة ، لمن كان له بصر وبصيرة ، ولا يتعامى عنه من كان طالبه ، ولا خير في الشر من القول . والله يحفظنا ظاهراً وباطناً من طوارق ما يسخطه علينا آمين آمين

قد انتهى من تبيضها تاليا لها امام السيد محمد شمس الدين الحنفي بن السيد محمد الشريف بن السيد عبد المتعال بن السيد أحمد بن ادريس – كل من الشيخ عبد الرحمن محمد صالح والشيخ إمام عثمان والشيخ عبد القادر عبده

والشيخ عبد السميع أحمد امام بالقاهرة في يوم الاثنين 18 من شموال سنة 1354 الموافق 13 من يناير سنة 1936م والله سبحانه وتعالى يتولانا بلطفه ويجمعنا على حبه وحب نبيه الكريم والحمد لله أولا وآخرا

تقريظ

وهذه القصيدة لحضرة الفاضل الشيخ عبد السميع أحمد إمام الطالب بتخصص المادة الملحقة بكلية الشريعة من كليات الجامعة الأزهرية قالها في مدح سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه

نوره النوبة لاح في تبيانه فمحى ظلام الجهل ضوء بيانه

كالشمس إلا أن مطلعها أتى غرباً فهل قد حان قرب أوانه

أو كالشهاب أضاء لكن (ماله) سلم الخلائق من أذى نيرانه

كيف الأذى من نبعة الهادي الذي شمل الأنام بعطفه وأمانه

والغرس إن طابت أرومته أتى خير الجنى ثمراً على أغصانه

قل للذي أحقاده اضطرت وقد ظهر الخفي على حصيد لسانه

ياذا الذي أكل العناد فؤاده واسود حقدا قلبه بدخانه

أقصر ولا تبغ المحال فإن ذا ميدان فضل لست من فرسانه

هذا شهاب الله سيف قاطع للمبطلين بحده وسنانه

(شمس) يرى بالقلب ساطع نورها لم لا تراه ، أأنت من عقيانه

ورد صفا للشاربين ومنهل يشفي عليل القلب من أدرانه

هذا تراث من هداه قد اكتسى ثوب الجمان وزاد في لمعانه

يهدي القلوب إلى الحقائق بعدما غلب الضلال بها لطول زمانه

أثر يدل على الكمال وحبذا شرف يجاوز في العلا لعنانه

ومنارة يأوى إليها كل مضطرب الفؤاد من السرى حيرانه

سر أذيع فذاع في طياته نشر وفاح المسك من أردانه

أبداه أحمد للورى لما رأى فجر الهداية لاح في إعلانه

يا أحمد الخيرات سرك في الحمى أقوى حمى شيدت ذرا أركانه

ياوى إليه السالكون لربهم يبغون في الظل من أفنانه

فالجأ إليه يزدك ربك نعمة وكرامة في الخلد من رضوانه

أمر بطبعة هذه المناظرة الحسيب النسيب السيد محمد الشريف الإدريسي حفيد سيدي أحمد بن إدريس وقد اختاره الله لجواره قبل تمام طبعها في يوم 29 يونيو سنة 1937 أفرنكية . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

كتاب المنتقي النفيس

الفصل الأول : نشأته وحياته

الفصل الثاني : ما كتب عنه

الفصل الثالث : التبغ

الفصل الرابع : الأنفس

الفصل الخامس : الصوفية

الفصل السادس : براءة

الفصل السابع : نفس إدريس

الفصل الأول : نشأته وحياته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم

الفصل الأول :-

حقائق تاريخية فى حياة سيدى أحمد بن إدريس ﷺ المولد والنشأة رضي الله عنه

يقول الحسيب النسيب التقى الصالح والوالى الكامل والعالم العامل السيد محمد بن السيد على بن السيد محمد بن شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة مولانا وسيدنا السيد أحمد بن إدريس الشريف الحسنى رضى الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده . يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فى كل لمحة ونفس عدد يا مولانا ما فى علمك . والصلاة والسلام على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم .

أما بعد : فإن الأستاذ مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه تعالى انتهى نسبه إلى السادة الحسنية الإدريسية القاطنين بالمغرب .

وكان مولده كما رأيته بخط ابنه سيدى محمد ببلدة هناك تسمى (ميسورا) قريبة من " فاس " فى سنة ثلاث وستين ومائة بعد الألف ، وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم على أخ له فى الله . وبعد ذلك توجه على فاس لطلب العلم فأخذ عن جماعة محققين منهم ، كما ذكر سيدى محمد بن السنوسى فى (الشموس

الشارقة) العلامة عبد الكريم اليازغى والعلامة ابن شقرون والعلامة ابن كيران والعلامة سيدى محمد المجيدرى الشنقيطى والعلامة سيدى بن سودة التاودى .

أقول : وعن هذا أى سيدى محمد التاودى يروى الأمهات الستة كما أخبرنى بعض العلماء من تلاميذ تلاميذ الأستاذ حين قراءتى عليه (نخبة الفكر فى مصطلح الحديث) للحافظ بن حجر ومشايخ ابن سودة واسانيه فى مصر مشهورة لا تكاد تخفى على أحد من أهل قطره . وقد وشح وريقات بذكر عشرة من أمثالهم ، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى ، والإمام قاسم بن محمد جسوس ، والإمام أحمد بن المبارك السلجماسى اللمطى صاحب اللهب الإبريز . وأول هذه الثلاثة يحق أخذه من شيوخ أفاضل منهم الإمام محمد بن عبد القادر الفاسى عن أبيه ملين القلب القاسى عن عم أبيه العارف بالله الولى عبد الرحمن الفاسى عن شعبان عن ابن غازى وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى والجلال السيوطى وثلاثتهم عن الحافظ ابن حجر العسقلانى بأسانيده وثانيهم يحق أخذه عن مشايخ عمه سيدى عبد السلام جسوس عن إمام الأمة عبد القادر الفاسى بسنده وقد تقدم .

اللهم ارض عن الفطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثانى :-

صلة السيد أحمد بن إدريس بشيوخه وعلماء عصره

ولما أخذ من العلوم بالعروة الوثقى ، وارتقى فيها الغاية التى ليست لغيره ترقى ، جمعه الله بالإمام لهمام غوث عصره وفريد دهره مولانا السيد عبد الوهاب التازى الحسنى فسلك على يده علوم الطريق وعول عليه فى كل تحقيق ، وعنه يروى العلوم بجميع أنواعها وإليه يسند أدوية القلوب على اختلاف طبائعها ، ولكثرة اختصاره على هذا الشيخ ابتهج به سره ظن كثير من الإخوان أن لا شيخ غيره ، وهذا الشيخ له مشايخ أجلة وطرق معتبرة ، كما له عن الإمام العياشى بإجازته العامة عن الشيخ حسن العجمى ، لكن معولة على شيخ إرشاده مولانا عبد العزيز الدباغ الحسنى غليه فإليه غاية منتهاه وأقصى مرماه . ولسيدى عبد العزيز المذكور مشايخ أعيان كشيخه سيدى عمر ابن محمد الهوارى عن سيدى العربى الفشتالى عن سيدى محمد بن ناصر عن سيدى أحمد بن على الحال عليه السلام ج الدرعى عن أبى القاسم الغازى عن سيدى على عبد الله الغيلانى عن

سيدى أحمد بن يوسف الغيلانى الراشدى عن سيدى أحمد زروق رضى الله تعالى عنه بسنده المعروف إلى شيخ الطريقة وإمام الشريعه وتحقيقه إلى ابى الحسن الشاذلى الحسنى المغربى ، وأن نسبته التامة لمن لقنه الذكر مشافهة فى روضة سيدى على بن حرازم بأمر قيم الروضة وهو سيدى عمر الهوارى المتقدم ، كان قد استوصى به خيراً بقوله : (أوصيك به خيراً) وهذا الذكر هو (اللهم بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم إجمع بينى وبين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الدنيا قبل الآخرة) ..

وكان سيدى عبد العزيز يذكره كل يوم سبعة آلاف مرة خمس سنين منذ لقنها لذه ذلك الرجل ، ألا وهو شيخ شيوخ وإمام الرسوخ مولانا أبو العباس الخضر عليه السلام القائل فيه الحق تعالى : (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) ، واجتماعه بالمصطفى وأخذه عنه ليس فيه عند أهل الله تعالى خفاء ، وفى أخذه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يحفظ به الإيمان ، كما ذكر ذلك الإمام القطب الشعراني بأعظم بيان.

وقد تفضل الله تعالى على الأستاذ المترجم له بإبداع معنى هذا الذكر فى صلاته العظيمة مع نفائس زائدة لا يمترى فيها ذو بصيرة .

وهذا لفظ الصلاة العظيمة

(اللهم إنى أسألك بنور وجه الله العظيم . الذى ملأ أركان عرش الله العظيم , وقامت به عوالم الله العظيم . أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم . وعلى آل نبى الله العظيم . بقدر عظمة ذات الله العظيم . فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم . صلاة دائمة بدوام الله العظيم . تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم . وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك . واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً . واجعله يا رب روحاً لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم) .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثالث : -

أوراد الطريقة الأحمدية وفضائلها

وذكر تلميذه سيدى محمد عثمان الميرغنى فى شرح أساسه ما نصه : أخرج الجزولى فى الدلائل عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من صلى على صلاة تعظيماً لحقى خلق الله من ذلك ملكاً له جناحان جناح بالمشرق والأخرى بالمغرب ورجلاه مقرونتان فى الأرض السابعة وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله عز وجل له : صلى على عبدى كما يصلى على نبيي فهو يصلى عليه يوم القيامة) . وذكر العلامة إسماعيل النواب فى ترجمته له ما نصه : وكان رضى الله عنه يقول : أملى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأحزاب من لفظة حتى استشكل بعض أصحابه من العلماء مرة كلمة فى الحزب الخامس فقال : يا أخانا هكذا قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد كتب سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه رسالة إلى تلميذ له بالمخا بأرض اليمن يحثه فيها على قراءة الوردين العظيمين وهما الحزب الأول والثانى من الأحزاب وهذه هى الرسالة :

خطاب سيدى أحمد بن إدريس لتلميذه الشيخ محمد بن جعفر

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وولده وصفيه وحبيبه الشيخ محمد ابن جعفر جعله الله محموداً مكرماً عزيزاً فى حضرة قدس الله فى الدنيا والآخرة آمين .

السلام عليك أيها الأخ الحميم والصديق الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فاعلم أن لك عندنا فى القلب أمراً عظيماً راجياً لك بذلك أن تكون من المقربين فى حضرة التكريم إن شاء الله تعالى فكن من الشاكرين ، وتوجه بكليتك إلى ربك وتهيأ لما هو مهيأ لك من عند ربك لتكون من أول الفائزين . والزم قراءة الوردين العظيمين والحزبين الإلهيين المسمى :

(أحدهما : بالسر الأعظم والكنز المطلسم) .

(والثانى : يسمى بالتجلى الأكبر والسر الأفخر ويسمى بالتجلى الأقدس والنور المقدس فى حضرة القدس) ، ولهما أسماء كثيرة فإنه لم يسمع بمثلهما فى أحزاب الأوائل من المشايخ الذين سبقوا ، وقد تعجب الأنبياء عند سماعهما مثل الخليل وغيره صلوات الله وسلامه عليهم .

وقد عظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهما تعظيماً عظيماً ، فاتخذهما سميراً وأنيساً ، وترنم بهما فى الأسحار ، وحرض إخوانك عليهما نصحاً لله ، فإنهما باب فتح الله الأعظم ، وفيهما من الأسرار ما لا يصح الإيضاح به والله أعلم . وسلم لنا أيها الأخ الحبيب ريحان سلاماً كثيراً وأخبره أنه ببالنا . والسلام عليك أيها الأخ المكرم وعلى جميع الإخوان ورحمة الله وبركاته .

وهذه الأحزاب محتوية على العظيمية وقد علمت من هذا أنه حصل له ما سأله بقوله : (واجمع بينى وبينه) الخ .

وهذا المطلب قد حصل لكل من الأشياخ الثلاثة . قال سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنه فى كتابه "المنهل الرائق" : وقد أخذت عن جماعة ممن أخذوا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إما بواسطة واحدة أو بدونها . منهم شيخنا أبو العباس العرائشى يعنى السيد أحمد بن إدريس ، فقد أخذ أول مرة عن شيخه أبى المواهب التازى يعنى سيدى عبد الوهاب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأخبره ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقنه إياها قائلاً : لا شئ أنفع للعبد من (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . واما شيخنا أبو العباس

العرائشى فكان له فى ذلك القدم الراسخ كشيخه ابو المواهب التازى وشيخ شيخه الدباغ . وتتبع أحواله معه صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن استيفاؤها إذ كان فى أول أمره بل وفى أوسطه وآخره ليس له معول إلا عليه ولا رجوع فى شئ إلا إليه صلى الله عليه وآله وسلم انتهى كلامه .

خزنتها لك يا أحمد

وذكر العلامة إسماعيل النواب المذكور أن الأستاذ المترجم له تلقى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تهليله المعروف وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى شأن التهليل المذكور المخصوص لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة وكل نفس عدد ما وسعه علم الله خزنتها لك يا أحمد ما سبقك بها أحد علمت أصحابك يسبقون بها أو كما قال وقد رأيت فى مكتب للأستاذ المترجم له لتلميذه السيد محمد عثمان الميرغنى ما نصه : عليك بتلاوة الأحزاب ، وأكثر من هذا الذكر الذى خصنا الله به من بين أوليائه وقد أخذ من حضرة قدسه وهو (لا إله إلا الله محمد رسول فى كل لمحة وكل نفس عدد ما وسعه لعلم الله) ولقن هذا الذكر

للإخوان فإنه منة عظيمة والعدد بحسب الطاقة ولا تعارض فيما بين الكتاب وبين ما فى قوله لأنه قال : وقد أخذ من حضرة قدسه ولم يبين الآخذ ويحتمل أنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخذه عن الله ولقنه ولده هذا ولك فى التوفيق غير هذا . وعلى هذا الذكر العظيم وهذه الصلاة العظيمة والاستغفار الكبير ورد طريقته . ولفظ الاستغفار الكبير هو : (استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والإكرام وأتوب إليه من جميع المعاصى كلها والذنوب والآثام ومن كل ذنب أذنبته عمداً وخطأ ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً فى جميع حركاتى وسكناتى وخطراتى وأنفاسى كلها دائماً أبداً سرمداً من الذنب الذى أعلم ومن الذنب الذى لا أعلم عدد ما أحاط به العلم وأحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما أوجدته القدرة وخصصته الإرادة ومداد كلمات الله كما ينبغى لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يجب ربنا ويرضى) .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الرابع :

معالم الطريقة الأحمدية وكيفية سلوكها : -

وأما مبناها وكيفية سلوكها قال مفتى الأنام السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدلى الزبيدى فى كتابه (النفس اليمانى) : وهذا السيد الجليل طريقته السالك لها والداعى إليها الإقبال بالكلية على تدبر معانى كتاب الله . ولقد ذكر لى عفاه الله أنه مكث عدة سنين لا شغل له إلا تلاوة كتاب الله والتعرض لنفحات أسرار علومه ولطائف رقائقه وفهومه ، حتى منح الله به بما منح وفتح به ما فتح . وهذه الطريقة هى التى أشار إليها الإمام بن القيم فى شرح منازل السائرين حيث قال ما نصه :(والطريقة المختصرة القريبة السهلة الموصلة إلى الرفيق الأعلى التى لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ولا فيها آفة من آفات الطرق البتة وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم ويدفع عنهم . وهى أن تنقى قلب من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة ثم تقبل به كله على معانى القرآن واستجلابها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزلها على دواء قلبك) . ولا يعرف قدر هذه الطريقة إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وقطاعها والله المستعان .

وقال القاضى الحسن بن أحمد عاكش : وأعلم أن طريقته هى اتباع الكتاب والسنة . وكان يقول : التصوف هو تجريد القلب لله تعالى . وهو فى الحقيقة علم الوراثة الذى نتيجته العمل المشار إليه بحديث (فمن عمل بما عمل أورثه الله علم ما لم يعلم) وهذه الطريقة تسمى محمدية ووجه اختصاصها بالانتاسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الكل راجع إليه مستمد منه صلى الله عليه وآله وسلم لأن صاحبها بعد تصحيح البيت وسلوكه على مناهج الاستقامة المبينة فى الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يثوى على قلبه ويتخامر قلبه لتعظيمه ويهتز عند سماع ذكره ويصير تمثاله بين عينى بصيرته فيسبزغ الله عليه نعمته ظاهرة وباطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيراه يقظة ومنامة ويسأله عما يريد . وذكر أن نازل هذه الأسرار جماعة : منهم نور الدين الشونى والسيد أحمد التيجانى . ومما ذكره فى وجه التسمية هو بيان طريقه كما ذكره من أتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو دليل حب العبد لربه وباب حب الله للعبد كما قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) ومن أتباع الكتاب والسنة والإقبال والفهم فيه الذى من رزقه فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها وأمن

من الضلال أبداً وصار إلى الله على هدى وذلك لأن العبد لا يملك فى الاتباع وترك الابتداع وفهم الحق من القرآن الذى هو الطريق الأعلى إلى حضرة الحق إلا بحصول الحظ الأوفر من الطريق المحمدى بالاجتماع به يقظة كما ذكره الإمام السيوطى فى كتابه (تنوير الحلك فى جواز رؤية النبى والملك) ومن ثم جعل رضى الله تعالى عنه الصلاة العظيمة مدخلاً عظيماً فى طريقته كما أنها اشتملت على طلب الجمع به عليه الصلاة والسلام يقظة ومناماً الذى من تحصل عليه فقد أمن من الأغيار وسلك مسالك الأبرار وأنه يبقى لليل الجهالة والغواية بقاء مع إشراق الشموس وأنوارها .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الخامس :

عدة السالكين للطريقة الأحمدية

ومما يحسن سرد ما ذكر العلامة حسن عاكش فى كتابه (الدر المصون) .

وكنت جمعت شيئاً يعنى من كراماته فى كراس واحد فرأيت منه الكراهه لذلك

وقال : عندنا الاستقامة هى غاية الكرامة ونقل عنه كلاماً إلى قوله : ونحن جل قسطنا اتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخطوة القدم بالقدم فإنه كثيراً ما رآنى أمشى خلفه واضعاً قدمى حيث يضع قدمه فيقول لى : امشى فى طريقى حتى نوصلك إلينا . وإذا وصلت إلينا دخلت حضرة كان الله ولا شئ معه .

هذا وقد ذكر سيدى محمد السنونسى فى الكتب النافعة لأهل هذه قائلاً : وأنفعها كتاب (كفاية المريد وحلية العبيد) وما كتب حجة الإسلام الغزالى فهى المرهم الشافى لجريح الأهواء فإنه ما من دسيسة للنفس إلا وبينها وأوضح مداخلالشيطان على السالك وسبل غروره بما لم يذكره غيره .

قلت : وفى رسالة المترجم له المسماه بالقواعد ما قد احتوى على تلك الكتب الجامعة بل فيما كتبه لبعض تلاميذه ألا وهو السيد محمد عثمان الميرغنى قائلاً له فى مكتوب آخر : وفى الكتاب الذى وجهناه إليك لما قدمنا اليمن وأنتم فى ناحية السودان كفاية وقد وصل هذا الكتاب إلى أقوام فانتفعوا به غاية النفع وعلموا حقيقة طريقة الله على أى شئ وهذا الكتاب خلاصته :

خطاب سيدى أحمد بن إدريس لتلميذه الميرغنى رضى الله عنهما

أما بعد : أيدك الله بروح منه ولا أخلاك وقت عنه فشمر عن ساعد الجد ذيل الاجتهاد واترك الراحة والرقاد وقم لله عز وجل على قدم الصدق واجعل همتك فيه أعظم زاد . وإياك وإياك وإياك حتى من إياك . وإياك والإغترار بإقبال الخلق وتعظيمهم إياك ، فإنها فتنة وابتلاء ؟، وملاحظة إقبالهم سم قاتل ، وبرقهم خلب ليس فيه مطر هاطل ، فاقطع يأسك منهم ، واحسم طمعك عنهم واقبل على مولاك بكليتك قلباً وقالباً فإنه لا أضر على الفقير الصادق من طمعه فى الخلق ، فإن الطمع فى الخلق سيف قاطع عن الحق ، واعل همتك حتى يقتضى بك اخوانك ولا تستند إلى الراحة والبطالة فيأخذون بحظك فيهلكون واحملهم على الجد والاجتهاد وقو وقوفهم فى الله بالحال والمقال فإنه قد صحبنا جماعة من الإخوان المغاربة فعلت همتهم فحازوا قصب السبق فى معرفة الله فانفتح لهم الباب من الله فانخرطت لهم العوائد ظاهرهم وباطنهم فصاروا من المحدثين عن حضرة الحق بلا واسطة حتى أن كلاً منهم جمع كتاباً فى كراريس بما فتح الله عليه من المكاشفات والبشارات مما لا يسمع به عن أكابر الأولياء المتقدمين حتى أن بعض الأكابر كأبى يزيد استصغر نفسه فى جنب أحدهم .

فجد السير واجتهد لتكون فى أول الصادقين فإنى تعجبت من صدق هؤلاء الذين ذكرتهم لك غاية العجب فإذا دخلوا الخلوة أتوا بالعجب العجاب من غرائب المعرفة والمكاشفات واللطائف وإذا حضروا المجلس كشفوا بما يبهر العقول بحسن معاملتهم مع الله وقطع ما سواه وأنى لا أحب أن تكون بينهم بل أحب أن تكون من أعلاهم . وقد اتخذت الله لك وكيلاً وكفيلاً فيما رغبتك فيه وجعلته خليفة عليك فأعنى على نفسك بعلو الهمة فى الله وقد العوائق والعلائق القاطعة عن الله تعالى .

والسلام عليك وعلى أولادك وأهلك وجميع من يلوذ بك من الإخوان ورحمة الله وبركاته.

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل السادس

سند الطريقة الأحمدية الإدريسية

وأما سندها فمعوله كما عرفت مما تقدم على سيدى عبد الوهاب التازى وسيدى عبد العزيز الدباغ عن الخضر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولها أسانيد كثيرة كما تقدم عن الشيخ محمد المجيدرى عن القطب الجان القاقوى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعال عنه وكرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا السند نفسه قال المترجم له : أخذنا الحزب السيفى . وعن الشيخ أبى القاسم الملقب بالوزير قال المترجم له : وسنده يتصل بالشاذلى بوسائط كثيرة وسند الشاذلية يتصل بسيدنا الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما . تركت ذكر سنده لطوله . أقول : قال سيدى محمد السنوسى فى المنهل الروى : إن أبا القاسم المذكور أخذ عن سيسدى أحمد بن محمد بن عبد الله وهو لقنه سيدنا أحمد بن يوسف الفاسى وهو لقنه سيدى عبد الرحمن المجذوب وقد لقنه سيدى على السنهاجى المعروف بالدواز وقد لقنه سيدى إبراهيم أقحام وهو لقنه سيدى أحمد زاروق وساق سنده وتركته لشهرته . وبجملة فمعول سند هذه الطريقة على سيدى عبد الوهاب وكثيراً ما كان يقتصر الأستاذ المترجم له عليه ولتمام الفائدة فلنذكر بعض أسانيد المترجم له المتعلقة بالعلوم الظاهرة .

فذكر سيدى محمد السنوسى فى (الشموس الشارقة) أنه يروى تفسير الجلالين عن الأستاذ عنجملة من شيوخه من أعلاهم سند العلامة السندى بإجازته العامة عن أبى البقاء المكى كذلك عن البابلى عن أبى النجا سالم بن محمد السنهورى عن شمس الدين العلقمى عن الجلال السيوطى المذكور فى تفسير وحديث وفقه وغيره من سائر العلوم . وفى هذا السند كفاية عظيمة لأن الإمام السيوطى من تأمل فى كتبه رأى أنها احتوت على بغيته . وفى عهده أن كتابه شرح التقريب فى المصطلح قد احتوى على أسانيد كثيرة من الحديث وإن أردت الزيادة فلنزدك بسند الصحيحين فيروى المترجم له البخارى عن شيخه المعمارى عبد الوهاب التازى عن أبى اسحاق عن عبد الله بن سعيد اللاهورى عن قطب الدين بن علاء الدين النهروانى عن أبيه عن أبى الفتح الطوسى عن المعمر الهروى عن محمد بن شاذ يخت الريحانى عن يحيى الختلانى المعمر مائة واحدى وأربعين عاماً عن العزيزى عن الإمام البخارى وعلى هذا فيكون بين المترجم له والإمام البخارى عشر وسائط بل تسع على مال الإمام محمد بن على الشوكانى من أنه وقف على إجازة على الحافظ محمد بن الطيب المغربى عن القطب النهراوى عن أبى الفتوح باعتبار ثلاثيات البخارى ثلاثة عشر رجلاً .

وهذا السند عالى جداً ولما لا وقد قال معاصر المترجم له محمد بن على الشوكانى فى سند له فيه أكثر من رجال هذا السند يتصل بالبخارى يكون باعتبار الثلاثيات بينه وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم اربعة عشر واسطه وهذا غاية فى العلو لا يكاد يوجد مثله اليوم ويروى عن الإمام بن سوده عن شيخه بنانى المذكور عن شيخه بن الحاج عن الشيخ عبد القادر الفاسى عن عم والده عن القصار عن سيدى رضوان الفاسى عن السقيانى عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى بسنده .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل السابع

وفاة السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه

ولما أن درس العلوم بالمغرب الأقصى وأحيا معالم الطريقة واهتدى به جمع لا يحصى توجه إلى الحجاز فمر على مصر والصعيد وبعد أن أقام بالحجاز مدة

توجه إلى اليمن وبها توفى فى ليلة السبت الحادية والعشرين من رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف (1253هـ) .

ودفن بمدينة صبيا وقبره بها يزار وتلوح منه للوافدين أنواره وقد رثاه جماعة منهم أقضى القضاة الحسن بن عاكش بقصيدة طويلة منها :

لولا التأسى لساء بالأسى مهج على الإمام عظيم القدر والشأن

أعنى النفيس هو ابن إدريس من ظاهرت فينا مكارمه من غير نكران

شيخ الشيوخ وسلطان الرسوخ ومن ببحره العذب يروى كل ظمآن

لقد دعاه إلى الغفران خالقه فراح فى هذه الدنيا برضوان

وفتت أكبد من بعده حزنا وفى الضلوع اشتعال مثل نيران

لو كان يفدى فديناه وحق لنا بمن على الأرض من إنس ومن جان

وقال آخر :

وأنى بطيب العيش من بعد أحمد لمن بات آمنا أو أطال نهارا

فبلغ الأمانى نجل إدريس الذى يتوق على السبع الطباق منارا

فما ضر شمس الظهر لو أنصفت له بأن ضربت فوق الخدود خمارا

وما ضر جنح الليل لو جر ذيله على الصبح حتى لا أخال نهارا

فحق لهاذ الرزء شق قلوبنا إذا شققت منه الجيوب عذارى

ولو أنا أعرنا للسحاب مدامعا لما خلت من بين الأنام غبارا

فحق لصبيا اليوم أن تحقر الثرى وتطلب من فوق السماء فخارا

ولو رأى نورها كل ناسك لما شد للبيت العتيق ضمارا

وقال الفاضل الخيرى من قصيدة طويلة :

أغمض الموت منه غضب لسان كان منه للواعظ بالآثار

وطوى من بعد أن نشر السـ ـنة للناس غضة الاثمار

وأودع النور فى قلوب ذوى الـ ـرف وأضحى وديعة الأسرار

عم بالهدى للأنام فعم الز ء منا لكل بيت ودار

فاستوينا فى رزئه فبكى البا دون منا عليه كالحضار

لا تلمنا إن سكبنا دمو عا جاريات عليه كالأنهار

موته فى الحشى لظى جمرا ت وحرم الكرى على الأشفار

من لصوم النهار فى زحمـ ـة القيظ ومن للقيام فى الأسحار

من لهذا الأنام من ظلمة الجـ ـهل وخلط الأعذار بالإنذار

لو حمى سيدا من الموت حام لحمته جلالة المقدار

وقد اشتهرت طريقته فى اليمن والحجاز ومصر والشام وبلاد الترك والهند وحضرموت والسودان وجاوة والمغرب وليبيا والصومال والجبرت والحبشة . وبلغ صيته فى أقرب وقت جل المعمورة ، وأقبلت الناس على اسانيده وعلومه وأوراده .

الفصل الثامن :

مناقب السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه

وقد الف فى مناقبه واحواله واشياخه الجهابذة من المحققين تفضل الله علينا كما تفضل عليهم ورضى الله تعالى عنا بهم وجعلنا من أكمل حزبهم . إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير نعم المولى ونعم النصير . وفى هذا القدر كفاية لمن استبصر .

لكن لما جرت عادة أهل التراجم بذكر شئ من فضائل مترجميهم ومناقبهم يعتنى به تنبيهاً للواقفين بأن ذلك مما يعتنى به عند العارفين ، فلنختم بذكر شئ من مناقب المترجم له وفضائله التى لا تخرج عن طريق أهل السنة والجماعة ، وحيث كان البحث فى الترجمة عن وجوه ثلاثة عن الاستاذ من حيث سيرته وعن

طريقته وعن أورادها اللازمة كما بينته ، فليكن الكلام على مناقب سيرته فيختصر من جهتين : من جهة علماء الكشف الفائزين برؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، يقظة فى الدنيا جائزة كما عليه أهل السنة .

وقد ألف فى ذلك الإمام الجلال السيوطى كتاباً أسماه (تنوير الحلك فى جواز رؤية النبى والملك) والإمام ابن مغيزيل الشاذلى كتابا سماه (الكواكب الزهرة فى اجتماع الأولياء بسيد الدنيا والآخرة) .

ما كتبه علماء الظاهر من مناقب شيخ الشيوخ ابن إدريس رضى الله تعالى عنه .

أولاً : فأما من جهة علماء الظاهر فمن ذلك ما قال العلامة السيد محمد بن على ابن عقيل مخاطباً لقوم كما جمع فى المناظرة الكبيبية لاقضى القضاة الحسن بن عاكش وهو : أنا عرفت ابن ادريس من ايام مهاجرتى بمكة سنة اربع وثلاثين ومائتين بعد الألف .

وهو من العلماء الأكابر ولا نظير له فيما نعلمه فى الأقطار الإسلامية فى معارفه وعلومه الشرعية وفى علوم الحقائق ، وليس يقارن به أحد من أهل زمانه ، وقد أقر له بالعرفان الجهابذة من علماء الشرع الذين هم القدوة لنا فى هذا الزمان وهم مشايخنا مثل السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدلى والقاضى عبد الرحمن البهلكى صاحب بيت الفقيه ومن فى طبقتهم من علماء اليمن والشام ومثل القاضى محمد بن على الشوكانى قاضى صنعاء عرفه بالمكاتبة وأطنب فى الثناء عليه وارشد الناس إلى الاستكثار م علومه قائلاً بعد كلام طويل : (فإنها حديثة العهد بربها) . كما رأيته فى جواب له للسيد عبد الرحمن بن سليمان ، وكذلك عبد الله السيد الحافظ عبد الله بن محمد الأمير وأخوه المحقق قاسم بن محمد وابن أخيه العلامة يوسف بن إبراهيم .

فإذا كان مثل هؤلاء العلماء الذين تسنموا غارب الاجتهاد وما منهم إلا مصنف فى علوم الإسلام وهو إمام نقاد طأطأ إليه النقباء وأذعنوا له ثم ساق كلاماً ليس من غرضنا . وقال خاتمة الحفاظ المجتهدين وجيه الإسلام والملة والدين السيد عب الرحمن بن سليمان الأهدلى فى (النفيس اليمانى) بعد أن ذكره ، ونزل على

العبد الفقير الحقير ، وكان نزوله كنزول العافية على السقيم والشفاء للجريح ، والحمد لله على ذلك ، نسأل الله التوفيق لدوام الشكر على ما هنالك .

وكانت مدة إقامة السيد المذكور أولاً عشرين يوماً ثم بدا له التوجه إلى بندر المخا ثم جهة موزع فلما وصل إلى تلك الجهات ازدحم عليه الخاص والعام وانتفعوا فى أمر دينهم انتفاعاً عظيماً لأن السيد المذكور هدية فىعباداته وعاداته الهدى النبوى سيما الصلاة فإنه نفع الله به كان يقيها على الوجه التام الذى وردت به الأحاديث الصحاح الحسان من معلم الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعد إقامته مدة أربعة أشهر فى تلك الجهات عاد إلى مدينة زبيد – والعود أحمد كما يقال فى المثل السائر – ، فأقبل عليه الخاص والعام أشد من الإقبال الأول ، ولم تزل الأيام والليالى زاهرة ورياضها بلطائف العلوم ورقائق الفهوم معمورة أوقاتها بالعبادات ، والأقلام تكتب من إملاء السيد المذكور من الفوائد والعوائد والنوادر والشوارد مما ملئت منه الدفاتر ثم قال : وفى تلك المدة وقعت إجازة من السيد المذكور لكل من طلب الإجازة من أهل زبيد خصوصاً وأهل اليمن عموماً ، كما وقع نظير ذلك للحافظ ابن حجر عند قدومه من زبيد ، وفى أثناء هذه المدة لما دعا الشيخ عبد الغنى ليصلح بينه وبين حذام حاكم وصاب عزم السيد على الطلوع

إلى تلك الجهة ، ولما شاع خبر العزم اشتفهه العلامة عبد الكريم العتمى بقوله : مولاي سمعت بعزم على الطلوع إلى وصاب ، وقد وقفت فيما سبق على أثر فى أمر الزمان يأوي الدين إلى وصاب كما تأوي الحية إلى جحرها ، فعلمت أنه أنتم ، ثم ذكر كلاما إلى أن ذكر القصيدة التى أنشأها عند توجه الأستاذ من زبيد إلى جهة الحجاز أولها :

أما آن يستوقف الركب منشد وينجد ملهوف الشكاية منجد

على رسلكم لا تعملوها فإنها مواطئها أحشاء قوم وأكبد

خذوا من ثرى آثارها قبضة لنا فطيب ثراها للنواظر إثمد

ألم تعلموا أن العقيق تشعبت مجاريه فى خد الحزين تخدد

زفرت دموع العين قبل فراقه لما بعده فالأمس لليوم مسعد

ونحن وإن كنا شيوخاً فإنما لأحلامنا مهد الأصاغر تمهد

وقد رضعت من حافل الفيض منكمو لبان الهدى يروى الغليل ويرشد

وقد تعلموا أن الرضاع لمدة فما كملت فاستكملوها وأسعد

أبى الله أن ينأى بنا طلب العلا على حيث ما كنا وأحمد أحمد

ثم قال : وكان توجهه إلى بندر الحديدة وتلقاه أهلها بالإعزاز والإكرام ، ووقع فيها من تلك المجالس الفائقة الرائعة ما انتفع به بفضل الله تعالى الخاص والعام ، وامتدحه أدباء البندر بعدة قصائد ، منهم الفقيه العلامة خطيب البندر سالم بن داود والسيد الأديب أحمد بن عبد الله بن أحمد صائم الدهر والفقيه إبراهيم بن عبد الله الخيرى ، ثم سار إلى المرازقة واجتمع به سادتها وعلماؤها ثم توجه إلى القطيع ثم إلى باجل ونزل عند الفقيه العلامة محمد التازى ، ثم سار إلى صبيا وتلقاه أهلها بالإعزاز والإكرام ، ثم قال : ولله السيد السند الإمام محسن بن عبد الكريم حيث يقول :

شرفت صبيا بكم فغدت مورداً للعلم والنزل

ليت شعرى ما الذى فعلت فعلت قدراً على زحل

ثم قال : وامتدحه أهل تلك الجهات بقصائد فرائد ، ومما كتبه إليه القاضى العلامة المحقق الفهامة الوجيه عبد الرحمن بن أحمد البهلكى قاضى بيت الفقيه عافاه الله تعالى وبارك فيه :

علمت شوقنا إليها فزارت وأشارت أن ثم ود صحيح

عبرت فى الثرى على حب ليلى ولها فى الهدى بهم تبريح

فاستعادت أنفساً وهى تسرى فعليها منهم أريج مريح

عبرت على كل منزل نزلته فهى تسعى وكل ند يفوج

حضرة تحضر الملائك فيها ولهم فى مجالها تسبيح

حلق الذكر والعبادة لله وروح للمصطفين وروح

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

ثم قال : وقد اعتنى بترجمة حافلة فى كراريس للسيد المذكور السيد الجليل النبيل العلامة محمد بن على الديلى قاضى زبيد بتلك المدة استوفى فيها أكثر ما قيل فيه من المدائح ، وشرح كثيراً من أحواله الشريفة ، انتهى ما أوردناه من كتاب (النفس اليمانى) وقال المحقق النقاد القاضى حسن عاكش فى كتابه (عقود الدرر) بعد أن ذكر ما نصه : وأخذ علم الشرع من علماء وقته ، وأخذ الطريقة عن شيخه العارف بالله تعالى السيد عبد الوهاب التازى ولاحظته السعادة والعناية حتى صار فى أوان شبابه إمام القوم فى جميع العلوم ثم قال : وكان صبوراً على الذكر ، ويقول : (أكبر إذا لنفسى ذكر الله ولو أتركه ساعة لم أستطع) ، ثم يضرب رضى الله عنه مثلاً بالحوت إذا كان فى البحر فحياته فى ذلك فإذا فارقه مات ، وكان فى قيام الليل قد يستكمل الختم فى ركعتين وربما يردد الىية فى الركعة ويبكى حتى يصبح ، ومن شاهد عينيه رآها كالشراك البالى من البكاء .

وأما الصلاة إذا دخل فيها فهو يستفرغ الفكر فيها ويقبل عليها الإقبال الكلى حتى لو وقع أى حادث قريب منه لم يشعر به وقد سقط سقف أحد غرف منزله رضى الله تعالى عنه وهو فى الصلاة مرة وعندما فرغ منها قال له أحد تلاميذه : ربما سقط سقف أحد غرف المنزل فقال رضوان الله تعالى عليه : هل أتاكم أحد

من المنزل ؟ فقالوا : لا ونحن فى الصلاة فقد سمعنا رجة ، فقال : سبحان الله تصلون وتسمعون ! ولا رأيت أحداً من أرباب العلم يحسن الصلاة بآدابها النبوية على الوفاء والكمال منه ، ومن صلى معه لم تطب له الصلاة مع غيره ، وإذا دخل الصلاة يقترب فيها من الخشية والبكاء مع كمال حفظ النفس من المحافظة بالشرع ، فهو شبيه بما ورد فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا صلى كان له أزيز كأزيز المرجل ، وقد شاهدت منه هذه الصفة كثيراً ثم قال : وقد كتبت عنه كثيراً من العلوم الشرعية ولم تر عيناى مثله فى حسن تصرفه فى المعارف العلمية من سائر العلوم الشرعية ما بين السماع والعرض والإجازة والمناولة وكان مما أخذته عنه من كتب الحديث كتب الأئمة الثلاثة الشافعي وأحمد وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهم ، وكتب السنة : صحيح البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة لأبى داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وغيرهم من جوامع الكتب الحديثة كجامع الأصول لرزين العبدى ثم عدد جملة من جمع الجوامع والكتب الحديثة ، فمنها المختصر جامع رزين لابن الأثير ومختصراته الثلاثة : البارزى والربيع اليمنى والعيني ، وجوامع الإمام الأسيوطي الثلاثة وجامعها ، وغيرها للحافظ العراقى وفيه مائة ألف حديث ، ثم قال : ومما أخذت عنه علم

النفس بالطريقتين : طريقة أهل الظاهر بوجهتيهما الأسرى والتأويلى ، وطريق أهل الإشارة . ثم قال بعد أن عدد تفاسير أهل الإشارة الآخذ لها من الأستاذ نفسه : وتلك جميعاً ما يتفجر على قلبه مترجماً عنه بلسانه من الوجوه المبتكرة والنفائس المعتبرة العديدة بصريح الكتاب كنقطة فى بحر ومما أخذتته عنه أيضاً علم التصوف بالطريقتين السلوكية والعرفانية مما وصل إليه من طريق القوم آخذا عنه آدابها ملقناً إياي أورادها وملبساً خرقها ومصافحاً ومجيزاً بأسانيدها إلى أربابها بأسانيدهم إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنابني فى ذلك كله رضى الله تعالى عنه وكل ما يصح له وأنابني مقام نفسه قائلاً : من أخذ عنه فقد أخذ عنى ، ومن أخذ عنا فقد أخذ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والله على ما نقول وكيل .

ثم قال : ومما أخذ عنه ايضاً علم الفقه على طريقة السلف كالائمة الأربعة وغيرهم من أئمة المذاهب يأخذون مداركه الأصلية من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ن وكان فى ذلك رضى الله تعالى عنه الآية العظمى التى لم يسمع بمثلها فى مشرق ولا مغرب ، فما سئل عن نازلة إلا أجاب عنها بديهة بصريح النص فى الكتاب والسنة بوجه لا يكاد يهتدى إليه غيره غالباً ، وربما فتش عن ذلك أهل

اهتدى إليه أحد أم لا ؟ فلم يوجد من حام حول الحمى ولا من قارب ذلك المرعى .

ثم قال : ومما أخذته عنه علم التوحيد بذلك الطريق المختار عن السلف ومحققى أهل الله من خاصة الخلق مما هو مقرر ومعروف من طريقتي التفويض والتأويل ، وكان رضى الله عنه سلفاً من السلف مع ماله ولو شرحت ماله م الأحوال الإلهية ولو أردت مجملاً من علومه لعجز القلم عن إحصائها إذا توالت ، وفى الحقيقة يكثر عن التعبير عن شرح فضائله قلمى ولساني ، ويضيق صدر هذه الأوراق عن إظهار ما أجنه من وصف جنانى . وعلى الجملة فإنه ملك العلم بأزمته والعرفان بكلياته وجزئياته . وايم الله الذى خلقه فى أحسن تقويم وحباه هذا الفضل العظيم أنه ما شاهدته خصوصاً إذا خاطبته إلى رأيت العلم والعرفان يلوحان من شمائله . ورايت علماء الدهر عيالاً على فضله ، وقرأت نسخة التقوى من وجهة وألحاظه فاقتنصت شوارد الإفادة من ألفاظه ، وذكرت قول ابن الرومى :

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

انتهى ما رمته من العقود .

وقال خاتمة المحققين طراز عصابة الصديقين سيدى محمد ابن على السنوسى فى كتابه (البدور السافرة) فقال بعد أن ذكر : فقد أخذت عنه رضى الله تعالى عنه علوماً جمة وفنوناً تامة من أحاديث وتفسير وفقه وتصوف وغيرها مع ماله من الأبحاث الرائعة مع أهل التأويل مما لا تكاد تجده مسطراً لغيره ، وأما التوحيد الأخص فكان فيه إمام العارفين ومربيهم ، وكثيراً ما كان يخصنى بجزيل مواهبه حيث يكون وحده ، وغالباً مجالسه مطرزة بالكلم الجامع فى الإشارات الساطعة مما لا يعرفه إلا أربابه .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد ابن إدريس

ثانياً : ما كتبه علماء الكشف من مناقي شيخ الشيوخ أبن إدريس رضى الله تعالى عنه :-

وأما من جهة علماء الكشف والعيان فمن ذلك ما قاله ختم أهل العرفان ، وخلاص مقام الإحسان سيدى محمد عثمان الميرغنى فى مناقبه لأستاذه المذكور بعد أن ذكره ولقبه بكلام طويل فاق على الشيخ الأكبر ابن العربى فى الدقائق

والعلوم ، وفاق على الحكيم الترمذي فيما أعطى من القول المرسول ، فلو سمعت أذناك حميد كلامه فى الحقائق المرونقة أو طرق فؤادك جلال كرمه فى الحضرة المدققة لقلت : أقسمت بالله تعالى وبشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعطى أحد من الأولياء مثل هذا المشهد الذى هو فيه مجعول . فنسأل الله الذى منحه ووهبه من خزائن فضله أعطاه أن ينيلنا قطرة من شرابه الذى لم ينله أكابر العارفين ، وأن يجعلنا من خواص خواصه المقربين.

وما فى تكميل تلك المناقب مما لفظه :

وكان رضى الله تعالى عنه يعنى المترجم له كشف ومقام عال يرقى بلفظه فى أقل لحظة إلى أعلى الدرجات ، ويوصل السالك إلى أرفع المدارك ، كما اتفق لاستاذنا الختم رضى الله تعالى عنه لما لقنه الذكر واشتغل به ما شاء الله ، فدعاه يوماً من الأيام وأعطاه الحزبين وقال (هيئ لك محلاً خالياً وسدد جميع المسام واشتغل بالذكر والعبادة فعند الظهر يأتيك الفتح) قال : ففعلت كما أمرنى فلما كان وقت الظهر وقع لى ما وعدنى فرأيت سقف الخلوة انفرج ونزل على نور عظيم ودخل مسا ذاتى فوقت مغشياً على من الظهر إلى الضحى من اليوم التالى

الذى بعد يوم الفتح فلما أفقت صار جسمى كله عيوناً تنظر فأبصر من أمامى ومن خلفى ومن جميع جهاتى وكشف لى عن عوالم الملك وشاهدت الارض إلى (قاف) من محلى وغبت فى حب الله فلما استطعت القيام أتيت غليه فلما رآنى قال : يا أخانا عثمان أنت إلى الآن فى شهود الأكوان هاه فشاهدت الديوان الأعلى واتصل شهودى بالحضرة الإلهية إلى هذا الآن ولم يزل يرقبنى بلفظه ويربينى بلحظه حتى إنى كنت يوماً جالساً بين يديه فسألته عن (أرض السمسمة) فقال : سبحان الله يا أخانا عثمان أنت إلى الآن ما شاهدت (أرض السمسمة) ؟ فلما قلت له ما شاهدتها قال : هاه فوجدت نفسى فى تلك الأرض وهكذا كان حاله كلما سألته عن مقام عالى يوصله إلى فاتفق له يوماً أن سأله عن (السطح) الذى هو عبارة عن بلوغ أقصى الدرجات المعبر عنه (بالباب) وما وصل إليه من كمل من الأغواث والأفراد إلا قليل كسيدى محيى الدين وسيدى تيفور وأشباههم فعندما سأله عن هذا المقام قال : يا أخانا عثمان أنت إلى الآن ما وصلت (السطح) هاه فبمجرد قوله هاه ترقى أستاذنا الختم إلى أعلى مقامات المكافحة والفتوى .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد ابن إدريس

وما فى واردات الأستاذ المحقق والإمام المدقق سيدى محمد السنوسى رضى الله تعالى عنه من قوله : وفى ليلة ثالث وعشرون وقع اجتماع ببعض أهل الله وفيهم الشيخ السمانى رضى الله تعالى عنه والقوم ناظرون كلهم فى وصف الشفا : يعنى سيدى أحمد ابن إدريس فى سمو مقامه وتحققه وجزيل إرثه الذى كاد أن يكون به عين مورثة قال الشيخ المذكور : غاية ما أطلعنى عليه وعرفنى به مما بلغ سنام الولاية الكبرى والفردانية النورا من أكابر فحول أقطاب هذه الأمة كابى يزيد وسهل وجيلانى والحاتمى وما واحد منهم حام حول حماه ولا اكتحل بنور ثناه ثم أخذ ورقة وسطرهم فيها بلا مراء وهو يعددهم واحداً بعد واحد ويتمعن فيماله وصار داهشاً متحيراً بما يراه من عظيم مقامه .

حتى قال : لو اجتمع هؤلاء كلهم وزنوا لكانوا معه كالعدم ثم ناولنى تلك الرقعة وعددت المسطر فيها فوجدتهم خمساً وأربعين ثم نظرت فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جماعة من أصحابه وها أنا أنزر وأتفحص مع أصحابى هل أحد حذا حذوة واقتفى أثره فلم أجد . أ هـ .

ولعل السر فى قوله : فلم أجد دون فلم نجد لأنه هو وأصحابه كالشئ الواحد وما فيها أيضاً من أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له بطريق الكشف فى الثناء على أساتذه المترجم له : (أنا هو من كل وجه فمن لم يعرفه لم يعرفنى) يريد ككما هو ظهر المعرفة الكاملة كما للخواص . والله تعالى أعلم .

وقال : قل فى شأنه ووصفه ونعته كما يصح فى حقى لأجل هذا كثيراً ما نريك كيف اتحاد ذاته بذاتى وكيف هو ممتزج معه ومتحد ثم التفتت إلى الشيخين وقال لهم : أتشهدتن بهذا ؟ قالا : يشهد الله بذلك وملائكته وانبيائه ورسله وصالح المؤمنين – أقول : وقوله (كيف ممتزج معى ...... الخ) كما هو ظاهر كناية عن القرب والاتصال الكاملين ومما يناقى هذه المنقبة مما نقل من قوله رضى الله تعالى عنه :

لقد صار رب الخلق سمعى وناظرى وطرفى ورجلى مع يدى ولسانى

وبشرنى أن لا يعذب مسلماً رآنى حقا أو رأى من رآنى

وأنتم بمثل السمع منى قراراكم بأوسط قلبى من أذاكم أذانى

لأنى كبير الأولياء بأسرهم جمعت من العرفان كان بيان

فلستم تخافون الوجود بأسره يعوقكم عنى فلا والمثانى

وقوله : لقد صار رب الخلق يشير إلى حديث قدسى (ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه الخ) الحديث وهو حديث قدسى شهير عند المحدثين وقد تكلم عليه الإمام الشوكانى فى مؤلف جليل سماه (قطر الولى) وقد حصل الكلام على اختصار من الأستاذ عند قوله النبى صلى الله عليه وآله وسلم (وشوقى إلى ربى) فقال رضى الله تعالى عنه : قال الله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وإن كان كذلك فيكون الشوق من باب قول القائل :

ومن عجب إنى أحن إليهمو واسأل عنهم دائماً وهمو معى

وتبكيهمو عينى وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وهذا الشوق كل ينال منه على قدره فإذا تمكن صار عضقاً وشغفاً فإذا صار عشقاً وشغفاً غاب العاشق عن معشوقه قال مجنون ليلى لما جاءت إليه : إليك عنى فقد شغلنى حبك عنك وهذا ضلال المحبة أغناه الاتحاد بها عنها وهو مقام

الفناء ، ومقام الفناء الاتحاد . ثم قال رضى الله تعالى عنه :(فغذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به) الحديث كما يليق به عز وجل .

وليس المراد ما يتوهمه من لا بصيرة له مما يتنزه مولانا عنه . فذلك كفر وضلال . والاتحاد الذى يذكره أهل الله رضى الله تعالى عنهم أمر ذوقى لا يمكن التعبير عنه ، فهو من علوم الأذواق لا من علوم الأوراق .

فلم تهونى ما لم تكن فى فانياً ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

ولطالما نبه رضى الله تعالى عنه على أن لا يفهم هذه الكينونة على غير شئ لا يليق ، فمن ذلك ما قاله فى شرحه لبيت :(توضأ بماء ويداً ورجلاً ، كما يليق بجلاله من غير حلول ولا مزج ، ولا أن يرجع العبد رباً ولا الرب عبداً . وتكلم على هذا الحديث فى موضع بما لا تسعه هذه الوريقات وما فى عقود الدرر للرشيد الهمام . فقال : وقال يعنى الأستاذ رضى الله تعالى عنه : وسأل بعض إخواننا المقربين أهل الوصلة والاجتماع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالنا عند الله وعنده فقال له عليه الصلاة والسلام : ابنى أحمد بن إدريس غوث لا كالأغواث وفرد لا كالافراد وجرس لا كالأجراس ، فوق الكل وممد الكل . والله

على ما نقول وكيل . وجوابنا هذا نرده بين يدى الله تعالى يوم القيامة . ولقد حكاها لنا شيخنا الوالد . زاد بعد وممد الكل مما لا يعلم حقيقته غير ربه .

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل التاسع :-

مناقب الطريقة الأحمدية وأفضليتها

وأما الكلام عن مناقب طريقته فمن ذلك ما للقاضى حسن المتقدم ذكره فى عقود الدرر ، قال : وقد قال يعنى الأستاذ : أرباب هذه الطريقة أخذوا طريقهم بوسائط ، وأنا أخذت طريقتى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلا واسطة ، فأنا طريقتى محمدية أحمدية ، مبدؤها من النور المحمدى ومنتهاها إليه . وما كتبه الأستاذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم فقال : اعلموا أن البشائر قد تواترت من حضرة الرحمن إلى جميع الإخوان ، وقد تكفل لنا رسول الله r بجميع الإخوان ، فمن انتسب إليكم لم أكله إلى كفالة غيري ولا إلى وكالة غيري ، وهذه بشرى عظيمة ومنزلة فخمة كريمة . وما في تكملة المناقب للسيد

محمد عثمان الميرغني : ورأى بعض الصالحين النبي r ومعه أكابر أهل السنة ، وكان كل واحد منهم يذكر طريقته ويصححها على النبي r : طريقتي هي طريقة أحمد ابن إدريس . فقالوا : يا رسول الله السنا كلنا على طريقتك ؟ فقال لهم : كلكم على طريقتي ، ولكن طريقتي الخاصة هي طريقة أحمد بن إدريس .

فضائل أذكار الطريقة الأحمدية

وما يتعلق بالأذكار فمنها التهليل والعظيمية كما في (تعمير الأوقات) ، ففيه قال رسول الله r لبعض العارفين : لو أن واحداً يقول (لا إله إلا الله) وأمد الله في عمره من لدن آدم إلى النفخ في الصور ، وآخر قال هذه الصيغة مرة واحدة لفضلت بما لا نهاية له ، ويريد بالصيغة :(لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) وفيه : فكيف إذا صليت بالصلاة العظيمية التي قال فيها رسول الله r لبعض العارفين : إن المرأة فيها تعدل الصلاة الجزولية ألف ألف هكذا بالتضعيف حتى حسبها عشرين مرة . وأما الاستغفار فمما له ما روي عن الأستاذ من قوله : ومن أعظم استغفار كنت كتبت به إلى بعض الأولياء فأرسل كتاباً يقول فيه : الاستغفار الذي بعثت به إلى قرأته مرة واحدة ،

فغفر الله لي ذنوبي كلها ولم يبق منها شئ ، ثم قال : هذا يدل على أنه يعلم أن الله غفر له علماً صحيحاً من الله وإلا كيف يقول غفر لي ، وأما فاتحة الأوراد التي تستعمل أوائل كل عمل وهي (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرقة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض وكل شئ هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله) ، فقد ذكره الإمام الشاذلي في حزب البر وفضله معروف ، وأما صيغة الصلاة التي تذكر قبله وهي : (اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين)

ففي التعمير المذكور : أنها الصلاة التي يصلي بها المهدي عليه السلام على النبي r ، وأما كفارة المجلس وهي (سبحانك اللهم وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت . أستغفرك وأتوب إليك . عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) فهي أشهر من أن يذكر فضلها ، وأجل من أن يرى مثلها ، ثم اعلم أنه كما مر لك أن العدد في التهليل بحسب الطاقة ، كذلك في الباقي إلا الاستغفار في السحر فيعين بالسبعين ، وما تفعلوا من خير فلن تكفروه . ومن أراد البسط على هذه فعليه برسالة الأذكار بأكثر مع حل معانيها وعليه برسالة مختصر الأنوار القدسية في الطريقة المحمدية الأحمدية الإدريسية وفي رسالتي

التي هي دفع الاعتراض عن سيرة شفاء الأمراض كلام على التهليل يشفي الغليل من بعض الحيثيات . وفي كتاب النفس اليماني جعل تقليعاً حافلاً يتعلق بالكلام وعلى أوراده جميعاً وعلى اللازم منها خصوصاً بحيث يحصل به الإقناع الموافق من المؤلف والمخالف . والله المستعان وبه البلاغ وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة غلا بالله العلي العظيم وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

، وقد أعجبني تلك المناقب التي جمعها الأستاذ السيد محمد بن السيد على المشهور بالسيد اليمني . ولا بأس بقراءتها عقب كل حول . وفي عزمي إن شاء الله جمع المناقب كلها في مجلد واحد وهي مناقب السيد السنوسي والسيد محمد عثمان والسيد إبراهيم والسيد الأهدلي وغيرهم ، وتسمى هذه المجموعة : مناقب شيخ الأولياء للسادة الأولياء . حتى يكون كل مريد من أهل هذا الطريق على بصيرة من شيخ شيخه قد وفقني الله تعالى إلى إضافة فصول إلى المناقب

التي جمعها السيد اليمني فجاءت بحمد الله ميسرة ، وقد سماها السيد أحمد بن إدريس (المنتقى النفيس) والحمد لله على ذلك

الفصل العاشر

ما كتبه العلامة محمد البشير ظافر الأزهري من كتابه " اليواقيت الثمينة "

ومما كتبه العلامة الشيخ محمد البشير ظافر الأزهري في كتابه المسمى (اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة) ما نصه : السيد أحمد بن إدريس والقطب الغوث العارف العالم العامل الفرد الهمام الكامل . يقيه السلف وعمدة الخلف . خاتمة العلماء المحققين صاحب العلم والتدريس الحسنى نسباً من ذرية الإمام الشريف السيد إدريس بن السيد عبد الله المحض . المغربي بلداً ، ولد السيد أحمد بن إدريس بقرية يقال لها ميسور ، بالقرب من فاس ، ونشأ من صغره مجبولاً على الاجتهاد في كسب العلوم بهمة عرشية ، فأخذ رضي الله عنه علوم الظاهر عن أكابر علماء أهل عصره وجهابذة أهل وقته ، حتى صار في أوان شبابه إماماً في جميع علوم الظاهر ، ثم أخذ طريق السادة الشاذلية عن الأستاذ التازي وسيدي أبي القاسم الوزير الغازي

وأخذ عن أجلاء المغرب ، وارتحل من فاس سنة 1213هـ إلى الأقطار المصرية ، وأخذ بالصعيد عن الشيخ بن حسن القنائي والشيخ محمود الكردي ، ثم ارتحل إلى الأقطار الحجازية ، ومكث بها أربعة عشر سنة بمكة المشرفة ، ثم عاد إلى الأقطار المصرية وصعد إلى صعيد مصر ، وأقام ببلدة تسمى الزينية خمس سنين

ثم عاد إلى مكة وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ثم انتقل إلى الأقطار وأقام بها تسع سنين . وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ، ودفن جسمه الشريف بصبيا (بلدة باليمن) ولديه من الكرامات مالا يحصى ولا يحصر

وقد أفرد بها تآليف ، وأذعن له علماء اليمن بالولاية ، وأخذوا جميعاً عنه طريق القوم . ولقد أخذ عنه أجلاء وقته من فضلاء العلماء والسادة في سائر الأقطار ، كالأستاذ العلامة الشهير السيد محمد بن على السنوسي صاحب الجبل الأخضر رضي الله تعالى عنه ، والأستاذ القطب العارف الأكبر جدنا الشيخ محمد حسن ظافر المدني رضي الله تعالى عنه ، والسيد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه ، والشيخ المجذوب السواكني رضي الله تعالى عنه ، والشيخ

إبراهيم الرشيد رضي الله تعالى عنه ، وله مؤلفات ومجالس علمية ككتاب (العقد النفيس في نظم جواهر التدريس) ، والصلوات المسماة بالمحامد الثمانية وغير ذلك

وكان رضي الله تعالى عنه يتكلم في علوم التفسير والحديث بما يبهر العقول من أنواع العلوم والبلاغة وحسن التعبير ، وكان رضي الله عنه له قوة فكر في أخذ الدليل من الكتاب والسنة استنباطاً وانتزاعاً ، ولم يكن له في زمانه من يدانيه في الحفظ وملكة الاستحضار . وتعصب عليه علماء مكة ، وجمعوا له أحاديث مقطوعة وموصولة وضعيفة وصحيحة ، وخلطوا أسانيدها ، وجمعوا له مسائل من فنون العلم ليختبروه بها ، فلما جلسوا بين يديه أجاب كل واحد عن مسألته ، ورجع الأسانيد إلى الأحاديث ، وتكلم في العلم بكلام صحيح يكاد يخرج عن طور العقل يعجز عنه فحول العلماء . وكان جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، له الباع الطويل في جميع العلوم ، والشهرة التامة في علمي القرآن والحديث رواية ودراية كشفاً وتحقيقاً . وأخذ عنه علماء الأعلام أئمة العصر كالسيد عبد الرحمن الأهدلي مفتي زبيد والشيخ محمد عابد السندي صاحب الثبت في الأسانيد وغيرهم ، رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه

قلت : وقد طالعت كتابه المسمى (بالعقد النفيس في نظم جواهر التدريس) ، ونقلت ما بقي من كلامه رضي الله تعالى عنه

وقد تركت ما نقله الأستاذ محمد البشير عن العقد النفيس ، لأنه مطبوع وموجود بكثرة بمصر بمكتبة الشيخ مصطفى الحلبي

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الحادي عشر

ما كتبه الشيخ محمد خليل الهجرسي في كتابه " القصر المشيد "

ومما كتبه فضيلة الشيخ محمد خليل الهجرسي الشافعي الأزهري الإدريسي طريقة رضي الله تعالى عنه في كتابه (القصر المشيد) ما نصه :

لقد سمعت منذ كنت بالأقطار الحجازية بطريقة تدعى بالطريقة الرشيدية الإدريسية ، فاجتمعت برجال من أهلها أولى كمال ، فسألت عن حقيقة هذه الطريقة ، فأخبروني أنها جامعة للخلوتية والشاذلية ، وقد تلقوها عن سيدي إبراهيم الرشيد ، وهو تلقاها عن سيدي أحمد ابن إدريس ، وهو تلقاها عن الأستاذ التازي ، وهو تلقاها عن الغوث الدباغ . فقلت : وهل تقرءون أوراد سيدي أبي الحسن الشاذلي المشهورة ؟ أو أن الأستاذ الرشيد أو شيخه الإمام ابن إدريس جعل لأولاده أحزاباً يقرءونها تناسب الحال والوقت كما هي عادة الأساتذة قديماً ؟ فقال : بل إن أستاذنا السيد أحمد بن إدريس صنف أحزاباً مستقلة قد تلقاها عنه أستاذنا السيد إبراهيم الرشيد ، ثم أطلعوني على تلك الأحزاب ، فإذا هي أمر من أعجب العجاب ، ثم سألوني أن أشرح لهم الصلوات فقط ، وقد أراد الله ذلك وشرحتها شرحاً كبيراً بالمدينة المنورة سميته " الفتوحات المدنية الهجرسية " . ولما جئت من تلك الأقطار القدسية إلى هذه الأقطار المصرية ورأى هذا الشرح دولت مختار باشا الغازي المندوب العثماني بهذه الديار فأعجبه هذا الشرح غاية الإعجاب ، ولكن رآه واسعاً ، فاستحسن اختصاره في شرح صغير سهل التناول وقد كان ، وأعانني الكريم المنان على اختصاره ، وطبع واشتهر ، ثم إني سألت

جماعة الأستاذ سيدي إبراهيم الرشيد وأنا معهم في تلك الديار عن مناقب الأستاذ السيد أحمد بن إدريس ومناقب خليفته الأستاذ الرشيد ، وكانت مدونة عند بعض جماعة منهم فأحضروها إلى ، وكان بعض أكابرهم كالعلامة الشيخ إسماعيل النواب أخبرني شفاها عن بعض كراماته قبل إطلاعي على المدون فوجدته مذكوراً فيه أيضاً كما أخبر ، وبعد حضور إلى هذه الديار المصرية سنة تسع بعد الثلثمائة وألف هجرية اجتمعت بخليفة هذه الطريقة الرشيدية الإدريسية المدعو الشيخ موسى أغا راسم فوقع بيننا مودة ، فسألني عن تصنيف هذا الكتاب في بيان ما يجب على المريد فسألني في التوحيد ، وتعقبت ذلك بذكر مناقب الأستاذين السيد ابن إدريس والسيد إبراهيم الرشيد ، وما تواتر عنهما من الكرامات التي أكرمهما الله تعالى بها

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثاني عشر

ما كتبه الشيخ النبهاني في كتابه " جامع كرامات الأولياء "

ومما كتبه العلامة القاضي فضيلة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة حقوق بيروت في كتابه (جامع كرامات الأولياء) ما نصه : هو أحمد بن إدريس أحد أفراد مشاهير الأولياء العارفين الذين ظهروا في القرن الثالث عشر ، وهو صاحب الطريقة الإدريسية المشهورة ، من أعظم كراماته التي لا يفوز بها إلا الأفراد اجتماعه بالنبي r ، وأخذه عنه مشافهة أوراده وأحزابه وصلواته المشهورة ، وقد قرأتها جميعها – والحمد لله – يرونه عامياً صالحاً ويحترمونه لكبر سنه ، فإنه عمر مائة وثلاثين سنة تقريباً ، ثم قال له المجيدري بعد قليل إن الشيخ لم يأذن لي في ذلك ، وقال ائتني به أجمعه برسول الله r ، فازداد تعجباً من ذلك . فذهب سيدي أحمد مع المجيدري إلى سيدي عبد الوهاب التازي وأخذ عنه الطريق وأقبل عليه ولازمه وانقطع بكليته لديه . ثم بعد مضي مدة يسيرة قال له أستاذه التازي : أن شيخك المجيدري توفي إلى رحمة الله تعالى . قال : بم عرفت ذلك يا سيدي ؟

قال : إن الشيخ المربي له أوقات يخصها بالتوجه إلى مريديه لأرواحهم ، فما داموا أحياء لا يلقاهم على حالة واحدة ، بل يراهم تارة أنور وتارة أظلم بحسب سلوكهم وطاعتهم ، وتارة أقرب إلى الله وتارة أبعد . ولي عدة أيام ألقاه على الحال الذي تركته عليه ، والمكان الذي أعهده فيه . وهذا العلامة المجيدري هو الذي تلقى عنه سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه الحزب السيفي بروايته عن الققائي قطب الجان عن سيدنا على كرم الله تعالى وجهه . وحين أقبلت الركبان من شنقيط في ذلك الوقت أخبروه بوفاة المجيدري رحمه الله تعالى . وكان الأمر كما ذكر سيدي عبد الوهاب . ومرة ذهب سيدي عبد الوهاب بسيدي أحمد إلى ضريح شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ المذكورة مناقبه في كتاب (الذهب الأبريز) لسيدي أحمد بن المبارك ، وقال له عند الزيارة : هذا شيخي وأبي من الرضاع ثم قرأ هذين البيتين :

لقد نثتت في القلب منكم محبة كما نبتت في الراحتين الأصابع

حرام على قلبي محبة غيركم كما حرمت يوماً لموسى المراضع

وكان أحياناً يذكر سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله تعالى عنه ثم يقول :

تعشقتكم طفلاً ولم أدر ما الهوى

فشاب عذارى والهوى فيكمو طفل

يا أحمد أمرنا كله جد

وكان سيدي عبد الوهاب أحياناً يقول بين أصحابه امتحاناً لهم : وددنا لو أن أحداً جاء لنا بفاكهة بلد كذا . فيقول بعض أصحابه : كبر سن الشيخ فيتكلم بمثل هذا . فيقوم سيدي أحمد يتهيأ ويتزود للسفر ، ثم يأتي للوداع ويقول : يا سيدي إني مسافر لذلك ، فإذا قبل يده يقول له سراً في أذنه : يا أحمد أمرنا كله جد من أعطى الجد يعطي الجد . ومن كلام سيدي عبد الوهاب رضي الله تعالى عنه : قصدي أن تعرفه يا أحمد ولو جاءك في صورة كذا ، ومن كلامه رضي الله عنه حين سئل عن الشيخ المربي ، أهو الذي أطلعه الله تعالى على ضمائر خلقه ؟ قال : لا . ثم قيل له : أهو الذي كشف الله تعالى له من الفرش إلى العرش ؟ فقال : لا . قيل : فمن هو يا سيدي ؟ فأجاب بقوله تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) . ثم أنه رضي الله عنه لازم سيدي عبد الوهاب مدة سنتين

إلى أن توفي رضي الله عنه ، فاستخار الله سبحانه وتعال في صحبة أحد من المشايخ ، وكان يحب ويتشوق أن يصحب بعض إخوان طريقه من تلامذة شيخه كان يسمى عبد الله ، وكان من كمل العارفين بالله . ومن كراماته رضي الله تعالى عنه : أنه غاب عن بلده مرة ليذكر إخوانه في الله ومعه جملة من أصحابه ، فمات ولده ، فأخبروه بذلك فأرسل إليهم أن لا تدفنون حتى أحضر ، فحضر بعد ثلاثة أيام ، فقال له : من قال لك تموت ؟ قم بإذن الله تعالى . فقام حياً . فلم يشر له في صحبته وأمر بصحبة سيدي أبي القاسم الوزير الغازي فرجع من التازي للغازي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

وكان سيدي أبو القاسم هذا من الأفراد ، فلما جاء إليه حسب الإشارة قال له سيدي أبو القاسم : إن شيخي سيدي على بن عبد الله ترك لك أمانة فهي وديعة عندي ، وصف ذاتك لي حتى أخبرني أن أول قدومك تسكن البيت الذي عند المقابر ، وهذا شيخه سيدي على ابن عبد الله أخذ عن شيخه سيدي أحمد بن يونس عن سيدي أحمد زورق عن الشيخ عقبة الحضر من عن يحيى القادري عن سيدي على وفا عن والده سيدي محمد وفا عن داود الباخلي عن سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنهم أجمعين

قال : وسأل شيخنا شيخه سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنهما عن وصول الأمانة المودعة ، وكيفية استفاضته عن سيدي أبي القاسم الغازي ، إن الأمانة التي أودعها سيدي على وصلتي قبل وصول إلى سيدي أبي القاسم ، وطريق استفاضتي منه أكثرها كان بالتوجه القلبي ، كنت أجلس في صفة قرب مجلسه مراقباً له إذا حضرت عنده وأسأله بقلبي ما بدا لي وهو يجيبني بقلبه . قال شيخنا له : يا سيدي ماذا كانت الأسئلة ؟ قال : من حضرة كان الله ولا شئ معه فصحبه سيدي أحمد ولازمه إلى أن توفى إلى رحمة الله . ثم توجه إلى الله تعالى في أن يشار له إلى الشيخ المربي في مشرق الأرض ومغربها ، وكان يقول : مما وجدت من المنفعة في خدمة المشايخ كان لي حرص عظيم ، وكنت أظن أني لا أنقطع أبداً عن صحبة واحد بعد واحد ، حتى قيل لي من الحضرة الإلهية (لم يبق على وجه الأرض أحد تنتفع منه إلا القرآن) قال رضي الله عنه تعالى عنه : فجلست سنين عديدة لا أشتغل بشئ غير القرآن العظيم . ثم : أخي رسول الله r بيني وبين القرآن وقال : أبد له ما فيك من العلوم والأسرار . فكان رضي الله عنه إذا سئل عن آية من القرآن العظيم يأتي من الحقائق من معانيه ودقائقه بما يبهر العقول ، وتعجز دونه الأفكار والنقول

وقد ذكر لنا شيخنا سيدي إبراهيم الرشيد رضي الله تعالى عنه غير مرة أنه حضر ستة مجالس في ثلاثة أيام في كل يوم مجلسين : مجلساً بعد صلاة العصر إلى المغرب ، ومجلساً من بعد صلاة الصبح إلى ما شاء الله من النهار . وقد سأله بعض الحاضرين بعد العصر عن قوله تعالى (والذي قدر فهدى) فأتى من علومه وأسراره بما أذعنت له القلوب وابتهجت به الأسماع وأيقنت أنه إلهام قريب عهد بربه . ثم عاد الرجل السائل صبيحة تلك الليلة وأعاد السؤال عن تلك الآية ، فكمل المجلس في تفسيرها بنمط آخر أبهى وأبهر وأعلى وأفخر مما مضى . ثم جاء الرجل بعد العصر أيضاً وقال : يا سيدي : (والذي قدر فهدى) فشرع رضي الله عنه في تفسيرها بما كان أشد تأثيراً ووقعاً في القلوب بنمط عجيب غير ما تقدم من الأسلوب الغريب ولم يزل الرجل يسأل عن تلك الآية يعينها إلى أن أكمل المجالس الستة في الأيام الثلاثة . ثم قال رضي الله تعالى عنه : (لو عمرت ولبثت ما لبث نوح عليه السلام في قومه أتكلم على هذه الآية الشريفة في كل مجلس بشرط أن لا أعيد لكم ما سبق ما نفد . وما تم ما من الله به على ، وإن أحببتم خرجنا إلى الساحل وتكلمنا في آية أخر)

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه : ما حضرت بنفس ولكن نقل لي ثقات أهل اليمن أن سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه لما كان في ربيد تكلم بمحضر علمائها وفقهائها ورجالها إثني عشر يوماً يستغرق أوقاته في تفسير قوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية من سورة الأحزاب حتى كتبوا تفاسيره وكلامه وتقاريره عليها فبلغت سبعين كراساً والله تعالى أعلم

واشتهر بل وتواتر في الحرمين الشريفين واليمن أنه رضي الله تعالى عنه كان إذا سئل عن شئ من القرآن العظيم نظر إلى باطن كفه ثم شرع يفسر بما شاء الله تعالى من العلوم اللدنية . وإذا سئل عن الحديث الشريف نظر إلى ظاهر كفه ثم يقرر من الأسرار الإلهية والمعارف الإلهامية ما يبهر به العقول ويحير أهل المعقول والمنقول ، فكانت يده رضي الله تعالى عنه لوح العلم المكنون

قال شيخنا رضي الله تعالى عنه : وقد ترك ذلك في آخر أيامه ، فكان إذا سئل عن شئ من تفسير أو حديث فسر وحدث من دون نظر إلى يد ولا غيرها . وصحبه رضي الله تعالى عنه في بلاد المغرب قبل مجيئه إلى بلاد المشرق خلق كثيرون من الفضلاء والعلماء الأعلام ، وظهر على يده هناك جملة جمة من

الكرامات والخوارق يطول ذكرها ، وعرفوا فضله واستقامته ومكانيته من العلوم والعرفان ، حتى إنه اتفق له مرة أنه أتى له برطب فأكل منها وبقي من سؤره رطبات ، فتنافس فيها المريدون حتى أخرجوها إلى المزاد وتزايدوا فيها ، فبلغ ثمنها نحواً من الف ريال ، فذهب الذي وقعت عليه ببيع كتبه ليوفي ثمنها فكان هناك ما شاء الله . ثم توجه رضي الله تعالى عنه إلى بلاد المشرق قاصداً مكة المكرمة . وكان وصوله لمصر في سنة ثلاث عشرة من القرن الثالث عشر . ثم وصل مكة المشرفة ومكث فيها نحواً من ثلاثين سنة . وذهب إلى صعيد مصر مرة أو مرتين يذكر الإخوان في تلك المدة . وإلى المدينة المنورة والطائف مراراً عديدة . وأمر رضي الله تعالى عنه بالتوجه إلى اليمن ، ومكث بزبيد مدة ، وفي مخا وغيرها مدة ، ثم أقام بصبيا قرية شهيرة عند أبي عريش ومكث بها نحواً من تسع سنين . وتوفي بها إلى رحمة الله تعالى ورضوانه . وله بها إلى الآن ذرية صلحاء . وبالجملة كان جامعاً بين علمي الظاهر والباطن والباع الطويل فيهما . وله المعرفة والشهرة التامة في علمي القرآن والحديث رواية ودراية كشفا وتحقيقاً . أذعن بفضله الخاص والعام وأخذ عند العلماء الأعلام . فممن أخذ عنه وصحبه العلامة الفاضل الأكمل السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدلي مفتي زبيد من

أعيان علماء عصره المتفق على جلال قدره في العلم والعمل في عصره ، ومنهم المحدث الفقيه الشهير بالمناقب المأثورة شيخ العلماء في وقته بالمدينة المنورة محمد عابد السندي صاحب الثبت في الأسانيد المسمى (بحصر الشارد في اسانيد محمد عابد) ومنهم علامة وقته من الفضلاء الفحول الجامع بين علمي المعقول والمنقول السيد محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه ، أخذ الطريقة عن مشاهير أولياء المغرب في وقته العارف بالله تعالى سيدي الشيخ العربي الدرقاوي والسيد أبي العباس أحمد التيجاني رضي الله عنهما ، ولما وصل إلى مكة المشرفة أخذ عن سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه وأذعن له الإذعان التام ، وصحبه ولازمه ودل عليه . وشهرة فضله وكماله يغني عن وصف حاله . وممن أخذ عنه وأثنى عليه العارف بالله سيدي الشيخ محمد المدني ظافر من أعيان المدينة المنورة ووجهائها رضي الله تعالى عنه ، فإنه لما رجع من المغرب كاملاً مرشداً مأذوناً من حضرة شيخه سيدي العربي الدرقاوي رضي الله تعالى عنه اجتمع بسيدي أحمد بن إدريس بمكة المشرفة وأخذ عنه الطريقة وأثنى عليه الثناء الجميل ، ومنهم المجذوب السواكني من أولياء السودان الشهير في وقته بين الخلائق بالكشف الصادق والكرامات والخوارق وأخذ عنه وصحبه مدة مديدة .

ومنهم القطب الشهير والسيد الخطير السيد عثمان الميرغني جد السادة الميرغنية بمكة المشرفة والسودان . وآخرهم أخذاً وصحبة وملازمة شيخنا الكامل وارث سره ومظهر خصائص فيوضاته وبره صاحب الكرامات والتأييد سيدي وسندي إبراهيم الرشيد رضي الله عنه ، فإنه صحبه بصبيا ثم لم يفارقه مدة حياته واغتنم فيوضات بركاته إلى أن توفي ورأسه الشريفة على ركبته ، وظهرت على يده أسراره العرفانية وأنواره الظاهرية والباطنية ، وخصوصياته وكمالاته اللدنية للخاص والعام . كما شاهدناه منذ سنين وأعوام ، ولا دليل بعد عيان . ثم إن سيدي أحمد بن إدريس قدس سره النفيس خصه الله تعالى بالمواهب المحمدية والعلوم اللدنية والاجتماعية الصورية الكمالية بالنبي r والأخذ والتلقي منه حتى لقنه r بنفسه أولاد الشاذلية ، فهو تلميذه وآويه ووارثه ومريده الخاص ، فإنه r أعطاه أوراداً جلية وطريقة تسليكية خاصة ، وقال له : من انتمى إليك فلا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته بل أنا وليه وكفيله

اجتماع سيدي أحمد بالنبي r

قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه : اجتمعت بالنبي r اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي r الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية ، فلقنني إياها بحضرته ثم قال r للخضر عليه السلام : يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار ، وأفضل ثواباً وأكثر عدداً فقال : أي شئ هو يا رسول الله ؟ فقال : قل (لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) فقالها وقلتها بعدهما ، وكررها صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا ثم قال : قل : (اللهم إنى أسألك بنور وجه الله العظيم) إلى آخر الاستغفار الكبير ، فقلت بعدها وقد كسيت أنواراً وقوة محمدية ، ورزقت عيوناً إلهية ، ثم قال r : يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السماوات والأرض ، وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمية والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة ، وما فيهما أضعافاً مضاعفة

قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه وقدس سره : ثم لقنها لي r من غير واسطة ، فصرت ألقن المريدين كما لقنني به r ، ومرة قال له رسول الله r :(لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه الله خزنتها لك يا أحمد ، ما سبقك بها أحد ، علمها أصحابك يسبقون بها) . وكل رضي الله عنه

يقول : أملي على رسول الله r الأحزاب من لفظه حتى استشكل بعض أصحابه من العلماء مرة كلمة في الحزب الخامس فقال : يا أخانا هكذا قال لي رسول الله r وكان يقول : أخذنا العلم من أفواه الرجال كما تأخذون ، ثم عرضناه على الله والرسول فما أثبته أثبتناه وما نفاه نفيناه ، والله العظيم الآن لو ما قيل لي : قل ، ما قلت ، وأحياناً كان يؤكد ذلك فيقول : يا ويلي يوم العرض على الله إن غيرت أو بدلت

وله القدم الراسخ والتحري الكامل في متابعته r قولاً وفعلاً وحالاً ودلالة مع كثرة استغراقه في الأوقات العادية والصلوات . وكان يطيل صلاة الصبح ، وإذا وقف فيها سالت عيناه الهطالتان من الدموع مع عدم قوة النظر والإدراك لها في الغالب إلا بقدر ما تجوز به الصلاة ، ونفسه العالي في علم الحقائق لا يخفى على من يطالع هذه الأحزاب الشريفة نفعنا الله تعالى بها . انتهى كلام الشيخ إسماعيل عبد التواب رحمه الله تعالى

الفصل الثاني : ما كتب عنه

الفصل الثالث عشر :

ما كتبه سيدي إبراهيم الرشيد في كتابه " عقد الدر النفيس "

ثم بعد نقل ما تقدم اطلعت على كراسة ألفها خليفته سيدي الشيخ إبراهيم الرشيد وسماها (عقد الدر النفيس) في بعض كرامات ومناقب شيخه سيدي أحمد بن إدريس ، وهي غير كتاب (العقد النفيس) الكبير المطبوع ، وها أنا أنقل ما فيها من الكرامات مما لم يتقدم ذكره في رسالة الشيخ إسماعيل النواب السابقة فأقول : قال : ومن كراماته رضي الله عنه أنه في بعض الأيام حضر مجلسه جماعة من العلماء الأعلام مع رئيس العلماء القاضي حسن أحمد عاكش ، وسألوه عن جملة من المسائل العلمية ، فأفادهم بما لا يخطر لهم ببال من المواهب من الملك المتعال ، ورجعوا إلى مقرهم وقالوا : كلام السيد هذا وجيه ولكن

كنا نرجع كلام العلامة فلان والعلامة فلان . فقال لهم القاضي حسن : نحن وأنتم ندعو الله تعالى أن يبين لنا الحق معه أو مع من ذكرتم من العلماء ، فاستحسنوا ذلك ودعوا الله تعالى ورقدوا . وأرى الله للعالم السائل منهم أنه رأى رسول الله r في المنام وسأله عن المسائل التي اختلفوا فيها ، فقال يا رسول الله هل نتبع قول فلان ؟ فقال : اتبعوا من أقواله ما وافق الكتاب وسنتي حتى عدهم كلهم والنبي r يقول له : اتبعوا من أقواله ما وافق الكتاب وسنتي . ثم قال : يا رسول الله أتبع قول السيد أحمد بن إدريس ؟. فقال له عليه الصلاة والسلام هي كالمتعجب سبحان الله فهل لإبني أحمد من كلام ؟ إنما يتكلم بسنتي ويعبر بلساني . وأصبح الرجل فرحاً مسروراً ، وأخبر أصحابه وأتوا إلى السيد أحمد وذكروا له الرؤيا ، فقال : الحمد لله الذي أظهر لكم الحقيقة .

قال الشيخ إبراهيم الرشيد : ولما قدم رضي الله تعالى عنه إلى زبيد اليمن وأقام بها هرعت إليه أكابر سادات العلماء ، كالسيد عبد الرحمن مفتي زبيد وغيره وصاروا يترددون إلى مجلسه صباحاً ومساء ، ويسمعون منه الغرائب من العلم اللدني الذي لا يخطر لهم ببال ، ويسألونه عن المسائل العويصة ويجيبهم بما ينشرح إليه الصدر من الجواهر النفيسة ، فلما رأوا ذلك منه اتفق رأيهم على أن

كل واحد منهم يكتب ما يراه صعباً من مشكلات التفاسير والأحاديث ويجعلونه في ورقة . قالوا : وأنت يا سيدي عبد الرحمن تتولى السؤال ونحن نسمع ، فإن أجاب سلمنا له . وحضروا بين يدي الأستاذ رضي الله تعالى عنه ، فأقبل عليهم وقال للسيد عبد الرحمن بطريق الكشف : أخرج ما عندك من الأسئلة وانظر أول سؤال وهو للسيد فلان ، وتكلم عليه بما يبهر العقول . ثم قال : السؤال الثاني هو للسيد فلان وهو كذا وكذا وتكلم بما لم يخطر على بال . وعلى السؤال الثالث وصاحبه وتكلم عليه بما يدهش العقول . وهكذا حتى استوفى جميع الأسئلة فتعجبوا من صدق كشفه كأنه معهم ، وغزارة علمه وأجوبته عن كل سؤال بلا كلفة ولا مشقة ، فأذعنوا له وعرفوا فضله رضي الله تعالى عنه ، وصاروا يأتون بعد العشاء ويسألونه عن تفسير بعض الآيات ، وجملة ما سألوه عنه تفسير قوله تعالى : (إن المسلمين والمسلمات) آية الأحزاب ، فجلس في تفسيرها أحد عشر يوماً مجلساً في الصباح ومجلساً في العشاء ، وفي كل مجلس يأتي بغرائب وعجائب لم تسمع قبل ذلك ، ثم التفت إليهم وقال لهم : لو أطال الله أعمارنا وصرنا نتكلم في تفسير هذه الآية إلى يوم القيامة وكان مجلس فيه شئ جديد لفعلنا ذلك . فصدقوه ودونوا جميع ما تكلم به

قال الشيخ إبراهيم الرشيد : ومما حكاه لنا رضي الله تعالى عنه واقعتان وقعتا له في ابتداء أمره في المغرب قال : كنت ذات يوم أمشي في السوق ومعي جماعة . مرت علينا جماعة من الشرطة محتاطين بواحد مشدود الوثاق لا يمكن خلاصة منهم ، فقال الشيخ لبعض جماعته : هل لمثل هذا في نظركم مخرج من بين هؤلاء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : انظروا كيف تصريف الله تعالى وخرق العادة ، والتفت إلى الشرطة وقال لهم : اهدءوا فخرجت القيود والأغلال من الرجل ، وتفرقت الشرطة عنه ، ومضى لسبيله وكان مظلوماً . والواقعة الثانية أنه خرج رضي الله تعالى عنه إلى باب مدينة فاس ، فرأى الشرطة على الباب والمكاسين يأخذون من الفقراء الداخلية مما معهم من أثمار البساتين التي تسقط ويأتون بها لعيالهم وضعفائهم ، فضج الفقراء من ذلك وقالوا : لعلنا نجد معيناً أو شافعاً ، فلما رأى الشيخ رضي الله تعالى عنه ما بهم قام حسبة لله تعالى وقال : ائتوني برجل منكم شجيع يبلغ الخبر للملك كما آمره ويرد لنا الجواب ن فقام رجل من الحاضرين وقال : أنا أذهب إلى الملك فقال : قل للملك : واحد يقول لك ولا تسمني : الأمر الذي جعلته على ضعفاء المسلمين اتركه ولك في تركه خير ، وإن لم تتركه تنظر ما يحصل لك . فوصل الرجل إلى السلطان فأخبره بكلام الشيخ ،

فطأطأ رأسه ورفعه وقال للرجل : من هذا الذي أرسلك ؟ فقال له : أمرني أن لا أخبرك باسمه ، فقال له : قل : قد أعطيتك مطلوبك وتركت للناس حالهم كما أمرت ، وأنا عندي حاجة وهي أن القبيلة الفلانية خرجت من طاعتنا ، وجهزنا عليهم جيوشاً كثيرة ولم نظفر بهم ، وحاصل منهم فساد كثير . ولا يصلحون إلا بدخولهم تحت طاعتي . فرد عليه الشيخ مع الرجل أن قل للملك : قد أعطيناك ذلك . فلم يلبثوا أن أقبل كبراؤهم وعرفاؤهم وطلبوا الصلح من السلطان ودخلوا تحت الطاعة

وقال سيدي إبراهيم الرشيد : إني كنت في بلادنا أي بلاد السودان أطلب العلم بين يدي والدي القاضي صالح الرشيد ، فجاء أخ لي أكبر مني يقص رؤيا رآها على الوالد ، وكان للأخ امرأة توفيت في تلك الأيام فقال : رايتها في المنام وسألتها : ما فعل الله بك بعد قدومك عليه ؟ فقالت : جمعنا الله سبحانه وتعالى نحن والأموات جميعاً بين يديه وقال لنا : أنتم حضرتم زمن عبدي أحمد بن إدريس فسامحتكم جميعاً من أجله . هذا ما سمعته من الأخ قد حكاه في مجلس الدرس بين يدي والذي ونحن في بلاد السودان وسيدي أحمد رضي الله تعالى عنه بأرض اليمن ، ولم نكن أخذنا عنه الطريق ولا رأيناه ، بل كنا قد سمعنا به

سماعاً ووصل إلينا صيته . وبعد ذلك جمعنا الله تعالى به ، وأخذنا عنه الطريق ، وجلسنا بين يديه وأخبرته بقصة المرأة المذكورة وقلت له : هل هذا الأمر صحيح ؟ قال : نعم

وقال سيدي إبراهيم الرشيد : وحكى لي بعض الإخوان من الأكراد أنه كان في السياحة قال : فاتفق في بعض الأيام وأنا في البراري والقفار ، إذ اشتد على الحر حتى أشرفت على الهلاك ، فعمدت إلى شجرة هناك بقرب الطريق ، فهيأت لي مضجعاً وقلت : هذا هو القبر ، ثم تذكرت أن الشيخ سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه قال لنا : إن مريدي إذا ناداني وهو بالمغرب وأنا بالمشرق أو عند جبل قاف أجيبه ، وإن كان صادقاً سمع الرد والجواب ، والإجابة له بلبيك . فقلت : يا سيدي أحمد أدركني فأنا على ما تراني من الهلاك عطشاً وجوعاً ، وكنت مستلقياً على وجهي وطرف الثوب على ظهري ، فسمعت حركة شئ وضع في الشجرة ، فرفعت الثوب عن وجهي ، فرأيت بين أغصان الشجرة شيئاً مثل البطيخة وعليها رغيفان كبيران ، فقلت في نفسي تخيلات فمن يأتي بالرغيفين والبطيخ في هذا الموضع ؟ فوضعت الثوب على وجهي وأيقنت بالموت ، وبقيت متردداً في كون هذا خيالاً أو حقيقة وكشفت الثوب عن وجهي ، ونظرت فإذا

بالبطيخة والرغيفين ، فقمت إليهما وإذا هما كأنهما أخرجا من التنور الآن والبطيخة من أطيب ما يكون . فأكلت حتى شبعت ، ورويت من ماء البطيخة ، وسرت حتى وصلت إلى أرض العمران ، وذلك ببركة الأستاذ رضي الله تعالى عنه

وقال : وحكى لي هذا الأخ الكردي أنه سافر مرة مع جماعة ، فبينما هم في فلاة من الأرض خرج عليهم سبع فجعلوه من الجهة التي فيها السبع ، وهم خلفه ورقدوا ، فأتاه السبع ، فلما شمه ولى هارباً مثل المطرود ورجع إلى غابته

وقال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أنه كانت لواحد من أصحابه المغاربة امرأة مسيئة ، فضربها مرة ضربة شديدة فماتت ، فخاف على نفسه من الحكام ، فأتى في الليل حتى طرق الباب على الأستاذ رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك ، فقام الشيخ معه إلى أن أتى المرأة فوجدها ميتة وقال لزوجها : نحن نتوجه إلى الله تعالى في كشف هذا الكرب ، وأنت استر ما ترى . فجعل الشيخ عصاه على المرأة فأحياها الله تعالى ، وعاشت بعد ذلك ما شاء الله أن تعيش

وقال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أن أمر بعض الإخوان بالتوجه إلى الصعيد ومعه جماعة أمره عليهم عملاً بالسنة ، فنزلوا إلى جدة وتعسر عليهم الحال من عدم الزاد والمصاريف ، فرأى أميرهم في منامه سيدي أحمد وأنه أعطاه كتاباً وقال له : خذه وسافر على بركة الله تعالى ، فجعله في جيبه ، فلما أصبح تذكر الرؤيا فقصها عليهم ، ومد يده إلى جيبه فوجد الكتاب فأخرجه فوجده مكتوباً (رب يسر ولا تعسر ، رب تمم بالخير يا كريم) ففرح الإخوان بذلك وفرج الله تعالى عنهم ، وتيسرت لهم الأمور على أحسن حال ، وسافروا على بركة الله تعالى

قال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أن بعض أصحابه قال يوماً وهو في المدينة المنورة جالس مع بعض الإخوان المحبين وكان هو من العارفين قد نظر إلى السماء رأى عصافير ، فقال لمن حضر من الإخوان : لو دعوت هذه العصافير باسم سيدي أحمد لأجابت ، فتساقطت كلها بين يدي الحاضرين ، فمات بعضها وطار البعض

قال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كرامات سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه ما وقع قبل وصولنا إليه ونحن بمكة قد أتينا للحج وهو باليمن ن فبعد فراغنا من الحج أصابني مرض شديد حتى أني لا أستطيع القيام لقضاء الحاجة ، فخشيت من الموت على هذا الحال ، فتضرعت إلى الله تعالى أن أظفر بشيخ كامل يعرفني بالله تعالى المعرفة الخاصة وبرسوله r حتى أموت على معرفة تامة ، فتوسلت بسيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه ، فبمجرد ما غمضت عيني للنوم رأيت سيدي أحمد بن إدريس جاء إلى وأنا مضجع على سرير فوقف عندي وقال لي : دواؤك أن تجعل بين جلدك ولحمك ماء زمزم . فقلت له : يا سيدي أنا مريض وأنت افعل لي ، فالتفت وقد حضرت عندي قربة من ماء زمزم على ظهر سقا ، فلما وصل عندي سيدي أحمد خرق الجلد في خصيتي ووضع رأي القربة في ذلك المحل ، فصار لها دوى في بدني كدويها في الدوارق إلى أن حصلت كلها في ذاتي ، وسال مني شئ كثير من العرق حتى نزلت تحت السرير ، فاستيقظت وأنا أجد لي قوة إلى القيام والمشي على رجلي إلى أي مكان ، فحصلت لي العافية ببركة الأستاذ

وبعد أيام حصل لي مرض شديد فتوسلت بالشيخ رضي الله تعالى عنه ، فرأيته في المنام في خيمة عظيمة في محل مرتفع وهو وحده فسلمت عليه ، وقال لي : اجلس فجلست أمامه فقال لي : أنت خائف من الموت . قلت له : نعم ، فأخذ ورقة وكتب فيها سطرين :

الأول : ما تموت حتى يكون عمرك ثمانين سنة

والسطر الثاني : ما تموت حتى تكون من أكابر العارفين بالله تعالى . وأعطاني الورقة وقال لي : اقرأها فقرأتها فحمدت الله تعالى على ذلك . ثم تذكرت أني لم أر النبي r فذكرت ذلك للأستاذ فقال لي : اجلس نوريك فرأيت في يده شيئاً يطوي فيه الغزل وأنا صرت في مثال كيفية الغزل ولا أرى نفسي إلى غزلاً ، وخرج مني خيط وجعله في ذلك الشئ وطوي مني نصيباً ، فظهر لي شخص فإذا هو على كرم الله تعالى وجهه ، ثم طوي ما شاء الله تعالى فظهر شخص ثان فإذا هو عثمان رضي الله تعالى عنه ، ثم طوى نصيباً فظهر لي شخص ثالث فإذا هو عمر رضي الله عنه ، ثم طوى ما شاء الله فظهر شخص رابع فإذا هو أبو بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه . وأنا بقيت ضعيفاً جداً مثل الصبي الذي يرضع ، ثم طوى نصيباً فظهر لي النبي r ، فاستيقظت من نومي فرحاً مسروراً بهذه الرؤيا

وبعد انقضاء الحجم توجهنا إلى اليمن ، واجتمعنا بالأستاذ رضي الله تعالى عنه في مدينة صبيا المباركة في أرض اليمن في ابتداء سنة 1248هـ

وفي أول ليلة من قدومنا عليه ونحن بحكم الضيافة فبمجرد ما غمضت عيني أطلق على بحر من نور عظيم أغرقني واستولى على فلم استطع الخروج منه حتى كدت أن أهلك من شدة تراكم الأنوار على ، فاستيقظت من نومي وجسدي يضطرب . وفي اليوم الثاني أخذنا عنه الطريق . وعلمت أن لهذا الشيخ أمراً عظيماً فبعد أخذنا الطريق عنه وانتسابنا إليه قال : إ، أنا طريقي ما عندي كون يترقى فيه المريد إلى أن يصل إلى مقصوده الأعلى وهو ليس وراء الله مرمى (وأن إلى ربك المنتهى) بل ما تحط قدمك إلا عنده في حضرته

قال سيدي إبراهيم الرشيد : والحمد لله تعالى حصل لنا منه المدد الذي لا يدخل تحت حصر العبارة وهو مصداق قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث

القدسي (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ن ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) فإذا واجهك الكريم بفضله فلا راد لحكمه ، وربك فعال لما يريد

قال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أنه اتفق لي ذات يوم وأنا أقرأ في أحزاب التجليات أن جاءني من نفحات الجود وتجليات المعبود ما يوجب الاستهلاك من السحق والمحقق والفناء المحض إلى أن ألجأني إلى عدم الإدراك ، وبعد مدة من الزمان أتتني القوة والشعور بالموجودات وبقي كل عضو من الأعضاء بل كل جزء من الأجزاء فيه ألم عظيم من تجليات الجلال ، وفي كل ساعة أنتظر خروج الروح في آخر الليل مع تمام اليوم إلى الليلة الثانية ، فخطر لي أن أخبر الأستاذ بذلك الأمر ، فأرسلت إليه واحداً من الإخوان يحكي له القصة وأنا مشرف على الهلاك وأن يقول له : أنا مشرف على الهلاك إذا لم تدركني بنظرة تخرجني من الجلال إلى الجمال ومن الفناء إلى البقاء ، فأرسل مع الرسول قل له : يقول لك (كان) . فوصل عندي الرجل وأنا لا استطيع القيام ، فبمجرد ما قال لي : يقول لك الشيخ (كان) ذهب عني الألم جميعه ووقفت من ساعتي ، وصرت كأن لم يكن بي شئ قط ، وحمدت الله تعالى وعرفت أنه متحقق بما قال السادة الصوفية : (أول الطريق جنون ، وأوسطه فنون ، وآخره كن فيكون)

وقال سيدي إبراهيم الرشيد : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أن شخصاً اشترى لحماً ووضعه في ثوبه وأدركته الصلاة فصلى معه رضي الله تعالى عنه ، وبعد انقضاء الصلاة ذهب بلحمه إلى بيته ووضعه في القدر وأوقد عليه النار فلم تؤثر فيه شيئاً ، فأكثر عليه من النار فلم تفد فيه شيئاً فأخبر بذلك الشيخ رضي الله تعالى عنه فقال : نحن بشرنا أنه من صلى معنا لم تمسه النار

وقال : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أنه ركاب بغلته انكسر فأمر خادمه بإرساله إلى الحداد ليصلحه ، فوضعه في النار مراراً فلم تؤثر فيه شيئاً ، فرجع إلى الشيخ فأخبره بذلك فقال له الشيخ : أنا عبد من عبيد الله أكرمني الله بأنه من جاورني لم تحرقه النار ، فكيف بمن جاوره في بلده الأمين . وكان رجل بالمجلس لا يرى للجوار أثراً فانقطع من هذه الواقعة وعرف فضل ومراعاة الجيران

قال : ومن كراماته رضي الله تعالى عنه أن واحداً من مريديه مات بمكة المشرفة زادها الله شرفاً ودفن بالمعلاة ، وكان رجل من أهل الكشف منور البصيرة من الإخوان واقفاً عنده حين الدفن ، فرأى سيدنا عزارئيل عليه السلام أتى

بفرش من الجنة وسرج عظيمة ، ووسع القبر مد البصر ، وفرش للميت المذكور ووضع له السرج ، قال الرائي في نفسه : ليتني إذا مت يكرمني ربي بمثل هذه الكرامة ، فالتفت إليه سيدنا عزرائيل عليه السلام وقال له : كل واحد منكم له مثل هذه الكرامة ببركة الصلاة العظيمية المنسوبة للأستاذ سيدي أحمد بن إدريس . وهي قد تقدم ذكرها

أوصاف سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه

قال سيدي إبراهيم الرشيد : وأما أوصاف سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه :(فهو طويل القامة ، أبيض اللون ، مشرب بحمرة ، نحيف الجسم ، واسع العينين ، طويل الوجه ، أزج الحاجبين ، في شعره شيب ، توفي سنة 1253هـ ودفن بمدينة صبيا من أرض اليمن ، وضريحه فيها مبارك ميمون . فرحمة ربي تغشاه إلى يوم يبعثون)

قال ( ) صالح الجعفري (رضي الله عنه) : وقد رأيت بفضل الله تعالى سيدي أحمد بن إدريس في المنام مراراً فإذا هو (أشبه الناس به حفيده السيد محمد الشريف رضي الله تعالى عنه

والوصف الذي وصف سيدي إبراهيم الرشيد ينطبق على السيد محمد الشريف شيخي ن فإنه كان طويل القامة ، ابيض اللون ، واسع العينين ، طويل الوجه ، بشعره شيب ، وكثيراً ما أراه يلبس عباءة حمراء) . قلت : وينبغي للمريد أن يعرف أوصاف شيخه ليتخيله عند قراءة أوراده ، ويدعو الله تعالى له ويملأ قلبه من محبته ، فيتسبب له من ذلك رؤيته في النوم وهي من أعظم طرق الإرشاد عند السادة الصوفية ، فإن الأولياء أحياء عند ربهم كالشهداء ويسمون شهداء المحبة ، ولم ينقطع إرشادهم بعد موتهم لأرباب القلوب بين مريديهم الذين صفت قلوبهم ، واتصلت أرواحهم ، واستنارت أنفسهم ، ويجدون بذلك فتحاً عظيماً

سمعت عن بعض المشايخ من علماء الأزهر أن طالبين كانا يذاكران في شرح الشيخ الخرشي المالكي فتوقفا في جملة ، فذهب أحدهما إلى الميضأة ، ونام الثاني ، فرأى في منامه الشيخ الخرشي وأخبره بشرح الجملة ، فلما استيقظ كتبها قبل حضور صاحبه ن فلما حضر صاحبه قال له : أنا فهمت المسألة وقرأها عليه ن فأنكر عليه صاحبه وقال له : هذا الكلام ليس منك . فقال له : نعم جاءني الشيخ في منامي الآن وأخبرني بها

ومن إرشادات سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه في المنام أنني رأيته وعمري نحو خمسة عشر سنة فقال لي : قد أجزتك بجميع أورادي ، وإن قراءاتك للأحزاب تذكرك القرآن . ثم رأيته مرة أخرى وقد حصل لي فرح في بدني وأنا ببلدي فقلت له : أين أنت ؟ فقال لي : الله معك . اقرأ فقه المذاهب الأربعة . فلما أصبحت قصصت الرؤية على شيخ لي ، فقال : إن صحت رؤيتك فتأويلها أنك ستذهب إلى الجامع الأزهر ، وقد حقق الله تعالى تلك الرؤية . ورأيته مرة يقول لي : لا أرضى أن تأخذ عهداً غير عهدي ، ولكن اقرأ بردة البوصيري ، وأجازني بعض أحزاب المشايخ

ومن أعجب ما رأيت منه رضي الله تعالى عنه وأنا بالجامع الأزهر ذلك أن قلبي تعلق بشيخ من العلماء تعلقاً كثيراً ، فلما مات حزنت عليه ، وفي يوم قرأت له الفاتحة قبل النوم ، فلما نمت رأيت نفسي بمسجد سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه ، ورأيت رجلاً جالساً على الكرسي الذي كان يجلس عليه الشيخ الذي مات وهو يدرس والناس حوله كثيرون ، فجئت وجلست في حلقة الدرس ، فلما قضي الدرس جاء الناس يسلمون على الشيخ فسألت أحد الناس من هذا ؟ فقال لي : هذا الشيخ أحمد بن إدريس ، فتقدمت لأسلم عليه بعد أن وقف فإذا هو رجل

أبيض مشرب بحمرة عليه عباءة حمراء ، فلما سلمت عليه وقبلت يده نظر على بغضب ، وفتح عينيه وخاطبني بلهجة المغاربة لأهل فاس بقوله (الطريق كالمسمار – الطريق كالمسمار)

فلما استيقظت من منامي علمت منه أنه يحب مني أن لا أقدم عليه هذا الشيخ الذي تعلق قلبي به وجلس في مكانه وقرأ الدرس ليعلمني أنه عالم ، فإن أحببت الشيخ الأول لعلمه فها أنا عالم . وقد أرشدني الله تعالى بهذه الرؤيا ووجه قلبي إلى شيخي ، وعرفني ربي منزلته حتى لا يميل القلب إلى شيخ سواه

فهنيئاً لمن أحبوه وعرفوه ونحواً نحوه وصاروا على طريقه ، فإنه على القدم الراسخ الذي لا تزلزله شبهة بوجه من الوجوه

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الرابع عشر :

ما كتبه السيد محمد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه

ومما كتبه ختم أهل العرفان سيدنا ومولانا السيد محمد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه قال : أخذنا الطريقة النقشبندية عن شيخنا العارف بالله سيدي أحمد بن إدريس ، وهو ولد بالمغرب في أواخر القرن الثاني عشر بقرية يقال لها القارة من أعمال فاس ، وهو شريف إدريسي أخذ العلم ببلدة فاس ، وكان له مهارة في علوم الظاهر أخذها عن جملة علماء : منهم سيدي العارف بالله الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد المجيدري وأخذ عنه الطريق الشاذلية والحزب السيفي وأخذه عن قطب الجان سيدي محمد القفاوي وهو عن سيدي على بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ، وأخذ الحقير الحزب المذكور عن سيدي أحمد وعن الفقاوي وعن سيدنا على ، وأخذت عن السيد أيضاً الطريقة الشاذلية ، وأخذ الطريق الشاذلية سيدي أحمد عن شيخ إرشاده وتربيته سيدي عبد الوهاب التازي ، وكان هو غوث وقته ، صبحه سيدي أحمد أربع سنوات ففتح الله عليه وألحقه بمن عنده

وما توفي سيدي عبد الوهاب التازي إلا وقد صار سيدي أحمد من أهل الأحوال العظيمة لأنه ذكر لي أنه شاهد النبي r يقظه يوم وفاة سيدي عبد الوهاب . ثم قال لي : نظرت إلى أكبر من كان من الأولياء في المغرب فكان سيدي أبا القسام الوزير وكان من الأفراد وكان يقول : أنا لا أحس بحركة الكون من عرضه إلى فرشه إلا كحركة البعوضية وذلك لغيبته في الله . وكانت صحبة سيدي أحمد له أربع سنوات قال : كنت أتردد عليه كل يوم صباحاً ومساءً في المدة المذكورة أجلس عند باب داره فإن خرج إلينا يخبرنا بما لاح في ضميرنا ، أو دخل إنسان إليه فيخبره بما لاح في ضميره وسره ولا نحن في مكاننا ، أو خرج أحد من عنده فرآنا فعاد فيخبره فيخرج إلينا ويتكلم معنا في بعض أسرار القوم ومقاماتهم وإن لم يخرج عندنا إلى مكاننا ، ويقول : المعاملة مع الله تعالى ، فانظر إلى حسن هذه الآداب وحال القوم مع مشايخهم . قال سيدي أحمد : وكان في يوم من أيام اجتماعي بالشيخ أن قال لي : يا أحمد كان لي صاحب من الأبدال من السودان ، فجاءني ليلة بالخطوة فقال : اخرج معي إلى خارج البلد فخرجت معه فقال لي : اجلس هنا ، وذهب وغاب عني إلى آخر الليل وقال لي : يا فلان إنه سيظهر هناك قريباً رجل اسمه أحمد بن إدريس طالب علم ، وأنا ألقى إليك

علوماً فأخبره بها إذا جاءك . قال سيدي أحمد : لما أخبرني بذلك قلت له : هل تأذن لي أن أخبركم بذلك قبل أن تكلمني ؟ قال : أذنت لك . قال سيدي أحمد : فقلت له كذا وكذا إلى آخر تلك الأسرار فقال لي : هي ما تركت منها شيئاً

ثم توجه سيدي أحمد إلى الحجاز وجاور بمكة مدة سنوات من عام إحدى عشر إلى عام ثمانية وعشرين من القرن الثاني عشر ، وفي هذه المدة صحبته وفتح الله تعالى علي ، ثم توجه إلى الصعيد من إقليم مصر وأقام بها نحو ست سنوات أو سبعاً بقرية يقال لها الزينية . ثم عاد إلى مكة وأقام بها إلى عام ثلاث وأربعين . ثم توجه إلى اليمن وأقام به عشر سنوات ، وتوفي بقرية يقال لها صبيا عام ثلاث وخمسين ليلة الثاني والعشرين من شهر رجب . وتولى الغوثية وفي رأسها مات . وكان أوحد وقته علماً وحالاً ، لم أر في وقتي مثله مع أني رأيت جملة أغواث أقطاب : منهم سيدي عبد الله القندقلي . وسيدي أحمد أبو الربيع وسيدي محمد جامع وآخرين وسيدي عبد الله المتولي الآن ، فما رأيت في هؤلاء مثله أحداً في المعرفة ولا في سعة الحال وصون الوقت وعلو الهمة ولا في غيرهم من كبار الأفراد الذين رأيتهم . ولقد رأيته في أواخر مدة إقامته بمكة يماً وهو جالس بجانب باب البسطية من المسجد الحرام ونظرت في عظم حاله والأنوار

التي كانت عليه ، فكنت أرى أنه يخرج من لحيته الكريمة نور سري نور شعرة منها في الدنيا لصار أهلها أولياء . وأخذ الطريق النقشبندية عن شيخ إرشاده المذكور . وله بعض أذكار أخذها شيخه عن سيدي الغوث سيدي عبد العزيز الدباغ وهو أخذ سلوكه عن الحضر عليه السلام . وسند الطريقة النقشبندية عن شيخ إرشاده المذكور . وله بعض أذكار أخذها شيخه عن سيدي الغوث سيدي عبد العزيز الدباغ وهو أخذ سلوكه عن الخضر عليه السلام . وسند الطريقة النقشبندية الذي عن سيدي عبد الوهاب غير سنده عن الدباغ

ويقول سيدي الختم سيدي محمد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه : كنت أتردد على شيخ لي يسمى الشيخ أحمد بناه المكي في تلك الأيام . فقال لي : إن تتميم أمرك على يد السيد أحمد بن إدريس الإمام وكان ذلك ابتداء اجتماعي في تلك الأيام بأستاذنا ذي التقديس مولانا العارف بالله السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه وصار لي على يده ما فتح الله تعالى به

ثم قال الختم : اجتمعت بالعارف بالله تعالى الولي العالم العام مفتي زبيد الأهدل سيدي ومولاي السيد عبد الرحمن بن سليمان رضي الله تعالى عنه ،

وأخذت منه بعض الأوراد بفضل المنان ودلني على مرشدي سيدي السيد أحمد بن إدريس وقال لي : إنه حصل لك منه الدر النفيس وكان هذا يعتني بي ويحبنى كثيراً ويقول لوالدي ما معناه : إنه يجئ منه خير كثير ، وجمع بيني وبين أستاذي سيدي أحمد بن إدريس فصحبته وفتح الله تعالى لي على يده . غمر الله ضريحه بالنور آمين

قلت : وللسيد محمد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه مناقب عظيمة لشيخه السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه وهي لم تطبع حتى الآن ، وقد نقل منها شيئاً يسيراً السيد اليماني ، وقد نقل في أول هذا الكتاب . وللختم قصائد في مدح شيخه ابن إدريس وقد طبعت

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الخامس عشر :

ما كتبه السيد عبد الرحمن الأهدل رضي الله عهنه

هذه نبذة ملخصة من سيرة سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه مما كتبه مفتي الأنام وشيخ الإسلام تلميذه السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدلي مفتي زبيد باليمن رحمه الله تعالى

قال : هو سيدنا ومولانا وفخرنا وملجؤنا وسندنا وذخرنا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه من السادة الأدارسة المشهورين ببلاد المغرب . فهو شريف حسني من نسل سسيدنا ومولانا الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه

مولده بلدة عرايش على ساحل بحر المغرب من أعمال مدينة فاس اشتغل من أول عمره مدة سنين بتحصيل العلوم الظاهرة إلى أن برع فيها ببلدة فاس ، وأذن له بالتدريس من أساتذته الأكياس وصار يدرس فيما شاء الله ، وكان من جملة من يحضر في درسه أحياناً شيخه عبد الوهاب التازي رضي الله تعالى عنه قبل أن يأخذ عنه ، حتى كان سيدي عبد الوهاب يقول لسيدي أحمد بعد انقطاعه إليه وكمال تأدبه بالحضور بين يديه: أين تلك الهدرة يا أحمد ؟ يشير بذلك إلى هدرة التدريس

وأما طريقته رضي الله تعالى عنه فسماها العارف بالله تعالى السيد محمد السنوسي رضي الله تعالى عنه في كتابه (المنهل الروى الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق) الطريقة المحمدية ولفظه وأروى الطريقة المحمدية من وجوه أعلاها ما أخذنا عن شيخنا قطب العارفين وإمام المحققين مولانا أحمد بن إدريس عن شيخه العارف بالله السيد عبد الوهاب التازي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد عبد العزيز بن مسعود الدباغ الفاسي عن سيدنا ومولانا أبي العباس الخضر عليه السلام عن النبي r ، وهو من أعالي الأسانيد القليلة الوجود ، وهذا باعتبار اجتماع الخضر عليه السلام بالنبي r حال حياته كأخذ سائر الصحابة عنه ، وأخذ السيد عبد العزيز عنه كأخذ التابعين عن ثابت الصحبة من معاصري النبي r وهلم جرا ، فتكون الوسائط بيننا وبين النبي r أربعة . ولله الحمد وله الشكر . وأما الأخذ عنه والاجتماع به r يقظة ومناماً بعد موته صلى الله عليه وسلم فقد حصل لكل من مشايخ السند الثلاثة بل لم يكن لكل منهم في آخر أمره معول في شئ إلا عليه ولا رجوع إلا إليه صلى الله عليه وسلم ، وفيه أيضاً أن شيخنا أبا العباس العرائشي أخذ في أول أمره عن شيخه أبي المواهب التازي

ولقنه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقنه إياها قائلاً : لا شئ أنفع للعبد من (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

وفيه أيضاً وأما شيخنا أبو العباس العرائشي فكان له في ذلك أي الاجتماع به صلى الله عليه وسلم القدم الراسخ كشيخه أبي المواهب التازي وشيخ شيخه الدباغ ، وشرح أحواله معه صلى الله عليه وسلم لا يمكن استيفاؤها إذ كان آخر أمره بل أوله وأوسطه ليس له معول إلا عليه ولا رجوع في شئ إلا إليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم . وأما عنوانها فعنوان الطريقة الشاذلية رضي الله تعالى عن أصحابها لأن تسليكهم بالتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغفار والأدعية والأحزاب المحتوية على أنواع الالتجاءات والافتقار والتضرع والاضطرار كما قال صلى الله عليه وسلم :(الدعاء مخ العبادة) ، والدعاء هو العبادة ، وطريقة سيدنا أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه يسيمها أحمدية نسبة إلى ذاته قدس الله تعالى سره لما قد خصه صلى الله عليه وسلم بها وبأذكارها الجامعة وأحزابها ومشاربها الواسعة ، حتى قال قدس الله تعالى سره كما سمعناه من شيخنا مراراً :(ما يعرف أحدكم مقدار طريقتي إلا إذا أغمضت عينه الرجال إيش حطوا له) . وكان رضي الله تعالى عنه يقول (لكل نبي دعوة

مجابة ، ولكل ولي له عند نبيه صلى الله عليه وآله وسلم طلبة مقبولة) لما جاء وقتها سألته صلى الله عليه وسلم أن يتولى أصحابي بذاته الخاصة في الإمداد فقال : من انتمى إليك فلا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته بل أنا وليه وكفيله ، وكان قدس الله تعالى سره يبني على هذه المقالة ويذكرها للمريدين عند سؤالهم منه ويقول : (قد حولناكم على من هو أحسن منا وقبل الحوالة ، فتوجهوا إليه وأعرضوا سؤالكم وحاجتكم عليه) وكان يقول : طريقتي ما فيها إلا كون القدم الأول هاهنا والثاني عند الله)

ومما يستأنس به هاهنا ما حكاه الشيخ الشعراني عن شيخه على الخواص من قوله : (جميع أبواب الأولياء قد تزحزحت للغلق وما بقي الآن مفتوحاً إلا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلوا كل ضرورة حصلت لكم به صلى الله عليه وآله وسلم) . ومن قوله : (لا يكمل الفقير في باب الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يصير مشهوداً له في كل عمل مشروع ويستأذنه في جميع أموره من أكل ولبس وجماع ودخول وخروج ، فمن فعل ذلك فقد شارك الصحابة في معنى الصحبة) ، ومثله قول الشاذلي رضي الله تعالى عنه : (حقيقة الإتباع أن تشهد المتبوع عند كل قول وفعل)

وكان طريقة سيدي عبد الوهاب هذا أولاً شاذلية ناصرية وشيخه سيدي محمد بن زيان القندوسي عن شيخه مبارك بن عدي الغيلاني عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي عن سيدي أحمد بن على الحاجي الدرعي عن شيخ الشيوخ سيدي أبي القاسم الغازي المتوفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة هجرية بسنده الشهير إلى شيخ المشايخ سيدي أحمد زروق إلى الشاذلي رضي الله تعالى عنه . وطريقة ساداتنا بني ناصر أشرف الطرق الشاذلية بالمغرب ولا يسمحون بها إلا للعلماء ، وله إجازات كثيرة في أكثر الطرق عن مشايخ وقته ، ثم أنه رضي الله تعالى عنه لازم سيدي عبد الوهاب مدة سنين إلى أن توفي رضي الله تعالى عنه في أوائل العشر العاشر من القرن الثاني عشر ، ثم توجه رضي الله تعالى عنه إلى بلاد المشرق قاصداً مكة المشرفة ، وكان وصوله لمصر في سنة ثلاث عشرة من القرن الثالث عشر ، ثم وصل مكة المشرفة ومكث فيها نحواً من ثلاثين سنة ، وذهب إلى صعيد مصر مرة أو مرتين يذكر الإخوان في تلك المدة ، وإلى المدينة المنورة والطائف مراراً عديدة

ثم أمر رضي الله تعالى عنه بالتوجه إلى اليمن سنة ألف ومائتين وأربعة وأربعين هجرية ومكث بزبيد ، ومر على مخا وغيرها من بلاد اليمن ، ثم أقام بصبيا قرية شهيرة عند ابي عريش ، ومكث فيها نحواً من تسع سنين وتوفي بها إلى رحمة الله تعالى ورضوانه سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف من القرن الثالث عشر وله بها إلى الآن ذرية صالحة . وبالجملة كان جامعاً بين علمي الظاهر والباطن وله الباع الطويل فيهما ، وله بها المعرفة والشهرة التامة في علمي القرآن والحديث رواية ودراية كشفاً وتحقيقاً ، أذعن بفضله الخاص والعام وأخذ عنه العلماء الأعلام والجهابذة الكرام ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله . وأمد في طريقه ما تعاقب الملوان آمين

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا أحمد بن إدريس

الفصل السادس عشر :

ما كتبه الشيخ مخلوف في كتابه

" شجرة النور الذكية في طبقات المالكية "

ومما كتبه العلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن محمد مخلوف في كتابه " شجرة النور الذكية في طبقات المالية " في الجزء الأول صحيفة 396 عند ذكر علماء فاس من المالكية في عدد الرتبى رقم 1580 ما نصه : أبو العباس أحمد بن إدريس الشريف الإدريسي الحسني القطب الغوث العارف العامل الفرد الهمام الكامل بقية السلف وقدوة الخلف خاتمة العلماء المحققين والأئمة العارفين ولد بقرية بالقرب من فاس يقال لها مييسور . نشأ من صغره مجبولاً على الاجتهاد في طلب العلوم فأخذ علوم الظاهر عن أكابر علماء عصره حتى صار في أوان شبابه إماماً في علوم الظاهر

وأخذ طريق السادة الشاذلية عن الأستاذ الشيخ عبد الوهاب التازي عن الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي عن الشيخ مصطفى البكري وهذه الطريقة شاذلية خلوتية وأخذ أيضاً عن الشيخ أبي القاسم الوزيري الغازي وغيرهما من أجلاء المغرب . وارتحل من فاس سنة 1213هـ إلى الأقطار المصرية وأخذ بالصعيد عن الشيخ محمود الكردي وغيره ، ثم ارتحل للأقطار الحجازية ومكث

بمكة أربع عشرة سنة . ثم رجع للأقطار المصرية ومكث بالصعيد خمس سنين . ثم رجع لمكة وأقام بها اثنتي عشرة سنة . ثم انتقل إلى الأقطار اليمنية وأقام بها تسع سنين إلى أن توفي هناك سنة 1253هـ له كرامات لا تحصى أفردها بعض العلماء بالتأليف . أذعن له علماء اليمن واعترفوا له بالولاية وأخذوا عنه جميعاً طريق القوم . وأخذ عنه أيضاً أجلاء وقته من فضلاء العلماء والسادة في سائر الأقطار كالأستاذ الشهير العلامة الفاضل الشيخ محمد بن السنوسي صاحب الجبل الأخضر والأستاذ القطب العارف الأكب الشيخ محمد حسن ظاهر المدني والشيخ عثمان الميرغني والشيخ المجذوب السواكني والشيخ إبراهيم الرشيد والشيخ عبد الرحمن الأهدلي مفتي زبيد والشيخ محمد عابد السندي صاحب الثبت في الأسانيد . له مؤلفات ومجالس علمية كالعقد النفيس في جواهر التدريس والصلوات والمحامد الثمانية . كان جامعاً بين الشريعة والحقيقة له الباع الطويل في جميع العلوم والشهرة التامة في علمي القرآن والحديث رواية ودراية كشفاً وتحقيقاً

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل السابع عشر :

كلمة السيد اليماني رضي الله تعالى عنه حول مناقب سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه وبعض كراماته

قال ( ) صالح الجعفري : وقف سيدي محمد على اليماني خطيباً واعظاً ببلدة دنقلا بالسودان فقال : قد بلغني عن الثقات أن رجلاً وضع رطل لحم نيئ في جيبه وصلى الظهر خلف جدي السيد أحمد ابن إدريس رضي الله تعالى عنه ولما انصرف من الصلاة وذهب إلى بيته وضع اللحم على النار ليطبخه فمكث ساعات ولم يتغير اللحم عن حاله ، فرجع إلى السيد أحمد وأخبره بذلك فقال له : أما علمت أن من صلى خلفنا لا تحرقه النار ، ثم قال السيد محمد على اليماني بعد هذه القصة : يا اخوان الاستقامة خير من ألف كرامة من مثل هذه فعليكم بالاستقامة ما استطعتم ، وأن العبد الحقير سيسافر إلى اليمن ولكن إذا عاد إليكم سيعود على غير هذه الحالة إن شاء الله تعالى ، وأن المسجد الذي طلب مني أهل بلدة أرجو بناءه سيأتي أحد السادة الإدريسية ويساعدهم على بنائه ويتم

بخير إن شاء الله تعالى ، وبعد سنتين من كلامه حضر السيد محمد عبد العالي الشريف رضي الله تعالى عنه وبنى لهم المسجد كما أخبرهم السيد اليماني بذلك

ومن كرامات سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً يسمى عبد الرحمن كان مؤذنا بمسجد سيدي عبد الرحيم القنائي ، عنده ربيبة بالبيت تبلغ من العمر ست سنوات ، فضربها ذات يوم فأغمى عليها وفقدت الحياة وصاح النسوة إنها قد ماتت . فأخذت الرجل الدهشة فتسجى بثوبه ونام فسمع قائلاً يقول له : : قل (اللهم صل على سيدنا محمد الذي ما استغاثك به جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روى ، ولا خائف إلا أمن ، ولا لهفان إلى أغيث) . قال : فقلت هذه الكلمات في منامي ، فاستيقظت فسمعت النسوة يزغردن وقلن : إن الله قد أحيا فلانة : فسألت بعض الإخوان لي في الله تعالى عن هذه الصلاة فقال : هي لسيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه . قلت : وهذه الكلمات في آخر الصلاة الرابعة من الصلوات الأربعة عشر

الفصل الثالث : التبغ

قلت : وأخبرني بعض الثقات من أهل الزينية أن رجلاً قد سقط حمل بعيره في العقبة ليلاً وليس معه أحد فأناخ البعير وجلس بجواره مضطرباً خائفاً من السراق ، وكان من أهل طريقة سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم ببركة سيدي أحمد بن إدريس خلصني من هذه الورطة واجعل لي فرجاً مخرجاً ، فرأى رجلاً يلبس قفطاناً أبيض ووضع الحمل على البعير وانصرف ولم يكلمه ، وكان الرجل يشرب الدخان

قلت : ولعل السبب في عدم التسليم عليه من هذا الذي حضر أن صاحب الجمل كان يشرب الدخان ، وشرب الدخان حرام عند سيدي أحمد بن إدريس وعند أولاده وتلاميذه

وللمناسبة : سمعت عن سيدي محمد الشريف رضي الله تعالى عنه يقول : جاء رجل لوالدي السيد عبد العالي رضي الله تعالى عنه بمال فقال له : هذا ثمن القمح وهذا ثمن القول وهذا ثمن الدخان

فقال السيد عبد العال بغضب : سبحان الله يا أخانا من الذي يأمرك أن تزرع الدخان في أرضنا ؟ ولم يقبل منه ثمن الدخان ، وأمره أن يتركها سنة بلا زرع حتى تطهر

ويحكي أن سيدي محمد بن على اليماني رضي الله تعالى عنه دعاه رجل بدنقلة إلى بيته فقال : إن شاء الله نجيب دعوتك ، فمر بالسوق على حانوت هذا الرجل فوجد فيه الدخان فقال : سبحان الله يا أخانا أتبيع الدخان ؟ طعامك حرام رجعت عن قبول دعوتك ، ولم يذهب إلى بيته

وقد أخبرني شيخي العارف بالله تعالى قطب أهل الوصال الشريف السيد محمد عبد العالي بأن عالماً طلب من السيد أحمد بن إدريس أن يريه النبي صلى الله عليه وسلم قال : فلما اجتمع سيدي أحمد رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله إن فلاناً يريد أن يراك في المنام ، فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم . ثم رآه مرة ثانية وثالثة فأخبره بالخبر السابق فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سيدنا أحمد : فقلت في نفسي ما بال هذا العالم يعرض النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره ثلاث مرات ؟ قال :

فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا يشرب الدخان وأنا لا أذهب إلى من يشرب الدخان . قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه : فلما جاء العالم أخبرته بهذا الخبر ، فحزن وبكى حتى أغمي عليه ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه وسلم عليه ، وقال سيدي محمد الشريف رضي الله تعالى عنه : وذلك لأن الرجل قد تاب من شرب الدخان ، وتأسف على ما كان منه فتقبل الله تعالى توبته وبركة سيدي أحمد بن إدريس وببركة مجلسه الشريف المبارك وصله الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثاني عشر :

ثناء سيدي ابن السنوسي على أحزاب شيخه

السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه

ومما قاله العالم التحرير والقطب الكامل الشريف السيد محمد بن على السنوسي في فضل أحزاب شيخه سيدنا ومولانا القطب النفيس السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه ما نصه : رأيت سبعة سناجق (أي رايات) قد نصب : ثلاثة بيض وأربعة خضر ، لكل سبع من أسباع أحزاب الشفاء – وهو الأستاذ السيد أحمد بن إدريس

واحدة الأولى : راية سر القيومية ،

الثانية : راية مقام الاستواء ،

الثالثة : راية توحيد الذات ،

الرابعة : راية عظمة الذات ،

الخامسة : راية الكلام الإلهي ،

السادسة : راية الكلام الإلهي ،

السابعة : راية المحبة الإلهية . وقال : هذه السبعة الأسباع هي محققة الجدوى والانتفاع . هذه معلومة المنعة والدفاع هذه الشافعة لمؤلفها وقارئها . وكل من له من المحبين والأتباع . هذه المدخلة جنة المعارف جميع من تعلق بها ومن لاذ بمؤلفها من الأتباع هذه أسباع حزب الشفاء . هذه أوراد الرسول المصطفى . هذه لطائف أهل الوفا ، هذه رحيق مختوم سلسبيل أهل المودة والاصطفا . هذه حياة مهج المهيمين في الملأ الأعلى وذوي التحقيق بالمتابعة والاقتضا هذه التي من الله تعالى بها على من اراد إكرامه ورحم بها من أراد إجلاله وإعظامه

هذه خلاصة لب الألباب . هذه لخاصة مخلص الحب والاقتراب من رب الأرباب . هذه التي يدفع الله تعالى بها عن قارئها وحافظها جميع العذاب . هذه فوائد الفضل والكرم . هذه التي من تمسك بواحد منها فقد اعتصم بحبل الله . ومن قرأها فقد صار من أهل الله . ومن تحصن بها أمن من عذاب الله ، ومن هيم قلبه في حبها فقد صار مقرباً من حضرة مولاه . فطوبى لمن صرف في معرفة معانيها فكره وصار يرددها حتى صارت شعاره وذكره

هنيئاً له إن الإله يحبه وليس له عن ربه قط حاجب

هنيئاً له إن العباد بأسرها له خدم والكل للخبر جاذب

هنيئاً له إن المعارف طوعه وعما قريب سوف تبدو عجائب

تعقيب سيدي الشيخ صالح الجعفري على ثناء

ابن السنوسي رضي الله تعالى عنهما

سأتكلم بتوفيق الله تعالى على بعض ما أثنى به السيد ابن السنوسي على أحزاب شيخه الشفا رضي الله تعالى عنهما بشرح لطيف وكلام طريف

قوله رضي الله تعالى عنه : (رأيت سبع سناجق) يحتمل أن يكون ذلك في اليقظة من باب خرق العادة كما تقدم له في قوله السابق (سناجق) جمع سنجق عند المغارب وهي الراية وعند أهل الصعيد وأهل السودان هي البيرق ، يقول قدس الله تعالى سره : رأيت سبع رايات قد نصبت في مكان . كل راية تدل على حزب من أحزاب شيخه . ولكل راية معنى يفهم منها من باب الإشارة

وكون الثلاثة الأولى (بيض) إشارة إلى النفوس الثلاثة : الأمارة واللوامة والملهمة : وإن جلاءهم وبياضهم يتوقف على هذه الأحزاب الثلاثة وتكسي الأنفس البياض لأمرين : لأن النفس ستموت من شهواتها ، وأفضل الثياب للميت البياض وكما في الحديث (فكفنوا فيه موتاكم) ، ولأنه زائر للحضرة الإلهية فيتحلى بأحب الثياب وفي الحديث (أحب الثياب إلى الله البياض)

قال سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله تعالى عنه :

البس الأبيض والطيب معاك لذكر ربك تهيأ

أقر الوظيفة وساعد رفقاك ورد بالك إليا

وأما (الرايات الخضر) فهي للأنفس الأربعة الباقية وهي لأنها اتصفت بصفات أهل الجنة ، فحق أن تلبس ما يلبسون

الراية الأولى : راية سر القيومية :

قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه ي الحزب الأول : وتجل لي يا إلهي بسر القيومية الإلهية التي قامت بها شيئيات الأشياء كلها سر قيوميتك الإلهية المودع في قولك :(الله لا إله إلا هو الحي القيوم ......الآية) فبتلاوة الحزب الأول يحصل سر القيومية ، وهو بالنسبة للمبتدئ يسمى تجلي الأفعال كما أشار إلى هذا البوصيري رحمه الله تعالى يسمى تجلي الأفعال كما أشار إلى هذا البوصيري رحمه اللع تعالى في همزته بقوله :

ما أقام الصلاة من عبدا لله وقامت بربها الأشياء

ومعنى قامت بربها أي المؤثر فيها الله وحده لا شريك له

الراية الثانية : مقام الاستواء :

قال سيدي أو العباس العرائشي شيخ الأولياء رضي الله تعالى عنه :(وتجل لي يا إلهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب الحقية حتى أعطى كل مرتبة إلهية حقها من نفسي من غير إخلال بوزن قسطاس الأحدية الإلهية المستقيم)

ومن معنى المراتب الحقية الشئ الذي يطلبه الحق سبحانه من عبده ويدخل ذلك في قوله تعالى : (واصطنعتك لنفسي) حتى أعطي كل مرتبة إليها حقها بعد الكشف والشهود والتحقق بمقام العبودية والعبودة ، فالعبودية هي القيام بأوامر الحق سبحانه ، والعبودة هي الصبر على قضائه والرضا به ، كما قال الشيخ الجمل رحمه الله تعالى عند قوله تعالى :(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) الأول إشارة للعبودية والثاني إشارة للعبودة أ هـ

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :(حتى لا أنام عن عبوديتي ولا أذهل عنها في المشاهد القدسية) لأن النوم في غير موضعه والذهول يتنافيان مع الشهود فلا يكون معهما في مقام الاستواء الذي صاحبه يعطي كل مرتبة إلهية حقها ، واضرب لك مثلاً يا أخانا في الله تعالى للمراتب الحقية لعله أن يشع عليك شعاع شمس علم حقيقة الذين أحاط بهم الوجد الإلهي والكشف السمعي .

اعلم أن البسط والقبض رتبتان ، ولكل رتبة حال تقتضيها ، فإذا تجلى عليك الله بالبسط فالله سبحانه وتعالى بالبسط والحال مبسوط وأنت محل البسط

فمثل البسط مثلاً كمثل البرد يطلب الدفء ، ومثل القبض كالحر يطلب الهواء ، فإذا قابل البسط بما يليق به والقبض بما يليق به فقد أدى حق تلك المرتبتين

قلت :

فحالك في بسط يخالف يا فتى لحالك في قبض فلا تجهل المعنى

فمن قام في بسط بحالته التي تليق فقد أدى المراتب واستغنى

واو أخذت في النقل لتهت في وسع هذا الميدان ، ولكن أشرنا إليها ببعض إشارتنا لعلك ترشد إلى ما أردنا منت جواهر معاني غيوب ما فهموه في مقام السماع الإلهي مقام مشاهدة معنى شاملاً كل وجهة على بساط (أين المشتاقون إلي) ؟ من الذين لا يسهون إذا سها الناس ، الذين لا تتصرف لهم جارحه إلا بإذن صريح ، أولئك الذين هداهم الله به إليه فعرفوه من جميع الوجوه

الراية الثالثة : راية توحيد الذات :

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه : (وتجل لي يا إلهي بسر توحيد الذات المطلسم في آية الأنانية الموساوية (أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) حتى يكون ذلك السر وحياً لذاتي من جميع الوجوه) توحيد الذات المطلسم هو الذي أشار إليه سيدي أحمد بن إدريس بقوله :

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظري

فغبت وعنكم لا تغيب سرائري

وشاهدت حسنا شاملاً كل وجهة

وكانت من الوجهات أيضاً مظاهري

قلت : لماذا خاطب الحق سبحانه وتعالى سيدنا موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام سمع الخطاب بجميع جوارحه ، وغاب عن الأكوان بمكالمته الرحمن ، فكان لا يسمع إلا عن الله تعالى ، وقد أشار سيدي ابن الفارض رضي الله عنه إلى هذا المقام بقوله

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين

وإن هي ناجتني فكلي مسامع

كذلك العارفون إذا كانوا في مقام التجلي غابوا عن كل شئ سوى الحق سبحانه لاسيما في أوقات العبادة كالصلاة ، فهم يعبدون الله تعالى بأحوال خارقه للعادة يسمعون ما لا نسمع ، ويرون مالا نرى ، ويعرفون مالا نعرف كما قال سيدي ابن الفارض

فسمعت ما لم تسمعى ونظرت ما

لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

فالعابد العارف في هذا المقام الذي يكون فيه هذا السر روحاً لذاته من جميع الوجوه ، فيغيب في الله عما سواه . تمكن سيدي ابن إدريس تمكينا عظيماً في هذا المقام الذي رسخت فيه أقدامه ونصبت فيه أعلامه ، الذي عبر فيه كلامه عن مقامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه

الراية الرابعة : عظمة الذات

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (وتجل لي يا إلهي بعظمة الذات التي لا تبقى ولا تذر للمتجلي عليه بها من جميع وجوهه وحيثياته وإدراكاته كلها مشهوداً غير الله) وإلى هذا أشار بعض العارفين بقوله :

ما خلقت لك الأكوان إلا لتراها بعين من لا يراها

فارق عنها رقى من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها

وإلى هذا أشار سلطان العاشقين ابن الفارض رضي الله تعالى عنه بقوله :

عود الشوق مهجتي سهر الليل فصارت من غير نوم تراكا

وقول العارف :

حرمت عيني منامي فعلي الطيف سلامي

أنا يقظان أراهم في قعودي وقيامي

وقول سيدي ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

يا رب بالخل الحبيب محمد نبيك وهو السيد المتواضع

أنلني مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوب الأولياء تسارع

وعلى هذا يحمل ويفسر جميع ما قاله العارفون من رؤية الله عز وجل في اليقظة وهي الرؤية القلبية ، وقد فسر الشيخ الصاوي المالكي رضي الله تعالى عنه بهذا المعنى قول ابن الفارض نفسه في قوله :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

قال شيخنا الصاوي : كلام ابن الفارض هذا يفسر بما قاله في العينية من سؤاله الرؤية القلبية ، وأخبر بأن قلوب الأولياء تسارع إليها

قلت : وبهذا التفسير نفسر قول الشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن عربي وقول السيد عبد الكريم الجيلي وقول سيدي أحمد بن إدريس وقول السيد عبد الغني النابلسي وجميع العارفين رضي الله تعالى عنهم أجمعين . ومن فسر بغير

هذا فقد أخطأ ، لأن الحق سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا ، والعارفون أنفسهم يعترفون بذلك كما هو مسطر عندهم في كتبهم ، قال سلطان العارفين وإمام الغارفين من جواهر بحور علم اليقين سلالة النبي المصطفى الملقب بالشفاء صاحب العلم النفيس سيدنا ومولانا أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه في أحزابه : (سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بقوله : عل رأيت ربك ؟ فانتفض وقال : إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور لو دنوت من أدناها لاحترقت)

وقال في الشيبانية وهي المنظومة الأزهرية :

ومن قال في دار الحياة رأيته فذلك زنديق طغى وتمردا

وقد تلقيت بفضل الله تعالى هذا البيت وشرحه عن المعمر الشيخ حسان الفيومي الأزهري عن شيخه الشيخ محمد عليش رحمه الله تعالى ، وقرر فيه أن رؤية الله تعالى بقظة في الدنيا ممتنعة ، ولم تثبت لأحد إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . روي الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه عن البني صلى الله عليه وسلم قال : (رأيت ربي ليلة أسرى بي) وهذا الحديث ذكره الحافظ ابن حجر

رضي الله تعالى عنه في شرحه للبخاري في كتاب التفسير عند قول البخاري رحمه الله تعالى : باب قول الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به) قال صاحب الجوهرة : هذا وللمختار (دنيا ثبتت) . وقد شطرت رائية ابن الفارض بما يدفع الاعتراض عنه لاسيما في مسألة الرؤيا فإنني قد جعلتها في الجنة حيث قلت :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة في جنة الفردوس في دار القرى

أو قلت أشهدني النبي كرامة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

وعلى هذا الشهود القلبي الذي تقدم ذكره يحمل كلام شيخنا النفيس حيث يقول في أحزابه : (حتى لا أرى في وفي كل شئ وفي لا شئ إلا إياك) وقوله :

فلفوا قتيل العشق في ثوب وصفكم يراكم بكم والكل فيكم مغرق

الخامسة : راية الكلام الإلهي :

قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه : " وأسألك بكلامك الإلهي المنزه عن الانتهاء الموصوف عظمته بقولك : (ولو أنا ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) الذي لا يقوى لسماعه منك بلا واسطة إلا من اصطفيته بعنايتك الأزلية من خواص مملكتك إلخ)

قلت : (وهذا الكلام الإلهي هو الذي أسمعه الله سبحانه وتعالى لحبيبه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج

وقد سمع كلام الله تعالى سيدنا موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وقال سيدي أحمد بن إدريس : (وتجل لي يا إلهي بكلامك الإلهي ، وأوقفني وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط في مقام السماع العام حتى تطربني لذة المكالمة الإلهية)

قلت : يلوح لي أن هذا هو سماع القرآن للعارف حين يتلوه بطريقة خارقة للعادة كما أشار إليه سيدي أحمد نفسه بقوله : (حتى أتلواه بلسانه الذي يتكلم به) أشار بهذا إلى حديث : "ك كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي يتكلم به" فإذا وصل العارف إلى هذا التجلي وتحقق بهذه الأوصاف وقف وراء الوراء وهو فناؤه لنفسه وغيره من الموجودات ، فيدخل في مقام السماع العام الذي تكل عن وصفه العبارة ولا تكفي فيه الإشارة ، فهو كأس يشرب وليس حروفاً تكتب ، تتضاءل أمامه الفحول وتتحير عن كنه وصفه العقول ، وقد أشار العارفون في بعض مؤلفاتهم على وفق مقاماتهم فكل يترجم عن حاله ببديع مقاله ، فهم في اقتراب والسامعون لهم في حجاب إلا من أصلح السريرة وكشف ران البصيرة ، وسلم نفسه لشيخ عارف حتى يكشف له عن تلك المعارف ، فهنا جيوش تتزاحم ، وفرسان تتقاحم ، تدكدكت له الرواسي من الجبال . وثبت فيها الراسخون من الرجال ، كمال قال شاعرهم : (تد كد كت الجبال والرجال رجال)

وقال سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

صارت جبالي دكا من هيبة المتجلي

ولاح سر خفي يدريه من كان مثلي

وقد أشار الغزالي رحمه الله إلى هذا المعنى إشارة خفية فقال : المرتبة الاولى لمن يتلوا القرآن كأنه يشاهد بقلبه أنه يسمعه من الحق سبحانه وتعالى ، ومن هذه الجملة يتفرع ما قاله سيدي أحمد والعرافون في سماع الكلام الإلهي ، وهناك شئ فسره علماء الظواهر عندما يقول بعض العارفين : سمعت الهاتف يقول كذا وكذا .

كما قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فأجابه الهاتف :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

وقال بعضهم مخاطباً الحق سبحانه وتعالى وكانت له كتب كثيرة :

أعطيتني وقا لم تعطني ورقا

عندي بلا ورق لم تنفع الحكم

فخذ من العلم شطراً وأعطني ورقاً

ولا تكلني إلى من جوده عدم

فأجابه الهاتف بقوله :

لو كنت ذا حكم تعترض حكما

عدلا لطيفا له في خلقه قسم

هلا نظرت بعين الفكر معتبرا في معدم ماله مال ولا حكم

قال العلماء : هو ملك يتكلم وليس المسموع كلام الله عز وجل ، وأما في المنام فالرؤية والكلام من الله عز وجل ، كما إذا رأى الحق سبحانه وتعالى في المنام وسمع منه كلامه ، كما روى بالسند الصحيح عن الحافظ عبد الله عن أبيه الإمام

أحمد بن حنبل قال : (رأيت رب العزة في النوم تسعة وتسعين مرة فقال : لئن رأيته تمام المائة لأسألنه فلما رأيته قلت : يا رب ما أفضل ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ قال : بكلامي يا أحمد . قلت : بفهم أم بغير فهم . قال : بفهم وبغير فهم) وكذا وقع مثل هذا للإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه . قلت : اشترط العلماء في الكلام المسموع عن الله تعالى عنه . قلت : اشترط العلماء في الكلام المسموع عن الله تعالى أو عن نبيه صلى الله عليه وسلم في النوم أن يكون موافقاً للكتاب والسنة من غير معارضة لهما ولا يزاد شئ يتنافى معهما وإلا رد وكان الرائي ليس من الراسخين ، بل قال علماء التوحيد : من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فهي حق ، فإذا سمع منه كلاماً يخالف الشريعة فهو من الشيطان ، ويدل على عدم تمكن الرائي في مقام الرؤية حتى لعب الشيطان به ، وخيل إليه أنه يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخالف الشريعة ، والحال أنه عليه الصلاة والسلام لم يتكلم معه بشئ .

الراية السادسة : راية العلم

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

(وتجل لي يا إلهي بغيب الهوية الإلهية الإطلاقية الإحاطية حتى أطلع على جميع خزائن أسرار الغيب الإلهي المطلق فاعلم الأمور كلها كما هي جملة وتفصيلا من غير شبهة ولا التباس سر روح (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وإلى هذا المعنى أشار شاعر الصوفية بقوله :

وبعد الفنا في الله كن كيف ما تشاء

فقولك لا جهل وفعلك لا وزر

قلت : هذا مقام بسط بساط البسط لأخذ مفاتح كنوز جواهر بحور الفيوضات الر بانية على نهج سبيل (وعلمناه من لدنا علما) بنتزلات لطائف غرائب جواهر المعاني الخفية على ساحل بحر وقف عند ساحله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا هو بحر الدنيا وقف الأنبياء عند ساحله لعصمتهم أنتم أعلم بأمور دنياكم وخاصة الأولياء ببركة النور المحمدي فما ابتلوا

إن لله رجالا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

قال الشفا سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

(وهي تجري بهم في موج حقائق إذا تقرب إلى العبد شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا . وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة ، وإذا أتاني هرولة أتيته سعيا)

وقال أيضا رضي الله تعالى عنه : (جادا على منهاج ما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الخ)

قلت : فإذا أحبه علمه ، ولا يدري أحد كيف علمه ولا مقدار ما علمه ، فتظهر عليه المظاهر العلمية المكتسبة الإجمالية والتفصيلية ذات الوراثتين (العلماء ورثة الأنبياء) والثانية (ورثة الله علم ما لم يعلم) وهذان سبيلان : سيل عرم طوفان

قال سيدي الشفا أبو الوفا ، الشارب من بحر أهل الصفا ، ذو المعالي والد سيدي عبد العال السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :(حتى لا ينبغي لشمس حقيقتي أن تدرك قمر شريعتي فيقع خوف التخليط ، ولا لليل غيب سري أن يسبق نهار روحي في الوجد والشهود)

قلت : وذلك يحصل للعارف الوطيد البرزخ في بين بحري علمي الشريعة والحقيقة على سبيل (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) ، (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) فلا يختلط المالح بالعذب ، وذلك يدرك بالذوق ، ولا اللؤلؤ بالمرجان وذلك يدرك بالنظر ، والتمييز يتقوى بالنور المحمدي ، والنور يتوقى ويزيد بالإتباع ، وعلى قدر الإتباع يحصل التوجه النبوي ، وعلى قدر التوجه النبوي يحصل الثبات الروحاني والجمع الذي لا يقع به خسوف التخليط

قال جد السادة الإدريسية في صلاته العظيمية (واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً)

قلت : وإنما قال ظاهراً وباطناً للإشارة إلى العلمين الوراثيين الذين تقدم ذكرهما

الراية السابعة : راية المحبة الإلهية

قال الشفا سيدي أحمد بن إدريس سلالة المصطفى رضي الله تعالى عنه : (وتجل لي يا إلهي بعين بحر محيط المحبة الذاتية الإلهية الفياضة أنهار المحبة على سائر الوجود ، فتنفتح أبواب خزائن سماء روحي كلها بماء زلال المحبة الأزلية الذاتية الإلهية المقدسة عن شوائب كدورات الأغيار)

قلت : لما نادى الحق سبحانه أزلا أرواح عباده (ألست بربكم) تنزل من حضرة الحق سبحانه على رسله وأنبيائه وأوليائه الحب الغلهي فانفتحت له أبواب خزائن سماء الأرواح فقالوا بلى بحب ، فلم يجيبوا حتى أحبهم وأحبوه (يحبهم ويحبونه)

وقال سلطان العاشقين سيدي ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

ولي في هواها نشوة قبل نشأتي ستبقى معي أبدا وإن بلى الجسم

وقال :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فلما سمعوا حبيبهم يكلمهم ، فهذا السماع مدامهم من قبل خلق كروم أجسامهم ، فتعلقت أرواحهم بحبيبهم تعلق المحب بحبيبه ، وذلك التعلق منزه عن كدورات الاغيار ، لأنه قابل الروح قبل تعلقها بأي شئ سواه

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فهو الصبغة الإلهية لأرواح أهل المحبة الأزلية ستبقى مع أرواحهم وإن بليت اشباحهم (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)

(لطيفة) كان السيد محمد على اليماني الإدريسي بالأزهر بمصر وكان أسمر اللون ، فإذا سمع إنساناً يقول له يا أسمر أو مثل ذلك يقول : سبحان الله (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) وإنما سمى بحر المحبة محيطاً لأنه شمل كل شئ ،

فما من شئ في الوجود إلا وفيه قطرة من هذا البحر ، فلا ملك ولا إنس ولا جن ولا حجر ولا شجر ولا بحر إلا وهو يحب الله تعالى ويسبحه ، فما سبحه حتى أحبه (وإن من شئ إلا يسبح بحمده) فأجسام الكفار وأجسام الجن تعرف الله وتسبحه ، ولذلك تؤدي الشهادة لله يوم القيام وتنطق بالحق

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : " كأني أسمعه الآن " يعني الخطاب الأزلي

وماء زلال المحية الذاتية الإلهية هو الحب الذي تنزل على الأرواح عند الخطاب الذاتي الإلهي ، ولذلك وصف بأنه حب خالص كالماء الزلال الصافي ، ولذلك وصف بأنه ذاتي إلهي . قلت :

فأهل الحب قد شربوا شراب الحب من قدم

وهاموا في محبته بحب فاض كالديم

وكأس الحب صافية لمن قاموا على القدم

لابن إدريس سيدنا شراب غالي القيم

فعرج نحو حضرته بذكر الورد بالهمم

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إرديس

الفصل الرابع : الأنفس

الفصل التاسع عشر :

مولانا الشيخ صالح الجعفري عن الأنفس السبعة ، ونقل ما قاله سيدي ابن السنوسي ، وسيدي أحمد الدردير رضي الله تعالى عنهم

قال راجي عفو مولاه ومغفرته وإحسانه العبد الفقير (من تنزلت على قلبه الشريف لطائف غرائب جواهر المعاني الخفية ففتح الله تعالى به مغاليق العلم الإلهي سيدي الشيخ) صالح الجعفري (رضي الله تعالى عنه) : لما ذكر سيدي

الشيخ الأكبر والإمام العلامة الصادق في مقاله ، الوارث لشيخه في حاله ، دواء القلوب والصدر ، ومصباح السرور والنور الشريف الحسني سيدي محمد بن على السنوسي رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، أنه رأى سبع رايات كل راية لحزب من أحزاب شيخه الشفاء وقلت في شرحي لكلامه : كل راية تشير إلى نفس من الأنفس السبعة ، بمعنى أن تلاوتها تنقل كل نفس من حال إلى حال وبها تكمل النفوس السبعة وهي : الأمارة واللوامة ، والملهمة ، والمطمئنة ، والراضية ، والمرضية ، والكاملة ، وقد نظمت الأنفس السبعة بقولي :

وقسم الأنفس أهل البر لسبعة أمارة بالشر

لوامة ملهمة عن ربي والمطمئنة التي في القرب

راضية مرضية وكاملة فهذه عدتهن حاصلة

قال السيد ابن السنوسي رضي الله تعالى عنه :

(النفس الأمارة) وردها (لا إله إلا الله) بمد لفظ " لا " وتخفيف همزة " إله " وعدم فصله من قولك (إلا الله) مع تسكين الهاء من الجلالة ، ولابد :

1- من الإكثار منه في القيام والقعود والاضطجاع . إذ المقصود من هذا الاسم وغيره لا يحصل إلا بالإكثار

2- والإجهاد آناء الليل وأطراف النهار . وأضمر في قلبك نفي كل معبود غير الله ، ويكون قولك " إلا الله " بقوة وشدة لأنك تضرب به الجانب الأيسر من صدرك بخضوع وخشوع ، وأغمض عينيك وألق سمعيك إلى ذكرك

3- ولازم الطهارة

4- وقلل الطعام والمنام ، وهذه أربعة في كل مقام

(والنفس اللوامة) : وردها (الله) بتحقيق الهمزة وسكون الهاء ومد الألف التي قبلها ويكون بالجهر والشدة لدفع الوسوسة ، وارفع رأسك إلى فوق واضرب به صدرك وأغمض عينيك . واجعل لك وقتاً تجلس فيه مستقبلاً القبلة إن أمكنك

(النفس الملهمة) : وردها (هو هو) وليكن أولاً بياء النداء ثم بدونها قياما وقعودا آناء الليل وأطراف النهار ، ولتقل في بعض الأوقات " لا هو إلا هو " بمد ،

وبمد واو " هو " ، لأنه ذكر عظيم الشأن ، مع استحضار أن ليس في الوجود إلا هو إله الحق ، ما سواه صفاته وأفعاله حتى يصير ذلك لك حالاً لا تنفك عنه و(هو) غاية قصوى

(النفس المطمئنة) : وردها (حق حق) بحرف النداء وبدونه آناء الليل وأطراف النهار

(النفس الراضية) : وردها (حي حي) وزد معه الفتاح الوهاب

(النفس المرضية) : وردها (القيوم)

(النفس الكاملة) : وردها (القهار)

قال أبو البركات سيدي أحمد الدردير رضي الله تعالى عنه في التحفة معللاً اختيار السادة الخلوتية للأسماء السبعة التي هي : لا إله إلا الله . الله . هو . حق . حي . قيوم . قهار

قال رحمه الله تعالى : النفس سبعة أقسام . وإن صاحب النفس المطمئنة التي مقامها مبدأ الكمال متى وضع السالك قدمه فيه عد من أهل الطريق واستحق لبس خرقتهم ؛ لانتقاله من التلوين إلى التمكين ، وصاحبها سكران هبت عليه نسمات الوصال ، يخاطب الناس وهو عنهم في بون ، لشدة تعلقه بالحق تعالى ، يناسبه الإكثار من الاسم الرابع من التلقين يعني (حق) ، وأن الأمارة ذات الحجب الظلمانية التي مقامها مقام الأغيار يوافقها في تمزيق حجبها الإكثار من (لا إله إلا الله)

وأن اللوامة الكثيرة اللوم لصاحبها التي مقامها مقام الحجب النورانية لكونها ليست كثيفة وهي توابة يناسبها الإكثار من اسمه (الله)

وأن الملهمة التي ألهمت فجورها وتقواها مقامها مقام الأسرار صاحبها نشوان يغلب عليه المحبة والهيمان والتواضع والإعراض عن الخلق والتعلق بالحق ، يناسبه كثرة استعمال اسمه تعالى (هو) بالمد لتخلص من ورطتها . وأن الراضية كثيرة الرضا بالقضاء والتسليم مقامها الوصال صاحبها غريق السكر يناسبه الخلوة وكثرة ذكر اسمه تعالى (الحي) ليحيى به نفسه

وأن النفس المرضية صاحبها لا يرى صدور الأفعال إلا من الله تعالى لأن مقامه مقام تجليات الأفعال فلا يمكنه الاعتراض على أحد ، حسن الخلق يتلذذ بالحيرة كما قيل :

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

ويناسبه كثرة ذكر اسمه تعالى (قيوم) . وأن النفس الكاملة مقامه مقام تجليات الأسماء والصفات يناسبها كثرة ذكر اسمه تعالى (قهار) ليحصل لها تمام القهر ويزول عنها بقايا النقص ، وحالها البقاء بالله تسير بالله إلى الله ، وترجع من الله إلى الله ، ليس لها مأوى سواه ، علومها مستفادة من الله كما قيل :

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا

فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

ثم قال الشيخ الدردير رحمه الله تعالى : واعلم أن طريق أهل الحق مدارها على الصدق ورأس مالها الذي ، ونهايتها الغرق

وقال العارفون : حكم القدوس ألا يدخل حضرته أرباب النفوس . كثرة الكلام وجب عدم الاحترام ، كثرة مصاحبة الناس توجب الإفلاس

لا يطهر من الرعونات إلا من خالف نفسه في الشهوات ، وذكر الله في جميع الحالات ، من لم يحرق البداية لم تشرق له النهاية ، من لم يخالف النفس والشيطان لم يتحقق بصفات أهل العرفان ، من لم يكن عبداً للرحمن فهو عبد للشيطان ، فانظر أيهما يستحق العبادة أ . هـ

قال (من لاحظته العناية والسعادة حتى صار في أول شبابه إمام القوم في جميع المعارف والعلوم سيدي الشيخ) صالح الجعفري (رضي الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه آمين) : نفس أولها نون متحركة وآخرها نون ساكنة فحركتها اضطرابها قبل ذكرها وسكونها طمأنينتها بعد ذكر الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) . وتارة تكون مع الشيطان ، فيكون نونها نفورها ، والفاء فرارها من الحق إلى الباطل (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) والسين تسويلها لصاحبها (وكذلك سولت لي نفسي) (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) وإذا كانت مع الله تعالى فنونها نور يلوح لها عند ذكر ربها (فهو على نور من ربه) . والفاء فتح الله لها

بعد نصرها على شيطانها وهواها (نصر من الله وفتح قريب) والسين سبل الله الموصلة إليه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

ويحتمل أن تكون النون إشارة إلى النصر ، فيكون بعد نصر الله تعالى يأتي فتحه (إذا جاء نصر الله والفتح)

قال بحر اللآلئ أبو سيدي عبد العالي رضي الله تعالى عنهما :(حتى لا يبقى على عين بصيرتي بل ولا على عين ذاتي كلها من خيالات الباطل من شئ حتى تنهزم جيوش الباطل كلها وتنعدم لما جاء نصر الله والفتح)

قلت : وقد أشرنا إليك يا أخانا في الله تعالى ، ونشير إليك بما يفتح الله تعالى به علينا لعلك ترشد إلى بحر أحزابنا الذي تلاطمت أمواجه واتسعت فجاجه ، ولمع جوهره ، وارتفع عن العقول منبره ، وتضاءلت أمامه العبارات ، وكلت بجانبه الإشارات ، واغترف منه من اغترف ، وحرم منه من انحرف ، وبه تكشف غوامضها ، خذها إليك واجعلها لك ورداً ، تطلع شمسها في سماء روحك من جميع الوجوه

وقلت بفضل ربي تعالى قولا لمناسبة الأسماء للأنفس :

النفس الأولى الأمارة : تأمر بالسوء ناسبها النفي والإثبات ، لأن التهليل فيه نفي الباطل وإثبات الحق ، والنفس إذا تركت المعاصي وكرهتها وأحبت الطاعة وفعلتها فقد نفت الباطل وأثبتت الحق ، واللوامة : تلوم صاحبها على ما كان منه في التفريط والمعاصي فيقال لها : اتركي اللوم واذكري الله تعالى (ولذكر الله أكبر) ولا يخلو الحال من تخيل فبتجليه سبحانه عند الإكثار من ذكر ذلك تزول جميع الخيالات الخلقية ، قال سيدي ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

لم أخل من حسد عليك فلا تضع

سهري بتشنيع الخيال المرجف

قال سلطان المعارف الفقيه الجامع بين بحر الشريعة والحقيقة ، مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (وتجل لي يا إلهي باسم الذات الاسم الله مرجع الصفات والأسماء الحقية توحيداً صرفاً تجلياً ينسف بصرصر عظمته

وكبريائه جبال الخيالات الخلقية في نظري نسفا فيذرها قاعا صفصفا فتزول غشاوة عمش الأغيار عن بصري وبصيرتي)

قال (سيدي الشيخ) صالح الجعفري (رضي الله تبارك وتعالى عنه : وفي قوله عن بصري إشارة إلى ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (ما رأيت أحدا إلا ورأيت الله قبله) ما رأيت ببصري إلا رأيت ببصيرتي ، فيتغلب الشهود الباطني على الشهود الظاهري ، فيخرج من ظلمة ليل الغفلة إلى نهار نور المشاهدة (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال الشفا سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (حتى لا ينبغي لليل سري أن يسبق روحي في الوجد والشهود)

وأمرت الملهمة : بذكر (هو) لأنها في بحر الأسرار والإلهامات الخفية وهو ضمير والضمير مستتر ، فهنا إمداداتها خفية وأسرارها علية ، فيناسبها هذا الذكر ، ولما رأت العجائب والغرائب وتنزلت عليها النفحات والبركات انتقلت إلى :

مطمئنة ، والطمأنينة سكون عند التجلي . فناسب ذلك أن تقول (حق) لأنها تريد أن تتحقق بما يسمى عندهم بالحقائق ، كما قال الشفا سلالة المصطفى r

سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : حتى أكون متحققاً بتحقيق (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به)

وقال سيدي أحمد الدردير رضي الله تعالى عنه :

ويا حق حققني بسر مقدس لأدري به سر البقاء مع الفنا

وناسب الراضية أن تذكر (الحي) ، لأنها تحب الخلوة وتفر من الخلق وتحب الأنس بالله ، قال ابن الفارض : (واستأنست بالوحش إذ كانت من الإنس وحشتي) أي سكنت بالجبال مساكن الوحش يقول : ولما استوحشت الإنس كان استيحاشي للوحش من باب أولى ، فلا يحمل اللفظ على ظاره لأن الأنس بأي شئ سوى الله في هذا المقام نقص . نقل الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء أن رجلا عابدا كان في البيداء يعبد الله عشرين عاما ، فجاء طائر إلى شجرة بجواره وصار يغرد بصوت حسن ، فانتقل العابد من مكانه إلى الشجرة التي بها الطائر ، فسمع النداء : أتبيع أنسنا عشرين عاما بصوت طائر ؟ إذا عرفت هذا الكلام عرفت كلام ابن الفارض رحمه الله تعالى

ولما كانت النفس تريد حياة جديدة وهي حياة الأنس بالله تعالى ناسب ذلك ذكرها لاسمه تعالى (حي) (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) والحياة الطيبة أنواع ، وتتفاوت بحسب المقامات ، ومن أجلها حياة الأنس بالله . قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

فالموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي

ولما وصلت الراضية إلى الحياة الثانية ناسب أن تذكر (القيوم) ، لأنها صارت

مرضية : تحتاج إلى قوام حياتها الجديدة التي قوامها وغذاؤها الواردات النورانية والمعارف العلمية ، فهي في مقام (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء) على بساط (لقد كان فيمن قبلكم محدثون) ولذلك قال الشيخ الشوكاني رحمه الله تعالى لجماعة من أهل العلم : عليكم بالأخذ عن السيد أحمد بن إدريس فإنه قريب عهد بربه : قلت : أراد أنه من الملهمين عن الله تعالى ، والإلهام نوع من الخوارق للعادة المسماة بالكرامات

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل العشرون :

شرح حديث (إنما يسلط على ابن آدم ....) للعارف بالله تعالى سيدي الشيخ صالح يقول

المتصل عن السيد محمد إدريس السنوسي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد عليه السلام بن الشريف السنوسي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد محمد المهدي السنوسي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد الريفي عن شيخه العالم العلامة والبحر الفهامة الحافظ المحدث السيد محمد بن على السنوسي ، عن شيخه العارف بالله تعالى سيدنا الإمام العالم المحدث الحافظ المفسر الصوفي التحرير والمرشد لطريق الحق بالحق القطب النفيس صاحب البيان والتدريس سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس الشريف الحسنى رضي الله تعالى عنه بسنده المتصل قال : وعنه r أنه قال :

(إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يتسلط عليه أحد ، وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره)

قلت : الخوف من الله عز وجل صفة من أجل الصفات ، اختص الله تعالى بها رسله وأنبياءه وخاصته وأوليائه

ولما كان الخوف من الله ، من أعظم الصفات كافأ الله صاحبه في الدنيا بالأمن وعدم الخوف من غير الله ، وعاقب الخائف من غيره بأن عجل له العقوبة في الدنيا بتسليط من يخافهم من غير الله تعالى عليه

ومما يوضح لنا ذلك ما ذكره الصوفية من أن رجلا زار رجلا صالحا بالبادية ، فبات عنده ، فلما انتبه من نومه ذهب ليتوضأ من عين بجوار مسكن الصالح ، فلقي الأسد عندها فجاء مهرولا مرعوبا . فقال الصالح : ما شأنك ؟ قال له الأسد . فقام وذهب معه إلى الأسد وقبض على أذن الأسد وقال له : أما نهيتك عن التعرض إلى أضيافي ثم انصرف الأسد فقال الصالح للضيف : خفتم من غير الله فأخافكم الأسد ، وخفنا من الله فخاف منا الأسد

وإذا اتصف العبد بهذه الصفة وهي صفة الخوف من الله تعالى وحده لا شريك له دخل في هذا الصون الإلهي الذي أشار إليه سيدي الشفاء السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه بقوله :(وصني يا إلهي بصون حجاب العزة الأحمى خلف سرادقات العظمة والكبرياء في حضرة الذات عن جميع الأغيار والمخالفات حتى لو طلبتني جميع البلايا كلها طلبا حثيثا لم تدركني لكوني مصونا عندك في حضرة لا يتصور فيها بلاء)

هذا الصون في حضرة الأمن الإلهي على بساط القرب الرباني ، قال تعالى : (وآمنهم من خوف) ، أي لما خافوا منه وحده لا شريك له آمن خوفهم من غيره ، ولما علم ان الغير يطالبهم أدخلهم في حفظه ، وضرب عليهم سرادقات العظمة والكبرياء ، وهي التي يرى بها صاحبها مجللا موقرا ، وفي الحديث (اللهم أرني نفسي في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيرا)

وفي الحديث (اللهم رب ، لك فذللني ، ورب لك فحببني وفي أعين الناس فعظمني) وفي هذين الحديثين الإشارة إلى سرادقات العظمة والكبرياء ، وقد أشرنا إليك يا أخانا في الله تعالى بهذه الإشارة وإن لم تف بالعبارة ، ولما علم

الغير مطالبهم صانهم خلف حجاب العزة الأحمى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا)

وهذا الحجاب لعله الذي أشار إليه سيدي أحمد بقوله (حجاب العزة الأحمى) يناله بطريق الوراثة المحمدية ، ولعل ذلك هو السبب الذي يسر تلاوة القرآن على سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه . فقد ذكر تلميذه الختم رضي الله تعالى عنه في مناقبه بأن شيخه ابن إدريس كان يختم القرآن كل ليلة في ركعتين

قلت : وهذا حال من أحوال الصوفية سببه ما ذكرته لك وبه تقوى الروح على الجسد حتى تتصف بالصفات الملكية التي منها نشاط البدن ، وتيسير العبادة ، وعدم الغفلة وقلة النوم ، وقلة المطعم والمشرب ، وكثرة الإلهام والكشف ، وحفظ العلوم ، والذكاء والفهم فيها ، وخرق العوائد ولذلك كان سيدي أحمد إذا سئل عن التفسير بسط كفيه وقرأ فيهما ما شاء الله أ، يقرأ ، وإذا سئل عن الحديث قلب كفيه وقرأ فيهما ما شاء الله أن يقرأ ، وإذا سئل عن الحديث قلب كفيه وقرأ فيهما ما شاء الله أن يقرأ . وكان في آخر عمره يقرأ من غير أن ينظر إليهما ،

وهذا الحجاب مع منعته وحصانته موصوف بالعزة ، هي الحفظ من الأعداء مع الغلبة والظهور عليهم

قال سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه فبدعائه :(فمن اعتز بعزتك فهو عزيز لا ذل معه ، ومن اعتز بدون عزتك فهو ذليل)

قلت : ووجه كونه يقرأ في كفيه لأنه كان كثيراً ما يبسطهما على الأرض للسجود لربه ، وليظهر فضل الله عليهما في الدنيا قبل الآخرة , وقال العلماء : كل معجزة لنبي يجور أن تكون كرامة لولي

وقد أجرى الله الشفاء على أيدي النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

وأجرى على أيديهم خوارق مختلفة ، وكذلك على أيدي كثير من أوليائه وأصفيائه من الأمم السالفة ، ومن أمة سيدنا محمد r سلفا وخلفا

وإنما كانت كرامة سيدي أحمد علما ؛ لأن حاله كذلك وميوله كان ميولاً علمياً ، وكان حاله قبل التصوف حالا علمياً علقت به روحه ، فلما تصوف نماه بطريق الوراثة حتى نال فيه خرق العادة

كما حصل لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام حينما قلب الحجر الذي كان يقلبه أربعون ، وذلك أنه لما اعتاد فعل الخير بيده قبل حصول هذا الحال له ، خرق الله العادة على يديه الشريفتين ، وهذا الحال سببه توجه قلبه إلى ابنتي نبي ورسول وهو سيدنا شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وكانتا ترتديان ثوبين من أنوار النبوة والرسالة . فلما رآهما بعيني البصيرة توجه قلبه إليهما ، ولو كانتا كافرتين مثلا ما توجه قلبه إليهما ولا خرقت له العادة

ولكن نبي ورسول يسقي لا بنتي نبي ورسول يخرق الله له العادة لا بنتي نبي ورسول ، وكأن روحه عليه السلام أحست بزوجته وعلمت بها عن طريق (الأرواح جنود مجندة) وهي التي ذهبت إليه عقب دعوته عليه السلام حينما جلس تحت الشجرة وقال : (رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير)

وهي التي قالت (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)

أما قوته فقد شاهدتها في رفع الحجر وسقى الغنم ، وأما أمانته فقد شاهدتا في سيرها معه ، وأظن أنها هي التي تزوج بها والله تعالى أعلم . وقد علم سيدنا شعيب عليه السلام بسيدنا موسى عليه السلام

ولذلك أرسل إليه ابنته ولو لم يعلم به لأرسلهما معاً ، أو أرسل رجلا أو غلاما من الجيران ، وأيضاً قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) ، وقد حقق الله هذين الخبرين فكان من أول ما سمع عن ربه (لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وقوله تعالى (لا تخف إنك أنت الأعلى) فحقق الله نفي الخوف

وقال تعالى (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) فحقق الله له النجاة ، ثم زوجه شعيب ابنته من غير بحث عنه ، ثم أمنه على ماله في الظاهر وأدخله مدرسة التربية في الباطن والله تعالى أعلم

وقد ورث من هذا الشأن شيئاً كثيراً سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه ، ومن ذلك أنه لما قدم سيدي إبراهيم الرشيد رضي الله تعالى عنه ، ومن ذلك أنه لما قدم سيدي إبراهيم الرشيد رضي الله تعالى عنه من السودان إلى اليمن وجد سيدي أحمد يقرأ بالمسجد ، وترك ما كان يقرؤه وانتقل إلى قوله

تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وذكر أن الشيخ العارف يعرف تلاميذه من عالم الأرواح

وأشار إلى سيدي إبراهيم بأنه يعرفه منذ عهد قديم . فرسخ في قلب سيدي إبراهيم ما سمعه من السيد عثمان الميرغني رضي الله تعالى عنه حينما زار بلادهم وأخذ عنه العهد والد سيدي إبراهيم ، ثم قدمه للسيد الميرغني وقال له : أعط ابني إبراهيم هذا الطريق فقال السيد الميرغني له : ابنك هذا فتوحه على يد شيخي السيد أحمد بن إدريس . وهذه الكلمة هي السبب في سفر سيدي إبراهيم إلى سيدي أحمد

قلت : ومعرفة سيدي الميرغني له عجيبة ومعرفة سيدي أحمد له أعجب

قلت : ولعل سبب ذلك أن الله يلقى شبه الشيخ على المريد في روحه وجسمه يرى الناظر على حسب كشفه وحاله مع ربه ، وقد ينال المريد ذلك قبل اتصاله بشيخه ظاهرا ويكون ذلك مكتسبا له باتصاله به قديما وباطنا في عالم (الأرواح جنود مجندة)

وهذا الشبه سببه الاتصال والقرب ، فحال الشيخ مع المريد كالأرض والثانية ودورانها والماء فقلب المريد هو الأرض الطيبة ، والأوراد هي الثانية ، ودورانها قراءة الأوراد والماء الخارج هو الثواب والنبات هو المعارف والخوارق والتجليات

لا تخالف شيخا رباك انصح واخدم بنيا

أنت شجرة وهو مسقاك تنال الرتبة العليا

ويقول رضي الله تعالى عنه :

اقرأ الوظيفة وساعد رفقاك ورد بالك إليا

أنا الشيخ الأسمر دوما نرعاك اعرف مقامي وزيا

وفي قوله (اعرف مقامي وزيا) إشارة إلى ما يتوقف الفتوح عليه فمعرفة مقام الشيخ وجدان قلبي روحاني تظهر للمريد إشارة في عالم الملك والملكوت على حسب قوة معرفة المريد بشيخه . وأول خارق للعادة يناله المريد يشاهده في شيخه ، ومنه ينتقل إلى المريد على حسب صدقه على سبيل الوراثة ، وقد قال سيدي

أحمد بن إدريس للسيد ابن السنوسي رضي الله تعالى عنهم : (أنا أنت وأنت أنا) وقالها سيدي ابن السنوسي لتلميذه وابن شيخه سيدي عبد العالي بن السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنهم بعد أن رباه وعلمه ولقنه الأوراد (أنا أنت وأنت أنا) . وكان يحضر أحيانا في مجلسه (بجغبوب ببرقه) وهو يدرس الإحياء للغزالي ، لأن سيدي عبد العالي درس الإحياء في حياة شيخه بمسجد جغبوب ، وفي ذلك سر عظيم لأن الشيخ يمد تلميذه حينما يحضر درسه مددا روحانيا . ويكون ذلك كالختم له بأنه صار أهلا لهذا المقام . قال لي أحد المشايخ : إن جدي السيد محمد بن علي السنوسي ربي سيدي عبد العالي وعلمه ولم يفارقه أبدا في حياته

الشيخ صالح الجعفري وشيخه سيدي الشيخ محمد عبد العالي رضي الله تعالى عنهما

ومما من الله به على أن شيخي قطب أهل الوصال السيد محمد عبد العالي قد حضر مجلس درسي بالأزهر الشريف وأظهر كرامة ، وهي : كنت وأنا صغير إذا سلمت عليه بالبلد يقول : (أهلا شيخنا) ، ومرة سلمت عليه ، ومعي مشايخي

فسلم عليهم وعلى ، فلما رجعنا قال لي أحد مشايخي : لماذا السيد يقول لك أهلا شيخنا ونحن مشايخك لا يقول لنا هذه الجملة ؟ فقلت له : الله أعلم . فلما أتيت الأزهر الشريف وكان حضوري إلى الأزهر بأمر والده سيدي عبد العالي بطريق الإشارة ومنه رضي الله تعالى عنهما بطريق العبارة ، وبعد أن مكثت بالأزهر سبع سنوات حضر سيدي محمد الشريف بدرسي يوم الجمعة وكنت أفسر سورة (الكوثر) والناس يزدحمون ما بين جالس وواقف . فلما حضر قال : من هذا ؟ قالوا له : هذا الشيخ صالح ، قال ك صالح ابني صالح تلميذي ؟ قالوا : معم فأخذه حال وفرح عظيم رضي الله تعالى عنه ، فلما انتهى الدرس قلت : يا أيها الإخوان إن شيخي قد حضر فقوموا جميعا وسلموا عليه ، فلما سلمت عليه وقبلت يده تبسم وقال : (أهلا شيخنا) فتذكرت كلمته التي كان يقولها لي سابقا

وقد استبشرت روحي بحضوره عند تفسير هذه السورة ، وأخذت منها البشرى بكثرة الخير وكثرة الحجم وقطع دابر أعدائي . ولشيخي هذا أسرار وكرامات ونفحات وعجائب وغرائب . سره مكتوم ، وأمره معلوم ظاهره باطن ، وباطنه ظاهر ، له سيف قاطع ، ونور ساطع قد ورث عن جده ووالده أحوالا ، ونال من بركاتهما منالا . كان مرة يمشي خلف والده ببلدة دنقلا بالسودان والناس

يزدحمون بالإقبال والإجلال فحدثته نفس هل أ،ا إذا بلغت عمر والدي هذا يكون لي من الاحترام والإكرام ما حصل له ؟ فالتفت إليه والده سيدي عبد العالي رضي الله تعالى عنه وقال له : (وأكثر من هذا يا محمد) فكان كما قال ، والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على النبي وعلى جميع الأصحاب والآل

والخوف من زوال الرزق لا من الرزاق يؤدي إلى زواله ، والهم في تحصيله وهو عيب عند الصوفية كالخوف من الخلق ، ولهذا يقول سيدي على أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه : (اللهم إني أعوذ بك من خوف الخلق وهم الرزق وقرب مني قربا) فطلب القرب بعد زوال الخوف من غير الله لأنهما لا يجتمعان قال . سيدي أحمد ابن إدريس رضي الله تعالى عنه :

فلفوا قتيل العشق في ثوب وصفكم

يراكم بكم والكل فيكم مغرق

وثوب العشق كساء العاشقين المصنوع من خيوط لا تحصى ولا يتم إلا بها . من تلك الخيوط خيط عدم الخوف من غير الله ، فلو نقص هذا الخيط لما ساغ

العاشق أن يلف به ، وإنما يغزل هذا الثوب به ومن أجله فيقدم خيوطه ليتم غزله له ، وهذا بخلاف ما أراده حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه حيث قال :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد

لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

لأنه شبه الألفاظ التي تدل على هذا الثوب الذي ذكرناه بالصوف الذي يحتاج للنسج وشبه القابلية بالنساج ، فكأنه قال : ألفت لهم كلاما ولكني لم أجد القابلية والاستعداد له

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (وأوقفني وراء الوراء بلا حجاب عند اسمك المحيط في مقام السماع العام حتى تطربني لذة المكالمة الإلهية) قلت : ولا يكون الطرب إلا بعد زوال الخوف عند سماع المتكلم

وليس الطرب هنا كما يعلمه الناس وإنما هو اهتزاز خيوط شعاع الروح التي هي كشعاع الشمس ، فإذا سمعت بالحق عن الحق اهتزت إجلالاً وإكباراً له ، وتحصل لها أحوال تنزل بها عليها معارف وأسرار وصفها الشريف المكي السيد

محمد عثمان الختم الميرغني رضي الله عنه تلميذ صاحب هذه الترجمة بقوله في الأسرار الربانية : (وما ظهرت أسرار وحكم ، والزم في البعض الكتمان)

وهذه الهزة ليست كالتي ذكرها الشاعر بقوله :

(وإني لتعروني لذكراك هزة)

فإنها جثمانية شهوانية نفسية وما نحن بصددها روحانية قلبية وجدانية

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرف

وإنما لا تحصل المكالمة مع الخوف من الغير لوجود المشاركة للغير في القلب ولهذا يقول الله عز وجل : (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فهو ينهاه عن الخوف من غير الله المسبب للحزن ، ثم ينقله إلى معية الله المسببة للأمن والفرح ، فكأن النبي r يقول لسيدنا ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : لا تخف من غير الله لأننا في حضرة الله تعالى . ولما رأى سيدنا موسى عليه السلام الحية وخاف منها قال الله تعالى له : (لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) أي لا خوف من غيره في حضرته وعند مشاهدته وعلى هذا المنهج كل نبي وولى لله تعالى :

ويقول سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (حتى أعلم مأخذ كل نبي ورسول)

قلت : ومن ضمن هذا المأخذ عدم الخوف من غير الله في حضرة الله تعالى .

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه : (حتى يخاف سطوتي كل ناظر إلى بسوء) قلت : وهذا الوصف لا يتم للعارف إلا بعد عدم الخوف من غير الله تعالى والتمكن في الخوف من الله تعالى ، فيحاط من الله بجلال يرعد كل ناظر إليه بسوء ، ومن ذلك ما حصل للرجل حينما دخل على النبي r فصارت ترتعد فرائصه ، فقال النبي r : (مهلا عليك إنما أن ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) أو كما قال . قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (فأوجد لذة الوحي القرآني الإلهي مني إلى)

حصول لذة الذكر للذاكر

قلت : ولا تحصل تلك اللذة إلا بعد عدم الخوف من غير الله تعالى فيطمئن القلب ويحصل الأنس والتلذذ حيث لا يتم ذلك إلا بعد أن يلف في الثوب الذي تقدم ذكره وهذا الثوب كالجسد وما يحصل بسببه كالروح وهي لا تنفخ في

الجسد إلا بعد تمام الجسد كما أنه إذا كان الجسد تاما سليما حصل تمام الإبصار وتمام السمع وتمام الذوق . كذلك يقع ذلك لمن تم غزل ثوبه كما ينال الإنسان بتمام كل حاسة ما يترتب على تمامها ، كذلك يحصل بوجود كل خيط ما يترتب على وجوده

فمثلاً خيط الإكثار من الذكر يترتب عليه إعطاء منشور الولاية ، قال سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى عنه : (الذكر منشور الولاية فمن أعطى المنشور أعطى الولاية) ومثل خيط الإكثار من تلاوة القرآن يترتب عليه ما قال سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه بقوله : (حتى أتلوه بلسانه الذي يتكلم به)

اعلم يا أخانا في الله تعالى أن لهذه الجملة معاني ذوقية تكاد أن تكون من السر المكتوم ، وهذا المعنى غير الذي أشار إليه الغزالي بقوله : (قارئ القرآن له ثلاث حالات) :

الحالة الأولى : كأنه يسمعه عن الله تعالى

والحالة الثانية : كأنه يسمعه عن جبريل عليه السلام حين يسمعه للنبي r

والحالة الثالثة : كأنه يسمعه من رسول الله r وإن كانت الحالة الأولى قد قاربت ما ذكره سيدي الشفا أبو العباس العرائشي السيد أحمد بن إرديس رضي الله تعالى عنه

وقوله (في ثوب وصفكم) فالإضافة للتشريف لأنه يستحيل على الحادث أن يتصف بصفات القديم ، فيكون المعنى بثوب صفات تحبونها جليلة كريمة عندكم فشبه شدة العشق الحاصلة للعاشق بالقتل والعاشق بالمقتول ، وشبه الألطاف الإلهية النازلة عليه والموائد الأنسية بما يحصل لمن لف بالثوب فيكون في هذا الثوب مستوراً مع فقد الحركة التي لا يتأتى معها تمام اللف بالثوب . كذلك العاشق لا يتم له الدخول في الألطاف الإلهية إلا بعد فقد أوصافه المباينة من إرادة ورغبات وتدبير وتفكر والتفات إلى السوى ، كما أنشدني شيخي قطب أهل الوصال الشريف السيد محمد عبد العالي رضي الله تعالى عنهما قائلاً : قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظري

فغبت وعنكم لا تغيب سرائري

قلت : جمع بين الضدين الغيبة وعدمها فغاب عن الخلق ظاهرا وشاهد الحق بقلبه باطنا وقد أشار إلى هذا المعنى باب مدينة علم المصطفى r سيدنا على رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه بقوله (إن لله عبادا هم مع الناس بأجسامهم وقلوبهم معلقة بالملأ الأعلى)

وأشار إلى ذلك سيدي الشفا مولانا أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه بقوله : (وغيبني فيه غيبة لا أخرج بها عن المحافظة على أوامرك الإلهية) . قلت : فقام في ما يتعلق بالظاهر لله سبحانه ، وهذا معنى كلام الإمام على كرم الله وجهه هم مع الناس بأجسامهم الخ يعاملونهم بأحكام الشريعة فلا يخرج قولهم وفعلهم على الشريعة بالمخالفة ، هذا الحال فيه تمام الوراثة المحمدية وغالبا لا يكون صاحب هذا الحال إلا عالما بعلوم الشريعة ليصدق عليه حديث النبي r (العلماء ورثة الأنبياء) وتارة صاحب ذا الحال يتكلم عن نفسه ويخبر الناس بآثار مقامه . كما أخبرنا سيدنا على كرم الله وجهه بذلك . ويحكي أن سيدنا أبا العباس العرائشي رضي الله تعالى عنه كان يصلي إماما بجماعة من أصحابه بالبيت فسقط جزء من البيت فأحدث دويا وصوتا عظيما فلما فرغوا من الصلاة

قالوا : لسيدي أ؛مد أن جزءا من البيت قد سقط . قال لهم : وكيف علمتم بهذا وأنتم معي في الصلاة ؟ فقالوا : سمعنا صوت سقوطه فقال :(سبحان الله تصلون وتسمعون) قلت : لأن للعارفين بأرواحهم وقلوبهم ما يمنعهم سماع الغير في حال التجلي الإلهي والمشاهدة ومن ذلك ما يحصل لهم عند دخولهم في الصلاة وقد حكى عن بعض الصالحين أنه كان إذا صلى غاب عن الكون وكان له مرض في ساقه فجرحوها وأخرجوا منها الأذى وهو في الصلاة ولم يشعر

(لطيفة) حضر السيد عبد العالي من جغبوب بلدة شيخه إلى الزينية فسمع رجلا يصرخ في الصلاة فقال ما هذا ؟ قالوا : رجل صالح يخشع في صلاته فقال : سبحان الله لابد من اختباره فإن كان صالحا اتبعناه وإن كان غير ذلك نهيناه . فأمر بجمر يوقد ويوضع فيه مسمار حتى يحمر ووكل إنساناً به وقال له إذا صاح هذا الرجل فضع المسمار على عنقه . فلما سمع الرجل بهذا الخبر صلى وترك ما كان من الصياح . فأحضره السيد وسأله لماذا تركت عادتك ؟ قال : لأنني سمعت بخبر المسمار قال :(سبحان الله يا أخانا أتخاف من نار الدنيا ولا تخاف من نار الآخرة تب إلى الله من صنيعك هذا) فتاب إلى الله وحسنت توبته . فلو كان هذا الرجل غائبا في صلاته صادقا في حالة ووضعوا عليه نار الدنيا ما أحرقته

(وللمناسبة) جاء رجل معمر من تلاميذ سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه فالتف الناس حوله وصار يتحدث معهم عن مقام شيخه وأحواله ، فصاح رجل من الجالسين صيحة عظيمة فقال الرجل المعمر : هذا من الذين كان يجاهدهم سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه

لذة العارفين في عبادة ربهم

وجعل الله لذة العارفين وقرة عينهم في عبادته ، وإلى هذا المقام أشار رسول الله r بقوله : (وجعلت قرة عيني في الصلاة) . ويقول r (أرحنا يا بلال) عند مجئ وقت الصلاة . وبقوله r (المصلي يناجي ربه) ويقول r (من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن)

وفي الحديث القدسي (أهل الذكر في حضرتي) وقال تعالى : (أقم الصلاة لذكري) (فاذكروني أذكركم) وفي الحديث القدسي (وأنا معه حين يذكرني) وفي الحديث القدسي (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه)

وقد يخبر بعض الأولياء في أحوالهم بما أكرمهم الله به من خرق العوائد ، فمنهم من يتكلم نثرا ومنهم من يتكلم نظما ، فإذا سمع شيئاً من ذلك المريد فليستحضر شيخه بقلبه موجها إليه هذه الأوصاف معتقداً رسوخ شيخه فيها غير منتقص لمقام شيخه بما سمع من الشيخ الآخر فإن ذلك من القواطع بل يعتقد أن كل ما سمعه عند شيخه وزيادة ليتم له تمام الإقبال الذي يحصل به تمام الاتصال

أب الروح وأب الجسد

قال سيدي الشفا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : قال عليه الصلاة والسلام : (من لا أب له فهو لقيط)

واعلم يا أخانا أن الأب أبوان : أب الروح وأب الجسد . وأب الروح أفضل من أب الجسد ، لأن أبا الجسد يتولى تربية الجسد الترابي ، وأبا الروح يتولى تربية الروح الذي هو من أمر الله

قلت : رضي الله تعالى عن شيخ الأولياء سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه حيث جعل الشيخ كالأب . وتوضيح ذلك أن الأب له اتصال بابنه لأنه

برز منه فهو قطعة من أبيه . قال r : (من أراد أن ينظر إلى قطعة من كبده تمشي على الأرض فلينظر إلى ولده) والمراد بالولد هنا كما في الميراث الذكر والأنثى ، كذلك الأم لها هذا الاتصال لأن الجنين يتخلق من الماءين

شرح قوله تعالى :

(يخرج من بين الصلب والترائب)

قال تعالى : (يخرج من بين الصلب والترائب) قيل : صلب الرجل وترائب المرأة وفي الحديث (ومن أين يكون الشبه)؟ قال ذلك r لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حين أنكرت ماء المرأة ، ثم أثبت r أن الجنين يتخلق من ماء أمه وأبيه ، ولذا تارة يشبه أباه وتارة يشبه أمه ، فيكون هذا الحديث موافقا لتفسير الآية الذي ذكرته لك آنفا

وقد ذكر الشيخ محمد عبده رحمه لله تعالى هذا التفسير الذي سبقه إليه غيره ولم يدلل هو ولا غيره عليه بالحديث الذي ذكرته ، وذلك من فضل ربي على فله الحمد وله الشكر . وهذا الاتصال الجسماني هو الذي يتسبب به عطف

الوالدين على الذرية وعطف الذرية على الوالدين ، ولولا ذلك ما حصل عطف ، ولذلك اللقيط لا عاطف عليه إلا أمه

(لطيفة مهمة) لم يذكر العلماء سبب إنكار السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأقول بفضل الله تعالى : أن سبب ذلك أنها عصمت من الحلم الشيطاني إكراما لرسول الله r فلم تر في منامها مثل ما يرى الرجل ، وكذلك باقي أمهات المؤمنين بعد دخوله r بهن ، لأ، الله تعالى عصمهن من الإنس والجن يقظه ومناما وإلا لو كانت ترى مثل ما رأت السائلة لما أنكرت ذلك أمام رسول الله r دلل على أنه حياته r أرقى من حياة الشهداء لأن الله تعالى أباح تزويج نسائهم ، وأما سبب الاتصال بأب الروح فهو بسبب التآلف الأزلي في عالم (الأرواح جنود مجندة) ولأن الروح القوية لها شعاع يشع على الروح الضعيفة كما يشع ضوء الشمس على نور ضعيف فيدخل شعاع الشمس في ذلك الضوء الآخر ويكون متصلا به باعتبارين : باعتبار المقاربة وباعتبار المجانسة وذلك يخالف اتصال شعاعها بالمواليد الثلاثة : وهي عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الجماد

اتصال الشيخ بتلميذه من الأزل

فاتصال شيخ الروح بتلميذه قديم وعظيم ، ولأن الأول جسماني وهذا نوراني ، وهناك شئ أعظم من هذا وهو انفتاح ما مع الروح للنداء الإلهي الأزلي عند قوله تعالى (ألست بربكم) فبعض الأرواح أخذتها نشوة فنفخت في جسدها بها فهي منعمة بنشوتها ، مغيبة بها عن الغير في مقام الحب والجذب كما قال سلطان العاشقين سيدي عمر ابن الفارض رضي الله تعالى عنه مشيرا إلى هذا المعنى بقوله :

ولي في هواها نشوة قبل نشأتي ستبقى معي أبدا وإن بلي الجسم

فناء المريد في شيخه

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من اتصال المريد بشيخه . أقول إن بعضهم غلب عليه الاتصال حتى ظهر شبه شيخ على جسمه . وهذا معنى ما ذكرناه لك من قول سيدي أحمد بن إدريس لتلميذه السيد ابن السنوسي رضي الله تعالى عنهما (أنا أنت وأنت أنا)

قال الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان سكنا بدنا

وقال السيد محمد على اليماني الإدريسي مخاطبا السيد سر الختم الميرغني رضي الله تعالى عنهما

وإن تعددت الأشباح وابتعدت

فالذات واحدة في أصل مبناها

قلت : ونهاية هذا المقام سببه المريد وهو فناؤه في شيخه ، فإذا علم منه الشيخ ذلك أخبره بهذه المقالة الدالة على اتحاد الروحين

(نادرة) زرت يوما العارف بالله تعالى والمرشد لطريق الحق ولي الله سيدي محمد أمين الكردي البغدادي النقشبندي رضي الله عنه ، وبعد زيارته في خلوته خرجت أتحدث مع تلميذه الشيخ تمام في مسألة علمية وبيننا وبين شيخه جدار الخلوة والشيخ تمام مصري ، فكنت أسمع منه صوت الشيخ باللهجة الكردية ،

وأخيراً قال لي : إن الذي يكلمك هو الشيخ ، فتعجب من ذلك وليس الأمر بعجيب فإن الشيخ كان من أكابر الأولياء

كنت في أيام حياته قد سافرت إلى شمال السودان ، فرأيت في منامي كأن شيطاناً يريدني بسوء فهرولت منه ، فإذا أمامي خلوة يشع النور منها ، فلما دخلتها وجدت الشيخ بها ونور وجهه يضئ وله شعاع كالشمس ، فجاء الشيطان إلى باب الخلوة فنفخ الشيخ عليه فصار رماداً ثم سلمت على الشيخ وقبلت يده ودعا لي بخير رضي الله تعالى عنه وأرضاه آمين

أنس العارفين بالله تعالى :

والخوف من غير الله تعالى لا يحصل للعارف بالله تعالى لأنه في حضرة أنس وقرب وحب ، مستوحشاً من غيره سبحانه مستأنسا به ، كما قال سيدي ابن الفارض رضي الله تعالى عنه : " واستأنست بالوحش إذ كانت من الإنس وحشتي "

قلت : أما قوله : استأنست بالوحش فعلي غير ظاهره لأنه لم يستأنس بغير الله ، وهو أراد وسكنت بصحراء الوحش فراراً من أن يميل القلب إلى الأنس

بالانس ونفر من أنس الإنس ، فمن الأولى أن يفر من غيره ، وفي هذا تصريح بعدم الخوف من غير الله ولذلك سكن جوار الوحوش ولم يخش بأسهم ، وقد تولى الله حفظه مع العلم أن الشرع لا يبيح لأحد الذهاب إلى غابات الوحش ، ولكن الذي تولى سيدنا يوسف عليه السلام إلى غيابات الجب ، ونجي سيدنا يونس عليه السلام من الظلمات ، ونجي خليله – عليه السلام- من النار ، وكتب السلامة لحبيبه r في الغار ، قادر على أن يحفظ أحبابه إذا ساقهم الحال إلى الصحراء والجبال

حكى الغزالي رحمه الله تعالى في إحيائه أن رجلاً من الصالحين من أرباب الأحوال كان يمشي بالصحراء فسقط في حفرة لم يستطع الخروج منها ، فمر عليه جماعة فاستحيا من الله تعالى أن يستغيث بهم ، وبعد قليل رأى يدا مدت إليه فتعلق بها فلما خرج فإذا هو بأسد ألهمه الله أن ينقذه من هذه الورطة ، ثم انصرف الأسد وتركه ، فقال الرجل : سبحان من أنجاني من الهلاك بالهلاك ، وهذا الرجل الصالح إنما وصل إلى هذه المنزلة وأكرم بهذه الكرامة لكونه لم يخف من غير الله ، لرسوخ حب الله تعالى في قلبه فيصدق عليه قوله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لأنهم خافوا من الله لا من غيره ، والخوف إنما يكون من

الغير ، لمشاهدة الغير ولا يحزنون أي لأنهم شاهدوا حبيبهم معهم وإنما يكون الحزن بحجب الحبيب

ولما فسر سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه قوله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) قال : فهم قوم من الآية وأن الرحمن لكم حبيب فاتخذوه حبيبا ، فاشغلوا بالحبيب فكفاهم الحبيب مضرة العدو

قلت : وذلك لعدم خوفهم من العدو وأنسهم ووثوقهم بالحبيب ولما سمعوا نداء الحق سبحانه وتعالى (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وهنا نداء للعوام والخواص ، فنداء الخواص إن كنتم مؤمنين بي وشاهدين لي ومحبين لي ، لأن الخوف من غيري لا يجتمع مع تلك الصفات

الفصل الخامس : الصوفية

شرح حكمة صوفية لسيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه

قال سيدي على وفا : (من وجدك فما فاته شئ ، من فقدك فقد فاته كل شئ جهلت نفس لم ترك عليها رقيبا ، وخسرت تجارة رجل لم ينل من حبك نصيبا متى غبت حتى تحتاج إلى دليل وأنت حسبي ونعم الوكيل)

قلت بفضل الله الملك القدوس في معنى كلام سيدي على وفا بالنفس الإدريسي : من شاهدك بقلبه غاية مشاهدتك فما فاته شئ من نعيم الدنيا والآخرة ولذلك يقول سيدي الشفا الإمام أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه (وارزقني غاية مشاهدتك) وغاية المشاهدة باعتبارات وقد تكون باعتبار مظاهر الأسماء الحسنى ولابد للمريد من ذكرها ، قد أدخلها شيخنا في أوراد طريقه وجعل لها دعوة منها هذه الجملة (وغاية مشاهدتك) وكان ابنه سيدي عبد العالي رضي الله تعالى عنه يواظب على ذكر الأسماء الحسنى عقب صلاة المغرب مع جماعة ، ثم يدعو بعدها بدعاء والده الذي أوله : (اللهم يأمن من هو هكذا)

وللمشاهدة أسرار عجيبة . وأحوال غريبة ، وكلمات فوق سماء الأحلام ، هي لأربابها الشهد والمدامة إذا سمعوها ذكرتهم ، وإذا فكروا فيها أبكتهم ، ليلها

كنهارها ، وذكر المهيمن شعارها ، والروح منغمسة في أنهارها ، محاطة بأنوارها ، أنشدنا شيخنا يوسف الدجوري رحمه الله في الدرس :

إذا لم أحج البيت مذ شط ربعه حججت إلى من لا يغيب عن السر

ومن رام نفرا بعد حج فإنني مقيم على نسكي حياتي بلا نفر

قلت : يقول هذا الصوفي إذا لم أحج البيت مذ بعد ، شاهدت الله بقلبي ، وإذا الحجاج رجعوا بعد حجهم إلا بلادهم فإني مقيم على مشاهدتي لربي مدة حياتي كلها من غير مفارقة لتلك الحالة ، وهي المشاهدة الإلهية ، ولذلك يقول شاعرهم لما وقف بمشعرهم وشعر بمشاعرهم ، وذاق من كئوس معارفهم على طور تجليات ينوبع عيون حكمهم في معرفة عرفات معارف عوارف شموس أرواح تنزلات فيوضات نفحاتهم

جمالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فاين تغيب

أي جمال مبدعاتك لأن الله سبحانه وتعالى لا جمال له يرى بالبصر في الدنيا

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا رأيت جميع العالمين ملاحا

فالمرئي هي ملاحة العالم وحسنه بإضافته لفاعله ، قال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى (إنما اعتزال الزهاد والعباد الخلق لفقد الحق فيهم ، ولو شاهدوه فيهم ما اعتزلوهم) وقوله هذا على سبيل المعية لاستحالة الظرفية كقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أي وأنت معهم

وقال سيدي ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا قضيت بردتي

وليس الردة هنا الكفر ولكن هي التخلي عن الحب والعشق الإلهي وهو عندهم كالمحال كما قال رحمة الله تعالى : (لو تخليت عنه ما خلاكا)

وقد أنشدنا الشيخ الدجوي بدرس التفسير بالجمع الأزهر عام 1360هـ

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحث جسمى من أراد جلوس

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

قلت : وهذا الكلام ينطبق على طريقة شيخنا الشفا رضي اله عنه وسيرته المرضية فلم يغلب يوما حاله مقاله ، ولا جلاله فعاله ، فيقع خسوف التخليط بل كان باطنه في مشاهدة واقتراب ، وظاهره على الكتاب وسنة النبي الأواب ، لم تدرك شمس نهاره قمر ليلة في عالم وراء الوراء ، ولم يغب عن الحضرتين عند تجلي الأسماء والصفات بل كان كما وصفه تلميذه ختم أهل العرفان حيث بين أوصافه بطريق الشهود والكشف غاية البيان فلا تنس يا أخانا مقام شيخ الأولياء والأخذ عن جده مفتاح السماوات والأرض بأوراد بها ثوب وارتقاء صاحب العلم النفيس السيد أحمد بن إدريس القائل لتلميذه الختم رضي الله تعالى عنهما : (وعليك يا أخانا بالإكثار من هاذ الذكر الذي اختصنا الله تعالى به من بين أوليائه (لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله)

الفناء في مراد الله تعالى

قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا

ولم تفن ما لم تجتل فيك صورتي

قلت : الله تعالى أعلم بما أراده الناظم

ولكنني أقول فيه بحول الله تعالى وقوته على وفق ما يلهمني ربي سبحانه : الفناء في الحب الإلهي تقديم ما يريده الحق سبحانه على ما يريده المحب ، فنفسه تحب الحياة وربه يحب أن يقتل شهيداً ، فيقدم القتل في سبيل الله على الحياة

فلما أعرض عن أوامر نفسه إعراضاً نهائياً كأنه أفناها وأعدمها ، والفاء للسببية . فكأنه يقول : كن فانيا بسبب تقديم أوامر الله ورغباته على أوامر نفسك ورغباتها . فكأنه أفناها بسبب ذلك

وهذا معنى كلام الشفا سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه (حتى لا أرى في وفي كل شئ وفي لا شئ إلا إياك) والمعنى حتى لا أرى في نفسي بسبب شهودي لربي إلا آثار قدرته ، وفي غيري وفي الفراغ أيضاً فإن كل شئ هو أثر لقدرة الله تعالى ، ولا تأثير لسواه

قال العارف السيد أحمد الدردير رضي الله تعالى عنه :

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا

وعلى هذا المنوال يحمل كل ما أوهم من كلامهم رضي الله تعالى عنهم

تجلي الأفعال

وقوله : ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

أشار إلى تجلي الأفعال وهو مشاهدة عنى قوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) ، فيرى صور الأعمال فيه وفي غيره صادرة عن الحق سبحانه وتعالى بقوله (كن فيكون) . فاجتلاء الصورة ظهور صورة العمل أنه صادر عن الحق سبحانه بمعنى أنه أثر القدرة الإلهية ، ولكل عمل عند الله تعالى صورة حاصلة قبل وجوده ، ومعنى ذلك أن علمه سبحانه وتعالى تعلق بها

قال سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه . (الأعمال صورة قائمة وحياتها سر وجود الإخلاص فيها)

قلت : العارف بالله تعالى تارة يتكلم بمقاله دون حاله فلا يحصل لبس ، وتارة يتكلم بحاله فيحصل لبس عند من يغلبهم التأويل

وقد وفقني ربي سبحانه في تأويل قول سيدي ابن الفارض في قوله : (فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى) بتشطير جيد قد تقدم ذكره

ولما رأى ابن الفارض الجمال المحمدي قال :

وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا

لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه كان مهللا ومكبرا

ثم قال رضي الله تعالى عنه بعد رؤيته للجمال المحمدي

بجمال حجبته بجلال هام واستعذب العذاب هناك

وفي هذا المعنى قيل إن يوسف عليه السلام أعطاه الله شطر الحسن ، والنسوة افتتن بجماله ، ونبينا r أعطاه الله الحسن كله والنسوة لم يفتتن به

والجواب عن ذلك : أن الله سبحانه كسا جمال سيدنا محمد r بجلال يرعد الأسد الضارية . وهذا معنى قوله (بجمال حجبته)

قوله r (وإنما وكل ابن آدم لمن رجى ابن آدم الخ)

التوكل تفويض الأمر للوكيل والرجاء تعلق القلب بما عند الوكيل فمن توكل على الله ورجا الله تعالى لم يكله الله إلى غيره في جميع الأمور ورحم الله تعالى القائل :

فوضت أمرى لخالقي وقلت لقلبي كفاك الجليل

يدبرني ولا علم لي وهو حسبي ونعم الوكيل

وما من رسول أو نبي أو ولي وقد توكل على الله تعالى ورجا الله تعالى

والوراثة المحمدية في التوكل على الله عند الصوفية

وتوكل الصوفية توكل ذوقي شهودي بالوراثة المحمدية

على سبيل قوله r : (عني أيها الناس فقد عصمني الله) وذلك لما نزل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) وقول الخيل عليه السلام حين أرادوا إلقاءه في النار ، جاءه سيدنا جبريل عليه السلام فقال له : (هل لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله تعالى فعلمه بحالي يغني عن سؤالي) قال عليه الصلاة والسلام : (حسبي الله ونعم الوكيل دعوة أخي إبراهيم حين ألقى في النار) والتوكل على الله حسن حصينة ودرع واقية ، وبه تحصل للقلب أحوال عشر :

الأولى : الطمأنينة إلى الله تعالى

الثانية : سكون القلب إلى قضاء الله تعالى وقدره مع وجود حلاوة يدركها القلب عند حلول القضاء والقدر

الثالثة : جمع هم القلب بعد شتاته

الرابعة : حصول الشجاعة عند مقتضياتها

الخامسة : الثبات في مواقف الفرار

السادسة : عدم التفكر فيما سيقع في المستقبل

السابعة : عدم الحزن والخوف والجزع

الثامنة : عدم التوجه إلى الخلق بقلبه

التاسعة : الرضا بما حصل

العاشرة : خلو القلب من تعب الفكر والتدبير

والتوكل لا يمنع الأخذ في الأسباب ولا تنافي بينهما . قرأ الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر رضي الله تعالى عنه دراً بالجامع الأزهر جمع فيه بين التوكل والسعي فقال : قال رسول الله r (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) ثم قال : قال عليه الصلاة والسلام : (جعل رزقي تحت ظل رمحي)

وقال الله تعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) فانظر كيف جميع بين الأدلة وجعل المقصد واحداً حيث يقول : الأول فيه التوكل لقوله (لو توكلتم) وفيه السعي لقوله (تغدو وتروح) فالغدو والرواح سببان : (الأول سبب للرزق والثاني سبب للحفظ وأيضاً في قوله r (جعل رزقي تحت ظل رمحي) قال : والرمح إنما يحصل له ظل إذا تحرك وساربه حامله وقائل به ، ففي الحديث التوكل وهو حاله r ، والسعي وهو قوله (تحت رمحي)

وفي قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) السعي وفي قوله تعالى (من رزقه) التوكل لتصديقه أن الرزق من الله تعالى . وإذا قرأ المؤمن بقلبه وروحه هذه الآية وملأ قلبه من نورها واطمأن إليها لابد أن يحصل على جانب عظيم من التوكل وهي قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) لأنها تخاطب المؤمن بأروع خطاب حيث تلفت نظره إلى أن جميع النعم الحاصلة للإنسان مخلوقة لله ، والذي أعطاها للإنسان هو الله وحده ، ولا يستطيع أحد نزع شئ من هذه النعم ولذلك يكون متوكلا معتمداً على ربه في جميع أحواله وحركاته وسكناته وخطراته دائماً أبدا سرمدا حتى لا يخاف زوال شئ من شئ متوكلا مستسلما للذي (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فإذا كان كذلك لم يكله الحق سبحانه إلى أحد سواه ،

وقد أشار الحديث النبوي إلى هذا المعنى أيضا (اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته)

(وتاء) : التوكل تسليم فلابد أن يسلم أمره كله لله تعالى كما قال شاعرهم :

ومن الدلائل أن تراه مسلماً كل الأمور إلى المليك العادل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام وما له من عازل

(وواوه) : ولاية الله (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) المتوكلين على ربهم تولى الله أمرهم ، فلم يكلهم إلى أنفسهم ولا إلى أحد من خلقه طرفة عين ، بل عاملهم وفق عقيدتهم فيه سبحانه ، فلما اعتقدوا فيه أنه وليهم وناصرهم حقق لهم ذلك

وفي الحديث (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك)

(وكافة) : كفاية من الله تعالى حتى لا يحتاج إلى سواه في ظاهر أمره وخافيه

يحكي أن رجلا من العارفين كان نائما تحت ظل شجرة في صحراء فرأى بعض العارفين ضفدعا خرج من نهر صغير ، ثم جاء عقرب ، فحمله هذا الضفدع وذهب به فوق النهر إلى جهة الشرق التي فيها ذلك الرجل النائم تحت الشجرة ، وإذا ثعبان عظيم جاء قاصدا ذلك الرجل ، فقابله العقرب فلدغه فمات ، ثم رجع العقرب وحمله الضفدع ورجع به إلى مكانه

وكان العارف قد قطع النهر لينظر ما يصنع العقرب والضفدع ، فشاهد هذه الأعجوبة ، ثم جلس بجوار العارف النائم حتى استيقظ من منامه ، فوجد بجواره ثعباناً عظيما ميتا فأدهش منه ، فقال له الذي هو جالس بجواره من أنت ؟ قال عبد متوكل على ربه فقال له صدقت ثم أنشده قول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلها أمان

فاصطد بها العنفاء فهي حبائل

واقتد بها الجوزاء فهي عنان

(واللام) : (لهم ما يشاءون عند ربهم) بسبب توكلهم على ربهم وذلك في الدنيا والآخرة . قال سلطان العاشقين ابن الفارض رحمه الله تعالى :

فنلت مرادي فوق ما كنت راجيا

وهكذا حال من توكل على الله وحده لا شريك له واعتمد عليه وفوض أمره إليه . قال الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام : (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) فأعطاه الله ما شاء وفق ما شاء ، لأنه شاء النجاة والتمسها فسخر له البحر وجعل له فيه طريقا يبسا ، وأغرق أعداءه أجمعين ، وورثه ومن معه متاعهم وديارهم ، وهكذا شأن من يتوكل على رب العالمين ، والتوكل توجه روحاني عظيم إلى رب عظيم . وبه يكون مكرما عند به (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) لأنه بسبب توكله يتولى الله أمره ، ولا يكله إلى أحد غيره ، وبهذه الولاية الإلهية يكون في منتهى التكريم

ألا ترى أنه إذا كان في البحر في سفينة لا يكون مطمئن القلب هادئ البال إلا بتوكله على ربه ، فالمؤمن ينسى نفسه ويبرأ من حوله وقوته إلى حول ربه وقوته ، ذاكرا قول خالقه سبحانه (هو الذي يسيركم في البر والبحر)

وأما الكافر فلا يعرف ربه ولا يذكره ولا يعتمد إلا على نفسه وحوله وقوته (وكان الكافر على ربه ظهيرا) (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)

خلق الله تعالى الإنسان ليتوكل عليه ، فإذا نسى التوكل على الله تعالى فقد نسي الخير كله ، ثم ينسى نفسه أي نجاتها فيهلك ، لأن المتوكل على الله يدافع الله تعالى عنه ، ومن كان كذلك فلا غالب له (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) والذين آمنوا هم الذين توكلوا على الله

ولما قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) كفاءهم الله شر عدوهم وآمن خوفهم ورزقهم من فضله ورضي عنهم وهكذا حال من يتوكل على الله رب العالمين

وكان الفراغ من شرح هذا الحديث بعد عصر يوم السبت الموافق سنة 1380هـ بالجامع الأزهر الشريف

اللهم ارض عن القطب النفيس

مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الحادي والعشرون :

خطاب سيدي أحمد بن إدريس إلى سيدي الميرغني رضي الله تعالى عنهما

قال شيخنا خزينة العطايا الإلهية والإمدادات المحمدية سيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه وعنا آمين : وجدت خطاباً مخطوطاً عن أخ لنا في الله قد أرسله سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه إلى تلميذ له ببلدة كردفان بأرض السودان، فأحببت ذكره في هذه المناقب لما فيه من الفوائد التي سأشرح بعضها إن شاء الله تعالى

كتب صاحب الدر الغوالي والد سيدي عبد العالي ببنائه الذي طالما سطر من بيان إلى بلده تشرف أهلها بخطابه حتى الآن ، والمرسل إليه الخطاب هو السيد الختم الميرغني رضي الله تعالى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه عثمان بن أبي بكر ، بل منا وإلينا والسلام علينا ورحمة الله وبركاته من جميع جهاتنا يعمنا

أما بعد : وصلنا كتابكم بمكة أعزها الله تعالى فجاء إلينا الكتاب في اليوم السادس من محرم عام خمس وثلاثين ومائتين وألف فحمدنا الله تعالى على عافيتكم فلنا سنة كاملة في مكة . فدخلنا مكة عام أربع وثلاثين ومائتين وألف حضرنا حجة الجمعة فانتظرنا قدومك في هذه السنة فلم تحضر . وقد أذن لنا بالقدوم إلى مكة فقدمنا خير مقدم فالعجل العجل بالحضور كيف ما أمكن فقد حان وقت حضوركم ولكم البشرى بحصول مقصودكم . فهلم ثم هلم إلى أرض

الحرم المقدسة التي هي من أول جمع على التقوى مؤسسة ، أن هلم إلى الخيرات والنور والبركات ، أن هلم إلى الأسرار والحضرة المحفوفة بالأنوار

أن هلم إلى سرك واتصالك بربك ، أن هلم إلى قدسك وزوال همك وعكسك ، أن هلم إلى عرسك الذي يملؤك فرحاً من فرشك إلى عرشك ، أن هلم إلى السر المكنون الذي هو من الله كن فيكون ، أن هلم إلى شرح صدرك الذي يضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ويرفع لك ذكرك أن هلم إلى كوثر النور المحفوف بالأفراح والسرور ، أن هلم إلى رفع القدر الذي ليس معه شر . أن هلم إلى الوعد الصادق الذي هو من جميع الجهات بالنور دافق ، أن هلم إلى الوعد الذي لا يخلف ، والسر الذي لا يكشف ، فحدد نظرك واشحذ فؤادك ، واعزم بكليتك ولا تترك وراءك جزء من جزئياتك ، اقبل فقد جاء ، وعد النصر والسرور ، وهو قوله r (نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور)

والسلام منا ورحمة الله وبركاته على الأخ الصادق العربي الخطيب وله البشارة بما يرجوه من القريب المجيب ، فعن قريب إن شاء الله يأتيه ما يسره فيقول يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا . والسلام منا على

كافة الإخوان وعلى من لاذ بكم وانتسب إليكم مدى الأزمان . وولدكم المبارك محمد بخير وأخته التي زادت بعدكم فاطمة بخير وأمهم كذلك . والسلام عليكم وعلى من تعلق بكم من إنس وجان . ونسأل الله أ، يجمعنا وإياكم جمعاً لا فرق فيه في أعلى حضرات الرحمن المصونة من كل عائق وقاطع وشيطان إنه جواد حنان منان ، لا إله إلا هو إليه الإنابة وعليه المعول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الفصل الرابع والعشرون :

قصة السيد عبد العالي مع الشيخ عبد الله كلمسيد رضي الله تعالى عنه

بلغني أن السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه كتبوا عنه في تفسيره لآية واحدة في سورة الأحزاب سبعين كراساً وهي قوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات) مكث ثلاثة أيام يفسر قوله تعالى (والذي قدر فهدى) من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، فلما تعجبوا من ذلك قال لهم : لو مكثت معكم ما لبث نوح في قومه لأتيتكم كل يوم بتفسير جديد

وحصل مثل ذلك لابنه سيدي عبد العالي وذلك أنه لما قدم إلى بلده دنقلا العرضي بشمال السودان كان يقرأ دروساً بالليل وبالنهار

وقد أخبرني بعض أهل العلم من تلك البلدة أن السيد كان يقرأ تفسير القرآن بطريقة المغاربة ، والذي يقرأ له الآيات الشيخ عبد الله كلمسيد الدنقلاوي المشهور رحمه الله تعالى ، وكان السيد يفسر في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) فقرأ الشيخ للسيد ، الآية وفسرها السيد وقال بعض العلماء للشيخ كلمسيد : إذا جئت في غد فلا تقرأ الآية الثانية ولكن اقرأ هذه الآية التي فسرها السيد لننظر هل يستطيع أن يأتي بتفسير جديد ؟ فلما جاء اليوم الثاني قرأ الشيخ كلمسيد الآية الأولى ففسرها السيد بتفسير غير الأول وأبدع فيه الغاية . ولما جاء اليوم الثالث قرأ السيد الآية بنفسه وأتى فيها بتفسير جديد وأبدع فيها غاية الإبداع . فقبل الشيخ كملسيد يده وصار يبكي . فقال له السيد ما يبكيك يا أخانا الشيخ عبد الله ؟ قال : يا سيدي أبكي لأنك جئت بلادنا وأنا شائب وكنت أتمنى أن أكون شاباً قوياً لأتلقى هذا العلم . فقال السيد له : لوم لبثت فيكم ما لبث نوح في قومه لأتيتكم كل يوم بتفسير جديد

تفسير قوله تعالى (والذي قدر فهدى) للعارف بالله تعالى

وقد وقفت على هذا الباب متطفلاً وطفيلي الكرام يكرم . فأقول بفضل الله تعالى : (والذي قدر فهدى) من بحر جواهر معانيها . والذي قدر لك في الأزل أن تكون مسلماً فهداك للإسلام وهذه نعمة من أعظم النعم وأجلها . قال سيدنا على كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه : (فلك الحمد على ما جعلتني من أمة محمد r وهو أفضل النبيين دعوة وأفضلهم شفاعة وأقربهم منزلة) أي قدرت لي ذلك ثم هديتني إليه

والذي : قدر لك العلم فهداك إلى طلبه وتحصيله حتى صرت عالما

والذي : قدر لك الولاية فهداك إلى منشورها وهو الذكر

والذي : قدر لك شيخا عارفا يرشدك فهداك إليه

والذي : قدر لك التجارة فألهم قلبك حبها وهداك إليها حتى صرت تاجرا

والذي : قدر فلانة زوجا لك فهداك إليها فتزوجت بها فولدت لك ما شاء الله أن تلد

والذي : قدر لك المصيبة وألهمك الصبر وهداك إليه لتنال صلوات من ربك ورحمة وهداية

والذي : قدر لك الحج فهذاك إلى السفر في العام الذي أجله لك والذي قدر لك الصلوات فهداك إليها

والذي : قدر لك المكان الذي تصلي فيه وهداك إليه

والذي : قدر لك الصوم وهداك إليه فصمت في الأعوام التي شاءها والأماكن التي أرادها لك

والذي : قدر لك المعصية فهداك إلى التوبة فتبت لتنال مغفرته

والذي : قدر لك التخلي فهداك إلى البعد عن الشهوات والضلالات

والذي : قدر لك الإحسان فهداك إلى الإنفاق مما أعطاك الله من العلم والمال

والذي : قدر لك المرض فهداك إلى الدواء فتداويت وشفيت لتعالج ما أنزل من داء بما أنزل من دواء

والذي : قدر لك الوصل فهداك إلى الآداب اللازمة

والذي : أشعل في قلبك سرج الحب الإلهي والحب المحمدي فهداك إلى زيت تسريجها

والذي : قدر فتح مسامع القلوب بمفاتيح أسرار الغيوب فهداك إليها

والذي : قدر لروحك إلهام معرفة (كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان) فهداك إلى معرفة ذلك بالوقوف على ساحل بحر (كل من عليها فان) ليدرك الموصوف لاحق وصف سابقه

والذي : قدر لك غاية المشاهدة فهداك إلى الغيبة فيها عن مشاهدة ما سوى المشهود

والذي : قدر لك شراب كئوس حلاوة مناجاته فهداك إلى القيام بالأسحار

والذي قدر لك تنزلات غيوث أسرار معارف جواهر آياته فقدر لك التدبير فيها لتتعرض إلى وابل غيثها

والذي : قدر لك التغذي من معاني موائد بركاته سور كتابه فهداك إلى الدخول في سور موائد سوره وكلماته

والذي : قدر للمعاني أن تكون مختلفة الأذواق والمرامي فهداك إلى تمييز غرائب بدائع أسرارها

والذي : وعدك بالدخول في حضرة سلطان حضراته فهداك إلى كثرة الصلاة والسلام عليه لتكون من أهل بركاته ونفحاته

والذي : قدر لك الفيض من جلال قهر جبروته فهداك إلى الابتهال لتنزل ألطافه وبسطه وعناياته

والذي : قدر لك الدخول فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهداك إلى معرفة ما لم تكن تعرف وعلم ما لم تكن تعلم وسماع ما لم تكن تسمع على بساط قربه وأنسه في حظية مناجاته وقدسه

والذي : فتح باب الخيرات والبركات فهداك إلى اغتنامها

والذي : قدر للأرواح الشوق حتى كادت أن تطير من عالم أجسادها فهداك إلى الصبر (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

والذي : قدر لهم الغرق في بحر الحب الإلهي فهداهم إلى التمسك بأنوار الشرع المحمدي فحملهم على سفينة النجاة وهي تجري بهم في بحر حقائق دقائق إذا تقرب إلى العبد شبرا تقربت إليه ذراعا

بسم الله مجريها بالاقتداء المحمدي ومرساها بالوقوف عن درك الإدراك مع مشاهدة المخاطب (بلولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) ، ليتم شهودك به كما قد تم إسلامك بلا إله إلا الله محمد رسول الله

إلهامات صوفية لقوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا)

(تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) من بحر جواهر معاني بدائع هذه الآية ، جعل في سماء روحك بروجاً لشمس إسلامك وقمر إيمانك ، فبروج شمسك خمسة بني الإسلام على خمس ، ومن أجلها خمسك الصلاة عماد الدين فشمسك لمنافع جوارحك وقمرك لمنافع باطنك ، وقمرك مستمد من شمسك ، وشمسك تجري لمستقرها وهو برزخك ، وقمرك منازله تطورات عمرك فيزداد بزيادة شمسك وينقص بنقصها قمر المؤمن منتهاه كماله على نهج (خيركم من طال عمره وحسن عمله) والضعفاء في العمل كلما قل عملهم ضعفت شمسهم ، وكلما ضعف شمسهم ضعف قمرهم حتى عاد كالعرجون القديم

وفي غروب الشمس وخروجها بعد الغروب دليل على أن الله قادر على أن يعيد الإنسان بعد دفنه حياً كما كان (كما بدأكم تعودون) وقد قال تعالى في وصف الشمس (سراجا) وفي وصف القمر : (منيرا) قال تعالى . (وجعلنا سراجا وهاجا) (وقمرا منيرا) وقد جمع الله تعالى هذين الوصفين لنبيه r في قوله (وسراجا منيرا) فهو r شمس الشريعة وقمر الحقيقة

ولما كانت الشمس واحدة وترى في جميع العالم كذلك سراج القلوب يرى للقلوب في جميع الأقطار . فمن كانوا في نهار أنوار أعمالهم رأوه شمسا ومن كانوا في ظلمة معاصيهم رأوه قمرا ، فما من قلب مسلم إلا وله منازل فيه على حسب الحب والإيمان ، وفي الحديث (لا إيمان لمن لا محبة له)

ويعجبني جواب لرجل تكروني ختمي قال بعض الناس إن شيخكم الميرغني يقول : (وأخبرني أنه يحضر في قراءته) فلوا فرضنا أن المولد قرئ في بلاد كثيرة في ليلة واحدة فكيف يكون الحضور ؟ فقال التكروني كحضور الشمس فإنها واحدة وتحضر في كل مكان

وقد أجاد هذا التكروني في هذا الجواب وأحسن وما أظنه غلا من قبيل الإلهام . وكما جعل الله لوجود الشمس والقمر منافع حسية ومعنوية كذلك ظهوره r فيه منافع حسية أشار إليها القرآن العظيم إجمالاً وتفصيلاً ن فالإجمالي منه منافع حسية أشار إليها القرآن العظيم إجمالاً وتفصيلاً ، فالإجمالي منه قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والرحمة حسية ومعنوية والعالمون ما سوى الله تعالى فهو r رحمة إلى جميع خلق الله حتى الكفار ، إذ به r رفع الخف

ونزول الحاصب من السماء والغرق وغير ذلك ، وهذه الرحمة لا تزال مستمرة إلى ما شاء الله . وبه r أعطى الله المؤمنين العزة حيث يقول سبحانه وتعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فذكره وحده r لرفعة ذكره وعلو شأنه وعطف عليه أتباعه المؤمنين لأنه السبب في عزتهم . وكذلك صلاته عليهم في كل حين من الأحيان سكن لهم (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) أي رحمة وطمأنينة

ومادامت الشمس فالخلق ينتفعون بها وما دام السراج المنير r فالمسلمون ينتفعون بصلاته عليهم . والشمس تنفع البدن بحرارتها وتذهب ضرر الرطوبة ، وذلك لمن توجه إليها واستقبلها شتاء ، كذلك يحصل النفع الروحاني ويذهب الضرر النفساني ممن استقبله r بالمحبة والصلاة والسلام عليه

علاج لمل ما يصيب الإنسان في حياته

يقول سيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه

فائدة مجربة إذا أظلمت نفسك أو قسا قلبك وضاق صدرك وغاب رشدك وأظلمت أنوارك وكثرت أوزارك فوجه قلبك إلى رحمة الله للعالمين r بحب وشوق

مصلياً ومسلماً عليه مادحاً باكياً فبإذن الله تعالى تنقلب ظلمة نفسك نوراً ن وقسوة قلبك لينا ، وضيق صدرك انشراحاً وكثرة أوزارك توبة تعقبها مغفرة ، وعند ذلك يهدأ بالك ، وينصلح حالك ويكثر سرورك وحبورك وتذهب همومك ، وتزداد علومك ، ويزداد نشاطك في الطاعات ويمحى هجومك على المخالفات ، ويقوى إسلامك ، ويزداد إيمانك ، وتنقضي الحاجات ، وتنصلح النيات ، وتفتح أبواب سعادتك ، وتقفل أبواب شقاوتك . فجرب تجد فإذا ظفرت فزد . وقد جعل الله في السماء بروجاً ، ولكن جعل السماوات كلها بروجاً له r حيث شرفت كل سماء بشمسه المنيرة البهية إلى ما فوق السماء السابعة

واعلم يا أخانا في الله تعالى ما أمليه عليك واسمعه مني بأذن واعية لعلك ترشد وتهدى إلى الصراط المستقيم . واعلم أنه r نور لا كالأنوار بل يفوق جميع الأنوار التي خلقها الله تعالى ، فلو حل أي رسول أو أي ملك أو شمس أو قمر في المكان الذي كان فيه ليلة المعراج لاحترق . دليلنا هنا قول سيدنا جبريل عليه السلام : (لو تقدمت خطوة لاحترقت بالأنوار) فهو الشمس التي منها الشموس والقمر الذي منه الأقمار

شرح حديث (حسين منى ......)

سيدي الشيخ صالح الجعفري قال r : (حسين مني وأنا من حسين)

واعلم يا أخانا في الله تعالى هذا المعنى الغريب العجيب بفتح الله القريب المجيد هذا الحديث يفسره قوله r (كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وطهري)

اعلم أن الشمس لها شعاع متصل بها لا ينفصل عنها إذ لو انفصل عنها لأظلم ، فالنبي r هو الشمس وذريته هم الشعاع فمعنى حسين مني أي نور شع مني ، ومعنى وأنا من حسين يعني وأنا متصل بالحسين كاتصال الشمس بشعاعها ، كأنه r يقول : ذريتي ليست كذريتكم ، فإنها منفصلة عنكم ولكنني نور وذريتي نور فهي لا تنفصل عني بل تكون متصلة بي إلى الأبد كاتصال الشمس بشعاعها . ولذلك عندي أن الشريف المنسب يستحيل عليه الكفر لأنه شعاع متصل بالشمس فما دامت منيرة دام الشعاع منيرا ، ومن استقبل الشعاع لو رفع رأسه لرأى الشمس فوق الشعاع . وفي ذلك إشارات لأهل الإشارات وعبارات لأهل العبارات ، ولا اراها إلا أذواقاً جفت أورقا ، ومشاهدات لأرباب العنايات وتنيمهم شرب لأهل

الحب والقرب فلا تكن عن قولي لاهيا ، ولا عن ما أشرت لك به ساهياً ، فإنما الولايات بالعنايات ، والإمداد على قدر الاستعداد

قال البوصير – رحمه الله – مادحا خير خلق الله r :

فإنه شمس هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

فهو r فضل الله بين خلق الله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فعلي قدر توجهك لهذا الفضل ينهل عليك من سحاب غيثه ما شاء الله لك فهيئ نفسك لتنزلات فضل ربك ومننه وفضله ورحمته وشمسه وسراجه وبشيره ونذيره ونبيه ورسوله وشاهده وحبيبه وصفيه ومنتقاه ومصطفاه . ونوره في سائر الأقطار والبراري جامع المعارف والعلوم والأسرارا والعلوم ممد الكل من مادة (أوتيت جوامع الكلم) r

بعض من خصوصياته r

والشمس والقمر لا ظل لهما وكذلك المصطفى r لا ظل له لأمور

الأول : خشية أ، تطأه الأقدام فإذا كان ظله يحترم وتخرق من أجله العادة فكيف بذاته r ؟

الثاني : الكفر معلق بأي ازدراء أو إهانة توجه إليه r أو إلى أي شئ يتعلق به r فلو فرض أن له r ظلاً لحرم وطؤه بالأقدام ومن تعمده كفر ، كذلك المكان الذي جلس فيه r إذا تعمد إنسان البول فيه كفر ، ولذلك أمر r أن يقسم شعر رأيه بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فكان من وصلت إليه شعرة أو شعرتان كانتا أحب إليه من الدنيا وما فيها كما رواه البخاري

وروي البخاري (وما تنخم رسول الله r نخامة إلا سقطت في كف أحدهم ، فيدلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا أن يقتتلوا على وضوئه)

قال شارح البخاري القسطلاني رحمه الله تعالى : يفعلون ذلك تبركا بآثاره r " وأن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يضع يده على منبر النبي r ويمسح وجهه" والتبرك بآثاره r ثابت في البخاري وغيره كالتبرك بجبته r وبعرقه r ، ولما رأى r الصحابية أم سليم رضي الله تعالى عنها تأخذ عرقه الشريف وتضعه في زجاجة قال لها ما هذا ؟ قالت له r : نصلح به طيبنا ونبرك به صبياننا رواه

البخاري ، فأقرها r على ما قال : والصحابية شربت بوله r فوجدته أبرد من الثلج وأزكى من المسك وأحلى من العسل فبشرها r أن النار لا تلج بطنها ، وتفل r في عيني سيدنا على رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه فعادتا أحسن مما كانتا في الحين . وبصق في عيني قتادة رضي الله تعالى عنه وردها فعادت أحسن مما كانت لا تركد إذا رمدت الأخرى . ورد ذراع الذي قتل أبا جهل وبصق فيه فعاد سليما

قال البوصيري رحمه الله تعالى :

كم أبرأت وصبا باللمس راحته وأطقلت أربا من ربقه اللمم

وقلت بفضل ربي :

وريقه قد شفا من كان ذا رمد وبارك الرشح صبيانا بذي حرم

وأصلح الطيب والأصحاب قد دلكو بريقه جلدهم حفظا من السقم

وشعره كان عند الصحب تحمله حرزا وحبا لعالي القدر والهمم

الأمر الثالث : كونه r لا ظل له إشاره إلى أنه نور r

قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (وسراجا منيرا)

وفي الحديث (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) أخرجه الحافظ عبد الرازق رحمه الله تعالى في مسنده ونقله القسطلاني رحمه الله تعالى في المواهب اللدنية ، ونقله النبهاني رحمه الله تعالى في الأنوار المحمدية

وإليك كلام شيخ الإسلام الباجوري رحمه الله على مولد أبي البركات سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه قوله : " قبض الله قبضة من نوره أي من نور خلقه الله تعالى ، لأن نور الذات يستحيل عليه أن يقبض أو أن يخلق منه شئ " والشمس حارة والقمر بارد . وكان r من أشد الناس غضباً إذا انتهكت حرمات الله . وكان r من أحلم خلق الله وأصبرهم حتى شهد الله تعالى بذلك بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) والشمس والقمر عشرة أحرف ومحمد وأحمد مع التنوين عشرة أحرف قال الله تعالى (وليال عشر) وأشمس نهارهما بشمسه وأقمر ليلهما بقمره وللشمس وقت يسمى الضحى مسبوق بنوره ، وبعده ضوء الظهيرة

فالمصطفى r كنوز الضحى الذي لم يسبقه ظلام ولا يلحقه ظلام إشارة إلى أنه r معصوم قبل النبوة وبعدها

عصمة النبي r قبل النبوة وبعدها

(مسألة) واعلم يا أخانا في الله يا من وفقه الله أنه r معصوم قبل النبوة وبعدها عن الصغائر والكبائر وكيف لا يكون كذلك وقد قال r :(أدبني ربي فأحسن تأديبي) فهذا الحديث أعظم دليل على العصمة قبل النبوة وبعدها

إن المربي يغفل عن مربيه فيقع في الخطأ والله تعالى ليس كذلك . ومن أدبه له وترتبيه أن شرح صدره عند الطفولة ليتلقى عهد الطفولة بعزة وكرامة واستعداد ، فكان r من أحسن الأطفال أدبا وعقلا وكمالا

ولما بلغ عهد البلوغ شق صدره الشريف أيضاً ليستقبل عهد الرجولة فكان r من أكمل الرجال حتى لقب بالأمين

وعند تمام الأربعين شق صدره الشريف r لأجل الإسراء والمعراج . فهو r معصوم مدة حياته كلها محوط بعناية ربه وحفظه مستعد للخيرات والبركات والكمالات ، وعلماء النفس يقولون الإنسان به غرائز للخير وغرائز للشر:

الفصل السادس : براءة

براءة سيدنا يوسف عليه السلام

والرسل عليهم السلام محا الله تعالى غرائز الشر عنهم فهم أخل الخير المحض

وقد مكث سيدنا يوسف عليه السلام مع زليخا زمنا طويلا ولم ينظر إليها ولم تحدثه عن نفسه بذلك ، ولو رآها خارج الدار ما عرفها ، ولو كلف بوصفها لما استطاع أن يصفها . فإن قيل فما معنى : (ولقد همت به وهم بها) ؟ قال السيد محيى الدين بن عربي الحاتمي : تقابلت مع روح سيدنا يوسف عليه السلام فقلت له : ما هذا الاشتراك الذي ذكر في قوله (ولقد همت به وهم بها) ؟ قال لي :

اشتراك في اللفظ لا في المعنى ، لأنها همت بإرادة الفاحشة وهممت بالخلاص منها

الدليل على براءة سيدنا يوسف عليه السلام

قال (باقر بطون المعارف) رضي الله تعالى عنه : والدليل عندي قوله تعالى (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فلولا أن الله أوحى إليه وجعله من النبيين والمرسلين المعصومين واصطفاه ونبأه مناماً وهو عند والده وأوحى إليه عند الجب لكان يهم بها كما يهم الرجال بالنساء لكنه رأى برهان ربه في المنام السابق والوحي المطران للنفس مرحومة بهما فلم يهم بها كما يهم الرجال أرباب النفوس الغير المرحومة بالعصمة بسبب النبوة والرسالة والتوفيق (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) بالنوبة والرسالة

كنت أحضر بالأزهر الشريف بعد المغرب عند شيخي الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وذلك في عام 1253هـ

قال في هذه المسألة : (الصحيح أن البرهان هو العصمة التي يمن بها على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام) أ هـ وفي قوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) دليلان جليلان

الأول : صرف الله السوء والفحشاء عنه ومن تولى الله صرف السوء والفحشاء عنه لا يخطر له ببال على كل حال لأنه ليس موكولا إلى نفسه بل تولى الصرف عنه من لا يعجزه شئ ومن بيده تقلبات القلوب وحركات الأنفاس لذلك كان الصرف عن سيدنا يوسف عليه السلام صرفا حكيما متقنا ، لأنه سبحانه خلصه من شئ شاق على النفس ، وقد بين ذلك سبحانه بقوله (وغلقت الأبواب) وقوله تعالى (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)(قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه) لأن السجن للمظلوم مكرمة ، لأنه إن كان نبيا كان رفعا لدرجاته ، وإن كان غيره من المسلمين كان تكفيرا لسيئاته ، كذلك يصرف الله السوء والفحشاء في كل زمان عن أوليائه وأصفيائه وأحبابه وعباده ، ويخلق لهم أسبابا لا يعلمونها لأمور لا يدركونها

فإذا أخلصت لله وشرعت في عبادته فلا تفكر في معصيته فإنه لاحظ لك فيها لأنه سبحانه يغار على عباده وأهل حضرة ذكره وتحق فيهم هذه الأوصاف التي يحبها ويرضاها لهم

والدليل الثاني : قوله تعالى (إنه من عبادنا المخلصين) أي الذين كتب الله تعالى عنده عصمتهم ومنع الشيطان عنهم كما في قوله تعالى (إلا عبادك منهم المخلصين) وكأن هذه المعاملة الطيبة تدخل تحت قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) فعباد الله الذين اختاروا عبادته وغرست في قلوبهم شجرة محبته فاهتزت أغصانها بنسمات أنه أقسم لهم الحق سبحانه بأن يحييهم في الدنيا حياة طيبة ، فهم لا شك ولا ريب في طيب حياتهم وصدق وعد ربهم وقال تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الحسنى الإيمان والإسلام والتوفيق للقيام بالواجبات وترك المنهيات ، مبعدون في الدنيا عما يغضب الله تعالى من ترك واجب أو ارتكاب محرم قولا أو فعلا ظاهرا أو باطنا ، وفي الآخر مبعدون عن النار وعذابها

إذا علمت ذلك فاعلم أن الأنبياء عليهم السلام هم سادات من سبقت لهم الحسنى ، وسادات من وعدهم الله تعالى بالحياة الطيبة ويقول الله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعني قبل أن يرسل رسولاً يعلم سبحانه به ويهيئه لتلك الرسالة بالعصمة والاستعداد الروحي والخلقي ، وعلى ذلك فالذي أعتقده أن نبينا محمدا r معصوم قبل النبوة وبعدها من كل صغيرة وكبيرة وعادة مذمومة . قد تولاه الله ولاية تسمو على كل ولاية قال تعالى (إن وليي الله الذي نزل الكتاب) أي تولى الله تعالى أمري كله في جميع أحوالي وتطوراتي ، وفي هذا المعنى يقال : تولى الله سبحانه نبيه وأدبه فأحسن تأديبه ورباه فأحسن تربيته ، وقيل لسيدنا على كرم الله وجهه : ما الحكمة في يتم النبي r قال : ليولى الله تعالى تربيته وحده سبحانه وتعالى

ولما برز r إلى الدنيا أضاءت الأنوار كالشمس إذ أشرقت للإشارة إلى أنه شمس الشموس وقمر الأقمار ونور الأنوار وسر الأسرار وزين المرسلين الأخيار (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

فالنبي r أول الشموس وأول الأقمار وأول الضيات وأول البركات وأول الرحمات . قال الرافعي مخمسا همزية البوصيري رحمه الله تعالى :

أنت شكل من محض نور تشخص وبلآلائه الوجود تقمص

وبمشكاته لدى من تفخص أن مصباح كل فضل فما

تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

وقال النبهاني رحمه الله تعالى :

نورك الكل والورى أجزاء يا نبيا من جنده الأنبياء

وقال الشفا سيدي أبو العباس العرائشي الإمام السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (اللهم صل على سيدنا محمد نورك اللامع ومظهر سرك الهامع) وقال رضي الله عنه : (الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته . وختمت كماله بأسرار نبوته) أشار بذلك إلى ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى في سننه عن رسول الله r (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)

وإلى قوله تعالى (وخاتم النبيين)

وقال البوصيري رحمه الله تعالى :

كاد أن يغشى العيون سنامنه لسر فيه حكته ذكاء

وذكاء من اسماء الشمس

كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

يعني أن الأبصار لا تستطيع أن تشخص في وجهه الشريف r لكثرة الأنوار وشدة الجلال . تهابه الأسد الضواري . وتتعلق بأذياله الوحوش في القفار

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثالث والعشرون :

شرح مولانا الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه على كلمة من الفتوحات المكية لسيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه

ومما كتبه الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه في كتابه الفتوحات المكية في تفسير قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

وأما لسان العموم في هذه الآية وهو نصر المؤمنين فنقول . إن الموحد إذا أخلص في إيمانه وثبت ، نصر على قرينه بلا شك فإذا طرأ عليه خلل ولم يكن مصمت الإيمان وتزلزل خذله الحق ، وما وجد في نفسه قوة يقف بها لعدوه من أجل ذلك الخلل فانهزم . فلما رآه عدوه منهزما تبعه وظهرت الغلبة للعدو على المؤمن . فما نصر الله العدو ، وإنما خذل المؤمن لذلك الخلل الذي داخله ، فلما خذله لم يجد مؤيداً فانهزم فبالضرورة يتبعه عدوه ، وما هو نصر للعدو وإنما هو خذلان للمؤمن لما ذكرنا أ هـ ج 2 ص 148

قال (باب المصطفى الساقي من بحر الصفا والوفا سيدي الشيخ) صالح الجعفري بعون الله العلي : يقول الله سبحانه (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ومن شروط الإيمان الخوف من الله تعالى وعدم الخوف من العدو قال تعالى (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) والنصر بالنصر (إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم) فأوجب الله النصر على نفسه للمؤمنين بشرائط لابد منها ، فإن أضاعوها تخلف النصر وخذلوا

ومعارك الحياة مختلفة ، فمعركة تحتاج إلى قتال كمحاربة العدو من الكفار ، ومعركة تحتاج على صبر وهي معركة البلاء والشهوات وأذى الخلق ، وكلها فيها نصر عند توفر الشروط فمثلاً إذا حدثت الإنسان نفسه بمعصية من المعاصي فتلك معركة والنصر فيها يكون بالإيمان بأن الله يسمع ويرى فإذا تحقق في ذلك أمده الله بالنصر وهو مخالفته لأمر نفسه وامتثاله لأمر ربه ، ثم يثبته الله على ذلك (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ولابد للنصر من فتح ، وأجله وجهة تعرف الحق سبحانه إليك ، فإذا فتح لك وجهة التعرف جذبك إليه بجواذب الحب ، فإذا وصلت إليه غمسك في بحر الشوق ، ثم أجلسك على كرسي القرب

وقال تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فبالنصر خلصك من الأكدار وبالفتح أجلسك مع الأبرار ، ثم سقاك من رحيق مختوم فترجمت بأنواعه الفهوم والعلوم

والمحبة لا تزداد ولا تنقص حتى لو قطع في معارك الحياة أو جرح . والصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يزدادون بما يحصل لهم من الجراحات إلا إيماناً وتسليما

(إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) فأثبت لهم الرجاء العظيم مع الألم

فتوحات ج2 ص 359 : (قالت المحبة) : لو قطعتني إرباً إرباً لم أزدد فيك إلا حبا يعني أنه لا ينقص حبنا لذلك ، وهو قول المرأة المحبة ، يقال إن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالاً ومقاما وقد فصلت وقسمت رضي الله تعالى عنها وهو أعجب الطرق في الترجمة عن الحب :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن الحمد في ذا وذاكا

وقالت الأخرى جارية عتاب الكاتب :

يا حبيب القلوب من لي سواك ارحم اليوم زائرا قد أتاكا

أنت سؤلي وبغيتي وسروري قد أبى القلب أن يحب سواكا

يا منايا وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤالي من الجنان نعيما غير أني أريدها لأراكا

ولنا في هذا النعت :

نعيمك أو عذابك لي سواء فحبك لا يحول ولا يزيد

فحبي في الذي تختار مني وحبك مثل خلقك لي جديد

ج 3 ص 358 : حكى أن خطافاً راود خطافه يبحها في قبة لسليمان عليه السلام ، وكان سليمان عليه السلام في القبة ن فسمعه وهو يقول لها لقد بلغ مني حبك أن لو قلت لي اهدم هذه القبة على سليمان لفعلت . فاستدعاه سليمان عليه السلام وقال له : ما هذا الذي سمعت منك ؟ فقال : يا سليمان لا تعجل على إن للمحب لسانا لا يتكلم به إلا المجنون ، وأنا أحب هذه الأنثى فقلت ما سمعت ، والعشاق ما عليهم من سبيل فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل .

فضحك سليمان ورحمه ولم يعاقبه أ هـ من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله تعالى عنه

ومما حفظته عن مشايخي للسيدة رابعة العدوية

كلهم يعبدونك من خوف نار ويرون النجاة حظا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا بنعيم ويشربوا سلسبيلا

ليس لي في الجنان حظ أنا لا أبتغي بحبي بديلا

قد تخللت موضع القلب مني ولذا سمى الخليل خليلا

وكلام الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يترجم عن أحوال المحبين ، وصفة الحب كالذوق في اللسان فيذوق به حلاوة العسل الحلال المملوك لأكله وحلاوة العسل المغصوب ، فمن وجه حبه إلى محرم فهو محب ومن وجه حبه إلى حلال فهو محب ، وأعلى درجات الحب ما كان لله ورسوله r وهو بغية السادة الصوفية

يقول سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه :

أحبه قلبي والمحبة شافعي لديكم إذا شئتم بها اتصل الحبل

ويقول :

وإن ذكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم

ويقول :

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ أحلت به الأفراح وارتحل الهم

لأن عندهم لا هم ولا غم ولا حزن في حضرة الحب والمشاهدة (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

ففرحهم بالله أنساهم ما سواه ، وتلذذهم بذكره زهدهم في كل لذة فانية أو زينة خالية أو ظل زائل . قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

أشاهد معنى حسنكم فيلذ لي خضوعي لديكم في الهوى وتذللي

فهم يتلذذون بالخضوع والتواضع والانكسار والزهد والعزلة والشوق والتذكار والوجد والبكاء والسماع للقرآن والمدائح النبوية ، وزيارة المشاهد الطيبة كالكعبة ومقام إبراهيم وعرفات والمشعر الحرام ومني ، وزيارة المصطفى r ، والصلاة في الروضة الشريفة ، وكل ام يقدح زناد الشوق ويبعث تذكاراً شيقاً للروح لأنها محبة لله تعالى بفطرتها ، غير أن هذا الحب يحتاج إلى قدم كالزناد لكنه يحتاج إلى استعداد عظيم وجهاد كبير ، ويقال لغير المحب الصاد ما قاله ابن الفارض رحمه الله تعالى :

أتيت بيوتا لم تنل من ظهورها وأبوابها عن قرع مثلك سدت

ويقول :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا

وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

ويقول سيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى :

خل الغرام لصب دمعه ودمه حيران توجده الذكرى وتعدمه

ما الحب إلا لقوم يعرفون به قد مارسوا الحب حتى هان معظمه

ويقول رحمه الله تعالى :

أنسمة طيب أم صبا طيبه هبا فأنعش قلبي للحبيب وقد لبا

وهيهات ما كل النسيم حجازيا ولا كل نور يملأ الشرق والغربا

ويقول البوصيري

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وهكذا أهل الحب لهم في حبهم جواهر المعاني ودرر البيان ، وعبارات تعبر عن حبهم وشوقهم وحالهم ما بين ناظم وناثر

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد ابن إدريس

الفصل الرابع والعشرون

حياة الأنبياء في قبورهم

س. هل النبي r حي في قبره الشريف ؟

ج . نعم حي بحياة تفضل الحياة الأولى

س . ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج . الدليل من الكتاب قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) قال العلماء : حياته بالأولوية ومن السنة قوله : (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)

س. هل أجساد الأنبياء تفنى بعد الموت أم تبقى ؟

ج. تبقى سليمة إلى يوم القيامة

س. ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج. الدليل من الكتاب قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) نقل البيضاوي أن سيدنا سليمان عليه السالم مكث سنة كاملة بعد الموت متكئاً على العصا ، فلو كان جسمه كجسم غيره بعد الموت لما مكث سنة كاملة كما هو ، ولم تعرف الجن أنه ميت

والدليل من السنة قوله r (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)

س. هل النبي r بجسمه وروحه في روضته ؟

ج. نعم هو بجسمه وروحه r

س. ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج. الدليل على قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وعبر بالمضارع لإفادة تجدد الحدث ، وكلمة النبي في مثل هذا تدل على الروح والجسد معاً ، فالله سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على النبي حتى الآن وفيما بعد ، وقوله (صلوا عليه) أي على هذا النبي بجسمه وروحه

وقوله تعالى (وسراجا منيرا) أي بجسمه وروحه ، وهذا الوصف باق كما هو لم يتغير إلى ما شاء الله ، وتعجبني هذه المناظرة التي وقعت بين عالم مغربي وعالم آخر

قال العالم الآخر : إن النبي r قد مات ، وكان ذلك ضمن حديث دار بينهما

قال العالم المغربي نعم قد مات ولكن قال الله (وسراجا منيرا) فإن قلت طفئ بعد الموت كفرت ، وإن قلت لم يطفأ اتفقنا على أنه سراج منير في الحياة وبعد الممات

س. هل جمع الله النبيين والمرسلين ليلة الإسراء ببيت المقدس . وهل كان ذلك في اليقظة أم في المنام وهل حضروا بأرواحهم أن بأرواحهم وأجسادهم

ج. أجمع العلماء على أن الإسراء كان يقظة وسمعت من شيخنا الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى يقول في هذه المسألة . جمع الله تعالى النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ليلة الإسراء ببيت المقدس وهل كان ذلك بعالم الأرواح أم عالم الخيال أم عالم المثال أم علام الأشباح ؟

والصحيح أنهم حضروا بأجسادهم وأرواحهم أ هـ

قلت : أعظم دليل على أنهم حضروا بأرواحهم وأجسادهم تشبيه النبي r وسيدنا موسى بن عمران عليه السلام برجال شنوءة ، والروح لا تشبه بالجسد وكونه راكباً على ناقة حمراء والروح لا تركب النوق وقوله r :(فإذا أشبه الناس به صاحبكم) فشبه سيدنا إبراهيم r فلو كان روحاً ما شبهه بجسمه الشريف

وقوله r (رأيت موسى قائما عند قبره يصلي) والروح وحدها لا ترى على الأرض تصلي ، وهذا في البخاري ومسلم وغيرهما

س. هل ما ثبت للأنبياء والمرسلين بعد موتهم من حياة وانتقال من مكان إلى مكان وكلام وصلاة ودعاء وركوب للإبل يثبت ويجوز لنبينا r ؟

ج. نعم ويكون ذلك بالأولوية لقيام الإجماع على أنه r أفضل الأنبياء والمرسلين وأفضل خلق الله أجمعين

س. هل ورد في السنة الصحيحة أنه r يرد السلام على من يسلم عند قبره الشريف ؟ وهل يكون الرد بالروح أم بالجسم والروح ؟

ج. نعم ، ورد في السنة الصحيحة أنه r يرد السلام على من يسلم عليه عند القبر الشريف بجسمه وروحه ، قال r :(ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي فأرد عليه السلام)

س. هل حياة النبي r كحياة الشهداء أم تزيد عليها ؟

ج. حياته r بعد الموت تزيد على حياة الشهداء رفعة وعلواً وكرامة وإدراكاً وغيرة على نسائه رضي الله تعالى عنهن

س. ما الدليل على ذلك ؟

ج. الدليل قوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا) تحريم تزويج نسائه r بعد موته ، وإباحة تزويج نساء الشهداء دليل ظاهر على أن حياته أرقى من حياة الشهداء . وقد منع الشرع زواج المرأة إذا غاب عنها زوجها حياً حتى يتبين الأمر وأباح تزويج جميع من مات أزواجهن إذا انقضت عدتهن

إذا علمت كلامي هذا فاعلم أنه r أحياه الله تعالى بعد الموت كما كان r ، ولغيرته على نسائه حرم الله تزويجهن على الغير

س. إذا ثبتت حياته بعد الموت فهل تجوز رؤيته يقظة . وهل هناك دليل صحيح على ذلك

ج. يجوز رؤيته r عقلا لأن العقل يجوز رؤية كل موجود . وإذا ثبت شرعاً بقاء جسمه الشريف بما تقدم من الآية والأحاديث ، وأن روحه ترد إليه فيعود كما كان ليرد السلام جاز عقلاً أن يرى على هذه الحالة ، والدليل الشرعي ما رواه البخاري وغيره من قوله r : (من رآني في النوم فسيراني في اليقظة)

أكثر العلماء على أنه يراه في الدنيا يقظة حملا للحديث على ظاهره

وقيل : يوم القيامة ، ورد هذا القول بأن جميع المسلمين يرونه r يوم القيامة سواء رأوه في النوم أم لم يروه ، وقد تركت الكلام في هذا البحث لما كتبه الحافظ السيوطي في كتابه المسمى (تنوير الحلك في رؤية النبي والملك) فإنه رضي الله عنه قد أجاد وأفاد . وقد ذكرت هذا البحث لأن طريق مشايخنا السيد أحمد بن

إدريس والسيد السنوسي والسيد المرغني والسيد إبراهيم الرشيد والسيد الأهدلي رضي الله تعالى عنهم مبنى على هذا البحث

س. إذا ثبت أنه r حي عند ربه تعالى فما حكم ندائه في أي بلد كان ، كأن يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، وإذا كان يجوز ذلك فما دليله ؟.

ج. يجوز أن يقوم الإنسان السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته في أي بلد كان ، والدليل ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أنه r علم أصحابه أن يقولوا ذلك التشهد في الصلوات الفرائض وغيرها . وإذا جاز ذلك في الصلاة كان في غيرها من باب أولى

س. وهل يبلغه r وما الدليل عليه ؟

ج. نعم يبلغه ذلك لما رواه البخاري من قوله r حينما علم اصحابه أن يقولوا في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال r :(فإنها تبلغ كل عبد صالح لله من أهل السماء والأرض) وهو r من خيرة عباد الله الصالحين

وهناك أحاديث تدل صراحة على أن الله وكل ملائكته يبلغونه r عن أمته الصلاة والسلام

وقد سمعت في عالم البرزخ عن الشيخ سليم البشري رحمه الله تعالى هذا الحديث (إن لله ملائكة يبلغوني عن أمتي الصلاة والسلام) قلت : وهذا الحديث في الجامع الصغير

س. هل دفنه في قبته الشريفة أمر مجمع عليه ؟

ج. نعم أجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على دفنه r ببيت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، وهي حجرة ذات سقف بل كان r يعلم ذلك . للحديث الذي رواه الصديق رضي الله تعالى عنه : (ما قبض نبي إلا حيث يدفن) وقد أجمع الصحابة على قبول هذا الحديث

س. هل الدفن في حجرة مسقوفة من خصوصياته r أم يجوز لغيره ؟ وما الدليل ؟

ج. ليس من الخصوصيات التي ذكرها العلماء وقد دفن الصحابة أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بالحجرة ، فلو كان خصوصية ما دفنوهما معه r ، وقد أمر سيدنا عمر بذلك ، وقالت : السيدة عائشة كنت محتفظة به لنفسي واليوم لأوثرنه على نفسي ، فلو كانت خصوصية ما قالت ذلك

أوصي سيدنا أبو محمد الحسن بن على رضي الله تعالى عنهما أن يدفن بجوار جده قال : فإن منعوكم فادفنوني بالبقيع ، فمنعهم أمير المدينة لشئ في نفسه فدفن بالبقيع ، فلو لم يكن جائزاً لما أوصى به رضي الله تعالى عنه

س. ما حكم زيارته r بعد الموت ؟

ج. قيل واجبة وقيل سنة وقيل مستحبة

انظر كتاب الدر المنظم لابن حجر في هذا الموضوع

س. كيف يرد النبي r السلام ؟

ج . يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

س. ما معنى هذا الكلام ؟

ج. معناه الأمان من الله عليكم ، والرحمة من الله تعالى عليكم والبركة من الله تعالى عليكم

س. هذا دعاء من النبي r لمن زاره وسلم عليه ، وقد ورد في الحديث أن دعوة النبي r مستجابة ، فهل بعد موته r مستجابة كذلك ؟

ج. نعم مستجابة لأننا قد أثبتنا لك أن رد السلام يكون بالروح والجسد ، وكان يدعو في الدنيا بالروح والجسد ، وإذا كان كذلك فلا فرق في الإجابة بين دعائه r في الحياة وبعد الممات

س. هل إذا زرت النبي r وسلمت عليه ورد على السلام يكون ذلك دعاء مستجاباً انتفع به ، فيكون r قد نفعني بدعائه بعد موته r ؟

ج . نعم الذي نفعك هو الله تعالى ببركة دعائه r ولا مانع أن تعتقد ذاك لأنه أمر ثابت لا ينكر

س. وهل يجوز لنا أن نشد الرحل لزيارته r لننتفع بدعائه . كما يجوز لنا أن نشد الرحل للنفع بالتجارة والزراعة وغير ذلك حيث إن النفع الذي يجوز شرعاً يجوز شد الرحل إليه ؟

ج. نعم يجوز لنا شد الرحل لزيارة المسجد النبوي ، لأن الصلاة فيه بألف صلاة وهذه منفعة عظيمة ، ثم نزور النبي r لننتفع بدعائه وحباً وشوقاً ووداً له r ، ثم نزور أصحابه وأهل بيه اقتداء به r فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كثيرا ما كان يزور عمه حمزة وأهل البقيع وأهل بدر رضي الله تعالى عنهم

وقد ذكر علماء المذاهب في كتبهم أنه بعد انقضاء الحج يستحب التوجه إلى زيارة النبي r ، ولم يقولوا لزيارة المسجد لأنهما متلازمان

س. هل النبي r يخالف الخلق في الموت الأصغر وهو النوم ؟

ج. النبي r والأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم وقلوبهم لا تنام كما ورد ذلك في البخاري ، قال عليه الصلاة والسلام (نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام)

س. وهل مخالفة نومهم للخلق تدل على مخالفة حالهم بعد الموت للخلق أيضاً ؟

ج. نعم يدل ذلك على مخالفة حالهم للخلق بعد الموت

س. قد أثبت الله تعالى للشهداء صفات خمس : الحياة ، وعند ربهم ، ويرزقون ، وفرحين ، ويستبشرون . فهل النبي r له تلك الصفات بعد الموت ؟

ج. نعم له ذلك وزيادة بالأولوية كما تقدم ، لأن الشهداء نالوا ذلك الإكرام بفضل الشهادة ، والنبوة والرسالة يفضلان الشهادة فضلا كبيراً بإجماع

س. النبي r تكلم مع أهل البقيع وخاطبهم مخاطبة الأحياء . فهل يجوز لنا أن نخاطبه r بمثل ذلك

ج. نعم يجوز ذلك وزيادة ، لأن حياته r أرقى من حياتهم كما تقدم وقلت بفضل ربي في ذلك نظما

وأجزم بأن المصطفى خير الورى حي وعند الله محفوظ يرى

بجسمه وروحه ويرزق في روضة شريفة ويغدق

عليه إحسان يفوا الشهدا لولاه ما كان الشهيد استشهدا

وكل فضل في الكتاب ثبتا للشهداء للرسول أثبتا

إذ أنه إمامهم والأفضل وخاتم الرسل كذلك الأول

تنام عيناه إذا ما ناما وقلبه قد حرم المناما

مخالف الخلق بنوم الدنيا مخالف في موته إذ يحيا

من بعده يكون في إكرام في روضة يرد للسلام

ويبصر الزائر عند القبر يكون معروفاً له ويدرى

بكل من يزوره في الحال من سائر النساء والرجال

علمه الإله ما لم يعلم إذ أنه الحبيب والمكرم

اللهم ارض عن القطب النفيس .. مولانا السيد أحمد ابن إدريس

الفصل الخامس والعشرون :

أدلة حياة الأنبياء في قبورهم عليهم السلام

صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه : قد استخرت الله تعالى في جمع أحاديث تدل على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتكون دليلاً لما ذكرته لك آنفاً ، وما أحسن القول إذا كان مستنداً إلى دليل فأقول وبالله تعالى التوفيق

1- عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله r : (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) أخرجه البهقي ، ونسبه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي يعلى الموصلي في مسنده ، وقال : شارحه : هو حديث صحيح أ هـ وقال صاحب نظم المتناثر من الحديث المتواتر : إن من جملة ما تواتر عن النبي r حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم . وقال السيوطي في مرقاة السعود حاشية سنن ابي داود : حياة الأنبياء تواترت بها الأخبار . وقال في كتابه إنباه الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه : حياة النبي ما نصه : حياة النبي في قبره هو وسائر الأنبياء

معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت الأخبار الدالة على ذلك . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح نقلا عن أبي عبد الله القرطبي : صح عن النبي r أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه r اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج في بيت المقدس وفي السماء خصوصاً بسيدنا موسى عليه السلام ، وقد أخبر أنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء عليهم السلام إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون لا نراهم

وقد دل القرآن على حياة النبي r وحياة جميع النبيين والمرسلين عليهم السلام أحياء بعد وفاتهم أيضاً ، وذلك أن الله تعالى قال (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) فهذه الآية تدل على حياة جميع الأنبياء ، بمفهوم الموافقة وذلك أن الأنبياء أولى بتلك المنقبة من الشهداء ، وتدل على حياة نبينا r بعموم لفظها وذلك أن الله تعالى جمع له r بين النبوة والرسالة والشهادة كما صح ذلك . قال السيوطى رحمه الله تعالى : وما من نبي إلا وقد جمع بين النبوة والشهادة

قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) مروى عن أوس من حديث طويل أخرجه ابو داود والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي في كتاب الدعوات الكبير وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير ، وسعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبه والحاكم وصححه وأيضاً صححه النووى رحمهم الله تعالى أجمعين

وقد نظمت بفضل ربي المخرجين لهذا الحديث ؛ لكثرتهم ؛ ليسهل حفظهم :

تحريم أكل الأرض جسما للنبي قد قاله المختار خير العرب

أخرجه عشر كذاك اثنان من سادة الحديث والإتقان

وهم إمامنا أحمد والنسائي كذا ابن حبان بلا امتراء

كذا أبو داود نعم المرتقى والحاكم المشهور . ثم البيهقي

والطبراني لدى الكبير ثم ابن ماجه عالم نحرير

وابن خزيمة كذا سعيد في سنن أقوالها تفيد

وابن أبي شيبة ثم الدرامي فاحفظ حديث الفضل للأكارم

وأخرج أبو يعلي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله r يقول : (والذي نفسي بيده ليتنزل عيسى بن مريم ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنه)

وقال الإمام القرطبي حافظ الأندلس في حديث الصعقة عن شيخه ما نصه في تذكرته : الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحون مستبشرون

فهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى . وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء . وأنه r اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس

وفي السماء ، ورأى موسى قائما يصلي في قبره . وأخبر r أنه يرد السلام على كل من يسلم عليه . إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موتهم

إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا نراهم وإن كانوا موجودين أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله تعالى بكرامة أ هـ

وقال البيهقي في دلائل النبوة : الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء وقال الشيخ تقي الدين السبكي مؤلف جمع الجوامع ما نصه : حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ، ويشهد له صلاة موسى في قبره ، فإن الصلاة تستدعي جسما حياً ن وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ، ولا يلزم في كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب ، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى أ هـ

وقال البرهان اللقاني في شرح جوهرة التوحيد ما نصه الرابع أي من التنبهات : الأنبياء أحياء في قبورهم وبعد موتهم أ هـ

قال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته ما نصه : فصل في حياته r بعد موته في البرزخ : وقد دل على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه ومن القرآن قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة للشهداء من الأمة ، وحاصلة لمن له هذه المرتبة لا سيما في البرزخ ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي r ، بل إنما حصلت لهم هذه الرتبة بتزكيته وتبعيته . وقال فيها أيضاً ما نصه : وقال عليه الصلاة والسلام : (مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره)

وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى عليه السلام فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً ، ومثل هذا لا توصف به الروح وإنما يوصف به الجسد وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيص بالقبر ، فإن أحدا لم يقل إن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشهداء والمؤمنين في الجنة أ هـ

وقال البرهاني اللقاني في شرحه الصغير ما نصه : ونقطع بعودة حياة كل ميت في قبره . وبنعيم القبر وعذابه ، وهما من الأعراض المشروطة بالحياة لكن لا يتوقف على البينة . وأما أدلة الحياة في الأنبياء فمقتضاها أنها مع البينة وقوة

النفوذ في العالم مع الاستغناء عن العوائد الدنيوية ، ومن هنا قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى : النبي r في حكم الرسالة الآن أ هـ

وسئل البارزي رحمه الله تعالى : هل النبي r حي في قبره ؟ فأجاب : هو حي . قال الأستاذ أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا محمداً r حي بعد وفاته ، وإنه يبشر بطاعات أمته ، ويحزن لمعاصي العصاة ، وإنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته

وقال : إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً ، وقد مات موسى عليه السلام في زمانه ، وأخبر نبينا r أنه رآه في قبره مصلياً . وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ، ورأى آدم وإبراهيم عليهما السلام . وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا : نبينا r قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته أ هـ

وقال الحافظ البيهقي في كتاب الاعتقاد : الأنبياء عليهم السلام بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم ، وقد رأى نبينا r جماعة منهم وأمهم في الصلاة ، وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه ، وأن سلامنا

يبلغه ، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء قال : وقد صنف لإثبات حياتهم كتاباً . ثم قال اللهم أحينا على سنة هذا النبي الكريم وأمتنا على مثلته واجتمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير

قال صالح الجعفري رضي الله تعالى ونقعنابه آمين : ودعاء هذا الشيخ يوافق ما ذكره شيخنا في صلاته العظيمية (واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً) وإنما قلت ذلك خشية أن يعترض علينا ولا اعتراض علينا حيث كان لاسلافنا تابعين

وقال الشافعي عفيف الدين اليافعي : الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون بها ملكوت السماوات والأرض ينظرون الأنبياء غير أموات كما نظر النبي r إلى موسى عليه السلام في قبره ، وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي ، قال : ولا ينكر ذلك لا جاهل ، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر أ هـ

من أحوال أهل الكشف مع النبي r بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى

وحكايات العارفين كسيدي أحمد الرفاعي لما وقف عند القبر الشريف وأنشد البيتين المشهورين فخرجت يده الشريفة وصافحته مشهورة

وبالجملة فكما قال الحافظ السيوطي في رسالته في إنباه الأذكياء حياة النبي r هو وسائر الأنبياء الخ ما سبق نقله آنفاً أ هـ

قال شيخنا حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى : رسالة السيوطي إنباه الأذكياء طبعت بالهند وعندي بمكتبي منها نسخة أ هـ . ولقد سمعت منه رحمه الله أعجوبة ذكرها في أثناء درسه بالمسجد الحسيني في شهر رمضان قال : كنت معتكفاً بالمسجد النبوي في العشر الأواخر من رمضان ، فخطر بقلبي ما من الله تعالى به على سيدي أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه من تسليمه ومصافحته لرسول r فدنوت من المقصورة النبوية وسلمت على رسول الله r فدنوت من المقصورة النبوية وسلمت على رسول الله r وأنشدته البيتين اللذين أنشدهما سيدي أحمد الرفاعي . فمد لي r يده الشريفة فقبلتها أ هـ

وهذه القصة ما سمعتها منه إلا في العام الذي قبض فيه

من كرامات الشيخ حبيب الله الشنقيطي مع شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفري

ولقد شاهدت منه كرامات ، منها أنني ذهب إلى بيته بجوار القلعة ناوياً بقلبي أن أستأذنه في أن أكون مقرئاً له متن حديث البخاري ومسلم ، فلما وصلت البيت وجلست بغرفة الاستقبال ، وهي أول مرة أزوره بها جاءني مبتسماً ، فلما سلمت عليه وقبلت يده قال لي : (أنت الذي إن شاء الله ستكون سراداً لي في هذا العام) ومعنى سراداً : مقرئاً . والحمد لله قد لازمته إلى الممات ، ونزلت قبره ولحدته بيدي والحمد لله

وكنت أقرأ للإخوان الحاضرين درساً قبل حضوره بالمسجد الحسيني ، فإذا عارضني إنسان أو شاغبني يهمس لي في أذني عند جلوسه على الكرسي بقوله : (يعاكسونك وأنت خير منهم) كأنه كان معي ، ثم يأتي في دروسه بكل موضوع حرفت فيه شيئاً أو ذكرته ناقصاً كأنه كان جالساً معى يسمع ما قلته ، وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة ، وكان إذا حصل له عذر يرسل لي تلميذاً أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ

وفي يوم أرسل لي ورقة مكتوبة فيها بخط يده منها (قد وكلتك بقراءة الدرس) فتعجبت من ذلك لماذا غير الشيخ عادته من المشافهة إلى المكاتبة ؟ وما أشعر إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس ، فسألني : وهل وكلك الشيخ قلت نعم قال : وأين التوكيل ؟ فقدمت له الورقة المرسلة من الشيخ ، ففرح بها ودعا لي بخير ، فكانت هذه كرامة منه رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه فسيح الجنان فإنه كان يحبني كثيراً ويقول لي : أنت بركة الدرس ، قد أجزتك بجميع إجازاتي ومؤلفاتي

قال سيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه : أقول بفضل الله عليه السلام تعالى : ومما يدل على أنه r كما هو رفع العذاب . وقد دقع وهو فيهم كقوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) أي معهم بجسمك وروحك وقول الله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) والبيعة لا تنفع إلا بالإقرار بالشهادتين حينما كان r بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى بقيت البيعة كما هي فلو لم يكن حيا بعد الموت ورسالته r باقية كما هي لغيرت البيعة ، وإذا كان الإسلام لا يتم ولا يقبل إلا بذكر اسمه r فذكر اسمه r وسيلة في قبول الإسلام والإيمان ، فكيف لا يكون ذكر اسمه وسيلة في

قبول الدعاء الذي ليس هو بواجب وماذا يقول لنا المانع إذا قلنا : اللهم بحق لا إله إلا الله محمد رسول الله اغفر لي وارحمني

وماذا يقول لكافر إذا أسلم وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فهل يمنعه من قوله محمد رسول الله أو يقره على ذلك فتأمل

وقول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا الأمر باق إلى يوم القيامة

فالطاعة هي الطاعة والرسول r هو الرسول ، وطاعته الواجبة حينما كان بين أصحابه هي طاعته الآن ، ومن أنكر الأولى كفر ومن أنكر الثانية كفر ، وإنما كانت الأولى لرسول حي بجسمه وروحه . واليوم كذلك الرسالة والطاعة أفضل من الحياة ويلزم بينهما الحياة . فتأمل في قولي هذا لعلك ترشد . وقول الله تعالى : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فهل المراد بهؤلاء الصحابة فقط أم الأمة ؟ بل المراد الأمة الشاملة للصحابة وغيرهم إلى يوم القيامة إذ هو r شهيد الأمة

رؤية النبي r لله عز وجل في ليلة المعراج :

مسألة مهمة : النبي r له خصوصية عظيمة اختص بها دون جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وهي رؤيته لله سبحانه وتعالى . وتجلى الحق سبحانه وتعالى على جسمه وروحه ، فكسى جسمه الشريف بذلك ثوب الحفظ فصار جسمه الشريف كروحه يبقى ببقائها ويحفظ بحفظها . فله خصوصية في جسمه الشريف تزيد على جميع النبيين والمرسلين عليهم السلام

انظر كيف تقدم r في مقام تأخر عنده جبريل عليه السلام فلو كان جسماً غير جسمه r ما تحمل ذاك التجلي ولا ثبت أمام تلك الأنوار المحرقة

وقد شهد الله سبحانه له r بقوله (ما زاغ البصر وما طغى) والمراد بالبصر هنا البصر المعروف ، فبصره r لا كالأبصار ، وكذلك جسمه لا كالأجسام ، وقد كان عرقه الشريف كاللؤلؤ وأطيب من المسك ، ولا ظل لجسمه الشريف ، وكان r يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وريقه شفاء للمرضى ولمسه شفاء

قال البوصيري رحمه الله تعالى

كم أبرأت وصبا باللمس راحته وأطلقت أربا من ربقة اللمم

وقال تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ورضا الله تعالى يكون بطاعة الله تعالى ، ورضاء النبي r يكون بطاعة الله تعالى وليعتقد الطائع أن الله تعالى راض عنه الآن ، وأن نبيه r راض عنه الآن .

قال الله تعالى لنبيه r (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) حتى الآن وإلى ما شاء الله (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

وقد أحيا الله نبيه r في الحياة الدنيا بأطيب حياة ؛ لأنها حياة النبوة والرسالة والجهاد والعبادة ، وبعد الموت حياة وجزاء بأحسن ما كان يعمل r ، فإذا كان الجزاء أحسن كانت الحياة أحسن ، والجزاء الحسن يبتدئ من إخراج الروح (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم) وقال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا) وقال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية)

فهذا كله من الجزاء الحسن الأحسن عند الاحتضار وبعده . وقال r :(القبر إما روضة من رياض الجنة . وإما حفرة من حفر النار) فإمام الأنبياء والمرسلين r هو أفضل الناس حياة بعد الموت . وأعلاهم روضة في القبر ، وأحسنهم جزاء إذا كان r أفضلهم أعمالاً وأكثرهم طاعة وجهاداً وتهجداً وعبادة وتلاوة ، وأكثرهم ذكراً لرب العالمين

وقال بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى :

تواترت الأدلة والنقول فما يحصى المصنف ما يقول

بأن المصطفى حي طرى كبدر التم ليس له أقول

ولم تأكل له الغبراء جسما ولا لحما وأثبت ما أقول

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة شرحها شيخنا المحدث الشيخ حبيب الله الشنقيطي رحمه الله ، وقد طبعتها مع شرحها في رسالة مخصوصة سميتها (دافعة الشقاق)

وقد كتب علماء السلف والخلف في ذلك شيئاً فراجعه إن شئت لا سيما رسالة الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى المسماة : تحفة الأذكياء وكتابه المسمى (تنوير الحلك) ودعك عما كتبه أهل هذا الأزمان من كل قول يخالف ما كتبه خيرة السلف والخلف

كلام ابن تيمية حول التوسل بالنبي r :

ورحم الله تعالى ابن تيمية حيث يقول : والسلف الصالح كانوا يدعون بحديث الأعمى ، وإن أحمد بن حنبل رحمه الله كتب منسكاً إلى تلميذه المروزي وأمره فيه أن يتوسل بالنبي r . والشيخ ابن تيمية الحراني صادقة في نقله . ومن الذي هو أوثق من السلف الصالح والإمام أحمد حتى نتركهم ونتبعه فيما يقول ؟ وإن ليأخذوني العجاب حينما أقرأ كلام الشيخ ابن تيمية هذا وأرى من يخالفه ، وقلت بفضل ربي تعالى :

وما رواه العالم الحراني حق وصدق واضح البرهان

من أن أهل السلف الأكارم توسلوا بالهاشمي الخاتم

كذا إمام السنة ابن حنبل بالسيد المختار قد توسل

للمروزي قال في رسالة توسلن بصاحب الرسالة

قلت : والتوسل به r ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عن السلف الصالح عن الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه والذي ذكره الحافظ عبد العظيم المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب في باب صلاة الحاجة وهو أن عثمان بن حنيف علم رجلا له حاجة عند سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته حديث الأعمى الذي فيه التوسل به r فعلم من ذلك حياته r بعد الموت ، لأن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وغيره من الصحابة أخبروا أنهم كانوا يتوسلون به r وقت حياته وتوسلهم به r بعد وفاته دليل على حياته بعد وفاته دليل على حياته بعد الموت عند ربه سبحانه وتعالى . وقد أوجب الله الصلاة والسلام عليه وقت حياته وبعد وفاته r . وأجمع العلماء على وجوب الصلاة والسالم عليه r في العمر مرة ، وقال الطحاوي رحمه الله تعالى : تجب كلما ذكر ، وارتضاه الحليمي من الشافعية رحمه الله تعالى لقوله r :(رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة

الفصل السادس والعشرون :

شرح حديث : " ما من مسلم يغرس غرساً " للإمام سيدي الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه :

وإليك هذا الإسناد المبارك للبخاري المتصل بسيدنا ومولانا وأستاذنا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه . فأورى بالإجازة المباركة والسند المتصل عن أحد المشايخ عن السيد أحمد الشريف عن السيد أحمد الريفي عن السيد محمد بن على السنوسي عن السيد أحمد بن إدريس عن أبي المواهب التازي عن أي البقاء العجيمي عن البركة أبي الوفاء أحمد بن محمد العجل عن قطب الدين محمد بن أحمد الفهرواني عن والده علاء الدين أحمد بن محمد الفهراني عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح الطاووسي عن الشيخ المعمر ثلاثمائة سنة بأبا يوسف الهروي الهندي عن المعمر محمد بن شاد بخت الفرغاني عن المعمر مائة وثلاثاً وأربعين سنة أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني بسماعه على محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن غسماعيل بن إبراهيم بن برد وبه البخاري قال : حدثنا قتيبة بن سعيد

حدثنا أبو عوانه عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله r :(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)

قال شارح صحيح البخاري الشيخ القسطلاني رحمه الله تعالى : قوله r (ما من مسلم يغرس غرساً) بمعنى المغروس أي شجر . قال :(العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ) صالح الجعفري (رضي الله تعالى عنه) : فيكون من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فهو مجار مرسل كما في قوله تعالى (هذا خلق الله) أي مخلوق الله . لان المصدر حدث والحدث لا يرى وإنما ترى الذات التي قام بها الحدث فهو أحد مدلولي الفعل . قال ابن مالك رحمه الله تعالى :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن

وهو شبيه بالروح في أنها لا ترى وإنما يرى مكانها وذلك لحكمة لطيفة ؛ لأن الروح من أمر الله وأمر الله لا يرى . والجسم من خلق الله وخلق الله يرى ، ولأن الروح تذكرك الغيب فهي من عالمه والجسم يذكرك الشهادة فهو من عالمها ، فكما أيقنت من انفعالات روحك وآثارها مع عدم رؤيتك لها آمن بأفعال الملائكة مع عدم

رؤيتك لهم فإذا علمت ذلك وأيقنت به فاعلم أن الرب الأجل من الغيب وهو خالق كل شئ ولا يرى بل ترى أفعاله ؛ لأنك لو رأيته لتساوي مع خلقه وهو ليس كمثله شئ فعينك الحادثة ترى الحوادث ولا ترى القديم الأزلي ، إذ لو رأيته لكتب لك البقاء السرمدي ، ولا يفنى جسمك بعد ، ولما كتب الله الفناء على العوالم العلوية والسفلية حجب عنها ، فأهل السماء بالنسبة إلى النظر للحق جل وعلا كأهل الأرض . قال r : (لا تفضلوني على يونس بن متى) يعني حينما كنت فوق السماء السابعة ، فإن علم ربي وإحاطته بي وسماعه لكلامي كعلمه وإحاطته وسماعه ليونس في ظلمات ثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . قال القسطلاني رحمه الله تعالى قوله r : (أو يزرع زرعا) أي مزروعاً فأن للتنويع ؛ لأن الزرع غير الغرس

قال (باب المصطفى صاحب الصفا والوفا فضيلة الشيخ صالح الجعفري راجي رحمة الله العلي : القول في الزرع كالقول في غرس ، وهناك غرس وزرع آخران ، فيغرس المؤمن ذرية طيبة تنفعه في الدنيا والآخرة كما في الحديث : (أو ولد صالح يدعو له) ويزرع الأعمال الصالحة المتنوعة التي أرضها صفحات القلوب ، وماؤها من سماء الغيوب ، وزرعها فعل الواجبات وترك المنهيات ورضاء

بالقضاء وجهاد للنفس وشكر وصبر لدى البأساء والضراء وحين البأس ، فهنيئاً لأرض القلوب القيعان حيثما هطل عليها غيث وابل معاني القرآن ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، فشمرت النفس عن ساعد جدها للوصل إلى مجدها ونظرت إلى اللذات نظر المستريب وفرت من غوائل الدنيا فزارها من الغول ، واشتغلت بربها بعد أن شغفها حب جنته . وشغفها حب كرامته فصبرت بجسمها لحكم ربها حتى جاءها اليوم الموعود فسمعت النداء بعد التسليم والبشرى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية)

قال القسطلاني رحمه الله تعالى : قوله r :(فأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان به صدقة) بالرفع اسم كان ، التعبير بالمسلم يخرج الكافر فيختص الثواب في الآخرة بالمسلم دون الكافر ، لأن القرب إنما تصح من المسلم . إن تصدق الكافر أو فعل شيئاً من وجوه البر لم يكن له أجر في الآخرة

نعم ما أكل من زرع الكافر يثاب عليه في الدنيا كما ثبت دليله ، وأما من قال يخفف عنه بذلك من عذاب الآخرة فيحتاج إلى دليل في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن مسلم . قلت : يا رسول الله ابن جدعان في الجاهلية

كان يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه إنه لم يقل يوما (رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) يعني لم يصدق بالبعث ، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل

ونقل عياض رحمه الله تعالى : الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، لكن بعضهم أشد عذاباً من بعضهم يحسب جرائمهم . وأما حديث أبي أيوب الأنصاري عند أحمد بن حنبل مرفوعا :(ما من رجل يغرس غرساً) وحديث : (ما من عبد) فظاهرهما يتناول المسلم والكافر لكن يحمل المطلق على المقيد ، والمراد بالمسلم الجنس فتدخل المرأة المسلمة

وقد روي مسلم رحمه الله تعالى هذا الحديث : بزيادة فيه ، فأردت ذكره لزيادة الفائدة . فأقول بعون الله تعالى بالإجازة المباركة والسند المتصل عن أحد المشايخ عن السيد أحمد الشريف السنوسي عن السيد أحمد الريفي عن السيد محمد بن على السنوسي عن السيد ابي العباس العرائشي السيد أحمد بن إدريس عن أبي المواهب التازي عن أبي عبد الله الشيخ محمد التاودي الفاسي عن الجريشي وهو أبو الحسن على عن شيخ الإسلام ابي محمد عبد القادر الفاسي

عن عم والده أبي زيد عن الرحمن الفاسي عن الإمام أبي عبد الله محمد أبي الذخائر بن قاسم القصار عن الشيخ محمد جار الله خروف التونسي الأنصاري عن عبد الرحمن بن الشهير بسقين العاصمي عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الإمام بن حجر العسقلاني وهو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر نسبة إلى آل حجر قوم سكنوا الجنوب وأرضهم قابس الكناني المصري عن بن الكويك أبي جعفر محمد ابن عبد اللطيف الربعي عن عبد الرحمن بن محمد المقدسي عن بن عبد الدايم النابلسي عن محمد بن على بن صدق الحراني عن الغواري عن عبد الغافر بن محمد الفارسي عن الجلودي أبي أحمد محمد بن عيسى ابن عمروية عن إبراهيم بن محمد النيسابوري عن مؤلفه الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري .

قال : حدثنا ابن نمير حدثنا أبي عبد الملك عن عطاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله r : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزراع . إن أجر فاعل ذلك مستمر مادام الغرس والزرع ، وما تولد منه إلى يوم القيامة

وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها : فقيل التجارة وقيل الصنعة باليد ، وقيل الزراعة وهو الصحيح . والثواب مختص في الآخرة بالمسلمين

قال سيدي الإمام الشيخ صالح الجعفري (رضي الله تعالى عنه) : قد اجتمعت في هذا الحديث فوائد شتى للغارس والزارع :

الأولى : أن ما عنده إذا بلغ النصاب زكاة فيثاب عليه ثواب الواجب

الثانية : أنه يتصدق تطوعا فيثاب صدقة التطوع ، فهذان ، ثوابان يختلفان بالنية

الثالثة : إذا قدم شيئاً من الثمر أو الحب على والديه أثيب ثواب الواجب وكتب بارا ، أو على أرحامه كتب وصولاً للرحم

الرابعة : إذا قدم شيئاً إلى زوجته وأولاده أثيب ثواب الواجب

الخامسة : إذا وهب شيئاً كتب له ثواب الهبة

السادسة : إذا أهدى شيئاً كتب له ثواب الهدية ، وكان عاملاً بحديثه r : (تهادوا تجابوا)

السابعة : إذا أقرض إنساناً شيئاً كتب له ثواب القرض ثمانية عشر وهذه السابعة يمكنه أن ينوي فيها الثواب

الثامنة : ثواب ما أكل الطير والحيوان والسباع والسارق وما يغلبه فيه الشركاء وغيرهم ، وهذه الأشياء يثاب عليها من غير نية

التاسعة : وهي الفائدة الكبرى . إن مكان الغرس لا يخلو من الظل البارد والماء البارد والرطب والثمر ، فما استظل فيه بظل الغرس وأكل منه الثمر وشرب من الماء كتب للغارس ثواب ذلك كله ، وقيل هذا هو نعيم الدنيا

فائدة : قال الشيخ عبد السلام رحمه الله تعالى على شرحه للجوهرة في علم التوحيد : الفرق بين الحكمة والعلة أن الحكمة ليست علة في الفعل وكذلك كالظل للشجر ، فإن الغارس لم يجعله علة للغرس ، وإنما جاء عفواً بعد ظهور الشجر ، والعلة تكون باعثة على الفعل كالماء فإنه علة في حفر البئر قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليكون مصيرهم إلى العبادة ن وهي لم تكن علة في خلقهم لأ، أفعاله تعالى منزهة عن العلل

الفصل السابع : نفس إدريس

نفس إدريسي :

فعليك يا أخانا في الله تعالى بغرس أشجار المحبة الإلهية في ارض قلبك من قوله تعالى (يحبهم الله ويحبونه) وساقها بماء المجاهدة من قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) حتى تثمر ثمر اليقين ، ثم يرتقي إلى علم اليقين ، ثم يرتقي إلى عين اليقين . وهناك ترى ما لا يراه الناظرون وتسمع ما لا يسمعه السامعون في حضرة كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق

به فلا يصل شئ من ثمر جواهر حديثك إلى مخلوق إلا كان لك به صدقة سواء سمعه أو قرأه أو نقله الغير منك إليه ، ويدون لك ذلك إلى يوم القيامة فلا ينقطع أجرك وأنت في قبرك ، وبذلك تدخل في ميدان حظيرة (العلماء ورثة الأنبياء) إذ الأنبياء لا تنقطع أجورهم بعد الموت فتكسى ثوب الوراثة النبوية الذي به تكون على الكتاب والسنة مكملاً كمالا إلهيا محمدياً منفصلاً متصلاً مستغرقاً في مشاهدة الواسطة العظمى والحجاب الأعظم ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً في جميع أحوالك وأقوالك ، ممتداً ممداً من الذي انشقت منه الأسرار وانفلقت منه الأنوار ، كاشفاً عن أسرار الجمل والكلمات بالسر الساري في جميع الأسماء والصفات ، حيث لا جمع ولا فرق بل حب وشوق ذاكراً له في حضرة الإطلاق ، إذ لا حضرة إلا وفيها من ليس معه لباب إغلاق فمنهم من أخذته الدهشة فنسي ومنهم من تقوت روحه فشاهد في حضرة الله وعند ذكر الله حبيب الله تالياً قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وإني لأرجو أن يكون لك الحظ الوافر باغترافك من هذا البحر الزاخر

وإياك ونسيان الشيخ والغفلة عنه فإن ذلك من أكبر القواطع لك فما الطريق إلا كدورة الفلك فإن استطعت أن لا تغفل عن ذكر ربك طرفة عين ولا اقل من ذلك

فكن ، ومعنى لا تغفل عن الشيخ أي متابعته التي طالما قرأتها عيناك أو سمعتها أذناك ، وهناك أسرار منه تسري ، وعلوم في بحور تجري ، فمن قطع شهوات نفسه وجاء طريقنا إلا وقابله نور لامع . فكم من ولى فتحنا له أبواباً عزت على غيره . وكمن من مجد كشف عن عالم الملكوت بأحزابه ، فكن من أهل القدم الراسخ الذي لا تزلزله شبهة بوجه من الوجوه ، وتمسك بالكتاب والسنة فإنهما طريق شيخنا أبي العباس العرائشي سيدنا ومولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه الذي وصفه تلميذه الإمام المحدث الفقيه الرباني السيد محمد بن على السنوسي رضي الله عنه بقوله :(لم يكن له معول على شئ في أول أمره وأوسطه وآخره إلا على رسول الله r يشير بذلك إلى أنه كان يجتمع بالنبي r يقظة اجتماعاً حقيقياً كما أخبره بذلك شيخه رضي الله تعالى عنهما ، وكما يفهم من خطابات سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه لتلاميذه من قوله : أمرنا بكذا وأمرنا بكذا

فعليك يا أخانا في الله تعالى إذا أردت أن تزرع زرعاً أو أن تغرس غرساً ينفعك في الدنيا والآخرة بالإكثار من هذا الذكر المبارك الذي اختصنا الله تعالى به . وهو السر المصون والجوهر المكنون الذي يفتح أبواب القلوب ويكشف أبواب

أسرار الغيوب . ويذكر الروح منازلها الأولية ويرقى بها إلى العلياء ويدفع وساوس الشيطان . وكيد الإنس والجان ويهذب الأخلاق ويفتح باب الأرزاق وييسر الله به كل عسير

ويرد به كل عدو حقير وأمير ألا وهو هذا الذكر الذي فتح الله تعالى به الباب على أوليائه ، وخيرته وأصفيائه وهو : (لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) تدخل في سعة رحمة الله تعالى . ويكشف لك عن ملكوت الله وتدخل في حضرة العليم العلام ، وتزول عنك الأغيار والأوهام . وعند ذلك ترى الحجاب الأعظم حياة روحك ، وروحه سر حقيقتك . فتعلم قول شيخنا : (واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس الخ) فبسره الساري عرف العارف ، وقرأ القارئ

وقد أمرنا أن نستقبل قبلة أشياخنا من غير انحراف ولا ميول . كما أمرنا أن نستقبل قبلة أرواحنا راجين القبول (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) ، ثم يصرح الله تعالى بقبول رجائه وإجابة دعائه . إذ كل من به لله قصد ، لا شك من أنه للخير وجد (لوجدوا الله تواباً رحيما)

فبعضهم هام بالله لما سمع (لوجدوا الله) . (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) . (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . وكيف لا يكون كذلك يا أخانا في الله تعالى وقد قال r : (أولياء الله الذين إذا رءوا ذكر الله) فكيف برؤيتك لخير الخلق r

شرح حديث " ما من يوم يصبح العباد فيه "

وأروى بالإجازة المباركة المتقدمة عن شيخنا الإمام الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الصوفي العارف بالله تعالى المغترف من البحر المحمدي بالإتباع المحمدي الشفا أبو العباس العرائش الشريف الحسنى السيد أحمد بن إدريس شيخ العلماء ومربى الأولياء رضي الله تعالى عنه عن البخاري ومسلم رضي الله تعالى عنهما فبالسند السابق عن أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري قال : حدثنا إسماعيل قال : حدثني أخي عن سليمان عن معاوية بن أبي مزوة عن ابن الحباب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . أن النبي r :(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا) . أخرجه البخاري ومسلم النسائي والإمام أحمد من حديث أبي الدرداء وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والبيهقي

قوله :(ما من يوم) أي ليس يوم فما : بمعنى ليس ، ويوم اسمها . قوله : (يصبح العباد فيه) صفة ليوم (إلا ملكان) مستثنى من خبر ما . الإنفاق هو إعطاء المال في سبيل الله . والتلف هو ضياع المال . والخلف هو العوض

يخبرنا النبي r بأنه في كل يوم الملك يدعو بالخير لكل متصدق ، ويدعو بالشر على كل ممسك عن الإنفاق . ففي الحديث حض على الإنفاق وتنفير عن البخل

قال القرطبي حض على الإنفاق وتنفير عن البخل

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

الإنفاق يعم الواجبات والمندوبات ، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق الدعاء بالتلف

قال الآبي المالكي شارح صحيح مسلم نقلاً عن القاضي عياض المالكي رحمهما الله تعالى : في الحديث الحض عن الإنفاق رجاء قبول دعوة الملك .

والمراد بالنفقة في الواجب ؛ لأن في المال حقوقاً متعينة ويعم النفقة في المندوب لكن بالمعروف

قال الآبي وأما الإمساك فالأظهر أنه أراد به الإمساك عن الواجب

قال سيدي الشيخ صالح الجعفري (رضي الله تعالى عنه) : النفقة أقسام ثلاثة :

واجب : كالزكاة المفروضة ونفقة الحج والنفقة على الزوجة والأولاد والنفقة على الوالدين ، وعلى عاجز تلزمه نفقته شرعاً ، وعلى إنقاذ من إذا لم تنفق عليه هلك ، وفي الجهاد إذا دخل العدو البد ، وعلى تعلم الواجب العيني إذا لم يمكن إلا بالإنفاق ، وعلى ميت تعين تكفينه وأجرة دفنه على حاضر ببلد كفر مات فيه مسلم ، وغير ذلك مما قامت أدلة الشرع وجوبه

والمندوب كالمتصدق على الفقراء والمساكين في غير زكاة واجبة

والمباح كالولائم وكأكله وشربه وغير ذلك

ولما كان يثاب شرعاً على الواجب إذا أنفق دعا له الملك . وكان يأثر شرعاً إذا تركه دعا عليه بالتلف ، ولما كان لا يأثم بترك المندوب والمباح لا يدعو عليه الملك بالتلف ، ولما كان يثاب بالإنفاق المندوب يدخل في دعاء الملك بالعوض ، والظاهر لي أن كل ما كان فيه ثواب يدخل في دعاء الملك بالخير . وكل ما كان فيه عقاب يدخل في دعاء الملك بالشر وما لا عقاب في تركه ولا ثواب في فعله يدخل كترك المندوب وفعل المباح

فوائد :

الأولى : أن الله تعالى لحبه للإنفاق ، ولبغضه لهضم الحقوق الواجبة أنزل كل يوم ملكاً للدعاء بالخير لمن أنفق ، وبالدعاء بالشر على من أمسك

الثانية : إن الذي ينفق يبارك الله في ماله ويزيده من فضله لأن دعاء الملك مستجاب بالخير لكل منفق كريم ، وبالشر على كل ممسك بخيل

الثالثة : إن تارك الإنفاق الواجب لا يبارك له في كسبه وكلما ظن أنه زاد نقص ، وكلما ظن أنه حفظ تلف ، لأن دعوة الملك مستجابة عليه بالتلف

الرابعة : إن هذا الحديث وافق قوله تعالى : (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) فعلى المؤمن أن يعتقد بقلبه عقيدة جازمة بأن الله تعالى يعوض عليه في الدنيا بدل ما أنفق

الخامسة : في هذا الحديث ما يدل على عظيم فضل الله تعالى على خلقه حيث عوض على المنفق في الدنيا ، وأثابه يوم القيامة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . ففي الإنفاق ثوابان ، كما أن قائم الليل يثاب في الآخرة بالجنة ويثاب في الدنيا بالعافية في جسمه بطرد البلاء عنه

السادسة : إن الله جعل يد المنفق عليا . قال عليه الصلاة والسلام : (اليد العليا خير من اليد السفلى) ، فإذا بخل صارت يده أقل من السفلى ؛ لأن المعطى يده عليا لأنه منفق وهو منفق ممتثل لأمر ربه . والآخذ يده سفلى وشاكر نعمة ربه والبخيل الممسك متجرد عنهما

السابعة : إن المنفق تخلق بأخلاق الله تعالى . قال عليه الصلاة والسلام : (تخلقوا بأخلاق الله) وأيضاً تخلق بأخلاقه r فقد كان أكرم من الريح المرسلة .

فالله منفق كريم وأمر بالإنفاق وهو يحب الإنفاق . والنبي r منفق كريم يحب الإنفاق وأمر به ، فالمنفق حبيب الله تعالى وحبيب رسول r

الثامنة : إن الممسك تخلق بأخلاق إبليس لأنه بخيل ويأمر بالبخل قال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر أي إذا أردتم الإنفاق في سبيل الله خوفكم بالفقر وأمركم بالإمساك ، فالممسك عن الإنفاق حبيب الشيطان عدو الرحمن

نفس إدريسي :

فعليك يا أخانا في الله تعالى بكثرة الإنفاق في مشاهدة الخلاق من أنفاسك العزيزة وبكثرة الأذكار وإبلاغ الحكم من كلماتك المفيدة واعلم أنك كلما أنفقت من علمك زادك الله تعالى منه

سئل سيدنا على رضي الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه : العلم أفضل أم المال ؟ فقال العلم . قيل : لم ؟ قال : لأن المال ينقص بالإنفاق والعلم يزيد به

واعلم أن خزائن ذخائرك زاخرة أذنان تسمعان وعينان تبصران ويدان تبطشان ورجلان تمشيان ولسان ناطق وعقل مفكر . فأنفق من سمعك في سماع حسن القول : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)

وانظر بعينك في ملكوت السماوات والأرض أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) . (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) ، (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) ، ويداك أنفق منهما مساعدة الضعيف وإعانته ، ورجلاك بالمشي إلى المساجد لاسيما في الظلمات ، ولسانك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم المسلمين وعقلك بالتفكر في مخلوقات الله (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض)

فمن أنفق من جوارحه خيراً أنزل الله عليه خيراً وثواب الآخرة أعظم . ومن أنفق من جوارحه شراً لقي شراً في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد . واعلم أنك لا تصل إلى ما وصل إليه المجدون حتى تجعل جميع جوارحك مصادر خير محض لا شبهة فيها من جميع الوجوه . وأن تلازم المراقبة لله تعالى ، فأدب نفسك ، ونم روحك ، ولا أرى لك إصلاحاً أسرع من هذا

فعليك يا أخانا وفقك الله تعالى للإصغاء إلى قولي هذا فعن قريب ترى عجائب الروح منك بك حيث لا حجاب يحجبك ، ولا شاغل يشغلك وبمشاهدتك للحق تعالى مشاهدة خارجها بها عن جميع المحسوسات والمعقولات نافياً مثبتاً منفصلاً متصلاً فانياً باقياً ن وهناك تذوق حلاوة الإيمان التي عبر عنها المعبرون والناثرون الناظمون ، فمنهم من قال غرقت في بحر الحب ، ومنهم من قال : شربنا على ذكر الحبيب ، فمن دخل البحر وانغمس فيه قال :غرقت ، وترجم لسانه عن حاله حتى قال : وأوقفني وراء الوراء بلا حجاب ، ومن شرب قال : سركنا

ومن شاهد الحسن قال : أشاهد معنى حسنكم فيلذلي . وقد اتحدت الوجهة واختلفت الواردات باختلاف الاستعدادات . فهيئ روحك بالتمسك بالكتاب والسنة حتى تكون على القدم المحمدي الراسخ حاضرا لكلمات الأستاذ البخاري رضي الله تعالى عنه :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح من غير سقم رأينا ذهبت نفسه الشريفة فلته

وقول الناظم

تهيأ للذي لابد منه فإن الموت ميقات العباد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

فمت قبل أن تموت ليسهل عليك الموت . وأخل قلبك قبل أن تخلوا فتصعب عليك العزلة . واترك الأنس بالناس خشية أن يشق عليك فراقهم وشاهد قبرك قبل أن تدخله لئلا تستوحش منه . وفي هذا القدر كفاية لمن لاحظته عين العناية

وأروى بالإسناد السابق المتصل بالإجازة المباركة عن مسلم بن الحجاج القشيري قال : حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا خالد مخلد حدثنا سليمان وهو ابن بلال حدثني معاوية بن ابي مزرد عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله r :(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفا)

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل السابع والعشرون :

قصة توبة مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه

وهذه قصة مفيدة ذكرتها هنا لعل الله تعالى أن ينفع بها قارئها وسامعها وقد سمعتهما مراراً عن شيخنا على الشائب رحمه الله تعالى حينما كنت أحضر عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بالجامع الأزهر الشريف ، ثم وجدتها في كتاب مخطوط لأبي الحسن البكري في فضائل ليلة النصف من شعبان بهذا النص : قال ابن الجوزي في كتاب التوابين :

روي عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى أنه سئل على سبب توبته : فقال كنت شرطياً ، ثم إني تزوجت امرأة فوقعت مني أحسن موقع ، فولدت بنتاً فشغفت بها ، ولما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها . فلما تم لها سنتان ماتت ، فأكمدني حزنها . فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت حزنها . فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت فرأيت في منامي

كأن القيامة قد قامت ، ونفخ في الصور ، وبعث من في القبور ، وحشرت الخلائق وأنا معهم ، فسمعت حساً فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أزرق أسود قد فتح فاه مسرعاً نحوي ، ففرت من بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً . فمررت في طريق ، فإذا بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه ، فرد على السلام فقلت : أيها الشيخ أجرني من هذا أجارك الله عز وجل فبكى وقال : أنا ضعيف وهذا أقوى مني فمر وأسرع فلعل الله سبحانه وتعالى أن يقيض لك ما ينجيك منه . فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف المقيمة وأشرفت على طبقات النيران فكدت أهوى فيها من فزعي ، فصاح صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأنت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي ، فأتيت الشيخ فقلت : سألتك أن تجيرني من هذا التنين . فلم تجرني فبكى وقال : أنا ضعيف ولكن سر على هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فتنصرك . فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة وستور معلقة وعلى كل طاقة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة بالياقوت مكفوفة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هرولت إليه والتنين أي الثعبان الكبير من ورائي يجري حتى قربت منه . فصاح بعض الملائكة ارفعوا الثور وافتحوا المصارع

لعل لهذا اليائس بينكم وديعة تخبره عن عدوه . ففتحت المصارع وأشرفوا على

فرأيت أطفالاً كالأقمار . وقرب التنين مني فحرت في أمري فقال بعض الأطفال :

ويحكم اشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا وجاً بعد فوج وإذا بابنتي التي

قد ماتت نظرت إلى وبكت وقال : أبي والله . ثم وثبت في كفة من نور كرمية

السهم حتى صارت عندي . ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بي

ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً . ثم أجلستني وقعدت في حجري

وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت : يا أبتاه : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع

قلوبهم لذكر الله) فبكيت وقلت : أنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : نحن أعرف به

منكم فقلت : أخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت : ذلك عملك السيئ

قويتاه فأراد أن يغرقك في نار الجحيم فقلت فما : الشيخ الذي رأيته ؟ قالت :

ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السيئ فقلت : يا ابنتي

ما تصنعون في هذا الجبل فقالت : أطفال المسلمين قد سكنوا فيه إلى أن تقوم

الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم قال مالك ابن دينار فانتبهت من نومي

فزعاً مرعوباً فكسرت آلات المخالفة وتركت جميع ذلك وعقدت مع الله تعالى توبة

نصوحاً فتاب على

التوبة : (تاؤها) ترك للمخالفات (وواوها) وصول للطاعات (وباؤها) بركة الله (وهاؤها) هداية الله . فالتائب لا تتم توبته حتى يترك المعاصي كلها فالترك للمعاصي انفصال عن الشيطان ووصول إلى طاعة الرحمن والطاعة بركة في العقل والروح والجسم والزمان والمكان والمعاش والممات والبعث والمعصية محق وضياع لكل ذلك

قال الشاعر :

إضاءة العقل مخسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

والطاعة هداية الله . ومعناها اللغوي دلالة الإنسان على مواضع رضا الرحمن من قول وفعل ، ومعناه الاصطلاحي خلق الطاعة في الإنسان . فالتائب تارك ما يغضب الله واصل إلى ما يرضي الله مبارك ببركة الله مهدي بهدى الله . قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بالتوبة ووعدهم بالفلاح ، وليس فلاحاً دنيوياً فقط وإنما فلاح في الدنيا والآخرة في كل ما يتعلق بالإنسان ثم حذر سبحانه من تأخير التوبة فقال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) فبادر إلى المتاب قبل المبادرة عليك بالتراب ، فإنك لا تدري ماذا يكون بعد لحظة ، أحياة أم المنون ؟ فكم من صحيح لحينه رحل ، وكم من مريض يمشي إلى الموت على مهل وقلت في ذلك شعراً :

تهيأ للمات فلست تدري بأنفاس الممات متى تكون

فتب لله توبة ذي رجاء وهون كل ما تلقى يهون

فمن عرف الحقيقة ليس يخشى سوى المولى ويفرحه المنون

إذا ما تاب كان له محباً ورؤياه تقر بها العيون

فكم لله من أناس عرفوه وشاهدوه ، وترجم لسانهم عن حالهم

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال :(بينما رسول الله r يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار ، فقال له النبي : كيف اصبحت يا حارثة ؟ فقال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً قال : انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فقال : يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا ، فاسهرت ليلى وأظمأت نهاري ، فكأني بعرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر على أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها ، فقال : أبصرت فالزم

عبد نور الله الإيمان في قلبه قال : يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له رسول الله r فنودي يوماً في الخيل : يا خيل الله اركبي ، فكان أو فارس ركب ، وأول فارس استشهد . فبلغ أمه ذلك فجاءت إلى رسول الله r فقالت : يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة فإن يكن في الجنة لم أبك ولن أجزع ، وإن يكن غير ذلك ما عشت في الدنيا فقال r : يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك وتقول : بخ بخ لك يا حارثة)

وروي أنس أيضاً أن معاذاً بن جبل رضي الله تعالى عنه دخل على رسول الله r وهو يبكي فقال له : كيف أصبحت يا معاذ ؟ قال أصبحت بالله مؤمناً قال النبي r : إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ قال : يا نبي الله ما اصبحت صباحاً قط إلا ظننت أن لا أمسي ، وما امسيت مساء قط إلا ظننت أن لا أصبح ، ولا خطوى خطوة قط إلى ظننت أن لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال r : عرفت فالزم)

قال الشيخ محمد بن إبراهيم المعروف بابن عباد الصوفي عقب ذكره لهذين الحديثين : فهذا الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الأنصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين ، وتمكن من قلوبهما أي تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكراه من فنون العبر ، وشاهدا أمر الدارين بمنزلة رأى العين ، فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظاً من الهفوات والسيئات وطهرت منهما الأسرار والقلوب ، وسارعاً في كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقاً إلى لقاء الواحد الفرد ، وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى

من الشهد ، حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ، وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وآئمة الدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبراً عن حالهم فاسمع مقالا صادقا مقبولا

إن الألى ماتوا على دين الهدى وجدوا المنية منهلا معسولا

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن حرام بن ملحان وهو خال أنس رضي الله تعالى عنهما طعن يوم بئر معونة في داسه ، فتلقى دمه بكفه ، ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال : فزت ورب الجعة وكان جبار ابن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك وكان يقول : مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم فسمعته يقول : فزت والله . قال : فقلت في نفسي : والله ما فاز أليس قتل ؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله : فقالوا الشهادة .(فقلت فاز لعمر الله المطعون هاهنا)

قال (زكى النفس طاهر الروح والقلب من شرفت الولاية بولايته سيدي الشيخ) صالح الجعفري رضي الله تبارك وتعالى عنه ونفعنا به : انظر يا عبد الله كيف

أنطق الله الصحابة بالحكمة أمام رسول الله r . وكيف زكت نفوسهم واستنارت قلوبهم وأدركت عقولهم ونطقت بالحكمة ألسنتهم ، وذلك ببركة رسول الله r ، ومشاهدتهم لأنواره وسماعهم لكلامه ، وصلاتهم خلفه ، وتلذذ أرواحهم بسماع قراءته في الصلاة

وأيضاً حصل خير كثير وفتح عظيم للمتصلين به r بعد انتقاله للرفيق الأعلى ن وذلك مثل شيخنا الإمام أحمد بن إدريس الشريف الحسني رضي الله تعالى عنه فإنه كان بحراً في علوم التفسير والحديث وغيرهما . وله الباع الطويل في الكشف عن أسرار جواهر حكم القرآن فكم قد روي بغيث علمه من قلوب اهتزت وربت لحكمه وجواهرها فاستنارت بأنوار علمه بما وصلت به إلى رؤيته r يقظة ومناماً . والجمع به ظاهراً وباطناً والأخذ عنه r فرضي الله تعالى عن السيد أحمد بن إدريس وعن السالكين طريقه أجمعين

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدري

كتاب شرح الصدور

الفصل الاول : صلاة النبي

الفصل الثاني : صفة الرسول

الفصل الثالث : الأسباب

الفصل الاول : صلاة النبي

مما من الله تعالى به على أننى تلقيت حديث (صل صلاة المودع) وشرحه للقطب النفيس مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه عن شيخى واستاذى مربى المريدين ومرشد الذاكرين صاحب الكرامات والبركات القطب الكامل والهمام الفاضل السيد محمد عبد العالى الشريف رضى الله تعالى عنهما وذلك ببلدة دنقلا بشمال السودان وذلك فى عام 1352 هجرية بعد صلاه العصر وكان ممن حضر ذلك المجلس الشيخ بشير أحمد منصور والخليفه عبد الرحمن أحمد شاويش عليهما رحمه الله تعالى.

وقد ظهرت كرامة السيد الشريف الآن حيث وجه الله تعالى قلبى إلى طبع هذا الحديث وشرحه وسميته:

(شرح الصدور بإذن الخبير اللطيف بما تلقيته عن السيد محمد الشريف)

وقد شرح السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه هذا الحديث بنفسه العالى واجتهاده وهو لا يخالف المذاهب الأربعة فمن وافق كلامه مذهبه فهو من مذهبه ومن خالف كلامه مذهبة فلا نلزمه ان يترك مذهبة .

قال الناصر اللقاني – رضي الله عنه – : فمالك وسائر الأئمه

كذا ابو القاسم هداه الامه

فواجب تقليد حبر منهم

كذا حكي القوم بلفظ يفهم

وإذا قلد قلد شيخه العارف بالله – تعالى – فلا شيء علية فى ذلك .

والله سبحانه الموفق ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آلة فى كل لمحه ونفس وعدد ما وسعه علم الله

الحمد لله وحده ؛ وبة نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله .

وبعد ...

فالموعظة العظمي ؛ والوصية الكبرى التي يعم نفعها فى الدنيا والأخرى ؛ هي وصية رسول الله – صلى الله علية وسلم - :(صل صلاة مودع لا يصلى بعدها غيرها واجمع اليأس مما فى أيدى الناس) .

بيان صلاة المودع

فصلاة المودع فسرها رسول الله – صلى الله علية وعلى آلة وسلم – بقولة :(لا يصلى بعدها غيرها) ؛ ولانه إذا ظن ان هذه اخر صلاة من عمرة الوسع فى

تحسينها ظاهراً وباطناً بأن يصليها على ما كان رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – يصليها فقال : (صلوا كما رأيتموني أصلى) .

هيئه رسول الله وصحابته

صلى الله علية وآلة وسلم

عند الشروع فى إقامه الصلاه

وقد روينا بالعلم الصحيح وبالأسانيد المتصلة المشحونه بها الصحاح انه كان فى الجهرية إذا اقيمت الصلاة لا يقول المؤذن : (قد قامت الصلاة) حتي يكون الصحابة كلهم قياماً ؛ ثم يأمرهم – صلى الله علية وآلة وسلم – بتسوية الصفوف فكان يلصق احدهم كعبة بكعب صاحبة ؛ ومنكبة بمنكب صاحبة .

وقال - صلى الله علية وآلة وسلم - : (لتسون الصفوف او ليطمسن الله على الوجوة) وصمسها هو مسخها حتي ترجع فى الاقفاء ؛ كما قال تعالى : (يا أيها الذين أوتو الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها)

وقال – صلى الله علية وآلة وسلم – : (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) وقد علمتم ما قال الله فى المختلفين : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

صفه رسول الله وصحابته

صلى الله علية وآلة وسلم

فى بدء الصلاه

فإذا استوت الصفوف كبر – صلى الله علية وآلة وسلم – جهرا مستحضراً عظمة الله وكبرياءة ؛ ثم تبعه الصحابة مكبرين سراً كلهم كرجل واحد ؛ لا يتأخر منهم أحد ؛ ولا يشتغل أحد منهم بتلفظ النية ولا غيرها ؛ والتلفظ بالنية بدعه مذمومه بل يذكرون الله حتي يدخلوا فى الصلاة بأي ذكر أرادوا وإن إستعمل هذا الذكر المبارك الذى علمة الحق لنبية سيدنا موسي علية السلام الذى يضاعف العمل ويسنمية فنعم ما عمل وهو هذا : (اللهم اني اقدم اليك بين يدى كل نفس ولمحه وطرف يطرف بها اهل السموات واهل الارض وكل شيء هو فى علمك كائن

او قد كان اقدم اليك بين يدي ذلك كلة) ثم يكبرون بعده ؛ وهكذا فى كل صلاة فرضاً كانت او نفلاً مأمومين كانوا او فرادي .

صفه رسول الله وصحابة

صلى الله علية وآلة وسلم

فى قيام الصلاة

ثم كان – صلى الله علية وآلة وسلم – يسكت قبل الشروع فى الفاتحة سكتة طويلة وكان يقول فيها أحياناً : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك .

و أحياناً يقول الله اكبر كبيراً (ثلاثاً) والحمد لله كثيراً (ثلاثاً) وسبحان الله بكرة وأصيلاً (ثلاثاً) وغالب هذا الاستفتاح يعني من قولة : الله اكبر ..... الخ ؛ يجعلة فى صلاة الليل .

وأحياناً يقول :(اللهم باعد بيني وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ؛ اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس ؛ اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد ؛ اللهم اني اعوذ بوجهك الكريم ان تصد عني وجهك الكريم يوم القيامه) . واحياناً يقول غير ذلك .

الجهر بالبسملة

ثم يقرأ – صلى الله علية وآلة وسلم – الفاتحه يبتدئها بالبسملة جهراً لانها آية منها . سئل رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – ما السبع المثاني التي آتاك الله ؟ قال : (الفاتحه) قالوا : انها ست آيات (الحمد لله رب العالمين) الى آخرها ؛ قال : (بسم الله الرحمن الرحيم إحدي آياتها) .

وقال – صلى الله علية وآلة وسلم –: (جائني جبريل – علية السلام – فعلمني الصلاة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم فجهر بها) وأحاديث الجهر بالبسملة بالغه مبلغ التواتر كلها مرفوعه ومن نفاها فلا حجه عنده بل هو محجوج لان المثبت مقدم على النافى .

وقول أنس – رضي الله تعالى عنه - : صليت خلف النبي – صلى الله علية وآلة وسلم – وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً منهم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لا حجه فية لانه نفى سماع نفسة ولم يرفع الى رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – بأن يقول : نهي رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – عن بسم الله الرحمن الرحيم فغايته انه قال : لم اسمع ؛ وغيرة قال : سمعت واذا جئ بشاهدين فى قضية فقال احدهما : سمعت . والآخر قال : لم أسمع . كان الذى سمع شاهداً ؛ والذى لم يسمع ليس بشاهد لا غير ؛ ولا تبطل شهاده الذى سمع من اجل الذى لم يسمع (لما قيل لأبي هريرة – رضي الله تعالى عنه - : انك تحدث كثيراً عن رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – مالا يحدث اصحابة ؛ قال : أرأيتم إن حفظت ونسوا فماذا ؟) مع ان النسائي روي عنه حديث عن النبي – صلى الله علية وآلة وسلم – فى البسملة قال : سمعت رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .

حكم تارك البسملة

فتارك البسملة تارك رأس الصلاة ؛ لان الله قد سمي الفاتحة الصلاة والبسملة رأسها . قال سبحانه وتعالى فى الحديث القدسي :(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل) .

وفى رواية صحيحه :(فإذا قال العبد :(بسم الله الرحمن الرحيم) يقول الله : ذكرني عبدي ؛ واذا قال العبد :(الحمد لله رب العالمين) يقول الله : حمدني عبدي ؛ فإذا قال :(الرحمن الرحيم) يقول الله : أثني على عبدي ؛ فإذا قال :(مالك يوم الدين) يقول الله :ر مجدني عبدي ؛ فإذا قال العبد :(إياك نعبد وإياك نستعين) يقول الله : هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ؛فإذا قال العبد (اهدنا الصراط المستقيم) الى آخر السورة قال الله :(هذه لعبدي ولعبدي ما سال) .

وروي عن رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – نحو خمسين من الصحابة ان البسملة آية من كل سورة ونحو خمس وعشرون من الصحابة منهم ابو بكر وعمر وعلى و أبه هريرة وغيرهم من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله – صلى

الله علية وآلة وسلم – يبسمل فى الصلاة اذا كانت جهرية جهر بها واذا كانت سرية أسر بها .

ثم كان – صلى الله علية وآلة وسلم – يسكت قليلاً بعد قولة : (ولا الضالين) ثم يقول : آمين يمدبها بصوته ويقول المأمومون معه : (آمين) يمدون بها أصواتهم ؛ وليس فى الصلاة فعل يساوي فية المأموم الإمام إلا فى قول (آمين) ؛ ويقول معه بلسان واحد حين يسمعونه يبتدئ بها فيبتدئون معه .

المأموم يقرأ الفاتحة

وكان – صلى الله علية وآلة وسلم – بين الفاتحه والسورة يسكت سكته طويلة بقدر ما يقرأ المأموم الفاتحه على مهل ؛ لأن فيهم ثقيل اللسان ؛ والإمام يسبح الله فى تلك السكته بما شاء حتي يفرغ المأمومون كلهم من الفاتحه ؛ لأنه قال رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – : (سيروا بسير ضعافكم) ؛ وقال – صلى الله علية وآلة وسلم – : اقرأوا فى سكتات الإمام) ؛ وقال : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحه الكتاب) ؛ ولم يفرق بين إمام وفذ ومأموو ؛ بل جعلهم فى الحكم سواء وإلا فهو المأموم من عند الله بالبيان والمكلف به فلو كان لغير المأموم لوجب علية ان

يبينه فالرسول – صلى الله علية وآلة وسلم – لا يترك البيان الذى انزل علية الذكر من اجلة ؛ قال الله عز وجل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) واذا لم يبينه هو اين نطلع علية ؟ أننصب لة سلم الكهانه ؟

قراءة الفاتحه واجبة على كل مصل ؛ قيل لعمر – رضي الله عنه – : أنقرأ وراء الامام؟ قال نعم ؛ قيل له : وإن كنت الإمام انت ؟ قال : وإن كنت الامام انا ؛ مع ان عمر قال : وددت ان الذى يقرأ وراء الامام ان ألقم فى فمه حجراً . يعني يقرأ غير الفاتحه ؛ بدليل قولة : نعم وان كنت الامام انا .

وحاصل هذا الحديث : (اقرأوا فى سكتات الامام) هو الذى يجمع به العبد بين قولة تعالى : (فإذا قرا القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وبين قولة – صلى الله علية وآلة وسلم –: (لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحه الكتاب) .

واذا كان المام غفير متبع لرسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – لا يسكت قدر ما يقرأ المأموم الفاتحه على مهل فهو آثم ؛ والمأموم يقرأ الفاتحه بعد أن يختمها الامام وإلا بطلت الركعه التي لم يقرا فيها الفاتحه لانه – صلى الله علية وآلة وسلم – قال : (لا تقرأوا فى شيء مما يقرأ بها) ؛ واذا كان مسبوقاً وجاء

بعد أن شرع الامام فى السورة يقرأ الفاتحه ولا اثم علية لقولة – صلى الله علية وآلة وسلم – : (ما امرتكم به فأتوا بة ما استطعتم) .

ثم كان – صلى الله علية وآلة وسلم – يبتدئ السورة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) ؛وكان يقف عند رأس كل آية فى الفاتحه وفى السورة ؛ وهكذا فى سائر التلاوة خارج الصلاة إلا اذا كانت الآية طويلة انقطع نفسه فى أثنائها فكان يبتدئ من حيث وقف ؛ ولا يرجع الى ما وراءة .

وكان اذا ختم السورة سكت سكته لطيفة ثم ركع مكبراً .

الفصل الثاني : صفة الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

فى الركوع فى الصلاة

وصفة الركوع انه كان ينزل قليلاً قليلاً وهو مكبر ؛ ويمد التكبير الى ان يطمئن راكعاً ؛ فإذا اطمئن راكعاً تبعه المأمومون كلهم كرجل واحد مكبرين سراً ؛ ولا يركع منهم أحد حتي يكون – صلى الله علية وآلة وسلم – حانياً ظهرة للركوع فيتبعونه ولا يبقى احد منهم واقفاً ؛ لأن ذلك من الاختلاف .

وامر الرسول – صلى الله علية وآلة وسلم – فى الركوع ان يقال : سبحان ربي العظيم وبحمده ؛ وفى السجود : سبحان ربي الأعلى وكان اذا ركع أحياناً لا يرفع حتي يظن الصحابة انه قد سها او نسي ؛ واذا رفع من الركوع قال : سمع الله لمن حمده ؛ ولا يزال قائماً حتي يظن الصحابة انه قد سها او نسي .

صفة رسول الله وصحابته

صلى الله علية وآلة وسلم

فى السجود فى الصلاة

واذا حني ظهرة للسجود لا يحني احد ظهرة حتي يكون قد ألصق جبهته فى الارض وانقطع صوته بالتكبير ؛ فيتبعونه بالسجود كلهم كرجل واحد مكبرين سراً ؛ ويمكث ساجداً احياناً حتي يقال : انه قد سها او نسي .

ثم يرفع مكبراً ولا يرفع احد رأسة حتي يكون قد استوى قاعداً وانقطع صوته بالتكبير فيقومون كلهم كرجل واحد مكبرين سراً ؛ وهكذا سائر الصلاة أفعالهم وأقوالهم فيها سواء كرجل واحد .

صفة التشهد

وفى التشهد روايات كمن جاء بواحدة منها فهو متبع ؛ أخفها ما فى الصحيحين: (التحيات لله والصلوات والطيبات ؛ السلام عليك ايها النبي ورحمه الله وبركاته ؛ السلام علينا .... الخ) .

وفى التشهد الأول يقتصر على الصلاة على النبي – صلى الله علية وآلة وسلم – ؛ ويتعوذ فى الأخير من أربع وهي : (اللهم اعوذ بك من عذاب جهنم ؛ واعوذ بك من عذاب القبر ؛ وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ؛ واعوذ بك من فتنه

المحيا والممات وسوء المصير) . ثم يدعو بما شاء ثم يسلم قائلا: (السلام عليكم ورحمه الله وبركاتة) عن يمينه وعن يسارة .

مقدار الركوع والسجود

وكان مقدار ركوعه وسجوده – صلى الله علية وآلة وسلم – قدر ما يسبح ثقيل اللسان إحدي عشره أو ثلاث عشره أو خمس عشره تسبيحه ؛ فهذه الصفه الكاملة فى الصلاة ؛ والحالة الوسطي سبع تسبيحات فى كل ركعه وسجده قال – صلى الله علية وآلة وسلم – : (من حافظ على سبع تسبيحات فى كل ركعه وسجده من الصلاة المكتوبة ادخله الله الجنه) ؛ وعند ابي داوود بإسنا صحيح : (اذا ركع احدكم فليقل فى ركوعه : سبحان ربي العظيم ثلاث مرات ؛ فمن فعل ذلك فقد تم ركوعه ؛ وذلك ادناه ؛ و اذا سجد فليقل فى سجوده سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات ؛ فمن فعل ذلك فقد تم سجوده ؛ وذلك ادناه) فجعل ادني من ذلك لا يكفى ولا يسمي ركوعاً ولا سجوداً تاماً فأدني القراءة فى الصلاة الاقتصار على الفاتحه وثلاث تسبيحات فى كل ركعه وسجده ولو انه ترك أباه أو ولده فى النزع أو طلعه القتال .

وبين السجدتين وفى الرفع من الركوع أقله أن يطمئن ويقر كل عضو منه موضعه وهو معنى الثلاث تسبيحات الدذكوره.

وقد قال – صلى الله عليه وآله وسلم- للمسىء صلاته : (ارجع فصل فإنك لم تصل) فلما كرر عليه ثلاثا وهو لا يتم الركوع ولا السجود كل ذلك والرسول- صلى الله عليه وآله وسلم يقول له : (ارجع فصل فإنك لم تصل) فقال : يا رسول الله ... والله لا أحسن غير هذا علمنى مما علمك الله قالإذا ركعت فلا ترفع رأسك حتى تطمئن راكعا ويقر كل عضو منك موضعه ثم ارفع ولا تزال رافعا حتى تطمئن ويستقر كل عضو منك موضعه) فجعل فى هذا الحديث الطمأنينة فرضا وفى حديث : (إذا ركع أحدكم فليقل فى ركوعه التسبيح المذكور .... الخ) يبين أن المراد بالاطمئنان هو التسبيح ذاته لا مقدار ذلك فقط فلابد من التسبيح وإلا فلا صلاه لقوله : (وذلك أدناه) وهو معنى الثلاث تسبيحات المذكورة .

كيفية تحسين الصلاة فى الباطن

وأما تحسينها باطنا فهو الخشوع لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم- : (إن وجه دينكم الصلاة فزينوا وجه دينكم بالخشوع) وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (الصلاة تخشع وتمسكن وتقنع وترفع يديك أخرها وتقول : (يا رب يا رب و إلا فهى خداج) وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا صلى مع الصحابه يسمع لهم أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

معنى الخشوع فى الصلاة

والخشوع هو الذبول تحت تجلى العظمة كما تذبل النباتات إذا طلعت عليها الشمس وإن لم يحصل الخشوع فالحضور بحيث يستحضر عظمة ربه وأنه بين يديه وأنه سبحانه وتعالى يتلو كلامه بلسان نفسه فان فقد هذا فما صلى كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم- : (لا يكتب له من صلاته إلا ما عقل منها) يعنى ما عقل فيها أنه بين يدى ربه وأنه ناظر إليه وأما استحضار أفعاله من القراءة والركوع والسجود ونحوها فذلك من جملة ما يشغله عن ربه قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : (إن فى الصلاه لشغلا) يعنى بالله وقال عز وجل (وأقم الصلاة لذكرى) أى لا لذكر أفعالك ولا غيرها ولا للسكوت .

صلاة المودع ميزان لكل عمل

وقوله – صلى الله عليه وآله وسلم – : (صل صلاة مودع) لأنه اذا علم أن هذه آخر صلاته أفرغ وسعه في الإتيان بها على الوجه الكامل الذى يرضى الله ورسوله وهذا الميزان يدخل فيه جميع الأعمال .

فكل عمل إذا دخل فبه الإنسان وقيل له:تموت عليه وبه يختم عمرك إذا كان صادقا فيه مع الله محسنا فيه لا يحب أن يتحول منه إلى غيره وكل عمل يتحول منه الإنسان إذا علم انه يموت عليه فليس بصادق مع الله محسنا فيه ولو كان في الظاهر قربه.

فمن كان فى عمل من تدريس علم أو صلاة أو غير ذلك وقيل له : هذا ملك الموت قائم عند رأسك ففر منه الى غيره ليلقى الله عليه فذلك المفرور اليه هو العمل الصالح والمفرور منه هو العمل الفاسد .

ذكر صلاة المودع فى القرآن الكريم

وقد ذكر الله صلاة المودع فى القرآن فقال : " واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم " يعنى ملاقوه (أى ملاقوا الحق سبحانه) فى تلك الصلاة لا ملاقوه تلك الصلاة ومعنى كونها (كبيرة) يعنى عظيمة لأنها حق الملك الأعظم وقوله : (إلا على الخاشعين) أى فهم الذين يعرفون كبرها ثم وصفهم بأنه (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) يعنى فى تلك الصلاة وهذا هو معنى قوله : (صل صلاة مودع لا يصلى بعدها غيرها)

شرح قوله

صلى الله عليه وآله وسلم

(واجمع اليأس مما فى أيدى الناس وقوله : (واجمع اليأس مما فى أيدى الناس) أى لا تشتغل بهم طلبا للرزق بل اشتغل بصلاتك واجعلها همك والله يرزقك وهذا هو معنى قول الله عزل وجل : " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك " وقوله : (لا نسألك رزقا) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل : يا رب اذا اشتغلت أنا وأهلى بالصلاة ونحن محتاجون الى ما تقوم به

ذواتنا من الرزق كيف يكون حالنا؟ قال :(لا نسألك رزقاً) يعني : لا نكلك فى رزقك الى نفسك بل نحن نرزقك .

وجمع اليأس مما فى ايدي الناس يوجب له عدم التملق اليهم فى رزقه ؛ من طمع فى احد ذل له و يخضع ؛ ويسقطه الله من قلبة بقدر ما طمع فية ؛ ومن قنع بما قسم الله له وعف كسته القناعه ثوب عز ؛ وحررته من رق المخلوق ؛ قال – صلى الله علية وآلة وسلم – :(ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلابد ان يمضغاة فكلة ويحك بعز ولا تأكلة بذل) والذى يأكله بعز هو الذى يأكله وقلبه متعلق بربة ؛ والذى يأكلة بذل هو الذى يأكلة وقلبة متشوف الى المخلوق فية .

وان اردت سؤال باللسان فلا تسأل عن ذل .

ونفسك من جمله الناس المأمورين بجمع اليأس عما فى ايديهم ؛ قال – صلى الله علية وآلة وسلم – :(لا يؤمن احدكم حتي يكون بما فى يد الله أوثق منه مما فى يده) لان ما فى يده لا يدرى هل يطعمه الحق له ؟ او يطعمه لغيرة ولا يحصل من جمعه له الا التعب ؛ ومشقته علية ؛ ولذتة ومهنؤة لغيرة ؛ وكم من اناس جمعوا مما حل وحرم وصار تعبة واثمه عليهم وانتفع به غيرهم من وارث او ظالم ونحو

ذلك ؛ واما ما يجعلة من العمل الصالح فهو له قطعاً لا يقدر ان يأخذة منه الجبار او وارث .

فالحق يقول لنا : ما لكم شيء ؛ انتم وما فى ايديكم فى يدي ؛ ان شئت اطعمتكم مما فى ايديكم ؛ وان شئت اطعمتكم مما فى ايدى الغير ؛ وان شئت اطعمت الغير مما فى ايديكم ؛ و الامر كله لى والتدبير لى فاشتغلوا بما امرتكم به ؛ وتوكلوا على اكفكم

الفصل الثالث : الأسباب

توجية استعمال المؤمنين للأسباب

واما الاسباب فاستعمالها على انها مأمور بها لا على انها تجري الرزق ؛ وها انت تري كم من سبب لا ينتج شيئاً ؟ وكم من سبب ينتج ولا ينتفع العبد بما انتجه ؟ فالذى يرى ان الله لا يرزقه الا اذا استعمل السبب فهو مسئ الظن بربة ؛ والظانون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ؛ والعبد الذى يعتمد على ربة فى

رزقه بسبب او بغير سبب لا يجتهد فى السبب ولال يهتم كانه رازق نفسة ؛ بل هو مأمور بالحرفة ؛ لا يدرى هل يجئ منها شئ ام لا ؟ ولا يطمئن بها .

حكاية : لمباشرة الاسباب وعدم الاعتماد عليها

حكاية : كان رجل من الصالحين خرازاً يخرز الاخفاف ولة دكان فى السوق؛ فكان اذا صلى الصبح فى المسجد جلس يذكر الله حتي تطلع الشمس ؛ ثم صلى ركعتين او ما شاء الله ؛ ثم ذهب الى حرفته ؛ فبينما هو كذلك اذ وجد فى نفسة الحاحاً على المبادرة الى صنعته من الصباح قبل ان يكمل ورده ؛ فقال لنفسة : ان الذى كتبة الله لا يزاد فية ؛ دعبنا نجلس نذكر الله فاذا جاء الوقت ذهبنا ؛ فلمن ترجع نفسة ؛ فقال لها : أبشري لا أطعمك مما يحصل من هذه الحرفة شيئاً ؛ ولا أترك الحرفة أريحك بل حرفة أقامني الله فيها لمنفعه عبادة أتحرك فيها الله ؛ وأحرمك الاكل منها والسلام ؛ فكان كلما دخل علية شيئاً منها تصدق به ؛ والحق رازقه وهو على ذلك الحال مع انه فى العرف الذى يراة الناس فى حرفته ما احد يعطيه صدقة لكون الناس يظنون انه قائم بحالته .

فمن كانت مباشرته لسبب مثل هذا لا يعول علية ؛ بل عنده هو والعدم سواء ؛ فهل صادق فى كونه لم يعتمد ومن يرى انه اذا فارق الاسباب جملة واحده انقطع عنه الرزق فهو كاذب فى دعواة عدم الاعتماد على السبب .

أصناف المؤمنين فى حصول الرزق لهم

والعبيد اصناف منهم المقام فى السبب وعلامته حصول النتيجه فية مع عدم الاعتماد علية ؛ وان يتقى الله فية ولا ينسى به ربة ولا يشتغل به عنه ؛ فاذا كان بيعاً وشراء لا يغش ولا يكذب ولا يحلف ولا يضيع الصلاة ؛ واذا كان فى زراعه لا يؤذى دابة ولا يجوعها ونحو ذلك .

ومنهم المقام فى عدم الاسباب ؛ ولا سبب له الا التقوي وهذا عزيز الوجود ؛ لان سبب هذا يجرى الرزق لجميع أهل الارض حتي النملة فى جحرها ؛ والحوت فى البحر ؛ والصيد فى الخلاء ؛ قال الله عز وجل : (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض) ومن ذلك القبيل مريم ام عيسى عليهما السلام فانها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ؛ ولما خرجت من المحراب كذلك ؛ فانها هزت الجزع اليابس فأثمر بالرطب ؛ وليس هذا

من سبب الا التقوي فان النخلة لو كانت مثمرة لا يحطها الهز فضلا عن جذع يابس ليس بمثمر أصلا . إفهم هذا .

و حكايات الرزق بغير سبب لا حد لها ولا حصر ؛ وفقنا الله واياكم والمسلمين أجمعين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلة فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله.

كتاب لوامع البراق

الفصل الاول : الذكر

فكتب على – حسب اجتهاده – البعض مما كان يلقية السيد رضي الله تعالى عنه .

ويلاحظ القارئ لهذه الكلمات ان ما كان منها غير موافق للرواية الصحيحه من الاحاديث او الالفاظ التي فيها تقديم وتأخير ان كل ذلك يرجع الى الكاتب عند سماعة وكتبة لما سمع .

وأقول وبالله التوفيق : الاستاذ عبد الكريم ابن حسين العتمي هو المذكور فى مناقب السيد احمد ابن ادريس رضي الله تعالى عنه عند قول صاحب المناقب السيد الادهلى :

وبعد مقام السيد بن احمد ادريس رضي الله تعالى عنه لدينا نحو تسعه اشهر – وفى اثناء هذه الماده دعاه الشيخ ليصلح بينه وبين (حزام) عزم السيد على الطلوع الى تلك الجهة ؛ ولما شاع خبر العزم استفهمه العلامه عبد الكريم العتمي بقولة لة (فى تعريف مولاى سمعت بعزمكم على الطلوع الى وصاب وقد وقفت فيما سبق على اثر (فىآخر الزمان تأوى الدين الى وصاب كما تأوي الحية الى جحرها) فعلمت انه انتم واذكر فى عزمكم ما خطب به ابو البركات شيخه لما نزل

عنده ومكث عنده اياماً ثم عزم على الطلوع الى وطنه ؛ فلما سمع ابو البركات بعزمه كتب الى شيخه يستفهمه عن صدق الخبر بقولة : أشمي الغرب حقاً ما سمعنا

بأنك قد سئمت من الاقامه

وانك قد عزمت على الطلوع

الى افق سموت بع علامه

فقد زلزلت منا كل عضو

بحق الله لا تقم القيامه

ولما سافر السيد احمد لبن ادريس رضي الله تعالى عنه ونزل بقرية الركب وطلع الى وصاب ومكث فيها اياماً ثم قدم الى زبيد ثانياً ومكث فيها تمام المده المذكورة تحركت همته الى الشام فوقع مع الخاص والعام الامر العظيم من مشقة

سيرة لما سيفوت بسبب ذلك من الفوائد والعوائد ؛ والامر كله لله تعالى ولسان الحال ينشد ويقول :

قد كان حالى بكم حالياً

ولكنها العين أصابت فحال

فلذة العيش وقد بنتمو

عن نظر المشتاق عين المحال

ولما ازف الوداع اجتمع خلق كثير لتشييعه وانشد المنشد القصيده للأخ العلامه الوجية عبد الكريم بن حسين العتمي ؛ وكثر عند انشادها البكاء والنحيب العظيم من الخاص والعام ؛ ووقع ان شاء الله تعالى ضمن ذلك الفضل الرباني الشامل العام بقولة رحمه الله تعالى : أما آن أن يتوقف الركب منشد

وينجد ملهوف الشكاية منجد

على رسلكم لا تعملوها فإنما

مواطنها أحشاء قوم وأكبد

خذوا من ثري آثارها قبضة لنا

فطيب ثراها لنواظر إثمد

ألم تعلموا ان العقيق تشعبت

مجارية فى خد الحزين تخدد

زرفت دموع العين يوم فراقكم

وما بعده فاليوم للأمس مسعد

ألا فاذكرونا طول الله عمركم

فقد قام مخدوم الصبا خاب هدهد

على اننا لا نعرف الخبء إنما

بنا ما بنا مما يقيم ويقعد

قصور التداني شامخات بلملم

وعجز علية شاهد الحال يشهد

ونحن وإن كنا شيوخا فإنما

لأحلامنا مهد الصاغر يمهد

وقد رضعت من حافل الفيض منكم

لبان الهدي يروي العليل ويرشد

الم تعلموا ان الرضاع لمده

وما كملت فاستكملوها لتسعدوا

ابي الله ان ينأي بنا طلب العلا

على حيث ما كنا واحمد احمد

نزلتم بنا لا بل نزلنا لاننا

وردنا حياضا لم تكن قبل تورد

كأنك حوض المزن طأطأ رأسة

فيا حبذا منكم شهود ومشهد

وانك ظل الله مد رواقه

تفيأة منا قريب ومبعد

وصل بصلاة الله ذاتا وعنصرا

مع الآل والاصحاب ما الله يعبد

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آلة وسلم فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله

وهذا نص الرسالة المخطوطه

بسم الله الرحمن الرحيم

لوامع البروق النورانية

من كلمات شيخ الطريقة المحمدية الاحمدية يقول العلامه عبد الكريم بن حسين العتمي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آلة وسلم فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله

حينما وصل سيدي ومولاي السيد احمد بن ادريس رضي الله تعالى عنه ببندر الوصاب سنه 1245 هـ قد امليت منه هذه الفوائد فى التحقيق والمعارف :

اهمية ذكر الله تعالى

قال قدس الله سره النفيس : اعلم ان الذكر هو العمده فى الطرق الموصلة فلايصل احد الى الله تعالى الا بدوامن ذكرة . قال تعالى: (اذكروا الله ذكراً كثيرا ؤوسبحوة بكرة واصيلا) وقال صلى الله علية وآلة وسلم فيما يروية عن ربة (ابن آدم اذا ذكرتني شكرتني واذا نسيتني كفرتني) وقال صلى الله علية وآلة وسلم : (لكل شيء صقال وصقال القلوب ذكر الله) وقال ابو على الدقاق : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اوتي المنشور ومن سلب فقد عزل . وقال القشيري : قال السري : مكتوب فى بعض الكتب المنزلة (اذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته) .

أنواع الذكر

والذكر ثلاثة انواع : الذكر باللسان والذكر بالقلب والذكر بالروح فبالاول يتوصل الى الثاني والثاني يتوصل الى الثالث الذى هو الغاية القصوى

وحقيقة الذكر ان تذكر الله تعالى وانت ناس لكل شيء سواة ولاجل هذا قال ذو النون المصري رضى الله تعالى عنه : من ذكر الله على الحقيقة نسي فى جنب ذكرة كل شيء وحفظ الله تعالى فى كل شيء

افضل الذكر

وافضل الذكر لا اله الا الله لقوله صلى الله علية وآله وسلم : (من احب شيئا أكثر ذكرة) وقال : (من اطاع الله فقد ذكر الله) قال تعالى : (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وسل الشبلى متي تستريح ؟ فقال : مادمت له ذاكراً

والشكر عند القوم على المكارة كصبرة على الحجاب . وصورتة فى البدئيات الثناء على المنعم باللسان والجوارح ومن العبادات معرفة النعم ورؤيتها من المنعم وفى المعاملات رؤيتها نعم من الله تعالى وشكراً على اقدارة وتمكينه منها ومتوفبقة لها ودرجته فى الاصول هو غاية ادب الحضور والشكر على نعمة القصد والعزم والفقر والغني وفى الادوية سلوك مسلك علم وفى الاصول استحلاء البلاء وفى الولاية ان تشهد فى النعم الا المنعم دونها فى عين حقائق الاغراء فى نور الجمال .

الحث على الذكر بـ (لا اله الا الله)

يا غافلا عن ذكر الله استيقظ من غفلتك اذ لا ينبغى للعبد الغفله عن ذكر سيده وخدمته وآداء فروض افترضها علية اذ هو ولى نعمته وقال يا اخي بالله عليك (لا اله الا الله)

ومدها بالتعظيم لا تفتر عن هذا فى كل وقت وحين روي ان رجل سأل سهلا بن عبد الله تعالى عنه عن القوت فقال : هو الحي الذى لا يموت فقال : انما سألتك عن القوام فقال : القوام هو العلم فقال : سألتك عن الغذاء فقال : الغذاء هو الذكر فقال : انما سألتك عن طعام الجسد فقال : مالك والجسد دعه لمن تولاة وال يتولاه آخر اذا دخلت علية علة فردها الى صانعه اما رأيت الصنعه اذا عيبت ردوها الى صانعها حتي يصلحها وقال الله تعالى : (اللذ1ين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال : (تتجافى ذنوبهم عن المضاجع) الآية وإنما دلتك على هذا الخير العظيم وامرتك بعدم الغفله عنه بما ورد ان الدال على الخير كفاعله .

اهمية الذكر بـ (لا اله الا الله)

فإن ذكر (لا اله الا الله) مفتاح الجنان وطهارة للجنان من الامراض القلبية و طهارته منها فلا يداوي القلب من عللة الا المداومه على الذكر وانها ذخيرة الذكر عند ربة (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه) ومن أعظم الخيرات (لا اله الا الله) قال ابن عاشر : وهي أفضل وجوه الذكر

فإشغل بها العمر تفز بالذخر

يعني (ان لا اله الا الله) هي العروة الوثقى قال تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله قد استمسك بالعروة الوثقى)

(لا اله الا الله)

كلمه التقوى

وهو ايضا كلمه التقوي وقال تعالى : (وألزمهم كلمه التقوى) فمن واظب عليها مراعيا لآداب الشرعه رقى فى مراقى ومنازل الصالحين الذين صلحت أعمالهم ؛ وتحسنت أخلاقهم ؛ وطابت نفوسهم ؛ والمراقى : المراتب ؛ والمرتبة : المكانه ؛ وهي المنزله التي هي ارفع المنازل عند الله ؛ ويمكن ان يراد بالمراقى ايضاً

المطالع والمطلع هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة ايه من ايات الله متحلياً فى الصفه التي هي مصدر كل الآيات وان يراد بها المقامات والمقام هو : استيفاء حقوق المراسم فإن لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصلح له الترقى الى ما فوقه

لاإله إلا الله

كلمة الإخلاص

فإن(لاإله إلا الله) هى أيضاً كلمة الإخلاص لأن من نطق بها مستحضرا لمعناها أخلص الربوبية لله وحده لما اشتملت عليه من النفى الذى هو(لا إله) والاثبات الذى هو(إلا الله) فيجب إذن على ذاكر كلمة الإخلاص الاستسلام والانقياد.

قال صاحب الحكم العطائية :من جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره وزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنه عليك حيث جمع لك بين عبادة الظاهر

وعبادة الباطن وكلمة التوحيد هى دليل الاختصاص وعلامةعلى أن الله اختص ذلك الذاكر بأنوار التوحيد .

الفصل الثاني : التوحيد

فوائد الذكر بكامة التوحيد

وإن (لاإله إلا الله) كلمةشريفة عظيمة فهى سبب فى النجاة من المهالك والمخاوف فقد ورد فى فضلها أحاديث واخبار وآثار وهى طريقة الخواص من عباد الله المتقين وداب السادات فإن (لاإله إلا الله) كنز من كنوز الجنة لما اشتملت عليه من العقائد الدينية وأمان من شدائد ومعضلات القيامة والخلود فى النار (ولاإله إلا الله)مشتمله على المعتقدات والكنز الخفى عند القوم هو الهوية الأحدية المكنونة فى الغيب وهى باطن كل باطن .(لاإله إلا الله) أمان من مكائد الشيطان وهو الوسواس فإذا أورد العبد (لاإله إلا الله) علىقلبه ارتحل منه الشيطان وذلك لأن الشيطان جاثم على قلب الإنسان فهو منزله والأوهام والوسوسة يقرعانه أبداً .

التحريض على ذكر الله

فى الكتاب والسنة

ولذلك وقع التحريض على ذكر الله فى الكتاب والسنة كما وقع التحذير من الغفلة.

أما الكتاب فقال تعالى): ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين).وأما السنة فمنها ما أخرجه مالك رضى الله تعالى عنه فى الموطأ أن النبى- صلى الله عليه وآله وسلم- قال نا من آدمى إلا لقلبه بيتان فى أحدهماالملك وفى الآخر الشيطان فإذا ذكر اللع تعالى خنس وإذا لم يذكر الله تعالى وضع الشيطان منقاره فى قلبه ووسوس) ومنها ما أخرجه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قال من قعد مقعداًلم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة) ومعنى الترة : الوعد وأصلها النقص.

أقوال العلماء عن الذكر

وقال سهل رضى اله تعالى عنه: ما أعلم معصية أقبح من تركى لذكر الله سبحانه.

قال النووى رحمة الله تعالى :لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف انقطاع عن ذكر الله وقال أنس بن مالك- رضى الله عنه-ذكر الله-تعالى-علامة على تحقيق الإيمان وبراءة من النفاق وحزر من الشيطان وحصن من النار.

وقال مالك بن دينار رحمة الله تعالى من لم يأتنس بحديث الله عن حديث الخلق فقد قل عمله وضعف علمه وعمى قلبه وضاع عمره).

وقال الحسن : تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء :فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم ذلك وإلا فاعلموا أن الباب مغلوق لأن كل من لا يعرف الله تعالى لم يأتنس به. قال تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمن بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون).

من فوائد الذكر بكلمة التوحيد

فبالذكر تزول الوسوسة ويامن العبد من المكائد فى الخبر يقول الله تعالى لاإله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى) ويامن العبد من دخول النار ورد فى الحديث عن عثمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله- صلى اله عليه وآله وسلم- يقول إنى لأعلم كلمة لا يقولها العبد حقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)وفسر عمر رضى الله تعالى عنه الكلمة بقوله: هى كلمة الإخلاص فإن(لاإله إلا الله) هى مفتاح الغيوب وإنارة القلوب والمتاح عند القوم أندراج الأشياء كلها على ما هى عليه فى غيب الغيوب الذى هو أحدية الذات كالشجرة فى النواة تسمى بالحروف الأصلية لكن مراده- والله أعلم- بكونها مفتاح الغيوب التى تحصل لذاكرها. لما ورد أن من واظب على ذكرها على الوجه الأكمل يحصل له بها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة:منها ما يرجع إلى مكارم الاخلاق ومنها ما يرجع إلى الكرامات.

أما الأول فمنها :اتصافه بالزهد وهو خلو الباطن من الميل إلى فان.

ومنها : فراغ القلب عن الثقة بزائل فإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية المحضة وتصرفه فيه بالإذن الشرعى تصرف بوكالة خاصة ينتظر العزل عن ذلك المتصرف بالموت أو بغيره مع كل لحظة ونفس.

ومنها : نهى النفس عن التعلق بما لابد من زواله.

ومنها : التوكل وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الإضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الاسباب ولا يقدح فى توكله تلبس ظاهره بالأسباب لأن وجودها وعدمه عنده سيان.

ومنها: الحياء من الله وتعظيمه بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه والإمساك عن الشكوى من الله والشفقة على العجزة الفقراء والمساكين.

ومنها: الغنى وهو غنى القلب بسلامته من فتن الاسباب فلا يعترض على الأحكام بلو ولا بلعل لعلمه بحكمة الذى صدر منه الخلق المقدور والتدبير كذلك.

ومنها: الزهد وهو خلو القلب من الدنيا حرصاً وإكثاراً لقطعه بأن حاجته ليست عند شيء منها وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحاً وذماً.

ومنها: الإيثار لغيره على نفسه إلا ما لابد منه على حكم الشرع.

ومنها: الفتوة وهى التجافى عن مطالبة الخلق بالإحسان اليه ولو أحسن إليهم لعلمه بأن إحسانه إليهم وإساءتهم له كل ذلك مخلوق له تعالى (والله خلقكم وما تعملون) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فلم ير لهم إساءة حتى يذمهم عليها إلا أن يكون الشرع أمر بذمهم.

ومنها: الشكر وهو انفراد القلب بالثناء على الله- تعالى- ورؤية النعم فى طى النقم.

والفوائد كثيرة فمن كلمة الإخلاص واستعمال آدابها حتى يعرف ما ذكر بالذوق.

وأما الثانية فمنها: وضع البركة في الطعام ونحوه حتى يكثر القليل ويكفى اليسير وهذا مشاهد لأولياء الله كثيراً.

ومنها: تيسير دنانير أو دراهم أو كليهما أو غير ذلك مما تدعوا إليه الحاجة وبعضهم كان لا ينتصب على سجادته لذكر وصلاة في خلوته إلا وخلق الله على سجادته أو تحتها دراهم.

ومنها: تكشف له حقيقة ما يريد استعماله من الطعام فيعرف حلاله وحرامه من باطنه أو ظاهرة.

الإخلاص فى الذكر بكلمة التوحيد

وفوائد الذكر بها

وكرامات هذا الباب وفوائده كثيرة إلا أن المؤمن لا ينبغى له أن يقصدها بشىء من طاعته وإلا دخل عليه الشرك الخفى ومكر به والعياذ بالله-تعالى-إذ هذه من جملة ما ينبغى أن يصفى منها القلب عند ذكر كلمة التوحيد فليقطع التفاته إليها بالكلية وليكن قصده رضا مولاه الذى لا خلف له منه ولا غنى لمخلوق عنه فيكشف له الحجب عن عين قلبه حتى يتنزه فى ذلك الحمال العديم المثال ويتوجه مولاه عز وجل بعجائب وأسرار لا يمكن أن يعبر عنها المقال.

فلما كانت هذه الكلمة المشرفة مشتملة على هذه الفوائد كانت مفتاح الغيوب وإنارة للبصائر وصفاء للسرائر وكنزاً لكل ذاكر.

وهى أيضاً طهارة للذنوب لما ورد عن رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفرت لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات) وقال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على العباد أفضل من أن عرفهم (لا إله إلا الله) وإن (لا إله إلا الله) لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا.

أمر رضي الله تعالى عنه بالإكثار من ذكرها لما روى عن النبى- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (الذكر خير من الصدقة) وقال) الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها) وقال الله تعال: (فاذكرونى أذكركم) وقال : (اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) (فاذكروا الله عند المعشر الحرام واذكروه كما هداكم) وقال : (ولذكر الله أكبر) وقال فضيل رضى الله تعالى عنه: بلغنا أن الله عز وجل قال : (عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بيهما) وقال مولانا رسول الله- صلى الله عليه وآله- وسلم-: (ليس يتحسر أهل الجنة على

شىء لا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها) وقد جاء فى الخبر يقول الله- تعالى- للملائكة: (قربوا منى أهل "لا إله إلا الله" فإنى أحبهم) فإذا خرجوا من ظلمة النفس رفعت أقدامهم فما وضعت إلا فى حضرة الملك القدوس مؤتزرين بثوب الذل متردين برداء الانكسار لابسين حلل الوقار ويقدمهم الصدق والرعاية وبأيديهم توقيع العناية محفوظين بحفظ الكلاءة متوجين بتاج الولاية ناداهم عندما كشف لهم الحجاب مرحبا بكم معشر الأحباب حلوا بمنازل الوصول هذه مباشير القبول أنتم المسقاة وأنا الساقى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) كتب لهم منشور الولاية بقلم العناية.

وقال- رضى الله تعالى عنه- : تكرعوا من أسرارها الربانية والمواهب الصمدانية والسر عند القوم هو ما يخص كل شىء من الحق عند التوجه الإيجادى المشار إليه بقوله تعالى : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ولهذا قيل :لا يعرف الحق إلا الحق ولا يطلب للحق والمحب له والمعارف به قال- صلى الله عليه وآله وسلم- : (عرفت ربى بربى) وروى أن مولانا رسول الله كن يمشى فى الطريق ويقول : (قولوا " لا إله إلا الله " تفلحوا) وقال رضى الله

تعالى عنه :وبالجملة فهى دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة وطريق العلوم والمعارف والفوز باليقين.

واليقين ثلاثة أقسام : يقين العامة ويقين الخاصة ويقين خاصة الخاصة فالأول علم اليقين والثالث عين اليقين وهو شهود الحق حقيقة فى مقام عين جمع الأحدية وعين الشىء هو الحق من علم اليقين بالله وبمالك عند الله أن تتعاطى بين الخلق مالا تصغر به عند الحق وإن صغرت به فى أعين الناس بلا عتتراض من الشرع ولا منازع من الطبع.

من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد.

ومن حق اليقين الغرق فى كنه نفس الشىء ولهذا قال سيدى الحاج محمد صالح الرضوى البخارى فى الفرق بين علم اليقين وحق اليقين وقد أوضح ذلكحيث قال- رضى الله تعالى عنه- :إن مثل ذلك كشمعة لها ضوء فإذا أطبق الإنسان جفن عينيه بحيث لا ينظر إلا ببعض العين فإنه لا يرى الشمعة ويرى خطوط شعاعها فيستدل بوجود خطوط الشمعة على وجود الشمعة فإذا زاد على

ذلك حصل له عين اليقين بوجودها فإذا زاد علىذلك وارتقى حصل له حق اليقين.

من شروط الذكر

وقال- رضى الله تعالى عنه- : إن الذكر لا يصلح إلا مع حضور القلب ويروى أنه ليس أشد وأشقى فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعانى وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى وهو موضع الإخلاص فلابد حينئذ من حضور القلب وفراغه من الشواغل والعلائق والجلاء عند ظهور الذات لذاته فى ذاته والإستجلاء لظهورها لذاته فى تعيناته.

قال إبراهيم بن أدهم- رضى الله تعالى عنه : لا ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عتبات :

الأولى : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

والثانية : يغلق باب العزة ويفتح باب الذل

و الثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب

والرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

والخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

والسادسة : يغلق باب الأمن ويفتح باب الاستعداد للموت.

فوائد العزلة للذاكرين

وقال- رضى الله تعالى عنه- : أحرىثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة وهى أربعة : كشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق فى الكلمة قال الله-تعالى-: (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا)

الكون كله يذكر الله تعالى

وقال- رضى الله تعالىعنه- : افتح بصر بصيرتك فإنه ليس فى الوجود شىء إلا هو يقول (لاإله إلا الله) قال- تعالى- : (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) وقال

)يسبح له ما فى السماوات وما الأرض) وكل شىء يسبح ويدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه :

وفى كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

الفصل الثالث : الصفات

صفات لا إله إلا الله

وكلمة (لا إله إلا الله) هي التوحيد والتوحيد هو البداية وهو النهاية ومنها رجوع إلى البداية منها بدأ وإليها يعود كلمة لا إله إلا الله هي البداية والنهاية منها وإليها فهي الكلمة الطيبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب ودعوه الحق وكلمة التقوى والكلمة السوداء والعمل الصالح والعهد والحسنة والإحسان أما الكلمة الطيبة فقد قال تعالى :(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

كشجرة طيبة) وأما الكلم الطيب فقد قال تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب) والقول السديد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) والقول الصواب قال تعالى : (إلا من أذن له الرحمن وقال صوابها) ودعوه الحق قوله تعالى : (له دعوة الحق) وكلمة التقوى قوله تعالى : (وألزمهم كلمة التقوى) والكلمة السواء قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) والعمل الصالح قوله تعالى : (رب ارجعون لعلى اعمل صالحا) والعهد قوله تعالى : أم اتخذ عند الرحمن عهدا) والحسنه قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله خير منها) والإحسان قوله تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وهى الحصن الحصين قال تعالى في الحديث القدسي : (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي)

وقال رضي الله تعالى عنه تلذذوا بكلمة الإخلاص لأن المحب يتلذذ باسم محبوبة حتى يحصل للذاكر الوجد الذي هو غشيان الروح من استلذاذ الذكر

فضائل الذكر

قال عليه وآله والسلام -: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حلق الذكر

وذكر الله بالقلب سيف الخواص وباللسان سيف العوام

وبذكر الله تشرف القاع قال عليه الصلاة والسلام : (مجالس الذكر تنزل عليهم لسكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله على عرشه) وقال تعالى ـــ: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) وقد ورد في عده أحاديث (تشرف الأرض بذكر الله , ونوروا قلوبكم بنور لا إله إلا الله) .

والنور اسم من أسماء الله وتجليه باسم الظاهر يعنى الوجود الظاهر في صور الأكوان كلها وقد يطلق على كل ما يكشف المستور من العلوم الذاتية والواردات الإلهية التي هي تطرد الكون عن القلب.

ونور الأنوار هو الله تعالى فنفوس المتقين الذاكرين منوره بنور (لا إله إلا الله) مجبولة على حبه تعالى فكل سالك يذكر الله تعالى من حيث نفسه فهو متسبب

فإذا صار العبد روحانيا ربانيا وحل في المعنى صار من أهل الحقائق فالعبد هنا فني بنفسه وبقى بمولاه فذكره الله بالله وتوحيده الله بالله ومعرفته لله بالله.

الذكر سيف الله تعالى

وبالجملة الذكر سيف الله ولكن أنى للسيف ضارب إلا بقدرة مستفادة من حضرة رب السيف فإذا استمدت جاءت المدد قال تعالى وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وقال-صلى الله عليه وسلم- : (اذكر الله فإنه عوم لك على ما تطلب)وروى الشيخان مرفوعا عن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- يقول الله عزل وجل : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني) فكلمة (لا ’له إلا الله) منعاها هنا بمنزله الروح مع الجسد وكما لا ينتفع بالجسد دون الروح كذلك لا ينفع بهذه الكلمة بدون معناها فعلماء الفضل أخذوا هذه الكلمة بصورتها ومعناها وزينوا بصورتها ظواهرهم وزينوا بمعناها بواطنهم فحصل لهم بها خيرا الدنيا والآخرة وبرز لهم شهادة القوم بالتصديق (شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

التوحيد ومراتبه

فالتوحيد هو اعتقاد الوحدانية لله تعالى ومراتبه ثلاث:

توحيد العامة : وهو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله.

وتوحيد الخاصة : ألا ترى مع الحق سواه.

وتوحيد خاصة الخاصة :بأن لا ترى سوى ذات واحدة.

والتوحيد الذي اختصه الحق لنفسه هو التوحيد القائم في الأزل.

لا إله إلا الله

عصمة دنيوية وأخروية

وقال- رضي الله تعالى عنه- (لا إله إلا الله) هي الكلمة العالية من استمسك بها فقد سلم ومن استعصم بعصمتها فقد عصم (أمرت إن أقاتل الناس حتى يقولوا : (لا أله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) (ومن قال لا غله إلا الله دخل الجنة).

وفى هذا القدر كفاية لمن وفقه الله وهذا من باب النصيحة لقوله- صلى الله عليه وآله وسلم- : (الدين النصيحة) وقال- صلى الله عليه وآله وسلم- : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) وأذكركم بقول الله تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

كتاب كيمياء اليقين

الفصل الاول : كنز المؤمن

الفصل الثاني : هم المؤمن

الفصل الثالث : أخلاق النبى

الفصل الرابع : الفقر الصبر الغني الشكر

الفصل الخامس : المعروف

الفصل السادس : حكاية

الفصل الاول : كنز المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه المؤلف

الحمد لله الذى جعل قلوب أولياءة محلا لليقين واعطاهم بذلك اليقين جنه معجلة يتنعمون فيها بالراحه الكبرى فى الدنيا قبل الآخرى حيث كانوا على ربهم متوكلين وقد برئوا الية من التدبير معه حالة وجودهم كحالتهم اذا كانوا معدومين فلما اكتفوا به كفاهم جميع المؤنه فلا تجد ملبوسهم ومأكولهم ومركوبهم ونحوها الا احسن ملبوس ومأكول ومشروب كأنهم ملوك وما هم الا ملوك اليقين .

والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد المتوكلين وآله الذين لم يتهموا الحق فى رزق ولا غيرة بل رضي عنهم ورضوا عنه فلا تجدهم الا فرحين مسعفين لأقدارة وفى طي أحكامه مندمجين .

اما بعد

فيا ايها العبد كن واثقاً بربك فى رزقك واجعله كنزك كما قال رسول الله صلى الله علية وآله وسلم :- (كنز المؤمن ربة) ولتكن بوعده الصادق الذى قد وعدك بة من الموقنين فإن الاهتمام بالرزق تكذيب لله عز وجل وانت لا تحب من يتهمك فى وعدك ويكذبك مع انك يمكن ذلك منك ويحتمل فى حقك تخلف الموعد باختيارك وبغير اختيارك فإنك قد يعرض لك من الاسباب ما يحول بينك وبين الوفاء بما وعدت ومع هذا كلة لا تحب بأن ينسب إليك الخلف فكيف بمن هو على كل شيء قدير ؟ وهو أصدق القائلين : (ومن أصدق من الله قيلا)

والاحاديث وآيات فى الرزق والأسباب التي ترسخ فى القلب اليقين أكثر من ان يعدها عاد وانما أظلمت القلوب بكثرة الهلع فعمي إنسان عين بصيرته عن إدراك ذلك ولا يزول ذلك إلا اذا طلعتعليها شمس يقين من صحبة عارف متمكن فية كما قال الرسول صلى الله علية وعلى آله وسلم : (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين) فجعلت هذه الوريقات لتكون محسنه لمن صحبها وإلتمس أدبها بهدية الطمأنينه بالله وقت ما واذا انفتح الباب سهل الدخول لمن هدي الله

(واولئك هم أولو الألباب)

فإفهموا إخواني وفقني الله واياكم عن ربكم ما يقول واعقلوة بذكي العقول

قال الله عز وجل : (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وكل فى كتاب مبين)

فعبر بـ(على) التي فى لغه العرب للوجوب والثبوت ولم يعبر بالام التي هي للتخيير حتي يتحمل انه سبحانه له ان يرزقها وله ان لا يرزقها بل قال : (علية) يعني حقاً كقولة (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) والحق لا يضيع حقاً علية والمستقر ما يأتيها فى مستقرها ومكانها الذى هى مستقرة به فينساق إليها والمستودع أيضا ما استودعه الحق الأرض من كل ما نبت كما قال تعالى : (وقدر فيها أقواتها) الخ واذا يريد اخراجه منها ينزل عليها الماء بمطر او غيرة فيأمرها فتخرجه .

حكمه الله تعالى فى جعل رزق عنده

ومن رحمه الله سبحانه بنا ان جعل الرزق عنده فلو اعطي كل واحد منا جميع رزقه من حين يولد الى يوم يموت من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب ونحوها لعناه غاية العناء واتعبه غاية التعب من وجوه شتى فإنه اذا اراد ان يتحول من مكان الى آخر يحتاج الى ما يحمل علية ذلك كلة واني له بذلك ؟ خصوصاً من البلاد البعيده كالمغرب الى مكه مثلاً وايضا ينغص علية عيشة غاية التنغيص فإنه يعرف يقيناً انه عند انتها ذلك ينتهي اجلة فلا يزل حزيناً ويسكبه ذلك البخل لأنه يرى انه ينفق من عمرة فتغيب الحق ارزاقنا عنا لنا فية النفع الدنيوي والديني اذا كنا نفهم عنه سبحانه وتعالى .

من الأدلة على ان الرزق مضمون

وقوله : (كل فى كتاب مبين) الكتاب فى اللغه : الثبوت والوجوب – قال الله عز وجل : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) يعني سأوجبها وإلا فهي وسعت كل شيء فما فائده ذكر : (سأكتبها) وقولة : (مبين) هخو الذى يبين عما فية حتي يفهم عنه ولا شك انه ابان عما فية غاية الابانه فكم اوقفنا الحق على ذلك من انفسنا وأرانا إياة فى غيرنا فان الواحد منا يجتهد غاية الجهد

فـعليه السلامى الجمع والادخار ويعطه الحق لغيرة وآخر لا يتسبب فى شيء ويعطيه رزقاً هنيئا مريئا على فراشة فهو يقول للعبد بذلك الفعل : جميع ما فى يدك وما فى يد غيرك فى يدي فإن شئت أطعمتك مما فى يدك وان شئت اطعمت ما فى يدك للغير وان شئت اطعمتك مما فى يد الغير فما لك شيء ان فهمت فأرح نفسك والا اتعبها ولم تحصل على طائل (قل ان الفضل بيد الله) الخ الآية .

وفى الحديث القدسي : (يا عبدي تريد واريد فغن سلمت لى فيما اريد أعطيتك وما تريد وان نازعتني فيما اريد اتعبتك بعد ذلك ولا يكون الا ما أريد)لا وقال عز وجل فى كتابة العزيز : (من كان يريد العجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) فاراده مثل هذا لا تنفعه بل تضرة ولا يعجل له شيء لم يعجل له فبان ان بعض العباد يعجل له من مراده ما علم الحق انه يعجله وبعضهم لا يردي الحق له تعجيل شيء من مراده فلا يعجل له شيء منه لأنه قال : لمن نريد .

وفى الحديث : (لو ركب الانسان الريح وهرب من رزقه لركب الرزق البرق وأدركه حتي يدخل فى فمه) .

وقال عز وجل فيما حكي فى وصية لقمان لابنه : (يا بني انها ان تك مثقال حبه من خردل فتكن فى صخرة او فى السماوات او فى الارض يأت بها الله) أي إليك يعني مثقال حبة من خردل من رزقك يوصلها الله اليك اينما كنت وحيثما كانت والا فما ثمرة الاتيان بها (وكفا بنا حاسبين) ؛ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرة ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرة) فلا مكان يوارية من الحق حتي يغيب فية شيئاً من عملة ؛ (ووجدوا ما عملوا حاضراً) ثم قال بعدها (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف) الخ . يعني ليكن همك ما خلقك ربك من اجله وامرك به لا ما ضمنه لك من الرزق كما قال فى الآية الأخرى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ؛ لا نسألك رزقاً) يعني: لا نكلفك رزقك (نحن نرزقك والعقبة للتقوى) فلما امر سبحانه بالصلاة والاصطبار عليها ورد سؤال حالى كانه قيل : يا رب إذا إشتغلنا بهذا ونحن محتاجون الي ما تقوم به ذواتنا من الرزق ضعنا ؛ فقال سبحانه : (لا نسألك رزقاً) ومن سوء ادبنا مع ربنا عبر عنا بالدواب التي خلقت من اجلنا فقال عز وجل : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) وقدمها فى الرزق علينا لحسن توكلها على ربها ؛ فهو يقول : يا أيها الزاعمون انكم مؤمنون بي ومصدقون بوعدي ؛ هذه دواب خلقت من اجلكم ومسخرة لكم الأنسي منها

والوحشي منها متوكله على لم تشتغل بتدبير رزقها بل تأخذ مما أعطيتها ما يسد جوعتها ولا تدخر غيرى فأى طائر او دابة فى الارض فى عنقها جراب تخزن فيه رزقها؟ وها انتم ترون الكلاب اذا وجدت اذا وجدت رزقها من فريسة ميته او غيرها تأكل فإذا شبعت تركتها وذهبت ؛ وهكذا النسور ؛ وكذلك الطيور اذا وجدت حبا اكلت منه قدر شبعها وتركته وانتم اذا وجد الواحد منكم شيئاً ملقى بالأرض اخده وجعل ينبش فى الارض ويبحث حتي يستأصل مادتهه فكم هذا السوء فيكم ؟ افلا ترجعون الى ربكم ؟ وتكتفون بحسن تدبيرة ولا تنازعونه وتخاصمونه وتؤذونه ورسولة بالشكوك فى وعد الرزق وغيرة ؟ و إذا رضيتم عنه رضي عنكم وأرضاكم ؟

المؤمن همه الآخرة

الفصل الثاني : هم المؤمن

وفى الحديث:(من كانت الآخرة همه جمع الله شملة وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمه ومن جعل الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقرة بين عينيه ولا

يأتية منها الا ما كتب الله له) والاخرة والجنه حيثما ذكرتا فالمراد منهما عند اهل الله مجاورة الله ورؤيته

وفى الحديث ايضاً : (من جعل الهموم هما واحدا كفاة الله امر دينه ودنياة ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله به فى اى واد هلك) وفية ايضا : (من اصبح وهمه غير الله فليبس من الله) .

حول تفسير : (وفى السماء رزقكم ...) واكبر من ذلك قول الله عز وجل : (وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) والمراد بالسماء ما علا الى ما نهاية له والمرادعليه السلام بالارض ما سفل الى ما لا نهاية له فيشمل السحاب فانه مسخر بين السماء والارض وزالمطر اذ ينزل منه لا منه لا من السماء التي هي محل القمر والنجوم وقولة : (وما توعدون) يعني من امر الرزق وغيرة .

وفى الحديث : (ضجت الملائكه الى ربها فقالت : ويح بني آدم أغضبوا ربهم بكثرة الهلع حتي أقسم لهم على الرزق) وليتنا بعد القسم اطمأننا وسكنا بعد ذلك وقوله : (مثل ما انكم تنطقون) وهل يشك احد فى نفسه هل هو ناطق ام لا ؟

فكذلك الرزق لا بنفل عن انسان كما لا تنفك عنه الناطقيه التي هى حقيقة من حقائق ذاته .

وقرئ : (وفى السماء أرزاقكم) بالجمع وقرئ (رازقكم) بصيغه اسم الفاعل ؛ والمعني ان الحق فى سماء العلو الذاتي فانه ظهر فى صورة النار لموسي علية السلام في الأرض لا فى السماء فالعلو بحسب المقام والمكانه لا بحسب المكان فاينما ظهر فهو فى سماء علوه فهو بمعني العلي اذ كان ولا شيء معه لا سماء ولا غيرها ففى الحديث : (كان ربك فى سماء ليس فوقه هواء وليس تحته هواء) لان الفوق والتحت من جمله خلقه فالحق خلق الجهات فهي المفتقرة اليه ولا يفتقر الية ولا يفتقر هو الى شئ فالجهه والزمان انما يميزان العبد ويتميزان به لا غير كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما كان علية .

وحاصل معني هذه القراءة هو معني : (وهو الله فى السماوتا وفى الارض) أي ما ثم غيرة فنه الاول والاخر والظاهر والباطن (فاينما تولوا فثم وجه الله) ومن كان سيده عليا كبيراً كيف يهتم برزقه ؟ فان من كان مالكا جهه من الارض لا يهتم عبده برزق نفسة ولو كان الناس يموتون جوعاً مع انه قد يصبح سيده فقيراً

او ميتاً فكم ملك أصبح معزولاً ؟ وغني اصبح عائلاً ؟ فكيف يهتم برزقه من كان

سيده له ملكوت كل شيء وبيده خزائن اللسماوات والارض ان لم يكن هو قطع

نسبته منه وادعي انه مالك نفسة ثم عبدها لأخس عبيده الذين خلقوا من اجله

وهي الدنيا (تعس عبد الدنيا تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد

الخميلة تعس عبد الخميصه تعس وانتكس اذا شيك فلا انتقش) فسماهم عبيداً

لهذه ولم يعلم ان احد منهم يسجد لها ويقولا لشئ منها : يا إلهي او يا ربي او يا

سيدي فعين شغله به ونسيانه ربه هو عين اتخاده ربا من دون الله مع انه يعلم يقينا

انه ليس له من ذلك الا ما يسد به جوعته او يوارى به عورته او يزيل بركوبة اعياءة

او مسكن يسكنه من الحر والبرد والآخر وهم يطمئن نفسة به ويلذذها وتلذذه

بالوهم واطمئنان قلبه به اطمئنان بالعدم وهو يجر لنفسه بذلك التلذذ والاطمئنان

البلاء المبين قال الله عز وجل : (ان اللذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا

واطمئنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون

) وقال فى الذين اطمأنوا بربهم : (اللذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا

بذكر الله تطمئن القلوب . الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبي لهم وحسن مآب

) فانظر الى اين مآل هذا ؟ والى اين مآل هذا ؟

بيان حجال المعتمد على الدنيا

فمن اعتمد على شيء من الدنيا سواء اكان فى يده او ليس فيها معتمد على بيت العنكبوت كما قال اللع عز وجل : (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت . اتخذت بيتاً) فكل من اعتمد على غير الله اعتمد على بيت العنكبوت وبيت العنكبوت لا يقى من حر ولا برد و اذا جاءته ادني ريح أخذته ولم تبق له اثراً .

قال رسول الله صلى الله علية وآلة وسلم : من أبل عند فساد الزمان إبلا واتخذ كنزا او عقارا مخافه الدوائر لقى الله سارقاً غالاً) .

حال النبي صلى الله علية وعلى آلة وسلم مع الدنيا

ولما مرض – صلى الله علية وعلى آلة وسلم – مرضة الذى خرج فية من الدنيا كان عنده سبعه دنانير وضعها عند اهلة فكان كلما أفاق من سكراته قال : (ائتوني بالدنانير) فيغمي علية قبل ان يؤتوه بها ؛ فلما اتوه بها المسكها فى يده اليسرى – صلى الله علية وعلى آلة وسلم – وصار يحركها بسبابته اليمني ويقول

(ما ظن محمد بربة لو لقيبة وعنده هذه ؟) يعني معتمداً عليها او تاركها لأهلة يعتمدون عليها فأمر بها فتصدق بها وترك اهله على الله لم يطمئن عليهم الا بالله ولم يكلهم الى شيء يتركه لهم والحال ان درعه مرهون عند يهودي فى عشرين صاعاً من الشعير ففعل هذا وتوكل فى قضاء دينه على الله تعالى .

وآخر الأمر من رسول الله – صلى الله علية وعلى آله وسلم – وهو السنه التي أبقاها فى أمته فالفطن الحاذق من اتبع رسول الله – صلى الله علية وعلى آلة وسلم – فى هذا وأمثالة وأما متابعته فى الركوع والسجود وحدها فهذا يقدر علية كل أحد وليس فية كبير فضل انما متابعته فى اخلاقه الكامله التي أثني الله علية بها بقولة : (وانك لعلى خلق عظيم)

الفصل الثالث : أخلاق النبى

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فمنها كونه رحمه للعالمين كلهم من الجن والانس والدواب وغير ذلك فضلاً عن المؤمنين الذين وصفهم الله بالرأفة والرحمه عليهم فقال : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) فكان لا يواجه احداً بما يكرة .

ومنها كونه عفواً كما امرة الله بقوله : (فاعف عنهم واستغفر لهم) يعني اعف عنهم فى حقك فإنهم لم يقوموا به واستغفر لهم فى حقنا فانهم لا يقدرونا حق قدرنا أي تب عنهم فمن يريد اتباعه - صلى الله علية وعلى آلة وسلم – فى ذلك يتوب عن جميع المؤمنين بالنيابه عنهم .

ومنهما كونه ذاكرا لله على كل احيانه لا بد ان تدخل علية التوبة قهراً علية وان اباها وهذا العفو امر كبير جدا فلذلك قال الله عز وجل : (ولا تستوي الحسنه ولا السيئة . ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) .

حول تفسير

(ولا تستوي الحسنه ولا السيئة)

ومعني (ولا تستوي الحسنه ولا السيئة) أي لا يتساويان فى المجازاة فمن عمل معك سيئة فلا يستوي مجازاتك له بسوء مع مجازاتك له بالاحسان وانما سمي الاحسان لمن اساء اليك جزاء لانه فى الحقيقة احسن اليكم لكونه ألبسك حلة الاسم الصبور والعفو والحليم فلو لم يصدر منه اساءة مانلت هذه المنزلة فقولة : (ولا السيئة) لفظ لا الثانية للأولى توكيد لفظي فهو يقول : لا تستوي الحسنه والسيئة وقولة : (ادفع بالتي هى احسن) يعني السيئة كقولة فى الآية الأخرى : (ادفع بالتي هي احسن السيئة . نحن اعلم بما يصفون)

حول تفسير

(وجزاء سيئة سيئة مثلها)

وقال فى اخري : (وجزاء سيئة مثلها) فجعل الجزاء بالسيئة سيئة وقوله : (مثلها) يعني لا أزيد والمثلة متعذرة فأني له بالميزان فى ذلك الوقت وهو مملوء بالغضب حتي يدخل علية من الألم قدر الذى أدخلة علية سواء بسواء ولما كانت المثلة متعذرة علمنا ان الله ذكر هذا الشرط شرط المثلة الذى لا يوجد ليفهمنا

ترك المشروط بذلك الشرط وهو الجزاء بالسيئة فهو يقول : اذا كنت لا تقدر ان تأخذ حقك من غير زياده لا يحل لك ان تزيد فتؤاخذ بذلك فلأن تلقى الله مظلوما خير لك من ان تلقاة ظالماً فالواجب ترك المجازاة بالسيئة اذ انتفاء الازم يوجب انتفاء الملزوم .

واما العفو عنه فى الدنيا وفى الىخرة فهو الرتبة العليا التي هي خلق النبي - صلى الله علية وعلى آلة وسلم – وأكابر الرسل والمقربين فذلك أمر آخر فمن هداه الله الية هداد الى الغاية الكبري من كمال اليمالن وحاصلة انه ليس له الا احد امرين : اما ان يترك الجزاء بالسوء ويطلب حقة فى الآخرة ؛ واما ان يعفو ويصير اجرة على الله ويكون من ورثته – صلى الله علية وعلى آلة وسلم - مع ان طلبة لحقة فية علية غاية الضرر لو فهم لأن الله يعامل العبد بوصفة وخلقة الذى يعامل الخلق به (سيجزيهم وصفهم) وفى الحديث القدسي : (يا عبدي انت تدعوا على من ظلمك ومن ظلمته يدعو عليك فإن شئت استجبت لك واستجبت عليك وان شئت اخرتكما حتي تسعكما رحمتي) فإذا اختار ان يستجاب لة ويستجاب علية ربما لا يرجع كفافا فإنه اول المظلومين الصلاة فان العبد اذا صلها فأساءها خرجت مكسوفة النور وهى تقول : (ضيعت الله كما ضيعتني) . وكذلك

الدابة إذا حملها فوق طاقتها وجوعها او عطشها او نحو ذلك فمن عفى عفى عنه ومن سامح سومح ومن اخذ الحق أخذ منه الحق ولا يلوم العبد الا نفسة فالامر بيده ان شاء ضيق والسلام .

وايضا سميت المجازاة بالسيئه سيئة لانها تسوء صاحبها اذا نادي المنادي يوم القايمه : ليقيم من اجرة على الله وليدخل الجنه بغير حساب فتقول الخلائق : ومن الذى اجرة على الله ؟ فيقال لهم : العفون عن الناس فيقوم كذلك سبعون ألفاً يدخلون الجنه بغير حساب لا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان لما عفى عنهم فإذا رأي هذا من لم تحسر وعض على يدية وقرع سن الندم حيث لا ينفعه ذلك .

ومن اكبر الضرر على من يطلي حقة كونه يصير مخاصماً للنبي – صلى الله علية وعلى آلية وسلم – هذا يجر الى جهة وهو يجر الى ضدها فإنه علية السلام يشفع فى امته ويحب لهم ان يتقدموا الى الجنه وهذا ماسك فى ظالمه يجرة الى الوراء فانظر الى اى شيء فعلة مع رسول الله علية السلام وهو يجر الى قدام وهذا يجر الى وراء وهذا هو النزاع ولمخاصمه الظاهرة فافهم .

من اخلاقه

صلى الله علية وعلى آله وسلم

ومن اخلاقه - صلى الله علية وعلى آله وسلم— الاعتماد على الله وحده والتوكل علية وترك الامر كله فى يده كما هو فيها من غير ان يختار غير ما اختار ربه له والوقوف عند حد عبوديته من غير ان ينازع الحق فى اسمه الملك واسمه الغني لمحه والتزام فقرة الذى وصفه الله به بقولة (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) وكان صلى الله علية وعلى آله وسلم— يقول : (الفقر فخري وبه افتخر) فجعل الفقر الذى هو حطه عند من لا عقول لهم فخرة ولما كان يذكر الامور العاليه من كونه سيداً ونحوة يقول : (انا سيد ولد آدم ولا فخر) فافهم .

وقال - صلى الله علية وعلى آله وسلم - : (لكل نبي حرفة وحرفتي الفقر والجهاد) يعني الفقر الى الله الذى هو عين الغني بالله لان الفقر هو فقد الشيء فان كان الشيء المفقود من القلب هو الله فذلك هو المذموم الذى ذمه رسول الله صلى الله علية وعلى آله وسلم بقولة : (كاد الفقر ان يكون كفراً) وقرنه بالكفر واستعاذ منه بقولة : (واعوز بك من الكفر والفقر) وان كان المفقود من القلب ما

سوي الله فذلك هو حرفة رسول الله - صلى الله علية وعلى آله وسلم — وذلك هو الغني المطلق فان لم يكن لشيء علية حق فيكون مطالباً للأشياء بحقوقها فان من كان غنياً بالأشياء كان علية من الحقوق للأشياء على قدر ما فى يده منها ومن كان كذلك لا يقدر ان يدخل حضرة الحق الخاصة لان الاشياء تطلبة بحقوقها فتمسكه وقد قال - صلى الله علية وعلى آله وسلم — (دعه فان لصاحب الحق مقالا) .

الفصل الرابع : الفقر الصبر الغني الشكر

بيان ان الفقر مع الصبر افضل من الغني مع الشكر

الصفحة الرئيسية

نبذة عن الموقع

السيرة الذاتية

كتب

صور

قصائد

خطب

لقطات مصورة

فمن ادعي ان الغني مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر فقد ضاد النصوص الشرعية كلها قال الله عز وجل : (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فرددناه الى الله فقال الله عز وجل : (واتبعوة لعلكم تهتدون) وها انت ترى حاله - صلى الله علية وعلى آله وسلم – الحاكم على الاحوال كلها حتي أحوال الأنبياء والمرسلين فانه سيد ولد آدم وما احسن ما اجاد بعضهم اذ قال فى الفقير وفى الغني

تنازع قوم فى الفقير وفى الغني

ودام لهم فى الحالتين جدال

فقيل لهذا عفة وتصبر

وقيل لهذا عطفه ونوال

وحال رسول الله اعظم شاهد

وشاهد ما فى الحال ليس يقال

وقد تحلت وهي الأثيرة عنده

يمكين له من كدها وشمال

تشاكت الية ما تلاقى فردها

عن المفرد المقصود وهي حلال

الى ان قال فى آخرها :

فآه على حال الفقير فانه

مقام ولكن ليس فية رجال

أي ليس ثم من يدق خيمته فى الفقر ويختارة كما اختارة – صلى الله علية وعلى آله وسلم – وقولة : (لعلكم تهتدون) يعني الى ما اهتدي الية ؛ والذى اهتدي اليه هو : (ووجدك ضالا فهدي) اى هداك اليك حتي علمت نفسك ان حقيقتها هي الحق قال الله عز وجل : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) .

والقاتل بتفضيل الغنى مع الشكر لم يتدبر القول فإنه إذا تأمل معنى هذا القول وجده مسفها لفعل الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– فهو يقول بالازم: الرسول ترك الأفضل واختار الأخس وهذا ليس من كمال العقل فانظر هذا القول ما أهجنه وما أفضحه وما أشنعه وما أبشعه وما أقبحه.

فتبين أن الفقر أفضل غذ لا احد يقدر على الشكر من الغنى كما يقدر عليه رسول الله–صلى الله عليه وآله وسام– ومع ذلك هرب إلى الفقر علما منه بفضله وإلا فلو كان بيده الدنيا كلها ما صرفها إلا فيما يرضى الله ورسوله قطعا فقد طلع النهار ان كان ثم أبطال والسلام.

فكيف يثق– صلى الله عليه وآله وسلم– بما يعطاه من العرض الفانى ويترك الاطمئنان بما فى يد ربه عز وجل وهو القائل: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون بما فى

يد الله أوثق منه مما فى يده) وهذا الحديث فيه من الوعيد لمن ام يثق بربه فى رزقه ما لا مزيد عليه فإنه نفى عنه الإيمان وهو كذلك لأنه كذب الله فيما وعد به وليس للكفر معنى غير تكذيب الله ورسوله ورد ما جاء به رسول من عنده.

وإذا قلت هذا الكلام لواحد ممن يدعى العلم وليس محققا بحقائقه أتاك بالتوحيد اللسانى وقال لك من الأسباب ما تنكر ونحو ذلك وهو لم يتفطن إلى كونه منهيا عن السبب الذى لا يدرى هل فى علم الله يجيء منه شيء أم لا.

واختيار رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم- الفقر للإقتداء به كما قال- صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : (ما لصبح فى آل محمد صاع من طعام ولا صاع من تمر ولا صاع من شعير) وما قال ذلك محمد سخطا لرزق ربه ولكن لتقتدى بمحمد أمته فلو اختار الملك والغنى لكان كل منا يطلب الملك ويقول للإقتداء وها هو مع أنه اختار الفقر كيف صار التنافس فى الدنيا والتزاحم فى الملك وهذا كله من كونه–صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين.

من أخلاق المؤمنين

وانظر إلى أخلاق المؤمنين الذى هم عند الله مؤمنون :جاء سائل إلى سيدنا على بن أبى طالب- رضى الله تعالى عنه- فسأله فأرسل على- رضى الله تعالى عنه- إلى فاطمة- رضى الله تعالى عنها- قال له: قل لها تعطيك درهما من الدراهم الستة التى عندها فجاءها فقال لها ذلك فقالت له: قل له إنه ترك كل واحد منها فى حاجة فجاءه فقال له ذلك قال له: ارجع قل لها تعطيك الدراهم الستة كلها فإنى سمعت رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول لا يؤمن أحدكم حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه مما فى يده) فجاءها فأعطته إياها فجاء بها إلى على فتصدق بها- رضى الله تعالى عنه- وعما قليل إذ مر رجل ببعير يقتاده فناداه على : يا صاحب البعير البيع البيع؟ قال له: نعم قال له : بكم تبيعه؟ قال : بكذا وكذا قال له : أنخه على أنا نؤخرك بثمنه شيئا فأناخه وذهب فجاء رجل فطاف بالبعير فقال : البعير للبيع؟ فأجابه على رضى الله تعالى عنه: نعم قال : بكم؟ قال: بكذا فزاد على على الثمن الذى اشتراه به ستين درهما قال: أخذته فعد له الثمن الذى اشترى به وستين درهما فأرس إلى البائع الأول على أنه رجل معروف فأوفاه ثمنه وأخذ الستين درهما إلى داره وجاء إلى فاطمة يخرخش

فيها فقالت له ما هذا؟ قال : هذا ما وعد الله به على لسان رسوله (الحسنة بعشرة أمثالها) أعطينا ستة جاءنا ستون فبينما هم كذلك إذ جاء رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فسلم عليهم فأذن له فدخل فلما استقر به المجلس حكى له الحكاية قال له : (يا على أتدرى من البائع؟) قال : لا قال : (ميكائيل) ومجىء جبريل فى صورة رجل معروف فى هذه القصة كمجيئه فى صورة دحية للبس فانظر ما أحسن الوثوق بالله لما وثق على رضى الله تعالى عنه بالله خدم له الملائكة فى رزقه جبريل جاء بجمل من الغيب حلالا طيباً وميكائيل جاء بدراهم من الغيب .

وقيل لبعض الاولياء بمصر : السعر قد غلا ؛ قال لو رجعت السماء نحاساً والارض رصاصاً واهل مصر كلهم عيالى ما ابالى منهم الرزق يعني فلا السماء تمطر قطرة ولا الارض تنبت عشبة فسمع بمقالته آخر فقال : لو كانت السماء نحاساً والارض رصاصا والخلق كلهم عيالى ما ابالي من هم الرزق.

حكايات

الحكايا الاولى :

جاء رجل الى بعض الاولياء بالمغرب فقال له : اريد الحج وما عندي ذاد قال له : هو الرزاق واحد فليس هنا واحد جواد وهناك آخر بخيل ... الذى يرزق هنا هو الذى يرزق هناك ثم قال له : قم فإذهب هكذا فى الشمس قال : مرحباً. فقام يمشي قال له : اترك ظلك لا يذهب معك قال له : كيف اعمل له حتي اقطعه عني ؟ قال : اجهد جهدك قال له : لا يمكن ! قال : هكذا رزقك لازم لك لا ينفك عنك كما لا ينفك الظل من الشخص اذا كان فى النور هكذا .

الحكاية الثانيه :

جاء رجل الى بعض الصالحين فشكا الية كثرة العيال وقله ذات اليد فقال : اذهب الى بيتك فكل من وجد رزقه عليك فاخرجه من بيتك وكل من وجدت رزقه على الله فدعه مكانه فقال له : ما منهم الا ورزقه على الله قال : هو ذاك يعني له مرتيين آه آه من ثقل حمل ليس على ظهرك منه شيء

الحكاية الثالثه :

كان رجل من الصالحين فى المسجد عاكف فية لا يخرج منه لتدبير رزقه ولا غيرة فجاء امام ذلك المسجد يوما فقال له : من اين تاكل ؟ فقال له : انت شاك فى وعد الله لا تصح الصلاة خلفك لا امكث حتي اقضي جميع الصلاة التي صليت خلفك .

الحكاية الرابعه :

كان رجل من الصالحين فى مسجد كهذا المتقدم فجاءة فجاءة امام ذلك المسجد فقال له : من اين تأكل ؟ قال له : هنا رجل يهودي تكفل بي كل يوم برغيفين رغيف عشاء ورغيف غداء قال له : اذا لا بأس فلما ادبر ناداه فجاءه فقال له : يا ضعيف اليقين ! : رضيت لى بزمه اليهودي ولم ترض لى بزمه ارحم الراحمين الذى له خزائن السماوات والارض لا البث حتي اصلى جميع الصلاة التي صليت خلفك .

الحكاية الخامسة :

كان رجل من الصالحين كهذين ايضاً لا يخرج من المسجد فقال له رجل :من اين تاكل ؟ قال له ولله خذائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون)

الحكاية السادسة :

كان رجل منهم ايضا بالمغرب كهؤلاء لا يخرج من المسجد فقال له بعض الناس :من اين تاكل ؟ قال: من عند الله . قال له : يدلى لك بالقفه ؟ قال له : العالم كله قفافه يدلى بما شاء فجاءه مره فقال له : يا فلان : عندى حاجه وقعت منى فى البئر اريدك ان تذهب معى وتخرجها الى قال له : مرحبا فذهب معه فدلاه فى بئر فى بيته بحبل فتدلى حتى اذا بلغ قعرها قال له:فك الحبل ففكه قال له : إجلس مكانك حتى يدلى لك بالقفه فذهب الرجل الى السوق فمكث بدكانه ما شاء الله يبتاع ثم رجع الى بيته فكانت امراته ارسلت الجاريه فاشترت طعاما يسمى السفنجه من الذ الاطعمه فى المغرب وجعلتا عليه السمن والعسل لتاكلاه فلما وضعتاه بين ايديهما فإذا بدق على الباب فما عرفتا اين تضعانه منه فامرت الجاريه ان تجعله فى قفه وتربطها بحبل وتدليه فى البئر ففعلت والرجل قاعد والقفه على راسه فاخذها واخرج الانيه وجلس الرجل ياكل حتى شبع ثم وضعها مكانها فى القفه فلما خرج الرجل جاءت الجاريه فاخرجت قفتها فلما جاء الرجل بالعشى جاء فاطلع على صاحبه وقال له : السلام عليكم فقال له : وعليك السلام قال له : دلى لك بالقفه ؟ قال : نعم دلى لى بالقفه فذهب الرجل الى الجاريه

فسالها فاخفته الخبر فقال له : لاوجعنك ضربا او تخبرينى فحكت له ان الست ارسلتنى اخذت سفنجا وسمنا وعسلا فلما وضعناه بين ايدينا وجعلنا عليه السمن والعسل سمعنا الدق على بالباب فاردنا ان نخفيه منك فما وجدناه مكانا يصلح لذلك غير البئر فجعلنله فى قفه ودليناه بحبل فى البئر فقام الى ذلك الرجل الصالح فاخرجه واعتزر اليه .

وحكايات الرزق بغير تدبير لاحد لها ولا حصر واظهر من ان تحتاج الى تبين وانما من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فها نحن نرى الحيتان فى البحر والصيد فى الفلاه سمينا ولا زرع عنده ولا تجاره ولا مال ورثه عن ابيه ولا جده ولا هو معاشر للناس ومجاور لهم حتى ياخذ مما عندهم كالفأر .

حكاية النمله مع سيدنا سليمان عليه السلام

ومن اعجب الحكايات ما قالت النمله لسليمان عليه السلام لما اتى على وادى النمل : (قالت نمله يايها النمل ادخلو مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها) الى اخره والذى اجبه منها فاضحكه كونها نزهته عن الظلم هو وجنوده بقولها (وهم لايشعرون) يعنى لا يتعمدونكم

بالوطءوالحطم فى اللغه : الهلاك وهو فى الظاهر معلوم اى الهلاك الدنيوى وفى الباطن الهلاك الاخروى ؛ لانه لما سالها سليمان عليه السلام : ما اردت بقولك (لايحطمنكم سليمان وجنوده) ؟ قالت : قلت لهم ذلك لئلا يروا ما انت فيه فيزدروا نعمة الله عليهم فلا يشكرون ما هم فيه فيهلكون ؛ لانهم اذا راو صغر اجسامهم وضعفهم راو عرشه الذى هو فيه على كبره والاشجار المصطنعه فيه من النخل وغيره : الساق ذهب والاغصان در والثمار جواهر ويواقيت وذمرد وزبرجد والماس وغايته فيه من كل لون على صفه عجيبه لم يكن لها فى الدنيا نظير والطيور تظلله باجنحتها مالئة الافق والجن وللانس حوله والخيل المسومه التى لايحصيها إلا اللهوكثرة النعم راو انفسهم انهم ليسوا منعما عليهم بشىء فكفروا نعمة ما فيهم فهلكوا . ثم إن النملة جاءت بنبقه تدحرجها حتى اقامتها بين يدى سليمان عليه السلام وقالت له : هذه هديه يا نبى الله والهديه على قدر مهديها لا على قدر من تهدى اليه فاعجبه حسن ادابها ومنطقها فقال لها : سلينى من ملكى هذا اعطك اياه قالت له : انت عاجز والسؤال من عاجز غير جائز قال لها : لابد ان تسالينى شيئا . قالت : لابد ؟ قال لا بد قالت له : زد فى رزقى شيئا ـــ يعنى يعنى على الذى كتبه الله لى ـــ قال : سلينى غير هذا قالت له : زد فى اجلى

شيئا –تعنى اذا كنت فى علم الله وكتابه اموت اليوم مثلا اخر عنى الى الغد–قال : هذا ليس فى يدى قالت له : ما قلت لك انت عاجز ؟ وهو عليه السلام لايملك هذا لنفسه فلا يقدر ان يزيد فى رزق نفسه ولا فى اجل نفسه فكيف يملك لها .

بيان ان الرزق مقسوم

فالرزق مقسوم لو اجتمع الاولياء كلهم والملائكه كلهم والانبياء والمرسلون كلهم ما قدروا ان يزيدوا فيه لانفسهم على القدر الذى كتبه الله تعالى فضلا عن ان يزيدوا فيه لانفسهم شيئا عن القدر الذى كتبه الله تعالى فضلا عن ان يزيدوه لغيرهم لانه ليس فى ايديهم بل فى يد الله عز وجل وحده وهذا سيدهم اجمعين محمد –صلى الله عليه واله وسلم– قال له :(قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا)فكيف يغيره ؟ ولما قال له رجل : ادع الله لى ان يزوجنى قال له لو دعوت لك انا وجبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش ما تزوجت الا المرأه التى كتبت لك فأمر الرزق مفروغ منه . وقال – صلى الله عليه واله وسلم – لرجل من اصحابه : (ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلابد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكل بزل)أى وكله وانت عزيز النفس غير متملق فيه الى احد متعلق بالعزيز جل جلاله مشغول

القلب بربك من اجله فاخضع للعزيز الحكيم ولا تخضع للزليل الذى لايملك شيئا ولا يعطى الا اذا سخره المعطى بيده جلا جلاله بل انت واياه فى ذلك واحد يجرى عليه رزقه من عند الله كما يجرى عليك بلا فرق ولا تسال غير ربك وإن أجرى الله لك على يده شيئا لا بالمقال ولا الحال تكن سيد الرجال والذى يأكله بذل هو الذى يتملق فى رزقه إلى المخلوق كائنا من كان ولو كان نبيا أو ملكا لأنه ليس فى يده شيء منه.

الفصل الخامس : المعروف

كيف تشكر من أسدى إليك معروفا؟

وعليك إذا أسدى إليك أحد من المخلوقينأن تشكره لكونه آنية مد الله لك بها لا على أنه معط ولو نبيا أو ملكا وشكره هو الدعاء له قال- صلى الله عليه وآله وسلم-:

(من أسدى إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء)فهذا هو معنى شكر الواسطة لا غير وقوله (أبلغ فى الثناء)لأنه أحاله على الله

الذى يقدر أن يكافئه على قدر عجزه وضعفه والحق يكافىء على قدر قوة كرمه وقدرته هذا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول:فإنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وعجز وأما الثناء عليه بمعنى مدحه ورؤية انه معط فهذا منهى عنه قال رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- :(لا ترضين أحداً بسخط الله ولا تمدحن أحداً على رزق الله ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله)فافهم الفرق فإنه ظاهر لمن هداه الله سواء السبيل.

الخلق آلات الرزق

وإذا تحقق لك ان الرزق كله فى يد الله سبحانه وحده وما أجراه على يد المخلوقين فهو فى يده فى عين كونه فى أيديهم فهم وما فى أيديهم الكل فى يد الله فلا تعول إلا عليه لان الرزق نعمة وكل نعمة منه (وما بكم من نعمة فمن الله) أى لا من غيره قال- عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن الله-عزل وجل- :يا موسى إذا رأيت النعمة منى فقد شكرتنى حق الشكر يعنى:وإذا رايتها من غيرى فقد كفرتنى حق الكفر.

فالخلق آلات فى بعض الأوقات لأن الحق تارة يخلق شيئا ويفعل به وتارة يفعل بقوله : (كن) بغير واسطة آلة فجميع ما تراه من المفعولات فعل واحد سواء كان بواسطة آلة كأن يخلق إنسانا ثم يقتل بيده أحداً فذلك الإنسان آلة للقتل وقد اوضح ذلك فى كتابه العزيز فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) يعنى بأيديكم (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) يعنى بيدك فجعلنا له كالألة لنا وها هو نسب التعذيب له فقال :

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فبين بهذه الآية معنى نسبة الفعل إلى السبب كونه آلة والله هو الفاعل به.

قال- صلى الله عليه وآله وسلم- : (إنما أنا قاسم والله المعطى) يعنى بيدى فقد كشف لك عن الأمر كما ينبغى إن كنت تبصر وإلا فالشمس طالعة غاربة ولا يبصرها الأعمى ولا يقدح ذلك فى كونها موجودة مشرقا نورها فى العالم :

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر وإذا كان هو لا يبصر فالخلل فيه هو لا فى وجود الشمس فإن فال :أرونيها قيل له :هات لك بصراً ونحن نريكها ولا بصر إلا التقوى :

(واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) وإن قال :أئتونى بدليل على وجودها قيل له :

وليس يصح فى الأذهان شىء

إذا احتاج النهار إلى دليل

فهذا ما كان من الله بواسطة وأما ما كان بلا واسطة فهو معلوم حتى للكفار أن الله هو الفاعل له (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)فهو بكلمة (كن) بالاتفاق.

فقد ظهر لك أن الأسباب والمسببات كلها مخلوقة لله تعالى فبروز المسبب عن قول الحق بالسبب :كن لا عن السبب فضرب الحق للمقتول بيد القاتل مع إرادة القتل هو قول الحق للمقتول :كن ميتا وهكذا سائر وقع الأسباب على الأسبابحتى

تنشأ عنها مسببات وإذا أراد وقوع السبب وعدم بروز المسبب عنه لم يبرز فالخلق كلهم الآدميون وغيرهم ليس من أنفسهم حركة ولا سكون ولا فاعلية وليست الفاعلية إلا لله وحده بالإدارة.

بيان الحال من يطمع فى الخلق

فمن طمع فى أحد وجعل يتملق له كمن طمع فى حجر وجعل يتملق له ويخضع كلاهما واحد فى خراب العقل وعدم التميز وهل يشك أحد فى خراب عقل من جعل يتملق فى حجر أو مدر أو شجر ويرجو منه نفعا أو ضرا؟هكذا الخلق كلهم حجارة وما بعد هذا المثال من بيان والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم فإنه يهدى بالرادة لا بالبيان كما قال الله سبحانه لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء) وقال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) إلى قوله : (إلا أن يشاء الله) فالرسل المراد منهم إبلاغ الحجة والهدى بيد الله- سبحانه- (ليس عليك هداهم) (فما أرسلناك عليهم حفيظا أن عليك إلا البلاغ) فأنما عليه ما حمل يعنى التبليغ لا غير.

فانظروا رحمكم الله هذه النملة أين بلغت من اليقين بربها حتى فضحت كثيرا ممن يدعى العلم فضلا عن غيرهم فإنها نملة ضعيفة محتاجة وهو نبى الله سليمان الذى أوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعد قطعت طعمها منه فكيف بمن إذا قال له واحد من الأمراء ممن يملك قطعة من الأرض يسيرة : سلنى ما شئت أعطك إياه انبسط واتسع فيه واعتقد أنه يقدر على ذلك ووثق به وعول عليه ورأى أنه أكرمه غاية الإكرام أفتكون النملة أوثق برزقها من مؤمن؟ أف لمن كانت النماة أوثق برزقها منه فأين الإيمان اللهم اردد علينا عقولنا من عروجها فى سماء الغفلة حتى نميز بها ما يرضيك فنأتيه ولا نعول على غيرك فى رزق ولا غيره.

بيان حال السعداء

فالسعيد الموفق من اشتغل بما خلقه ربه له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فاكتفى بما ضمن له سبحانه بقوله : (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) أى ما أريد منهم أن يطعموا أنفسهم فجعل إطعامهم لإنفسهم إطعامه سبحانه كقوله : جعت فلم تطعمنى وانظر كم أكد الرزق بتوكيدات والرزاق فعال بصيغة المبالغة وذو القوة :أتى بـ (ذو) التى هى

بمعنى صاحب أى الذى لا تنفذ قوته و(المتين) :يعنى العظيم هذا كله لنطمئن به ونسكن من حركة الاهتمام بالرزق.

ثم قال بعدها فى حق من لا يطمئن بوعد الله المشتعل بما ضمنه له عما خلق لأجله (فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) وأى ظالم أكبر ممن ظلم المقام الإلهى فلم يوفه حقه من التصديق وبات يتهم ربه بعد أن أقسم له بقوله : (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) وسماهم كافرين لأنه قال : (والكافرون هم الظالمون) وقد كفروا جميع ما أنعم الله عليهم به إذ الكفر يطلق على الستر (كمثل غيث أعجب الكفار نباته).

بيان نعم الله- تعالى- على خلقه

والكفار هم الذين يكفرون الحب أى يدفنونه هؤلاء دفنوا جميع نعم الله التى عليهم وأظهروا ضدها لأن الإنسان كفور فإنهم لم يروا النعمة إلا كثرة العروض وكون أحدهم خياله مليح بين الناس بخروق ونحوها ونسى نعمة العافية التى هى أم النعم فإنه لو كانت عنده الدنيا كلها من جبل قاف إلى جبل قاف مآكل ومشارب ومناكح وملابس ومراكب وفقد العافية صار ذلك كله عنده أمر من كل صبر.

وهذه الجوارح التى أنعم الله عليه بها من سمع وبصر ولسان ويد ورجل ونحوها لو قيل له : تبيع جارحه منها بملء الدنيا ما باعها ورضى أن يرعى الحشيش مع الدواب فى الخلا وهو صحيح الأعضاء معافى.

ولا تسأل عن نعمة العقل التى بها يميز جميع النعم ويعرف بها ربه ويميز بها الشرائع التى يعامل بها الله فيجوز رضوانه الأكبر فإنه لا يبيعها بملء ما بين السماء والأرض من قاف إلى قاف مائة مرة وأكثر لأنه حينئذ هو والبهيمة واحد لا يميز بين أمه وأخته وبنته وزوجته ولا يعرف حقا من باطل فانظر ما أعظم ملك كل واحد منا وهو لم يشكره ويرى أنه أفقر الفقراء.

ولا تسأل عن نعمة الإيمان وكونه من أمة سيد الأولين والآخرين فما أعظم كفران الإنسان .

وآى ملك له هذا الذى أثنى الله بمثله على بنى إسرائيل على لسان موسى- عليه السلام- فقال : (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا) وما ثمرة حكايته لنا ذلك فى كتابنا ونبو إسرائيل قد درجوا وانقضت

شرائعهم بانقضائهم وإلا لتقوم بالشكر على ما نحن فيه إذا كنا نعقل وإذا كنا بلداء ليس عندنا أدنى فهم ولا عقل نميز به فمع من يتكلم الحق؟ مع الجمادات؟ اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أرحم الراحمين فأنه لا حول ولا قوة إلا بك.

فنحن مغمورون فى النعم أكثر من غمر الحوت فى البحر وغافلون عن هذا كله (إن الإنسان لكفور) وأكثرنا مخاصم للع عزل وجل لم يعطه ما يشغله به عن طاعته والاشتغال به ويجعله كالذين قال فيهم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا) وأى عذاب أكبر من الاشتغال بغير الله نعوذ بالله من مكره.

فمثل هذا الذى هو غير راض بتدبير سيده لو وجد قدرة على قتال ربه ورفع يده عن هذا التدبير الذى دبره به من ألم الفقر والمرض ونحوها فعل ولكن لم يجد فهو ساكت قهرا عليه فهو صادق عليه قول الله عزل وجل أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) ولم يتفطن لذلك لأن بصيرته عميت بكثرة خصومته مع الله فلا يبصر الحق لياتيه ولا الباطل ليتقيه و(زين له سوء

عمله) نعوذ بالله اللهم أنا نسألك توبة تردنا بها اليك حتى نلقاك راضين بك ربا ..آمين.

حول معنى (إن الإنسان كفور) وقوله سبحانه : (إن الإنسان لكفور) هو قوله : (إن الإنسان لربه لكنود) لأن الكنود فسر بأنه الذى يعد المصائب وهو نسيان النعم مع أن المصائب قد تكون سبب سعادته عند ربه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فالمؤمن الكامل لا يرى من الله الا الخير فى الحميع وهى كذلك فى نفس الأمر كلها خير وقد وصف الله المتقين الذين هم أحباؤه بذلك فقال : (وقيل للذين أتقوا ماذا أنزل ربكم) من الأحكام الكونية والشرعية (قالوا خيراً) فكل ما نزل بالعبد مما يلائم وما لا يلائم العافية والمرض والشبع والجوع والرى والعطش والامن والخوف ونحوها من جميع ما يحدث فى الوجود منزل من الله وكلها خير فى نظر المتقين قيل لبعض الصالحين : ان الأمراء ظلموا وفعلوا وتركوا فقال : قالت الملائكة : (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قال الله : (إنى أعلم ما لا تعلمون).

المؤمن همه الإقبال على ربه

فمن ملأ قلبه بالهموم والغموم من أجل ما فيه الناس أضاع نفسه وخسر عمره ولم يدفع عن ذلك شيئا ولم ينفع أحدا فيضر نفسه ويضيع حظه من امتلاء قلبه بعظمة ربه واستحضار ذكر الله عزل وجل ومن أقبل على ربه واستغرق فيه وغاب عما هم فيه نفع نفسه ونفعهم ايضا لانه يصير من الذين يدفع الله بهم البلاء قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : (إن الله ليغضب على العباد حتى أذا لم يبق الا نزول البلاء عليهم نظر الى حملة القرآن فأنزل رضاه) وحملته هم الواقفون مع حدوده وأما المضيعون له فويل لهم مما حفظوا وويل لهم مما ضيعوا فوعدهم بولين.

فمن كان مقبلا على ربه فى السراء والضراء وفى حال نزول البلاء بالعباد فذلك الذى لا تضره الفتنة وهو الذى فهم معنى قول الله عز وجل : (فأخذناهم بالبساء والضراء لعلهم يتضرعون) آى إلى الله (فلولا أذ جاءهم بأسنا تضرعوا) يعنى لنفعهم ذلك فالذى يتعرف الى الله فى الرخاء يعرفه فى الشدة قال الله عز وجل فى حق يونس عليه السلام : (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) يعنى لولا أنه كان قبل التقام الحوت له مسبحا للبث فى بطنه أى

لصار ذلك قبره فالتضرع الذى ينفع العبد عند نزول البلاء به هو تضرعه سابقا إلى ربه وفراره اليه حين يفر غيره منه وهى البلايا من البأساء والضراء تنزل بالعبد لترده الى عبوديته وتقرره الى سيده لا غير.

فالحق يحسن للعبد بأنواع الإحسان والإساءة أيضا كما قال سبحانه : (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا) فإذا لم يفهم ولم يرجع لا بهذا ولا بهذا أخذه حين لم يبق فى رجوعه مطمع كما قال : (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) فقول الله عز وجل : (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) شامل للحسنات والسيئات يعنى بمعنى ما يستحسونه وما يسوءهم وشامل للحسنات والشيئات بمعنى ما يترتب عليه الثواب والعقاب فان الله يبتلى العبد بالحسنة حتى ينظر هل يرى الحسنة من الله فانها أكبر نعمة (وما بكم من نعمة فمن الله) ومتى رآها من نفسه فقد افترى على الكذب وصار من الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان الفاعل للحسنه هو الله وهو يتمدح بها واذا كان انسان يقول فلان عنده كذا وكذا على أنه يفتخر بذلك فهل عنده من العقل شئ ؟ هكذا من يتمدح بفعل حسنه وهو لم يعملها (والله خلقكم وما تعلمون)

الحكمة فى ابتلاء العبد بالسيئة

وان الله يبتلى العبد بالسيئة لبنظر هل يفر الى ربه ويفزع اليه فى غفرانها أو يقنط بها من رحمة ربه ويرى انه لا يغفر له فيستعظم ذنبه فى جنب كرم الله فيهلك وفى الحديث القدسى : (لو كنت معجلا لعقوبه أو كانت العجلة من شأنى لعجلتها للقانطين من رحمتى يذنب أحدهم الذنب فيستعظمه فى جنب عفوى)

والذى هو عبد الله عز وجل خالص لا يقف مع هذه ولامع هذه لا يرجو إحسان نفسه ولا تؤيسه إساءه فلو قتل الناس كلهم وفيهم الانبياء ما قنطة ذلك من رحمة ربه ولو عمل أمثال الجبال حسنات ما رجاها ولا يرجوا الا ربه فلا يصده عن ربه صاد ولا يعلق قلبه بغيره ولا يفتنه عنه حور ولا قصور ولا غيرها من النعيم الدائم ولا يشغله عنه خوف سقر ولا جحيم نار كل ذلك بمحبة سيده أصم أعمى عن غيره محبوبه كما قال عليه لسلام : (حبك الشئ يعمي ويصم) فلا يعظم فى قلبة غيرة ولا يكبر فى عينه سواه ولا شك انه اذا كان هكذا نجا من كل سوء فى الدنيا والاخرة واذا كبر غير ربه فى قلبة وعظم لاحظه وصار يعمل له فما يلاحظ

الخلق ويعمل من اجلهم الا لكونهم اعظم فى قلبة من الله والجنه جمله ذلك والنار من جملة ذلك لانهما خلق من خلقة .

فلو عرف الناس الحق ما التفتوا الى غيرة فاللذة بالحق تمر عند صاحبها جميع اللذات الدنيوية والآخروية من حرر وقصور وأشجار وأنهار وغير ذلك قال – صلى الله علية وعلى آله وسلم – : (ما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم) .

أذقنا الله وغياكم حلاوة النظر الى وجهه الكريم آمين آمين .

بيان حال المحب لله – تعالى –

واذا كان الحق حبيبة احب كل شيء فى الوجود لكونه من حبيبة فمن عرف ان الضاربة له يد حبيبة قلبها ظهراً لبطن :

اذا ما رأيت الله فى الكل فاعلاً

رأيت جميع الكائنات ملاحا

فالذى لم يعرف العبد حقيقة الخير فية يقلد فية الله الذى يعلم وقد قال الله سبحانه : (صنع الله الذى أتقن كل شيء) فشهد ان كل شيء متقن فالطويل ذلك غاية إتقانه والقصير ذلك غاية إتقانه وكذلك غيرهما فمن استقبح شيئا منها او اسقذره كذب الله فى قولة : (الذى أتقن كل شيء) قال سبحانه : (الذى أحسن كل شيء خلقة) وقال علية الصلاة والسلام : (كل خلق الله تعالى حسن) .

الفصل السادس : حكاية

حكاية لطيفة :

كان رجل من البدو كلما أخبر بشيء قال : خير لم يسمع منه الا قول (خير) فاجتمع كبار عشيرته يوما وأوصوا رعاه الإبل فقالوا لهم : اذا رحتم اليوم فى المساء اعقلوا ابل عمكم فلان وراء الجبل كلها ولا تأتوا منها ببعير واحد لاهي ولا اولادها وتعالوا بالإبل الأخري الى المراح فغدوا سارحين فلما راحوا فى العشي فعلوا كما أمروا فقيل : يا فلان الابل كلها جاءت الا ابلك فقال على عادته: خيراً فباتوا تلكط الليلة فاتفق ان صحبهم العدو فى مراحهم صبيحه تلك الليلة وأخذوا جميع الابل فما سلمت الا ابلة التي عقلوها له هم بأنفسهم .

فانظر لما كان لا يرى من الله الا خيراً لم يرة الله منه الا خيراً وقد قال الله فى الحديث القدسي : (انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) فالله سبحانه وتعالى يجعلنا ممن يحسن ظنه بربة ولا نكون من الظانين ظن السوء فى جميع ما انزل

بعباده بهذه الفتن الواقعة فى زمننا هذا الدينية والدنيوية فكلها المقصود فيها الفرار الى الله وهي من جملة البأساء والضراء وهي تقول : ففروا الى الله لكونه اهلاً ان يفروا الية من كل شيء لا لأجل النجاه فقط فيكون الفرار معلولا فهو منجيكم بلا شك فانه قال : (ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) (نجينا صالحاً والذين آمنوا معه) الى آخر ما ذكر فى الرسل ومن معهم فأنتم اعملوا لوجهه وهو لا يقصر فيما وعد به والفار من شيء يقفرغ وسعه فى الهروب منه والا ادركه وقد ذكر صفه الفرار بقولة : (كأنهم حمر مستنفرة فرة من قسورة) والقسورة أنثي الأسد والاذكر قسور فأنثاه عند أشبالها أشد من ذكرة.

بيان حال من فر الى الله تعالى

فمن فر مما سوى الله الى الله هكذا نجا لا محالة ولا تضرة الفتن التي الناس فيها بل يخرج بدينه سالما منها ومن كانت هكذا صفته فهو ولى الله كما قال – رسول الله علية وآله وسلم – فيما رواه عنه ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – ان عمر خرج الى المسجد فوجد معازا يبكي عند قبر رسول الله – صلى الله علية وعلة وسلم – قال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله – صلى الله علية وآله وسلم – قال : (اليسير من الرياء شرك ومن عاد أولياء الله تعالى فقد بارز الله بالمحاربة ان الله يحب الابرار الاتقياء اللذين ان غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدي يخرجون من كل غبراء مظلمه) .

ففسر قوله (ان الله يحب الأبرار – الخ) بأولياء الله الذين من عاداهم فقد حارب الله والغبراء المظلمه هي الفتنه فأكثر الناس فى كل وقت فيما هم فية من الشر

وأولياء الله فيما هم فيه من الإشتغال بالله الذى هو نهاية الخير وقد علموا ان ما فية الناس هو مراد الحق منهم فى ذلك الوقت

التسليم لله تعالى فيما اراده فى خلقة

قال بعض الأولياء لبعض : ما مراد الله من خلقة ؟ قال : ما هم علية يعني (ان ربك فعال لما يريد) وقد قدمنا ان الله انزل ذلك ابتلاء وتقريراً الية وهو ناظر كيف يعمل العبد وهذا حال الزمان قد=يما وحديثاً المحسن فى احسانه والمسيء فى إساءته من عهد اول رسول الى آخر الدهر قيل لبعض العلماء بالمغرب : الزمان قد فسد قال : متي كان الزمان صالحاً ؟ حين كان الخليل يوما فى النار ؟ او حين كان زكريا ينشر بالمنشار ؟ او حين شج رسول الله – صلى الله علية وآلة وسلم – وكسر ربعيته الكفار ؟ او حين كان رأس الحسين يطاف به فى الأقطار يعني الزمان صلاح أهلة وفساده فساد أهلة وهم قسمان فى كل آن فالمشغول بالله تعالى عن الإهتمام بشأن العباد وفتنتهم لا يقول له الحق : لم لم تترك الإشتغال بي ؟ والمشغول بالخلق وأحوالهم الخيرية فضلا عن البشرية غافلا عن الله اذ ليس له قلبان واحد مشغول بالله وواحد مشغول بالخلق (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) ولا بد ان يسأله الحق ويقول : قلت لك : (ولا تكن من الغافلين) ماذا عملت فيما قلت لك : فأي جواب عنده لربه فهو هالك الا ان يرحم الله والكامل من الرجال من كان متبعا لرسول الله – صلى الله علية وآله وسلم – فى جميع الاقوال والأفعال لا يأمر بشيء إلا وهو أسبق الناس اليه ولا ينهي عن شيء

إلا وهو أبعد الناس عنه رحمه للعالمين عفو عنهم فيما صدر منهم الية وراجع الى الله فى جميع الأحوال وفى هذا القدر كفاية لمن هداه الله سبحانه سواء السبيل ونسأل الله سبحانه ان يحسن آدبنا معه وان يجعلنا راضيين بربوبيته عنه فى جميع أحكامه وان يفهمنا فيها اسرار حكمته البالغه وان يطهرنا من شوائب الاعتراض علية والنزاع معه حتي لا نستهي الى ما قضاة آمين آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله

(انتهت رساله كيمياء اليقين والحمد لله رب العالمين)

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين

كتاب النفحات الكبري

الفصل الأول : الخلوة

الفصل الثاني : القواعد

الفصل الأول : الخلوة

الخلوة الاعتكافية

ومن إملائه رضي الله تعالي عنه في بيان صفة الخلوة الاعتكافية وأحكامها وإيضاح العزلة الرياضية وآدابها وكيفية الدخول والمكث وأمده وآداب ذلك كله وضوابطه وشرائطه المصطلح عليها عند القوم ما معناه :

إعلم أن الرجوع إلي الله تعالي بالانقياد إلي أحكام إسلاماً واستسلاماً واقتفاء نهج رسوله حلاً وإبراماً ابتغاء رضوانه وشكراً لعميم امتنانه هو الأمر المؤكد المطلوب من كل مربوب مما خلق لأجله , وحتم علي أجزاء هيكله , لا سيما الانقطاع إليه بالجد و الاجتهاد والإقبال عليه بالكلية في قالب الاقتصاد المعبر عنه في مصطلح القوم بالخلوات والعزلة و العكفات .

فهي النهج القويم , والسراط المستقيم , صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين , توارثها أكابر الأمة خلفاً عن سلف .

فقد ثبت وتواتر عنه صلي الله عليه وعلي آله وسلم ذلك من أول مره إلي منتهاه في أقصى أمره و أدناه من التحنثات الحرائية و الاعتكافات السرية ولقد

فاته اعتكاف عشرة أيام من رمضان في بعض السنين فاعتكف في العالم الذي يليه عشرين يوماً رمضان وإليه الإشارة بقوله صلي الله عليه وسلم : " لي وقت خاص لا يسعني فيه غير ربي " فالخلوة سنته وسنت من قبله من إخوانه من النبيين والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين كما قص الله ذلك علينا في كتابه العزيز قائلاً في حق خليله سيدنا إبراهيم عليه السلام : " فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب " (1) الآية وفي حق كليمه سيدنا موسى عليه السلام :" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " (2) الآية بعد قوله : " وواعدنا موسى بعد ثلاثين ليلة " (3) الآية .

وفي حق أم روحه عليه السلام : " إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً " .. إلي " فأرسلنا إليها روحنا " (4) الآية .

وأمر انزوائها بمحرابها وانقطاعها إلي الله تعالى فيه مشهور كما أشير له مع قصة سيدنا ذكريا عليه السلام بقوله تعالى " كلما دخل عليه ذكريا المحراب " .. إلي " الأبكار " (5) وما في ذلك من النتائج الكبرى و الكرامات النورانية إلي غير ذلك من الآية القرآنية والأخبار النبوية .

فلذلك اعتني القوم بها غاية , وسلكوا سبيلهما بدءاً ونهاية فحصلوا بها نفعاً عظيماً ووجدواً فيها مدداً جسيماً , وجعلوا لها ضوابط وشرطوا لها شرائط . و حاصلها يرجع إلي مقدمات ومقاصد ومتممات .

فأما المقدمات فأمور جمة جديرة وقوانين سرية كثيرة والمذكور هنا من تلك المقدمات أهمها وأولاها كالمقاصد والمتممات .

الرياضة القالبية

فمن أهم المقدمات ضبط الرياضة القالبية بجهاد العوائق الأربعة العادية بتقليل ما أمكن من كل منها قهراً للنفس رغماً عنها .

أولها : ترك الفضول من مخالطة الناس :

فيجتنبهم ما أمكن حتي تألف النفس الوحدة وتتوطن عليها بحيث تألفها كما ألفت قبلها الخلطة وتكرهها كما كانت تكره قبل ذلك الوحدة .

ثانيها : ترك الفضول من الكلام :

حتي تألف الصمت إلا بذكر الله وما والاه مما لا شوب حظ للنفس فيه .

ثالثها : ترك الفضول من المنام :

إلا القدر الذي تحصل به الراحة والنشاط للعبادة وهو الذي يكون عن غلبة مع فراغ الباطن بالضابط الآتي. رابعها : ترك الفضول من الطعام :

حتي تتمرن نفسه علي الجوع بلا تشويش في باطنه ولا وهن في ظاهره بحيث يكون ذلك دأباً لها و تتأدى معه العبادة المطلوبة منه إذ ذاك .

فينبغي له أن يمرن نفسه علي جهاد تلك القواطع الأربعة مدة مديدة و أياماً عديدة . وهو مع أهله باد لأهل محله لا يشعرون له بشيء من ذلك , ولا يطلعون له علي حال ما مما هنالك , مورياً عما يوهم انكشاف حاله لهم بأصناف المعاريض و تعميات التغاميض مما فيه مندوحة عن الكذب .

والحاصل من جهاد القواطع الأربعة كلها التحلي بالأوصاف الحميدة السنية , والتخلي عن الأوصاف الذميمة الردية لا سيما الشهوة البهيمية ولا سيما شهوة الطعام والشراب التي هي رأسها و أم الخبائث وأساسها , ولذلك إعتنا القوم بها واستنبطوا لرياضتها وجوها منها : أن يأكل المتريض أول يوم أكله المعتاد ويشبع

شبعه المعتاد عادا كم لقمة أكل سحوراً وفطوراً لاستحباب الصوم له إذ ذاك أو غداء وعشاء إن لم يتيسر له الصوم .

ثم يأكل في اليوم الثاني مثل ذلك إلا إنه يترك لقمة من عدد هذا و أخر من عدد هذا وفي اليوم الثالث كذلك و هلم جرا فلا يزال يترك كل يوم لقمة من غذائه و أخرى من عشائه حتي ينتهي إلي القدر الذي تمكنه معه العبادة المطلوبة منه دون وهن في ظاهرة أو تشويش في باطنه .

ومنها أن يدرك نقص الطعام بالوزن من آكله المعتاد مع الشبع المعتاد وزناً معلوماً درهما أو أقل أو اكثر كل يوم من فطوره وسحوره أو غذائه وعشائه علي الوصف السابق ابتداء وانتهاء .

ومنها وهو أولاها أن يأخذ عوداً رطباً من رمان أو تين أو غيرها ويزنه بالقدر المشبع الشبع المعتاد من مألوف طعامه ويضعه في الظل , ولا يزال كل يوم يزن به فطوره وسحوره حتي إذا جف ويبس ذلك العود وزنه بآخر رطباً من جنسه , ثم يزن بالثاني حتي ييبس , ويزن بالثالث كذلك حتي ينتهي إلي قدر يمكن معه أداء العبادة المطلوبة منه إذ ذاك بحيث لا يخل بالجسم ولا يثقله برطبات عن العبادة

ولا يشعر بالجوع لمكان التدريج المذكور فإن الضابط عن العبادة ولا يشعر بالجوع لمكان التدريج المذكور فإن الضابط في جميع وجوه التداريج المذكورة وغيرها عدم شعور النفس بتقليل الطعام والشراب و استئلافها إياه لتطمئن به فيتمكن من الطاعات منها وانقيادها لها .

والحاصل أنه إما أن يفعل وجهاً مما ذكر أو يخفف من طعامه و شرابه ما أمكن . و المطلوب التوسط في جميع أموره لحديث :" خير الأمور أوسطها "

قالوا : وتقليل الشراب آكد من تقليل الطعام حتي قال بعضهم :" كل ما شئت ولا تشرب " وسر ذلك أن ترك الشراب يستلزم تقليل الطعام , ولذا قالوا أبو يزيد البسطامي لنفسه لما تكاسلت عن ورده ليلة من الليالي :" والله لا أسقينك الماء سنة لاستلزامه تقليل الطعام المستلزم الخفة والنشاط للعبادة "

من مقدماتها أيضاً اجتناب جميع ما يخرج منه من ودك ولبن وسمن , فإنها تكسب آكلها ثوران الشهوة البشرية لمن كان في عنفوان الشباب أو قوياً من الكهول والمشايخ , إلا العسل فلا يجتنبه فإنه يكسب آكله شفاء من الأمراض الباطنية إن تناوله بتلك النية وأنواراً ومعارف بالخاصية لسر الإيحاء الدال عليه قوله تعالي :

" وأوحي ربك إلي النحل أن أتخذي " .. إلي " شفاء للناس " (1) إلا أن بعضهم لا يجتنب ما ذكر إلا حال الشروع في الخلوة , والخطب في ذلك سهل وإن كان الحال الأول أكمل .

الرياضة القلبية

ومن مقدماتها أيضاُ إتقان الرياضات القلبية , وهي آكد من القالبية وإن كانتا مطلوبتين , وذلك بتحلية باطنة بأنواع المراقبات الخفية بتمرين قلبه علي استحضار شهود عظمة ربه في جميع أو غالب ما يحاوله من لوازمه الدينية و آكد شئونه البدنية بعد تخليته بتفريغه عن الشواغل الفكرية بحسم مادة الجولان في الأغراض النفسية , ودفع هواجم الخواطر الردية , وقمع هواجس الخطرات الدينية , مقبلاً علي الله مؤدباً جوارحه في طاعة مولاه باستعمال كل منها فيما خلق لأجله متبرياً في كل ذلك من حوله وقوته :

فإذا ثبتت علي تلك المقدمات حالته وقويت فيها عارضته حق له إذ ذاك الاختلاء وقرع باب الاجتلاء وله بعد ذلك حالتان :

الخلوة البرانية

إحداهما : أن يستديم علي تلك الحالة مواظباً علي نفسه بالأوراد الآتية في الحالة الثانية (1) مع كونه بادياً للناس في بعض أحيانه علي الوصف السابق وتسمي تلك الحالة بالخلوة البرانية (2) ويحصل بها خير كثير وترقيات ومدد غزير .

وقد ذكر الإمام الجنيد شوطاً ثمانية استوفي فيها غالب لوازم مطلق العكفات فمنها :

دوام الطاهرتين كبري وصغري : فإن للوضوء نوراً ساطعاً يستنير منه باطن صاحبه وينشرح صدره لما يراه عليه من تجليات الأنوار ومواهب نفحات الأسرار .

ومنها استدامة الاستخلاء : بمكان لائق بجعله محل اعتكافه إما دائماً أو في غالب أحيانه , فإذا أراد أن يدخلها فيدخل فيها كما يدخل المسجد مبسملاً ومستمداً من أرواح مشايخه , جاعلاً لها كأنها قبره يدخل فيها ذاهباً إلي الله تاركاً ما سواه , بحيث لا يدع للخطرات السوائية في قلبه موضعاً ويقعد متربعاً أو كما يقعد للتشهد أو محتبياً حسبما يستريح قلبه دون تألم الأعصاب المشوشة للقلب متوجهاً إلي القبلة , غير مستند إلي جدار دون ضرورة ولا متكئاً كذلك

مطرقاً لله تعالي , مغمضاً عينيه , ملاحظاً قوله تعالي في الحديث القدسي : " أنا جليس من ذكرني " يجعل خيال شيخة بين عينية . ثم يشتغل بمعني الذكر علي قدر مقامة , مراعياً معني الإحسان في هذه الحالة , ثم يتبع اللسان القلب يقول : " لا إله " يطاطى رأسه ماداً " لا إله " إلي المنكب الأيمن ناظراً بقلبه إلي كبرياء الله وعظمته لتصغير نفسه ويميل رأسه إلي الجانب الأيسر ويضرب بـ " إلا الله " بالشد القوي علي اللحم الصنوبري الشكل ويلاحظ بقلبه لا موجود إلا الله ولا مقصود ولا معبود .

ومنها الدوام علي الذكر : والعكوف عليه بالوصف السابق إلي ما يستطيعه من الملازمة فإن كلت النفس وسئمت ذكر علي ما أمكنه ولا يقطعه رأسا . فإن كل اللسان أيضاً فبالقلب مادام مستيقظاً .

ومنها دوام الصوم : إلا عن ضرورة . ومنها دوام السكوت عن الكلام الخارجي : غير الذكر .

ومنها دوام نفي الخواطر : خيراً كان أو شراً ولا يمكن نفسه من الاشتغال بالتمييز بينها لئلا تسرح ميادين الفكر في الكون بل ولا في معني آية أو حدث أو

غيرهما إلا إذا ورد عليه معني من التشبيهات الإلهية والواردات الحقيقية من غير التدنس بالأفكار البشرية فيبقيها ويشتغل بالذكر , وإن خاف الفوات بالنسيان لنفاستها يكتبها سريعاً ويرجع إلي الذكر .

ومنها دوام ربط القلب بالشيخ .

ومنها حسم مادة الاعتراض : علي الله تعالي وعلي الشيخ , ودوام الرضا بقضاء الله تعالي علي ما قدر من السر والفتح والقبض والبسط والصحة والمرض ملاحظاً قوله تعالي : " وعسي ظان تكروه شيئاً وهو خير لكم " وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون "

ولهذا مزيد وبيان وتحرير وإتقان بيناه في السلسبيل فليطالعه مريده .

هذا ما يتعلق بالحالة الأولي .

الخلوة الجوانية

وثانيهما : أن يريد الانقطاع الكلي إلي الله تعالي علي الوصف الآتي وهو المسمي بالخلوة الجوانية المتعاف أمرها عند القوم فيتأكد عليه إذن أمور أخر زيادة علي ما مر : منها أن يوطن نفسه علي طول المكث فيها بل علي أنه غير خارج منها وإنها قبره الذي هو أول منزل من منازل الآخرة , ولذلك طلب فيها أن تكون علي شكل اللحد في طولها وعرضها وسمكها بحيث لا فضاء فيها غير محتاج إليه بل ما فيها إلا قدر جلوسه ووقوفه واضطجاعه وما يلزمه من بعض ضرورياته . ومنها أنه يتأكد عليه إخفاء مكان اختلائه ما أمكن بحيث لا يشعر به ولو خادمه الذي يخدمه فيها إما لكونه أعجمياً أو مغفلاً غفلة لا يمكن معها التنبه لمثل ذلك أو يوري له بوجوه يفهم منها خلاف ما هو عليه ككونه له مدين يطلبه أو ذو سطوة يندبه أو يريد التداوي بآكل نحو العشبة المعروفة أو غير ذلك من أنواع المعاريض التي يحصل بها الإبهام والتعمية علي الخادم وغيره , وغن كان الخادم الزوجة لا بأس مع التعريض و التعميات السابقة من غير أن يقربها أيام الخلوة المدخولة عليها من أربعين أو غيرها ولا حرج عليه في مناولتها إياه ولا وقوع النظر عليها ولا يتكلم معها أو خادم أخر غيرها إلا فيما لابد منه ان كان لا يفهم الكتابة وإلا فما لا يفهم إلا بالنطق والكلام يليق به إذ ذاك .

ومنها أنه يتأكد عليه استعداد ما يحصن به نفسه مما تيسر من الآي القرآنية والأذكار النبوية في مسائه وصباحه وعند نومه وانتباهه كسورة الأنعام عند النوم أو يس أو الملك أو الإخلاص والمعوذتين علي الوصف المعروف في الحديث , وكقوله " أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق " (ثلاثاً) وقوله : " بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " (ثلاثاً) ولا مثل لقراءة الحزب السيفي في ذلك مع كون قراءته مرة بعبادة سنة بصيامها وقيامها .

وأما مقاصدها فكما مر .

وأما الخلوة الجوانية فلها أقوال وأفعال .

أقوال الخلوة الداخلية

فأول أقوالها عند الدخول فيها بع" وليس لها ذكر مخصوص بها د التعوذ والبسملة : " رب أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً " وليس لها ذكر مخصوص بها بل أي ذكر أو صلاة علي

النبي صلي الله عليه وسلم أو قرآن أراد الدخول به اشتغل وسيأتي تمام الكيفية والورد المختار فيها .

أفعال الخلوة الداخلية

وأول أفعالها الاغتسال قبل الشروع فيها , وإن أمكن كل يوم كان اكمل قائلاً قبل اغتسالاته كلها وحينها إلي الفراغ منها : " اللهم طهرني من كل جنابة ومن كل حدث , ومن كل علة ومن كل مرض , ومن كل ذنب ومن كل معصية , ومن كل ومن كل غفلة ومن كل ظلمة , ومن كل حجاب ومن كل قطيعة , ومن كل سوء طهرت منه نبيك سيدنا محمداً صلي الله عليه وعلي آله وسلم ظاهراً وباطناً يارب العالمين "

فإذا فرغ من الغسل ولبس ثيابه طيب نفسه وخلوته بأي نوع من أنواع الطيب أمكنه لتقوية روحانياته وترضية حاضريه من الملائكة وصالح المؤمنين فإن الخلوة مشهودة , وإن أمكنه ذلك كل يوم أي وقت كان اكمل .

ثم يفتتح أعماله بصلاة ركعتين وإن صلاهما خلف شيخه أو نائبه كان أتم لاستحضاره صورة شيخه علي تلك الهيئة في ذلك المكان فإنه الرابطة بينه وبين

الرسول صلي الله عليه وعلي آله و سلم الواسطة في جلب الإمداد إليه ثم يصلي صلاة التسابيح المعروفة , فإذا فرغ منها شرع في الأساس إن لم يكن فعله حال الرياضة القلبية و القالبية إذ الأولي تقديمه قبل الدخول .

فإذا فرغ من ذلك تعوذ وقال : " رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق " الآية سبع مرات أو ثلاثاً أو ما أمكن .

ثم يواظب مستحضراً عظمة الله وجلاله وجماله وكماله علي ذكر " لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " في أوقاتها كلها ما خلا فعل الفارئض ورواتبها أربعة وعشرون ألفاً فاكثر عدد الأنفاس المشار إليه بقول تعالي :" واذكر ربك في نفسك " إلي قوله : " من الغافلين مجتهداً في ذلك بتوجه شديد وإقبال أكيد لتطوى به المسافات البعيدة والأزمنة المديدة . فإن مراتب الذكر ثلاثة : توجه صادق , وبعده نور طارق , وبعده حال خارق ثم بعد ذلك يلج المقامات السلوكية علي حسب ما قسم له منها . ويكون جلوسه حال الذكر علي أكمل ما يستطيعه من الهيئات الكاملة كالتربع القرفصاء علي ما هو معهود عند الأئمة الشاذلية , وسبق قريباً عن الإمام الجنيد , و حاصلة أن يجلس

علي أليتيه ناصباً ساقيه , و يحتبي بيديه جاعلاً رأسه بين ركبتيه مغمضاً عينيه ويصعد بـ " لا إله : إلي الكتف الأيمن ملاحظاً نفي السوي ويضرب بـ " إلا الله " علي القلب الصنوبري تحت الثدي الأيسر لتمكين الذكر فيه ويسري منه إلي جميع الأعضاء , ويسمي هذا الذكر بهذه الصفة " ذكر اللف والنشر " لأن الذاكر ببداءته بالنفي من القلب كأنه ينزع لباس الغفلة و الأغيار وبنبذة خلف الكتف الأيمن ثم يضرب منه علي القلب بالإثبات كأنه يلف القلب بلباس التقوى وهو إثبات الوحدانية لله دون ما سواه حيث كان السوي عدماً أي لذاته حتي لا يصل إلي القلب برودة الوهم المانعة له عن القيام بحق المجاهدة في العبادة العندية .

وينبغي للمريد أن يدأب علي هذا الذكر مدة مديدة حتي يصير هواه و ديدنه وعادته وتبدو سواطع أنواره في تزايد وينتظم شمل العالم عنده في نطاق واحد وذلك نتيجة الاسم الأول , فإن السالك لا ينتقل من اسم إلي الذي بعده إلا بعد ظهور نتيجته , وهذا أول كشوفات الأنوار المستكنة في اللطائف السبعة القالبية ثم النفسية ثم القلبية ثم الروحية ثم السرية ثم الخفية ثم الأخفوية كما هو مبين في كتابنا السلسبيل بما لا مزيد عليه فليطالع .

فإذا ظهرت نتيجة الاسم الأول فينتقل إلي الاسم الثاني الاسم المفرد وهو " الله , الله , الله " ويداوم عليه سرمداً و أبداً علي ما تيسر له . وحالة المد أتم ومددها أعم مع تمام الحضور مستغرقاً في عظمة المذكور ملاحظاً بالحروف الأربعة معني الأولية و الآخرية والظهور والبطون فإن كل اللسان فيلاحظ بجريان النفس معني الطرفين أولية و آخرية اتصالاً دورياً علي ما يليق بجلاله وجماله وكماله . ويدأب علي هذا الاسم حتي تفيض عليه أنواره العلية وتنتشر عليه أسراره المواهبية مما هو متعارف في السلوك العلمي .

ثم ينتقل إلي الاسم " هو " ويدأب عليه كذلك ولا يزال ينتقل من اسم بعد ظهور نتيجته إلي ما بعده إلي تمام الأسماء السبعة وهو الأبلغ عند الكمل , أو لتمام الأربعة , اكتفاء بها عند جماهير أئمة الطرق : كالشاذلية والقادرية و الجنيدية وفروعهم و أحزابهم .

ثم إن الذاكر في الاسم الأول أعني كلمة " لا إله إلا الله " أن اقتصر عليها كفي كما مر , وإن استكملها كلها أعني محمداً رسول الله ... ألخ فكذلك إلا أنه ينبغي استحضار عظمة الحضرة النبوية عند قوله : محمد رسول الله .. الخ كأنه

مشاهد له أمامه علي ما هو معروف في شمائله الظاهرة والباطنة , وعلي حسب ما يستطيع الذاكر من استحضار ذلك من أوصاف الشريفة , وهي الطريق الأقرب و الأنور , و بطي المسافات أجدر , ولكنها لابد لها من تمرين اللسان بها حتي يتشرب البدن منها حتي يقوي علي الإكثار لأنه ذكر قوي لا تحتمله إلا ذوات الأقوياء ثابتي القدم معتدلي المزاج .

وإن كان الذاكر ضعيفاً فيؤخذ بالرفق ويجعل له ورداً معلوماً حتي تأخذ عليه نفسه وتسري فيه القوة شيئاً فشيئاً عند ذلك يكثر منه كما مر مع شيء من الصلاة علي النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم فإنها كالماء يقوي النفوس ويقوي الطباع ويزيل البؤس كما سيأتي .

وإن شاء ذكر الصلاة العظيمية وهي : " اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم " إلخ أقلها ألفان .

وينبغي لمن أراد الدخول بهذين الوردين الاشتغال بهما قبل الشروع فيهما حتي ينطلق لسانه بهما و يتعدي القدر المذكور فيهما مع أداء الواجبات وما معها من

رواتب نوافل الخيرات فلا يدخل الخلوة إلا وقد تشرب جسده من الذكر و تجوهر باطنه بالاستعداد وتهيأ لقبول الإمداد .

ولا يزال بعد مدمناً علي ذكر العظيمية متخيلاً شمائله صلي الله عليه وعلي آله وسلم وحليته التي لقي الله عليها علي ما عند أئمة المحدثين كالإمام الترمذي وغيره في جميع أوقاته الذكرية حتي ينخرق له الحجاب ويشاهده صلي الله عليه وعلي آله وسلم بعين بصريتة علي حسب قوة استعداده و صقالة مرآته ثم بعين بصريته شهوداً روحانياً وهي اغلب أحوال السالكين من أهل مقام عين اليقين ثم شهوداً عيانياً ذاتياً وهي أعز أحوال الكمل من أهل مقام حق اليقين وهذا سبيل أرباب الطريقة المحمدية .

قال إمام الحرمين أبو طالب المكي ما نصه :

" ومبني الطريقة المحمدية علي استغراق باطن صاحبها وشهود ذاته صلي الله عليه وعلي آله وسلم وعمارة وظاهره بمتابعته قولاً وفعلاً وشغل لسانه بالصلاة عليه وعكوفه عليها في غالب أوقاته في خلواته و جلواته إلي أن تستولي علي قلبه محبته , ويخامر سره تعظيمه , وتقلقه أشواقه بحيث يهتز عند سماع ذكره ,

وتغلب علي قلبه مشاهدته , وتصير صورته بين عيني بصيرته , فيسبغ الله تعالي عليه نعمه ظاهرة وباطنة , فتكثر رؤياه إياه في غالب أحيانه في منامه أولاً , ثم في وقائعه , ثم في سنة غفلته , ثم في حالة يقظته , هي درجات لا تدرك إلا بالذوق لمن من الله بها عليه من خواص عباده فيسترشده إذ ذاك فيما يهمه من غالب أمره , واقفاً عند أمره ونهيه فلا تبقي لمخلوق عليه منة إلا للنبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم , ويسمي صاحب هذه الرتبة " محمدياً " لذلك وإن كانت الطرق كلها منه صلي الله عليه وعلي آله وسلم فقد قال بعضهم إنها لا يدخلها رياء وبعضهم إنها مقبولة مطلقاً فهي علي هذا من الغنائم الباردة المبذولة لسالكي طريق المجاهدة , وكان الشيخ أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي يقول : إنها سلم ومعراج وينبغي للذاكر بها أن يكون ممتلئ القلب بمحبته صلي الله عليه وعلي آله وسلم متجمع السر عليه حتي تكون منزلته صلي الله عليه وعلي آله وسلم عنده منزلة المشايخ من قلوب الفقراء ألا تراهم إذا ذكر شيخ أحدهم يهتز ويطرب لما خامر فؤاده من تعظيمه وتخلل في مجاري روحه من خالص محبته .

فاجعل أنت نبيك صلي الله عليه وعلي آله و سلم في قلبك كذلك بحيث تملك محبته حبة قلبك وتصير صورته بين عيني بصيرتك دائماً .

وأنت بهذه الأوصاف فقد اسبغ الله تعالي عليك المنة , ولم يجعل لمخلوق عليك سوي نبيه منة , فينجلي قلبك ويصفي سرك , ويعتدل من انحراف إخلاص افمكان لبك , ويصير سواد بصيرتك عرشاً للتجليات , البهية عليه , وبساطاً للخلافة المحمدية فيما بدا ويعود عليك , وينكشف لك كنزك المطلسم فتنفق منه علي قوابل المقبلين , تكون في ذلك كله علي ما يرضي به شيخك الأكرم سيد المرسلين , وتحشر إن شاء الله تحت لوائه إذا حشر الناس تحت رايات مشايخهم فتلحق بالسابقين الأولين .

وقد نال هذه الأسرار وجري علي طريقتها وسلكها ولاحت له شوارق هذه الأنور وأخذ بأزمة الخلافة المحمدية وملكها جماعة من سلاطين العلماء , وجهابذة من سلاطين الحكماء , منهم الشيخ نور الدين الشوني , والشيخ احمد زروق , والشيخ علي الخواص , والشيخ محمد المنزلاوى , وغيرهم فكانوا يشتغلون بالصلاة علي النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم حتي صاروا يأخذون عليه , ويسترشدونه , ويستضيئون بأنوار مشكاته في متابعة وسكونه وحركاته حيث

تشرفوا برؤيته يقظة ومناماً وصار يربيهم بلا واسطة صلي الله عليه وعلي آله وسلم .

وقال : وممن أدركنه بحمد الله من أهل هذا المشهد شيخنا الإمام الأوحد أبو العباس أحمد التيجاني , فإنه أخبرني أنه قرأ القرآن علي النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم مناماً ويقظة , وكان له مزيد متابعة لسنته في جميع حركاته فيما نعلم , وقد شرفني برواية القرآن عنه بهذا السند بعد أن قرأته عليه من أوله وسمعت منه من سورة الرحمن , و أجازني بسنده وبغيره إجازة عامة رضي الله تعالي عنه .

هذا وقد ذهب جماعة إلي أن من منح هذه المنقبة الجسيمة والدرجة الرفيعة العظيمة محكوم له بحكم الصحبة بل عده بعضهم صحابياً حقيقياً منهم الشيخ محيي الدين بن العرب حسبما ذكره في الفتوحات المكية في الباب .

والمعتاد من مدة إقامة المختلي في خلوته أربعون يوماً وإن زيد عليها فلا بأس أن بقي النشاط وقوة العزم واستئناس الثبات علي ذلك والأمر في ذلك كله موكول إلي مرشده بحسب ما يري له في ذلك .

ويتأكد علي المختلي بل علي كل مريد الإخبار بكل ما يرد عليه حال اعتكافه إذ إخبار الشيخ بذلك هو قرع باب الإمداد وفتح مواهب الازدياد وإلا وقف في سيره وعكس خيره بشره فليحذر المريد الكتمان ما أمكن ومتي كان مخبراً بكل ما يرد عليه فالغالب استقامة سيره وانتفاء ضميره .

وليس للفتح أمد معروف بل قد يكون بعد تمام الأربعين , وقد يكون قبلها , وقد يكون في الثلاثة الأيام أو الخمسة أو السبعة أو أقل أو اكثر علي حسب علو همة المريد وتوجهه وصفاء مرآته وإخلاصه وليحذر المختلي أيضاً انتظار الفتح فإنه حجابه وبه يسد عليه بابه وسيأتي لهذين الشرطين مزيد بيان .

متممات الخلوة الداخلية

وأما متمماتها فهي آداب كثيرة فمنها – وهو آكدها – أنه إذا خرج من خلوته بعد استيفاء ميقاته يدرج نفسه بعده مثل تدريجه إياها قبل دخوله في طعامه وكلامه ومنامه واجتماعه بغيره ليكون دأباً له في سائر أزمانه وما بقي من عمره لئلا ينهمك بإرسالها في شهواتها من الأربعة السابقة وغيرها فتنتقض عراه

وينهدم ما بناه , فليحترس من ذلك كله إلا ما لابد منه مما تحصل به الراحة ليعود لمثلها .

ومنها أن لا يظهر للناس إلا علي الوصف الذي كان عليه قبل الدخول حال الرياضة القالبية من التزام التوريات ستراً لما هو عليه من صالح الطويات متربصاً حتي يذهب ما عليه من آثار الاعتكاف من الصفرة اللونية , والضعف الحاصل علي الحركات البدنية بحيث لا يطلع علي ما سلف منه لئلا ينجر إليه ما يفسده.

ومنها أن لا يبدي شيئاً من وارداته الواقعة له حال الخلوة أو بعدها لغير شيخة أو نائبه .

ومنها أن لا يرتاح لتلك الواردات منبسطاً لها متكاسلاً عن وظائفه المتقدمة اطمئناناً لها وأنه نال الوصال وبلغ الكمال فيحرم ازديادها إن لم يعاقب بفقدها بل الواجب عليه فيها القيام بشكرها وتشمير ساع الجد في ذلك " ففي الحكم " " إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً , ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة : إن الذي تطلب أمامك , ولا تبرجت بواهر

المكونات بزينتها إلا ونادته حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر " فتلك للسالك مزلة أقدام إن لم يؤيد بعناية الملك العلام .

والحاصل أن المطلوب من المختلي بعد خروجه إبقاء الحالة التي كان عليها قبله من تحلية ظاهره بأنواع المجاهدات مع التزام وظائف نوافل الخيرات , وتعمير باطنه بأنواع المشاهدات , والسبح في لج أمواج التجليات بحيث تكون جميع جلواته خلوات , حاضراً مع الله بسره في جميع الأوقات ومع الخلق بظواهر الذات فيحظي بسلوك الطريقة المحمدية مظفراً بالسعادة الأبدية .

ومما يناسب ذلك ويخطر به سر تلك المسالك بل هو الأمر الجامع لكل سالك في كل ما يدين به العلي المالك ما هو من إملائه الزاهرة ونصائحه الباهرة ما نصه :

الفصل الثاني : القواعد

القاعدة الأولي

أما بعد .. فالأمر الجامع , والقول السامع , والسيف القاطع في طريق الله عز وجل أن العاقل الذي يريد نجاة نفسه من جميع المهالك , ويحب أن يدخله الله تعالي في سلك المقربين في جميع المسالك إذ أراد أن يدخل في أمر من أموره قولاً أو فعلاً فليعلم أن الله سبحانه وتعالي لا بد أن يوقفه بين يديه تعالي ويسأل عن ذلك الأمر فليعد الجواب لسؤال الحق تعالي قبل أن يدخل في ذلك الأمر فإن رأي الجواب صواباً أو سداداً يرتضيه الحق تعالي ويقبله منه فليدخل في ذلك الأمر فعاقبته محمودة دنيا وأخري . وإن رأي ذلك الجواب لا يقبله الحق تعالي منه ولا يرتضيه فليرشد من ذلك الأمر أي أمر كان فإنه وبال عليه إن دخل فيه .

وهذه القاعدة هس أساس الأعمال كلها والأقوال , فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت أحواله كلها مبنية علي السداد ظاهراً وباطناً لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه . وهذا معني قول النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم " .

القاعدة الثانية

أن لا يفعل فعلاً ولا يقول قولاً حتي يقصد به وجه الله تعالي فإن صح القصد فيه لوجه الله تعالي وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله ورسخ في هذه القاعدة قلبه صار لا يتكلم ولا يفعل فعلاً إلا عن تثبت وتأن , وصارت أعماله كلها خالصه إلا مخالطة فيها بوجه من الوجوه .

وهذا معني قول خالقنا جل وعلا لرسوله الأعظم وحبيبه الأكرم صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه " أي لا غيره في جميع أمورهم وقال عز وجل : " ما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضي "

القاعدة الثالثة

أن يوطن قلبه علي الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير , فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام فيها قلبه أفاض الله سبحانه وتعالي علي سائر جسده أنوار الرحمة الإلهية و أذاقه حلاوتها فنال من الأرث النبوي حظاً وافراً عظيماً من القول الله عز وجل : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "وهذا معني قول رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " إن

لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه , ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي " وف ي هذا المعني قول النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه : " لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير"

القاعدة الرابعة

مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم لتمامها وهو قوله صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " إنما بعثت لإتمام مكارم الأخلاق " وهذه القاعدة هي زبد الدين .

وحقيقتها أن يكون العبد هيناً ليناً مع أهل بيته وعبده ومع جميع المسلمين . قال رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " أهل الجنة كل هين لين سهل قريب . وأهل النار كل شديد علي الصاحب , والشديد علي العشيرة " وقال مولانا العظيم " وقولوا للناس حسناً " أي لا قبحاً وقال عز وجل : " وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن " والأحسن هو الذي جمع الحسني وزيادة .

وبالجملة الذي تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فاعله مع خلق الله وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاتركه , فإن الله تعالي يعامل العبد بوصفه وخلقه الذي يعامل الخلق به فإن المجازة علي الوصف وبالوصف :" سيجزيهم وصفهم " , " جزاء وافقاً " فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلاً ظليلاً يستريحون فيه كان الله له كذلك , فمن اكرم عبداً لمراعاة سيده فإنما أكرم السيد وكذلك جاء في الحديث عن الله عز وجل : " إنه يقول للعبد يوم القيامة : جعت فلم تعطيني , واستسقيتك فلم تسقني , ومرضت فلم تعدني , فيقول العبد كيف تجوع وأنت رب العالمين ؟ وكيف تمرض وأنت رب العالمين ؟ وكيف تستسقي وأنت رب العالمين ؟ فيقول له سبحانه مفسراً لذلك : أما إنه مرض عبدي فلان فلو عدته فوجدتني عنده , واستسقاك عبد ي فلان أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي , وجاع عبد فلان فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي " مفسراً نفسه سبحانه في قوله : " جعت ومرضت واستسقيت " بقوله : جاع عبدي فلان , ومرض عبدي فلان , واستسقاك عبدي قلان فمعاملة العبد لملاحظة سيده هي معاملة السيد بلا شك .

فمن رسخ قدمه في هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله في كل شيء فلا يراقب غير الله تعالي . ومجمع مكارم الأخلاق مع الله تعالي وع عباده قول النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم : " أكرموا الله ان يرا منكم ما نهاكم عنه " . وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

والأمر الذي يبعث العبد علي الحياء من الله تعالي هو أن يعلم علم حضور أن الله عز وجل علي كل شيء رقيب وعلي كل شيء شهيد وهو قول الله تعالي : " واعلموا أن الله يرا ما في أنفسكم فإحذروه " فإذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتي إعتادها والفها لزمه الحياء من الله تعالي أن يقول قولاً أو يفعل فعلاً لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب " وهو معكم أين ما كنتم " فإن الله تعالي معه وناظر إليه فإن العبد إذا أراد أن يزني مثلاً أو يسرق والناس ناظرون إليه وهو عالم انهم ينظرون لا يقدر أن يقدم علي ذلك مع علمه بنظر الناس إليه فإنه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه . فإذا كلن الحال هكذا مع المخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً والحامل له علي ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس ويحط قدره عندهم فلاشك انه إذا كان حاضر القلب عند الشروع في الفعل الذي لا يرضاه الله تعالي ترك ذلك الفعل قطعاً , وهذا معني

قول النبي صلي الله عليه وعلي آله وسلم في الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فمن كان بهذه الحالة في عبادته وهو حاضر القلب بها أن الله تعالي ناظر إليه لزمه ان يحسن تلك العبادة ويتقنها علي قدر قوة علمه أن الله تعالي ناظر إليه فيها .

والله الموفق عليه التكلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كيفية الوضوء والصلاة

فهذه نبذة يسيرة , ولمعة سرية منيرة , ونفحات أثيرة , ذوات إمداد غزيرة , و فيوضات مروية مستنيرة , من أملاءات إمام المهتدين , وقدوة السالكين , وإمام العافين , طراز عصابة الكاملية , ذي الإرث النفيس , مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالي عنه آمين , متضمنة لكيفيات تعبدات إلهية , و اقتفاءات مصطفوية , خصوصاً صلي الله عليه و علي آله سلم من صلاة ووسائلها وتوابعها و أذكارها , وآدابها المبرور ه كما في الآثار المشهورة وما في حكمها من صلوات مأثورة , كصلاة استخارة حاجة خاصة , أو حفيظة عامة , وصلاة حاجة مقصودة

, وصلاة تيسير , وصلاة تسبيح , والأعمال العلوية من الرواتب الخمسينية , والأفعال والأقوال الأساسية , وقوانين العكافات السنية , المستختمة بالأصول الكلية في القواعد الدينية , ملحقة بما أجاز به وأمر من بعض الوظائف الوقتية من سر أحزابه وباهر صلاته النورانية , وغيرها من الآيات القرآنية والأذكار النبوية وغيرها من الآيات القرآنية والأذكار النبوية صلي الله علي صاحبها وسلم , وشرف وفخم , وعظم وكرم .

فمن إملائه رضي الله عنه في كيفية الوضوء والصلاة النبويين ما نصه :

كيفية الوضوء وأدعيته

أول وضوء توضأ ه النبي صلي الله علية وسلم في غار حراء إذ ركض جبريل غليه السلام بعقبة الأرض فنبع الماء فتوضأ منه جبريل (ثلاثا ثلاثا) والنبي صلي الله عليه وسلم كما توضأ جبريل (ثلاثا ثلاثا) وفي أخر الوضوء أخذ جبريل عليه السلام غرفة من ماء فنضح بها فرجه وفعل رسول الله صلي الله عليه وسلم كذلك , هذا أول وضوء وقع في الإسلام ثم صلي به ركعتين .

وكان صلي الله عليه وسلم يتوسك في أول وضوئه وكان تسوكه طولا وعرض , ورغب صلي الله عليه وسلم في السواك قائلا لو أن أشق علي أمتي لأمرتهم بالوضوء مع كل صلاة وبالسواك مع كل وضوء)

وكان صلي الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه : يا علي إذا توضأت فقل عند غسلك كفيك باسم الله العظيم والحمد لله علي الإسلام , وورد فيه الصلاة علي الرسول صلي الله عليه وسلم وبارك علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين تضاعف خيرها .

قال : وقل عند المضمضة اللهم أعني علي تلاوة ذكرك , عند الاستنشاق اللهم لا تحرمني رائحة الجنة و وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وعند غسل اليد اليمني اللهم أعطني كتابي بيميني , ولا تحاسبني علي شيء , و عند غسل اليد اليسرى اللهم لا تعطيني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري , وعند مسح الرأس اللهم غشني برحمتك , وعند مسح الأذنين اللهم

اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه , وعند غسل الرجلين اللهم ثبت قدمي علي الصراط يوم تزل الأقدام وأقدم المشركين في النار .

فإذا أكملت الوضوء فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والملك قائم علي رأسك يكتب ما تقول . وقال صلي الله عليه وسلم (من قال ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء) . وكان صلي الله عليه وسلم إذا ختم الوضوء يقول : (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله إلي آخر ما مر)

كيفية الصلاة وأدعيتها

وأما كيفية الصلاة وادعيتها من الإحرام إلي السلام فكان دأبه صلي الله علية وسلم في ذلك أنه لا يقول المقيم قد قامت الصلاة حتى يكون الصحابة كلهم قياما , ثم يأمرهم صلي الله عليه وسلم بتسوية الصفوف قائلا في بعض أحيانه : (لتسون الصفوف أو ليطمسن الله علي الوجوه) , وفي بعضها : (لا تختلفوا

فتختلف قلوبكم) فكانوا لذلك يراصون صفوفهم بحيث أحدهم كعبيه بكعبي من يليه ومنكبيه بمنكبيه .

فإذا استوت الصفوف رفع يديه صلي الله عليه وسلم حين إحرامه مكبراً جهراً مستحضراً عظمة الله وكبرياءه خاشعاً خشوع حقيقياً قابضا يده اليسرى بيده اليمني علي صدره , وكبر أصحابه كذلك من بعده كلهم كرجل واحد ساكنا بعد تكبيرة الإحرام وقبل الفاتحة قائلا في سكوته ذلك في بعض أحيانه : (سبحانك اللهم وبحمدك تبارك أسمك وتعالي جدك ولا إله غيرك) , وفي بعضها : (اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب , اللهم نقنى من خطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس , اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد) , وفي بعضها : ﴿ الله أكبر كبيرا (ثلاثا) والحمد لله كثيرا (ثلاثا) وسبحان الله بكرة و أصيلاً (ثلاثا) ﴾. والغالب أنه يجعل هذه الخيرة في صلاة الليل وأحيانا يقول غير ذلك.

ثم يقول صلي الله عليه وسلم (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه)

ثم يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم) يجهر بها في الجهرية ويسر بها في السرية .

ثم يتم الفاتحة يسكت علي رأس كل أية .

ثم يسكت قليلا بعد قوله : ولا الضالين .

ثم يقول : آمين يمد بها صوته ويقول المأمومون : آمين يمدون بها أصواتهم , وأن للمسجد لرجة يقولونها معه بلسان واحد حين يسمعونه يشرع فيها يشرعون معه إذ ليس شيء في الصلاة يحصل فيه التساوي بين الإمام و المأموم إلا قوله : آمين

ثم يسكت صلي الله عليه وسلم بين الفاتحة والسورة سكتة طويلة قدر ما يقرأ المأموم الفاتحة علي سنتها وهو صلي الله عليه وسلم يسبح ما شاء حتى إذا ظن فراغ من خلفه من الفاتحة افتتح السورة ببسم الله الرحمن الرحيم يقف عند رؤوس الآي كما في الفاتحة وهي عادته في سائر قراءاته إلا أن ينقطع نفسه لطول الآية فيبتدئ من حيث وقف ولا يرجع .

ثم يسكت صلي الله عليه وسلم سكته لطيفة بقدر ما تسكت أعضاؤه من القراءة وهي ثالث سكتة من سكتات الركعة الأولي المشار لها بقوله صلي الله عليه وسلم : (اقرأوا في سكتات الإمام)يعني اقرأوا الفاتحة فقط لقوله : (لا تقرأوا في شيء مما جهرت فيه إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها) الدال علي وجوب قراءتها علي المأموم إلا أن يكون مسبوقاً لا يمكنه قراءته و بالسكتات المذكورة جمع بين قوله تعالي : (فاستمعوا له و أنصتوا) ﷺ الأعراف : 204 رضي الله عنه

وبين قوله عليه السلام : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) , وبين قولي عمر رضي الله عنه : وددت أن ألقم الذي يقرأ وراء الإمام حجرا في فيه , وقوله لما قيل له : أيقرأ وراء الإمام ؟ فقال : نعم قيل له وإن كنت أنت الإمام ؟ قال : وإن كنت أنا الإمام فإن إنكاره القراءة يريد غير الفاتحة وإثباته إياها يريد الفاتحة فقت في إحدى السكتات كما مر .

ثم يركع رافعاً يديه صلي الله عليه و سلم مكبراً يطيل التكبير حال هوية للركوع حتى يطمئن راكعا ليكون كل جزء من أجزاء الصلاة قد أخذ حظه من ذكر

الله لأنه كن صلي الله عليه وسلم ينزل في ركوعه قليلا يمد التكبير إلي أن يطمئن راكعا .

فإذا اطمئن راكعا تبعه المأمومون كلهم كرجل واحد مكبرين كذلك سرا فلا يركع أحد منهم حتى يكون صلي الله عليه وسلم قد هصر ظهره في الركوع فيتبعونه إذ ذاك و لا يبقي أحد منهم واقفا .

ثم يسبح صلي الله عليه وسلم في ركوعه ويسبح من خلفه كذلك , وكان الغالب في تسبيحهم وراءه من العشر تسبيحات إلي الخمس عشرة تسبيحه , ولفظة : (سبحان ربي العظيم وبحمده)مطمئنا في ذلك خاشعا لله حتى يذوق طعم الركوع , وربما أطال في ذلك حتى يقول من خلفه أنه قد سهي أو نسي .

ثم يرفع صلي الله عليه وسلم من الركوع رافعاً يده قائلا : سمع الله لمن حمده , ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهم وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد , أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد , اللهم لا مانع لما منعت لا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . وربما أطال في ذلك حتى يقال أنه قد سهي أو انسي .

ثم يهوي صلي الله عليه وسلم ساجدا مكبرا , ولا يهوي أحد معه حتى يلصق جبهته بالأرض وينقطع صوته بالتكبير فيتبعونه حينئذ مكبرين سرا كرجل واحد وربما مكث ساجدا يقال انه قد سهي أو نسي قائلا في سجوده : (سبحان ربي الأعلى) ومن خلفه مثله وقد ورد ان قدر سجوده وركوعه صلي الله عليه وسلم قدر ما يسبح ثقيل اللسان من العشرة تسبيحات إلي الخمس عشر تسبيحه وهي الصفة الكاملة في ذلك و أما الحالة الوسطي فقدر سبع تسبيحات في كل ركوع وسجود , فقد قال صلي الله عليه وسلم : (من حافظ علي سبع تسبيحات في كل ركعة وسجدة من الصلاة المكتوبة أدخله الله الجنة) وأما الحالة الدنيا التي لا تصح الصلاة بدونه ا فثلاثا تسبيحات في كل ركوع وسجود , لما رواه أبو داوود بإسناد صحيح : (إذا ركع أحدكم فيقل في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاث مرات , فمن فعل ذلك فقد تم ركوعه وذلك أدناه , وإذا سجد فيقل في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات فمن فعل ذلك فقد تم سجوده وذلك أدناه) فاعلم أن مادون الأدنى المذكور لا يكفي ولا يسمي ركوعا ولا سجودا تسبيحات في كل ركوع وسجود ولو كان في أضيق حال . وأما قدر ما بين السجدتين والرفع من الركوع فأقله أن يطمئن ويقر كل عضو منه موضعه لقوله صلي الله عليه وسلم

للمسيء صلاته : (إذا ركعت فلا ترفع حتى تطمئن راكعا ويقر كل عضو منك موضعه) الحديث , وفسر الحديث ذلك الاطمئنان بالبطء فيه قدر الثلاث تسبيحات فأكثر لمكان الذكر الوارد في الموضعين فإن ما بين السجدتين أزيد من عشر كلمات وفي الرفع من الركوع قريب من الثلاثين كلمة ولقوله في الحديث الآخر كان ركوعه والرفع منه وسجوده وما بين ذلك قريب من السواء (الحديث) .

ثم يرفع رأسه صلي الله عليه وسلم من السجود مكبرا ولا يرفع أحد رأسه معه حتى يستوي قاعدا وينقطع صوته بالتكبير فيرفعون رؤوسهم إذ ذاك مكبرين سرا كرجل واحد فإذا استوي قاعدا قال : (اللهم أغفر لي و ارحمني واسترني وأجبرني وارزقني واهدني وارفعني وانصرني واعف عني وعافني)

ثم يسجد السجدة الأخيرة مثلها فإذا أراد أن ينهض للركعة الثانية استوى قاعدا , ثم ينهض قائما مصاحبا للتكبير من رفع رأسه من الأرض إلي استقلاله قائما فاعلا في الركعة الثانية ما فعله في الأولي إلا السكتة التي قبل الفاتحة والدعاء الذي فيها فلا يفعلها ولا دعاءها لأنها خاصة بالركعة الأولي .

فإذا أتم الركعة الثانية كالأولي جلس وتشهد , ثم قال للثالثة مكبرا من حين قيامه إلي استقلاله قائما رافعا يديه مع التكبير وهو رابع محل يرفع فيه صلي الله عليه وسلم يديه في أشهر الروايات , وفي بعضها أنه يرفع في محل خامس حين يهوي إلي السجود , وفي بعضها أنه يرفع يديه مع كل خفض ورفع كما في صحيح مسلم . هكذا كان فعله صلي الله عليه وسلم في جميع صلاته كلها .

وأما التشهد أعني التحيات فقد ورد فيها روايات أخفها ما في البخاري ومسلم : (التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله غلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) هكذا ورد في التشهد الأول . وورد فيه أيضاً التحيات لله و الذاكيات لله الطيبات الصلوات لله . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين . اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مجمداً عبده وسرو له)

وورد في الزيادة التي في التشهد الأخير : وأشهد أن الذي جاء به محمد حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الصراط حق , وأن الساعة آتية لا ريب فيها ,

وأن لله يبعث من في القبور . اللهم صلي علي محمد وعلي آل محمد . ورحم علي محمداً وآل محمد . وبارك علي محمد وعلي آل محمد . كما صليت ورحمت وباركت علي إبراهيم وعلي آل إبراهيم . في العالمين إنك حميد مجيد . اللهم صل علي ملائكتك والمقربين وعلي أنبيائك والمرسلين , وعلي أهل طاعتك أجمعين . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن سبقنا بالإيمان مغفرة عزما .

اللهم إني أسألك من كل خير سالك منه محمد نبيك و أعوذ بك من كل شر استعاذك منه محمد نبيك . اللهم أغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا . ﴿ ربنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة : 201)

وأعوز بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة القبر ومن فتنة المسيح الدجال ومن عذاب النار وسوء المصير .

وورد فيها أيضاً غير ذلك , كما أن الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم ورد فيها غير ما مر منها اللهم صل علي محمد وعلي آله و أزواجه وذريته , كما صليت علي إبراهيم وبارك علي محمد وعلي أزواجه كما باركت علي إبراهيم وعلي آل

إبراهيم . إنك حميد مجيد . اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم , و أعوذ بك من عذاب القبر , و أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال , و أعوذ بك من فتنة المحيا والممات وسوء المصير .

ثم إن شاء سلم كسلامه عليه السلام , فقد كان صلي الله عليه وسلم يسلم تسليمتين قائلاً :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كما رواه أبو داوود وابن ماجة و الطحاوي وإن شاء دعا هنالك بما أحب فقد قال صلي الله عليه وسلم :(ليختر أحدكم أحب الدعاء إليه فيدعوا الله به) ومما روي عنه رضي الله تعالي عنه في ذلك من الأدعية والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم :

اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد وعلي آله وعلي جميع الأنبياء والمرسلين وعلي جبريل و ميكائيل و إسرافيل وملك الموت وحملة العرش وعلي الملائكة أجمعين وعلي الأولياء وعلي جميع عبادك المؤمنين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأبنائنا ولإخواننا

و لأهلنا ولمن له حق علينا ولجميع المسلمين الذين هم في علمك مسلمون منذ كان العالم إلي ما لا نهاية له .

فهذه الصلاة النبوية المأمور بها في قوله صلي الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقد رأيناه صلي الله عليه وسلم يصلي رؤية علمية يقينية لا يعتريها ريب من جميع الوجوه بما اشتهر وتواتر لدينا من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة في جميع أجزاء صلاته صلي الله عليه وسلم من أولها إلي أخرها إذ ما من جزء منها من الإحرام غلي السلام إلا وبلغنا فيه من الأخبار ما تكاد شهرته أن تبلغ حد التواتر .

وكما أمرنا بتابعه فيها بقوله : صلوا .. الخ كذلك أمرنا الله بأتباعه فيها وفي غيرها بقوله : ﷺ واتبعوه لعلكم تهتدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (الأعراف : 158) المستوجب للهداية قطعاً وثبوت محبة الله لذلك لقوله : ﷺ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (آل عمران : 31) المنتج ثمرتها الدال عليه قوله تعالي كما في الحديث القدسي : (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي

يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفؤاده الذي يعقل به ولئن سألني لأجيبنه) هذا والمتابعة المذكورة كما تشمل الأقوال والأفعال القلبية السابق وصفها , كذلك تشمل الأحوال والأفعال القلبية من الخشوع والسكينة والخضوع والوقار الدال عليه قوله صلي الله عليه وسلم :(إن وجه دينكم الصلاة فزينوا وجه دينكم بالخشوع) وقوله :(لو خشع قلب هذا لسكنت جوارحه) وقوله :(إنما الصلاة أن تخشع وتسكن وتقنع وترفع يديك في أخرها وتقول يأرب و إلا فهي خداج) , وكان صلي الله عليه وسلم يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل لما يشاهده في صلاته من جلاله وجماله وكماله أنواع تجلياته التي لو حصل لغيره منها أدني قطره من رشحاتها لذابت ذاته وتلاشت أجزاؤه .

فلا بد لكل مصل من إتباعه في الخشوع حسب استطاعته هو إما حقيقي أو استعمالي , والأول حظ الكمل من أهل الإرث المحمدي , وهو الذبول تحت تجلي العظمة علي العبد بحيث يخرجه عن طوره المعتاد لاستيلاء سلطان العظمة علي جملته وولوجه رياض القرب المدهشة له عن أحوال نفسه وما يصدر عنها لولا تأييد الحق له فيها وحفظه إياه , فيذبل تحت إشراق تلك التجليات واستيلائها عليه كذبول النباتات عند إشراق الأشعة الشمسية واستيلائها عليها , فيحصل له

بذلك من الالتذاذ والتنعيم ما لا يدرك وصفه إلا بالذوق , وربما غيبه ذلك عن الاحساسات النفسية وعظائم الآلام الشجية التي لا يمكن الصبر عليها عادة بحيث لا ينزعج لها بل و لا يشعر بها أصلا لشغل روحه بالتنعم في ميادين العرفان واقتطاف جني رياض الإحسان حتى إذا عاد له روحه وانقضي سبوحه أدرك ما فعل به كله . ولكون المصلي مسافرا سفرا عرفانيا شرع له السلام عند إيابه من سفره ذلك عند تمامها ولذا كلن عليه السلام كبعض أصحابه من بعده يقول :(أرحنا بها يا بلال) أي راحة التذاذ عرفاني وتنعم شهود روحاني كما أشار له بقول :(وجعلت قرة عيني في الصلاة) وقوله لي :(لي وقت خاص لا يسعني فيه غير ربي) وقوله :(إن في الصلاة لشغلا) فلا راحة له صلي الله عليه وسلم ولا قرة عين له ولا شغل له إلا بربه في ذلك الوقت الخاص به .

ثم إن الناس في ذلك علي مراتب علي حسب اختصاص الله إياهم بالإرث النبوي , فمنهم من إذا قال الله أكبر سبح في بحار حضرات الشهود بروحه ولم يبقي في شبحه منها إلا شعاعها الحاصل به الوظائف التكليفية من الحركات و السكنات المؤيد بالتأييد الإلهي فهو المحرك المسكن له من غير شعور له بشبحه

ولا بما يصدر منه أصلا كالشعاع الباقي بعد خروجها نوما الحاصل به الحركات النومية وبعض الشعورات العلمية وشتان ما بين الحالين .

ومنهم من يبقي معه بعض الشعور مصاحبا لذلك الشعاع الروحاني المذكور مع تمكن في تلك المشاهدات والسبح في تلك الحضرات وهو أعلي حالا من الأول .

ومنهم من يكون تام الشعور تام الشهود لا يشغله هذا عن هذا ولا هذا عن هذا لرسوخ قدمه وتمام تمكنه وهو حال الكمل من الوارثين , فقد كان صلي الله عليه وسلم حين يشرع في الصلاة يريد تطويلها , فإذا سمع بكاء الصبي خفف الصلاة رحمة بأمه وشفقة عليها هذا بعض أنواع الخشوع الحقيقي .

وأما الخشوع ألاستعمالي فهو المعبر عنه بالتخشع المشار غليه بقوله صلي الله عليه وسلم : (تخشع وتمسكن) الحديث . وذلك ان من لم يحصل أدني درجة من درجات الخشوع الحقيقي فليكن ذا حضور إلهي صارفا حال شاغل سوائي علي وجه إقبالي علي الله بحيث يستحضر عظمة ربه قائما بين يديه متقملا له بما عليه , وارثه من سر تضرعاته منقادا له في جميع حركاته و سكناته , شاكرا لأنعمه التي أجلها استعماله في أنواع طاعته , وأنه المحرك المسكن له في جميع

تقلباته , منصتا لما يتلى عليه من معني مخاطباته وأنه هو الذي يتلو عليه كلامه بلسان نفسه في غاية التذلل و الانكسار والهيبة والوقار بين يدي العزيز الجبار المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : (أن تعبد الله كأنك تراه) الحديث تاركا كل الحركات المنافية للخشوع فقد قال صلي الله عليه وسلم : (إذا قام أحدكم إلي الصلاة , فليسكن أطرافه , ولا يتمايل تمايل اليهود فإن تسكين الأطراف من تمام الصلاة)

وقال : (إن العبد إذا قام في صلاته ذر البر علي رأسه حتى يركع عليه الرحمة حتى يسجد , والساجد يسجد علي قدمي الله فليسأل وليرغب)

وقال في حق الملتفت في صلاته : (إذا قام أحدكم إلي الصلاة فليقل عليها حتى يفرغ منها , وإياكم و الالتفات في الصلاة فإن أحدكم يناجي ربه مادام في الصلاة ولا يزال الله مقبلا علي العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت صرف وجهه عنه) وقال : (إياكم والالتفات في الصلاة فإنه مهلكة)

وقال : (من قام في الصلاة فالتفت رد الله عليه صلاته) وقال : (لا صلاة لملتفت)

وقال : (إذا قام الرجل في صلاته أقبل الله عليه بوجهه فإذا التفت قال له ربه : ابن آدم إلي من تلتفت إلي من هو خير مني أقبل إلي أنا خير لك مما التفت غليه فإذا التفت الثانية صرف الله وجهه عنه) وقال في حق الرافع بصره إلي السماء : (ما بال أقوم يرفعون أبصارهم إلي السماء لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم)

إلي غير ذلك مما ورد في حق العاقص شعره والمغمض بصره والمفرقع أصابعه والمتثائب في صلاته وغير ذلك من الأفعال المنافية للخشوع .

والحاصل أن الخشوع الحقيقي المشار إليه بقوله تعالي: ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون :2)

﴿ وإنها لكبيرة إلا علي الخاشعين ﴾ (البقرة : 45) هو حالة اضطرارية تعتري صاحبها بمجرد دخوله في الصلاة كما مر منة اختصاصية منه تعالي وأن الخشوع ألاستعمالي هو حالة اختيارية يتكلفها صاحبها علي الوصف السابق امتثالاً للأوامر الشرعية ويتصبر عليها حتى يمن الله عليه بالحالة الكاملة

المرضية فإنه ما داوم عبد علي هذه إلا ألبسه الله الأخرى إنجازا لوعده في قوله : (من تقرب لي شبرا تقربت له ذراعا) الحديث . ومن فقد هاتين الحالتين فما صلي قط لقوله عليه الصلاة والسلام : (وألا فهي خداج) . كما مر .

وقوله : (ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وما عقل من لم يخشع بين يدي ربه)

و قوله : (إن للرجل ليصلي الصلاة وما فأته منها أفضل من أهله وماله) وقوله : (إن الرجل لينصرف من صلاته وما كتب له منها إلا عشرها) الحديث . وقوله : (تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها) إلي غير ذلك من الأحاديث النبوية الآمرة بالمحافظة علي الآداب القلبية و القالبية .

علي أنهم ألزموا من فقد الحالين معا التدبر بجانبه فيما يتلوه بلسانه من إحرامه إلي سلامه فتنتعش روحه باستنشاق نسيم تلك الرياض ويحي قلبه بورود زلال تلك الحياض متبخترا في أفنان جناها مستضيئا بلوامع سناها فهي وإن كانت ليست هناك عند أهل الله لكنها وصلة لقرع باب الانتباه وتربية المهابة لمن إلي حضرة قربه ناداه فإن دام عليها ترقي لما فوقها . ﴿ وأن إلي ربك المنتهي ﴾(

النجم : 42) ومن إملائه رضي الله عنه فيما يقال بعد الفراغ من الصلاة متصلا بها ما نصه : وتقول بعد الصلاة بمجرد فراغك من قولك : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يميناً وشمالاً : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم و أتوب إليه ط ثلاثا "

اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام " مرة واحدة "

ثم تستقبل الناس بوجهك إن كنت إماما تقول : اللهم أني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة الخ .

ثم تضع راحة كفك اليمين علي مقدم رأسك وتقول : بسم الله الذي لا إله غيره الرحمن الرحيم اللهم أذهب عني الهم والحزن آمين .

ثم تضعها علي رأسك وتقرأ الفاتحة .

ثم تقرأ آية الكرسي الخ .

ثم تقرأ : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط , لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران : 18) , وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وأشهد الله علي ذلك واستودع الله هذه الشهادة فهي لي عند الله وديعة ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : 19) ثم تقرأ : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾ إلي (حساب) (آل عمران : 26 – 27)

ثم تقول : اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة و رحيمهما تعطي منهما من تشاء وتمنع من تشاء أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك .

ثم تقول : اللهم يسر امرنا كله , وفرج همنا كله , واكشف غمنا كله , واشف ضرنا كله , واجبر كسرنا كله , وعلم جهلنا كله , واغفر ذنبنا كله , واستر عيبنا كله , واقض عنا دينا كله , واقض عنا ديننا كله , وأغننا من الفقر كله , ونجنا من البلاء كله ومتعنا أجمعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا كلها في سبيلك ما أبقيتنا يا كريم . وأحيانا يقول الأستاذ : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . ثم تقول : اللهم أعنا علي ذكرك وشكرك وحسن

عبادتك . ثم تقرأ :(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين) " ثلاثا " ثم تقرأ :(بسم الله الرحمن الرحيم , قل هو الله أحد الخ) " عشراً " ثم تقرأ :(سبحان من لا علم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون وصفته " ثلاثا " ثم تقول : سبحان الله " ثلاثا وثلاثين " ثم تقول : الحمد لله " ثلاثا وثلاثين "

ثم تقول : الله أكبر " ثلاثا وثلاثين " ثم ترفع يديك قائلا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير ترفع بذلك صوتك تمده مدا وتقف علي لا إله إلا الله , وعلي لا شريك له , وعلي قوله يميت , وعلي قوله لا يموت وعلي قدير , ثم تقول سرا في كل لمحة ونفس ملء الميزان و منتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ثم ترفع يديك وتدعو بما شئت سرا , ومن أدعيته رضي الله عنه في ذلك : (اللهم إله محمد صلي عليه وسلم , و إلهنا وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب , وإله جبريل و ميكائيل و إسرافيل وإله الخلق كلهم أجمعين رب العالمين , أسألك أن تستجيب دعوتنا فإنا مضطرون , وتعصمنا في ديننا فإنا مبتلون , وأن

تنيلنا برحمتك فإنا مذنبون , و أن تنفي عنا الفقر فإنا مساكين , لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

اللهم اكتشف عنا وعن جميع المسلمين دائما أبدا سرمدا من البلاء ظاهرا وباطنا ما لا يكشفه غيرك .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور إلي قوله : وحسن عبادتك .

اللهم اسقنا الغيث المغيث الكامل النافع العام المبارك الذي لا ضرر فيه بوجه من الوجوه .

اللهم جرنا بسلاسل المحبة والشوق إليك . اللهم أرنا ما شئت من عجائب قدرتك يا قهار .

اللهم اكفنا شر الظالمين كلهم وشر كل ذي شر بما شئت من عجائب قدرتك يا قهار قبل أن يصل إلينا شيء من سوئهم . اللهم ارزقنا عينين هطالتين يسقينا القلب بذروف الدموع من خشيتك من قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا . اللهم إنا نسألك العفو الكامل والعافية الكاملة في الدين والدنيا والآخرة دائما

أبدا سرمدا آمين . اللهم ارزقنا الإيمان الكامل وثبتنا عليه حتي نلقاك في كماله إنك علي كل شيء قدير . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأبنائنا ولإخواننا ولأهلنا , ولمن له حق علينا , ولجميع المسلمين الذين هم في علمك مسلمون منذ كان العالم إلي ما لا نهاية له , اللهم اغفر لنا ولهم ما قدمنا وما أخرنا , وما أسررنا وما أعلنا , وما أنت أعلم به منا , وأنت المقدم وأنت المؤخر , لا إله إلا أنت , ولا إله غيرك , ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم فارج الهم – إلي قوله : عن رحمة من سواك اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وأغننا بوجهك الكريم عن من سواك . اللهم أغننا بالعلم , وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى , وجملنا بالعافية , يا من يكفي من كل أحد , ولا يكفي عنه أحد , يا أحد من لا أحد له , يا سند من لا سند له , انقطع الرجاء إلا منك , وخابت الآمال إلا فيك , وسدت الطرق إلا إليك , فكن لنا مما نحن فيه و أعنا علي ما نحن عليه , بجاه وجهك الكريم , وبحق محمد صلي الله عليه وسلم عليك آمين . يا غياثي عند كل كربة , ومجيبي عند كل دعوة , ومعاذي عند كل شدة , و يا رجائي حين تنقطع حيلتي . ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا و أخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ (المائدة : 114)

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي , وهواني علي الناس أنت ارحم الراحمين , وأنت رب المستضعفين , وأنت ربي يا إلهي وسيدي ومولاي , إلي من تكلني ؟ إلي عدو يتجهمني ؟ أم إلي قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي , غير أن عافيتك أوسع لي , أعوذ بنور الجليل ,الجميل الكامل , الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة , أن تنزل بي غضبك , أو يحل بي سخطك , ولك العتبى حتي ترضي , ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي ترضي , ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم , وصلي الله علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) وتختم بقولك : سبحانك اللهم وبحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك , عملت سوءا وظلمت نفسي , فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " ثلاثا " قال رضي الله عنه : وإذا كان إماما فأراد أن يعمم يقول : ولإخواني ولو الدنيا ولمشايخنا الخ الدعاء المتقدم وهو قوله . لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

ثم يختم بقوله : صلي الله علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالي والحمد لله رب العالمين ويمسح وجهه . وكان رضي الله عنه يفعل ذلك كله ثم يكبر " ثلاثا " بأعلى صوته ويكبر الجماعة كلهم بأعلى

أصواتهم : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الخارج منهم والجالس في المجلس , وهذا التكبير من السنن التي كانت علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فأميتت , وقد قال الصحابة رضي الله عنهم : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا بالتكبير . فكانوا يكبرون وهم خارجون من المسجد حتي يتصل التكبير بالطرق . وأما ما يقال بعد المغرب والصبح فبعد أن تفرغ من قولك : أستغفر الله العظيم الخ , ومن قولك : اللهم أنت السلام الخ , ثم تقول : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس الخ ثم تقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم " ثلاثا " وتقول بعد الثالثة إن شئت : من نفخه ونفثه وهمزه وشركه وشكه و خطراته و نزغاته . ثم تضع كفك اليمني علي وسط رأسك وتقرأ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ (سورة الحشر : 22-24)

ثم تحولها فتضعها علي مقدم رأسك وتقول بسم الله الذي لا إله غلا غيره الرحمن الرحيم اللهم أذهب عنا الهم والحزن آمين .

ثم تنزلها من علي رأسك وتقول : اللهم أجرني من النار " سبعا " ثم تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له , له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علي كل شيء

قدير " عشر مرات " وتقول بعد العاشرة : في كل لمحة ونفس ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ وزنة العرش . ثم تقول : سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومنتهى علمه . وتقرأ الفاتحة مرة .

وتقرأ آية الكرسي الخ , ثم تقول : اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يخزيني و أعوذ بك من كل فقر ينسيني و أعوذ بك من كل غني يطغيني وأعوذ بك من كل صاحب يرديني وأعوذ بك من كل أمل يلهيني و أعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك . ثم إن كنت في المغرب رفعت يديك مستقبلا ببطونهم وجهك قائلا جهراً : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير) ثم تقول سرا : في كل لمحة و نفس ملء الميزان و منتهى العم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش . ثم تدعو بما تيسر من الأدعية السابقة من قولك اللهم إله محمد ألخ . وغالبا يقف رضي الله عنه عند تمام اللهم اغفر لنا ولوالدينا الخ . وربما دعا بدعائه في القنوت من الصبح اللهم ارزقنا غاية لذة النظر إلي وجهك وغاية الشوق إلي لقائك الخ . ثم يختم بكفارة المجلس وهي : سبحانك اللهم وبحمدك الخ ." ثلاثا " ثم ينصرف إلي منزله وتعجيله ذلك من اجل الأمر بركعتي المغرب لكونهما يرفعان مع

الفريضة . ثم يأتي عقب الركعتين بعد التقديم بآمن الرسول إلي تمام الباقيات الصالحات علي نحو ما يأتي في صلاة الصبح وإن شاء أتي بآمن الرسول إلي أخر الدعاء الذي يرفع به يديه ويدعو كما مر . و أما إذا كنت في الصبح فإنك قولك اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يخزيني الخ تقرا المقدمة و الفاتحة ثم تقول : وأقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ الله لا إله هو الحي القيوم ﴾ الخ آية الكرسي (البقرة : 255) ثم تقرأ :

﴿ آمن الرسول ﴾ الخ .. سورة البقرة (البقرة : 285- 286) ثم تقرأ : ﴿ شهد الله .. ﴾ .. إلي ﴿ الإسلام ﴾ (آل عمران : 18 : 19) كما مر . ثم تقرأ : ﴿ قل هو مالك الملك ﴾ إلي ﴿ حساب ﴾ (آل عمران : 26 – 27) ثم تقول : اللهم فارج اللهم ... الخ الدعوة وتقول : اللهم يسر امرنا كله الخ الدعوات ثم تقرأ : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين ﴾ الخ السورة (الصافات : 180 – 182 " ثلاثا " وتقرأ الإخلاص عشر مرات والمعوزتين مرة مرة .

ثم تقرأ : سبحان من لا علم قدره غيره , ولا يبلغ الواصفون صفته " ثلاثا " ثم الباقيات الصالحات . ثم ترفع يديك بالدعاء السابق في الظاهرين والعشاء كله وأما بعد فريضة الجمعة فتقرأ بعد المقدمة الفاتحة " سبعا " والمعوزتين " سبعا " . ثم تضع كفك علي رأسك وتقول سرا : بسم الله الذي لا إله غيره الرحمن الرحيم اللهم أذهب عني الهم والحزن آمين . كل ذلك قبل أن تكلم أحد وقبل أن تغير جلسة الصلاة لأنه ورد من قرأ هذه السور المتقدم بعد صلاة الجمعة علي هذه الكيفية غفر له ذنبه المتقدم والمتأخر . وتقرأ أية الكرسي وما بعدها إلي تمام ما كنت تفعل في الظهر وتدعو بعد رفع يديك بالتهليل بجميع الدعاء السابق .

هذا كله في الحضر وأما في السفر فالظهران يكفيهما راتب واحد بعدهما و العشاءان كذلك والصبح علي حاله . وإذا حضرت جمعية فعلي حكمها وأن اشتد بك السير أتيت بالتقديم وآية الكرسي والباقيات الصالحات وترفع يديك بما تيسر من الدعاء وإذا مشيت أكملت الباقي في سيرك . والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهذا دعاء قنوت الصبح : (الهم إنا نستعينك ونستغفرك , ونؤمن بك ونتوكل عليك ونخنع لك ونخلع , نشكرك ولا نكفرك , ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد , وإليك نسعي و نحفد , نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد , إن عذابك بالكافرين ملحق) .

ومن أدعيته رضي الله عنه في ذلك : (اللهم ارزقني غابة لذة النظر إلي وجهك , وغاية الشوق إلي لقائك , وغاية معرفتك , وغاية محبتك وغاية مشاهدتك , وغاية مكالمتك وغاية عافيتك وغاية عنايتك , وغاية وغاية علومك وغاية أنوارك , وغاية أسرارك وغاية هدايتك , وغاية عظمتك , وغايت توفيقك , وغاية رضاك الأكبر الذي أعطيته نبيك محمداً صلي الله عليه وسلم من كل ذلك في الدنيا والآخرة في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة , وقونا علي ذلك كما قويته وأيدنا كما أيدته آمين هذا دعاء قنوت الوتر : (الهم اهدنا فيمن هديت , وعافنا فيمن عافيت , وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت , وقنا شر ما قضيت , فإنك تقضي ولا يقضي عليك , وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت , تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد علي ما أعطيت ولك الشكر علي ما أنعمت به و أوليت , نستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك اللهم اكشف عنا وعن

جميع المسلمين من البلاء ما لا يكشفه غيرك) " ثلاثا " وصلي الله وسلم علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعة علمك آمين .

((صلاة الاستخارة النبوية))

ومن إملائه رضي الله عنه في صلاة الاستخارة النبوية الخاصة والحفيظة العامة التي هي عينها ما نصه: ينبغي لمن أراد أن يكون مؤيدا محفوظا في جميع حركاته و سكناته كالمعصوم أن يفوض أمره إلي الله تعالي ظاهرا وباطنا مسلما مستسلما منقادا إليه قلبا وقالبا , يصلي ركعتين , ويقرأ فيهما دعاء الاستخارة النبوية خمس عشرة مرة . فتقول بعد الإحرام بدل الاستفتاح : اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك , وأسألك من فضل العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا اعلم و أنت علام الغيوب اللهم ما علمت من جميع كلامي وحركاتي و سكناتي و خطراتي وأنفاسي كلها , دائماً وأبدا سرمدا , من يومي هذا وما بعده إلي انقضاء أجلي , خيرا لي في ديني ودنياي ومعاشي , وعاقبة أمري وعاجلة و اجله , فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . اللهم ما علمت من جميع كلامي وحركاتي و سكناتي و خطراتي وأنفاسي كلها , دائما أبدا سرمدا , من يومي هذا

وما بعده إلي انقضاء أجلي , خير لي في ديني ودنياي ومعاشي , وعاقبة أمري وعاجلة وأجله , فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . اللهم ما عملت من جميع كلامي وحركاتي و سكناتي و خطراتي و أنفاسي , في يومي هذا وما بعده إلي انقضاء أجلي , شرا لي في ديني و دنياي ومعاشي , وعاقبة أمري وعاجله وأجله , فاصرفه عني و اصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان , ثم أرضي به إنك علي كل شيء قدير . تقرؤه مرة في محل الاستفتاح , وبعد تمام الفاتحة والسورة , وفي الركوع , وفي الرفع منه , وفي السجود , وفي الرفع منه , وفي السجدة الثانية , والرفع منها قبل القيام إلفي الركعة الثانية , وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة والسورة وهكذا في كل ركن إلا في الجلسة الأخيرة فتقدم التحية فإذا سلم قرأها مرة .

قال رضي الله عنه : من دوام علي ذلك في أول نهاره أو ليله أو في كليهما كان كالمعصوم في أموره كلها وإني أعرف رجلا من الصالحين كان ملازما عليها في الليل مرة وفي النهار مرة كان كالمعصوم لا يقع منه إلا ما يرضي الله عز وجل .

ومن استعملها من أجل حاجته مخصوصة فعلها علي الوصف المذكور في الحديث أو علي هذا الوصف كلاهما واحد .

وعلامة الإذن فيما استخار عليه أو عدمه إنه إن كان خير أثبته الله في قلبه , وإن كان شرا محاه الله من قلبه في أثناء الصلاة أو عند الفراغ منها إلا أنه يسميها بخصوصها علي ما يعهد فيها .

وأما الاستخارة العامة فعلي ما مر .

وبالجملة فإن كان شرا لا ييسر الله فعله وعصمه منه بحماية حفظة ووقايته , وإن كان خيرا أثبته وقيد إليه بسلاسل توفيقه وعنايته .

((صلاة الحاجة))

ومن إملائه رضي الله عنه صلاة الحاجة فيما روي عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال : تصلي أثناء عشرة ركعة من ليل أو نهار وتتشهد في كل ركعتين .

فإذا جلست في آخر صلاتك فاثن علي الله تعالي وصل علي النبي صلي الله عليه وسلم , ثم كبر واسجد , ثم أقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات , وأية الكرسي سبع مرات , وسورة الإخلاص سبع مرات , والمعوذتين سبعا سبعا , ولا إله إلا الله وحده لا شريك له , له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير " عشر مرات " ثم قال : اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك , و منتهى الرحمة من كتابك , و أسمك الأعظم , ووجهك الكريم , و أسمائك الحسني وجدك الأعلى , وكلماتك التامات كلها المباركات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي وتسلم وتبارك علي مولانا محمد صلي الله عليه وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك , وأن تعطيني كذا وكذا وتصرف عني كذا وكذا .

((صلاة التيسير))

ومن إملائه رضي الله عنه ما هو معروف بصلاة التيسير وهو أن تصلي أربع ركعات تقرأ في الأولي الفاتحة مرة وقوله تعالي : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (آل عمران : 173) " مائة مرة " وفي الثانية الفاتحة مرة وقوله تعالي : ﴿ حسبنا

الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلي الله راغبون ﴾ (التوبة : 59) " مائة مرة " وفي الثالثة الفاتحة مرة وقوله تعالي : ﴿ حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ (التوبة : 129) " مائة مرة " . وفي الرابعة الفاتحة مرة وقوله تعالي : ﴿ حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ (الزمر : 38) " مائة مرة " .

فإذا فرغت من صلاتك فاسأل الله يتيسر ما تعسر قائلا : اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك الخ قايلا بعده متصلا به وأن تيسر لي ما تعسر من أمر كذا وكذا فإن الله ييسر ذلك بأدني سبب لا سيما أمور الرزق فهي له ترياق وأي ترياق . فمن الصالحين من يلتزمهم وردا نهارا أو ليلا أو فيهما فلا يحتاج معها غلي سبب من أسباب الرزق ماداد مواظبا عليها .

((صلاة التسابيح))

ومن إملائه رضي الله عنه ما هو معروف بصلاة التسابيح كما رواه أبو داوود والنسائي وابن ماجة والحاكم وعيرهم عن ابن عباس عن والده العباس عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال له : يا عم ... ألا أصلك ألا أنفعك تصلي يا عم أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر خمس عشرة مرة قبل أن تركع . ثم اركع فقلها عشرا قبل أن ترفع رأسك . ثم ارفع رأسك فقلها عشرا قبل ان تسجد . ثم اسجد فقلها عشرا . ثم ارفع عشرا ثم اسجد فقلها عشرا . ثم ارفع فقلها عشرا قبل أن تقوم . فتلك خمسة وسبعون في كل ركعة . تفعل ذلك في الأربع ركعات فهي ثلاثمائة فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك . إن استطعت أن تفعلها كل يوم مرة فافعل فإن لم تستطع أن تصليها في كل يوم فصلها في كل جمعة مرة فإن لم تستطع فصلها في كل شهر مرة فإن لم تستطع فصلها في كل سنة مرة فإن لم تستطع فصلها ولو في العمر مرة .

وهي مرهم لتفريج الكروب ودفع المكاره و مدلهمات الشدائد و مذهلات النوائب .

((وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله))

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق

السيد إدريس بن السيد مصطفي الإدريسي

****

كنـز السعـادة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا ومولانا محمد وعلي آلة وسلم , في كل لمحة ونفس عدد ما وسعة علمك , أمين .

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض , وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان .

أُقدم إليك بين يدي ذلك كله :

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) أمين .

وأُقدم إليك بين يدي ذلك كله : ((الاستغفار الكبير))

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والإكرام و أتوب إليه من جميع المعاصي كلها والذنوب والآثام ومن كل ذنب أذنبته عمداً وخطأً ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً في جميع حركاتي و سكناتي و خطراتي و أنفاسي كلها دائماً أبداً سرمداً من الذنب الذي أعلم , ومكن الذنب الذي لا أعلم عدد ما أحاط به العلم , وأحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما أوجدته القدرة ,

وخصصته الإرادة ومداد كلمات الله , كما ينبغي لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يحب ربنا يرضي . (ثلاث مرات) .وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ لا إله إلا الله محمد رسول الله , في كل محه ونفس عدد ما وسعة علم الله . (عشر مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ صلي الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله , في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

(ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ لا إله إلا الله (ثلاث مرات)

وبعد تمام المائة : محمد رسول الله صلي الله عليه آله وسلم

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين .

(ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

* الله , الله , الله (مائة مرة)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :((الصـلاة الجـامعـة))

* اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد وعلي آله , وعلي جميع الأنبياء والمرسلين , وعلي جبرائيل و ميكآئيل و إسرافيل وملك الموت وحلمة العرش , وعلي الملائكة أجمعين وعلي الأولياء والصالحين وعلي جميع عبادك المؤمنين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

هو , هو , هو (مائة مرة)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :((صلاة الكنه))

* اللهم صل علي الذات الكنه , قبلة وجوه تجليات الكنه , عين الكنه في الكنه , الجمع لحقائق كمال كنه الكنه القائم بالكنه للكنه صلاة لا غاية لكنهها دون الكنه وعلي آله وسلم كما ينبغي من الكنه للكنه , اللهم غني أسألك بنور الأنوار الذي هو عينك لا غيرك , أن تريني وجه نبيك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم كما هو عندك آمين . (ثلاث مرا ت)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ يا عظيم يا عظيم يا عظيم (مائة مرة)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : ((الصلاة العظيمية))

@ اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم , الذي ملأ أركان عرش الله العظيم و أن تصلي علي مولانا محمد ذي القدر العظيم وعلي آل نبي الله العظيم

بقدر عظمة ذات الله العظيم في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم , وسلم عليه وعلي آله مثل ذلك , واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً واجعله يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

يا حي يا قيوم (174 مرة)

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث , أصلح لي شأني كله , ولا تكلني إلي نفسي لا إلي أحد من خلقك , طرفة عين ولا أقل من ذلك , يا حي يا قيوم أحي قلبي بنور معرفتك ومحبتك في الدنيا قبل الآخرة , دائماً أبداً سرمداً , آمين .

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ يا كامل الذات يا جميل الصفات, يا منتهى الغايات , يا نور الحق , يا سراج العوالم , يا سيدي يا محمد , يا سيدي يا أحمد , يا سيدي يا أبا القاسم , جل كمالك أن يعبر عنه لسان وعز جمالك أن تكون مدركاً لإنسان , وتعاظم خلالك أن يخطر في جنان , صلي الله سبحانه وتعالي عليك وسلم يا رسول الله , يا مجلي الكمالات الإلهية الأعظم (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ يا لطيف , أُلطف بنا في جميع أُمورنا كلها كما تحب وترضي وأرضينا في ديننا وأبداننا ودنيانا و أخرتنا , يا ذا الجلال والإكرام . اللهم يا لطيف لطفت بخلق السماوات والأرض , ولطفت بالجنين في بطن أمه , أُلطف بنا في قضائك وقدرك لطفاً يليق بجلالك وكرمك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين يا لطيف لم

تزل ألطف بنا فيما لم ينزل وفيما نزل , أنت اللطيف لم تزل , يا لطيف لم خفي اللطف , تداركنا بلطفك الخفي والظاهر , الذي من تلطف به كفاه (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : ((الصلاة الجمالية))

@ اللهم صل علي مولانا محمد نورك اللامع , ومظهر سرك الهامع الذي طرزت بجماله الأكوان , وزينت ببهجة جلاله الأوان التي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته , وختمت كماله بأسرار نبوته فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم ولو لا هو ما ظهرت لصورةٍ عين من العدم الرميم , الذي ما استغاثك به جائع إلا شبع , ولا ظمأن إلا روي , ولا خائف إلا آمن , ولا لهفان إلا أُغيث, وإني لهفان مستغيثك أستمطر رحمتك الواسعة من خزائن جودك , فأغثني يا رحمن , يا من إذا نظر بعين حلمه وعفوه لم يظهر في جنب كبرياء حلمه وعظمة عفوه ذنب , إغفرلي وتب علي وتجاوز عني يا كريم . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد @ الله الصمد @ لم يلد ولم يولد @ ولم يكن له كفواً أحد) (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : ((صلاة المذهب للنسيان))

@ اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد النور المذهب للنسيان بنوره وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعة الله . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ لا إله إلا الله وحدة لا شريك له , له الملك وله الحمد , يحي ويميت وهو حي لا يموت , بيده الخير , وهو علي كل شيء قدير , في كل لمحة ونفس ملء الميزان , ومنتهى العلم ومبلغ الرضا , وعدد النعم , وزنة العرش .

أقدم إليك بين يدي ذلك كله :

@ وصلي الله علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله . (ثلاث مرات)

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : ((تسبيح الكفارة))

@ سبحانك اللهم وبحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت , أستغفرك و أتوب إليك , عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي , فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . (ثلاث مرات)

ثم تقرأ فواتح الاختتام

"وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وسائر التبعة والورثان

أنوار التحصين

لقطب المحققين مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم صلي على مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله...بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله...بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن ....(ثلاثا)

بسم الله. وبالله. ومن الله. وعلى الله وفي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله...بسم الله افتتحت. وبالله اختتمت وعلى الله توكلت...لا قوة إلا بالله دخلت في طي أمواج أسرار الحجب النورانية التى لا يطيق الناظر إلى كشف حقائقها.....وآئتزرت بسرادق الهيبة المنزلة من أسرار أنوار أسماء الله الحسني ، واكتفيت بكنف الله المطلق.. الذي منع عني أذي كل مخلوق من أهل السموات وأهل الأرضيين. ... حرز الله مانع ، وسر أسمائه دافع، ونور جلاله لامع ، وبهاء جماله ساطع...فمن أرادني بسوء أو كادني بكيد كنت.محفوظا معصوما مؤيدا منصورا وكان مذموما مدحورا خاسئا حسير... حم ...حم... حم... حم... حم ...حم... حم .... حم الأمر وجاء النصر.وخمدت نار العداوه والحرب. وامتنع كل شيطان ..وقهر كل جبار. وذل كل متكبر وخضع كل ملك وسلطان، ولهيبة عظمة جلال الله امتنع السوء عني واندفع... وظهر نور النصر ولمع وبدا سر أسماء الله وسطع وذل كل من الجن والأنس وخضع.....إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا...ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن...أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا....، حم ...حم... حم... حم... حم ...حم... حم .... حم الامر..

وجاء النصر.. وخمدت نار العداوة والحرب .. ونفذ حكم الله ، واستعنت بالله ، وتوكلت على الله و تحصنت بخفي لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر اللة وعظيم ذكر الله...وبقوة سلطان الله دخلت في كنف الله واستجرت برسول الله و برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته... قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت.و إليه متاب...فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم......(سبعا).

قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم...ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم...(ثلاثا).

اللهم استرني في نفسي وديني وأهلي ومالى و ما لىّ و ما علّىّ واخوانى بسترك الذي سترت به ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل إليك يا رب العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقوتك يا قوى يا متين... وصلي الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله. .

بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا . نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين....(تسعا).

بسم الله الرحمن الرحيم...إذا جاء نصر الله والفتح...ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا... فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا .

و صلي اللّهم على سيدنا محمد صلاة دائمة في كل لمحة من الأزل إلى الأبد

يقرأ هذا الورد صباحا و مساءا

كنز السعادة والإرشاد

لسيدي احمد بن إدريس

رضي الله عنه وأرضاه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلي الله علي سيدنا ومولانا محمد وعلي آلة وسلم , في كل لمحة ونفس عدد ما وسعة علمك , أمين .

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض , وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان .

وأُقدم إليك بين يدي ذلك كله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين أمين

وأُقدم إليك بين يدي ذلك كله :

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والإكرام و أتوب إليه من جميع المعاصي كلها والذنوب والآثام ومن كل ذنب أذنبته عمداً وخطأً ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً في جميع حركاتي و سكناتي و خطراتي و أنفاسي كلها دائماً أبداً سرمداً من الذنب الذي أعلم , ومن الذنب الذي لا أعلم عدد ما أحاط به العلم , وأحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما أوجدته القدرة , وخصصته الإرادة ومداد كلمات الله , كما ينبغي لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يحب ربنا يرضي

ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه

. ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

لا إله إلا الله محمد رسول الله , في كل محه ونفس عدد ما وسعة علم الله

عشرا

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

صلي الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله , في كل لمحة ونفس عدد ما

وسعه علم الله .

ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد - لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد 0

ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

لا إله إلا الله مائة مرة

وبعد تمام المائة : محمد رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد – لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

* الله , الله , الله 0 مائة مرة

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : الصـلاة الجـامعـة

* اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد وعلي آله , وعلي جميع الأنبياء والمرسلين , وعلي جبرائيل و ميكآئيل و إسرافيل وملك الموت وحملة العرش , وعلي الملائكة أجمعين وعلي الأولياء والصالحين وعلي جميع عبادك المؤمنين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين . ثلاث مرات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد – لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك

هو , هو , هو (مائة مرة

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : صلاة الكنه

* اللهم صل علي الذات الكنه , قبلة وجوه تجليات الكنه , عين الكنه في الكنه , الجامع لحقائق كمال كنه الكنه0 القائم بالكنه في الكنه للكنه0 صلاة لا غاية لكنهها دون الكنه0 وعلي آله وسلم كما ينبغي من الكنه للكنه , اللهم اني أسألك بنور الأنوار الذي هو عينك لا غيرك , أن تريني وجه نبيك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم كما هو عندك آمين . (ثلاث مرا ت

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد – لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

يا عظيم 0 يا عظيم0 يا عظيم (مائة مرة

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله -- الصلاة العظيمية

اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم , الذي ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم 0 أن تصلي علي مولانا محمد ذي القدر العظيم

وعلي آل نبي الله العظيم 0 بقدر عظمة ذات الله العظيم 0 في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم0 تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم , وسلم عليه وعلي آله مثل ذلك , واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً واجعله يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم . ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد – لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

يا حي يا قيوم (174 مرة

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث , أصلح لي شأني كله , ولا تكلني إلي نفسي ولا إلي أحد من خلقك , طرفة عين ولا أقل من ذلك , يا حي يا قيوم أحي قلبي بنور معرفتك ومحبتك في الدنيا قبل الآخرة .

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

يا كامل الذات يا جميل الصفات, يا منتهى الغايات , يا نور الحق , يا سراج العوالم , يا سيدي يا محمد , يا سيدي يا أحمد , يا سيدي يا أبا القاسم , جل كمالك أن يعبر عنه لسان وعز جمالك أن تكون مدركاً لإنسان , وتعاظم جلالك أن يخطر في جنان , صلي الله سبحانه وتعالي عليك وسلم يا رسول الله , يا مجلي الكمالات الإلهية الأعظم ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد – لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله

يا لطيف 129 مرة

يا لطيف , أُلطف بنا في جميع أُمورنا كلها كما تحب وترضي وأرضنا في ديننا وأبداننا ودنيانا و أخرتنا , يا ذا الجلال والإكرام . اللهم يا لطيف لطفت بخلق السموات والأرض , ولطفت بالجنين في بطن أمه , أُلطف بنا في قضائك وقدرك لطفاً يليق بجلالك وكرمك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين يا لطيف لم تزل

ألطف بنا فيما لم ينزل وفيما نزل , أنت اللطيف لم تزل , يا لطيف لم خفي اللطف , تداركنا بلطفك الخفي والظاهر , الذي من تلطف به كفاه - ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله 0الصلاة الجمالية

اللهم صل علي مولانا محمد نورك اللامع , ومظهر سرك الهامع الذي طرزت بجماله الأكوان , وزينت ببهجة جلاله الأوان0 الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته , وختمت كماله بأسرار نبوته0 فظهرت صور الحسن من فيضه في أحسن تقويم - ولو لا هو ما ظهرت لصورةٍ عين من العدم الرميم , الذي ما استغاثك به جائع إلا شبع , ولا ظمأن إلا روي , ولا خائف إلا آمن , ولا لهفان إلا أُغيث, وإني لهفان مستغيثك أستمطر رحمتك الواسعة من خزائن جودك , فأغثني يا رحمن , يا من إذا نظر بعين حلمه وعفوه لم يظهر في جنب كبرياء حلمه وعظمة عفوه ذنب , إغفرلي وتب علي وتجاوز عني يا كريم . ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد 0 الله الصمد - لم يلد ولم يولد 0 ولم يكن له كفواً أحد ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله

ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : صلاة المذهب للنسيان

اللهم صل وسلم وبارك علي مولانا محمد النور المذهب للنسيان بنوره وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعة علمك – ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له , له الملك وله الحمد , يحي ويميت وهو حي لا يموت , بيده الخير , وهو علي كل شيء قدير.

أقدم إليك بين يدي ذلك كله :

وصلي الله علي مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله . ثلاث مرات

وأقدم إليك بين يدي ذلك كله : تسبيح الكفارة

سبحانك اللهم وبحمدك , أشهد أن لا إله إلا أنت , أستغفرك و أتوب إليك , عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي , فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثلاث مرات

ثم تقرأ فواتح الاختتام

الفاتحه لسيدنا حضره مولانا وامامنا وقدوتنا ومرشدنا واستاذنا محمد النبي صلي الله عليه وعلي اله وصحابته اجمعين0

الفاتحه لسيدتنا السيده خديجه وجميع امهات المومنين رضي الله عنهم اجمعين

الفاتحه لسيدتنا السيده فاطمه الزهراء والال جميعا رضي الله عنهم اجمعين0

الفاتحه لسيدنا الامام الحسين والامام الحسن رضي الله عنهم اجمعين0

الفاتحه لسيدتنا السيده زينب وال البيت رضي الله عنهم اجمعين

الفاتحه لسيدنا سيدي علي زين العابدين وال البيت رضي الله عنهم اجمعين

الفاتحه لسيدي الامام الشافعي رضي الله عنه0

الفاتحه لسيدي احمد بن ادريس استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه0

الفاتحه لسيدي ابراهيم الرشيدي استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه

الفاتحه لسيدي عبد الله القرافي استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه0

الفاتحه لسيدي محمد عبدالدايم الجزيري استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه

الفاتحه لسيدي ابراهيم محمد عبدالدايم الجزيري استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه0

الفاتحه لسيدي علي بن سيدي ابراهيم بن سيدي محمد عبدالدايم الجزيري استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه0 وعنهم اجمعين 0

الفاتحه للشيخ فارس والشيخ فايز ابناء سيدي علي بن سيدي ابراهيم بن سيدي محمد عبدالدايم الجزيري استاذي ومرشدي وقدوتي رضي الله عنه0 وعنهم اجمعين

الفاتحه لجميع الاولياء والصالحين في مشارق الارض ومغاربها رضي الله عنهم اجمين

ان الله وملائكته يصلون علي النبي ياايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

سبحان رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين0 والحمد لله رب العالمين

اشرف الخلق سيدنا محمد صلي الله عليه واله وسلم0 0

الامير شهيب

تلميذ الشيخ فارس وفايز علي ابراهيم محمد عبدالدايم الجزيري

نائبا الطريقه الاحمديه الادريسيه

بقنا والاقصر واسوان

تفسير سورة الفاتحة

قال شيخنا وقدوتنا صاحب العلم النفيس مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

(الحمد لله رب العالمين)

الاسم والمسمى شئ واحد لا يتميز عنه وهماً حقيقة واحدة ، ومن ثم قال الله عز وجل : (وهلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) فأعاد الضمير على

الأسماء والمعروضة المسميات ، لكونها عينها لا غيرها ، وإذا تجلى الحق لا ترى غيره ، فلا ترى هنا أسماء متميزة في ذاتها

وكذلك الخلق فإن الرجل الكاتب والشاعر والخياط والشجاع والكريم والنجار ونحوه إذا أبصرته لا ترى إلا ذاته ، فلا ترى شيئاً من ذلك قائماً بذاته يبصر كما تبصر الألوان ، ولا تبصره لمجرد النظر إليه بذلك الاسم الذي هو الوصف إن لم تكن تبصره في الخارج ، ولا تبصره منه إلا بظهور الأثر فيه فإذا كتب علمت أنه كاتب ، وإذا قال الشعر علمت منه أن شاعر ، وإذا خاط علمت أنه خياط ، وإن قدم على المهالك ولم يخفف السيوف والرماح علمت أنه شجاع ، وإن أعطي علمت أنه كريم ، وإن نحر علمت أنه نجار . وهكذا

إذن فالأسماء والذات حقيقة واحدة ، والمعنى أن الحمد برز باسم الله الذي هو مجمع جميع الأسماء من حيث الرحمن الرحيم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى حمد نفسه بنفسه عنا رحمة بنا لم علم أننا لا نقدر على القيام بحمده كما يليق بجلاله وكماله ، فقام خليفة عنا باسم الوكيل وإذا كان الوكيل قائما بنفسه رحمة بأحد يعلمه أنه لا يعرف أن يقوم بأمر نفسه ولا يدري ما يضره ولا ينفعه كان أبلغ

في الاغتناء " أي الاستغناء " بخلاف ما إذا كان يحتاج إلى من يحثه على ذلك سواء كان الموكل أو غيره فإنه دليل على التقصي هذا وأصحاب المروءات من الخلق يكون الواحد منهم حركته في مكارم الاخلاق من نفسه وباعثه ، كما قيل في بعضهم

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى

فليس إلى معن سواك سبيل

فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟ وأي سبب لنا حتى أوجدنا ؟ فليت شعري من الطالب له غيره ، فلو عقلنا مع الله في وجودنا كما كنا في عدمنا ، برحمته لنا عن أن نطلب الرحمة لنفوسنا ، وأنه أرحم بنا منا بأنفسنا ، وتوكلنا عليه كما هو الوكيل الذي وكل نفسه لنا قبل أن نكون ، ووكالته لنفسه لا يدخلها خلل ، بخلاف ما إذا كانت الوكالة منا فإنها حقيقة على قدرنا وإذا كان الإنسان يمرض فيأتي بطبيب فيسقه دواء كريها ويكون هو يحسن الظن به أنه ما مراده إلا العافية ، ويبسط له الفراش الطيب إكراماً ، ومع ذلك يعطيه أجره ولا يرى أن مراده أذاه ، فأرحم الراحمين أولى بذلك .

وحقيقة التوكل وسنامه أن يتوكل عليه ليكفيه ولأنه أهل أن يتوكل عليه ، وأنه لا ينازع في ملكه وأعرف بالصالح منه ، وأنه أعلم بجلبه إليه ، ودرء المفاسد عنه ، ومن ثم قال الصديق رضي الله تعالى عنه حين قيل له : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب هو الذي أمرضني ، وهذا ليس من سوء الأدب كما زعم بعضهم ، بل من الفهم عن الله ؛ إذ معناه تمريضي هو عين الطب وهو كذلك ، فإذا كان يطهر بالمرض فيجعله سبباً للجمع به عز وجل فهو الطبيب الذي لا يغادر سقما إذا عرفت هذا علمت أن الوكيل يتكلم بلسان موكله فيقول : لي على هذا دين مثلاً ، ولي بذلك دين ، فينزل نفسه منزلة موكله ، ولا يحتاج إلى ذكر الموكل فإنه معلوم عند القاضي والخصم أنه وكيل وبهذا تعلم أن قول بعض المفسرين يقدر قول قبل (الحمد لله رب العالمين) من عدم فهم أن الحق قام باسم الوكيل عنا ، وهذه أسرار بدلية تلوح إن شاء الله لمن فهم عنها ، فهي أكبر النعم على الإطلاق إذ إيجاد العالم كله فرع عن توجهها عليه ، فهي أصل كل مخلوق وكلها منافع لنا في الدنيا والآخرة اللطفي منها والقهري ، أما اللطفي فظاهر ، وأما القهري فلأنه يكون أثره فينا عن الرحمة لنا كقول النبي r : " الحمى حظ كل مؤمن من النار ، وحمى يوم ،

كفارة سنة ، ولا يصيب المؤمن من نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلى رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة المظلومون هم المفلحون يوم القيامة)

وأيضاً قد يتوجه قهره على ما يؤذينا فإنه إذا لم يقهر الجوع عنا والعطش والخوف والهم والحزن ونحو ذلك باسمه القهار لا تذهب عنا ، فكل اسم من أسماء القهر ممحض للعذاب وأن أسماء الرحمة متمحضة للرحمة ، مع أن أسماء الرحمة أكثر من أسماء العذاب كما هو مشاهد حتى في المادة الواحدة تجد صيغ تلك أكثر من صيغ هذه فإن مادة القهر ليس فيها إلا القاهر القهار على صيغة فاعل وفعال ، ومادة الغفر فيها الغافر والغفور والغفار على صيغة فاعل وفعول وفعال فلتلك اسمان وهذه ثلاثة ، وما كان طائراً بثلاثة أجنحة يسبق ما كان طائرا بجناحين ، لأن الجميع قوى ، وكلها أسماء الله فهي مستوية في القوة ، فقاهر مقابله غافر ، وقهار يقابله غفار ، وبقي غفور معين لأخويه وليس من أسماء الله قهور ، ومن ثم قال الله عز وجل : (سبقت رحمتي غضبي)

(الحمد لله) الألف واللام الداخلة على المبتدأ جنسية تفيد الحصر أي حصر المبتدأ في الخبر كقولهم : الكرم في العرب والشجاعة في قريش ، وفي ذلك تفصيل أشار له الأجهوري بقوله :

بلام جنس عرفا منحصر

في خبرية وفاقا يذكر

فالمعنى حينئذ : أحمد الله بالله على معنى صدوره منه ، أي : لا حامد سواه لعجز الخلائق عن إتيانهم بالحمد على حقيقته ، فإنه لما عجز خلقه عن حمده حمد نفسه بنفسه نيابة منه عنهم ، فحمدنا وإن بلغ ما بلغ ليس بحمد في الحقيقة لقصوره وحصول النيابة عنه بحمد اللهثم النكتة التي يترتب عليها الحمد بقوله : رب العالمين أي موجد المخلوقات كلها ، ومدرجهم من طور إلى طور حتى يحصل الانتفاع بها كلها في جميع أطوارها لمن خلقت لأجله ، وهو النوع البشري في معنى المحمود عليه ، فإن جميع العالم مخلوق لنا قال تعالى (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) إلى غير ذلك فكأن التالي يقول أحمد الله بحمده الذي حمد نفسه به ، النائب عما وجب على من الحمد ، الكائن

في مقابلة نعمة التي من جملتها هذه العوالم كلها التي خلقت من أجلي ، فأشرفها أولو العلم من الملائكة والجن وغير ذلك ، وكذلك غلب العاقل على غيره فجئ بالجمع مذكرا عاقلاً ، وإلا فالمحمود عليه أولو العلم بمحض فضله وكرمه سبحانه وتعالى فقال بعد حمده

(الرحمن الرحيم) أي : إيجاده لنا وإيجاده ما خلقه لأجلنا إنما هو بمحض رحمته وجوده ، وأتى بالإسمين في صفة المبالغة إشارة إلى أن ما صدر منه ليس هو تمام رحمته وجوده ، بل رحمته كثيرة ، وجوده غزير حتى إن ما علمتوه بالنسبة إلى ما جهلتموه شئ يسير لا نسبة له معها ، كنقرة عصفور من بحر أو أدنى من ذلك ، فدخل فيه جميع الأسماء ودخل في قوله (مالك يوم الدين) أسماء الجلال والجمال كلها بصدقه على البرزخ وما بعده الذي الدنيا بالنسبة إليه كالرحم إليها ، وهم بالنسبة ليوم القيامة كالرحم إلى الدنيا ، فهناك تتحقق مظاهر أسماء الله تحقيقاً لا يرتاب أحد فيه ، فيبدو سلطان القهر والغلبة على أتم وجه وأكمل حال من كل معاند وجاحد وملاحد ، وسلطان الرحمة والامتنان واللطف لمن آمن بالله ورسوله وسلك سبيله واقتفى أثره دقيقه وجليله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين)

ثم إنه لما ذكر الحقيقة بالحمد ، ووصف بتلك الصفات العظام التي توجب إقبال العبد على ربه ، وتعينه بالخطاب الذي وجه كما تعين .

قال (إياك نعبد وإياك نستعين) ليكون أدل على الغيبة إلى الشهود وكأن المعلوم صار عياناً ، والمعقول مشاهداً ، والغيبة حضوراً لتناول كلام على ما هو مبديه حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في إنشائه ، والنظر في آياته ، والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ، ثم قضى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة ، فيراه عيناً فيناجيه شفاها ، لملاحظة نفسه في حضرات القدس مشاهداً له الحاضر والأنيس واقفاً بين يديه ضارعاً إلي بالخضوع والالتجاء ، قارعاً باب المناجاة قائلاً يا من هذه شئونه ، وتحصل بالعبادة والاستغاثة على غاية الجمع والإقبال ونهاية التضرع والابتهال ، وهذا هو السر في اختصاص تكرارات الفاتحة في كل ركعة من جميع الصلوات التي هي عبارة عن مناجاة العبد مولاه لكونه يحكم على نفسه في كل ركعة بأنه لا يعبد على حق سواه ، ولا يستعان بمن عداه ، فمتى تعلق قلبه بشئ أو تخيل استعانة لمخلوق فقد نقض العهد الذي أبرم فإن تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص

، أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، فنرى كل مصل في الصلاة يعاهد ربه بذلك في كل صلاة ، ومقتضى ذلك من ذوي العقول عدم نقض المواثيق بعدم جميع المنهيات ، والامتثال لجميع ما يستطاع من الأمور المأمورات ، ولذا قال الله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) لما اشتملت عليه من المواثيق والعهود المتجددة في كل يوم خمس مرات ، وكان عبد الحق الإشبيلي بالجزيرة من أجل علماء وقته ، فرأى النبي عليه الصلاة والسلام وأمره بأن يذهب لأبي مدين ويقرأ عليه سورة الفاتحة فقبل ، ثم لما انتبه تحير كيف يؤمر مثله بالذهاب لرجل لم يقرأ من القرآن إلا شيئاً يسيراً من سورة الملك إلى آخر القرآن ؟ أمثلي يذهب لذلك مع كموني أحفظه كله بجميع رواياته ومعرفة معانيه ؟! فقلت : إن كان له عمل فلنا بعض عمل ، وإن كان يقرأ الشئ اليسير فنحن نقرأ الكثير فما السبب ؟ فجاءه بعض تلاميذه فأخبره ، فقال : اذهب بنا إليه فما أمرك الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك إلا لسر ، فجاء إليه فما دخلا عليه المجلس قال لهما : مرحباً بعبد الحق وصاحبه ثم قال يا عبد أدن مني وامتثل أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فدنا فقرأ حتى " إياك .... الخ " فقال له : فما بالك تذهب إلى الأمير وتترد عليه ! فجعل يعتذر فقال : لأجل هذا أمرك الرسول عليه الصلاة

والسلام بقراءة الفاتحة علينا ، ثم رجع فلما وصل لمحله دخل خلوة واشتغل بالعبادة ، فسأل عنه الأمير فجعل الوشاة يطعنون عليه ويسبونه بأنه تكبر ونظر لعلمه واستنكف عن القدوم إلى الأمير ، وكان إذ ذاك شأن العلم أن يؤتي ولا يأتي فجاءه لخلوته بقصد زيارته بجميع أصحابه وجنده وجنده ، فإنه لما كان يستعين بغير الله أخدمه الله لغيره ، ولما رجع واستعان به أخدم الله له الامير وجنده ولما أكمل القاضي البيضاوي تفسيره وحمله للأمير على عادة العجم ، ولما كان في أثناء الطريق بالبادية رأى فقيراً صوفياً فاستضافه فأضافه الفقير وأحسن ضيافته ، ثم سأله عن سبب سفره فقال له : إني ألفت كتاباً في التفسير وأردت أن أرفعه للسلطان لأقتبس منه صلة ويحصل له القبول ، فقال الفقير : بم فسرت قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) ؟ فقال لا أعبد إلا إياك ولا استعين إلا بك ، فقال له الفقير : إن كنت لا تستعين إلا به فماذا تذهب للسلطان ؟ فاعتذر بأن له بنات وأراد تزوجهن فلم يجد ما يزوجهن به ، ثم سرت فيه موعظة الفقير فرجع ففرج الله عليه أمر بناته من حيث لا يحتسب ولا يدري ، ووقع الإقبال على تفسيره دون غيره من التفاسير مع كثرتها جدا (اهدنا الصراط المستقيم) الذي أنت عليه وذلك لقوله : (إن ربي على صراط مستقيم) ومعناه : خلقنا بأخلاقك .

ثم لما كان لا طريق لمعرفة الله من طريق نفوسنا – فإن هذا العالم الذي هو نسخة من العالم الكبير خلقه الله على صورته كما في الحديث " من عرف نفسه عرف ربه " ، وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) أمرنا بمعرفة الهداية بطريق معرفة النفوس ليحصل المقصود الاعظم والغاية القصوى ، والمراد بالصراط المستقيم : الطريق الموصل لمعرفة النفس على الحقيقة الموصلة لمعرفة الله ، وقد أبان ذلك صاحب النصوص في الفصل الأول على غاية التحقيق على ما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام

احذروه فإنه غيور

فلا تجعل في قلبك سواه

ثم بين ذلك الصراط بأنه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالمعرفة الحقيقية فمتى كان الغالب عليهم الاشتغال بك عشقوك وعشقتهم ، فجعلت لذتهم وجبلتهم على ذكرك ، فرفعت الحجاب فيما بينك وبينهم ، وفي جمالك نزهتهم في حزب من تقربوا إليك بالنوافل ، فكنت أسماعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وألسنتهم وأفئدتهم ، فكنت إياهم وكانوا إياك من غير اتحاد ولا حلول ، ولا كان العبد ربا ولا

كان الرب عبدا على حالة يعلمها من أذقتها إياه من النبيين والصديقين (غير المغضوب عليهم) كمن كان يعبد غيره بمحبته وتغيير قلبه واستعان به إذا اتكل عليه وهو على مراتب . فمنه غضب وسخط وطرد كغضبه على اليهود ومن نحا نحوهم على ما قص الله في حقهم ، وغضب تأديب ومنه ما وقع لعامة الناس من الحدود والزواجر عنها ، ومنه غضب غيرة ومنه ما يقع لأوليائه ، فإنه يبحث الرب قلب عبده المؤمن فمتى حل فيه غيره غضب لشدة غيرته على قلوبهم أن يعمرها غيره أو تعلقت بسواه ، وقد كان بعض العلماء فر بنفسه ولزم مغارة ولا أنيس بها ليتجرد عما سواه فجعل الناس يذهبون لمحله ذلك ويرصدونه عساهم يرونه فإذا رأى الناس فر وتوارى عنهم ، فرصده بعض أصحابه حتى رآه ففر منه فقال : لا غرض لي في شئ بسوى أن أسمع منك كلمة تعظني بها فقال له احذره فإنه غيور فلا تجعل في قلبك سواه ، ولهذا أمر الله الخليل بذبح ولده إسماعيل ، لأنه جاءه على الكبر ففرح به ، ومال إليه بقلبه بعض الميل ، ومال إليه إسماعيل كذلك ، فغار الحق عليهما فأمره بذبحه فلما امتثل لجميع ما أمر به ، وحصل تفريق قلب كل من صاحبه فداه الله تعالى من الذبح أي : بالكبش ، ولذا أيضاً فعل بيوسف ما فعل على يد إخوته ، لأنه لما تعلق قلب أبيه به لما تفرسه من النور النبوي ولما مال

يوسف لأبيه ابتلى بالرمي في الجب ثم لما لم يبق له سوى التعلق بالحق أوحى إليه لمجرد الإلقاء فقال : (وأوحينا إليه) إلى آخر الآية فجاءته النبوة عندما خلص قلبه من جميع ما سوى الله ، وخلص قلب أبيه كذلك ، فقال : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) ثم قال تعالى : (ولا الضالين) عن طريق معرفة نفوسهم فلم يعرفوا ربهم ، إما عن طريق الدليل والبرهان كمعرفة النصارى وجعلهم الله ثالث ثلاثة ، أو شهود عيان كمعرفة عامة الناس ، لضلالتهم عن هذه المرتبة ، لعدم معرفة طريق نفوسهم التي هي السبيل لمعرفة الله بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام وكلام الله تعالى في غير ما موضع فيه ، وأما من أيده الله فوفقه لذلك السبيل فنال المنى وأزال عنه العناء وقليل ما هم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) قوله : ألم . هو ونحوه من أوائل السور – كقوله تعالى حم عسق ، ص ، ق ، ن إلى آخر السور – ما بعده إلى تمام السورة بعض تفسيره ، وله من التفسير فوق ذلك ، فإيراد (ذلك الكتاب) ....

السورة بعده من إيراد الخاص بعد العام قوله (ذلك) الإشارة إلى الغيب المدسوس في قوله (ألم) و(الكتاب) سماه كتاباً لأن كل حرف فيه بقية الحروف فالحرف الواحد رسول واحد ، والرسول الواحد عين الرسل كلهم ، قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين) فجمعهم ثم فسر الجمع بقوله : (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) فسمى نوحاً بالمرسلين ، وهكذا (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) فسمى بالمرسلين ، فجعل الرسول الواحد الرسل كلهم ، فكذلك الحرف الواحد هو الكتاب كله ، فمن كفر بحرف كفر ومن قال من المفسرين – كالجلال رحمه الله تعالى – عن أوائل السور الله أعلم بمراده بذلك فقد أجاد وأصاب لقول الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) وإنما قال : (ذلك الكتاب) ولم يقل القرآن ، لأن الكتاب و الوجوب (كتب ربكم على نفسه الرحمة) والقرآن هو الجمع ، فالكتاب فيه فائدة والدليل على أن التالي للقرآن يثاب ولو لم يعلم المعنى أوائل السور ، قال r : (من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) ولكن لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون واعلم أن التالي نائب عن الله تعالى ، فهو يتكلم بكلام الله ، فلذلك لا ينسب الكلام إليه فيقال بكل لسان وقوله تعالى : (لا ريب فيه) أي

للمتقين فحذفه من الأول لدلالة الثاني عليه ، والريب أخص من الشك ، لأنه يشك مع ارتياب قال تعالى : (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) وقوله تعالى (هدى للمتقين) أي بياناً لهم ليفوزوا فهم المقصودون بالانتفاع

وأما قوله تعالى : (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فالمراد به يظهر الحق كالشمس فلا يبقى لأحد حجة ، وليس ذلك خاصا بالمتقين بحيث تقوم الحجة التامة عليهم

وقوله تعالى :(للمتقين) تنازعه كل من (لا ريب فيه) و(هدى) وإنما كان المتقون لا يرتابون لأن إيمانهم به إلهي ، غذ التقوى توجب محبة الله تعالى ، ومن أحبه كان سمعه وبصره ويده ورجله وفؤاده ... الخ . كما يليق بجلاله ، فإيمانه هو إيمان الله بنفسه فلا يقبل الريب فما هو من عند نفسه بل هو من عند الله ، وتقريبه وحاصلة أن إيمانهم لدني

والتقوى : القيام بما أمر الله به لله ، واجتناب ما نهى عنه له

الغيب

كل ما غاب عنا

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . (الغيب) القلب لأنه غائب في الصدر ، قال رسول الله r : (التقوى ها هنا) وأشار بيده إلى قلبه ، فمحل إيمانهم القلب لا اللسان ، فيكون المعنى : للمتقين الذين يتقون بقلوبهم تقوى خالصة عن الرياء والسمعة ، لا بظواهرهم فقط كما هو شأن الخالي ، ولا إسلام فقط كما هو شأن ذوي النفاق . فافهم

(والغيب) كل ما غاب ، فالحق غيب عند أكثر الخلق مع أنه معهم ولكن لما كانوا غائبين عنه كان غيبا بالنسبة إليهم ، فأطلق عليهم غيب ، فهم يؤمنون به على الغيب ، كما يؤمنون بسائر المغيبات ، والمعنى يؤمنون بما غاب عنهم ، وأخبرهم الشرع به لقلوبهم إيماناً ربانياً حقيا

فالغيب : أي كان الحق سمعهم وبصرهم فقام فيهم الإيمان الذوقي من كينونة الله لهم وهكذا

وإيمانهم غيبي إلهي وغيبي قلبي بكل ما أخبروا به في الشرع من المغيبات ، فقوله : الغيب شامل لذلك كله ، ومثله في كون الغيب الله والقلب (الذين يخشون ربهم بالغيب) ةأي يخشون الله بالله (لطيفة) من كان من الناس صاحب شهود يدخل أيضاً فيما ذكرنا ، لأنه وإن كان آمن بالحق على عيان فمن وراء ما شهد غيب لا نهاية له

قال الخضر عليه السلام هو من أكابر المقربين لموسى عليه السلام ، وهو من أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام : (ما علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما أخذه الطائر بمنقاره من البحر) أي من العلم الشهودي

وقوله (ويقيمون الصلاة) على حد ما كان يصليها رسول الله r من التطويل فيها والخشوع بإفراغ الوسع فيها ظاهراً وباطنا

وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) المراد به الزكادة ، فلذلك حيثما ذكر الحق الإنفاق لا يذكر الزكاة ، والزكاة حيث أطلقت لا تختص بالمال بل المراد بها طهارة البدن من قاذورة المعاصي . قال الله تعالى : (قد افلح من زكاها) (قد أفلح من تزكى) فيشمل الغنى والفقير ومن زكى النفس فلا شك أنه لا يبخل بالمال ، ومن

أعظم الإنفاق إنفاق العلم النافع الذي به تكتسب السعادة الكبرى ، والمراد يؤتون الزكاة حقها ، وضدهم الذين يبخلون بأنفسهم في الله ، كما قيل شعراً

ومن لم يجد في حب نعم بنفسه

ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فالنفس هي الأصل المتقدم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وأتى بمن التبعيضية ليدل على أنه إذا أنفق البعض في طاعة الله ، وترك البعض ، واستراح بعض الأحيان فقد أنفق ما أمر به ، وأشار على أنه على كل حال لا ينفق إلا البعض ، فإن قيل الشهيد الذي يقتل في سبيل الله قد أنفق كله . فالجواب أنه لم ينفق الكل ثم بذلها فما أنفق إلا البعض . فالعباد ليسوا مأمورين بإنفاق الكل إذ ليس في وسعهم أ هـ

(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

هؤلاء دون السابقين في المرتبة أي لم يفرقوا بين الكتب والرسل ، فليست خاصة بأهل الكتاب ، بل حتى فينا معشر الأمة الإسلامية فإنه كتب علينا الإيمان بسائر الكتب والرسل ، إذ ذلك في كتابنا

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

وشهد الله لنا (من الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى (وإليك المصير) وما أخرنا الله عن الأمم كلهم إلا لنحوز أخبار الرسل كلها ونؤمن بها فيتضاعف لنا الثواب بلا حد . وأما من كان من أهل الكتاب وآمن برسولنا فيؤتي الأجر مرتين فقط

(فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي : آمنوا من قوم عيسى عليه السلام بسيدنا محمد r ثم قال لهم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) وهو الأجر مرتان ، ثم قال : (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي إخوانهم

الكفار منهم (ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

وهذا متعلق بقوله (آتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي آتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ليلبس على الكثير الفاسقين وهم المراد بأهل الكتاب هنا ، فأراد الحق بإعطاء المؤمنين الأجر ليبينهم على الذين لم يؤمنوا وليعلموا أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله ، مع أن الواقع كذلك فتوفرت فيهم داعية الضلال لتحق عليهم الكلمة لعلمهم شقاوتهم وأنهم أهلها الحقيقيون بها فهم من القبضة التي قال فيها هؤلاء ولا أبالي للنار (لا يسأل عما يفعل) فالعدو جزاؤه أن يعمى عليه الطريق (وللبسنا عليهم ما يلبسون)

وقوله (وبالآخرة هم يوقنون)

ذكروا هنا بعد أن ذكر (يؤمنون بالغيب) من ذكر الخاص بعد العام

(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أي على بصيرة من أمرهم ، وإنما قال على هدى ليدل أنهم دون السابقين في الرتبة أي فهم على الهدى غير ضالين

فالأولون أهل كمال الإيمان وهؤلاء أهل مطلق الإيمان والفلاح هو الفوز بالله

(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) بعد أن ذكر المؤمنين ذكر الكفار ، وقوله : (إن الذين كفروا) أي : في علمنا ، فإن قيل إذا كانوا لا يؤمنون فما فائدة الإنذار

فالجواب أن الإنذار لإقامة الحجة عليهم (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)

(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)

ولا حجة لهم في قولهم : لو شاء الله ما أشركنا به وما عبدنا من دونه من شئ ولا يحتج به ، لأنهم لم يقولوه بالله بأن كان الحق سمعهم وبصرهم فلا يشهدون فاعلاً غيره ، وإنما قالوا من عند أنفسهم ليجادلوا به الحق عنهم . فهي كلمة حق أريد بها باطل ، إذ القدر لا يؤمر به ولا يحتج به (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) فزكوا به أنفسهم والتزكية لا تجوز بالحق ، فكيف بالباطل ؟!

نعم ... من زكاه الحق بأن كان لسانه الذي يتكلم به فهو ناقل عن الله تزكية الله له ، لا يزكي لنفسه بنفسه ، قال r : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "

كأنه قيل ولم لا يؤمنون ؟ قال الحق سبحانه وتعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)

الختم على القلب سده حتى لا يدخل فيه خير ، كما تسد أفواه الأواني حتى لا يخرج منها ما فيها ولا يدخل غيره ، فالختم أبلغ من الربط ، لأنه ينحل بأدنى سبب ، بخلاف الختم يصير بعض الأخيار كأنه من جنس الإناء حتى يتخيل أن لا فم لذلك الإناء ، وذلك من الإتقان ولا أتقن من الله ، فلا يفتح ما ختمه ولا ما

ربطه حتى يفتحه هو بنفسه أو يحله ، وليس المراد أن قلوبهم لا تعي أصلاً ، وآذانهم لا تسمع أصلاً ، وعيونهم لا تبصر أصلاً ، إذ لو كانوا كذلك لعذروا بل المراد ألا يدخل الخير عليهم أصلاً ، ويبقى الشر مكانه في قلوبهم ولا يخرج ، لعدم وصول ما جاءت به الرسل إليهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أي في أمتها ، والغشاوة للبصر كالختم لغيره ، وقال الله أيضاً فيهم : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وكما قال الله تعالى فوجدوا أنفسهم (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (ولهم عذاب عظيم) هو الحجاب عن ربهم ضد الفلاح (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

تنبيه : القرآن بحر محيط لا ينحصر في معنى واحد قال رسول الله r " (القرآن ذو وجوه كثيرة فاحملوه على أحسن وجوهه) ومن جاء إلى البحر لا يأخذ قطرة ويقول هو البحر كله

قال أبو الدرداء – وهو من عظماء الصحابة - : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يعلم للقرآن وجوهاً كثيرة ، ويعلم أيزداد هو أم ينقص ؟ ويعلم نزغات الشيطان أنى

تأتيه ، (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فما دام القلب واقفاً مع الله لا تأتيه نزغات الشيطان فإذا مال إليه قليلاً التقدم (من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) . أي وما هم بمؤمنين بقلوبهم ، فقولهم (آمنا) تقيه يحرزون بها أنفسهم وأموالهم فتقى أموالهم ودماءهم ، لعدم الإطلاع على قلوبهم ، وهكذا آمن رسول الله r وآله وسلم قتيل أسامة الصحابي وذلك أنه قتل في الجهاد رجلا بعد أن قال (لا إله إلا الله) فذكر ذلك الرسول r وآله وسلم فغضب الرسول r غضباً ما غضب مثله ، وقال له : أقتلته بعد ما قالها ؟ قال : نعم ، فقال له : وكيف بـ (لا إله إلا الله ؟!) فقال له : إنما قالها تقية : فقال له الرسول r : هلا شققت عن قلبه ؟ وقال رجل من الصحابة يا رسول الله أرأيت إن قطع يدي فأهويت لأقتله فقالها ؟ فقال له : إن قتلته صرت مثله قبل أن يقولها ، وصار مثلك قبل أن ثقلته – يعني هو مات مسلماً وأنت عشت كافراً – فلا دليل على المنافقين في الظاهر حتى يقتلوا ، والحال أن الرسول r كان يعرفهم في نفسه ، وقد عرفه الله بهم بعد أن قال له : (لا تعلمهم نحن نعلمهم) فقال له تعالى : (فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)

وقوله : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) ولا يجاهد من لا يعرفه ، وجهاد المنافقين بالقرآن (وجاهدهم به جهاداً كبيراً)

(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي يتقون بقولهم آمنا بطش رسول الله والمؤمنين ، فمخادعة الله هي مخادعة رسوله إذ هو مظهره ، وخداعهم خداع لأنفسهم في نفس الأمر ، فمن فعل خيراً فلنفسه فعله ، ومن أساء إلى أحد أساء إلى نفسه (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) فمن قطع يد شخص أو رجله أو فقأ عينيه أو قتله فعل ذلك لنفسه ، فإن يده تقطع به ورجله وتفقأ عينه ويقتل ، وكأنه هو القاطع يد نفسه ورجله والفاقئ عينه والقاتل لنفسه هكذا فلا يفعل إلا حسناً ويجتهد في الإحسان ما استطاع بإفراغ وسعه فيه من جميع الوجوه ، ومن علم أن ما يعمله من سوء له يتباعد عن الشر غاية التباعد ، فقد أبلغ الحق لنا البيان لئلا يكون خيراً إلا ونأتيه ولا شر إلا ونجتنبه

وقوله (وما يشعرون) أي ولا يحسون بذلك ، أي فضلاً عن أن يعلموه فهو أبلغ من نفي العلم ، (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا

يكذبون) المرض هو النفاق المانع لقلوبهم من قيام الإيمان بها ، إذ المرض ينافي الصحة

وقوله (فزادهم الله مرضاً) متعلق بقوله (ومن الناس) (ومنهم الذين يؤذون النبي) (ومنهم من عاهد الله) (ومنهم من يلمزك في الصدقات) فهم يتوجعون لذلك ويتألمون غاية الألم بذكر صفاتهم ، ولا يزالون يرتقبون الفضيحة فكلما أنزلت آية يخافون أن تصرح بأسمائهم وبما في قلوبهم

والمرض أيضاً يطلق على الزنا كما يطلق على ضد العافية ، قال تعالى (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي زنا ، ولو لم يكن منافقاً ، وإن المرأة إذا خضعت بالقول طمع فيها من يريد الزنا بها

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

الفساد في الأرض بإيقاع المعاصي فيها ، وهم لم يخلقوا إلا للطاعة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ففي الأرض أبلغ من التعبير على الأرض ، لأن

(على) تقتضي السريان في جميع أجزائها بخلاف (في) . فالمعصية تمحق بركة الأرض والسماء ، فكلما عمل عليها دست من بركتها التي هي الأرزاق المودعة فيها من منذ قتل قابيل هابيل ، كل ذلك من شرر المعصية (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) . فعل المعاصي يمنع المطر أن ينزل من السماء حتى يهلك بسببه الحرث والنسل ، وبه يحصل الفساد في الأرض كما ذكرنا ، والمراد بالأرض الأرض التي م عليها ، لا كل الأرض ، فالفساد في موضع هو الفساد في الأرض كلها ، قال تعالى :(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) أي الأرض التي عليها عمل ذلك الفساد ، لا جميع الأرض ، وإلا لكان حين قوله (أو يقتلوا) والمناهي التي إذا ارتكبت يقع بها الفساد معلومة مفصلة كما في قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا)(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) إذا (قالوا إنما نحن مصلحون) يدعون الشفعاء عند الله ، فقالوا عن الأصنام (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله) لأنهم بنات الله

والإنسان إذا أراد حاجة من عظيم توسل في قضائها إليه بمن هو قريب عنده فنحن مصلحون باتخاذنا الأصنام

ولا يعلمون أن تعيين الصلاح والفساد لا يعلم إلا من الشرع لا من العقل وقوله (ألا إنهم هم المفسدون) في قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هو الفساد ، ومن الفساد الحكم بغير ما شرع الله من السياسات ، والقياس بالرأي فيما يفعله من ينتسبون إلى العلم ، ويجعلونه شرعاً مع أنه من عند أنفسهم بلا شك ، ولا يردون الحكم إلى الله وإلى رسوله r كما قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) وبما أمر الله ردوا الأمر إليه وإلى الرسول r

ألا وقد علم أن الحكم مبين في كتابه وفي سنة رسوله r ، إذ الرسول r وآله وسلم مبين لكتاب الله تعالى فما وجد من الأحكام في الكتاب وجد ، وما لم يوجد فيه أحال به على الرسول r (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)

فرسول الله r مكلف بالبيان من الله تعالى ، ولا شك أنه وفى – أي أدى – بما كلف به في البيان ، فما من أمر من الأمور إلا وله حكم في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله r ، علم ذلك من علم وجهل من جهل ، والله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فما بقي نقص ، فلا معنى للقياس فقد قال رسول الله r : (تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ،

وستفترق هذه الأمة على اثنتين وسبعين فرقة أخطرها على الدين قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله) رواه الترمذي على شرط الصحيح ، ورجاله رجال ثقات

وقال رسول الله r (الحلال ما أحل الله في كتاب ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه عفا عنه فاقبلوا من الله عافيته) وحاصله : من أحدث حكماً فقد أحدث ربوبيته (إن الحكم إلا لله) فلوا طلبوا الأحكام الشرعية لوجدوها ولكن يميلون إلى الهوى ويعبدونه ، ورسول الله r يقول (ما تحت أديم السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من هوى يتبع)

وقوله : (ولكن لا يشعرون)

لا يقال إذا كانوا لا يشعرون فهم معدومون لأن الرسول المكلف بالبان قد بين لهم ، وبعد البيان لا عذر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(سأل رسول الله r الصحابة : ما تقولون إذا سألكم الله عني ؟ قالوا نقول إنه بلغنا ونصحنا أو كما قالوا

فرفع يده اليمين إلى السماء وأشار بسبابته إلى فوق ثم نكث بها إلى الأرض وهو يقول اشهد من فوق ومن تحت (وهو الله في السماوات وفي الأرض) والمراد أينما كنت فاشهد)

وكونهم لا يشعرون بأنهم مفسدون من الضلال البعيد ، إذ لو شعروا لزاماً رجعوا وقد يقع للبعض الشعور والعلم بذلك ولا يرجعون بل يجحدون الحق : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) فقوله (ظلما وعلوا) راجع إلى قوله (وجحدوا بها) لا إلى (واستيقنتها) وحاصلة أنهم فريقان : فريق لا يشعرون ، وفريق يعلمون ، وليس فيهم من العلم إلا إقامة الحجة عليهم ، وأما الذين يشعرون بأنهم ليسوا على الحق فلا خير إلا فيمن عرف الحق وانقاد له

قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه :

(من عرف الحق وتواضع لأهله فهو من أهل الجنة وإن عمل ما عمل من الشر ، ومن أنكر الحق ولم يتواضع لأهله فهو من أهل النار وإن عمل ما عمل من الخير)

كان عندنا بفاس رجل من أرباب الدولة حاكم وهناك شجر الزيتون كثير جداً غوبا غوبا ، فإذا أخذ أربابه ثمره دخله الفقراء فالتقطوا ما يجدونه من البقايا التي فيه ليتمتعوا بها ، فجعل الحاكم بعض عسكره يؤذونهم بأخذ ما التقطوه ، فمررنا ذات يوم بهم فإذا هم يأخذون من الفقراء ما عندهم ، فقلنا ما هذا ؟ فقال لنا بعض الإخوان : هؤلاء العساكر يأخذون من الفقراء ما يلتقطونه بأمر الحاكم ، فبعث واحداً من الإخوان ، وقلت له : قل له يقول لك واحد – ولا تسمني له – اترك هذا للفقراء والله يعوضك أحسن منه ، فراح إليه وبلغه ذلك فقال له : إن إرباب البساتين هم الذين اشتكوا منهم ، ولكن لما قلت لي إذاً لك مرحباً أنا أتركهم من أجله ، وأصحاب البساتين ما شاءوا يصنعون ، والحال أنه تدخل عليه من أجل ذلك منافع آلاف

فتركها كل ذلك من حسن العقيدة ثم بعد مدة دعا الحاكم ذلك الرجل من إخواننا الذي أرسلته إليه فقال له : بلغ رسالتي كما بلغتني الرسالة فقال له : مرحباً وقال له : قل له مقصوده أن السلطان يوليه على البرية الفلانية من البراري وفيها منافع كثيرة

فجاء وبلغني ذلك فقلت له مرحباً ، فبعد أيام ولاه السلطان بغير تسبب منه ولا شئ ، فهو وأمثاله ينالون باعتقادهم في أهل الحق مطالب كثيرة وينجون بهم من شرور كثيرة دنيوية وأخروية ، (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

قال (الناس) ولم يقل (العقلاء) رتبة عظيمة شريفة لا يماثلها شئ ، لذلك أطلقت على بني آدم ، قال تعالى (أفيضوا من حيث أفاض الناس) والمراد بالناس الصحابة والنبي r أورد عليه أن إيمان النبي r لا يقدر أحد أن يأتي بمثله فما التشبيه ؟

والجواب أن المراد الإيمان الذي ذكره النبي r في قوله (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ....) وهو الذي علمه جبريل للصحابة حين جاء في صورة المتعلم الإسلام والإيمان والإحسان ، وأما إيمان النبي r فليس للرسل عليهم السلام إليه سبيل فضلاً عن غيرهم ، فالرسل يعجزون فضلاً عن غيرهم عن اللحوق به r ، فإيمانه وأحواله اختصاص من الله

تعالى ، له النبوة وآدم منجدل في طينته ، فلا يعرف أحد حقيقة الرسول على ما هو عليه كما قال r (وأنه لا يعرف حقيقتي غير ربي)

كنا مع بعض الأولياء رضي الله تعالى عنهم الذين يجتمعون بالنبي r فتكلم معي في مشاهدته r فقلت : مشاهدة الرسول r هذه التي يشهدها الأولياء أراها كمنزلة الظل من الشخص فالظل بالنسبة إلى الشخص كلا شئ

قال أويس القرني رضي الله تعالى عنه للصحابة وفيهم سيدنا على وسيدنا عمر رضي الله تعالى الله عنهما : هل رأيتم محمداً r ؟ قالوا : ألسنا أصحابه قال : إنما رأيتموه كالسيف في غمده

وهم كذلك رأوه كالسيف في غمده (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) فالنظر لا يقتضي الإبصار ، فأنت ترى الصبي ولا تبصر زيادته التي يزيد بها مع أنه في زيادة بلا شك من جميع الجهات طولا وعرضا ، ولكن لما كانت الزيادة لطيفة كانت لا تبصر فإذا غبت عنه مدة ثم حضرت عنده وجدته كبيراً فحينئذ تبصر الزيادة

وكذلك إنبات النبات اللين لا تبصر زيادته مع أنه في زيادة بلا شك ، وبعض النباتات في ليلة واحدة إذا فارقتها ثم رجعت إليها وجدتها زادت كثيراً

تنبيه : هذا دليل صريح في وجوب التقليد يرد على المتكلمين القول بعدم التقليد مع أنهم هم في الحقيقة مقلدون ليس في يديهم غير التقليد فإنهم يقررون أقوال من قبلهم في التوحيد وقواعده

وما زادوا في تقريرها إلا أن تحفظ عنهم ويقتدي فيها وهذا هو التقليد فهم ينفون التقليد بالتقليد فيغسلون الدم بالدم وغسل النجاسة بالنجاسة لا يزيدها إلا انتشاراً وتأكيداً فهم مقلدون وهم لا يشعرون

وقوله تعالى (أنؤمن كما آمن السفهاء) تجلت لهم سفاهتم في غيرهم فهم يشهدون وصفهم يحسبون أنه وصف غيرهم

قال بعض الصوفية : لصفاء إخواننا رأووا وجوههم فينا

ومثلهم كمثل الراكب السفينة بجانب الساحل هي تجري به وهو يرى البر هو الذي يجرى ، فجريه و يراه في غيره ، فرآه معكوساً وهو يعلم يقينا أن البر لا يجري ولا تجرى الأشجار التي فيه وإنما تجري السفينة

والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف ، والسفيه هو الجاهل ، (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) أي جهلها فلذلك جهل ربه فرغب عن سبيله ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وقوله تعالى (ألا أنهم هم السفهاء) تبيين من الله تعالى لحقيقة الحال بأنهم إنما انعكس عليهم الأمر فرأوا الضلال الذي فيهم في غيرهم

وقوله (هم) تأكيد أي لا غيرهم ، وقوله تعالى (ولكن لا يعلمون) نوع لأنهم نوعان ، نوع لا يشعرون بشئ ونوع يشعرون شعوراً لا يبلغهم إلى العلم وهم المرتابون فلم يكتف بـ(لا يشعرون) لذلك

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا أمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)

عبر بـ(لقوا) في (الذين آمنوا) عن (خلوا) بم للقيم في الملأ وفي المنافقين (وإذا خلوا) إلى أنهم لا يظهرون بذلك في الملأ تقية بل في الخلوة

وقوله تعالى (إلى شيطانيهم) عبر بـ(إلى) لأنهم يمشون إليهم بالقصد وسماهم شياطين والشيطان البعيد ، فتلوا العرب ناقة شيطانية إذا كانت لا تألف الإبل ، وإضافتهم إليهم لأنهم من جنسهم إذ المراد شياطين الإنس

وقوله تعالى (إنا معكم) أي بقلوبهم والمعول على القلب ، وقوله تعالى (قالوا آمنا) أي بلسانهم

وقوله تعالى : (هذه النار التي كنتم أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم)

(ذق إنك أنت العزيز الكريم) وقوله تعالى : (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) لأن مراد الله فيهم الضلال

(سؤال) من أيقن بقلبه ولم يقر بلسانه هل ينفعه ذلك ؟

والجواب : لا ينفعه ذلك لقول الله تعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعدوا) فـ(ظلماً وعلواً) راجع لقوله (وجحدوا بها) فمن لم يجهر بالتوحيد بأن صدق بقلبه أن هذا الدين حق وكفر بلسانه فأبى الإسلام لا يقبل عند الله ، وذلك كقول أبي طالب :

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

قال تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) حالاً ولا مالاً لعلم الله فيهم ذلك وهو رد على ما تدعيه أنفسهم من أنهم مهتدون

ثم قال (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

الضمير في (مثلهم) عائد إلى (ومن الناس) بواسطة عوده إلى (الذين اشتروا) أي صفتهم كصفة الذي استوقد ناراً ، فالكاف تشبيه وليست بزائدة ، فالمثل يأتي

بمعنى الصفة كقوله تعالى (ولله المثل الأعلى) أي الصفة العليا ويأتي بمعنى التمثيل ، كقوله تعالى (واضرب لهم مثلاً) (ولما ضرب ابن مريم مثلا)

والضرب الفرض والتقدير وقوله (الذي استوقد نارا) لم يقل الذين بصيغة الجمع لأن المنافقين يتداخلون في بعضهم فهم ذات واحدة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) ، وإنما المؤمنون قال فيهم (بعضهم أولياء بعض) والولي الناصر فلا يرى خيراً إلا ويجلبه لوليه ولا شراً إلا ويدفعه فالمؤمن كثير بأخيه .

وقوله (استوقد نارا) السين والتاء للطلب أي عالج اتقادها وذلك كقوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)

منهم : يعرفونه في منامه ، أو الآيات في قوله (ومن الناس) في أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم حتى إنهم يعرفون يوم مولده ومماته r

كان سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه – يخدم واحداً من أحبارهم

فلما قرب زمن الوفاة قال له : إني قد خدمتك كذا عاماً ولي عليك حق فأوصني من أصحب بعدك ؟ فقال له اصحب فلاناً وأشار عليه بحبر فجاء إليه

فخدمه كذلك فلما قربت منه الوفاة قال له إني خدمتك كذا عاماً ولي عليك حق فأوصني من أصحب بعدك ؟ فقال له بعد هذا حكم كتابنا باطل (يخرج نبي آخر الزمان بمكة ويهاجر إلى المكينة فأتبعه) فلما بعث رسول الله r جاء فصحبه وهو الذي أدى عنه رسول الله r كتابته لما قال له مالكه لا أعتقك أو تغرس نخلا حتى يثمر وتؤدي من ثمره فجاء فأخبر رسول الله r فقال له قل له خيراً وجاء مع الرسول r فغرس بيده الشريفة فأثمرت من عامها فجاء رسول r فوجدها مثمرة كلها إلا واحدة فقال ما بال هذه ؟

فقال عمر رضي الله عنه وأرضاه : هذه غرستها أنا يا رسول الله فأخذها بيده الشريفة وحركها يميناً وشمالاً وتركها فلحقت بأخواتها – في البخاري أن المغروس ورد وفي غيره نخل وهو أبلغ في المعجزة فكان رسول الله r يبله بريقه الشريف ويدفنه فأثمر من عامه

ولما توفي رسول الله r كان بعض الصحابة عند واحد من علماء أهل الكتاب فقال له : اليوم توفي نبيكم قال : فغضبت غضباً شديداً ما غضبت مثله حتى لو كان بيدي سلاح لقتلته فمكثت أياماً فإذا برسول أبي بكر الصديق يأتي بكتابه

مخبراً أن رسول الله r قد اشتاق إلى لقاء ربه فقدم عليه ، فاستخلف الناس من بعده أبا بكر رضي الله عنه . فكانت وفاته في ذلك اليوم الذي ذكره الكتابي

وقوله (ناراً) ليستضئ بها وقوله (فلما أضاءت ما حوله) ذلك ظهور النبي r في مكة لأهل الكتاب في المدينة ومكة حول المدينة كما أن المدينة حول مكة (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقوله (أضاءت) أبلغ من أنارت لأن الضياء هو الذي يكشف عن حقائقها فلذلك قال الله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) إذ هو أضعف من الضياء لكونه (فمحونا آية الليل) وأنها ضياء نور لأن الضياء نور وزيادة فهي ضوء ونور

وقد قال الله تعالى في الرسول r (سراجاً منيراً) والسراج هو الشمس أي شمساً منيرة وقوله تعالى (ذهب الله بنورهم) أي نور إيمانهم الذي كانوا يبصرون به النور الإلهي الذي في التوراة ، وهو ثبوت صفته r ، وكل ما في التوراة نور لأنه كلام الله ، وكلامه نور إذ هو صفته (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) وجمع الضمير ولم يقل بنوره لئلا يتوهم عود الضمير على الله وهو إذا ذهب نوره لأحد لا يذهب منه ولا يسلبه إياه : إذ نوره هو وهو لا يتصرف في نفسه ، فالذين لم

يهتدوا لم يجعل لهم نوراً من أصله حتى يأخذه منهم فنور الله لا يهدى لكافر

وقوله (في ظلمات...) إذ الكفر بالرسول والكفر بجميع الرسل أو الرسل كلهم وبالملائكة والكتاب واليوم الآخر فكيف بسيدهم محمد r ، فالكفر بواحد ظلمة ، فهي ظلمات بعضها فوق بعض ، وعبر ـ(في) لأنهم غارقون فيها لم يخرجوا منها وتركهم فيها

ولما كانت الظلمة متفاوتة : خفيفة وهي التي يكون معها بعض إبصار ، وحالكة لا يمكن الإبصار فيها . أكد الظلمات فقال (لا يبصرون) أي لشدتها لا يبصرون ، وليس مستغنى عنه بما قبله ، (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) صم عن سماع صفات النبي r بعد ظهوره مع أنهم كانوا قبل ذلك يستمعونها . فهو (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل) . وقوله (بكم) لا ينطقون بها ، وقوله (عمي) فلا يبصرونها كما كانوا يطالعونها قبل ، وقوله (فلهم لا يرجعون) إلى الأوصاف النبوية التي شردوا عنها وهي العلم الصحيح فهو أبلغ من (لا يعقلون)

استشكل بأن بعضهم كابن سلام . وأجيب بأنه من المعينين من الله بلا يرجعون فأرجعه وإن كان الكلام عاماً فالمقصود به معلوم (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) المعينون بالذات بالهداية فتخصهم وحدهم وإن شمل الخطاب غيرهم فيفهمهم الله وغيرهم يصرفه بالشبهات (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين) فالجاهل مراد الله منه ألا يعلم وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

فإن قيل ما فائدة ضربها لهم في أنهم لا ينتفعون بها فالجواب أنها لإقامة الحجة عليهم ، ومعنى أنهم يعلمونها أي بالتخلق بها ؟ والتحقق وهي رجوع إلى قوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فبيت العنكبوت لا يقيها من حر ولا برد ، وهو ضعيف جداً إذا جاءته أدنى ريح ذهبت به ، فالأصنام كذلك

فالعالمون الذين فهموا عن الله ذلك وعملوا بمقتضاه فلم يتخذوا من دون الله أنداداً ، فمن اعتمد على غير الله من مال وعمل وعلم وحرفة فقد اتخذ من دون الله أنداداً ، قال إبراهيم عليه السلام (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) أصنام

الخلق أراد ، وهي خطرات غير الله ، وكل مقام له أصنام ، وحاشا أن يخطر في قلب الخليل غير الله ، وإنما هو اتهام نفسي وفرض تقديري والمفروض ليس واقعاً في نفس الامر فلا إشكال

رأى بعض الأولياء في عصرنا هذا نبي الله سيدنا يوسف عليه السلام فقال له : حكى الله عنك في كتابه أنك قلت للرسول (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم تستعجل بالخروج من السجن مع أمك لبثت في السجن بضع سنين ، ونبينا r قال : لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي . أي ولم أصبر ، فقال له إن بين الواقع والفرض كما بين السماء والأرض

ومعناه أنه يقول إن الرسول r لم يقع له ذلك بالفعل فإن الناس كلهم يعتقدون براءته فلم يحتج إلى ذلك وأنا ذقت مرارة التهمة فأردت أن تظهر براءتي

ثم قال (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) هذا مثل لصفتهم مع القرآن ، والأول مثل لصفتهم مع النبي r الذي أنزل عليه ذلك القرآن فلا بلاغة

لأحدهما على الآخر فكل واحد لمحله ، فصفتهم منقسمة إلى قسمين فـ(أو) للتقسيم

وقوله (كصيب) الصيب : المطر ، والمطر هو الرحمة والكتاب أفاضنا رحمة ، والصيب من الإصابة وكلاهما نزل من السماء فلذلك عدل عن غيث ومطر ونحوهما

وقوله (من السماء) المراد بالسماء ما علا ظله وارتفع بعد ما علا وإن كان ارتفع على كل حال معطوف على ما علا وإنما لأجل طول الفصل فيكون التفريع عليهما ، فلذلك شمل السماء وما تحتها والسحاب مسخراً ما بين السماء والأرض ، والتنصيص على السماء ، لدفع ما يكون على خلاف العادة " فيما يحمل فيه بالدواليب " لأن الكفار كانوا بأسرهم يتخذون دواليبا يجتلبون بها ماء إلى مجالسهم فتمطر عليهم فلا يقال الصيب لا يكون إلا من السماء

وقوله تعالى (فيه ظلمات) ولم يقل ظلمة فيها صيب لأن المشبه به الذي هو القرآن نور الظلمة ، وإنما الظلمة فيه وهي ذم الكفر ، وجمع الظلمات ولم يقل

ظلمة لأنها أنواع الكفر كالنفاق والشرك والمعاصي وكل واحد ذمه الحق على حدته

وقوله (ورعد) هو الوعيد وهو مفزع وإنما كانوا يفزعون لأنهم يعلمون أن رسول الله r حق (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) والرعد : الملك الموكل بالسحاب ، كان r إذا سمع الرعد يقول (سبحان من يسبح الرعد بحمد والملائكة حول العرش من خيفته) والمسمى هو الملك ويطلق على صوته ، وهو مثل الداعي للسحاب يزجرها فتنضم كالراعي إذا تفرقت الغنم زجرها لتنضم ، ثم بأمره يتراكم بعضه فوق بعض ليحمل ماء كثيراً ثم يجعله ركاماً

وأفرد الرعد للتخفيف عليهم لأنهم ضعاف يكفيهم رعد واحد فهو من الرحمة لا، الحق يرحم عباده ولو كانوا كفارا

(وبرق) صفة النبي r لأن أحواله r المبينة في كتابنا لوضوحها عندهم أحالهم فيها على ما عندهم فقال (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل) وقال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

رحماء بينهم ... الخ) ولكن لما كانت لا تثبت في قلوبهم شبهها بالبرق في سرعة الزوال ، والبرق لمعان سوط الملك

وقوله تعالى (يجعلون أصابعهم) استئناف من تمام المعنى وجمع الأصابع لأن كل واحد يجعل إصبعه في أذنه ولا يكتفي بجعل أخيه ، فإن قيل : إن جعل الإصبع في الأذن يعرفون أنه لا يبقى مدة من الزمن فما فائدته ؟ فالجواب أنها حركة يستعملونها وأنها تندفع لدفع الوهم الذي يدخل عليهم من الرعد ، فالغريق يتعلق بما لا ينجيه

وقوله (من الصواعق) قراءة تقديم القاف على العين من الصواعق كقراءة قوله تعالى (هذا يوم عصيب) بهذا يوم صعيب والصواعق الوعيد بالعقوبة العاجلة كقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم)

وقوله (حذر الموت) الحقيقي فإنهم كانوا لم يطمئنوا أن يقاتلهم الرسول (قاتلوا الذين لا يؤمنون – إلى قوله (من الذين أوتوا الكتاب)

وقوله (والله محيط بالكافرين) أي هم في القبضة ، وقدمه ليدل على أن عقوبته لهم غير مؤخرة (إن ربك لبالمرصاد) (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون) (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) وعدل عن قوله بالمنافقين إلى قوله – بالكافرين- لأنهم على تحقيق النبي وكفروا ، وكل منافق كافر ، والمراد تهديد الكفار لا خصوص المنافقين

وقوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي يكاد ما علموه من البيان الذي في القرآن الموافق لما عندهم أن يميلهم إلى الإيمان بالنبي r فيكادون أن يؤمنوا بكثرة ثبات صفات النبي عندهم و(يخطف) بقراءة كسر الطاء وفتحها

وقوله (كلما أضاء لهم مشوا فيه) تأملوا كلما ظهرت لهم صفة النبي r مشوا فيه وكادوا أن يؤمنوا ، ولم يقل سعوا لأن السعي المشي بسرعة وهم لم يسبقوا ؛ إذ لو سبقوا لآمنوا

قال تعالى (وإذا أظلم عليهم) بأن هاج عليهم داء الجسد (قاموا) بقوا قائمين لأنهم كانوا ماشين والماشي قائم ، فالمعنى وقفوا عن المشي الذي هو التأمل

يخافون أن يوقعهم في الإيمان فتزول مناصبهم ورياستهم ؛ لأنهم كانوا علماء يعلمون الناس وأصبحوا متعلمين ديناً جديداً فيصيرون أذناباً بعد أن كانوا رؤساء

" المعنى " إذا قام فيهم قائم الحسد أظلمت فهم لا يبصرون وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) أفرد السمع وجمع الأبصار لأن السمع لم يجمعوه من جميع الوجوه في أمر النبي r كما جمعوا الأبصار بالتبصر في أمره بمطالعة صفته في كتبهم ، فبذلوا الجهد في الإطلاع على أوصافه ولم يبذلوه في سماع الحق منه ، ومعناه لو شاء لعجل لهم العقوبة فأصمهم وأعمى أبصارهم الحسية كما أصمهم وأعمى أبصارهم المعنوية فلم ينتفعوا بما سمعوا وأبصروا كما قال (ولهم أعين لا يبصرون بها)

وكمن سبق في علمه تأخيرهم فأخرهم (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) ألزموا به في الدنيا والمراد بالكلمة الأجل المسمى إنه على كل شئ قدير والتسمية من الثبوت والوجود

والمراد به كل ممكن ، أي إذا شاء تعجيل العقوبة لهم فهو قادر وتأخيرهم ليس بنافع لهم ، فالتقديم والتأخير كله واحد ، قال عز وجل (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وام هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)

سؤال أول :

وجد في بعض التفاسير أن لفظة قدير خاصة بالحق وأن قادر هو الذي يطلق على الخالق والمخلوق ؟

والجواب : لا دليل على ذلك من الشرع فلا حجة إلا بنص ، ولا يلزم شئ في ذلك ■ إذ جميع الصفات المطلقة على العابد إنما هي آثار خالقهم فيهم وأوصافه أمدهم بها فهم آلة لظهور أفعاله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فأخبر أنه هو الفاعل بأيدينا فتأمل ...

سؤال ثاني :

هل ما يقدره المفسرون من كتاب الله أم لا ؟

وجوابه : أن كان أمراً محتاجاً إليه في استقامة الكلام العربي كحذف الخبر والمضاف والضمير المستتر ونحو ذلك مما يدل عليه القرآن فمن كلام الله ؛ لأن الحق يحيل العرب على لغتهم المعهودة عندهم ويخاطبهم بلسانه كقوله (قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله)

فـ(ما شاء) خبر أي هذا ما شاء الله فحذف المبتدأ ، أو كقوله في قصة إبراهيم عليه السلام (فعله كبيرهم هذا) أي هذا قولي فحذف الخبر وعني بكبيرهم ، الله جل جلاله أي الإله الكبير وهو صادق ؛ لأن الأصنام لو نطقت لقالت هو الله الذي كسرنا بيدي إبراهيم وكقوله (إنا أعطيناك الكوثر) أي أهل الكوثر فحذف المضاف

وأما إن كان التقدير مما ليس كذلك بحيث يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه فليس ذلك المقدر من كلام الله ، فإن كلام الله هو الذي قدره على قانون العرب لا الذي يقدره غيره بحسب فهمه ، فكلام الباري غني عن التقدير ؛ إذ كلام الغير غيره فلا يقدر له لأجل أ، يبين إذ هو الذي يبين المقدرات لا المقدرات بينته ،

فإن لم تفهم المقدر إلا من المذكور وهو عين البيان فلا يحتاج إلى بيان (هذا بيان للناس) (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ)

قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) ناداهم بـ(يا) التي هي للنداء على رأس البعد لغفلتهم لأن من كان بجانبك إذا كان غير غافل فلا تناديه بيا فلان ، بل تقول فلان فلان بغير أداة ، فإن لم يسمع قلت يا فلان ، والحق قريب من الخلق (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ولكن لما كانوا غائبين عنه بالغفلة بعدوا فالغيبة منهم عن الله تعالى وهو لا يغيب عنه شئ

وقوله تعالى (الناس) لم يقل بني آدم ليشمل كل واحد وإلا لم تقدم حجة ، ولان (بني آدم) فيها تشريف لأصنافهم لنسبتهم إلى خليفة الله

والمراد بهذا الامر لا التشريف ، وقال ذلك في غير هذا الموضع لينبئهم أن أصلهم طيب ، وأنهم بناء أستاذ الملائكة ، أي ينبغي لكم أن تلاحظوا أهلكم ، ولو قال الذين آمنوا لم تقدم حجة على غيرهم لكونهم غير مدعوين فالدعوة عامة (والله يدعو إلى دار السلام) أي يدعوا العباد كلهم (ويهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم) فمن لم يجب قامت عليه الحجة لكونه مدعواً ، فالعباد كلهم مدعوون بخطاب واحد والمقصودون بالذات هم الذين يجيبون من بين الخلق كلهم بفهمهم الحق بتجاوز الكلام أسماعهم إلى قلوبهم ، وغيرهم لا يتجاوز سمعهم ، وقوله (اعبداو) لأن العبادة عين الذل ولا أذل من العبد يضع جبهته لسجدة في الأرض التي سماها الحق بالذلول (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا) ولم يقل آمنوا لأن العبادة لازمة للإيمان ، ولو عبر بالإيمان لأوهم أن العبادة غير مقصودة وأمرهم بها لإقامة الحجة ، والخطاب بـ (اعبدوا) الموجودة عنده في علمه سواء أوجدت في علمنا أو لم توجد ، فهو عامل يشمل من لم يوجد من الناس ، وهو سبحانه بعض المرات يفرد المعدوم بالخطاب ويخاطب الصور الثابتة في علمه يقول لها كن فيكون ، فهو يخاطب المعدوم ويعطيه على السماع والذي سيوجد ، فالمعدوم الذي قد يكون ثابتاً في علم الله فيأتي على ذلك الوفق سواء بسواء ، فليس معدوماً إلا عند نفسه وعدنا

والعبودية والعبادة فعل العبد الطاعات ، والعبودية الإخلاص فيها لوجه الله وفعل الأمر بالله لا بنفسه

وقوله (اعبدوا) يشمل الجميع – العالي والأعلى والدون ، فكل فهم المقصود فيه مقامه ، وقد علم كل الناس مشربهم فالقرآن مرآة كل أحد يرى نفسه فيه

وقوله تعالى (ربكم) بين المعبود ، يقول إياكم أن تعبدوا الهوى وتخرجوا عن عبوديتكم الهوى الشامل لجميع الأصنام والرب : المربي والمصلح ، ولم يقل اعبدوا الله لأ، الله اسم جامع لأسماء اللطف وأسماء القهر فأتى بالرب ليجرد أسماء اللطف ، ويستعطفنا بذلك ، ويذكرنا بالنعمة علينا وليستجلبنا بالرب والتخصيص بالإضافة للتشريف ، أي رب الأميين وغيرهم الذي خلق لهم كل شئ ، وربكم أبلغ من رب العالمين ، فإنه لو قال العالمين صرتم غير مقصودين بالذات بل دخلوا من جملة العالمين ولما فيه من الاتصال بخلاف العالمين . لأن الإضافة هنا متصلة فجعلنا بجواره وهو قد أوصانا على الجار فأولى هو بذلك وهو أكرم الأكرمين

وقوله (الذي خلقكم) أي لا الأرباب التي اتخذتموها من شمس وقمر ونجوم وأحجار وغيرهم بأهوائكم فإن هذه لا منة لها عليكم بخالقيه بل بعضها لكم المنة أنتم عليها لكونكم صنعتموها

وحقيقة الخلق ما يكون بالتدريج والنقل من طور إلى طور كالنطفة كانت مفرقة في الأغذية فجمعها ثم تكون علقة ثم مضغة إلى أن تستوي بشراً . وإلا مما يقول له كن فيكون

فالجسم من عالم الخلق . والروح من عالم الأمر بجمعتهم الأمرين ، فلذلك صحت الخلافة عن الله بخلاف الملائكة فليس لهم إلا عالم الأمر

فالملك روح إلهي نوراني ركب فيه عقل يعقل به عن الله ولا جسم له ، بل ذلك الروح هو عين ذاته . والإنسان له جسم ليسكن فيه الروح . والفرق بين الإنسان ومطلق الحيوان كون الإنسان مخلوقا له كل شئ (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) وإلا فالحيوانات تعقل عن الله ولها أرواح مدبرة لأجسامها . وقوله (والذين من قبلكم) إلى أصولكم آدم فمن دونه الأرض والماء الذي قبل الأرض . وذكرنا لذلك وعده علينا إنعاماً لأنه سبب في إيجادنا ؛ إذ الولد سبب لإيجاد الولد ، فالذين من قبلنا من تمام إيجادنا بلا شك

وقوله (لعلكم تتقون) راجع إلى قوله (اعبدوا) أي اعملوا لطاعته لعلكم تصيرون أتقياء والتقي يحبه الله (إن الله يحب المتقين) ومعنى تتقون تتصلون بي اتصالاً لا انقطاع فيه ، وهو معنى الحديث :

(ما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وفي بعض الروايات (وفؤاده الذي يعقل به) وفي رواية (فإذا أحببته كنته)

ومعنى (لعل) الترجي على بابها ، لأنه ليس كل من عبد حصلت له التقوى الموجبة محبة الله ، هذا فهي بالنظر للبعض ترجى وإن تحقق المعنى في البعض المعنى في علمه سبحانه لئلا يعتمد أحد على عبادته

(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

وقوله (الذي جعل لكم الأرض) أورده بعد قوله (الذين من قبلكم) فإن كانت الأرض من جملة من قبلنا فهو من باب إيراد التفصيل بعد الإجمال ، وجعله عقب (تتقون) ليشير إلى أنكم إذا اتقيتموه وصار معكم وبصركم كما يليق بجلاله عرفتم ذوقا تفصيل (جعل لكم الأرض فراشا) وما بعده

ونكتة التفصيل يجعل هنا دون خلق لأن الأرض كلها لم يخلقها فراشا بل منها ما لا يصلح للفراش كبعض الحجارة فالمراد ذللها (جعل لكم الأرض ذلولا) والجعل : التسيير فجعل الأرض فراشا من كمال النعم ، فلو جعل الجميع فراشا ما عرفناه قدره ، فإن الإنسان إذا طلع العقاب الصعبة عرف نعمة الأرض المبسوطة ويضدها تتميز الأشياء

وهذا الفراش لا يحتاج إلى طي ويظهر كل يوم ولا يبلى ولا يحتاج إلى شراء ، ولا يعرف قدر الأرض على الحقيقة إلا من ركب البحر فإذا ركبه وحصل له ما حصل من الميل والدوخة وحصل له مرض بلا مرض فضلاً عن أهوال الريح الشديد ونحوه عرف قدر الأرض

ركب شيخنا سيدي عبد الوهاب التازي البحر أربعين يوماً ، فسئل : كم ركبت البحر قال : أربعين عاما ، جعل كل يوم عاما ، وكان رضي الله تعالى عنه يقول : (ليس في البحر شئ طيب إلا واحدة : تعلق القلب بالله وحده) ولقد صدق فإن الإنسان يحصل له تقطيع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى حتى إن السلطان إذا كان معك في البحر لا تعتمد عليه بل هو خائف مثلك مضطرب ، فالبحر وإن كان ركوبه فيه أهوال فالابتلاء الذي يجري النعم حسن ، فنعم الابتلاء الذي يجري التوحيد الخالص ، فراكب البحر آمن الشرك (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)

سواء نجاهم حقيقة أو أرسل لهم الريح التي يسيرون بها غير الشديدة فإنهم يشركون (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف)

لكونهم فرحوا بالريح لا بموجدها ، كأنما جاءتهم من عند نفسها ، فلذلك عاقبهم فأرسل ريحاً عاصفة ، فأصل الضلال هو الفرح بغير الله (كذلك يضل

الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) فالحق هو الله (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال)

وعبر هنا بفراشا ، وفي آخر بمهادا ، وفي آخر بذلولا ، والمعنى واحد منوع العبارة

قدم الأرض على السماء لأنها الفراش وهو الأساس فقدم على السقف وهو المراد بقوله (والسماء بناء) أي سقفا محفوظاً والمراد بالسماء هنا أجرام السماوات حقيقة إذ هي المبنية (والسماء بنيناها بأيد) فلا يقال ما علا حتى يدخل في ذلك الهواء إذ لا يعرف أنه مبنى

والمراد بالسماء ما قامت بنفسها بلا قام ولونها نعمة ، والسماء يذكرها الحق في كتابه تارة بالإفراد وتارة بالجمع ولم يذكر الأرض إلا بالإفراد وتارة بالجمع ولم يذكر الأرض إلا بالإفراد إشارة للتوحيد وإلى أن الخليفة مخلوق منها ، وحقيقة التوحيد فيه ، يوحي بذلك إلى أن الخليفة إذا لم تكن حقيقة التوحيد فيه لا فائدة في خلافته ، ولولا أن أدم قائمة به حقيقة التوحيد ما صح أن يكون معلماً

للملائكة ؛ إذ المعلم لا يجهل ما يعلمه وهو ما علمهم إلا الأسماء الإلهية بالحقيقة لأن المسميات هذه كلها آيات على الوجد الواحد

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

قدم الأرض على السماء لأمرين :

الأول : لأن السقف لا يصح إلا بعد الأساس

الثاني : لأن السماء أصلها الأرض لأنها خلقت من الدخان الذي هو البخار الصاعد من الأرض فهي نبتها ، فهذا القصر الذي فراشه الأرض وسقفه السماء خلقه الحق لنا ، ورفع سمك السماء لأن السقف كلما ارتفع وبعد عن الرأس كان أجلب للهواء النافع وأصلح للبدن لئلا تنعكس عليه الأبخرة فتؤذيه ، فلذلك قال الله (سقفا محفوظاً) أي بعيد الآفات عن العبيد

وقوله : (وأنزل من السماء ماء) المراد بالسماء هنا ما علا لأن الماء ينزل من السحاب وهو مسخر بين السماء والأرض ، وسمي الحق ما بين السماء والأرض

سماء فقال (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء) أي في الجو والماء عين الحياة

فلذلك قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أي لأن الماء حياة يحي الإنسان بالرزق الذي هو الطعام والشراب من حينه ، فإن الظمآن الجائع يحصل له وهن حتى إذا أشرف على الهلاك إلى أن يأكل ويشرب يذهب عنه ذلك من حينه ويحيا لما أودع الحق فيه من تجليه بالاسم الرزاق

فوائد الذكر بكامة التوحيد

وإن (لاإله إلا الله) كلمةشريفة عظيمة فهى سبب فى النجاة من المهالك والمخاوف فقد ورد فى فضلها أحاديث واخبار وآثار وهى طريقة الخواص من عباد الله المتقين وداب السادات فإن (لاإله إلا الله) كنز من كنوز الجنة لما اشتملت عليه من العقائد الدينية وأمان من شدائد ومعضلات القيامة والخلود فى النار (

ولاإله إلا الله) مشتمله على المعتقدات والكنز الخفى عند القوم هو الهوية الأحدية المكنونة فى الغيب وهى باطن كل باطن .(لاإله إلا الله) أمان من مكائد الشيطان وهو الوسواس فإذا أورد العبد (لاإله إلا الله) علىقلبه ارتحل منه الشيطان وذلك لأن الشيطان جاثم على قلب الإنسان فهو منزله والأوهام والوسوسة يقرعانه أبداً .

التحريض على ذكر الله

فى الكتاب والسنة

ولذلك وقع التحريض على ذكر الله فى الكتاب والسنة كما وقع التحذير من الغفلة .

أما الكتاب فقال تعالى): ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين).وأما السنة فمنها ما أخرجه مالك رضى الله تعالى عنه فى الموطأ أن النبى- صلى الله عليه وآله وسلم- قال :(نا من آدمى إلا لقلبه بيتان فى أحدهماالملك وفى الآخر الشيطان فإذا ذكر اللع تعالى خنس وإذا لم يذكر الله

تعالى وضع الشيطان منقاره فى قلبه ووسوس) ومنها ما أخرجه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قال:(من قعد مقعداًلم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة) ومعنى الترة : الوعد وأصلها النقص.

أقوال العلماء عن الذكر

وقال سهل رضى اله تعالى عنه: ما أعلم معصية أقبح من تركى لذكر الله سبحانه.

قال النووى رحمة الله تعالى :لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف انقطاع عن ذكر الله وقال أنس بن مالك- رضى الله عنه-ذكر الله-تعالى-علامة على تحقيق الإيمان وبراءة من النفاق وحرز من الشيطان وحصن من النار.

وقال مالك بن دينار رحمة الله تعالى :(من لم يأتنس بحديث الله عن حديث الخلق فقد قل عمله وضعف علمه وعمى قلبه وضاع عمره).

وقال الحسن : تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء :فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم ذلك وإلا فاعلموا أن الباب مغلوق لأن كل من لا يعرف الله تعالى لم يأتنس به. قال تعالى :(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمن بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون).

من فوائد الذكر بكلمة التوحيد

فبالذكر تزول الوسوسة ويامن العبد من المكائد فى الخبر يقول الله تعالى :(لاإله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى) ويامن العبد من دخول النار ورد فى الحديث عن عثمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله- صلى اله عليه وآله وسلم- يقول :(إنى لأعلم كلمة لا يقولها العبد حقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)وفسر عمر رضى الله تعالى عنه الكلمة بقوله: هى كلمة الإخلاص فإن(لاإله إلا الله) هى مفتاح الغيوب وإنارة القلوب والمتاح عند القوم أندراج الأشياء كلها على ما هى عليه فى غيب الغيوب الذى هو أحدية الذات كالشجرة فى النواة تسمى بالحروف الأصلية لكن مراده- والله أعلم- بكونها مفتاح الغيوب التى تحصل لذاكرها. لما ورد أن من واظب على ذكرها على الوجه الأكمل يحصل

له بها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة:منها ما يرجع إلى مكارم الاخلاق ومنها ما يرجع إلى الكرامات.

أما الأول فمنها :اتصافه بالزهد وهو خلو الباطن من الميل إلى فان.

ومنها : فراغ القلب عن الثقة بزائل فإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية المحضة وتصرفه فيه بالإذن الشرعى تصرف بوكالة خاصة ينتظر العزل عن ذلك المتصرف بالموت أو بغيره مع كل لحظة ونفس.

ومنها : نهى النفس عن التعلق بما لابد من زواله.

ومنها : التوكل وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الإضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الاسباب ولا يقدح فى توكله تلبس ظاهره بالأسباب لأن وجودها وعدمه عنده سيان.

ومنها: الحياء من الله وتعظيمه بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه والإمساك عن الشكوى من الله والشفقة على العجزة الفقراء والمساكين.

ومنها: الغنى وهو غنى القلب بسلامته من فتن الاسباب فلا يعترض على الأحكام بلو ولا بلعل لعلمه بحكمة الذى صدر منه الخلق المقدور والتدبير كذلك.

ومنها: الزهد وهو خلو القلب من الدنيا حرصاً وإكثاراً لقطعه بأن حاجته ليست عند شيء منها وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحاً وذماً.

ومنها: الإيثار لغيره على نفسه إلا ما لابد منه على حكم الشرع.

ومنها: الفتوة وهى التجافى عن مطالبة الخلق بالإحسان اليه ولو أحسن إليهم لعلمه بأن إحسانه إليهم وإساءتهم له كل ذلك مخلوق له تعالى (والله خلقكم وما تعملون) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فلم ير لهم إساءة حتى يذمهم عليها إلا أن يكون الشرع أمر بذمهم.

ومنها: الشكر وهو انفراد القلب بالثناء على الله- تعالى- ورؤية النعم فى طى النقم.

والفوائد كثيرة فمن كلمة الإخلاص واستعمال آدابها حتى يعرف ما ذكر بالذوق.

وأما الثانية فمنها: وضع البركة في الطعام ونحوه حتى يكثر القليل ويكفى اليسير وهذا مشاهد لأولياء الله كثيراً.

ومنها: تيسير دنانير أو دراهم أو كليهما أو غير ذلك مما تدعوا إليه الحاجة وبعضهم كان لا ينتصب على سجادته لذكر وصلاة في خلوته إلا وخلق الله على سجادته أو تحتها دراهم.

ومنها: تكشف له حقيقة ما يريد استعماله من الطعام فيعرف حلاله وحرامه من باطنه أو ظاهرة.

الإخلاص فى الذكر بكلمة التوحيد

وفوائد الذكر بها

وكرامات هذا الباب وفوائده كثيرة إلا أن المؤمن لا ينبغى له أن يقصدها بشىء من طاعته وإلا دخل عليه الشرك الخفى ومكر به والعياذ بالله-تعالى-إذ هذه من جملة ما ينبغى أن يصفى منها القلب عند ذكر كلمة التوحيد فليقطع التفاته إليها

بالكلية وليكن قصده رضا مولاه الذى لا خلف له منه ولا غنى لمخلوق عنه فيكشف له الحجب عن عين قلبه حتى يتنزه فى ذلك الحمال العديم المثال ويتوجه مولاه عز وجل بعجائب وأسرار لا يمكن أن يعبر عنها المقال.

فلما كانت هذه الكلمة المشرفة مشتملة على هذه الفوائد كانت مفتاح الغيوب وإنارة للبصائر وصفاء للسرائر وكنزاً لكل ذاكر.

وهى أيضاً طهارة للذنوب لما ورد عن رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفرت لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات) وقال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على العباد أفضل من أن عرفهم (لا إله إلا الله) وإن (لا إله إلا الله) لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا .

أمر رضي الله تعالى عنه بالإكثار من ذكرها لما روى عن النبى- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (الذكر خير من الصدقة) وقال) الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها) وقال الله تعال: (فاذكرونى أذكركم) وقال : (اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) (فاذكروا الله عند المعشر الحرام واذكروه كما هداكم)

وقال : (ولذكر الله أكبر) وقال فضيل رضى الله تعالى عنه: بلغنا أن الله عز وجل قال : (عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بيهما) وقال مولانا رسول الله- صلى الله عليه وآله- وسلم-: (ليس يتحسر أهل الجنة على شىء لا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها) وقد جاء فى الخبر يقول الله- تعالى- للملائكة: (قربوا منى أهل "لا إله إلا الله" فإنى أحبهم) فإذا خرجوا من ظلمة النفس رفعت أقدامهم فما وضعت إلا فى حضرة الملك القدوس مؤتزرين بثوب الذل متردين برداء الانكسار لابسين حلل الوقار ويقدمهم الصدق والرعاية وبأيديهم توقيع العناية محفوظين بحفظ الكلاءة متوجين بتاج الولاية ناداهم عندما كشف لهم الحجاب مرحبا بكم معشر الأحباب حلوا بمنازل الوصول هذه مباشير القبول أنتم المسقاة وأنا الساقى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) كتب لهم منشور الولاية بقلم العناية.

وقال- رضى الله تعالىعنه- : تكرعوا من أسرارها الربانية والمواهب الصمدانية والسر عند القوم هو ما يخص كل شىء من الحق عند التوجه الإيجادى المشار إليه بقوله تعالى : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ولهذا قيل :لا يعرف الحق إلا الحق ولا يطلب للحق والمحب له والمعارف به

قال- صلى الله عليه وآله وسلم- :(عرفت ربى بربى) وروى أن مولانا رسول الله كن يمشى فى الطريق ويقول :(قولوا " لا إله إلا الله " تفلحوا) وقال رضى الله تعالى عنه :وبالجملة فهى دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة وطريق العلوم والمعارف والفوز باليقين.

واليقين ثلاثة أقسام : يقين العامة ويقين الخاصة ويقين خاصة الخاصة فالأول علم اليقين والثالث عين اليقين وهو شهود الحق حقيقة فى مقام عين جمع الأحدية وعين الشىء هو الحق من علم اليقين بالله وبمالك عند الله أن تتعاطى بين الخلق مالا تصغر به عند الحق وإن صغرت به فى أعين الناس بلا عتتراض من الشرع ولا منازع من الطبع.

من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد.

ومن حق اليقين الغرق فى كنه نفس الشىء ولهذا قال سيدى الحاج محمد صالح الرضوى البخارى فى الفرق بين علم اليقين وحق اليقين وقد أوضح ذلكحيث قال- رضى الله تعالى عنه- :إن مثل ذلك كشمعة لها ضوء فإذا أطبق

الإنسان جفن عينيه بحيث لا ينظر إلا ببعض العين فإنه لا يرى الشمعة ويرى خطوط شعاعها فيستدل بوجود خطوط الشمعة على وجود الشمعة فإذا زاد على ذلك حصل له عين اليقين بوجودها فإذا زاد علىذلك وارتقى حصل له حق اليقين.

من شروط الذكر

وقال- رضى الله تعالى عنه- : إن الذكر لا يصلح إلا مع حضور القلب ويروى أنه ليس أشد وأشقى فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعانى وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى وهو موضع الإخلاص فلابد حينئذ من حضور القلب وفراغه من الشواغل والعلائق والجلاء عند ظهور الذات لذاته فى ذاته والإستجلاء لظهورها لذاته فى تعيناته.

قال إبراهيم بن أدهم- رضى الله تعالى عنه : لا ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عتبات :

الأولى : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

والثانية : يغلق باب العزة ويفتح باب الذل

و الثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب

والرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

والخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

والسادسة : يغلق باب الأمن ويفتح باب الاستعداد للموت.

فوائد العزلة للذاكرين

وقال- رضى الله تعالى عنه- : أحرىثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة وهى أربعة : كشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق فى الكلمة قال الله-تعالى-: (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا)

الكون كله يذكر الله تعالى

وقال- رضى الله تعالىعنه- : افتح بصر بصيرتك فإنه ليس فى الوجود شىء إلا هو يقول (لاإله إلا الله) قال- تعالى- : (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) وقال)يسبح له ما فى السماوات وما الأرض) وكل شىء يسبح ويدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه :

وفى كل شيء له آية

تدل على أنه الواحد

صفات لا إله إلا الله

وكلمة (لا إله إلا الله) هي التوحيد والتوحيد هو البداية وهو النهاية ومنها رجوع إلى البداية منها بدأ وإليها يعود كلمة لا إله إلا الله هي البداية والنهاية منها وإليها فهي الكلمة الطيبة والكلم الطيب والقول السديد والقول الصواب ودعوه الحق وكلمة التقوى والكلمة السوداء والعمل الصالح والعهد والحسنة والإحسان

أما الكلمة الطيبة فقد قال تعالى :(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) وأما الكلم الطيب فقد قال تعالى :(إليه يصعد الكلم الطيب) والقول السديد قال الله تعالى :(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) والقول الصواب قال تعالى :(إلا من أذن له الرحمن وقال صوابها) ودعوه الحق قوله تعالى :(له دعوة الحق) وكلمة التقوى قوله تعالى :(وألزمهم كلمة التقوى) والكلمة السواء قوله تعالى :(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) والعمل الصالح قوله تعالى :(رب ارجعون لعلى اعمل صالحا) والعهد قوله تعالى : أم اتخذ عند الرحمن عهدا) والحسنه قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله خير منها) والإحسان قوله تعالى :(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وهى الحصن الحصين قال تعالى في الحديث القدسي :(لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي)

وقال رضي الله تعالى عنه تلذذوا بكلمة الإخلاص لأن المحب يتلذذ باسم محبوبة حتى يحصل للذاكر الوجد الذي هو غشيان الروح من استلذاذ الذكر

فضائل الذكر

قال عليه وآله والسلام -: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حلق الذكر

وذكر الله بالقلب سيف الخواص وباللسان سيف العوام

وبذكر الله تشرف القاع قال عليه الصلاة والسلام : (مجالس الذكر تنزل عليهم لسكينة وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله على عرشه) وقال تعالى ــــ: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) وقد ورد في عده أحاديث (تشرف الأرض بذكر الله , ونوروا قلوبكم بنور لا إله إلا الله) .

والنور اسم من أسماء الله وتجليه باسم الظاهر يعنى الوجود الظاهر في صور الأكوان كلها وقد يطلق على كل ما يكشف المستور من العلوم الذاتية والواردات الإلهية التي هي تطرد الكون عن القلب.

ونور الأنوار هو الله تعالى فنفوس المتقين الذاكرين منوره بنور (لا إله إلا الله) مجبولة على حبه تعالى فكل سالك يذكر الله تعالى من حيث نفسه فهو متسبب

فإذا صار العبد روحانيا ربانيا وحل في المعنى صار من أهل الحقائق فالعبد هنا فني بنفسه وبقى بمولاه فذكره الله بالله وتوحيده الله بالله ومعرفته لله بالله.

الذكر سيف الله تعالى

وبالجملة الذكر سيف الله ولكن أنى للسيف ضارب إلا بقدرة مستفادة من حضرة رب السيف فإذا استمدت جاءت المدد قال تعالى :(وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وقال-صلى الله عليه وسلم- : (اذكر الله فإنه عوم لك على ما تطلب)وروى الشيخان مرفوعا عن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- يقول الله عزل وجل : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني) فكلمة (لا ٰله إلا الله) منعاها هنا بمنزله الروح مع الجسد وكما لا ينتفع بالجسد دون الروح كذلك لا ينفع بهذه الكلمة بدون معناها فعلماء الفضل أخذوا هذه الكلمة بصورتها ومعناها وزينوا بصورتها ظواهرهم وزينوا بمعناها بواطنهم فحصل لهم بها خيرا الدنيا والآخرة وبرز لهم شهادة القوم بالتصديق (شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

التوحيد ومراتبه

فالتوحيد هو اعتقاد الوحدانية لله تعالى ومراتبه ثلاث:

توحيد العامة : وهو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله.

وتوحيد الخاصة : ألا ترى مع الحق سواه.

وتوحيد خاصة الخاصة :بأن لا ترى سوى ذات واحدة.

والتوحيد الذي اختصه الحق لنفسه هو التوحيد القائم في الأزل.

لا إله إلا الله

عصمة دنيوية وأخروية

وقال- رضي الله تعالى عنه- (لا إله إلا الله) هي الكلمة العالية من استمسك بها فقد سلم ومن استعصم بعصمتها فقد عصم (أمرت إن أقاتل الناس حتى يقولوا : (لا أله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) (ومن قال لا غله إلا الله دخل الجنة).

وفى هذا القدر كفاية لمن وفقه الله وهذا من باب النصيحة لقوله- صلى الله عليه وآله وسلم- : (الدين النصيحة) وقال- صلى الله عليه وآله وسلم- : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) وأذكركم بقول الله تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه الشيخ مكي ابن عبد العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد وصل كتابكم أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر ، الذي لا سخط بعده أبداً

ثم اعلم يا أخي أن الدنيا راحلة ولا غنيمة فيها إلا طاعة الله تعالى . وأفضل طاعته تعالى وأعظمها أجراً ومنفعة عند الله تعالى ذكر الله تعالى . فعليك يا أخي بكثرة ذكر الله سراً وعلانية قال سيدنا ومولانا رسول الله r : " ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده : الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله عز وجل " . نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين لا شغل لهم إلا بالله ، ظاهراً وباطناً دائماً أبداً سرمدا آمين

وسألت أيها الأخ عن قطع الإصبع الزائد وقطعها متيسر بلا تعب فلا بأس بذلك . وتوكل على الله واقطعها ، والله يتولى هدانا وهداك

والسلام عليك وعلى أهلك وأولادك ومن يلوذ بك ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه وصديقه الشيخ مكي بن عبد العزيز أعزه الله عنده في الدنيا والآخرة .. آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... فقد وصلت مكاتبتكم ، أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا حجاب بعده أبداً آمين

وسألت أيها الأخ عن الأشياء التي سألت عنها ، " سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم "

الجواب والله الموفق للصواب : لا بأس بحرق نوى التمر ، لأن فيه منفعة للناس ، والله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ، ومن جملة ما في الأرض نوى التمر ، ومن جملة منافع التمر المحرق أنه يمسك الإسهال المفرط إذا دق وسف وإسناد اللوح المكتوب فيه القرآن إلى الجدار فلا بأس بذلك ، فإن اللوح المكتوب فيه القرآن أصله الأرض ، والأرض أصلها الماء ، والماء أصله نور سيدنا محمد r ، فأصل الكل طاهر ، ووضع اللوح على الجدار كذلك ، والمصحف كذلك وتارك الصلاة لا يصلى على جنازته لأن رسول الله r قال فيه " فمن ترك الصلاة فقد كفر وقال r : " من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهارا " ويكفر تارك الصلاة بقول ابن حبيب

من المالكية ، وإذا كان كافراً كما سمعت فلا يجوز الصلاة عليه ، لأن ترك الصلاة عليه يكون ردعاً وزجراً لتاركي الصلاة ، فالأولى ترك الصلاة عليه وأما عيادة المريض التارك للصلاة فمندوبه إذا كان بنية العائد أن يأتيه ويعظه ، فإنه إن تاب قبل الغرغرة قبل الله توبته ومحيت ذنوبه ، ويكون ذلك في ميزان من تاب على يده ، وأن صح وصلى يكون ذلك في ميزانه وأما دفع الزكاة له إن لم يوجد غيره من المصلين فلا بأس بذلك ، لأن العواقب مجهولة لا يدري بأي شئ يختم له ولا يسلم عليه لأنه يجب هجره ، والسلام يخرجه من الهجران ، وقد قال رسول الله r : " تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وألقوهم بوجوه مكفهرة ، والتمسوا رضاء الله بسخطهم والتباعد عنهم " وأما ضيافته فلا بأس ، وأما الأكل معه في آنية واحدة فلا يجوز وأما غسل الجنازة فلابد من تعميم الماء لكل الشعر أعلاه وأسفله ، وإلا فلا طهارة . هكذا أمر رسول الله وأما سماع صوت الأجنبية من غير التذاذ به لتصحيح القرآن فلا بأس ، لأن رسول الله r كان النساء يسألنه ويجيبهن ويسمع صوتهن ووصيتي إلى إخواني : عودوا أنفسكم الأخلاق الجميلة والأفعال الحميدة مع الله تعالى ومع عباده ، فإنه من لم يزهد في عوائده القبيحة من أجل

الله تعالى فقد زهد في الله من أجل عوائده الخبيثة ، والله يهدينا وإياكم إلى الصراط المستقيم

والسلام على جميع إخواننا كلهم ورحمة الله وبركاته ، وعليك أيها الأخ مكي وعلى أهلك وأولادك كلهم ، وعلى جميع من يلوذ بكم ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه المكرم الشيخ مكي ابن عبد العزيز

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... وصل كتابكم والحمد لله على سلامتكم وعافيتكم وقد كتبنا لكم خطبة على حسب ما خطر في القلب ، الله ينفعكم بها والمسلمين واعلم يا أخي أنك لا تحتاج إلى تبصرة في أهل زمانك ، فالحذر الحذر ثم الحذر الحذر من

الذين ينتسبون إلى العلم ولا يعملون به ، فاتخذوا العلم تجارة دنيوية ولم يقرءوه لوجه الله تعالى ، ولم ينفعهم الله به ، فهم يأخذون على كل كلمة يقولونها للناس في العلم ذنباً ، فهم يأكلون الحرام ، ويلبسون الحرام ، وينكحون الحرام ، فأعمى الله بصائرهم فلم ينتفوا بشئ من العلم ، بل أضرهم علمهم غاية الضرر ، وباعوا دينهم بدنياهم ، وقد تبرأت الرسل عليهم الصلاة والسلام من أخذ الأجرة على العلم الذي أمرهم الله أن يبلغوه للخلق ، وكل واحد منهم يقول : " وما اسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين " ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فحاد هؤلاء المنتسبون إلى العلم في هذا الزمان عن طريق الأنبياء ، فحضروا الدنيا والآخرة . نسأل الله تعالى أن يرجع بنا وبهم إلى طريق الهدى ، ويسلك بنا وبهم سبيل الرشاد . أنه قريب مجيب وأوصى نفسي وإياك بتقوى الله العظيم ، فإن التقوى خير زاد إلى الآخرة ، قال الله تعالى : " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح الفلاح ، قال الله تعالى : " واتقوا الله لعلكم تفلحون " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى وصية الله في الأولين والآخرين ، قال الله تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح الولاية قال الله تعالى : " ألا إن أولياء

الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى : " وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون " وعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الكرامة قال الله تعالى : " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الفرج من كل ضيق ، ومفتاح الرزق من حيث لا يحتسب العبد قال الله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح اليسر قال الله تعالى :" ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح تكفير السيئات ، وتعظيم الأجر قال الله تعالى : " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا " فعليك يا أخي بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح القبول قال الله تعالى : " إنما يتقبل الله من المتقين " وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح محبة الله قال الله تعالى : " إن الله يحب المتقين" وعليك يا أخي بالتقوى فإن التقوى مفتاح معية الله تعالى مع العبد قال الله تعالى : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " جعلنا الله وإياكم من المتقين الذي أقبلوا على الله بكليتهم ، فلم يشغلهم عن الله شاغل ، ظاهراً وباطناً ، تولاهم الله بعنايته ، فخصلت محبتهم في الله

تعالى من جميع الوجوه ، فصاروا إذا قاموا لأمر قاموا فيه بالله لله ، وإذا قعدوا عن أمر قعدوا عنه بالله لله ، فصارت حركاتهم وسكناتهم بالله وعود لسانك ذكر الله تعالى حيث يستولي ذلك على القلب فتكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض أسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياك حلاوة الإيمان الكامل الذي يكون معه القلب خاشعاً لله تعالى على كل حال وأوان ، وأن يرزقنا وإياك الشوق إلى لقائه تعالى في كل نفس من الأنفاس أنه سميع الدعاء

والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم وجميع من يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه عثمان نظر إليه بنظر عنايته المنان

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد .. فقد وصل مكتوبكم ، أوصلك الله إلى رضوانه الأكبر وعزه الأفخر . ونسأل الله تعالى جميع الشمل به والالتذاذ بقربه وأنسه ، والاشتغال والانهماك في حبه ، والغيبة عن خلقه من جنه وأنسه ، أنه قريب مجيب وعليك بتلاوة الأحزاب . وأكثر من هذا الذكر الذي خصنا الله به من بين أوليائه ، وفقد أخذ من حضرات قدسية ، فهو " لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " . ولقن هذا الذكر للاخوان فإن نتيجته عظيمة جداً ، والعدد بحسب الطاقة ، والسلام منا على جميع الإخوان . والسلام عليك وعلى أهلك ورحمة الله وبركاته ، وقد سمينا محمداً ابن أرباب محمد نور فهو أوفق والله أعلم

" مكتوب بخط سيدي أحمد بن إدريس والكاتب الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويحي – تاريخ ميلاد سيدي أحمد ابن إدريس رضي الله عنه في كتب السادة السنوسية رجب سنة 1173هجرية "

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه محمد عثمان ، نظر إليه الواحد المنان بعين العناية والرضوان آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ... أيدك الله بروح منه ولا أخلاك وقتا عنه . فشمر عن ساق الجد والاجتهاد . واترك الراحة والرقاد ، وقم لله عز وجل على قدم الصدق واجعل علو همتك فيه أعظم زاد . وإياك وإياك وإياك حتى من إياك والاغترار بإقبال الخلق عليك وتعظيمهم إياك ، فإنها فتنة وابتلاء ، وملاحظة إقبالهم سم قاتل ، وبرق خلب ليس فيه مطر هاطل فاقطع يأسك منهم ، واحسم طمعك عنهم ، وأقبل على مولاك بكليتك قلباً وقالباً ، فإنه لا أضر على الفقير الصادق من طمعه في الخالق فإن الطمع في الخلق سيف قاطع عن الحق وأعل همتك في الله حتى يتقدي بك إخوانك ، ولا تستند إلى الراحة والبطالة فيأخذون بحالك فيهلكون ، فاحملهم على الجد والاجتهاد ، قو يقينهم في الله بالحال والمقال ، فإنه قد صبحنا جماعة من الإخوان المغاربة فعلت همتهم في الله ، فحازوا قصب السبق في المعرفة بالله ، فانفتح لهم الباب من الله ، فانخرقت لهم العوائد ظاهرهم وباطنهم فصاروا من المحدثين من حضرة الحق بلا واسطة حتى أن كلامهم جمع في كراريس فيما فتح الله عليهم به من مكالمات وبشارات مما لم يسمع به من أكابر الأولياء المتقدمين ،

حتى أن بعض الأكابر كأبي يزيد البسطامي استصغر نفسه في جنب أحدهم ، فجد السير ، واجتهد لتكون في أول السابقين ، فإني تعجبت من صدق هؤلاء الذين ذكرتهم لك غاية العجب ، فإذا دخلوا الخلوة أتوا بالعجب والعجائب من غرائب المعارف والمكاشفات واللطائف ، فإذا حضروا المجلس كوشفوا بما يبهر العقول بحسن معاملتهم مع الله وقطع ما سواه ، وإني لا أحب أن تكون دونهم ، بل أحب لك أن تكون من أعلاهم واعلم أني فيما حرضتك عليه نعم المعين بالهمة والدفع إلى الله ، وقد اتخذت الله لك وكيلاً وكفيلاً فيما رغبتك فيه ، وجعلته جل وعلا خليفة عليك ، فأعني على نفسك بعلو الهمة في الله ، وقطع العوائق والعلائق القاطعة عن الله

والسلام عليكم وعلى أولادك وأهلك وجميع من يلوذ من الإخوان ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى الابن وقرة العين واثمد العينين محمد عثمان نظر الله إليه بعين عظمته وكبريائه ، والحقه بتجلي جلاله وجماله وكماله محفوظاً بعين عنايته ورعايته آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد

اعلم علمك الله بكل خير وصرف عنك كل شئ وضير لا تجزع من تجلي النكرة فإن الأسرار كاملة فيها مستقرة ، فمن ليس له تجلي النكرة لا يتم له تجلي المعرفة ، فإن بضدها تتميز الأشياء . " والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى " ثم أني قصرت من إطناب اللسان اكتفاء بما سيقع بيننا من الإطناب في الجنان فإنها سترد عليك واردات الهية ، تشفي العليل ، وتعز العبد الذليل وأما الشر فقد أمنك الله أنت وجماعتك من شره ومكره بحوله وقوته " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " وأما الخلوة فلا يصح لك الانقطاع الكلي في هذا الوقت من أجل تعلق الإخوان بك ، وإنما يصح لك الاختلاء في أوقات مخصوصة . وخلوتك الخصوصية بالله تعالى هو أن تختلي بأحزاب التجلي في بعض الأوقات ، لصفاء القلب وتنويره واجتلاب

الواردات الإلهية وأما الفتح الكبير العام الذي هو تجلي سلطان الكبراء وفيض تجلي العظمة على جميع أجزاء البدن من شعر وبشر وعظم ولحم ، فعن قريب يصل إليك . وعلى جميع إخوانك سيلا عاماً لا يبقى ولا يذر إن شاء الله تعالى ، والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة بدءاً وختماً

من الابن إلى والده ، ومن العبد إلى سيده ، ومن المستمد إلى ممده ، ومن الجدول إلى بحره ، ومن محمد عثمان إلى حضرة دائرة أهل العرفان ، قطب رحى حيطة الولاية . مصدر الأسرار والعناية ، من لا تبرز الخلع لأكابر وقتنا إلا بمدده الطامح ، أكسير الله في الوقت والإحسان ، كبريت أحمر أهل المعاني ، الجالس على بساط القرب في حضرة الذات ، الذائق أعظم مشاهد الصفات ، سلطان حضرات الأولياء ، طراز الدواوين الإلهية ، وزير نقطة الكمالات المحمدية ، المعبر بلسان الحق لكل سامع من أهل السمع ، مظهر سر اليد والقلب والبصر ، ذو الرفع ، آية الله الكبرى للمتقدمين والمتأخرين ، نعمة الله العظمى على أهل منازل

التمكين ، مرآة الحقيقة الأحمدية ، برنامج كمالاتها المحمدية ، المتمكن في الشهود والتقديس ، سر روحي الشريف مولاي أحمد بن إدريس ، أدام مولاي على إمداده في سائر اللحظات ، وعمني وأولادي وأهلي وأصحابي بفيضه في الحياة وبعد الممات

أما بعد ...

فقد وصل مكتوبكم فكشف ما على القلب من رين ، فجرت العبرة لما نالها من عبرة . أصابني سوء أدبي فابعدني عن حضرة الوحي العظيم وجاءني قبح فعلى فدحضني عن مورد القرآن الكريم ، ونالني خبث نفسي عن حضرتكم منزل الإلهام السليم وكشف الحجاب ، وسد الباب وانسدلت دون إبنكم الأستار بلا ارتياب ، أستاذ اكشف لي الحجاب . عمدتي افتح لي الباب . بلغ من الأتباع ألوف ، وهب الفيض والأنس المعرف

يا بحر الإله لكل مريديه

يا فيضا يعم الواصلين

اغث بنا غدا في مبعداته

وأدركه بلطف الوالدين

اسقني مولاي حقلاً رويا

وخذني إليك أخذاً قويا

هذا وبعد وصول الجواب لم يكن للتخلف أسباب ، ولكن ما علمه الأستاذ من أحوال الزمان فأنا في ديار المحب والمنقاد كثير ، وإقامة المعايش بفضلكم ليس بها تقصير ، وقد كثرت الأتباع والعيال ، والقيام بمثلهم في الحجاز يحتاج إلى أموال ، فليخبرنا الأستاذ عن الحقيقة بالحال أن اقتضى قدومنا وحدنا أو معهم هو أعلم بما يصلح الحال ، وحامل الكتاب أعلم بأحوالنا ، فاعتمدوه على ما تختاروه لنا ، وأرسلوا لنا كيفية خلوة تجمع المفرق ، وبعض أوراد تجدد المعتق ، وبلوا المرسول بقطرة ، وعموا الابن محمداً بنظرة هذا والسلام على الأستاذ من كل منتسب ومنتمي ومحب ومحتمي كعربي وإسماعيل وصالح وعبد الماجد والنبيل وإبراهيم ومحمد وحماد والهواري والحجازي والشيخ محمد والطاهر وعلى حامد وعيسى

وإدريس ز والسيدة صفية وأختها رقية وجوريكم أم كلثوم وزينب . وكل من انتسب إلينا وتقرب ثم السلام منا على عمدتنا في المصادر والموارد ومنهلنا في كل صاعد ووارد سيدي محمد ابن سيدي وأمهاتنا أهل البر والندى وسيدي إبراهيم وإخوانه . هذا وافتح الباب لكل الطالبين وخصوصاً المذكورين والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ابنه وقرة عينه عثمان بن ابي بكر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من جميع جهاتنا تعمنا

أما بعد .. وصلنا خطابكم ونحن بمكة أعزها الله ، فجاء الينا الكتاب السادس عشر في محرم عام 1235هـ فحمدنا الله على عافيتكم ، فلنا سنة كاملة في مكة عام 1234هـ ، فحضرنا حجة الجمعة ، فانتظرنا قدومك في هذه السنة ، وقد أذن لنا في القدوم فقدمنا بخير مقدم فالعجل العجل بالحضور عندنا كيفما أمكن فقد آن وقت حضوركم ، ولكم البشرى بحصول مقصودكم أن هلم ثم هلم إلى أرض الحرم المقدسة التي هي من أول يوم على التقوى مؤسسة ، أن هلم إلى

الخيرات والنور والبركات . أن هلم إلى قدسك وزوال همك وعكسك . أن هلم إلى عزك الذي يملؤك سروراً من عرشك إلى فرشك . أن هلم إلى السر المكنون الذي هو من الله كن فيكون . أن هلم إلى شرح صدرك الذي أنقض ظهرك ورفع ذكر . أن هلم إلى كوثر النور المحفوف بالأفراح والسرور . أن هلم إلى رفع القدر الذي ليس معه شئ . أن هلم إلى الوعد الصادق الذي من جميع الجهات بالنور دافق . أن هلم إلى الوعد الذي لا يخلف والسر الذي لا يكشف ، فحدد نظرك وشحذ فؤادك وأعزم بكليتك ولا تترك جزءاً من جزئياتك . أقبل فقد جاء وقت النصر والسرور وهو قوله r : " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " والسلام منا على الأخ الصادق العربي الخطيب ، وله البشارة بما يرجوه من القريب المجيب ، فعن قريب إن شاء الله يأتيه ما يسره ، ويقول : " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا " والسلام على كافة الإخوان والخلان وكل من لاذ بكم وانتسب إليكم مدى الزمان

وولدكم المبارك محمد بخير وأخته عائشة التي زادت بعدكم وأمها بخير والسلام عليكم وعلى من تعلق بكم من أنس وجان ، ونسأل الله أن يجمعنا وإياكم جمعاً لا فرقة بعده في أعلى حضرات الرحمن الرحيم المعصوم من كل عائق

وقاطع وشيطان . أنه جواد حنان منان . لا إله إلا هو إليه الإنابة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه الشيخ عربي الهواري

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

وأما ما ذكرتم في الاعتناء بكم فأنا أولى بكم منكم ، وأرغب في الخير لكم ومن لاذ بكم من الإخوان ، إذ الوالد لا يحتاج إلى من يسترحمه على ولده فحنانته منه وصدرت إليكم وصية أوصينا بها أخاكم عثمان فتأملوها فإنها من أجمع النصيحة في طريق الله عز وجل لكم وللإخوان أينما كانوا ، فارحموهم بها رحم الله عز وجل لكم وللإخوان أينما كانوا فارحموهم بها رحم الله الجميع ، وإن فهمتهم ما فيها من إشارة بل صريح العبارة فستهون إلى كل بشارة وأما ما يكون عليه العكوف فهو ذكر الله عز وجل قيامها وقعوداً وعلى جنوبكم ، فإن استطعتم ألا يفوت أحداً منكم نفس من أنفاسه غير ذكر الله فافعلوا ، وستحمدن مشورتنا

عند الله تعالى ومن أجل ما يطوي المسافات هذا التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " فمن عقله جعله ديدنا والصلاة العظيمة في الإكثار منها الخير الجسيم

والاستغفار بأي صيغة كان فهو أمان من العذاب بنص الكتاب ، ومن أجله الصيغة الكبرى المعلومة عند الإخوان وها هي : أستغفر الله العظيم الخ وكان ذكرنا صار إليكم . واللطيف كل يوم ألف مرة ، وعلى رأس كل مائة الدعاء مرة ومن زاد زيد له في الخيرات ، وأن يسر الله أحداً من الإخوان يصل إلى نواحيكم زدناكم من فضل الله هذا وعليكم بالعهد في تبليغ الإخوان حتى يعلم كل واحد اين يضع قدمه مع ربه ، وقد أجزناكم بذلك . وتلقينه لمن أراد أن يسلك الله به سبيل المقربين من أوليائه ، والمادة بالنور حاصلة إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه الشيخ محمد بن مجذوب ، جذبه الله بمغناطيس محبته إليه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فاعلم يا أخي أنه لم يفتك حج ولا غيره ، فأنت معنا ونحن معك حيث ما كنت ، وأثر ذلك عندك ظاهر وقد وجهنا إليكم قميصنا الذي كنا نلبسه تبركاً وتشبهاً وحرض الإخوان على الخلوة وبالصلاة العظيمية ، ومن لم يقدر عليها فعليه بالعزلة والصمت ووسع صدرك معهم ، فإن الله أمر نبيه r بقوله : " فاعف عنهم " يعني في حقوقه r ، " واستغفر لهم " أي تب عليهم في حقوقنا التي لنا عليهم ومن لم يتب عن زلة إخوانه فليس بوارث كامل

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانك كلهم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه وصفيه وقرة عينه الشيخ محمد بن مجذوب ، جذبه الله إلى كمال معرفته ومحبته آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فقد بلغنا كتابكم الأول والثاني والثالث وأجبناكم عن وصول الحوائج التي أرسلتم فإنها قد بلغت كلها كما ذكرتم وقد ذكرنا لك أنك تدخل من رأيت فيه همة وقوة وعزم الخلوة ، فإن رسول الله r حض على إدخال بعض الإخوان الخلوة وأمر أن يدخلوها بالصلاة العظيمية فدخلوها فانفتح الباب بينهم وبين الله ورسوله

والسلام عليكم وعلى جميع من معك ورحمة الله تعالى وبركاته والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام التامان الأكملان على نبيه الكريم وآله وصحبه وجنده وحزبه الحائزين الفضل العظيم

هي العبد الأذل كثير الخطأ والزلل محمد بن أحمد بن إدريس إلى حضرة مركز العلوم الأحمدية ، ومهبط الإمدادات الإدريسية ، قاموس المعارف الإلهية ، وبرزخ مجمع الأسرار الربانية ، مرشد المريدين إلى حياتهم الأبدية الذي عرف بخلوص النية والطوية أخينا الكريم وصديقنا الحميم المتخلق بالأخلاق النبوية ،

والمتحلي بأكمل الأوصاف المرضية الشيخ إبراهيم الرشيد . إن قلت أخي قالوا أخا من قرابة فقلت لهم أنه لشكور قارب بنسبي من ربي وعزمي وهمتي وإن فرقتنا في الأصول الناس ، زاده الله مما أولاه وأسبل عليه من جزيل أنعامه

السلام عليكم منكم وإليكم ورحمة الله وبركاته وإن تفضلتم بالسؤال عن حليف الأشواق وكليم الفراق فنحمد الله إليكم على نعمه التي لا تحصى ورحمته التي لا تستقصي . ولا نسأل إلا عن ذاتكم وكيفية أحوالكم جعلكم الله في أكمل الحالات فبلغني بحمد الله ما يسر الخاطر . لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام ، زادكم الله رفعة ، وجمعنا بكم في أتم نعمة والذي نعرف جنابكم أن كتابكم الكريم وصل وبه كمال الأنس والسرور حصل ، وحمدنا الله على عافيتكم حيث أثبتنا بتفصيل أحوالكم والإخوان الكرام العظام الحشام موسى وعبد الله وخلف الله وصلوا إلينا بالسلام ، فباتوا لدى الحقير كنزول العافية على السقيم ، فوجدناهم بحمد الله في الغاية في محبة الأستاذ والمتعلقين بطرق الله . نور الله قلوبنا وقلوبهم بنور معرفته ، وأفاض على سرائرنا أنوار محبته والهدية العظيمة والعطية الجسيمة البن والشاي وكتاب علوم الدين وشرح القصيدتين . الجميع وصلوا ، وأوصلكم إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر

وألبسكم حلل التقوى والمعرفة بالله أنه كريم منان هذا يا أخي وقد صادف الرقم والجماعة سائرين وجعلنا بينهم كمال التفصيل عقب هذا إليكم والسلام عليكم وعلى الإخوان أجمعين ورحمة الله وبركاته والسلام سنة 1288هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إلى أخينا وصديقنا الحبيب الصادق والخل الموافق الذي هو بمكارم الأخلاق العلية والشمائل المرضية ، شيخ الطريقة وإمام الحقيقة الأنور بالنور ، الولي الكامل المتقفي أثر النبوة قدوة الموحدين أخينا إبراهيم الرشيد

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وآله قراء القرآن ، وأصحابه الذين شيدوا أركان الإسلام . منا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من لديكم من الإخوان

وبعد ..

إن سألتم عنا وعن جميع الأهل والإخوان فنحن بحمد الله في أيسر حال وأتمها . نريد رؤياكم ولا نسأل إلا عنكم وعن حالكم ، وعن من يلوذ بكم ، جعلكم الله كذلك بل فوق ما هناك وخطابكم الأول والثاني وصلا وبهما الأنس والسرور العظيم حصلا ، وحمدنا الله على عافيتكم وصلاح حالكم ، وتحققنا ما في كتابكم أن حصل عليكم من الامتحان والابتلاء ما لا يزيد عليه ولا يخافكم أن الله لا يبتلي عبداً إلا أحبه وكفى الأنبياء وهم أكرم الخلائق إلى الله ومع محبة الله ابتلاهم ، ليزدادو خيراً أو قرباً إليه ، والأولياء مقتدون بالأنبياء ، ونحن سرنا ما حصل عليك وبشرنا لتنال به عند الله أعظم درجة ، والحمد لله على ما أولاكم بعنايته ونحن اطلعنا على أمركم فلا تظن أنه يدخل معنا كلام من هو يحسد لكم فنحن عارفون محبتكم للأستاذ وأنكم قائمون على أثره ، فجزاكم الله عنا خيراً ، إليكم بإحيائكم الطريق ونحن أعجبنا أمركم وفرحنا بوصولكم غاية الفرح . وسلموا لنا على نفوسكم ومن حواه مجلسكم الشريف من الإخوان جميعاً خصوصاً وعموماً من عرفناه ومن لم نعرفه ، والسابق واللاحق ، وعلى الشيخ الكامل محبنا عبد الواحد وجماعته ومن دلينا الأهل جميعاً والإخوان والأولاد وجميع المحبين

يخصوكم جزيل السلام والدعاء وصيتكم . لا تنسونا حال المراقبة والمشاهدة والله يحفظكم ويلي عونكم بمنه وكرمه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريراً في شوال سنة 1273هـ من على بن محمد بن أحمد ابن إدريس – ومن مصطفى بن أحمد بن إدريس عفا الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى أخيه وحبيبه في الله تعالى الأخ الأمين صالح التويم حفظه الله وتولاه وحرسه بعين عنايته ورعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته

وبعد ...

فإن كتابكم الكريم قد وصل وقرأناه وفهمنا مضمونه وما عليه اشتمل .

وأوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر آمين يا كريم وكان من جملة ما ذكرتم لنا أنكم أرسلتم بنا جوابات ونحن لم يأتينا جواب إلا وأرسلنا رده وما ندري عدم وصولها من أي سبب وأيضاً من ضمن ما في كتابكم أن نسطر لكم جواباً في فضائل الأذكار ، ومناقب سيدي أحمد بن إدريس وفضل الكلمة والعظيمية والتسابيح أما فضل الكلمة ففي الحديث القدسي : " سأل موسى ربه أن يخصه بعمل قال له يا موسى " قل لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله ، قال : يا موسى لو أن السماوات السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله " . وكيف إذا كانت بهذه الصيغة : لا غله الله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله " لو أن قائلاً يقول : لا إله إلا الله لا إله إلا الله وأمد الله في عمره من ابتداء الدنيا إلى يوم القيامة وهي مقبولة منه كانت أكثر منها الأولى بما لا يعلمه إلا الله تعالى . افهم السر في قوله : في كل لمحة ونفس وكذلك العظيمية . سئل رسول الله r عن فضائلها قال : تزن دلائل الخيرات بألف ألف ألف مرة ن في مرة عدها ثمانية عشر ، ومرة أخرى عدها عشرين ، أعني ألف ألف ألف ، وهي أعظم وأكثر من ذلك ، وهذا تقريب لنا . افهم السر

في قوله : في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم وأما التسابيح كما في الحديث لعمه العباس لا نطيل بذكره وأما مناقب سيدي أحمد بن إدريس فإن واحداً من أهل الكشف اجتمع بالرسول r وسأله عن سيدي أحمد قال له : وليد أحمد فرد لا كالأفراد ، وجرس لا كالأجراس ، وغوث لا كالأغواث ، فوق الكل وممد الكل ، وذلك نذر يسير عن حقائقه ، فإذا أردت معرفته فعليك بالأحزاب ، وهو فوق ما يقول لأن العالم الرسمي دون قوله ، والعالم الحقي فوق قوله ، لأن الأذواق ، والمعارف الإلهية والحقائق لا تعبر ، لأن اللسان يكل عن ذلك ، وكما أن أذكاره لا تعد فضائلها ، فهو لا يعرف قدرة ومناقبه ألا الله ورسوله .

والسلام عليكم

وكذلك وصل في كتابكم أنكم تريدون الكتب ، المواهب اللدنية والأحياء والشفا ، فعليك بالمواهب اللدنية والأحياء والشفا ونرجو الله أن يجمع لنا ولكم المواهب وما بعدها الظاهرة والباطنة آمين

وبلغوا سلامنا الجزيل على الأخ حسن محمد ومحمد طاهر ومحمد أحمد ومحمد كيتال ومحمد صالح وأحمد رقيم وعلى عبده ابن الشيخ عجيب المانجلك

والأخ محمد ولد التويم والسيد أحمد ولد حسن والأخ مصطفى والأخت أم الحسن بنت ولد قعاش وزوجتكم جمال والأخ عمر والأخ الأمين والأخ خوجلي وخير الله محمد والشريف عبد الله والأخ محمد ولد بتول والأخ عمر والأخ الأمين والأخ خوجلي وخير الله محمد والشريف عبد الله والأخ محمد ولد بتول والأخ محمد بن أحمد معاش والأخ محمد الأمين موسى والأخ محمد نور الهدى ومحمد صالح

ونرجو لكم ولجميع الإخوان خصوصاً وعموماً الفيض التام والشهود الدائم ، وألا يجعل فينا شائبة لسواه آمين

ومن عندنا يقرئكم السلام الإخوان منهم محمد ابن على والأخ عبد الرحيم القرباوي وموسى ومحمد صالح ومحمد المعلاوي وفحل ومحمد أبريمي ومحمود الحجازي وأبو محجوب وعبد الرحمن الحضري ومحمد الشامي . وجميع الإخوان يقرءوك السلام

، والدعاء لكم تجاه الكعبة المشرفة . وعلى الله القبول أنه أكرم مسئول

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى الأخ المحترم الأعز الأمجد الأحشم الشيخ إسماعيل البليابي حفظه الله آمين

أما بعد ..

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرفكم أن كتابكم الكريم قد وصل وفهمنا ما فيه . أما من خصوص أذكار الطريق أعنى طريق سيدي أحمد ، التهليل والصلاة العظيمية والاستغفار الكبير . قال بعض الناس لسيدي أحمد بن إدريس قدس سره : دلنا على من هو أسبق الناس إلى الله فقال : عليكم بالتهليل . وسأله آخر فقال : عليك بالصلاة العظيمية ، وما يفضل عليهما شئ في الأسبقية يعني بالوصول إلى الله تعالى . والاستغفار وقت السحر . والتهليل مقدم على غيره . والأنس يكون بحسب حاله ووقته . فكل ما يفتح له الباب ويحسن منه زيادة الأفعال يكثر من ومن جهة الأحزاب والحزب السيفي فلكم الأذن في قراءتهما ، ولكن الأحسن أن يكثرمن التهليل و العظيمية لأن الأحزاب ما يدري معناها إلا بعد الفتوح ومن جهة

الحصون التي في الأحزاب يتحصن بها صباحاً ومساء ومن جهة التسابيح الواردة في السنة وكان سيدي أحمد يشير إليها : سبحان الله وبحمده مائة مرة بعد صلاة الصبح إلى الطلوع وبعد صلاة العصر إلى الغروب . وثوابها كل مائة منها بمائة ألف حسنة وأربعة وعشرين ألف حسنة عدد الأنبياء والرسل وأيضاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كذلك بعد الصبح إلى الطلوع وبعد العصر إلى الغروب مائة مرة ، وثوابها كل مائة كأنما أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل وكأنما حج مائة حجة ، وكأنما قرب مائة بدنة وكأنما ألجم مائة فرس في سبيل الله ، وإذا زاد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله فثوابها بلا حساب ، وأيضاً لمن ذكرها بعد الغروب وبعد الطلوع ، وإذا ذكرهما في وقتيهما المذكورين يكون أزيد من ذلك لموافقة الآية : " وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب "

وأيضاً سبحان الله وبحمده أستغفر الله إن الله كان تواباً سبعين مرة في الصبح فقط بعد صلاة الصبح وثوابها سبعمائة حسنة ومن جهة ما ذكرت عن المزيد إذا تلقى الذكر من شيخه وتركه مع محبة شيخه وتركه رأساً ثم رجع إليه ، فإذا رجع مقبول ولوفي غير تجديد ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومن جهة

ما ذكرت من الأوراد الأخرى كالمسبعات وغيرها فلا مانع وله الثواب ، والأفضل الاقتصار على أوراد شيخه ، لأن للسر والمدد فيها ومن جهة الحول وسببه فإنه أسلوب أهل الحجاز ، أن كل إنسان يصنع ذلك صدقة للميت على حول وفاته ، وما يصنعه ألا أحب الخلق إليه ، ونحن ما أحب علينا من سيدي أحمد أحد ومن جهة فضله لفاعله والعين فيه والمتسبب فيه ومن حضر في شئ منه فلا يحصى ولا يحصر ولا تسعه العقول ، وما يسعه إلا الإيمان ، ولفاعله اليد العليا عند سيدي أحمد ، لأن أهل الله أهل المروءة والكرم ، فيكافئون من صنع معهم المعروف بأضعاف كثيرة بحسب مقامهم عند الله ، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . وهذا القدر فيه الكفاية وشدوا حيلكم على التعاون وإدخال الناس في الطريق لحصول النفع للمسلمين لأن أهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في حجرها والحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير ، والمتسبب في الخير كفاعله . وبلغ سلامنا إلى الأخ دفع الله ومحمد عبد الله ومحمد أحمد ، وجميع من لديكم من الإخوان . ودمتم سالمين . ومن جهة الهدية قد وصلت ، وجزاكم الله كل خير ووقاكم من كل

شر . وأساس كل شئ تقوى الله العظيم ، وهي إتباع المأمورات واجتناب المنهيات . والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

إنه من عبد ربه إبراهيم الرشيد لطف به الحميد المجيد إلى الأخ المحترم الشيخ ولد حسين نارتي حفظه الله

أما بعد ..

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرفكم أن كتابكم الكريم قد وصل وفهمنا ما فيه وما عليه قد اشتمل . أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده ولا ضرر .

وإن سألتم عنا فنحن بخير بسؤالنا عن كلية أحوالكم أجراها الله على السداد ، ووقفنا وإياكم لما يقربنا في مرضاة رب العباد وأما من جهة الأخ الذي ذكرت في جوابك أنه أتاكم بكتاب يسمى الميزان ويقول العمل به لازم ، من أين له ذلك ؟. فلا ميزان ألا كتاب الله ، ولا نطلب الهدى ألا من سنة رسول الله r . ومن يبتغ الهدى في غيرهما أضله الله . وهما القسطاس المستقيم . ويا أخي ميزانه أطرحه في البحر إن أمكن ذلك ، ولا تمشي علينا هذه اللعبات ونحن نخبركم مما من الله به علينا تحدثاً بنعمة الله تعالى ، قال الله تعالى : " وأما بنعمة ربك فحدث " . لو جعلت البحار كلها مداداً والعالم كلهم كتاب لا يحصرون ما أمدنا الله به من العلوم ، ومع ذلك كله تركناه ولا نكتب منه شيئاً خوفاً أن نميل عن نهج سيدي أحمد بشرعة واحدة . وكان رضي الله عنه يقول : " أتيتكم من المحل الذي لا يأتيه الباطل " ويمسك لحيته ويقول : أردد جوابي بين يدي الله تعالى في محضر الرسل عليهم الصلاة والسلام " فقال أبو العباس المرسي وكان غوث زمانه : لو قلت قال الله تعالى حتى ينقطع النفس بالموت لفعلت ، ولو قلت قال رسول الله r حتى ينقطع النفس يعني بالموت لفعلت ، وأترك ذلك كله أدباً مع شيخي ، وأقول : قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وهذا الرجل عامي قد لعب به الهوى ،

مثلم كمثل سفينة لعب بهما الموجه من كل جانب حتى أشرف بها على الهلاك . والعجب ثم العجب ثم العجب من أمثالكم كونكم صحبتمونا ، وعرفتم أسلوبنا وتتوهمون في مثل هذا ، لا تمتثلون له ، أما لا فمثل هذا أن ثبت له حال عذره أنه مجذوب والمجذوب لا يصلح للإرشاد بل هو محتاج للتربية . هذا وقد أفدناكم . والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . هذا خطاب من الأستاذ الأكبر السيد محمد بن على السنوسي إلى شيخه الأستاذ الأكبر السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنهما

قال رضي الله عنه بعد الديباجة ما نصه :

واعلم سيدي أنني مذ فارقتكم ومددكم الجزيل هاطل ، وصيب ديمه وابل ، ومما جعلته أنان لما مررنا بحلي أورية مطراً غزيراً وسيولاً عظيمة عمت أغلب أراضي اليمن ، ثم سرنا إلى تخون أرض الشام وهاتف يقول لي : أرأيت هذه

الأمطار والسيول كيف صارت في أجزاء الأرض وسوف تحصل بها خضرة يانعة وتثمر بها ثمرة مباركة نافعة . فقلت له : بلى فقال : لكل واحد من زائري قطب العوالم وعين ذات سيد ولد آدم أعظم مما رأيت ، وأجل وأكبر من الإمداد التي لا تخطر بجنان ولا يكفيها لسان وأمور طويلة أنسانيها ما بي من الأمراض

ومنها لما كنا قبالة قنفدة ببير عاجة ، أقبلتم رضي الله عنكم وأفرغتم على شيئاً لا أعرف تكييفه غير أن فيه تثليث ، فهمت منه تحقيق المقامات الثلاث أسلكتموني إياها سلوكاً ثانوياً ، ثم كأنكم نشرتم كل واحد منها نشراً واسعاً لا يستطاع حصره ولو في دهو ر طويلة سيما الأخير ، وكررتم به الإضافة فصار حق اليقين ، وهكذا مع تخافق تجلياتها وتلون أنواعها حتى رأيت أن عقلي كاد أن يطير ن وقد حصل فيه شئ لولا أني كنت وحدي ليلاً لنقل عني أمر طويل عريض ، لكن بفضل الله مددكم جزيل ساتر ، ثم خاطبتموني قائلين : إياك أن تهتم بأمر النجاسة فدعها على مراد الله . ثم لما هال الأمر وطال وصار العقل في طيش وزلزال ، ابتدأتني الحمى واشتد حالها حتى أدهشت من يراني ، وفتر عزمي وانحلت فرائصي ، وحينئذ ذقت بعض معنى قوله تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً " بحيث صرت أرفع للركوب وأنزل إليه ثم كابرت

السير صبيحة الوقعة إلى الأحسية فوجدنا بيوتاً فارغة ، فأقمنا بها خمسة أيام والحمى بحالها ، والزاد لا أطعمه إلا الماء واللبن أن وجد أحياناً ، وفي اليوم الرابع من نزولنا ذلك بين ظهره وعصره وقعت أمور طويلة عريضة من جملتها : أقبل رجل مرفوع بين السماء والأرض طائر بلا أجنحة ولا ريش إلا أن حركته ثقيلة ضعيفة ، ولا زال يدنو مني وأشاهده عياناً حتى لمس يجنبه السرير الذي نحن عليه فسألته عن حركته فقال : أني ضعيف جداً فيما ترى ، ومما من الله على وجدناك في طريقي ، فإن من دنا منك أو لامسك كملامستي هذه حصلت له قوة عظيمة لا تحصل لأحد ولو بعبادة الدهر كله ، أو كما قال ، ثم انفلت من عندي في الجو كأنه السهم لا أسرع منه ولا اقوى وكأنه بريد اقليم والرجل مسن أشيب ، ثم جاء اثنان يريدان ما أراد وهما ماشيان أحدهما أشبه شئ بأخينا الطيب التازي ، وليس به إلا أني توهمته أولاً أنه هو لشدة ما بينهما من الشبه

ثم انسلخت روحي من هيكلي أو تعدد الهيكل وطرت في الجو طيراناً مسرعاً يسبق خطف البصر حتى دخلت عندكم وجلست عند منكبكم الأيمن ، ورمت السلام عليكم ، فسمعت بعض حركة لأهل البيت في طرف المكان كأنهم يناولون شيئاً في خدمتكم ، فخرجت مسرعاً وقد حصل المقصود برؤيتكم ، وعلمي بعلمكم

إياي لعقيدتي أنكم أنتم الجالبون لي ثم توجهت نحو المدينة ، وإذا نحن بالروضة فرمت الوقوف من وراء الستور كلها حيث كانت الصحابة تقع أقدامها ومنعني الأدب فاكتفيت بموقف العامة ، فلما قضيت المراد ورجعت إلى الأحسية وفي كل ذلك أني لا أظن وأتيقن أني جئتكم ، وجئت بجميع هيكلي إلا أني سألت الإخوان إذ ذاك فعلمت أن ذلك إنما وقع بالروح أو تعدد الذوات ن ولما رجعت إلى الأحسية فوضتم إلى إمداد الإخوان ، فابتدأت بمن معني إلا أن بعضهم أفرغ عليه منه حتى يغيب فيه ولا يحصل منه شئ ، والبعض منهم يقبله كله ، والبعض بعضه ، ولا زلت كذلك ، وإذا برجل من أهل السلا أو الرباط من الذين يلبسون الجلابيب السود تطاول على من مكانه يريد أذيتي ماذا عنقه فاغراً فاه كأنه يريد ابتلاعي أو ينفخ على فيذرني قاعاً صفصفاً ، رجلاه ببلده ، ورأسه عندنا بالأحسية ، وما أفزعني ذلك ولا أهالني منه شئ إلا أن الله حرك يدي مشيراً بها إليه بإرادة قصم رأسه من بدنه ، فانقطع رأسه وفاه فاغر ، وبقي رأسه عندنا بالأحسية ورجلاه ، وهو ممتد على الأرض كالثعبان ثم غابت غني ذاته ورأسه جميعاً ، وهذا كله وبعض الجماعة الغشم الذين لا يعرفون حالي قريباً مني يتحدثون يريدون إفاقتي وأنا أسمعهم وأفهم كلامهم ، وتزايدت على الأمور وتراكمت فزجرت الإخوان عن

حديثهم فأطالوا في الكلام . فانقطع خلال ذلك أمور طويلة عريضة ومنها أننا قبل أن نصل إلى ...... بنحو اليومية أقبل رجل من أهل المغرب بعد رحيل القافلة ، وهو على فرس ذكر أزرق خاطف العرقوب ، وبيده رمح طويل وهو راكض فرسه مغير كأنه يريد النصرة لنا ، فركبت معه فرساً لا أقدر الآن على وصف ، وإذا بجمع في جم غفير يريدون صدنا عن الطريق فالقتال من أكابر أولياء ذلك المحل ونواحيه ونواحي القنفدة ، فأقبلت عليهم نحن وذلك طعناً وضرباً بالسيف حتى انهزموا جميعاً في أسرع من ثمن الساعة أو أقل ، ورأيت واحداً من الإخوان معهم وقد اصابه شئ من جراحات السيف فلقيني فأردت كلامه ، فتسدد عني حياء من قتاله لنا ، فتفكرت في أمر هذا الرجل فعرفته بعد وإذا هو أخو جدي التاسع ولد سيدي عبد الله الذي أخبرتم يحضرني بعض أحيان وهذا يذكرون من ولايته أمراً عظيماً ويصفونه بأنه كان أحد الإمامين الخاطبية ، والله أعلم بغيبه

ومنا : أننا لما وصلنا طرف الشارقة واشتد الحال فرمنا النزول عند الشريف على بن راجح للشدة التي اصابتنا ، فلما نزلنا في محل وسالنا وأخبرنا بمكانه قلنا : غداً إن شاء الله نذهب إليه ، ثم رفع لي السرير وأبعدوه منهم لمكان قضاء الحاجة لموجب الإسهال الذي معي ، فلما استقريت بمكاني وانفصل عني وإذا

بأهل العناية من أشراف بني حسن يتحاورون في أكرامنا ونزولنا عند من يكون ، وفهمه منهم أنهم كرهوا نزولنا عند على بن راجح المتقدم ، ثم انصرفوا ، وإذا أنا بالسرير تحتي تحرك واهتز حتى شعرت بأنها حركة غيبية ، ثم رفع في الهواء وأدخل مكة وقصد به البيت الذي به أهلي فأنزل وسط الحوش وأنا خائف أن يشعر بي أهل البيت أعني النائمين به من الإخوان فإني أرى أشخاصاً نياماً ، ثم رفع وأدخل الحجرة الشريفة ، فنزلت من فوق السرير ، وجلست في الأرض ، وخرج الرسول r من وراء الستور ، وسلم على وهون ما بي ، ثم اجتمع إذ ذاك خلق كثير لا أحصى عدده ، وكانت الآفاق كلها بين يديه ونحن نشهد قربها كأنها في طرف المجلس لما أرى من إصغائها لقول الرسول r وهو يقول : هذا ولدي ، وهذا نخبة أولادي ولدي أحمد وخليفته ، فمن أخذ عنه وأدخل حزبه أو أخذ بيده فقد أخذ عنا وأدخل حزبنا وأخذنا بيده ، ومن آذاه فقد آذانا ، ومن أكرمه فقد أكرمنا ، وسوف يمد الله في عمره حتى يفتح الله به أعينا عمياً وآذاناً صما وقلوبا غلفا ، وذكر أموراً طويلة عريضة بعضها نسيته وبعضها استحييت أن أذكره لعظمه وانحطاط قدري عنه ، ولما فرغ r من قوله وأذن بالرجوع فرفع السرير كأنه ذو روح عاقل ، فأردت زيارتكم ، فأنزلتني برحابكم من صبيا حتى برد غليلي ، ثم

ردني لمكاني الذي أنا به مع الجماعة ، فلما أصبحنا تركنا أمر الذهاب إلى ابن راجح وتحملنا المشقة من حيننا إلى بئر الشاقة المعروفة بحادثة لعذوبة مائه ، فنزلنا قريباً منه ، فهذب رفيقي ينظر لي في قريبة لعله يجد لي مكاناً وإذا أنا بكم رضي الله عنكم عندي ومعكم جماعة من الأولياء وهم يقولون لكم : أثقلتم عليه خففوا عنه . فقلتم لهم رضي الله عنكم : هذه حصة الأكابر لا ينقص منها شئ ، فقيل لكم : وهل هذا من الأكابر . فانتهرتم القائل وقلتم : هل مثله أحد أو على وجه الأرض كبير مثله ، فاستكثر السائل ذلك واستكثرته في نفسي وقلت :/ هذا له تأويل عندهم ، واشتد بنا المرض هناك ، فأقمنا بها ثلاثة أيام ، ثم رحلنا قاصدين الليث فكنت جالساً ورأيت شيئاً نازلاً من السماء عظيماً فخفت منه وأنا في صلاة العشاء ، فسجدت فقيل لي : هذا قصدك إن لم تعتقد ما قاله لك أستاذك وأنت بالشاقة على حقيقته ، أو كما قال ، وإلا وقع عليك ، فاعتقدت حقيقته وحقارة نفسي ، فاستحال ذلك السواد بياضاً ، وحل بي حتى تشرب منه بدني ، وأتممت الصلاة قائماً بعد أن كنت أصلي جالساً من منذ مرضت

ولما وصلت كنت في بعض الليالي وقع بي أمر هائل فرأيت سيدنا عزرائيل عليه السلام في قصة طويلة فسألته عن نفسي هل جاءني لقبضها ؟ فقال لي :

أجلك بعيد إنما بقى لك ثلاثة وثلاثون سنة لتذكر الله فيها ، أما كما قال :
فتذكرت قول الرسول r : وسوف يمد الله في عمره .... إلى آخره ، مع أن الغالب
عندي ما كنت أظن إلا أن الأجل قد حضر لما اراه من شدة المرض وأهواله الشاقة
، وإذا جاء وقت الرحيل قاموا إلى الفر فعرفوني فوقها فأجلسوني في السرج
فأقول : يا سيدي أحمد فتسير الفرس ويحصل لي انتعاش ثم نشاط كأني صحيح
، ولا أزال كذلك أسير نحو من ساعتين ونصف أو ثلاث ساعات وتذهب القوى
فينزلوني وهو نصف المرحلة وغداً كذلك وهكذا ، ولذا سرنا أربعة عشر يوماً في
مسير ثلاثة ايام ، فلولا مددكم والالتجاء إليكم ما كنت أصل الليث ، ولا أتحول من
مكاني الذي أصبت فيه ، فالأمر منكم بدءاً وإليكم عوداً والله منشئ الخيرات كلها
. رضي الله عنكم وأرضاكم بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب
بشر

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وصديقه الشيخ مكي ابن عبد العزيز أعزه الله
بولايته الكبرى في الدنيا والآخرة آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد ...

أسعدك الله وأسعد بك . قد وصلنا مكتوبكم أوصلكم الله إلى رضوانه الأكبر الذي لا سخط بعده أبداً

والحمد لله على عافيتكم ، ثم اعلم أعلمك الله بخير أني ولله الحمد أدعو لكم بخير ولمن تعلق بكم من الأهل وغيرهم وأوصيك يا أخي بتقوى الله والتزام طاعته ، فإن العمر نفيس عزيز وضياعه في غير طاعة الله وبال وخسران . أعيذ نفسي وإياك من ذلك وقد سألتني أيدك الله عن تقطير الماء للمحتضر وقت النزع ، قد شاع فعله شرقاً وغرباً ، ولا أعلم فيه من رسول الله r أمراً ولا نهياً ، إلا أنه r لما حضرته الوفاة كان يضع يده في الإناء وفيه الماء ويمسح بها وجهه ويقول : " سبحانه الله ، إن الموت لسكرات اللهم أعني على سكرات الموت " ولا بأس بفعله أن ظهر على المحتضر يبس في فمه أو عطش وسألت عن كتابة الأوراق فيها أسماء الله تعالى وشئ من القرآن ، ووضعها مع الميت في القبر ، لم يرد أن رسول الله r

فعل ذلك ، ولا فعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، والذي لم يفعله الرسول r ولا أصحابه لا خير فيه ، والسلام عليكم

ثم اعلم يا أخي أن الدنيا راحلة ولا غنيمة فيها إلا طاعة الله ، وأعظمها أجراً ومنفعة عند الله ذكر الله ، فعليك بذكر الله سراً وعلانية ، قال سيدنا ومولانا رسول الله r : " ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده : الذاكرون كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله تعالى "

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين لا شغل لهم إلا بالله ظاهراً وباطناً دائماً أبداً سرمدا آمين

وله رضي الله عنه وأرضاه

من أحمد بن إدريس إلى أخيه بل ولده محمد عثمان أيده الله بتأييد الرضوان وجعله من خاصة عباد الرحمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في حضرة الإحسان آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

فاعلم ايدك الله بروح منه ولا أخلاك وقتاً عنه : أن طريق الله مبنى على الجد والاجتهاد حتى يتخلص العبد لربه ، ولا تكون الرئاسة ، فإنهما سببان قاطعنا عن الحق ، ومعلوم ما أخبر به الحق عن رسله عليهم الصلاة والسلام من قطع مادة الطمع ، وكل واحد يتبرأ ويقول : " وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين " وما سقط من سقط من الفقراء المنتسبين إلى الله تعالى إلا بحب الرئاسة والطمع في الخلق ، وصار أمرهم دنيوي لا ديني ، وأعيذ نفسي وإياك ممن هذا حالهم ، فاحترس من ذلك غاية جهدك ، والله ولي توفيقك ، وما أحتاج فيك إلى وصية ، وما كان القصد من طلبنا لك في الحضور عندنا إلى للتخلص من هذه العلل . والسلام عليك وعلى جميع أولادك وجميع الأهل والإخوان ورحمة الله وبركاته

وعند وجهنا إليك فرجيتنا التي كنا نلبسها ، نسأل الله تعالى أن يكون فيها الإشارة إلى الفرج العام الذي يعم الخاص والعام .. آمين آمين آمين . الله الله الله في قطع الشوائب والعلائق ، والوقوف مع الله على قدم الصدق حتى يتخلص

العبد بكليته للحق وفي الكتاب الذي وجهناه إليك لما قدمنا إلى اليمن وأنت في ناحية السودان كفاية ، وقد وصل ذلك الكتاب إلى أقوام فانتفعوا به غاية النفع ، وعلموا به حقيقة طريق الله على أي شئ هي ، فعليك به ، فإن ذلك الكتاب لما اطلع عليه من هداه الله وعلت همته في الله انتفع به غاية النفع والله المستعان

وله أيضاً رضي الله عنه وأرضاه

من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه وحبيبه ووليه محمد عثمان ، كان الله له كينونة أهل الإحسان ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ...

فقد وصلنا كتاب من أخينا محمد بن السنوسي يستأمرنا في نفسه من جهتكم وما عمدناه عليه ليستعين عليه بالله عز وجل سواء كان أنزالكم منزلتنا والتأدب معكم على مقتضى ذلك ، والمصاحبة على وجه المناصحة ، أو كف نفسه وتسليم أحوالكم لكم ، فأجبنا عليه بالنصح لله وفيه ، وهذا كتابنا منا لك

فاعلم أيها الولد أن الله عز وجل لم يوص عباده الأولين والآخرين ألا بتقواه قال تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله "

ولما كانت التقوى أيضاً تحتاج إلى اقتباس من أهلها قال لنا : " اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " يعني في التقوى ، لأنه ليس كل من ظهر له التحقيق بذلك هو كذلك في نفس الأمر حتى يختبر نفسه بصحبة من تحقق بتقواه ، فإن الذهب لا يتميز خلوصه حتى يعاير مع ذهب قد خلص ، فإن جاء عياره كعياره وجب قبوله واقتناؤه ، هكذا شأن من كانت له الرغبة في الله لا يزال مستغرقاً وسعه في إخلاص عبوديته لربه ، وينظر إلى من هو أعلى منه ويشمر عن ساق الجد وساعده ليلحق بالسابقين ، ولا ينظر لمن هو أدنى منه فتقنع نفسه بما هو غيه ويبقى واقفاً . والقناعة من الله حرمان فإذا عملت بذلك فإن كانت الهمة كما نعهده فيك فلا يكن أمراً أهم عليك ولا شيئاً أحب إليك من صحبة أخيك محمد ابن السنوسي ، فعليك به ، فاتخذه صاحباً صديقاً ، فإنه قد انسلخ من نفسه انسلاخاً كلياً كما تنسلخ الحية من نفسها ، فهو في أمر عظيم من الله في نفسه ، ومع ذلك لا يرى لنفسه شيئاً ، وهمته طالبة المزيد من الله تعالى ، فإذا صحبته فأنزله منزلتنا لكونه نسخة صحيحة منا ، ومنحاش بكليته إلينا لا رائحة أجنبية

عنده ، وبنظرك له بتلك العين تتمكن من بذله لك النصح وقبولك منه ، ونحن قد أمرناه أن لا يدخر عنك نصيحة ينصح بها أعز حبيب في الله علينا وعليه ، فاصغ له بإذن واعية ، وستحمدني على ذلك من الله تعالى ، وتجد معه ما تجد معنا إن شاء الله تعالى ، وتعرف ذلك في نفسك حينئذ ، ومن عرف الشئ من نفسه لا ينكره ولا يفتقر في علمه إلى أخبار خارجية

واعلم أننا ما قلنا لك ذلك لنحط من قدرك ونذلك ، بل لنرفع ذكرك ، ونتمم نورك ، ونديم بالله سرورك ، نصحاً لله نصح الحبيب المبر بحبيبه ، فتصاحبا في الله حتى يجمعنا الله عز وجل بحرمه الأمين قريباً غير بعيد أن شاء الله تعالى فاصحبه صحبة الذين يريدون بصحبتهم وجه الله

وطريق الله يحتاج إلى الرفقة والتعاضد والتناصر على الأعداء القاطعين عن الله . فلا يؤخرك عن ذلك شئ من الموانع أن أردت الفلاح التام . ومثلك يكفيه الإيجاز فضلاً عن الإطناب هذا وأنت منا بالمكان الذي أنت به . والله وليك ومؤيدك والوكيل عليك . والسلام عليك وعلى من لديك وحرمة الله وبركاته

ولسيدنا ومولانا السيد محمد بن على السنوسي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

إنه من عبد ربه محمد بن على بن السنوسي الحسني الإدريس إلى أخيه في الله وصاحبه من أجله وصفيه ووليه ونهاية وده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه

وبعد ..

فإن تفضلتم عنا بالسؤال فنحن بحمد الله في أحسن حال سوى ما حل بنا من فقد الأستاذ . يعوضنا الله وإياكم في مصيبتنا خيراً فإنه قد صار إلى رحمة الله تعالى يوم الواحد والعشرين من رجب من سنتنا هذه سنة 1253هـ وقد كنا ارتقبنا مجيئكم في هذه الأعوام فما أراد الله ، فبادر أن تيسر لك الأمر إلى زيارة بيته الحرام ، وزيارة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

واعلم أن الذي أوصى به نفسي وسائر إخواني وصية الله في الذين خلوا من قبل : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " ، والعكوف

على بابه والانحياش إليه ، والغيبة في جنابه ، بحيث يرى ويشهد بكل مسمع ومشهد والغيبة عن الرائي والسامع بصيرورته الرائي والسامع بشهود الحق في عين الخلق والخلق في عين الحق على سبيل : " لا يزال العبد يتقرب إلى بالنواف حتى أحيه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به " .... الحديث .

واحذر اخواني كلهم التدابر والتنافر والتفاقم والتشاجر ، وإياهم والاختلاف والزيغ والانحراف ، وقد قال تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "

وقال تعالى : " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ "

وأوصيهم بالتوادد والتحابب لخلص الأصحاب وخلاصة الأحباب ، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب . وليحذروا من غير أبناء الجنس ممن يوقع فيهم وهن الطريق ويوليهم العكس ، فلقد بلغني عن أفراد رجعوا عن الطريق بسبب اختلاطهم بمن يرومهم بإشغال التحريف وشواغب التمزيق ، فكونوا على تمام حذر من غير إثارة فصول كدر ولا مكر ، وفلا تغرنكم الزخارف الغالية والحالية ،

وتدعون ما أنتم عليه من الحق الصميم والصراط المستقيم ، فإن طريقكم طريق الرسول التي لا يعتريها زيغ ولا أغول ، وجنا جني إمدادها داني ، وسلسبيل لذيذ شرابها مرئ هانئ ، فعضوا عليها بنواجذ العزم ، واكتبوها بنواهد الحزم ، ومن أراد تحقيق ذلك فليشمر عن ساعد الجد لما هنالك إلى أن يحظى بما يبهر العقول ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وأما من كان أمعة في الرجال مصنع لتزاوير تمويهات القال فلا يأتي منه شئ وليس من الله في شئ

إذا بلغكم كتابنا هذا فعليكم باستعمال أساس الطريق جميعكم ، مجددين التوبة إلى الله مستمدين معترضين لنفحات الله ، ملازمين أذكاركم على سبيل الانفراد والاتحاد بدون جمع أعداد لما كان عليه الرسول وأصحابه صلى الله عليه وسلم مع تعهد أحوالكم وترقب ما عساه عارض بمسالككم ، ونهض فاتر عزائمكم بعكوف الخلوات وآداب عمارة القلوب في الجلوات فإن السعيد من وجد من يأخذ بيده عند الزلات ويذكره صوادم الغفلات وكونوا جميعاً عباد الله اخوناً في تمام التعظيم والاحتشام والتوقير والإكرام والتحابب والتباذل والتناصح وعدم التغافل ، وما أشكل عليكم فردوه إلى الله ورسوله وإياكم ونصرة الانفس بزايف المقول ،

فإن مبنى طريقنا على خالص المتابعة وترك المراء ، وشغايب المدافعة ، واتباع الحق ، حيث ظهر من كل أحد عظم أو صغر على أي وجه كان تعلماً أو تعليماً ، قال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما "

وقال عليه الصلاة والسلام : " الحق ضالة المؤمن أينما وجده أخذه "

ولقد عهدنا إليكم باتخاذ زاوية تأوون إليها ، وتذكرون الله فيها . وتجدون قلوبكم عندها ، ولو من خالص الإخصاص ، ليتم لكم تمام الاختصاص ، ويتوفر الإخلاص ، ويختلي فيها أرباب القلوب ليحظوا بالمواهب ونيل المطلوب .

فمن يرد طريقتنا الإشراقية ، وينال بها مرامه من طريقتنا البرهانية ، فلقد أمرنا بأمر الأستاذ كافة الإخوان بلزوم قراءة مثل : صحيح الموطأ ، وبلوغ المرام في الحديث ، ورسالة ابن أبي زيد في الفقه ، وبقراءة الرسائل السبع في التصوف التي هي : الرائية والهائية في خالص السلوك والفضيلة ، والحاتمية ، والرسلانية ، والفصوص في خالص العرفان والبرزخ بينهما الزهد ، والحكم العطائية مرتبة الأبواب أو بدونها ، فإنه لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله

وبدليله ، والأولان في كل منهما ما ينيف على الستة عشر والسبعمائة من الأحاديث الصحيحة المستوفية لسائر الأبواب . وفي الرسالة نحو أربعة آلاف حديث ، كذلك بستمائة بلفظها ثلاثون مائة بمعناها محررة مهذبة منقحة عالية الإسناد إذ ما بين مؤلفها وبين الإمام ألا شيخان خاصة . وأما الكتب السبعة المذكورة فهي خلاصة ما يتعلق بمقام الإحسان ، وما يؤدي إليه من المقامين قبل المراد من قوله : " اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ... الحديث . تجدوا أنتم حظكم من ذلك على حسب ما استطعتم

وأبشروا بالإذن والفتح التام من الأستاذ الإمام خاتمة العارفين الأقطاب العظام

وإياكم ومن يزهدكم في العلم ممن لا خبرة له بما عليه أماثل القوم ، فإنهم على فريقين : إشراقية وبرهانية ، فأصحاب الأولى دأبهم تصفية النفوس من الأكدار ، وتوجيهها نحو الحق لتمنح المعارف والأسرار بدون تعلم ولا تعليم من بابا : " واتقوا الله ، ويعلكم الله " وأصحاب الثانية دأبهم إتباع الأوامر ، واجتناب النواهي ، واقتباس العلوم الأربعة : التي هي علوم الذات والصفات ، والفقه ،

والحديث والآلات ، حسبما هو مبين عند الشاذلي وزورق رضي الله عنهما وطريق أستاذنا رضي الله عنه جامع بينهما . فمن أراد الإشراقية سلك به سبيلها ، ومن أراد البرهانية سلك به سبيلها ، وهي الأغلب على أحواله في نفسه لكونها أفضل الطريقين من حيث أنها أغلب حالات النبي r ، وغالب أصحابه والأمر الذي أمرناكم به ويكون معيناً لكم على سلوك السبيلين باقياً فيكم إلى يوم الدين ، فاسلكوا سبيل الاتباع واتركوا ما عداها وأن استوى على سوقه " فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " فتيقنوا واستيقنوا وثبتوا واستثبتوا . وعليكم بمذاكرة الصادقين من ابناء الجنس الصالحين ، فقد قال عليه السلام : " إن الإيمان يختلف في جوف أحدكم كما يختلف الثوب على ظهوركم ، فتعلوا اليقين بمجالسة أهل اليقين " . من الله علينا وعليكم بتمام الإيقان والإحسان بحيث لا نرى ولا نشهد إلا الكريم الديان بمنه وكرمه آمين

وله رضي الله عنه وأرضاه

إنه من عبد ربه سبحانه محمد بن على السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي إلى أخيه في الله وصفيه وحبه ونهاية وده .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه

وبعد

أخي : فالمطلوب منا جميعاً إقامة ما خلقنا لأجله من العكوف على التزام محققات العبودية ، واجتناب دواهي منازعات الربوبية ، بتعمير ظواهرنا بالآداب على متابعة أفعال وأقوال عبده الأكبر وصفيه الأنور r ، وتعمير بواطننا بمراقبته تعالى في جميع حركاتنا وسكناتنا بحيث لا نفعل ولا نقول إلا ما نعلم أنه يرضيه عنا ، وندع كل ما سواه ، ونخلص ديننا من شوائب الأكدار وملاحظات الأغيار ، بحيث يكون نصب العين في كل مشهد بكل ما يرى ويشهد ، ونشهده في ذلك الشهود إلى أن يغيب الشاهد في المشهود ، أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون ، فإذا شهدته كانت الأكوان معك وسبيل ذلك التزام الطاعة ، والمساعة إلى نوافل الخيرات على سنن النبي والنهج المصطفوي من باب " لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وفؤاده الذي يعقل به ، ولئن سألني لأجيبنه " ولا سبيل إلى ذلك السبيل إلا بالدخول من باب العلم الشرعي

من حديث وتفسير وفقه على الوجه الأكمل الذي كان عليه السلف وورثه عنهم الخلف ، وهي طريقة الكامل من البرهان والعيان ، وهي أفضل الطريقين وأكمل الفريقين أو بالدخول من باب المجاهدة ، وارتكاب مشاق المكابدة بمخالفة النفوس ، وأذاقه البؤس ، وملازمة الأذكار آثار الليل وأطراف النهار ، حتى تتقدح الأنوار في قلب الذاكر فيستتير منه الباطن والظاهر من باب : " أن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسخ . قيل : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ : قال التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الفوت " ، ويستفيد العلوم منه به إليه ويستغني عن المعلم في كل ما يؤول أمره إليه من باب : " واتقوا الله ، ويعلمكم الله " ، وما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا وعلمه ، وليس العلم بكثرة الروايات ، إنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء ، وهي طريقة الإشراق فاختر لنفسك أي السبيلين تريد للوصول إلى الله به فإنه سبيل حق ، وإياك والخروج عنهما وسلوك غيرهما بالإهمال مع الغافلين المكبين على الأكوان الذاهلين ، فقد ورد : " من سجد وقلبه ينازع في أمر فإنما سجوده لما كان في قلبه "

وورد : " من أحب شيئاً كان له عبداً ، تعس عبد الدينا ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش "

وفي الحكم : " ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً " وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً

وإياك أن تطلب على عملك جزاء عاجلاً أو آجلاً ، أو تشهد أن لك في ذلك العمل أثراً . فتشرك بخالق القوى والقدر ، فإن الإخلاص له مراتب : فرتبة إخلاص العوام عدم طلب الثناء والسمعة ن ورتبة إخلاص الخواص عدم طلب الجزاء الآجل أو المقامات المرتفعة ، ورتبة إخلاص خواص الخواص التبري من الحول والقوة ، وهي رتبة الكمل من أهل الفتوة ، وأعلاه رتبة كمال الموحدين غيبتهم عنهم فيمن له ، شاهدين باضمحلالهم في مشهودهم وافتقادهم مع وجودهم ، يعطون كل ذي حق حقه على الوجه المحمدي بطريق الإرث الحالي المشهد ، من الله علينا وعليكم بالإرث النبوي والعرفان الأحمدي المصطفوي ، إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير . والسلام .

الحصون المنيعه لقطب دائره التقديس سيدى احمدبن ادريس

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على الكنه الذاتى والقدس الصفاتى ونور الاسماء ورداء الكبرياء وإِزار العظمه الالهيه وعين الاحاطه الذاتيه تجليات الغيب والشهاده.

انسان عين الحقيقه الحقيه والخلقيه محمد محمود اهل الارض والسماء وروح حياه الماء الروح الالهى والنور البهائى رحمه الوجود وعالم الشهود صلاه ذاتيه ازليه ابديه اللهم سلم عليه مثل ذالك امين*

استغفر الله العظيم*3 * الذى لااله الاهوالحى القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والاكرام واتوب اليه من جميع المعاصى كلها والذنوب والاثام ومن كل ذنب اذنبت عمدا وخطأً ظاهرا وباطنا قولا وفعلا فى جميع حركاتى وسكاناتى وخطراتى وانفاسى كلها دائما ابدا سرمدا من الذنب الذى اعلم ومن الذنب الذى لا اعلم عدد ما احاط به العلم واحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما اوجدته القدره وخصصته الاراده ومداد كلمات الله وكما ينبغى لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يحب ربنا تبارك وتعالى ويرضى

اللهم انى اسئلك بنور وجه الله العظيم * الذى ملأ اركان عرش الله العظيم * وقامت به عوالم الله العظيم*

ان تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم وعلى ال نبى الله العظيم* بقدر عظمه ذات الله العظيم *فى كل لمحه ونفس عدد مافى علم الله العظيم* تعظيما لحقك يا مولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم وسلم عليه مثل ذالك * واجمع اللهم بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظه ومناما * واجعله يارب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الاخره يا عظيم***

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على مولانا محمد وعلى اله فى كل لمحه ونفس عددماوسعه علم الله بسم الله لايسوق الخير الا الله بسم الله ماشاء الله لايصرف السوء الا الله بسم الله ماشاء الله ماكان من نعمه فمن الله بسم الله وبالله ومن الله وعلى الله وفى الله ولا حول ولا قوه الا بالله بسم الله افتتحت وبالله اختتمت وعلى الله توكلت لا قوه الابالله لاقوه الا بالله لاقوه الا بالله

دخلت فى طى امواج اسرار الحجب النورانيه التى لايطيق الناظر الى كشف حقائقها وأئتزرت بسرادق الهيبه المنزله من اسرارانور الجلال وترديت بالامدات

الواصله الى من اسرار انوار اسماء الله الحسنى واكتنفت بكنف الله المطلق

الذىمنع عنى اذى كل مخاوق من اهل السموات واهل الاراضين, حرز الله مانع

وسر اسمائه دافع ونورجلاله لامع وبهاء جماله ساطع فمن ارادنى بسوؤ اوكادنى

بكيد كان بأذن الله ممنوعا مدفوعا وكنت بامن الله محفوظا معصوما مؤيدا

منصورا وامتنع كل شيطان وقهر كل جبار وذل كل متكبر وخضع كل ملك و سلطان

لهيبه عظمه جلال الله. أمتنع ألسوء عنى وأندفع . وظهر نور ألنصر ولمع وبدا

سرأسماء الله وسطع وذل كل من ألأنس والجن وخضع * انٍ عبادى ليس لك

عليهم سٌلطان وكفى بربك وكيلا ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن أَعلم ان الله

على كل شيء قدير وأَن الله قد أَحاط بكل شيء علما وأَحصى كل شيء عددا حم

حم حم حم حم حم حم حٌم الامر وجاء النصر وخُمدت نار العداوه والحرب قل هو

ربى لا الٍه الاهو عليه توكلت والٍيه متاب فان تولو فقل حسبى الله لا اله الا هو

عليه توكلت وهو رب العرش العظيم *7) بسم الله اشرق نور الله وظهر كلام الله

وثبت امر الله ونفذ حكم الله واستعنت بالله وتوكلت على الله تحصنت بخفى

لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر الله وعظيم ذكر الله وبقوه سلطان الله

دخلت فى كنف الله واستجرت برسول الله برئت من حولى وقوتى استعنت بحول

الله وقوته اللهم استُرنى فى نفسى ودينى وأَهلى بسترك الذى سترت بهِ ذاتك فلا عين تراك ولايد تصل اليك يارب العالمين احجبنى عن القوم الظالمين يا قوى يا متين وصل اللهم على سيدنى ومولانا محمد وعلى اله فى كل لمحه ونفس عدد ماوسعه علم الله بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم* انا فتحنا لك فتحامبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتاخر ويتم نعمه عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصر عزيزا نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * 9) قل كونوا حجاره اوحديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم ولاحول ولا قوه الا بالله العلى العظيم * اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

استغفر الله العظيم*3 * الذى لااله الاهوالحى القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والاكرام واتوب اليه من جميع المعاصى كلها والذنوب والاثام ومن كل ذنب اذنبت عمدا وخطأً ظاهرا وباطنا قولا وفعلا فى جميع حركاتى وسكاناتى وخطراتى وانفاسى كلها دائما ابدا سرمدا من الذنب الذى اعلم ومن الذنب الذى لا اعلم عدد ما احاط به العلم واحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما اوجدته

القدره وخصصته الاراده ومداد كلمات الله وكما ينبغى لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يحب ربنا تباركوتعالى ويرضى

اللهم انى اسئلك بنور وجه الله العظيم * الذى ملأ اركان عرش الله العظيم * وقامت به عوالم الله العظيم*

ان تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم وعلى ال نبى الله العظيم* بقدر عظمه ذات الله العظيم *فى كل لمحه ونفس عدد مافى علم الله العظيم* تعظيما لحقك يا مولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم وسلم عليه مثل ذالك * واجمع اللهم بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظه ومناما * واجعله يارب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الاخره يا عظيم***

اللهم صلى على سيدنا محمد عدد ماعند الله من العدد صلاه دائمه فى كل لمحه ونفس من الازل الى الابد امين والحمد لله رب العالمين

الحصون المنيعه لقطب دائره التقديس سيدى احمد بن ادريس رضى الله عنه

اللهم انفعنا بها وعلمنا سرها

اخوكم فى الله

محمد عبد الله

الرسالة المسماة بالقواعد

لسيد العارفين وقطب المحققين سيد أحمد بن ادريس رضى الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

اما بعد فالامر الجامع والقول السامع والسيف القاطع فى طريق الله تعالى ان العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ويحب ان يدخله الله فى سلك المقربين فى جميع المسالك اذا اراد ان يدخل فى امر من اموره قولا او فعلا فليعلم ان الله تعالى لابد ان يوقفه بين يديه ويساله عن ذلك الامر فليعد الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل فى الامر فعاقبته محمودة دنيا واخرى واما ان راى ان ذلك الجواب لا يقبله الحق تعالى منه ولا يرتضيه فليشرد

من ذلك الامر اى امر كان فانه وبال عليه ان دخل فيه وهذه القاعدة هى اساس الاعمال كلها والاقوال فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت احواله كلها مبينة على السداد ظاهلرا وباطنا لا يدخلها خلل بوجه من الوجوه وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم " حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزن عليكم "

القاعدة الثانية : ان لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى فان صحح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله ورسخ فى هذه القاعدة قلبه صار لا يتكلم ولا يفعل فعلا الا عن تثبت وتان وصارت اعماله كلها خالصة لا مخالطة فيها بوجه من الوجوه وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الاعظم وحبيبه الاكرم صلى الله عليه وسلم : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه" اى لا غيره فى جميع اموره ، وقال عز وجل "وما لا حد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى "

القاعدة الثالثة : ان يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الاسلام ممن التعظيم والتوقير ، فان رسخ فى هذه القاعدة واستقام فيها قلبه افاض الله سبحانه وتعالى على سائر جسده انوار الرحمة الالهية واذاقه حلاوتها فنال من الارث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل ك" وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن لم يحفظ الله له شيئا حرمة الاسلام وحرمتى وحرمة رحمى " وفى هذا المعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق رضى الله عنه " لا تحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير "

القاعدة الرابعة : مكارم الاخلاق التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمامها ، وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم : " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " وهذه القاعدة هى زبدة الدين ، وحقيقتها ان يكون العبد هينا لينا مع اهل بيته وعبده ومع جميع المسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اهل الجنة كل هين لين سهل قريب واهل النار كل شديد قبعثرى ، قالوا وما قبعثرى يارسول الله ؟ قال :" الشديد على الاهل الشديد على الصاحب الشديد على العشيرة " وقال

مولانا العظيم " وقولوا للناس حسبنا " اى لا قبحا ، وقال عز وجل " وقل لعبادى يقولوا التى عى احسن " ولاحسن هو الذى جمع الحسنى وزيادة ، وبالجملة فالذى تحب ان يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله تعالى ، وما تكره ان يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاتركه فان الله يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل الخلق به فان المجاراة على الوصف بالوصف سيجزيهم وصفهم ، جزاء وفاقا ، فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك ، فمن اكرم عبداً لمراعاة سيده فانما اكرم السيد ، وكذلك جاء فى الحديث: " عن الله عز وجل انه يقول للعبد يوم القيامة : جعت فلم تطعمنى واستسقيتك فلم تسقنى ومرضت فلم تعدنى فيقول العبد كيف تجوع وانت رب العالمين وكيف تمرض وانت رب العالمين وكيف تستقى وانت رب العالمين فيقول له سبحانه وتعالى مفسرا لذلك : اما انه مرض عبدى فلان فلو عدته لو وجدتنى عنده ، وجاع عبدى فلان فلو اطمعته لو وجدت ذلك عندى واستسقاك عبدى فلان اما انك لو سقيتهم لو وجدت ذلك عندى ،، مفسرا سبحانه نفسه غى قوله جعت ومرضت واستسقيتك بقوله جاع عبدى فلان ومرض عبدى فلان واستسقاك عبدى فلان ،

فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلا شك فمن رسخ قدمه فى هذا المقام صارت معاملته مع الحق جل جلاله فى كل شئ فلا يراقب غير الله تعالى ومجمع مكارم الاخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبى صلى الله عليه وسلم : " اكرموا الله ان يرى منكم ما نهاكم عنه ، وهوان لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك " والامر الذى يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو ان يعلم علم حضور ان الله تعالى على كل شئ رقيب وعلى كل شئ شهيد وهو قوله تعالى : " واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه " ، فاذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها والفها لزمه الحياء من الله تعالى ان يقول قولا او يفعل فعلا لا يرضاه الله ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب (وهو معكم اينما كنتم) فان الله تعالى معه وناظر اليه فان العبد اذا اراد ان يرنى مثلا او يسرق والناس ناظرون اليه لا يقدر ان يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس اليه فانه يستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه فاذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرا ولا نفعا والحامل له على ذلك كله مخافة ان يسقط من اعين الناس ويحط قدره عندهم ، ولا شك انه اذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا ، وهذا معنى قول النبى صلى الله

عليه وسلم فى الاحسان " ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك " فمن كان بهذه الحالة لزمه ان يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه ان الله ناظر اليه ، وبالله التوفيق ، وصلى الله على مولانا محمد وآله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

انتهت رسالة القواعد.

براءة سيدنا يوسف عليه السلام

والرسل عليهم السلام محا الله تعالى غرائز الشر عنهم فهم أخل الخير المحض

وقد مكث سيدنا يوسف عليه السلام مع زليخا زمنا طويلا ولم ينظر إليها ولم تحدثه عن نفسه بذلك ، ولو رآها خارج الدار ما عرفها ، ولو كلف بوصفها لما استطاع أن يصفها. فإن قيل فما معنى : (ولقد همت به وهم بها) ؟ قال السيد محيى الدين بن عربي الحاتمي : تقابلت مع روح سيدنا يوسف عليه السلام فقلت له : ما هذا الاشتراك الذي ذكر في قوله (ولقد همت به وهم بها) ؟ قال لي :

اشتراك في اللفظ لا في المعنى ، لأنها همت بإرادة الفاحشة وهممت بالخلاص منها

الدليل على براءة سيدنا يوسف عليه السلام

قال (باقر بطون المعارف) رضي الله تعالى عنه : والدليل عندي قوله تعالى (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فلولا أن الله أوحى إليه وجعله من النبيين والمرسلين المعصومين واصطفاه ونبأه مناماً وهو عند والده وأوحى إليه عند الجب لكان يهم بها كما يهم الرجال بالنساء لكنه رأى برهان ربه في المنام السابق والوحي المطران للنفس مرحومة بهما فلم يهم بها كما يهم الرجال أرباب النفوس الغير المرحومة بالعصمة بسبب النبوة والرسالة والتوفيق (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) بالنوبة والرسالة

كنت أحضر بالأزهر الشريف بعد المغرب عند شيخي الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وذلك في عام 1253هـ

قال في هذه المسألة : (الصحيح أن البرهان هو العصمة التي يمن بها على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام) أ هـ وفي قوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) دليلان جليلان

الأول : صرف الله السوء والفحشاء عنه ومن تولى الله صرف السوء والفحشاء عنه لا يخطر له ببال على كل حال لأنه ليس موكولا إلى نفسه بل تولى الصرف عنه من لا يعجزه شئ ومن بيده تقلبات القلوب وحركات الأنفاس لذلك كان الصرف عن سيدنا يوسف عليه السلام صرفا حكيما متقنا ، لأنه سبحانه خلصه من شئ شاق على النفس ، وقد بين ذلك سبحانه بقوله (وغلقت الأبواب) وقوله تعالى (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)(قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه) لأن السجن للمظلوم مكرمة ، لأنه إن كان نبيا كان رفعا لدرجاته ، وإن كان غيره من المسلمين كان تكفيرا لسيئاته ، كذلك يصرف الله السوء والفحشاء في كل زمان عن أوليائه وأصفيائه وأحبابه وعباده ، ويخلق لهم أسبابا لا يعلمونها لأمور لا يدركونها

فإذا أخلصت لله وشرعت في عبادته فلا تفكر في معصيته فإنه لاحظ لك فيها لأنه سبحانه يغار على عباده وأهل حضرة ذكره وتحق فيهم هذه الأوصاف التي يحبها ويرضاها لهم

والدليل الثاني : قوله تعالى (إنه من عبادنا المخلصين) أي الذين كتب الله تعالى عنده عصمتهم ومنع الشيطان عنهم كما في قوله تعالى (إلا عبادك منهم المخلصين) وكأن هذه المعاملة الطيبة تدخل تحت قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) فعباد الله الذين اختاروا عبادته وغرست في قلوبهم شجرة محبته فاهتزت أغصانها بنسمات أنه أقسم لهم الحق سبحانه بأن يحييهم في الدنيا حياة طيبة ، فهم لا شك ولا ريب في طيب حياتهم وصدق وعد ربهم وقال تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الحسنى الإيمان والإسلام والتوفيق للقيام بالواجبات وترك المنهيات ، مبعدون في الدنيا عما يغضب الله تعالى من ترك واجب أو ارتكاب محرم قولا أو فعلا ظاهرا أو باطنا ، وفي الآخر مبعدون عن النار وعذابها

إذا علمت ذلك فاعلم أن الأنبياء عليهم السلام هم سادات من سبقت لهم الحسنى ، وسادات من وعدهم الله تعالى بالحياة الطيبة ويقول الله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعني قبل أن يرسل رسولاً يعلم سبحانه به ويهيئه لتلك الرسالة بالعصمة والاستعداد الروحي والخلقي ، وعلى ذلك فالذي أعتقده أن نبينا محمدا r معصوم قبل النبوة وبعدها من كل صغيرة وكبيرة وعادة مذمومة . قد تولاه الله ولاية تسمو على كل ولاية قال تعالى (إن وليي الله الذي نزل الكتاب) أي تولى الله تعالى أمري كله في جميع أحوالي وتطوراتي ، وفي هذا المعنى يقال : تولى الله سبحانه نبيه وأدبه فأحسن تأديبه ورباه فأحسن تربيته ، وقيل لسيدنا على كرم الله وجهه : ما الحكمة في يتم النبي r قال : ليولى الله تعالى تربيته وحده سبحانه وتعالى

ولما برز r إلى الدنيا أضاءت الأنوار كالشمس إذ أشرقت للإشارة إلى أنه شمس الشموس وقمر الأقمار ونور الأنوار وسر الأسرار وزين المرسلين الأخيار (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

فالنبي r أول الشموس وأول الأقمار وأول الضيات وأول البركات وأول الرحمات . قال الرافعي مخمسا همزية البوصيري رحمه الله تعالى :

أنت شكل من محض نور تشخص   وبلآلائه الوجود تقمص

وبمشكاته لدى من تفخص   أن مصباح كل فضل فما

تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

وقال النبهاني رحمه الله تعالى :

نورك الكل والورى أجزاء   يا نبيا من جنده الأنبياء

وقال الشفا سيدي أبو العباس العرائشي الإمام السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : (اللهم صل على سيدنا محمد نورك اللامع ومظهر سرك الهامع) وقال رضي الله عنه : (الذي فتحت ظهور العالم من نور حقيقته . وختمت كماله بأسرار نبوته) أشار بذلك إلى ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى في سننه عن رسول الله r (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)

وإلى قوله تعالى (وخاتم النبيين)

وقال البوصيري رحمه الله تعالى :

كاد أن يغشى العيون سنامنه لسر فيه حكته ذكاء

وذكاء من اسماء الشمس

كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

يعني أن الأبصار لا تستطيع أن تشخص في وجهه الشريف r لكثرة الأنوار وشدة الجلال . تهابه الأسد الضواري . وتتعلق بأذياله الوحوش في القفار

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد بن إدريس

الفصل الثالث والعشرون :

شرح مولانا الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه على كلمة من الفتوحات المكية لسيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه

ومما كتبه الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه في كتابه الفتوحات المكية في تفسير قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

وأما لسان العموم في هذه الآية وهو نصر المؤمنين فنقول . إن الموحد إذا أخلص في إيمانه وثبت ، نصر على قرينه بلا شك فإذا طرأ عليه خلل ولم يكن مصمت الإيمان وتزلزل خذله الحق ، وما وجد في نفسه قوة يقف بها لعدوه من أجل ذلك الخلل فانهزم . فلما رآه عدوه منهزما تبعه وظهرت الغلبة للعدو على المؤمن . فما نصر الله العدو ، وإنما خذل المؤمن لذلك الخلل الذي داخله ، فلما خذله لم يجد مؤيداً فانهزم فبالضرورة يتبعه عدوه ، وما هو نصر للعدو وإنما هو خذلان للمؤمن لما ذكرنا أ هـ ج 2 ص 148

قال (باب المصطفى الساقي من بحر الصفا والوفا سيدي الشيخ) صالح الجعفري بعون الله العلي : يقول الله سبحانه (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ومن شروط الإيمان الخوف من الله تعالى وعدم الخوف من العدو قال تعالى (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) والنصر بالنصر (إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم) فأوجب الله النصر على نفسه للمؤمنين بشرائط لابد منها ، فإن أضاعوها تخلف النصر وخذلوا

ومعارك الحياة مختلفة ، فمعركة تحتاج إلى قتال كمحاربة العدو من الكفار ، ومعركة تحتاج على صبر وهي معركة البلاء والشهوات وأذى الخلق ، وكلها فيها نصر عند توفر الشروط فمثلاً إذا حدثت الإنسان نفسه بمعصية من المعاصي فتلك معركة والنصر فيها يكون بالإيمان بأن الله يسمع ويرى فإذا تحقق في ذلك أمده الله بالنصر وهو مخالفته لأمر نفسه وامتثاله لأمر ربه ، ثم يثبته الله على ذلك (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ولابد للنصر من فتح ، وأجله وجهة تعرف الحق سبحانه إليك ، فإذا فتح لك وجهة التعرف جذبك إليه بجواذب الحب ، فإذا وصلت إليه غمسك في بحر الشوق ، ثم أجلسك على كرسي القرب

وقال تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فبالنصر خلصك من الأكدار وبالفتح أجلسك مع الأبرار ، ثم سقاك من رحيق مختوم فترجمت بأنواعه الفهوم والعلوم

والمحبة لا تزداد ولا تنقص حتى لو قطع في معارك الحياة أو جرح . والصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يزدادون بما يحصل لهم من الجراحات إلا إيماناً وتسليما

(إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) فأثبت لهم الرجاء العظيم مع الألم

فتوحات ج2 ص 359 : (قالت المحبة) : لو قطعتني إرباً إرباً لم أزدد فيك إلا حبا يعني أنه لا ينقص حبنا لذلك ، وهو قول المرأة المحبة ، يقال إن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالاً ومقاما وقد فصلت وقسمت رضي الله تعالى عنها وهو أعجب الطرق في الترجمة عن الحب :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن الحمد في ذا وذاكا

وقالت الأخرى جارية عتاب الكاتب :

يا حبيب القلوب من لي سواك ارحم اليوم زائرا قد أتاكا

أنت سؤلي وبغيتي وسروري قد أبى القلب أن يحب سواكا

يا منايا وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاكا

ليس سؤالي من الجنان نعيما غير أني أريدها لأراكا

ولنا في هذا النعت :

نعيمك أو عذابك لي سواء فحبك لا يحول ولا يزيد

فحبي في الذي تختار مني وحبك مثل خلقك لي جديد

ج 3 ص 358 : حكى أن خطافاً راود خطافه يبحها في قبة لسليمان عليه السلام ، وكان سليمان عليه السلام في القبة ن فسمعه وهو يقول لها لقد بلغ مني حبك أن لو قلت لي اهدم هذه القبة على سليمان لفعلت . فاستدعاه سليمان عليه السلام وقال له : ما هذا الذي سمعت منك ؟ فقال : يا سليمان لا تعجل على إن للمحب لسانا لا يتكلم به إلا المجنون ، وأنا أحب هذه الأنثى فقلت ما سمعت ، والعشاق ما عليهم من سبيل فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل .

فضحك سليمان ورحمه ولم يعاقبه أ هـ من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله تعالى عنه

ومما حفظته عن مشايخي للسيدة رابعة العدوية

كلهم يعبدونك من خوف نار ويرون النجاة حظا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا بنعيم ويشربوا سلسبيلا

ليس لي في الجنان حظ أنا لا أبتغي بحبي بديلا

قد تخللت موضع القلب مني ولذا سمى الخليل خليلا

وكلام الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يترجم عن أحوال المحبين ، وصفة الحب كالذوق في اللسان فيذوق به حلاوة العسل الحلال المملوك لأكله وحلاوة العسل المغصوب ، فمن وجه حبه إلى محرم فهو محب ومن وجه حبه إلى حلال فهو محب ، وأعلى درجات الحب ما كان لله ورسوله r وهو بغية السادة الصوفية

يقول سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه :

أحبه قلبي والمحبة شافعي لديكم إذا شئتم بها اتصل الحبل

ويقول :

وإن ذكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم

ويقول :

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ أحلت به الأفراح وارتحل الهم

لأن عندهم لا هم ولا غم ولا حزن في حضرة الحب والمشاهدة (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

ففرحهم بالله أنساهم ما سواه ، وتلذذهم بذكره زهدهم في كل لذة فانية أو زينة خالية أو ظل زائل . قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

أشاهد معنى حسنكم فيلذ لي خضوعي لديكم في الهوى وتذللي

فهم يتلذذون بالخضوع والتواضع والانكسار والزهد والعزلة والشوق والتذكار والوجد والبكاء والسماع للقرآن والمدائح النبوية ، وزيارة المشاهد الطيبة كالكعبة ومقام إبراهيم وعرفات والمشعر الحرام ومني ، وزيارة المصطفى r ، والصلاة في الروضة الشريفة ، وكل ام يقدح زناد الشوق ويبعث تذكاراً شيقاً للروح لأنها محبة لله تعالى بفطرتها ، غير أن هذا الحب يحتاج إلى قدم كالزناد لكنه يحتاج إلى استعداد عظيم وجهاد كبير ، ويقال لغير المحب الصاد ما قاله ابن الفارض رحمه الله تعالى :

أتيت بيوتا لم تنل من ظهورها وأبوابها عن قرع مثلك سدت

ويقول :

تعرض قوم للغرام وأعرضوا

وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

ويقول سيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى :

خل الغرام لصب دمعه ودمه حيران توجده الذكرى وتعدمه

ما الحب إلا لقوم يعرفون به قد مارسوا الحب حتى هان معظمه

ويقول رحمه الله تعالى :

أنسمة طيب أم صبا طيبه هبا فأنعش قلبي للحبيب وقد لبا

وهيهات ما كل النسيم حجازيا ولا كل نور يملأ الشرق والغربا

ويقول البوصيري

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وهكذا أهل الحب لهم في حبهم جواهر المعاني ودرر البيان ، وعبارات تعبر عن حبهم وشوقهم وحالهم ما بين ناظم وناثر

اللهم ارض عن القطب النفيس مولانا السيد أحمد ابن إدريس

الفصل الرابع والعشرون

حياة الأنبياء في قبورهم

س. هل النبي r حي في قبره الشريف ؟

ج . نعم حي بحياة تفضل الحياة الأولى

س . ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج . الدليل من الكتاب قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) قال العلماء : حياته r بالأولوية ومن السنة قوله r :(الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)

س. هل أجساد الأنبياء تفنى بعد الموت أم تبقى ؟

ج. تبقى سليمة إلى يوم القيامة

س. ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج. الدليل من الكتاب قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) نقل البيضاوي أن سيدنا سليمان عليه السالم مكث سنة كاملة بعد الموت متكئاً على العصا ، فلو كان جسمه كجسم غيره بعد الموت لما مكث سنة كاملة كما هو ، ولم تعرف الجن أنه ميت

والدليل من السنة قوله r (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)

س. هل النبي r بجسمه وروحه في روضته ؟

ج. نعم هو بجسمه وروحه r

س. ما الدليل على ذلك من الكتاب والسنة ؟

ج. الدليل على قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وعبر بالمضارع لإفادة تجدد الحدث ، وكلمة النبي في مثل هذا تدل على الروح والجسد معاً ، فالله سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على النبي حتى الآن وفيما بعد ، وقوله (صلوا عليه) أي على هذا النبي بجسمه وروحه

وقوله تعالى (وسراجا منيرا) أي بجسمه وروحه ، وهذا الوصف باق كما هو لم يتغير إلى ما شاء الله ، وتعجبني هذه المناظرة التي وقعت بين عالم مغربي وعالم آخر

قال العالم الآخر : إن النبي r قد مات ، وكان ذلك ضمن حديث دار بينهما

قال العالم المغربي نعم قد مات ولكن قال الله (وسراجا منيرا) فإن قلت طفئ بعد الموت كفرت ، وإن قلت لم يطفأ اتفقنا على أنه سراج منير في الحياة وبعد الممات

س. هل جمع الله النبيين والمرسلين ليلة الإسراء ببيت المقدس . وهل كان ذلك في اليقظة أم في المنام وهل حضروا بأرواحهم أن بأرواحهم وأجسادهم

ج. أجمع العلماء على أن الإسراء كان يقظة وسمعت من شيخنا الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى يقول في هذه المسألة . جمع الله تعالى النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ليلة الإسراء ببيت المقدس وهل كان ذلك بعالم الأرواح أم عالم الخيال أم عالم المثال أم علام الأشباح ؟

والصحيح أنهم حضروا بأجسادهم وأرواحهم أ هـ

قلت : أعظم دليل على أنهم حضروا بأرواحهم وأجسادهم تشبيه النبي r وسيدنا موسى بن عمران عليه السلام برجال شنوءة ، والروح لا تشبه بالجسد وكونه راكباً على ناقة حمراء والروح لا تركب النوق وقوله r :(فإذا أشبه الناس به صاحبكم) فشبه سيدنا إبراهيم r فلو كان روحاً ما شبهه بجسمه الشريف

وقوله r (رأيت موسى قائما عند قبره يصلي) والروح وحدها لا ترى على الأرض تصلي ، وهذا في البخاري ومسلم وغيرهما

س. هل ما ثبت للأنبياء والمرسلين بعد موتهم من حياة وانتقال من مكان إلى مكان وكلام وصلاة ودعاء وركوب للإبل يثبت ويجوز لنبينا r ؟

ج. نعم ويكون ذلك بالأولوية لقيام الإجماع على أنه r أفضل الأنبياء والمرسلين وأفضل خلق الله أجمعين

س. هل ورد في السنة الصحيحة أنه r يرد السلام على من يسلم عند قبره الشريف ؟ وهل يكون الرد بالروح أم بالجسم والروح ؟

ج. نعم ، ورد في السنة الصحيحة أنه r يرد السلام على من يسلم عليه عند القبر الشريف بجسمه وروحه ، قال r :(ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي فأرد عليه السلام)

س. هل حياة النبي r كحياة الشهداء أم تزيد عليها ؟

ج. حياته r بعد الموت تزيد على حياة الشهداء رفعة وعلواً وكرامة وإدراكاً وغيرة على نسائه رضي الله تعالى عنهن

س. ما الدليل على ذلك ؟

ج. الدليل قوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا) تحريم تزويج نسائه r بعد موته ، وإباحة تزويج نساء الشهداء دليل ظاهر على أن حياته أرقى من حياة الشهداء . وقد منع الشرع زواج المرأة إذا غاب عنها زوجها حياً حتى يتبين الأمر وأباح تزويج جميع من مات أزواجهن إذا انقضت عدتهن

إذا علمت كلامي هذا فاعلم أنه r أحياه الله تعالى بعد الموت كما كان r ، ولغيرته على نسائه حرم الله تزويجهن على الغير

س. إذا ثبتت حياته بعد الموت فهل تجوز رؤيته يقظة . وهل هناك دليل صحيح على ذلك

ج. يجوز رؤيته r عقلا لأن العقل يجوز رؤية كل موجود . وإذا ثبت شرعاً بقاء جسمه الشريف بما تقدم من الآية والأحاديث ، وأن روحه ترد إليه فيعود كما كان ليرد السلام جاز عقلاً أن يرى على هذه الحالة ، والدليل الشرعي ما رواه البخاري وغيره من قوله r : (من رآني في النوم فسيراني في اليقظة)

أكثر العلماء على أنه يراه في الدنيا يقظة حملا للحديث على ظاهره

وقيل : يوم القيامة ، ورد هذا القول بأن جميع المسلمين يرونه r يوم القيامة سواء رأوه في النوم أم لم يروه ، وقد تركت الكلام في هذا البحث لما كتبه الحافظ السيوطي في كتابه المسمى (تنوير الحلك في رؤية النبي والملك) فإنه رضي الله عنه قد أجاد وأفاد . وقد ذكرت هذا البحث لأن طريق مشايخنا السيد أحمد بن

إدريس والسيد السنوسي والسيد المرغني والسيد إبراهيم الرشيد والسيد الأهدلي رضي الله تعالى عنهم مبنى على هذا البحث

س. إذا ثبت أنه r حي عند ربه تعالى فما حكم ندائه في أي بلد كان ، كأن يقول السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، وإذا كان يجوز ذلك فما دليله ؟.

ج. يجوز أن يقوم الإنسان السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته في أي بلد كان ، والدليل ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أنه r علم أصحابه أن يقولوا ذلك التشهد في الصلوات الفرائض وغيرها . وإذا جاز ذلك في الصلاة كان في غيرها من باب أولى

س. وهل يبلغه r وما الدليل عليه ؟

ج. نعم يبلغه ذلك لما رواه البخاري من قوله r حينما علم اصحابه أن يقولوا في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال r :(فإنها تبلغ كل عبد صالح لله من أهل السماء والأرض) وهو r من خيرة عباد الله الصالحين

وهناك أحاديث تدل صراحة على أن الله وكل ملائكته يبلغونه r عن أمته الصلاة والسلام

وقد سمعت في عالم البرزخ عن الشيخ سليم البشري رحمه الله تعالى هذا الحديث (إن لله ملائكة يبلغوني عن أمتي الصلاة والسلام) قلت : وهذا الحديث في الجامع الصغير

س. هل دفنه في قبته الشريفة أمر مجمع عليه ؟

ج. نعم أجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على دفنه r ببيت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، وهي حجرة ذات سقف بل كان r يعلم ذلك . للحديث الذي رواه الصديق رضي الله تعالى عنه : (ما قبض نبي إلا حيث يدفن) وقد أجمع الصحابة على قبول هذا الحديث

س. هل الدفن في حجرة مسقوفة من خصوصياته r أم يجوز لغيره ؟ وما الدليل ؟

ج. ليس من الخصوصيات التي ذكرها العلماء وقد دفن الصحابة أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بالحجرة ، فلو كان خصوصية ما دفنوهما معه r ، وقد أمر سيدنا عمر بذلك ، وقالت : السيدة عائشة كنت محتفظة به لنفسي واليوم لأوثرنه على نفسي ، فلو كانت خصوصية ما قالت ذلك

أوصي سيدنا أبو محمد الحسن بن على رضي الله تعالى عنهما أن يدفن بجوار جده قال : فإن منعوكم فادفنوني بالبقيع ، فمنعهم أمير المدينة لشئ في نفسه فدفن بالبقيع ، فلو لم يكن جائزاً لما أوصى به رضي الله تعالى عنه

س. ما حكم زيارته r بعد الموت ؟

ج. قيل واجبة وقيل سنة وقيل مستحبة

انظر كتاب الدر المنظم لابن حجر في هذا الموضوع

س. كيف يرد النبي r السلام ؟

ج . يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

س. ما معنى هذا الكلام ؟

ج. معناه الأمان من الله عليكم ، والرحمة من الله تعالى عليكم والبركة من الله تعالى عليكم

س. هذا دعاء من النبي r لمن زاره وسلم عليه ، وقد ورد في الحديث أن دعوة النبي r مستجابة ، فهل بعد موته r مستجابة كذلك ؟

ج. نعم مستجابة لأننا قد أثبتنا لك أن رد السلام يكون بالروح والجسد ، وكان يدعو في الدنيا بالروح والجسد ، وإذا كان كذلك فلا فرق في الإجابة بين دعائه r في الحياة وبعد الممات

س. هل إذا زرت النبي r وسلمت عليه ورد على السلام يكون ذلك دعاء مستجاباً انتفع به ، فيكون r قد نفعني بدعائه بعد موته r ؟

ج . نعم الذي نفعك هو الله تعالى ببركة دعائه r ولا مانع أن تعتقد ذاك لأنه أمر ثابت لا ينكر

س. وهل يجوز لنا أن نشد الرحل لزيارته r لننتفع بدعائه . كما يجوز لنا أن نشد الرحل للنفع بالتجارة والزراعة وغير ذلك حيث إن النفع الذي يجوز شرعاً يجوز شد الرحل إليه ؟

ج. نعم يجوز لنا شد الرحل لزيارة المسجد النبوي ، لأن الصلاة فيه بألف صلاة وهذه منفعة عظيمة ، ثم نزور النبي r لننتفع بدعائه وحباً وشوقاً ووداً له r ، ثم نزور أصحابه وأهل بيه اقتداء به r فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام كثيرا ما كان يزور عمه حمزة وأهل البقيع وأهل بدر رضي الله تعالى عنهم

وقد ذكر علماء المذاهب في كتبهم أنه بعد انقضاء الحج يستحب التوجه إلى زيارة النبي r ، ولم يقولوا لزيارة المسجد لأنهما متلازمان

س. هل النبي r يخالف الخلق في الموت الأصغر وهو النوم ؟

ج. النبي r والأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم وقلوبهم لا تنام كما ورد ذلك في البخاري ، قال عليه الصلاة والسلام (نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لا تنام)

س. وهل مخالفة نومهم للخلق تدل على مخالفة حالهم بعد الموت للخلق أيضاً ؟

ج. نعم يدل ذلك على مخالفة حالهم للخلق بعد الموت

س. قد أثبت الله تعالى للشهداء صفات خمس : الحياة ، وعند ربهم ، ويرزقون ، وفرحين ، ويستبشرون . فهل النبي r له تلك الصفات بعد الموت ؟

ج. نعم له ذلك وزيادة بالأولوية كما تقدم ، لأن الشهداء نالوا ذلك الإكرام بفضل الشهادة ، والنبوة والرسالة يفضلان الشهادة فضلا كبيراً بإجماع

س. النبي r تكلم مع أهل البقيع وخاطبهم مخاطبة الأحياء . فهل يجوز لنا أن نخاطبه r بمثل ذلك

ج. نعم يجوز ذلك وزيادة ، لأن حياته r أرقى من حياتهم كما تقدم وقلت بفضل ربي في ذلك نظما

وأجزم بأن المصطفى خير الورى　　　حي وعند الله محفوظ يرى

بجسمه وروحه ويرزق ... في روضة شريفة ويغدق

عليه إحسان يفوا الشهدا ... لولاه ما كان الشهيد استشهدا

وكل فضل في الكتاب ثبتا ... للشهداء للرسول أثبتا

إذ أنه إمامهم والأفضل ... وخاتم الرسل كذلك الأول

تنام عيناه إذا ما ناما ... وقلبه قد حرم المناما

مخالف الخلق بنوم الدنيا ... مخالف في موته إذ يحيا

من بعده يكون في إكرام ... في روضة يرد للسلام

ويبصر الزائر عند القبر ... يكون معروفاً له ويدرى

بكل من يزوره في الحال ... من سائر النساء والرجال

علمه الإله ما لم يعلم ... إذ أنه الحبيب والمكرم

اللهم ارض عن القطب النفيس .. مولانا السيد أحمد ابن إدريس

بسم الله الرحمن الرحيم

(من احمد بن ادريس الى ولده وقرة عينه محمد عثمان, نظر اليه الواحد المنان بعين العناية والرضوان, امين, السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد: ايدك الله بروح منه ولا اخلى لك وقتا عنه, فشمر عن ساق الجد ذيل الاجتهاد, واهجر الراحة والرقاد, وقم لله عز وجل على قدم الصدق واجعل علو همتك فيه اعظم زاد.)

ومن احمد بن ادريس الى اخيه وصفيه وولده وقرة عينه محمد عثمان, نظر الله اليه بعين العناية والرضوان,امين, السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(اما بعد: فكلامى معك بلسان القلب لا بلسان العرف المعروف بين الاخوان, جعلك الله ممن كان الحق سمعه وبصره حتى سمع من ذلك اللسان وتعرف منه فصل الخطاب والبيان.

والسلام عليك وعلى جميع من لديك من الاخوان ورحمة الله تعالى وبركاته.

من حضرة الامتنان الى الحبيب الصفى ولدنا محمد عثمان لاحظه الله بعين العناية والاصطفاء والفرقان وامين.)

هاتين رسالتين من سيدى القطب النفيس السيد احمد بن ادريس الى سيدى محمد عثمان الميرغنى الختم للاطلاع والتمعن فى الاداب النبوية التى يتخاطب بها الاصفياء ورثة الصفى نعم الصفى صلى الله عليه وسلم, عسى ان ينفعنا الله بها.

يا ربى بهم وبالهم عجل بالنصر وبالفرج .... امييين

* أنه فى شوال 1231ه (سبتمبر1816م) وصل ختم اهل العرفان وترجمان اهل الاحسان الى بارا ناحية كردفان

*وفى1232ه الموافق 1817 م وصل الى سنار

* وفى العام1233ه الوافق 1818م العودة للابيض

*وفى نهاية 1234ه وبداية 1235ه- الموافق العام(1819/1818م) السفر شمالا الى المتمة

*وفى منتصف1235ه الموافق 1820م الوصول الى شندى

*وبنهاية العام1236ه الموافق 1821م الوصول الى الدامر

*وبنهاية العام1236ه وبداية 1237ه الموافق 1821م الوصول للتاكا

* منتصف العام 1237ه الموافق 1822م الرجوع الى مكة المكرمة

نحن مفتاح الهدى ان رمتنا * نحن باب لفيوض الثقلى

اللهم صلى على الذات المحمدية اللطيفة الاحمدية وعلى اله وصحبه المكرمين الاحباب,وأرضى اللهم عن سيدى وسندى ترجمان اهل الاحسان وختم اهل العرفان سيدنا السيد محمد عثمان ووالديه وذريته واتباعه واشياعه ومحبيه وخلفائه وسائر المنتسبين اليه امين.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى ولده وثمرة فؤاده عثمان بن محمد ابن أبي بكر عبد الله الميرغني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ...

أسعدك الله بعنايته ووقاك شر خليقته آمين

اعلم يا ولدي أن أهل زمانك وإن تملقوا بظواهرهم فقلوبهم محشوة بمقاصدهم الضيفة التي لا تفيد في جانب الله شيئاً . وما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يصبر نفسه إلا مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وصحبة أو باش الناس الذين لا يريدون في صحتهم الله ورسوله سموم قاتلة لحينها للدين إلا أن يعصم الله ، فتحفظ من أهل زمانك جهدك ، فإن ودهم ليس بخالص لله ، والله يعصمك من الناس .

وأما ما ذكرت من التوجه إلى السودان ففيها متاعب كثيرة ، وفيها بعد المسافات وتطويل في الزمان . فإن أمكنك التخلص من ذلك فتخلص . وأما صلحاء السودان فقد كثرت عليهم الأثقال وأرادوا أن يحملوها غيرهم ويستريحون منها ، وأهوال هناك عظيمة وفيها بعض منافع للناس . والله المستعان . وهديتكم المباركة قد وصلت ، مقطع القماش وكذلك العمامة . أوصلك الله إلى رضوانه ودار السلامة آمين

والسلام عليكم من جميع من عندنا ، والسلام منا على الشيخ صادق وعلى جميع من يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته

بارك الله فيك اخي عبدالقادر فهم حقا ورثة الانبياء نفعنا الله بهم وامدنا بمددهم

رسالة سيدنا الشريف أحمد بن إدريس

بخصوص سيدنا الشريف محمد بن علي السنوسي

رضي الله عنهما

سيدنا الشريف محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه

رسالة سيدنا الشريف أحمد بن إدريس رضي الله عنه

(مفحم الوهابية في الأزمان الغابرة)

هذا هو نص الرسالة :

" بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى جملة إخواننا المكرمين وأحبابنا المحترمين ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

والذي أعرّفكم به أيها الأخوان الحذر الحذر ثم الحذر من محاربة الله ورسوله وهي أذية أوليائه ، وقد قال الله عز وجل ، من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وفي الحديث الآخر ، من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وهذا الرجل أخينا السيد محمد إبن السنوسي من أكابر أولياء الله ولو يعلم الناس منزلته وعلو مرتبته لتكاسروا الأعناق على بابه والناس جاهلون .... ويؤذونه بالكلام فإياكم إياكم ثم إياكم من أذيته والدخول في عرضه والتعرض عليه ، فإن من آذاه يؤخذ من حيث لا يشعر ويُخاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله ، لهذا أحذركم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "

اللهم أرحمهما وأرضى عنهما وأنفعنا بهما يارب العالمين

الفيوضات الربانية-الفصل الاول : تفسير

تفسير سورة الفاتحة

قال شيخنا وقدوتنا صاحب العلم النفيس مولانا الشريف السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

(الحمد لله رب العالمين)

الاسم والمسمى شئ واحد لا يتميز عنه وهماً حقيقة واحدة ، ومن ثم قال الله عز وجل : (وهلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) فأعاد الضمير على

الأسماء والمعروضة المسميات ، لكونها عينها لا غيرها ، وإذا تجلى الحق لا ترى غيره ، فلا ترى هنا أسماء متميزة في ذاتها

وكذلك الخلق فإن الرجل الكاتب والشاعر والخياط والشجاع والكريم والنجار ونحوه إذا أبصرته لا ترى إلا ذاته ، فلا ترى شيئاً من ذلك قائماً بذاته يبصر كما تبصر الألوان ، ولا تبصره لمجرد النظر إليه بذلك الاسم الذي هو الوصف إن لم تكن تبصره في الخارج ، ولا تبصره منه إلا بظهور الأثر فيه فإذا كتب علمت أنه كاتب ، وإذا قال الشعر علمت منه أن شاعر ، وإذا خاط علمت أنه خياط ، وإن قدم على المهالك ولم يخفف السيوف والرماح علمت أنه شجاع ، وإن أعطي علمت أنه كريم ، وإن نحر علمت أنه نجار . وهكذا

إذن فالأسماء والذات حقيقة واحدة ، والمعنى أن الحمد برز باسم الله الذي هو مجمع جميع الأسماء من حيث الرحمن الرحيم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى حمد نفسه بنفسه عنا رحمة بنا لم علم أننا لا نقدر على القيام بحمده كما يليق بجلاله وكماله ، فقام خليفة عنا باسم الوكيل وإذا كان الوكيل قائما بنفسه رحمة بأحد يعلمه أنه لا يعرف أن يقوم بأمر نفسه ولا يدري ما يضره ولا ينفعه كان أبلغ

في الاغتناء " أي الاستغناء " بخلاف ما إذا كان يحتاج إلى من يحثه على ذلك سواء كان الموكل أو غيره فإنه دليل على التقصير

هذا وأصحاب المروءات من الخلق يكون الواحد منهم حركته في مكارم الاخلاق من نفسه وباعثه ، كما قيل في بعضهم

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى

فليس إلى معن سواك سبيل

فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟ وأي سبب لنا حتى أوجدنا ؟ فليت شعري من الطالب له غيره ، فلو عقلنا مع الله في وجودنا كما كنا في عدمنا ، برحمته لنا عن أن نطلب الرحمة لنفوسنا ، وأنه أرحم بنا منا بأنفسنا ، وتوكلنا عليه كما هو الوكيل الذي وكل نفسه لنا قبل أن نكون ، ووكالته لنفسه لا يدخلها خلل ، بخلاف ما إذا كانت الوكالة منا فإنها حقيقة على قدرنا وإذا كان الإنسان يمرض فيأتي بطبيب فيسقه دواء كريها ويكون هو يحسن الظن به أنه ما مراده إلا

العافية ، ويبسط له الفراش الطيب إكراماً ، ومع ذلك يعطيه أجره ولا يرى أن مراده أذاه ، فأرحم الراحمين أولى بذلك .

وحقيقة التوكل وسنامه أن يتوكل عليه ليكفيه ولأنه أهل أن يتوكل عليه ، وأنه لا ينازع في ملكه وأعرف بالصالح منه ، وأنه أعلم بجلبه إليه ، ودرء المفاسد عنه ، ومن ثم قال الصديق رضي الله تعالى عنه حين قيل له : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب هو الذي أمرضني ، وهذا ليس من سوء الأدب كما زعم بعضهم ، بل من الفهم عن الله ؛ إذ معناه تمريضي هو عين الطب وهو كذلك ، فإذا كان يطهر بالمرض فيجعله سبباً للجمع به عز وجل فهو الطبيب الذي لا يغادر سقما

إذا عرفت هذا علمت أن الوكيل يتكلم بلسان موكله فيقول : لي على هذا دين مثلاً ، ولي بذلك دين ، فينزل نفسه منزلة موكله ، ولا يحتاج إلى ذكر الموكل فإنه معلوم عند القاضي والخصم أنه وكيل

وبهذا تعلم أن قول بعض المفسرين يقدر قول قبل (الحمد لله رب العالمين) من عدم فهم أن الحق قام باسم الوكيل عنا ، وهذه أسرار بدلية تلوح إن شاء الله لمن فهم عنها ، فهي أكبر النعم على الإطلاق إذ إيجاد العالم كله فرع عن توجهها عليه

، فهي أصل كل مخلوق وكلها منافع لنا في الدنيا والآخرة اللطفي منها والقهري ، أما اللطفي فظاهر ، وأما القهري فلأنه يكون أثره فينا عن الرحمة لنا كقول النبي r : " الحمى حظ كل مؤمن من النار ، وحمى يوم ، كفارة سنة ، ولا يصيب المؤمن من نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلى رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة المظلومون هم المفلحون يوم القيامة)

وأيضاً قد يتوجه قهره على ما يؤذينا فإنه إذا لم يقهر الجوع عنا والعطش والخوف والهم والحزن ونحو ذلك باسمه القهار لا تذهب عنا ، فكل اسم من أسماء القهر ممحض للعذاب وأن أسماء الرحمة متمحضة للرحمة ، مع أن أسماء الرحمة أكثر من أسماء العذاب كما هو مشاهد حتى في المادة الواحدة تجد صيغ تلك أكثر من صيغ هذه

فإن مادة القهر ليس فيها إلا القاهر القهار على صيغة فاعل وفعال ، ومادة الغفر فيها الغافر والغفور والغفار على صيغة فاعل وفعول وفعال

فلتلك اسمان وهذه ثلاثة ، وما كان طائراً بثلاثة أجنحة يسبق ما كان طائرا بجناحين ، لأن الجميع قوى ، وكلها أسماء الله فهي مستوية في القوة ، فقاهر

مقابله غافر ، وقهار يقابله غفار ، وبقي غفور معين لأخويه وليس من أسماء الله قهور ، ومن ثم قال الله عز وجل : (سبقت رحمتي غضبي)

(الحمد لله) الألف واللام الداخلة على المبتدأ جنسية تفيد الحصر أي حصر المبتدأ في الخبر كقولهم : الكرم في العرب والشجاعة في قريش ، وفي ذلك تفصيل أشار له الأجهوري بقوله :

بلام جنس عرفا منحصر

في خبرية وفاقا يذكر

فالمعنى حينئذ : أحمد الله بالله على معنى صدوره منه ، أي : لا حامد سواه لعجز الخلائق عن إتيانهم بالحمد على حقيقته ، فإنه لما عجز خلقه عن حمده حمد نفسه بنفسه نيابة منه عنهم ، فحمدنا وإن بلغ ما بلغ ليس بحمد في الحقيقة لقصوره وحصول النيابة عنه بحمد الله

ثم النكتة التي يترتب عليها الحمد بقوله : رب العالمين أي موجد المخلوقات كلها ، ومدرجهم من طور إلى طور حتى يحصل الانتفاع بها كلها في جميع

أطوارها لمن خلقت لأجله ، وهو النوع البشري في معنى المحمود عليه ، فإن جميع العالم مخلوق لنا قال تعالى (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) إلى غير ذلك فكأن التالي يقول أحمد الله بحمده الذي حمد نفسه به ، النائب عما وجب على من الحمد ، الكائن في مقابلة نعمة التي من جملتها هذه العوالم كلها التي خلقت من أجلي ، فأشرفها أولو العلم من الملائكة والجن وغير ذلك ، وكذلك غلب العاقل على غيره فجئ بالجمع مذكرا عاقلاً ، وإلا فالمحمود عليه أولو العلم بمحض فضله وكرمه سبحانه وتعالى فقال بعد حمده

(الرحمن الرحيم) أي : إيجاده لنا وإيجاده ما خلقه لأجلنا إنما هو بمحض رحمته وجوده ، وأتى بالإسمين في صفة المبالغة إشارة إلى أن ما صدر منه ليس هو تمام رحمته وجوده ، بل رحمته كثيرة ، وجوده غزير حتى إن ما علمتوه بالنسبة إلى ما جهلتموه شئ يسير لا نسبة له معها ، كنقرة عصفور من بحر أو أدنى من ذلك ، فدخل فيه جميع الأسماء

ودخل في قوله (مالك يوم الدين) أسماء الجلال والجمال كلها بصدقه على البرزخ وما بعده الذي الدنيا بالنسبة إليه كالرحم إليها ، وهم بالنسبة ليوم القيامة

كالرحم إلى الدنيا ، فهناك تتحقق مظاهر أسماء الله تحقيقاً لا يرتاب أحد فيه ، فيبدو سلطان القهر والغلبة على أتم وجه وأكمل حال من كل معاند وجاحد وملاحد ، وسلطان الرحمة والامتنان واللطف لمن آمن بالله ورسوله وسلك سبيله واقتفى أثره دقيقه وجليله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين)

ثم إنه لما ذكر الحقيقة بالحمد ، ووصف بتلك الصفات العظام التي توجب إقبال العبد على ربه ، وتعينه بالخطاب الذي وجه كما تعين .

قال (إياك نعبد وإياك نستعين) ليكون أدل على الغيبة إلى الشهود وكأن المعلوم صار عياناً ، والمعقول مشاهداً ، والغيبة حضوراً لتناول كلام على ما هو مبديه حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في إنشائه ، والنظر في آياته ، والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ، ثم قضى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة ، فيراه عيناً فيناجيه شفاها ، لملاحظة نفسه في حضرات القدس مشاهداً له الحاضر والأنيس واقفاً بين يديه ضارعاً إلي بالخضوع والالتجاء ، قارعاً باب المناجاة قائلاً يا من هذه شئونه ، وتحصل بالعبادة والاستغاثة على غاية الجمع والإقبال ونهاية التضرع والابتهال ،

وهذا هو السر في اختصاص تكرارات الفاتحة في كل ركعة من جميع الصلوات التي هي عبارة عن مناجاة العبد مولاه لكونه يحكم على نفسه في كل ركعة بأنه لا يعبد على حق سواه ، ولا يستعان بمن عداه ، فمتى تعلق قلبه بشئ أو تخيل استعانة لمخلوق فقد نقض العهد الذي أبرم فإن تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص ، أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، فنرى كل مصل في الصلاة يعاهد ربه بذلك في كل صلاة ، ومقتضى ذلك من ذوي العقول عدم نقض المواثيق بعدم جميع المنهيات ، والامتثال لجميع ما يستطاع من الأمور المأمورات ، ولذا قال الله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) لما اشتملت عليه من المواثيق والعهود المتجددة في كل يوم خمس مرات ، وكان عبد الحق الإشبيلي بالجزيرة من أجل علماء وقته ، فرأى النبي عليه الصلاة والسلام وأمره بأن يذهب لأبي مدين ويقرأ عليه سورة الفاتحة فقبل ، ثم لما انتبه تحير كيف يؤمر مثله بالذهاب لرجل لم يقرأ من القرآن إلا شيئاً يسيراً من سورة الملك إلى آخر القرآن ؟ أمثلي يذهب لذلك مع كموني أحفظه كله بجميع رواياته ومعرفة معانيه ؟! فقلت : إن كان له عمل فلنا بعض عمل ، وإن كان يقرأ الشئ اليسير فنحن نقرأ الكثير فما السبب ؟ فجاءه بعض تلاميذه فأخبره ، فقال : اذهب بنا إليه فما أمرك الرسول عليه

الصلاة والسلام بذلك إلا لسر ، فجاء إليه فما دخلا عليه المجلس قال لهما : مرحباً بعبد الحق وصاحبه

ثم قال يا عبد أدن مني وامتثل أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فدنا فقرأ حتى " إياك .... الخ " فقال له : فما بالك تذهب إلى الأمير وتترد عليه ! فجعل يعتذر فقال : لأجل هذا أمرك الرسول عليه الصلاة والسلام بقراءة الفاتحة علينا ، ثم رجع فلما وصل لمحله دخل خلوة واشتغل بالعبادة ، فسأل عنه الأمير فجعل الوشاة يطعنون عليه ويسبونه بأنه تكبر ونظر لعلمه واستنكف عن القدوم إلى الأمير ، وكان إذ ذاك شأن العلم أن يؤتي ولا يأتي فجاءه لخلوته بقصد زيارته بجميع أصحابه وجنده وجنده ، فإنه لما كان يستعين بغير الله أخدمه الله لغيره ، ولما رجع واستعان به أخدم الله له الامير وجنده

ولما أكمل القاضي البيضاوي تفسيره وحمله للأمير على عادة العجم ، ولما كان في أثناء الطريق بالبادية رأى فقيراً صوفياً فاستضافه فأضافه الفقير وأحسن ضيافته ، ثم سأله عن سبب سفره فقال له : إني ألفت كتاباً في التفسير وأردت أن أرفعه للسلطان لأقتبس منه صلة ويحصل له القبول ، فقال الفقير : بم فسرت

قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) ؟ فقال لا أعبد إلا إياك ولا استعين إلا بك ، فقال له الفقير : إن كنت لا تستعين إلا به فماذا تذهب للسلطان ؟ فاعتذر بأن له بنات وأراد تزوجهن فلم يجد ما يزوجهن به ، ثم سرت فيه موعظة الفقير فرجع ففرج الله عليه أمر بناته من حيث لا يحتسب ولا يدري ، ووقع الإقبال على تفسيره دون غيره من التفاسير مع كثرتها جدا

(اهدنا الصراط المستقيم) الذي أنت عليه وذلك لقوله : (إن ربي على صراط مستقيم) ومعناه : خلقنا بأخلاقك . ثم لما كان لا طريق لمعرفة الله من طريق نفوسنا – فإن هذا العالم الذي هو نسخة من العالم الكبير خلقه الله على صورته كما في الحديث " من عرف نفسه عرف ربه " ، وقال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) أمرنا بمعرفة الهداية بطريق معرفة النفوس ليحصل المقصود الاعظم والغاية القصوى ، والمراد بالصراط المستقيم : الطريق الموصل لمعرفة النفس على الحقيقة الموصلة لمعرفة الله ، وقد أبان ذلك صاحب النصوص في الفصل الأول على غاية التحقيق على ما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام

احذروه فإنه غيور

فلا تجعل في قلبك سواه

ثم بين ذلك الصراط بأنه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالمعرفة الحقيقية فمتى كان الغالب عليهم الاشتغال بك عشقوك وعشقتهم ، فجعلت لذتهم وجبلتهم على ذكرك ، فرفعت الحجاب فيما بينك وبينهم ، وفي جمالك نزهتهم في حزب من تقربوا إليك بالنوافل ، فكنت أسماعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وألسنتهم وأفئدتهم ، فكنت إياهم وكانوا إياك من غير اتحاد ولا حلول ، ولا كان العبد ربا ولا كان الرب عبدا على حالة يعلمها من أذقتها إياه من النبيين والصديقين

(غير المغضوب عليهم) كمن كان يعبد غيره بمحبته وتغيير قلبه واستعان به إذا اتكل عليه وهو على مراتب . فمنه غضب وسخط وطرد كغضبه على اليهود ومن نحا نحوهم على ما قص الله في حقهم ، وغضب تأديب ومنه ما وقع لعامة الناس من الحدود والزواجر عنها ، ومنه غضب غيرة ومنه ما يقع لأوليائه ، فإنه يبحث الرب قلب عبده المؤمن فمتى حل فيه غيره غضب لشدة غيرته على قلوبهم أن يعمرها غيره أو تعلقت بسواه ، وقد كان بعض العلماء فر بنفسه ولزم مغارة ولا

أنيس بها ليتجرد عما سواه فجعل الناس يذهبون لمحله ذلك ويرصدونه عساهم يرونه فإذا رأى الناس فر وتوارى عنهم ، فرصده بعض أصحابه حتى رآه ففر منه فقال : لا غرض لي في شئ بسوى أن أسمع منك كلمة تعظني بها فقال له احذره فإنه غيور فلا تجعل في قلبك سواه ، ولهذا أمر الله الخليل بذبح ولده إسماعيل ، لأنه جاءه على الكبر ففرح به ، ومال إليه بقلبه بعض الميل ، ومال إليه إسماعيل كذلك ، فغار الحق عليهما فأمره بذبحه

فلما امتثل لجميع ما أمر به ، وحصل تفريق قلب كل من صاحبه فداه الله تعالى من الذبح أي : بالكبش ، ولذا أيضاً فعل بيوسف ما فعل على يد إخوته ، لأنه لما تعلق قلب أبيه به لما تفرسه من النور النبوي ولما مال يوسف لأبيه ابتلى بالرمي في الجب

ثم لما لم يبق له سوى التعلق بالحق أوحى إليه لمجرد الإلقاء فقال : (وأوحينا إليه) إلى آخر الآية فجاءته النبوة عندما خلص قلبه من جميع ما سوى الله ، وخلص قلب أبيه كذلك ، فقال : (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)

ثم قال تعالى : (ولا الضالين) عن طريق معرفة نفوسهم فلم يعرفوا ربهم ، إما عن طريق الدليل والبرهان كمعرفة النصارى وجعلهم الله ثالث ثلاثة ، أو شهود عيان كمعرفة عامة الناس ، لضلالتهم عن هذه المرتبة ، لعدم معرفة طريق نفوسهم التي هي السبيل لمعرفة الله بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام وكلام الله تعالى في غير ما موضع فيه ، وأما من أيده الله فوفقه لذلك السبيل فنال المنى وأزال عنه العناء وقليل ما هم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) قوله : ألم . هو ونحوه من أوائل السور – كقوله تعالى حم عسق ، ص ، ق ، ن إلى آخر السور – ما بعده إلى تمام السورة بعض تفسيره ، وله من التفسير فوق ذلك ، فإيراد (ذلك الكتاب) .... السورة بعده من إيراد الخاص بعد العام

قوله (ذلك) الإشارة إلى الغيب المدسوس في قوله (ألم) و(الكتاب) سماه كتاباً لأن كل حرف فيه بقية الحروف فالحرف الواحد رسول واحد ، والرسول الواحد عين الرسل كلهم ، قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين) فجمعهم ثم فسر الجمع بقوله : (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) فسمى نوحاً بالمرسلين ، وهكذا (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) فسمى بالمرسلين ، فجعل الرسول الواحد الرسل كلهم ، فكذلك الحرف الواحد هو الكتاب كله ، فمن كفر بحرف كفر

ومن قال من المفسرين – كالجلال رحمه الله تعالى – عن أوائل السور الله أعلم بمراده بذلك فقد أجاد وأصاب لقول الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم)

وإنما قال : (ذلك الكتاب) ولم يقل القرآن ، لأن الكتاب و الوجوب (كتب ربكم على نفسه الرحمة) والقرآن هو الجمع ، فالكتاب فيه فائدة

والدليل على أن التالي للقرآن يثاب ولو لم يعلم المعنى أوائل السور ، قال r :

(من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) ولكن لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون

واعلم أن التالي نائب عن الله تعالى ، فهو يتكلم بكلام الله ، فلذلك لا ينسب الكلام إليه فيقال بكل لسان

وقوله تعالى : (لا ريب فيه) أي للمتقين فحذفه من الأول لدلالة الثاني عليه ، والريب أخص من الشك ، لأنه يشك مع ارتياب قال تعالى : (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب)

وقوله تعالى (هدى للمتقين) أي بياناً لهم ليفوزوا فهم المقصودون بالانتفاع

وأما قوله تعالى : (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فالمراد به يظهر الحق كالشمس فلا يبقى لأحد حجة ، وليس ذلك خاصا بالمتقين بحيث تقوم الحجة التامة عليهم

وقوله تعالى : (للمتقين) تنازعه كل من (لا ريب فيه) و(هدى) وإنما كان المتقون لا يرتابون لأن إيمانهم به إلهي ، غذ التقوى توجب محبة الله تعالى ، ومن أحبه كان سمعه وبصره ويده ورجله وفؤاده ... الخ . كما يليق بجلاله ، فإيمانه هو إيمان الله بنفسه فلا يقبل الريب فما هو من عند نفسه بل هو من عند الله ، وتقريبه وحاصلة أن إيمانهم لدني

والتقوى : القيام بما أمر الله به لله ، واجتناب ما نهى عنه له

الغيب

كل ما غاب عنا

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . (الغيب) القلب لأنه غائب في الصدر ، قال رسول الله r : (التقوى ها هنا) وأشار بيده إلى قلبه ، فمحل إيمانهم القلب لا اللسان ، فيكون المعنى : للمتقين الذين يتقون بقلوبهم تقوى خالصة عن الرياء والسمعة ، لا بظواهرهم فقط كما هو شأن الخالي ، ولا إسلام فقط كما هو شأن ذوي النفاق . فافهم

(والغيب) كل ما غاب ، فالحق غيب عند أكثر الخلق مع أنه معهم ولكن لما كانوا غائبين عنه كان غيبا بالنسبة إليهم ، فأطلق عليهم غيب ، فهم يؤمنون به على الغيب ، كما يؤمنون بسائر المغيبات ، والمعنى يؤمنون بما غاب عنهم ، وأخبرهم الشرع به لقلوبهم إيماناً ربانياً حقيا

فالغيب : أي كان الحق سمعهم وبصرهم فقام فيهم الإيمان الذوقي من كينونة الله لهم وهكذا

وإيمانهم غيبي إلهي وغيبي قلبي بكل ما أخبروا به في الشرع من المغيبات ، فقوله : الغيب شامل لذلك كله ، ومثله في كون الغيب الله والقلب (الذين يخشون ربهم بالغيب) ةأي يخشون الله بالله (لطيفة) من كان من الناس صاحب شهود يدخل أيضاً فيما ذكرنا ، لأنه وإن كان آمن بالحق على عيان فمن وراء ما شهد غيب لا نهاية له

قال الخضر عليه السلام هو من أكابر المقربين لموسى عليه السلام ، وهو من أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام : (ما علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما أخذه الطائر بمنقاره من البحر) أي من العلم الشهودي

وقوله (ويقيمون الصلاة) على حد ما كان يصليها رسول الله r من التطويل فيها والخشوع بإفراغ الوسع فيها ظاهراً وباطنا

وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) المراد به الزكادة ، فلذلك حيثما ذكر الحق الإنفاق لا يذكر الزكاة ، والزكاة حيث أطلقت لا تختص بالمال بل المراد بها طهارة البدن من قاذورة المعاصي . قال الله تعالى : (قد افلح من زكاها) (قد أفلح من تزكى) فيشمل الغنى والفقير ومن زكى النفس فلا شك أنه لا يبخل بالمال ، ومن أعظم الإنفاق إنفاق العلم النافع الذي به تكتسب السعادة الكبرى ، والمراد يؤتون الزكاة حقها ، وضدهم الذين يبخلون بأنفسهم في الله ، كما قيل شعراً

ومن لم يجد في حب نعم بنفسه

ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فالنفس هي الأصل المتقدم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وأتى بمن التبعيضية ليدل على أنه إذا أنفق البعض في طاعة الله ، وترك البعض ، واستراح بعض الأحيان فقد أنفق ما أمر به ، وأشار على أنه على كل حال لا ينفق

إلا البعض ، فإن قيل الشهيد الذي يقتل في سبيل الله قد أنفق كله . فالجواب أنه لم ينفق الكل ثم بذلها فما أنفق إلا البعض . فالعباد ليسوا مأمورين بإنفاق الكل إذ ليس في وسعهم أ هـ

(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

هؤلاء دون السابقين في المرتبة أي لم يفرقوا بين الكتب والرسل ، فليست خاصة بأهل الكتاب ، بل حتى فينا معشر الأمة الإسلامية فإنه كتب علينا الإيمان بسائر الكتب والرسل ، إذ ذلك في كتابنا

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

وشهد الله لنا (من الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى (وإليك المصير) وما أخرنا الله عن الأمم كلهم إلا لنحوز أخبار الرسل كلها ونؤمن بها فيتضاعف لنا

الثواب بلا حد . وأما من كان من أهل الكتاب وآمن برسولنا فيؤتي الأجر مرتين فقط

(فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي : آمنوا من قوم عيسى عليه السلام بسيدنا محمد r ثم قال لهم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) وهو الأجر مرتان ، ثم قال : (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي إخوانهم الكفار منهم (ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

وهذا متعلق بقوله (آتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي آتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ليلبس على الكثير الفاسقين وهم المراد بأهل الكتاب هنا ، فأراد الحق بإعطاء المؤمنين الأجر ليبينهم على الذين لم يؤمنوا وليعلموا أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله ، مع أن الواقع كذلك فتوفرت فيهم داعية الضلال لتحق عليهم الكلمة لعلمهم شقاوتهم وأنهم أهلها الحقيقيون بها فهم من القبضة التي قال فيها هؤلاء ولا أبالي للنار (لا يسأل عما يفعل) فالعدو جزاؤه أن يعمى عليه الطريق (وللبسنا عليهم ما يلبسون)

وقوله (وبالآخرة هم يوقنون)

ذكروا هنا بعد أن ذكر (يؤمنون بالغيب) من ذكر الخاص بعد العام

(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أي على بصيرة من أمرهم ، وإنما قال على هدى ليدل أنهم دون السابقين في الرتبة أي فهم على الهدى غير ضالين

فالأولون أهل كمال الإيمان وهؤلاء أهل مطلق الإيمان والفلاح هو الفوز بالله

(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) بعد أن ذكر المؤمنين ذكر الكفار ، وقوله : (إن الذين كفروا) أي : في علمنا ، فإن قيل إذا كانوا لا يؤمنون فما فائدة الإنذار

فالجواب أن الإنذار لإقامة الحجة عليهم (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)

(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)

ولا حجة لهم في قولهم : لو شاء الله ما أشركنا به وما عبدنا من دونه من شئ ولا يحتج به ، لأنهم لم يقولوه بالله بأن كان الحق سمعهم وبصرهم فلا يشهدون فاعلاً غيره ، وإنما قالوا من عند أنفسهم ليجادلوا به الحق عنهم . فهي كلمة حق أريد بها باطل ، إذ القدر لا يؤمر به ولا يحتج به (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) فزكوا به أنفسهم والتزكية لا تجوز بالحق ، فكيف بالباطل ؟!

نعم ... من زكاه الحق بأن كان لسانه الذي يتكلم به فهو ناقل عن الله تزكية الله له ، لا يزكي لنفسه بنفسه ، قال r : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "

كأنه قيل ولم لا يؤمنون ؟ قال الحق سبحانه وتعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)

الختم على القلب سده حتى لا يدخل فيه خير ، كما تسد أفواه الأواني حتى لا يخرج منها ما فيها ولا يدخل غيره ، فالختم أبلغ من الربط ، لأنه ينحل بأدنى سبب ، بخلاف الختم يصير بعض الأخيار كأنه من جنس الإناء حتى يتخيل أن لا فم لذلك الإناء ، وذلك من الإتقان ولا أتقن من الله ، فلا يفتح ما ختمه ولا ما ربطه حتى يفتحه هو بنفسه أو يحله ، وليس المراد أن قلوبهم لا تعي أصلاً ، وآذانهم لا تسمع أصلاً ، وعيونهم لا تبصر أصلاً ، إذ لو كانوا كذلك لعذروا بل المراد ألا يدخل الخير عليهم أصلاً ، ويبقى الشر مكانه في قلوبهم ولا يخرج ، لعدم وصول ما جاءت به الرسل إليهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أي في أمتها ، والغشاوة للبصر كالختم لغيره ، وقال الله أيضاً فيهم : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وكما قال الله تعالى فوجدوا أنفسهم (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (ولهم عذاب عظيم) هو الحجاب عن ربهم ضد الفلاح (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

تنبيه : القرآن بحر محيط لا ينحصر في معنى واحد قال رسول الله r " (القرآن ذو وجوه كثيرة فاحملوه على أحسن وجوهه) ومن جاء إلى البحر لا يأخذ قطرة ويقول هو البحر كله

قال أبو الدرداء – وهو من عظماء الصحابة - : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يعلم للقرآن وجوهاً كثيرة ، ويعلم أيزداد هو أم ينقص ؟ ويعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه ، (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فما دام القلب واقفاً مع الله لا تأتيه نزغات الشيطان فإذا مال إليه قليلاً التقدم (من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) . أي وما هم بمؤمنين بقلوبهم ، فقولهم (آمنا) تقيه يحرزون بها أنفسهم وأموالهم فتقى أموالهم ودماءهم ، لعدم الإطلاع على قلوبهم ، وهكذا آمن رسول الله r وآله وسلم قتيل أسامة الصحابي وذلك أنه قتل في الجهاد رجلا بعد أن قال (لا إله إلا الله) فذكر ذلك الرسول r وآله وسلم فغضب الرسول r غضباً ما غضب مثله ، وقال له : أقتلته بعد ما قالها ؟ قال : نعم ، فقال له : وكيف بـ (لا إله إلا الله ؟!) فقال له : إنما قالها تقية : فقال له الرسول r : هلا شققت عن قلبه ؟ وقال رجل من الصحابة يا رسول الله أرأيت إن قطع يدي فأهويت لأقتله فقالها ؟ فقال له : إن

قتلته صرت مثله قبل أن يقولها ، وصار مثلك قبل أن ثقلته – يعني هو مات مسلماً وأنت عشت كافراً – فلا دليل على المنافقين في الظاهر حتى يقتلوا ، والحال أن الرسول r كان يعرفهم في نفسه ، وقد عرفه الله بهم بعد أن قال له :(لا تعلمهم نحن نعلمهم) فقال له تعالى :(فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) وقوله :(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) ولا يجاهد من لا يعرفه ، وجهاد المنافقين بالقرآن (وجاهدهم به جهاداً كبيراً)

(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي يتقون بقولهم آمنا بطش رسول الله والمؤمنين ، فمخادعة الله هي مخادعة رسوله إذ هو مظهره ، وخداعهم خداع لأنفسهم في نفس الأمر ، فمن فعل خيراً فلنفسه فعله ، ومن أساء إلى أحد أساء إلى نفسه (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) فمن قطع يد شخص أو رجله أو فقأ عينيه أو قتله فعل ذلك لنفسه ، فإن يده تقطع به ورجله وتفقأ عينه ويقتل ، وكأنه هو القاطع يد نفسه ورجله والفاقئ عينه والقاتل لنفسه هكذا فلا يفعل إلا حسناً ويجتهد في الإحسان ما استطاع بإفراغ وسعه فيه من جميع الوجوه ، ومن علم أن ما يعمله من سوء له يتباعد عن الشر

غاية التباعد ، فقد أبلغ الحق لنا البيان لئلا يكون خيراً إلا ونأتيه ولا شر إلا ونجتنبه

وقوله (وما يشعرون) أي ولا يحسون بذلك ، أي فضلاً عن أن يعلموه فهو أبلغ من نفي العلم ، (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) المرض هو النفاق المانع لقلوبهم من قيام الإيمان بها ، إذ المرض ينافي الصحة

وقوله (فزادهم الله مرضاً) متعلق بقوله (ومن الناس) (ومنهم الذين يؤذون النبي) (ومنهم من عاهد الله) (ومنهم من يلمزك في الصدقات) فهم يتوجعون لذلك ويتألمون غاية الألم بذكر صفاتهم ، ولا يزالون يرتقبون الفضيحة فكلما أنزلت آية يخافون أن تصرح بأسمائهم وبما في قلوبهم

والمرض أيضاً يطلق على الزنا كما يطلق على ضد العافية ، قال تعالى (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي زنا ، ولو لم يكن منافقاً ، وإن المرأة إذا خضعت بالقول طمع فيها من يريد الزنا بها

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

الفساد في الأرض بإيقاع المعاصي فيها ، وهم لم يخلقوا إلا للطاعة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ففي الأرض أبلغ من التعبير على الأرض ، لأن (على) تقتضي السريان في جميع أجزائها بخلاف (في) . فالمعصية تمحق بركة الأرض والسماء ، فكلما عمل عليها دست من بركتها التي هي الأرزاق المودعة فيها من منذ قتل قابيل هابيل ، كل ذلك من شرر المعصية (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) . فعل المعاصي يمنع المطر أن ينزل من السماء حتى يهلك بسببه الحرث والنسل ، وبه يحصل الفساد في الأرض كما ذكرنا ، والمراد بالأرض الأرض التي م عليها ، لا كل الأرض ، فالفساد في موضع هو الفساد في الأرض كلها ، قال تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) أي الأرض التي عليها عمل ذلك الفساد ، لا جميع الأرض ، وإلا لكان حين قوله (أو يقتلوا) والمناهي التي إذا ارتكبت يقع بها الفساد معلومة مفصلة كما في قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا)(ولا تأكلوا أموالكم بينكم

بالباطل) إذا (قالوا إنما نحن مصلحون) يدعون الشفعاء عند الله ، فقالوا عن الأصنام (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله) لأنهم بنات الله

والإنسان إذا أراد حاجة من عظيم توسل في قضائها إليه بمن هو قريب عنده فنحن مصلحون باتخاذنا الأصنام

ولا يعلمون أن تعيين الصلاح والفساد لا يعلم إلا من الشرع لا من العقل وقوله (ألا إنهم هم المفسدون) في قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هو الفساد ، ومن الفساد الحكم بغير ما شرع الله من السياسات ، والقياس بالرأي فيما يفعله من ينتسبون إلى العلم ، ويجعلونه شرعاً مع أنه من عند أنفسهم بلا شك ، ولا يردون الحكم إلى الله وإلى رسوله r كما قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) وبما أمر الله ردوا الأمر إليه وإلى الرسول r

ألا وقد علم أن الحكم مبين في كتابه وفي سنة رسوله r ، إذ الرسول r وآله وسلم مبين لكتاب الله تعالى فما وجد من الأحكام في الكتاب وجد ، وما لم يوجد فيه أحال به على الرسول r (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)

فرسول الله r مكلف بالبيان من الله تعالى ، ولا شك أنه وفى – أي أدى – بما كلف به في البيان ، فما من أمر من الأمور إلا وله حكم في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله r ، علم ذلك من علم وجهل من جهل ، والله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فما بقي نقص ، فلا معنى للقياس فقد قال رسول الله r : (تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على اثنتين وسبعين فرقة أخطرها على الدين قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله) رواه الترمذي على شرط الصحيح ، ورجاله رجال ثقات

وقال رسول الله r (الحلال ما أحل الله في كتاب ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه عفا عنه فاقبلوا من الله عافيته) وحاصله : من أحدث حكماً فقد أحدث ربوبيته (إن الحكم إلا لله) فلوا طلبوا الأحكام الشرعية لوجدوها ولكن يميلون إلى الهوى ويعبدونه ، ورسول الله r يقول (ما تحت أديم السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من هوى يتبع)

وقوله : (ولكن لا يشعرون)

لا يقال إذا كانوا لا يشعرون فهم معدومون لأن الرسول المكلف بالبان قد بين لهم ، وبعد البيان لا عذر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(سأل رسول الله r الصحابة : ما تقولون إذا سألكم الله عني ؟ قالوا نقول إنه بلغنا ونصحنا أو كما قالوا

فرفع يده اليمين إلى السماء وأشار بسبابته إلى فوق ثم نكث بها إلى الأرض وهو يقول اشهد من فوق ومن تحت (وهو الله في السماوات وفي الأرض) والمراد أينما كنت فاشهد)

وكونهم لا يشعرون بأنهم مفسدون من الضلال البعيد ، إذ لو شعروا لزاماً رجعوا وقد يقع للبعض الشعور والعلم بذلك ولا يرجعون بل يجحدون الحق : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) فقوله (ظلما وعلوا) راجع إلى قوله (وجحدوا بها) لا إلى (واستيقنتها) وحاصلة أنهم فريقان : فريق لا يشعرون ، وفريق يعلمون ، وليس فيهم من العلم إلا إقامة الحجة عليهم ، وأما الذين يشعرون بأنهم ليسوا على الحق فلا خير إلا فيمن عرف الحق وانقاد له

قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه :

(من عرف الحق وتواضع لأهله فهو من أهل الجنة وإن عمل ما عمل من الشر ، ومن أنكر الحق ولم يتواضع لأهله فهو من أهل النار وإن عمل ما عمل من الخير)

كان عندنا بفاس رجل من أرباب الدولة حاكم وهناك شجر الزيتون كثير جداً غوبا غوبا ، فإذا أخذ أربابه ثمره دخله الفقراء فالتقطوا ما يجدونه من البقايا التي فيه ليتمتعوا بها ، فجعل الحاكم بعض عسكره يؤذونهم بأخذ ما التقطوه ، فمررنا ذات يوم بهم فإذا هم يأخذون من الفقراء ما عندهم ، فقلنا ما هذا ؟ فقال لنا بعض الإخوان : هؤلاء العساكر يأخذون من الفقراء ما يلتقطونه بأمر الحاكم ، فبعث واحداً من الإخوان ، وقلت له : قل له يقول لك واحد – ولا تسمني له – اترك هذا للفقراء والله يعوضك أحسن منه ، فراح إليه وبلغه ذلك فقال له : إن إرباب البساتين هم الذين اشتكوا منهم ، ولكن لما قلت لي إذاً لك مرحباً أنا أتركهم من أجله ، وأصحاب البساتين ما شاءوا يصنعون ، والحال أنه تدخل عليه من أجل ذلك منافع آلاف

فتركها كل ذلك من حسن العقيدة ثم بعد مدة دعا الحاكم ذلك الرجل من إخواننا الذي أرسلته إليه فقال له : بلغ رسالتي كما بلغتني الرسالة فقال له : مرحباً وقال له : قل له مقصوده أن السلطان يوليه على البرية الفلانية من البراري وفيها منافع كثيرة

فجاء وبلغني ذلك فقلت له مرحباً ، فبعد أيام ولاه السلطان بغير تسبب منه ولا شئ ، فهو وأمثاله ينالون باعتقادهم في أهل الحق مطالب كثيرة وينجون بهم من شرور كثيرة دنيوية وأخروية ، (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

قال (الناس) ولم يقل (العقلاء) رتبة عظيمة شريفة لا يماثلها شئ ، لذلك أطلقت على بني آدم ، قال تعالى (أفيضوا من حيث أفاض الناس) والمراد بالناس الصحابة والنبي r أورد عليه أن إيمان النبي r لا يقدر أحد أن يأتي بمثله فما التشبيه ؟

والجواب أن المراد الإيمان الذي ذكره النبي r في قوله (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ....) وهو الذي علمه

جبريل للصحابة حين جاء في صورة المتعلم الإسلام والإيمان والإحسان ، وأما إيمان النبي r فليس للرسل عليهم السلام إليه سبيل فضلاً عن غيرهم ، فالرسل يعجزون فضلاً عن غيرهم عن اللحوق به r ، فإيمانه وأحواله اختصاص من الله تعالى ، له النبوة وآدم منجدل في طينته ، فلا يعرف أحد حقيقة الرسول على ما هو عليه كما قال r (وأنه لا يعرف حقيقتي غير ربي)

كنا مع بعض الأولياء رضي الله تعالى عنهم الذين يجتمعون بالنبي r فتكلم معي في مشاهدته r فقلت : مشاهدة الرسول r هذه التي يشهدها الأولياء أراها كمنزلة الظل من الشخص فالظل بالنسبة إلى الشخص كلا شئ

قال أويس القرني رضي الله تعالى عنه للصحابة وفيهم سيدنا على وسيدنا عمر رضي الله تعالى الله عنهما : هل رأيتم محمداً r ؟ قالوا : ألسنا أصحابه قال : إنما رأيتموه كالسيف في غمده

وهم كذلك رأوه كالسيف في غمده (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) فالنظر لا يقتضي الإبصار ، فأنت ترى الصبي ولا تبصر زيادته التي يزيد بها مع أنه في زيادة بلا شك من جميع الجهات طولا وعرضا ، ولكن لما كانت الزيادة

لطيفة كانت لا تبصر فإذا غبت عنه مدة ثم حضرت عنده وجدته كبيراً فحينئذ تبصر الزيادة

وكذلك إنبات النبات اللين لا تبصر زيادته مع أنه في زيادة بلا شك ، وبعض النباتات في ليلة واحدة إذا فارقتها ثم رجعت إليها وجدتها زادت كثيراً

تنبيه : هذا دليل صريح في وجوب التقليد يرد على المتكلمين القول بعدم التقليد مع أنهم هم في الحقيقة مقلدون ليس في يديهم غير التقليد فإنهم يقررون أقوال من قبلهم في التوحيد وقواعده

وما زادوا في تقريرها إلا أن تحفظ عنهم ويقتدي فيها وهذا هو التقليد فهم ينفون التقليد بالتقليد فيغسلون الدم بالدم وغسل النجاسة بالنجاسة لا يزيدها إلا انتشاراً وتأكيداً فهم مقلدون وهم لا يشعرون

وقوله تعالى (أنؤمن كما آمن السفهاء) تجلت لهم سفاهتم في غيرهم فهم يشهدون وصفهم يحسبون أنه وصف غيرهم

قال بعض الصوفية : لصفاء إخواننا رأووا وجوههم فينا

ومثلهم كمثل الراكب السفينة بجانب الساحل هي تجري به وهو يرى البر هو الذي يجرى ، فجريه و يراه في غيره ، فرآه معكوساً وهو يعلم يقينا أن البر لا يجري ولا تجرى الأشجار التي فيه وإنما تجري السفينة

والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف ، والسفيه هو الجاهل ، (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) أي جهلها فلذلك جهل ربه فرغب عن سبيله ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وقوله تعالى (ألا أنهم هم السفهاء) تبيين من الله تعالى لحقيقة الحال بأنهم إنما انعكس عليهم الأمر فرأوا الضلال الذي فيهم في غيرهم

وقوله (هم) تأكيد أي لا غيرهم ، وقوله تعالى (ولكن لا يعلمون) نوع لأنهم نوعان ، نوع لا يشعرون بشئ ونوع يشعرون شعوراً لا يبلغهم إلى العلم وهم المرتابون فلم يكتف بـ(لا يشعرون) لذلك

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا أمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)

عبر بـ(لقوا) في (الذين آمنوا) عن (خلوا) بم للقيم في الملأ وفي المنافقين (وإذا خلوا) إلى أنهم لا يظهرون بذلك في الملأ تقية بل في الخلوة

وقوله تعالى (إلى شيطانيهم) عبر بـ(إلى) لأنهم يمشون إليهم بالقصد وسماهم شياطين والشيطان البعيد ، فتلوا العرب ناقة شيطانية إذا كانت لا تألف الإبل ، وإضافتهم إليهم لأنهم من جنسهم إذ المراد شياطين الإنس

وقوله تعالى (إنا معكم) أي بقلوبهم والمعول على القلب ، وقوله تعالى (قالوا آمنا) أي بلسانهم

وقوله تعالى : (هذه النار التي كنتم أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم)

(ذق إنك أنت العزيز الكريم) وقوله تعالى : (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) لأن مراد الله فيهم الضلال

(سؤال) من أيقن بقلبه ولم يقر بلسانه هل ينفعه ذلك ؟

والجواب : لا ينفعه ذلك لقول الله تعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعدوا) فـ(ظلماً وعلواً) راجع لقوله (وجحدوا بها) فمن لم يجهر بالتوحيد بأن صدق بقلبه أن هذا الدين حق وكفر بلسانه فأبى الإسلام لا يقبل عند الله ، وذلك كقول أبي طالب :

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

قال تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) حالاً ولا مالاً لعلم الله فيهم ذلك وهو رد على ما تدعيه أنفسهم من أنهم مهتدون

ثم قال (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

الضمير في (مثلهم) عائد إلى (ومن الناس) بواسطة عوده إلى (الذين اشتروا) أي صفتهم كصفة الذي استوقد ناراً ، فالكاف تشبيه وليست بزائدة ، فالمثل يأتي

بمعنى الصفة كقوله تعالى (ولله المثل الأعلى) أي الصفة العليا ويأتي بمعنى التمثيل ، كقوله تعالى (واضرب لهم مثلاً) (ولما ضرب ابن مريم مثلا)

والضرب الفرض والتقدير وقوله (الذي استوقد نارا) لم يقل الذين بصيغة الجمع لأن المنافقين يتداخلون في بعضهم فهم ذات واحدة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) ، وإنما المؤمنون قال فيهم (بعضهم أولياء بعض) والولي الناصر فلا يرى خيراً إلا ويجلبه لوليه ولا شراً إلا ويدفعه فالمؤمن كثير بأخيه .

وقوله (استوقد نارا) السين والتاء للطلب أي عالج اتقادها وذلك كقوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)

منهم : يعرفونه في منامه ، أو الآيات في قوله (ومن الناس) في أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم حتى إنهم يعرفون يوم مولده ومماته r

كان سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه – يخدم واحداً من أحبارهم

فلما قرب زمن الوفاة قال له : إني قد خدمتك كذا عاماً ولي عليك حق فأوصني من أصحب بعدك ؟ فقال له اصحب فلاناً وأشار عليه بحبر فجاء إليه

فخدمه كذلك فلما قربت منه الوفاة قال له إني خدمتك كذا عاماً ولي عليك حق فأوصني من أصحب بعدك ؟ فقال له بعد هذا حكم كتابنا باطل (يخرج نبي آخر الزمان بمكة ويهاجر إلى المكينة فأتبعه) فلما بعث رسول الله r جاء فصحبه وهو الذي أدى عنه رسول الله r كتابته لما قال له مالكه لا أعتقك أو تغرس نخلا حتى يثمر وتؤدي من ثمره فجاء فأخبر رسول الله r فقال له قل له خيراً وجاء مع الرسول r فغرس بيده الشريفة فأثمرت من عامها فجاء رسول r فوجدها مثمرة كلها إلا واحدة فقال ما بال هذه ؟

فقال عمر رضي الله عنه وأرضاه : هذه غرستها أنا يا رسول الله فأخذها بيده الشريفة وحركها يميناً وشمالاً وتركها فلحقت بأخواتها – في البخاري أن المغروس ورد وفي غيره نخل وهو أبلغ في المعجزة فكان رسول الله r يبله بريقه الشريف ويدفنه فأثمر من عامه

ولما توفي رسول الله r كان بعض الصحابة عند واحد من علماء أهل الكتاب فقال له : اليوم توفي نبيكم قال : فغضبت غضباً شديداً ما غضبت مثله حتى لو كان بيدي سلاح لقتلته فمكثت أياماً فإذا برسول أبي بكر الصديق يأتي بكتابه

مخبراً أن رسول الله r قد اشتاق إلى لقاء ربه فقدم عليه ، فاستخلف الناس من بعده أبا بكر رضي الله عنه . فكانت وفاته في ذلك اليوم الذي ذكره الكتابي

وقوله (ناراً) ليستضئ بها وقوله (فلما أضاءت ما حوله) ذلك ظهور النبي r في مكة لأهل الكتاب في المدينة ومكة حول المدينة كما أن المدينة حول مكة (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقوله (أضاءت) أبلغ من أنارت لأن الضياء هو الذي يكشف عن حقائقها فلذلك قال الله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) إذ هو أضعف من الضياء لكونه (فمحونا آية الليل) وأنها ضياء نور لأن الضياء نور وزيادة فهي ضوء ونور

وقد قال الله تعالى في الرسول r (سراجاً منيراً) والسراج هو الشمس أي شمساً منيرة وقوله تعالى (ذهب الله بنورهم) أي نور إيمانهم الذي كانوا يبصرون به النور الإلهي الذي في التوراة ، وهو ثبوت صفته r ، وكل ما في التوراة نور لأنه كلام الله ، وكلامه نور إذ هو صفته (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) وجمع الضمير ولم يقل بنوره لئلا يتوهم عود الضمير على الله وهو إذا ذهب نوره لأحد لا يذهب منه ولا يسلبه إياه : إذ نوره هو وهو لا يتصرف في نفسه ، فالذين لم

يهتدوا لم يجعل لهم نوراً من أصله حتى يأخذه منهم فنور الله لا يهدى لكافر وقوله (في ظلمات...) إذ الكفر بالرسول والكفر بجميع الرسل أو الرسل كلهم وبالملائكة والكتاب واليوم الآخر فكيف بسيدهم محمد r ، فالكفر بواحد ظلمة ، فهي ظلمات بعضها فوق بعض ، وعبر ـ(في) لأنهم غارقون فيها لم يخرجوا منها وتركهم فيها

ولما كانت الظلمة متفاوتة : خفيفة وهي التي يكون معها بعض إبصار ، وحالكة لا يمكن الإبصار فيها . أكد الظلمات فقال (لا يبصرون) أي لشدتها لا يبصرون ، وليس مستغنى عنه بما قبله ،(صم بكم عمي فهم لا يرجعون) صم عن سماع صفات النبي r بعد ظهوره مع أنهم كانوا قبل ذلك يستمعونها . فهو (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل) . وقوله (بكم) لا ينطقون بها ، وقوله (عمي) فلا يبصرونها كما كانوا يطالعونها قبل ، وقوله (فلهم لا يرجعون) إلى الأوصاف النبوية التي شردوا عنها وهي العلم الصحيح فهو أبلغ من (لا يعقلون)

استشكل بأن بعضهم كابن سلام . وأجيب بأنه من المعينين من الله بلا يرجعون فأرجعه وإن كان الكلام عاماً فالمقصود به معلوم (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) المعينون بالذات بالهداية فتخصهم وحدهم وإن شمل الخطاب غيرهم فيفهمهم الله وغيرهم يصرفه بالشبهات (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين) فالجاهل مراد الله منه ألا يعلم وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

فإن قيل ما فائدة ضربها لهم في أنهم لا ينتفعون بها فالجواب أنها لإقامة الحجة عليهم ، ومعنى أنهم يعلمونها أي بالتخلق بها ؟ والتحقق وهي رجوع إلى قوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فبيت العنكبوت لا يقيها من حر ولا برد ، وهو ضعيف جداً إذا جاءته أدنى ريح ذهبت به ، فالأصنام كذلك

فالعالمون الذين فهموا عن الله ذلك وعملوا بمقتضاه فلم يتخذوا من دون الله أنداداً ، فمن اعتمد على غير الله من مال وعمل وعلم وحرفة فقد اتخذ من دون الله أنداداً ، قال إبراهيم عليه السلام (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) أصنام

الخلق أراد ، وهي خطرات غير الله ، وكل مقام له أصنام ، وحاشا أن يخطر في قلب الخليل غير الله ، وإنما هو اتهام نفسي وفرض تقديري والمفروض ليس واقعاً في نفس الامر فلا إشكال

رأى بعض الأولياء في عصرنا هذا نبي الله سيدنا يوسف عليه السلام فقال له : حكى الله عنك في كتابه أنك قلت للرسول (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم تستعجل بالخروج من السجن مع أمك لبثت في السجن بضع سنين ، ونبينا r قال : لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي . أي ولم أصبر ، فقال له إن بين الواقع والفرض كما بين السماء والأرض

ومعناه أنه يقول إن الرسول r لم يقع له ذلك بالفعل فإن الناس كلهم يعتقدون براءته فلم يحتج إلى ذلك وأنا ذقت مرارة التهمة فأردت أن تظهر براءتي

ثم قال (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) هذا مثل لصفتهم مع القرآن ، والأول مثل لصفتهم مع النبي r الذي أنزل عليه ذلك القرآن فلا بلاغة

لأحدهما على الآخر فكل واحد لمحله ، فصفتهم منقسمة إلى قسمين فـ(أو) للتقسيم

وقوله (كصيب) الصيب : المطر ، والمطر هو الرحمة والكتاب أفاضنا رحمة ، والصيب من الإصابة وكلاهما نزل من السماء فلذلك عدل عن غيث ومطر ونحوهما

وقوله (من السماء) المراد بالسماء ما علا ظله وارتفع بعد ما علا وإن كان ارتفع على كل حال معطوف على ما علا وإنما لأجل طول الفصل فيكون التفريع عليهما ، فلذلك شمل السماء وما تحتها والسحاب مسخراً ما بين السماء والأرض ، والتنصيص على السماء ، لدفع ما يكون على خلاف العادة " فيما يحمل فيه بالدواليب " لأن الكفار كانوا بأسرهم يتخذون دواليبا يجتلبون بها ماء إلى مجالسهم فتمطر عليهم فلا يقال الصيب لا يكون إلا من السماء

وقوله تعالى (فيه ظلمات) ولم يقل ظلمة فيها صيب لأن المشبه به الذي هو القرآن نور الظلمة ، وإنما الظلمة فيه وهي ذم الكفر ، وجمع الظلمات ولم يقل

ظلمة لأنها أنواع الكفر كالنفاق والشرك والمعاصي وكل واحد ذمه الحق على حدته

وقوله (ورعد) هو الوعيد وهو مفزع وإنما كانوا يفزعون لأنهم يعلمون أن رسول الله r حق (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) والرعد : الملك الموكل بالسحاب ، كان r إذا سمع الرعد يقول (سبحان من يسبح الرعد بحمد والملائكة حول العرش من خيفته) والمسمى هو الملك ويطلق على صوته ، وهو مثل الداعي للسحاب يزجرها فتنضم كالراعي إذا تفرقت الغنم زجرها لتنضم ، ثم بأمره يتراكم بعضه فوق بعض ليحمل ماء كثيراً ثم يجعله ركاماً

وأفرد الرعد للتخفيف عليهم لأنهم ضعاف يكفيهم رعد واحد فهو من الرحمة لا، الحق يرحم عباده ولو كانوا كفارا

(وبرق) صفة النبي r لأن أحواله r المبينة في كتابنا لوضوحها عندهم أحالهم فيها على ما عندهم فقال (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل) وقال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

رحماء بينهم ... الخ) ولكن لما كانت لا تثبت في قلوبهم شبهها بالبرق في سرعة الزوال ، والبرق لمعان سوط الملك

وقوله تعالى (يجعلون أصابعهم) استئناف من تمام المعنى وجمع الأصابع لأن كل واحد يجعل إصبعه في أذنه ولا يكتفي بجعل أخيه ، فإن قيل : إن جعل الإصبع في الأذن يعرفون أنه لا يبقى مدة من الزمن فما فائدته ؟ فالجواب أنها حركة يستعملونها وأنها تندفع لدفع الوهم الذي يدخل عليهم من الرعد ، فالغريق يتعلق بما لا ينجيه

وقوله (من الصواعق) قراءة تقديم القاف على العين من الصواعق كقراءة قوله تعالى (هذا يوم عصيب) بهذا يوم صعيب والصواعق الوعيد بالعقوبة العاجلة كقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم)

وقوله (حذر الموت) الحقيقي فإنهم كانوا لم يطمئنوا أن يقاتلهم الرسول (قاتلوا الذين لا يؤمنون – إلى قوله (من الذين أوتوا الكتاب)

وقوله (والله محيط بالكافرين) أي هم في القبضة ، وقدمه ليدل على أن عقوبته لهم غير مؤخرة (إن ربك لبالمرصاد) (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون) (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) وعدل عن قوله بالمنافقين إلى قوله – بالكافرين- لأنهم على تحقيق النبي وكفروا ، وكل منافق كافر ، والمراد تهديد الكفار لا خصوص المنافقين

وقوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي يكاد ما علموه من البيان الذي في القرآن الموافق لما عندهم أن يميلهم إلى الإيمان بالنبي r فيكادون أن يؤمنوا بكثرة ثبات صفات النبي عندهم و(يخطف) بقراءة كسر الطاء وفتحها

وقوله (كلما أضاء لهم مشوا فيه) تأملوا كلما ظهرت لهم صفة النبي r مشوا فيه وكادوا أن يؤمنوا ، ولم يقل سعوا لأن السعي المشي بسرعة وهم لم يسبقوا ؛ إذ لو سبقوا لآمنوا

قال تعالى (وإذا أظلم عليهم) بأن هاج عليهم داء الجسد (قاموا) بقوا قائمين لأنهم كانوا ماشين والماشي قائم ، فالمعنى وقفوا عن المشي الذي هو التأمل

يخافون أن يوقعهم في الإيمان فتزول مناصبهم ورياستهم ؛ لأنهم كانوا علماء يعلمون الناس وأصبحوا متعلمين ديناً جديداً فيصيرون أذناباً بعد أن كانوا رؤساء

" المعنى " إذا قام فيهم قائم الحسد أظلمت فهم لا يبصرون وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) أفرد السمع وجمع الأبصار لأن السمع لم يجمعوه من جميع الوجوه في أمر النبي r كما جمعوا الأبصار بالتبصر في أمره بمطالعة صفته في كتبهم ، فبذلوا الجهد في الإطلاع على أوصافه ولم يبذلوه في سماع الحق منه ، ومعناه لو شاء لعجل لهم العقوبة فأصمهم وأعمى أبصارهم الحسية كما أصمهم وأعمى أبصارهم المعنوية فلم ينتفعوا بما سمعوا وأبصروا كما قال (ولهم أعين لا يبصرون بها)

وكمن سبق في علمه تأخيرهم فأخرهم (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) ألزموا به في الدنيا والمراد بالكلمة الأجل المسمى إنه على كل شئ قدير والتسمية من الثبوت والوجود

والمراد به كل ممكن ، أي إذا شاء تعجيل العقوبة لهم فهو قادر وتأخيرهم ليس بنافع لهم ، فالتقديم والتأخير كله واحد ، قال عز وجل (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وام هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)

سؤال أول :

وجد في بعض التفاسير أن لفظة قدير خاصة بالحق وأن قادر هو الذي يطلق على الخالق والمخلوق ؟

والجواب : لا دليل على ذلك من الشرع فلا حجة إلا بنص ، ولا يلزم شئ في ذلك ■ إذ جميع الصفات المطلقة على العابد إنما هي آثار خالقهم فيهم وأوصافه أمدهم بها فهم آلة لظهور أفعاله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فأخبر أنه هو الفاعل بأيدينا فتأمل ...

سؤال ثاني :

هل ما يقدره المفسرون من كتاب الله أم لا ؟

وجوابه : أن كان أمراً محتاجاً إليه في استقامة الكلام العربي كحذف الخبر والمضاف والضمير المستتر ونحو ذلك مما يدل عليه القرآن فمن كلام الله ؛ لأن الحق يحيل العرب على لغتهم المعهودة عندهم ويخاطبهم بلسانه كقوله (قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله)

فـ(ما شاء) خبر أي هذا ما شاء الله فحذف المبتدأ ، أو كقوله في قصة إبراهيم عليه السلام (فعله كبيرهم هذا) أي هذا قولي فحذف الخبر وعني بكبيرهم ، الله جل جلاله أي الإله الكبير وهو صادق ؛ لأن الأصنام لو نطقت لقالت هو الله الذي كسرنا بيدي إبراهيم وكقوله (إنا أعطيناك الكوثر) أي أهل الكوثر فحذف المضاف

وأما إن كان التقدير مما ليس كذلك بحيث يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه فليس ذلك المقدر من كلام الله ، فإن كلام الله هو الذي قدره على قانون العرب لا الذي يقدره غيره بحسب فهمه ، فكلام الباري غني عن التقدير ؛ إذ كلام الغير غيره فلا يقدر له لأجل أ، يبين إذ هو الذي يبين المقدرات لا المقدرات بينته ،

فإن لم تفهم المقدر إلا من المذكور وهو عين البيان فلا يحتاج إلى بيان (هذا بيان للناس) (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ)

قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) ناداهم بـ(يا) التي هي للنداء على رأس البعد لغفلتهم لأن من كان بجانبك إذا كان غير غافل فلا تناديه بيا فلان ، بل تقول فلان فلان بغير أداة ، فإن لم يسمع قلت يا فلان ، والحق قريب من الخلق (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ولكن لما كانوا غائبين عنه بالغفلة بعدوا فالغيبة منهم عن الله تعالى وهو لا يغيب عنه شئ

وقوله تعالى (الناس) لم يقل بني آدم ليشمل كل واحد وإلا لم تقدم حجة ، ولان (بني آدم) فيها تشريف لأصنافهم لنسبتهم إلى خليفة الله

والمراد بهذا الامر لا التشريف ، وقال ذلك في غير هذا الموضع لينبئهم أن أصلهم طيب ، وأنهم بناء أستاذ الملائكة ، أي ينبغي لكم أن تلاحظوا أهلكم ، ولو قال الذين آمنوا لم تقدم حجة على غيرهم لكونهم غير مدعوين فالدعوة عامة (والله يدعو إلى دار السلام) أي يدعوا العباد كلهم (ويهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم) فمن لم يجب قامت عليه الحجة لكونه مدعواً ، فالعباد كلهم مدعوون بخطاب واحد والمقصودون بالذات هم الذين يجيبون من بين الخلق كلهم بفهمهم الحق بتجاوز الكلام أسماعهم إلى قلوبهم ، وغيرهم لا يتجاوز سمعهم ، وقوله (اعبداو) لأن العبادة عين الذل ولا أذل من العبد يضع جبهته لسجدة في الأرض التي سماها الحق بالذلول (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا) ولم يقل آمنوا لأن العبادة لازمة للإيمان ، ولو عبر بالإيمان لأوهم أن العبادة غير مقصودة وأمرهم بها لإقامة الحجة ، والخطاب بـ (اعبدوا) الموجودة عنده في علمه سواء أوجدت في علمنا أو لم توجد ، فهو عامل يشمل من لم يوجد من الناس ، وهو سبحانه بعض المرات يفرد المعدوم بالخطاب ويخاطب الصور الثابتة في علمه يقول لها كن فيكون ، فهو يخاطب المعدوم ويعطيه على السماع والذي سيوجد ، فالمعدوم الذي قد يكون ثابتاً في علم الله فيأتي على ذلك الوفق سواء بسواء ، فليس معدوماً إلا عند نفسه وعدنا

والعبودية والعبادة فعل العبد الطاعات ، والعبودية الإخلاص فيها لوجه الله وفعل الأمر بالله لا بنفسه

وقوله (اعبدوا) يشمل الجميع – العالي والأعلى والدون ، فكل فهم المقصود فيه مقامه ، وقد علم كل الناس مشربهم فالقرآن مرآة كل أحد يرى نفسه فيه

وقوله تعالى (ربكم) بين المعبود ، يقول إياكم أن تعبدوا الهوى وتخرجوا عن عبوديتكم الهوى الشامل لجميع الأصنام والرب : المربي والمصلح ، ولم يقل اعبدوا الله لأ، الله اسم جامع لأسماء اللطف وأسماء القهر فأتى بالرب ليجرد أسماء اللطف ، ويستعطفنا بذلك ، ويذكرنا بالنعمة علينا وليستجلبنا بالرب والتخصيص بالإضافة للتشريف ، أي رب الأميين وغيرهم الذي خلق لهم كل شئ ، وربكم أبلغ من رب العالمين ، فإنه لو قال العالمين صرتم غير مقصودين بالذات بل دخلوا من جملة العالمين ولما فيه من الاتصال بخلاف العالمين . لأن الإضافة هنا متصلة فجعلنا بجواره وهو قد أوصانا على الجار فأولى هو بذلك وهو أكرم الأكرمين

وقوله (الذي خلقكم) أي لا الأرباب التي اتخذتموها من شمس وقمر ونجوم وأحجار وغيرهم بأهوائكم فإن هذه لا منة لها عليكم بخالقيه بل بعضها لكم المنة أنتم عليها لكونكم صنعتموها

وحقيقة الخلق ما يكون بالتدريج والنقل من طور إلى طور كالنطفة كانت مفرقة في الأغذية فجمعها ثم تكون علقة ثم مضغة إلى أن تستوي بشراً . وإلا مما يقول له كن فيكون

فالجسم من عالم الخلق . والروح من عالم الأمر بجمعتهم الأمرين ، فلذلك صحت الخلافة عن الله بخلاف الملائكة فليس لهم إلا عالم الأمر

فالملك روح إلهي نوراني ركب فيه عقل يعقل به عن الله ولا جسم له ، بل ذلك الروح هو عين ذاته . والإنسان له جسم ليسكن فيه الروح . والفرق بين الإنسان ومطلق الحيوان كون الإنسان مخلوقا له كل شئ (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) وإلا فالحيوانات تعقل عن الله ولها أرواح مدبرة لأجسامها . وقوله (والذين من قبلكم) إلى أصولكم آدم فمن دونه الأرض والماء الذي قبل الأرض . وذكرنا لذلك وعده علينا إنعاماً لأنه سبب في إيجادنا ؛ إذ الولد سبب لإيجاد الولد ، فالذين من قبلنا من تمام إيجادنا بلا شك

وقوله (لعلكم تتقون) راجع إلى قوله (اعبدوا) أي اعملوا لطاعته لعلكم تصيرون أتقياء والتقي يحبه الله (إن الله يحب المتقين) ومعنى تتقون تتصلون بي اتصالاً لا انقطاع فيه ، وهو معنى الحديث :

(ما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) وفي بعض الروايات (وفؤاده الذي يعقل به) وفي رواية (فإذا أحببته كنته)

ومعنى (لعل) الترجي على بابها ، لأنه ليس كل من عبد حصلت له التقوى الموجبة محبة الله ، هذا فهي بالنظر للبعض ترجى وإن تحقق المعنى في البعض المعنى في علمه سبحانه لئلا يعتمد أحد على عبادته

(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)

وقوله (الذي جعل لكم الأرض) أورده بعد قوله (الذين من قبلكم) فإن كانت الأرض من جملة من قبلنا فهو من باب إيراد التفصيل بعد الإجمال ، وجعله عقب (تتقون) ليشير إلى أنكم إذا اتقيتموه وصار معكم وبصركم كما يليق بجلاله عرفتم ذوقا تفصيل (جعل لكم الأرض فراشا) وما بعده

ونكتة التفصيل يجعل هنا دون خلق لأن الأرض كلها لم يخلقها فراشا بل منها ما لا يصلح للفراش كبعض الحجارة فالمراد ذللها (جعل لكم الأرض ذلولا) والجعل : التسيير فجعل الأرض فراشا من كمال النعم ، فلو جعل الجميع فراشا ما عرفناه قدره ، فإن الإنسان إذا طلع العقاب الصعبة عرف نعمة الأرض المبسوطة ويضدها تتميز الأشياء

وهذا الفراش لا يحتاج إلى طي ويظهر كل يوم ولا يبلى ولا يحتاج إلى شراء ، ولا يعرف قدر الأرض على الحقيقة إلا من ركب البحر فإذا ركبه وحصل له ما حصل من الميل والدوخة وحصل له مرض بلا مرض فضلاً عن أهوال الريح الشديد ونحوه عرف قدر الأرض

ركب شيخنا سيدي عبد الوهاب التازي البحر أربعين يوماً ، فسئل : كم ركبت البحر قال : أربعين عاما ، جعل كل يوم عاما ، وكان رضي الله تعالى عنه يقول : (ليس في البحر شئ طيب إلا واحدة : تعلق القلب بالله وحده) ولقد صدق فإن الإنسان يحصل له تقطيع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى حتى إن السلطان إذا كان معك في البحر لا تعتمد عليه بل هو خائف مثلك مضطرب ، فالبحر وإن كان ركوبه فيه أهوال فالابتلاء الذي يجري النعم حسن ، فنعم الابتلاء الذي يجري التوحيد الخالص ، فراكب البحر آمن الشرك (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)

سواء نجاهم حقيقة أو أرسل لهم الريح التي يسيرون بها غير الشديدة فإنهم يشركون (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف)

لكونهم فرحوا بالريح لا بموجدها ، كأنما جاءتهم من عند نفسها ، فلذلك عاقبهم فأرسل ريحاً عاصفة ، فأصل الضلال هو الفرح بغير الله (كذلك يضل

الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) فالحق هو الله (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال)

وعبر هنا بفراشا ، وفي آخر بمهادا ، وفي آخر بذلولا ، والمعنى واحد منوع العبارة

قدم الأرض على السماء لأنها الفراش وهو الأساس فقدم على السقف وهو المراد بقوله (والسماء بناء) أي سقفا محفوظاً والمراد بالسماء هنا أجرام السماوات حقيقة إذ هي المبنية (والسماء بنيناها بأيد) فلا يقال ما علا حتى يدخل في ذلك الهواء إذ لا يعرف أنه مبنى

والمراد بالسماء ما قامت بنفسها بلا قام ولونها نعمة ، والسماء يذكرها الحق في كتابه تارة بالإفراد وتارة بالجمع ولم يذكر الأرض إلا بالإفراد وتارة بالجمع ولم يذكر الأرض إلا بالإفراد إشارة للتوحيد وإلى أن الخليفة مخلوق منها ، وحقيقة التوحيد فيه ، يوحي بذلك إلى أن الخليفة إذا لم تكن حقيقة التوحيد فيه لا فائدة في خلافته ، ولولا أن أدم قائمة به حقيقة التوحيد ما صح أن يكون معلماً

للملائكة ؛ إذ المعلم لا يجهل ما يعلمه وهو ما علمهم إلا الأسماء الإلهية بالحقيقة لأن المسميات هذه كلها آيات على الوجد الواحد

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

قدم الأرض على السماء لأمرين :

الأول : لأن السقف لا يصح إلا بعد الأساس

الثاني : لأن السماء أصلها الأرض لأنها خلقت من الدخان الذي هو البخار الصاعد من الأرض فهي نبتها ، فهذا القصر الذي فراشه الأرض وسقفه السماء خلقه الحق لنا ، ورفع سمك السماء لأن السقف كلما ارتفع وبعد عن الرأس كان أجلب للهواء النافع وأصلح للبدن لئلا تنعكس عليه الأبخرة فتؤذيه ، فلذلك قال الله (سقفا محفوظاً) أي بعيد الآفات عن العبيد

وقوله : (وأنزل من السماء ماء) المراد بالسماء هنا ما علا لأن الماء ينزل من السحاب وهو مسخر بين السماء والأرض ، وسمي الحق ما بين السماء والأرض

سماء فقال (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء) أي في الجو والماء عين الحياة

فلذلك قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أي لأن الماء حياة يحي الإنسان بالرزق الذي هو الطعام والشراب من حينه ، فإن الظمآن الجائع يحصل له وهن حتى إذا أشرف على الهلاك إلى أن يأكل ويشرب يذهب عنه ذلك من حينه ويحيا لما أودع الحق فيه من تجليه بالاسم الرزاق

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى

سبب نزول هذه السورة هو انحباس الوحي وقول المشركين إن محمداً قلاه ربه كما حرر في أسباب النزول

(والضحى) : ها هنا هو النبي محمد r وإنما سماه الله ضحى لأنه خلق من نوره تعالى كما جاء إن الله تعالى قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمداً فكانت والضحى هو ارتفاع الشمس عن القامة وهو فرد من أفراد النور لأ، النور يكون أنواعاً مختلفة وهذا منهما

وإنما اختار هذا الفرد من بين الأنوار لأن وقت الضحى هو أشرف حالات الشمس التي تكون عليها من السناء والصفاء والاستنارة ، وبين النبي وبين الشمس مناسبة ظاهرة من حيث إن الله تعالى جعل الشمس سراجاً وجعل النبي r سراجاً فقال تعالى جل جلاله في ذلك :(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)

فلما كان بينه r وبين هذه هذا الاتصال بشهادة القرآن أطلق عليه أشرف حالاتها وأجل صفاتها قال جل وعلا (والليل إذا سجى) قال أرضاه الله تعالى في عطف الليل على والضحى إشارة إلى الإسراء ، وارتفاع النبي r بأنه مخلوق من نوره أتبعه بتذكيره أمر الإسراء والقرب والوصال

والسر في القسم بهذين الأمرين أن يكون القسم في نفسه دليلا وبرهانا على المقسم عليه وهو قوله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى) وذلك أن من كان مخلوقا من نور حبيبه فهو بمنزلة الجزء منه وقد وقع بينه وبينه من القرب والوصول ما لم يقع لغيره من ابناء جنسه ، وأنه يبعد كل البعد أن يلقي وأن يهجر لا لذنب ولا لسبب فمعنى هذا القسم في نفسه بشارة للنبي r وتبيين وتأمين وهذا من مخزون الأسرار (فتبارك الله أحسن الخالقين)

ثم قال الله تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى) قال الشيخ أرضاه الله : الآخرة هنا صفة للحال الآخرة من حالة الوحي وهي الواقعة قبل الانقطاع

وذلك لأن العلة والحكمة في انحباس الوحي هي التعطش له والترغيب فيه لأننا بخبر ما كثر وتوالي من المحسوسات إذا لم يمل فأقل أحواله أنه لا يطلب أي لا تتشوق إليه النفوس ، وما جاء بعد فقده كان له من اللذة والحلاوة ما ليس في الأول وتلك مشاهدة بشهادة الوجدان

وقال جل ذكره : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الشيخ أرضاه الله تعالى : قيل إن هذه الآية أجرى آية في القرآن ، وكذلك قال النبي r ، قال : (أرضي وواحد من أمتي في النار) وكلام النبي من المعلوم أنه صدق لا يمكن تخلف مخبره وكلام الله تعالى كذلك

والحاصل أنه لا يرضى الله تعالى إلا لخروج جميع الأمة ورضاه واقع قطعاً ، وإذا أردت أن تبرزه بالبرهان العقلي وتصوره قياساً منطقياً كان هكذا : خروج الأمة من النار يرضى النبي r ، ورضي النبي r لا محالة ، وهذا من الشكل الأول

ودليل الأول : قوله r : لا أرضى

ودليل الثاني : قوله تعالى : (فترضى) ينتج من هذا خروج جميع الأمة من النار واقع لا محالة

قال تعالى (ألم يجدك يتميا فأوى)

قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : اليتيم هنا هو الذي لا نظير له على حد قول البوصيرى

حبذا عقد سؤدد وفخار		أنت في اليتيمة العصماء

وإنما كان يتيما بهذا المعنى لثبوت المزايا السابقة من بين أفراد جنسه من خلقه من نور الحق ورفعه إليه ودنوه في الظاهر والله تعالى أعلم وأكرم

إن معنى قوله : يجدك على هذا يوجدك من الإيجاد لا من الوجود أي ألم يخلقك فرداً بلا نظير (فأوى) الفاء للسببية خلقك من نوره واتصالك به آواك إليه أي ردك إليه فأنت منه إليك

ثم قال تعالى : (ووجدك ضالا فهدى)

ضلال النبي عليه الصلاة والسلام عن قدر نفسه ، وحيرته في معرفة خلقه وعنصره (فهدى) أي هداك للمعرفة بنفسك وهذا من أعظم الهدى ، لأن الشخص إذا جهل قدر نفسه فربما وضعها حيث يستحق الرقع ، أو رفعها حيث يستحق الوضع فيترتب عليه مفاسد لا تخفى ، وإذا عرف قدرها تصرف فيها بحسب المراد لمولاه (ووجدك عائلا) أي فقيرا إليه تعالى (فأغنى) أي أغناك به تعالى

(فأما اليتيم فلا تقهر) لما ذكر اليتيم سابقاً ناسب أن يرشد نبيه إلى التخلق مع اليتامى بما تخلق الله تعالى به معه

(وأما السائل) أي السائل عنا والمتعرف برحمتنا وفضلنا (فلا تنهر) أي فلا تقنطه ولا تيئسه بمعنى أنك رغبت فينا فنلت فضلنا

(وأما بنعمة ربك فحدث) شوقهم إلينا وأخبرهم عنا وعن أصلك الذي هو أصلك لعلهم يأنفون من الميل إلى حضيض السوي ، ويرفعون رؤوسهم إلى حضرة جمالنا فيميلون إلينا ميل الفرع إلى أصله ، فيعشقوننا ، وحب الوطن من الإيمان ، ولا وطن لقبضته النورية التي قال لها كوني محمداً ، وخلق أجسامهم بيديه وما أرسل الله الرسل إلا ليحببوا عباد الله في الله تعالى ويحببونه فيهم ويرغبونهم فيما يحبهم الله عليه من الأعمال والأخلاق ويذكرونهم بأيادي الله عندهم وصنائعه لديهم ، ويشفعون لدى الله فيهم ليقبلهم ، كهيئة المصلح بين العبد وسيده سواء بسواء ولا يوقفونهم مع الخوف منه ، لأنه لا يخاف المرء إلا من عدوه ، وما هناك إلى الحبيب ، بل يحذرونهم من موجب غضبه بقدر ما تمس الحاجة إليه كوضع الملح في الطعام لا غيره ، عما قليل تزجره ولكن إذا أعطيته المزجر فليكن

بقدر ما يعطي الطعام من الملح ؛ لأن الخائف كثير التلفت ، والمحب يجد السير وهو سباق وفي المثل : الخائف سيار والمحب طيار ، وخوف العبودية للربوبية لازم لا ينفك وهو وحده كاف لمن عقل والله تعالى الموفق وعليه التكلان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) قال سيدي أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه : هذه السورة عظيمة جدا وهي وسورة الضحى سورتا النبي r

وقوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) ألم للتقرير وثبوت نعمة الشرح التي أهى أعظم نعمة وذلك من وجهين :

الأول : إيتاؤه إياها

والثاني : ابتداء من الحق بلا سبق طلب منك ، ففرق بينه وبين موسى عليهما الصلاة والسلام حيث لم يعطه ذلك إلا بعد طلب بقوله : (رب اشرح لي صدري)

فهو يقول : غيرك لم يعط إلا بعد طلب ، وأنت ابتدأتك بالعطاء اعتناء بك ، والشرح يطلق على التوسيع وعلى البيان

فعلى الأول : ألم نوسع لك صدرك بنورنا حتى وسعنا ، وفي الحديث القدسي (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي الورع الموقن) ولا عبد مؤمن اتقى وأنقى وأورع منه r وعلى الثاني : ألم نبين لك حقيقتك أي بقولنا : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) فأبنا – أي أظهرنا – لك أن حقيقتك هي حقيقتنا وعنصرك هو نورنا ، والصدر أيضاً يطلق على القلب وهو المناسب للشرح بمعنى التوسيع ، ويكون مصدر أصدر وعليه : ألم نبين لك أن صدروك أي بروزك من عندنا وقبضة من نورنا فقلنا لها كوني محمداً فكانت ، وإذا عرفت ذلك عرفت نفسك ، ومن أين أنت ومن أين أصلك وحينئذ فلا أصل . أأصل منك . ولا أشرف لكونك من نور الله ليس غيره ، فلا أعظم من الله ولا أعظم ممن هو منه نوره ، وهنا معنى غدق عبق يبعد عن العقل ولا يأتي به اللسان إلا أن يفتح الله الباب حين يذاق من حضرة الوهاب وإلا فلا عبارة تبلغه كما هو

وقوله عز وجل (ووضعنا عنك وزرك) الوزر : الحمل ، ومنه (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) والمراد به ما كان يقاسيه عند نزول الوحي عليه في ابتداء الأمر فقد كان r يرغو عند نزول الوحي عليه كما يرغو البعير لثقل الوحي عليه كمال قال الله تعالى (إنا سنقلي عليك قولا ثقيلا) وقوله (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأظهر ذاته كلها لكونها كانت في ضعف المخلوقين فتثقلها الأشياء ، فإن العبد إذا كان بنفسه كان ضعيفاً كائنا ما كان ، وفي الحديث المرفوع من دعائه r (فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وعجز) أو كمال قال

فهو يعني بذلك من حيث مخلوقيته ، وأما إذا كان بربه فهو قوي وهو لتحققه بالتقوى به سبحانه وسريان القوة الإلهية فيه حينئذ يتلقى من الله بالله وتلقيه به ، والمعنى زالت مخلوقيتك بالرجوع إلى أصلك الأول الذي هو النور الإلهي ، ولما ذهبت ظلمة المخلوقية ذهب ما يترتب عليها من الكلف وجميع لوازمها

وقوله عز وجل : (ورفعنا لك ذكرك) أي بقولنا (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لا كما قال بعض المفسرين : لا أذكر إلا وتذكر معي ، فإنه معنى هزيل ضعيف جدا بالنسبة لما ذكرنا من أن المراد عين ذكر الله

وقوله : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أي الذين يرونك إنما يرون الله وقال r : " من رأى الحق " والحق هو الله . قال الشيخ صالح الجعفري :/ والمعنى فكأنما رأى الحق – أي رأى صورتي الحقيقية التي خلقني الله عليها لأن الشيطان لا يتمثل بي – أ هـ

ومن أعظم النعم على هذه الأمة قوله r : (من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) وأولياء الله تعالى من أمته يرونه دائماً ، والناس يرونهم ، فقد حصل للعامة الخير الكثير برؤية من يراه ، كما قيل : (لعلي أراكم أو أرى من يراكم) . بل منهم من يتصبن بصابون طاعته الشرعية ولم يتصبغ بلونه حتى يصير هو هو ، وذلك من فتح الله له باب المكالمة بينه وبينه من باب الولاية لا من باب الرسالة والنبوة فإنه ختم بسيدنا محمد r ولا مزاحمة ، فمن أنكر مكالمة الله بما هو وهجر حقيقة الحال فليس كذلك ووقائع الأولياء تفسر ذلك

قال بعض الأولياء : وقع لي مشاهدة تجل إلهي فقلت للحق يا رب بم نلت هذا الخير الذي أنا فيه ؟ فقال لي بمحبتك لعبدي هذا يعني شيخه ، فقلت له وبم نال عبدك هذا ما نال ؟ قال : بمتابعته رسولي وزادني الحق من عنده بلا سؤال مني : ورسولي نال ذلك برحمتي

واجتمع بعض الأولياء ، المقربين في وقتنا هذا بالنبي r . فقال له r ما لكم تزهدون في كلامي ومجالستي . فقال له : من يزهد في كلامك ومجالستك يا رسول الله ؟ قال مجالسة فلان هي مجالستي وكلامه هو كلامي . يعني بذلك بعض المحققين به والمنصفين من ورثته في عصرنا هذا ، وهذا هو الخير الجسيم الذي لا خير مثله فإن الله يقول : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)

قال الله عز وجل : (فإن مع العسر يسرا) أي لما جاهدت فينا وأنت خلق أوصلناك إلينا وجعلناك حقا ، فخرجت من عسر المخلوقية وسجنها إلى يسر الربوبية وإطلاقها

قال العارف بالله تعالى سيدي الشيخ صالح الجعفري : أي إلى التسليم لله تعالى أ هـ

وفي قوله تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي سبل جميع أسمائنا فيدخلون علينا من كل باب ، وأنت سيدهم المحيط بهم كلهم

قال الله عز وجل : (فإذا فرغت فانصب)

المعنى الأول : فإذا فرغت عمن سواه بأن فرغ به قلبك عن الأغيار فاذكرنا ناصباً نفسك منصباً لها في طلبنا ، إذ لا يصح في العرف أن يجعل الخل في الإناء المملوء زيتاً حتى يفرغ وينظف فإنه يفسد كقوله تعالى :(واذكر ربك إذا نسيت) أي نسيت غيره

والمعنى الثاني : فإذا فرغت من تجل أشهدناكه بأن شربته ذاتك وتذوقت ما فوقه فانصب مهيئاً لطلب ذلك الفوق ، فإن تجلياتنا متراكمة عليك تراكم أمواج البحر فلا تنفصل ، فنحن مفيضون عليك على الدوام ولا يقطع عنك أبدا فكن متلقياً سرمدا

وقوله : (وإلى ربك فارغب) أي لا تقنع فإن القناعة من الله حرمان بخلاف الدنيا فهي محمودة بل كن مشتاقا إلى جمالنا وتجليات كمالنا دائما أبدا سرمدا والتعبير بـ (إلى) بأ، الحق لا نهاية له ولا غاية لمجموعة ما حصل للعبد منه فهو بالنسبة إلى ما لم يحصل شئ تافه يسير ، وكأنه الآن ذاهب إليه لم يكن في شئ من تجلياته (واتبع ملة إبراهيم حنيفا) وهو يقول أي إبراهيم (إني ذاهب إلى ربي سيهدين)

فأكابر الرسل والأنبياء والأولياء كلهم كأنهم لم يحصلوا شيئاً بالنسبة إلى ما عند الله من المشاهدة العقلية ، فالحق لا يتناهي ، وهم لا يروون ، إنما يزيدهم ما وجدوه عطشاً وهياماً

قال بعض الأولياء في عصر أبي يزيد : شربت كأساً لا أرتوي بعدها أبدا

فسمع ذلك أبو يزيد فقال : هنا من يحثو بحار الكون كلها وهو فاتح فاه ويستزيد

وفي ذلك قيل :

شربت الحب كأسا بعد كأس　　　　فما نفد الشراب وما روينا

وتبارك وتعالى الله رب العالمين ، وهذا بعض الكلام على هذه السورة العظيمة ، والله الفتاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستغفار الكبير للسيد أحمد بن إدريس

أستغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه من جميع المعاصي كلها ، والذنوب والآثام ، ومن كل ذنب أذنبته عمداً وخطأ ظاهراً وباطناً قولاً وفعلا في جميع حركاتي وسكناتي وخطراتي وأنفاسي كلها دائماً أبداً سر مداً من الذنب الذي أعلم ومن الذنب الذي لا أعلم عدد ما أحاط به العلم وأحصاه الكتاب وخطه القلم وعدد ما أوجدته القدرة وخصصته الإراده ، ومداد كلمات الله كما ينبغي لجلال وجه ربنا وجماله وكماله وكما يحب ربنا ويرضى .

في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

*****

الإهداء

إلي والدنا العزيز وشيخنا ملاذنا الآمر بهذا الإنتقاء, السيد / مصطفي أحمد الشريف الإدريسي رضي الله عنه من أوراد جده صاحب اللواء المعلم بما أرشده الله ورسوله صلي الله علية وسلم سيدنا مولانا الإمام : (أحمد بن إدريس الحسني)

المغربي الفاسي الإدريس رضي الله عنه . الحسني أبا الحسيني أما , المحمدي قدماً والعلوي حكمة , العربي فصاحة وبلاغة صاحب اللواء الإدريسي , المعروف نهجة في البلدان والطريق الأحمدي الإدريسي , أمدنا الله به وبمنهجه وإتصال في طاعة الله وجده رسول الله صلي الله علية وسلم , وهذا العمل جاء ترغيباً وتقريباً لنهجة لدي أبنائه وأتباعه ومحبيه لكثرة شوقهم إلي شيخهم وإرشاداته وأوراده ورواتبه .

نفعنا الله وإياكم بما تحقق لنا علي يدي:

السيد / إدريس بن السيد مصطفي الإدريسي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوفد إلينا حوامده علي السان نبيه ومصطفاة , وجعل وصلها إلهاما لأهل حمده ممن حصل لهم الولاية والولاء , فجعل لهم الولاية ليواليهم بحمده حتي يحمدوه , ويدرج عليهم مدارج فضله حتي يلقوه ويتلقوا به من قلوبهم , معين رحمته , بيته الذي لا يسمعه سمائه ولا أرضه سواه فينهلوا منه في داره

أعظم المناهل واصدق الذواخر التي ما سلح بها عبد وازدجر التي ما سلح بها عبد وازدجر إلا ووجد الله سبحانه وتعالي ممدة ومقوية علي كل ذي قوة وجبار , فيعزة بها بعزة ويذل له كل جبار عنيد , ويقويه بها علي كل شيطان مريد , ويجعله بها في صفة أهل الصف المقربين من الأولياء والصالحين والأتقياء المقربين بولاية : يحشر المرء مع من أحب والمرء علي دين خليلة , ويرفع الملهم والذاكر بالإلهام بقول الرسول الكريم صلي الله علية وسلم : من استن سنة حسنة فله أجرها وأجرمن عمل بها فكلاهما يؤجر .

فمن هنا حرصنا علي الإذدخار بذخائر الأبرار والتسلح بأسلحتهم والإحتصان بحصونهم ولا سيما الذخر الأفخر , والكنز المطلسم المعروف بـ (كنز السعادة والرشاد لمن فاق أهل الريادة العباد) لسيدي النفس قطب دائرة التقديس مولانا الجد الإمام أحمد بن إدريس رضي الله عنه علم أهل الحقائق والدقائقى الصوفي الشرعي في علمه وعلومه , الآخذ من الكتاب نهجه ومناهجه , ومن السنة الغراء والصله وإرشاد , الملهم من جده رسول الله صلي الله علية وسلم , الناطق بما رواه عنه أفصح المناطق .

فلهذا حرصنا علي تنقيح وتحقيق كنز السعادة من عدة مراجع ولأنسابه إلي مناسيبه الحقه دون ملاحقات ومداخلات نسخة من الإملاء الموفدة من سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه إلي تلميذه عبد الله آبو المعالي التي ملحق بها العقد النفس لسيدنا أحمد أيضا , وكذلك النسخة التي أملاها السيد أحمد الشريف الإدريسي إلي الشيخ كامل الأحمدي عن والده سندا صحيحا مدققا ومراجعة إخوانه السيد شمس الدين والسيد إدريس , وكذلك النسخة التي دققها وجمعها السيد إدريس الإدريسي فلم نجد فيها إي اختلاف سواء ما توضحه للرواية بداخله .

وهذا الكنز لم تتأتى له أي كلمة في معجزات اللغة توضح له قدرا إلا كنزا , فالكنز مدرك القيمة العالية خفي المعالم لا يحصره أحدا إلا إذا رآه , وعبادات الله لا تدرك قيمتها أي عند الصراط إلا الفرق العظيم .

فإن من أقوال سيدي أحمد رضي الله عنه عن أتباع المنهج الأحمدي المحمدي :

أنه لا يعرف قدر طريقي ومنهجي مريدي إلا وقدم داخلها والأخرى خارجها أي عند الفرد أي لحظات الاحتضار .

وقد قال أيضا : إن كان مريدي صادقاً في ذكر الله خاشعاً بين يدي ربي وناداني وهو بالمشرق لناجيته ولو كان في جبل مقفل " جبل قاف " .

فهذه صلة وثيقة عهد بها سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه لمريديه وذاكري الله بمنهجه .

ومن المؤيدات التي برهنت ودللت بالعقل والمنطق العلمي الحديث علي أقوال هؤلاء الصالحين وعباد الله المقربين مدركات العلم الحديث بظهور أجهزة الاتصال العالمية المسموعة والمرئية فمثل جهاز الاتصال الصغير الذي يدعي المحمول , دلالات علي تأييد الله لعبادة وتصديقا بعضهم ببعض , وإن كان الجهاز لا يحوي سوي تيار شحن والكارت المبرمج مع القمر الصناعي برقم كود خاص يتصل أحد هذه الأجهزة بالآخر وهو في أقصي الجنوب والآخر في الشمال مادام علي اتصال بقمر صناعي موحد صنعة البشر فما بالك يا أخي بمن كان اتصالهم إرسالهم خالق العوالم , والكارت هو الأمانة التي حملها الإنسان وهي العقل

ومركز التلقي للبث هو القلب بيت الرحمن الذي وسع سعة عن السماوات والأرض .

و أنكر الكثير من الناس قديماً حدوث الشهود بين عباد اتصلوا بالله بوصال ولايته التي والت النملة السوداء علي الصخرة الصماء في الليلة الظلماء يرزقها فلا يوالي خليفته برزقه من عباده والاتصال به وبمن يعاونه في رزقه و الازدياد من طاعته كلاً فجاء الإنترنت عن طريق جهاز صنعه الإنسان إلا هو الكمبيوتر الذي لا يمثل سوي جزء من المعلوم الظاهر البشري العين والعقل .

المعلومة ومركز البث والتلقي الذي يمثله العقل في عملياته واتصاله بالقمر الصناعي الذي يستخبر في كل مكان بإرساله وبرصده للمعلومات واستقباله وبثه للأجهزة بالمشرق والآخر بالمغرب ويري المرسل المستقل بل ويسمع رسالته ويقرئها كلاهما في نفس اللحظة والثانية المرسلة فيها فكيف لمن كان أتصلهم بمن هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي علي كل شئ وهو خالقه ومدرك خوافيه أن لا يوصل ويشهد بيد قدرته بين عباده وهو القائل : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)

إلا يدركه ويجعلهم غلي اتصال وهو القائل : (مازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به , وبصره الذي يبصر به , وقدمه الذي يسري به ويده الذي يبطش بها)

فمن هنا يستدل أنه الرأي يري بعين الله , ويسمع بسمع الله ويسري بقدم الله , ويبطش بيد الله فالله موكل في جميع أمره وموكله فلا حد ولا مكان يحد حواس العبد في هذه الصورة ومن هنا نعلم ونتأكد بمدي تسخي مسخر الدنيا بأسرها لعبد الله وخليفته كي تكون طوعاً له ولأمره أن كان مع من خلقها متصل فهو يجمع أمورها بعلم الله و لبشارات الله لعباده الصالحين أعظم ممن يعده العقل بالإحاطة والمعرفة وله العظمة والكبرياء علي كل ذلك :

فقوله تعالي : (ولا يحيطون بشيء من عمله إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض) الأولياء لهم باع ومنزلة .

وقولهم عند رب العرش مقبول واعلم أخي الطالب الناهل من مناهل فيض الله علي عباده أن الله سبحانه وتعالي جعل هؤلاء رموز تدل علي عظمة عنايته بعباده وموالاته لهم حتي يقربن من طريقه ومنهج حبيبه المصطفي صلي الله علية وسلم

الدالين علي طاعته السائرين في مرضاته الراسمين إلينا أقرب مناهج الوصال وأيسرها في طي الكتاب والسنة فعليك أيها الناهج أن تقيس كل شيء ورد إليك عن أسانيده في كتاب الله وسنة الحبيب صلي الله عليه وسلم حتي تكن علي يقين بالله أوليائه وأصفيائه من خلقه , واترك إعراض المجادلين الذين جعل الله في قلوبهم مرض من أوليائه فأعرضهم عن سبيل الهدي لأنه شاقوا علي أنفسهم فشق عليهم دينهم وما هم ببالغين من مبالغهم شيء فقد قال رسولنا الأعظم صلي الله عليه وسلم : لا يجتمع الإيمان والكبر في قلب رجل واحد .

فهؤلاء تكبروا علي أهل العلم والعبادة فأعلن انه من تكبر علي العلم فقد جهل , ومن تكبر علي الطاعة فقد ضل .

أعاذنا الله وإياك يا أخي من كليهما وجعلنا وإياك في طي طاعة الله ورسوله وأتباع سائر تبعة وورثة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصفياء الله الذين صفاهم فاصطفاهم , فجعلهم له عباد وعن سواه زهاد وله فقراء وعن وسواه أغنياء فجعلهم لوحدانيته وعن ذلك مخلصين , رضي الله عنهم وأرضاهم وأرضانا بهم إلي يوم الدين أمين .

راجي عفو مولاه برحب رسول الله صلي الله عليه وسلم عبيد الله المكني بإدريس المقني السيد أحمد بن السيد مصطفي الإدريس رضي الله عنه نسج الصفاء وراية الحب الوفي .

التعارض الفكري بين المدرسة السلفية والمدرسة الصوفية ظاهر الاثر متعدد الجوانب منذ ظهور الحركات

الفكرية والمدرس

المذهبية فى اعقاب عصر صدر الاسلام على انة من المعلوم ان المنهج السلفى يعتمد جوانب

شتى من التعبد والزهادة التى تمثل قوام المنهج الصوفى وان الاخذ بما جاء فى كتاب اللة تعالى وسنة رسولة هما عماد التصوف الحققي ومناهجة العلمية والعملية والاقوال الماثورة عن ائمة هؤلاء واولك تؤكد ذلك وتدل علية وقد كان السيد بن ادريس راضى اللة عن يمثل انموذجا فريدا فى التمسك بالسنة وطريقة السلف فى شتى الشؤن والاتجهات رغم منهجة الصوفى يعرف ذلك بوضوح من

تاليفة ودروسة ومناظراتة وتاليف كبار يلاميذة السيد السنوسى والرشيد والمرغنى الذى تعبر رسالة المسماة توثيق العرى فى خير الورى عن ذلك المنهج وهو ما اوضحة بجلاء الشيخ على عبد الحق فى كتاب القصر المشيد فى التوحيد وطريقة ابرهيم الرشيد ولعلة من النماذخ النادرة لاسلوب العالم ا لمتفرد فى عصرة والمشرق فى دلالتة على منهجة واللة الموفق لاظهارمنهجة الصفى وجزاة اللة عنا خير اللهم ارضى عن ابن المصطفى وعلى المرتضى وفاطمة الفرقدة السيد احمد ابن ادريس و الحمد اللة رب العلمين ٍ

فانه غدا مسلما لدى المهتمين بدراسة الفكر الاسلامى وتاريخه إن ثمة حلقات لما تزل مفقودة في سلسله تطوره وأن هذا الفقد راجع إلى ما كان من الصراع المحتدم داخليا بين أطراف هذا الفكر أو انه نتاج لعدوان خارجي طرأ على أرض الإسلام أو هو لمحصل عملهما معا وهذة قضيه مسلمه لا يعوزها دليل 00000

وليس يصح في الأذهان شيء ﷽﷽﷽﷽ إذا احتاج النهار إلى دليل

ومن هنا كانت الدعوة ملحه إلى التنقيب والبحث والمحاوله الجاده لاعادة صياغه التاريخ الاسلامى بوجه عام وفقا لتلك الأسس و القواعد الموضوعيةالتىارساها علماؤنا الأوائل في مجال علم الحديث والرواية ومراعاة لأحدث ما انتهت إليه وسائل التأريخ الحديثة

ومازلنا كل يوم نسمع أو نقرأ لداعية يروعك ما يقدمه بين يديك كلاما ملء السمع والبصر فإذا فتشت وراء دعته ولم تجد شيئا 0ولم يقف الأمر عند هذا الحد من إهمال التنقيب وهجرة البحث الجاد وإنما تجاوز ذلك إلى العدوان على ما هو موجود وثابت بالفعل فكانت القراءات التي لا يصله بالموضوعية سبب وكانت الأفهام المجانية للسداد وكانت الأحكام الجائزة التي ألقت ستر الظلمة على كثير من الأفكار الجيدة وهمشت كثيرا من الشخصيات الرئدة التي لو وضعت داخل دائرة الضوء لأفدنا كثيرا من أفكارها وعلومها ومن هنا كانت عادية الزمان على جهود السيد احمد بن إدريس إذ كتب لها بل عليها إن تظل حبيسة في نطاق الدرويش أو مجهولة

يتبرك بها إتباع الطريقة الصوفية أو ابناؤهم اوأحفادهم الذين لايعرفون عنها

شيئالم يكن السيد احمدابن إدريس

درويشا ولا داعيا إلى دروشة وإنما كان عالمامجتهدومفكرا مجددا صاحب

دعوة كان لهاولابنائها من بعده اثر كبير في تشكيل الخريطة السياسية و الفكرية

في العالم ا لاسلامى خلال القرنين الثالث عشرالهجرى و الرابع عشر إذ تخرج

في مدرسته عدد من قادة الدعوة والإصلاح والجهاد مثل –

السنوسى في شمال أفريقيا والمرغنى في أرتيريا وشمال السودان وإبراهيم

الرشيد وشمال الصومال وعن طريق الرشيد انتقلت أفكار السيد أحمد بن

إدريس وأوراد طريقتة الصوفية إلى إن وصلت محمد بن الله الجسن(ت

1920م) في الصومال ومحمد أحمد المهدي (ت1885 م) في السودان وهما

اللذان قادا حركتي مواجهة القوى الاستعمارية والدعوة المسلحة إلى التحرر من

قيودها حيث تحولت أوراد السيد أحمد إلى شعارات يرددها الجند في قلب

القارة الأفريقية وقرنها الشرقى كما كانت تلهج بها السنة المجاهدين السنوسيين

في شمال القارة .

وفى مجاهل أفريقيا السوداء انتشر تلاميذ السيد أحمد يبشرون بالإسلام ويناهضون بعثات التبشير البابوية التي كانت تدفع بها أوربا إلى هذه المناطق الوثنية ويشار هنا إلى جهود الميرغني (مؤسس الطريقة الحتمية)تلميذ السيد أحمد ورسوله إلى هذة المناطق خاصة الحبشة وربوع اريتريا الحالية حيث أنقذ الله به الآلاف من أهلها من الوثنية وهداهم بإذنه إلى الإسلام .

وللسيد تلاميذ كثر في القارة انتشروا بين الحجاز واليمن والهند ؛ وقد قامت لأحفاده دولة في تهامة وعسير (جنوب غرب المملكة العربية السعودية)استمرت من عام ألف وثمانمائة واثنين وتسعين ؛إلى عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين ميلادية (1892-1933م.)

وهناك باحث – بالمركز الاسلامى الأفريقي بالخرطوم – يحاول الربط بين دعوة السيد أحمد بن إدريس

ودعوة الشهيد حسن البنا ؛بناء على وجود مشابه قوية وظاهرة بين أساليب الدعوة وحقيقتها عندهما لكننا لا نستطيع أن نقبل هذا الادعاء القائم على تعدد المشابه بين الدعوتين – وان كنا قد سمعنا من المشايخ حديثا عن صلات ترجحه

حتى تكون هناك دراسة علمية جادة تبين المسارب التي جرى بخا التأثير وتكشف لنا عن كيفية انتقال أثر السيد أحمد إلى الإمام الشهيد

وإذا كان السيد أحمد بن إدريس مثل هذا الأثر ثم انه خلف لنا تراثا طيبا من الكتابات في تفسير القرآن والحديث

وأصول الأحكام والفتاوى والتصوف وسوف نشير إلى ذلك تفصيلا في موضعه كما خلف لنا سيره طيبة عطرة تضرب مثالا رائعا لرجل الفكر والدعوة والجهاد ......

إذا كان الأمر كذلك فانه ليحزننا أن تظل هذة الشخصية العالمة بمعزل عن ساحة العلم والفكر الصحيح وأن تبقى جهودها مجهولة ومحجوبة عن التناول العلمي الجاد الذي يمكن لطلاب العلم والمعرفة أن يفيدوا منها .

وانه ليسعدني اليوم – إحقاقا للحق واستدراكا للفائدة وخدمة العلم أن أقدم بين يدي سدنة العلم ودعاة الحق ثمرة من أهم الثمار النافعة التي تركها لنا السيد أحمد بن إدريس ....

من الأفكار والكتب التي ذاعت في العالم الاسلامى تبركا بآثار السيد في أغلب الأحيان

إلى نطاق البحث العلمي حيث يمكن استثمار هذا الجهد والإفادة منه وتطويعه في خدمة المجتمع المسلم المعاصر....

أما نسبه الشريف

فقال لتلميذة نسبى الكتاب والسنة أنظر إلى فان وجدتني على الكتاب والسنة فقل أحمد بن إدريس على الكتاب والسنة فهذا نسبى

وكان سندة

إلى شيخه عبد الوهاب التازى والمجيدرى الشنقيطى وأبو القاسم الوزير حفظ القران وانتقل إلى جماعة القيروان بالمغرب تاركا بلدتة الصغيرة ميسور من مقاطعة عرائش بالقرب من مدينة فاس وهو منسوب إلى أشراف فاس حكام مراكش .وعزم على أداء فريضة الحج والدعوة إلى الله لإنقاذ الأمة من غفوتها وكانت دعوتة الإصلاحية بالرجوع إلى مصادر التشريع الرئيسية وإصلاح الظاهر

والباطن ونبذ البدع التي نخرت في بناء الأمة وجعلتها لقمة سائغة في أفواه الطامعين الذين أخذوا يتمرون في أرجاء أرض الإسلام ويعملون على تقسيمها فيما بينهم والأمة غافلة جاهلة ..

وقد بدأ السيد أحمد رحلته داعيا إلى الله وناشرا للعلم الصحيح عام الف ومائتين وأثنى عشر (1212 هجريه)

من فاس مارا بالجزائر وتونس وليبيا وقضى فترة في بنى غازي يلقى الدروس بمسجدهم ويروى أنه قال في أهل الجبل الأخضر وبرقة (هذة بلادنا وفيها تحيى أورادنا)...

وبلغ مصر في عام ألف ومائتين وثلاثة عشر (1213)هجرية فمكث فترة في الإسكندرية ثم أتجة إلى القاهرة

وكانت له دروس وحلقات علم بالأزهر الشريف حيث جلس بين يديه عدد كبير من الشيوخ والعلماء الأزهريين وأخذوا عنه الطريقة القادرية الادريسية

وفى القاهرة أسس السيد أحمد مصلى ..هم الآن مسجد كبير ،ومستوصف ،وجمعية خيرية باسمه في شارع مجلس الشعب في مواجهة مسجد الشيخ (محمد ماضي أبو العزايم) .

يقول السيد أحمد مصطفى الادريسى – رحمه الله – وفى نفس العام (1213) هجريه اتجه إلى مكة المكرمة

فأدرك حج ذلك العام وجلس يلقى الدروس بالحرم بباطن حجر إسماعيل ثم تحول إلى مكان بجوار بئر زمزم وأشتهرت مدرستة فأوفدت له الجموع من شتى البقاع وذهب إلى المدينة المنورة وألقى دروسا بالحرم المدني ثم بالطائف .

وفى عام (1228)هجريه أتجه إلى صعيد مصر وبمسجد سيدي بن دقيق العيد ...بقوص

ألقى بعض الدروس ثم أتجه إلى قريه الزينيه بالأقصر فأسس بها مسجده المشهور وكان يلقى به دروسه بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبين المغرب والعشاء كان يجلس بالمسجد يذكر الله سرا ..

ولما سئله بعض تلاميذة عن ذلك أملى علية (كنز السعادة والرشاد)

.وأستفاد بعلومه أهل القريةوالقرى المجاورة وكان يتردد كثيرا على قرية البياضية بالأقصر ويلقى بها الدروس وأثرة بها معلوم كما ألقى بعض الدروس بمسجد الهداليل بحجازة وبشنهور والجزيرة وبالدير باسنا

(حيث أقيم مسجد يحمل أسمه) وبوادى حميثرة بمقام سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وبمنفلوط وأسيوط وتردد على قباح بلد أو نجع بالأقصر ثم عاد الى مكه المكرمة عام(1234)هجريه مواصلا التدريس والتوجيه والإرشاد .

ويبدو ظاهرا أن السيد أحمد بن إدريس كان على خلاف شديد مع علماء مكه منذ زيارته الأولى إذ كان يعتمد الكشف أحد المصادر الرئيسيه للمعرفه

أقول للمعرفه وليس للتشريع وهذا ما أوقع الصدام بينهم فارموه بالزندقه وعملوا على إيذائه إلا ان الشريف غالبا حاكم مكه قام بحمايته منهم أنذاك وحينما فتح الوهابيون مكة عام(1803)هجريه عاملو السيد أحمد معامله

حسنه وان خالفوه في بعض أرائه وقد جرت بينه وبينهم مناظرة مشهورة (طبعت أكثر من مرة في مصر والسعودية)

وفى الزيارة الثانية لم ينج السيد أحمد من اتهامات المغرضين وإيذاء المخالفين وقد تحرج وضعه في ظروف الصراع الدائر في مكة بين أل سعود والوهابيين من جهة ؛ومحمد على وأشراف مكة والسلطنة العثمانية من جهة أخرى ؛فاضطر السيد أحمد إلى مغادرة مكة متوجها إلى اليمن بعيدا عن وشائب هذا الصراع يقول الأستاذ حسن مكي محمد أحمد واصفا رحلة السيد الأخيرة (ومر في طريقة جهة اليمن)على القنفذة – جيزان -.....

فزبيد التي مكث بها نحوا من شهرين وواصل الرحلة إلى جبل موزع حيث بايعه خلق كثير ثم عاد إلى زبيد ومكث بها نحو من تسعه أشهر ؛وكان نزولة عند السادة أل الأهدل ؛وخلال هذةالمدة ظل مجدا في الدرس والإرشاد ولم يترك ذلك يوما واحدا وخرج من زبيد إلى (وصاب) للصلح بين قبيلتين متحاربتين ومكث بها اياما عاد بعدها إلى زبيد ومر بعدد من القرى والقبائل حيث لم يغادر بلدة إلا وترك فيها تلاميذ يواصلون الدعوة لمنهجة وانتهى المطاف به عند أمير منطقة

عريش الشريف على بن حيدر بن محمود من الأشراف الذي أكرم وفادته وهيأ لة سبل الاستقرار ولكن السيد أحمد بن إدريس أثر الإقامة في بلدة صبيا بالقرب من أبى عريش .

وفى صبيا اجتمعت علية أمم غفيرة فابث فيهم السيد أحمد بن إدريس رضي اله عنه العلوم الشرعية والفقهية الحديث والتصوف والتربية والسلوك .

وأستمر السيد أحمد على هذة الحال يؤلف التلاميذ ويبعثهم في البلاد إلى إن كان مرضة الأخير الذي الزمة الفراش .وكانتى تقوم بتمريضة زوجاتة لاسيما والدة نجله سيدي عبد العالى ولما توفى إلى رحمة الله تعالى سمع صوت ضوضاء من داخل الدار فا تسلق بعض التلاميذ سور الدار كا الشيخ إبراهيم الرشيد والشيخ الهميم وكان ذلك ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى الحادى والعشرين من شهر رجب وتولى غسلة تلميذة الصالح الشيخ أحمد عثمان العقيلى وصلى على جثمانه الولى السيد يحيى بن محسن النعمى الحسنى بتقديم السيد محمد بن الأمام له ودفن صبيحة ذلك اليوم الحادى والعشرين من رجب عام ألف ومأتين

وثلاثة وخمسين هجرية (1253-1837) بصيبيا بأرض اليمن أنذاك (جنوب غرب المملكه العربية السعودية)

الآن أمطر الله على روحه سحائب الرحمات والرضوان وأفاض علينا من بحر فيضه الذاخر مدد يصلح البطن والظاهر هذة سيرة حياة سيدي أحمد بن إدريس في إيجاز شديد مناسبة للمقام وأما وصفة رحمة الله علية

فقد كان معتدل القامة أبيض اللون مربا بحمرة خفيف اللحية ملتفها وبيضاء فصيح اللسان واسع العينين قوى الجنان كامل الفطنة متوقد الذكاء رحب الصدر لا يمله جليس جوادا كريم كثير الصمت إلا عن ذكر الله تعالى صافى السريرة صادق اللهجة

قال السيد محمد الحسن الميرغنى مع شدة جمالة وتوسطة كأنة سبيكة لجين

ومن عاداتة لبس العمامة على القلنسوة وكان يرسل لها عدبة ويقصر الثياب وكان ورعا تقيا قواما لليل يطيل الصلاة فية ويشغل نهارة بالعلم والتدريس قال تلميذة القاضي حسن العاكش فى الديباج الخسروانى وعقود الدر وفى حدائق

الزهر كان فى قيامة فى صلاة الليل يستغرق الفكر فيها ويقبل عليه الأقبال الكلى حتى لو وقع حادث قريب منة لم يشعر بة قال وإذا دخل فى الصلاة ظل يضطرب فيها من الخشية مع كمال أدائها ويروون انه كان يصلى بجماعة فى منزله فاسقط جزء من المنزل فأحدث دويا فالما فرغ من صلاتة قالو له لقد سقط جزء من المنزل. قال لكيف علمتم ?قالوا سمعنا صوت سقوطه .فقال سبحان الله تصلون وتسمعون!

ومن النوافل التى كان يواظب عليها دائما ركعتا قبل الفجر قال رسول اللة خير من الدنيا وما فيها ؛وأربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده؛قال رسول اللة لم يمت الاويرى مكانه في الجنة أو يرى له رسول الله صلى الله عليه وسلم

أربع قبل العصر ؛وركعتان قبل المغرب سنة مهجورة أحياها .. وكان يقول فيهما انهما من السنه التى اماتها الناس فكان يبالغ فى إحيائها وقال رسول اللة من صلى ست ركعات بعد المغرب كتبت لة عبادة اثنا عشر سنة وقال رسول اللة من صلى بعد العشاء أربع تعادل ثوابها ليلة القدر

ويتهجد بعشر ويوتر بثلاث وإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح صلى ركعتي الإشراق ثم يصلى الضحى ثماني ركعات .

وكان يقنت طوال العام فى الركعة الأخيرة من الوتر بالقنوت المشهور بين الناس وأما قنوته فى الصبح فبدعاء أخر من أدعيه الأحمدية وهو ....

اللهم أرزقنا غاية لذة النظر إلى وجهك الكريم ؛وغاية الالشوق إلى لقائك ؛وغالية معرفتك ؛وغاية محبتك ؛وغاية مشاهدتك ؛وغاية مكالمتك ؛وغاية عافيتك ؛وغاية عنايتك ؛وغاية علومك؛وغاية أنوارك ؛وغاية هدايتك ؛وغاية توفيقك ؛وغاية رضاك الأكبر ؛وغاية أسرارك ..الغاية التى أعطيتها نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى اله عليه وسلم ..ومن كل ذلك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأن تقوينا فى كل ذلك كما قويته وتؤيدنا كم أيدته .انك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير نعم المولى ونعم النصير وصلى اللهم مولانا محمد وعلى اله فى كل لمحه ونفس عدد ما وسع علم الله والحمد لله رب العالمين.

قال شيخي وعمى السيد أحمد مصطفى رحمه الله –وجد هكذا بخط الشيخ عبد الله أبى المتعال يرويه عن شيخه (أي السيد أحمد بن إدريس).

وكان السيد يواظب على الضجعه التى بعد الفجر ويقول فيها اللهم بارك لي فى الموت وفيما بعد الموت أربعين مرة ..ثم يقول اللهم صلى وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى اله النور المذهب للنسيان بنوره فى كل لمحه ونفس عدد ما وسع علم الله .....مائه مرة إن أمكن ؛إلا فيكمل بعد صلاة الصبح أو فيم شاء الله .

ويعلق السيد أحمد مصطفى على الدعاء الأول فيقول معنى البركة فى الموت أن يتجلى الحق لروحه حتى تخرج شوقا إليه .

وكان من عاداته أن يصلى فى شهر رمضان التراويح عشر ركعات ..يقرأ فى الثماني ركعات جزء من القرآن وفى التاسعة بعد الفاتحة يقرأ سورة الكافرون ؛وفى العاشرة يقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص يكررها ثلاث

وقد أخبرن السيد أحمد –رحمه الله- أن لديه أوراقا فيها الاستدلال على ثبوت العشر ركعات فى صلاة التراويح ووعدني باطلاعى عليها إذ يخرجها من مكتبته غير اننى شغلت عنه إلى إن توفاة الله وأنا فى دولة باكستان .وكان يقنت

بعد الركوع وبعد السلام قائلا سبحان الله الملك القدوس (ثلاث)سبوح سبوح ؛قدوس قدوس ؛رب الملائكة والروح ؛ جللت السماوات بالعزة والجبروت وتعززت بالقدرة وانفردت بالوحدانية وقهرت العباد بالموت أعوذ برضاك عن سخطك وبمعافاتك من عقوباتك وبك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ..أستغفرك وأتوب اليك (ثلاث)

وهذه نبذة صفة السيد أحمد بن إدريس وعاداته ــــ رحمة الله عليه ورضوانه ــــ

وفيما يلي نذكر طائفة من أهم تلاميذة الذين تربوا بين يديه ....

1- السيد الطيب بن محمد بن إدريس ..وهوا بن أخيه ..ولد بالمغرب وقدم مع عمه إلى بلاد المشرق ورافقه فى جميع رحلاته وبعد وفاة السيد أحمد (بصبيا)عاد إلى صعيد مصر واستقر به المقام (بقنا)حيث كان يلقى الدروس بمسجدها العتيق وتوفى بها وله مزار مشهور ....وهو الآن مسجد المغربي نسبة له .

2- السيد محمد عثمان الميرغني : وهو من أوائل تلاميذ السيد أحمد وأكثرهم ملازمة له وقد أرسله السيد أحمد إلى السودان والحبشة لبث الدعوة وإرشاد المسلمين ثم استدعاه السيد ليجتمع به فى مكة المكرمة فبقى معه مدة من الزمن وكان علامة مرشدا توفى بالطائف فى شهر شوال (1268)هجريه ودفن بالمعلى

3- السيد محمد بن على السنوسى الخطابي الحسنى :أجتمع بالسيد أحمد فى مكة فأخذ عنه وتلقى على يديه الطريق وكثيرا من العلوم وهو صاحب مؤلفات عديدة وأجداده من عائله شهيرة بالجزائر تسمى أل خطاب توفى عام (1268)هجريه

4- الشيخ زيدان بن محمد :من أل القاضي (بقرية الزينيه فى صعيد مصر)اجتمع بالسيد بالزينية وصحبه إلى مكة ثم إلى اليمن وبعد وفاة أستاذه عاد إلى قريتة وله مع أخيه فى الطريق الشيخ إبراهيم الرشيد لقاءت علميه حين اجتماعهم بالزينيه

5- السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل : مفتى زبيد ولد عام (1179)هجريه وكان عالما حجة اتفق على جلاله قدره أجتمع بالسيد أحمد فى مكة المكرمة وسلك على يديه الطريق فى المعرفة بالله وتوفى فى شهر رمضان (1250)هجرية

6- الشيخ إبراهيم الرشيد بن القاضي صالح :ولد (بد ويح)بالسودان فى نصف شهر رجب (1228)هجرية اتجه الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ومنها اتجه الى اليمن واجتمع مع السيد أحمد (بصبيا)ولازمة متمسكا بإرشاداته وبعد وفاة شيخه ظل على حاله وسار على نهج الطريق الأحمدي الادريسى وكان من أكبر الدعاة اليةالناقلين لسندة حتى توفى فى الثامن من شعبان(1291)هجرية بمكة المكرمة ودفن فى نفس اليوم بالمعلى

7- الشيخ على عبد الحق القوصى :ولد عام(1201)هجرية بقوص وأجتمع بالسيد أحمد فى قريته الزينيه ورافقه الى مكة المكرمة لازم دروسه وتلقى على يدية الطريق وله مؤلفات عديدة وبعد وفاة شيخة عاد الى صعيد مصر وعمل مدرسا بأسيوط وتوفى بها عام (1292)هجرية

ومن تلاميذ السيد أحمد الأعلام الشيخ محمد المجذوب السواكنى وغيرة كثيرون ممن يضيق عن ذكرهم المقام

وللسيد أحمد بن إدريس مؤلفات كثيرة جار الزمن على كثير منها فمنها ما ذهب به التلاميذ الذين تفرقوا فى البلاد الإسلامية المترامية الأطراف ومنها ما أتت النار علية بسبب حريق شب فى دارة بعد وفاته وبقى لنا بعد ذلك مجموعه طيبه من أثارة النافع منه ما تم طبعه ومنها ما يزال مخطوطا ..

وهاهي المؤلفات الباقية بين أيدينا من مخطوط ومطبوع :

1- تفسير البسملة .

2- تفسير سورة الفاتحة .

3- ربع الحزب الأول من سورة البقرة .

4- تفسير أيةﷺإن المسلمين والمسلمات ....رضي الله عنه .

5- العز المصون فى تفسير سورة التين والزيتون.

6- تفسير سورتي الضحى والانشراح.

7- تفسير سورة الكوثر.

8- تفسير آيات متفرقة من القرآن.

9- النفحات الربانية فى شرح حديث السنة المحمدية ﷺالمعرفة رأس مالي .....رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

10-النفحات الكبرى .

11-رسالة كيمياء اليقين.

12-شرح عقيدة الأمام الشافعي.

13-شرح حصول الحقيقة بنظم أصول الطريقة للعارف بالله سلمان بن أبى القاسم الأهدل .

14-رسالة الأساس .

15-رسالة القواعد .

16-مناظرة سيدي أحمد بن إدريس وفقهاء النجدية.

17-نبذة فى الخلوة .

18-شرح حديث صل صلاة مودع.

19-شرح الأحاديث الأربعة – الدين النصيحة – إنما الأعمال بالنيات – الحلال بين والحرام بين – من حسن إسلام المرء تركة ما لا يعنية .

20-شرح قصدةالإمام الجنيد ﷺ توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر .... رضي الله عنه .

21-العقد النفيس فى نظم جواهر التدريس.

22-رسالة فى الذكر .

23-رسالة الرد على أهل الرأي.

24-خطبة فى النكاح.

25-خطبة للعيدين والاستسقاء.

26-التصوف والسلوك.

27- روح السنة .

هذا ثبت مؤلفات السيد أحمد الباقية كما أثبته حفيدة السيد أحمد مصطفى ـــرحمه الله ـــ ولدية مجموعة من رسائل السيد أحمد بن إدريس الى أصحابه ومريديه وكلها جواب أسئلة علمية وإرشاد للصحاب والمريدين.

ومن الأقوال المأثورة عن السيد أحمد بن إدريس ولها دور فى إلقاء الضوء على منهجه فى التصوف وفى الدعوة الى الله ما يلي:-

1- التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه.

2- أكبر غذاء للنفس ذكر الله تعالى .

3- الصدق هو الإيمان لأن من صدق فى قولة كان كلامه لا يرد وما أتصف القرآن بالإعجاز إلا لكونه صدقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

4- الصبر صفه مميزة للقلوب المؤمنة عما سواها.

5- الخلوة إن لم يحصل فيها الفتح يحصل فيها التنوير للمستقبل .

6- كل ما شغلك عن الله تعالى فهو شؤم .

7- إن جميع الفتن الجارية فى هذا الكون سببها مخالفة الأوامر الإلهية .

8- الحي ينعشه نقش الإبرة .

9- أما العصبية وتحزب أهلها أحزابا وتضليل بعضهم بعضا حتى أنهم ساروا كأنهم ملل مختلفة يعرف ذلك من عرف أيام الناس واطلع على مؤلفاتهم فهذا لا نرضاه وننهى كل مسلم عنه لأنهم أمه واحدة خير أمه ونبيهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة فأنى يكون التفرق والتعصب ?! ولم نزل ننهى الناس عنها .

10-وكان يتمسك كثيرا بقول القائل :

وان كنت تهوى القوم فأسلك سبلهم فما وصلوا إلا بقطع العلائق.

11-أعتقد تغنم أو سلم تسلم .

ومما أثر عنا انة كان يختم دعاء ومنجاتة لربة دئما بقولة وصلى اللة على مولانا محمد وعلى الة فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعة علم اللة والحمد اللة رب العالمين ثم يمسح وجهة بيدة

ومن ادعيتة الجامعة (الهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشا يخنا ولابنائنا ولإخواننا ولاهلينا ولمن إلة حق علينا ولجميع المسلمين الذين هم فى علمك مسلمون منذ كان العالم إلى ما نهاية اللهم اغفر لنا ولهم مقدمنا وماخرنا وما أسررنا وما انت اعلم بة منا انت المقدم وانت المؤخر لاالةلاانت ولاالة غيرك ولاحول ولاقوة الا باللة العلى العظيم

إما أقوال العلماء فى بيان مكانتة وفضلة فكثيرة سواء فى ذلك الذين عاصروة اوقراوا عنة اوفى بعض مؤلفاتة ونقتصر فى هذا المقام على ما يلى

القاضى محمد بن على الشوكانى(عرف السيد احمد بالمكاتبة واطنب فى الثناء علية فى رسالة الى مفتى زبيد السيد عبدا لرحمن لاهدل وفيها قول (استكثروا من علوم هذا السيد فانها حديثة عهد بربها) الشيخ على الأمين القاضى الشرعي ونائب رئيس وزراء السودان وعضو مجلس البعوث الاسلاميه قال فى كتاب (الاسلام وتحديات العصر) من القادة المسلمين الأحرار الأتقياء الذين دعو الى ثورة اصلاحيه العالم المتصوف الشريف السيد أحمد بن ادريس الذى رفع صوتة من الاراضى المقدسة بالدعوة الاسلامية الصحيحة والتربية الصوفية السليمة والنهضة الروحية الصادقة فانشأ جيلا من المسلمين وخرج علماء فى علوم الشريعة المختلفة وقد أشار بعض المستشرقين الى مكانة السيد احمد فى العصر الحديث ومنهم المستشرق ب 0م 0هولت الذى قال فى كتابة (من تاريخ السودان) ان السيد احمد بن ادريس كان مصلحا دينيا اراد ان يصفى العقيد الاسلاميية اى ماشاع فى عقائد المسلمين انذاك من الخرفات والدجل

والشعوزة) نقلا عن جريدة الميثاق السودانية باسم (الاخوان المسلمين)الصادرة بتاريخ 26__6-1968تحت عنوان زيارة الى (شورى)منطقة الختمية

ومن اقول تلاميذة التى تبين مكانتة بينهم واثرة فيهم مايلى

قال السيد محمد عثمان المرغنى (لوعلمت ان حلقومى يخرع الماء وشيخى غير راضى عنة لقطعتة

وقال الشيخ ابرهيم الرشيد (الهم لاتجعل لى مع سيدى احمد اسما ولارسما)

اما طريقة الصوفية التى ذكرنا سندة فيها فى اول حديثنا عنة فواضحة المعالم تقوى اللة وعلى تدبر معانى كتاب اللةوالعمل بسنة رسول اللة وقد سمى طريقتة المحمدية الاحمدية) واشتهرت بالطريقة(الأحمدية الأدريسية) وقد أنتشرت فى زمانه وعرفت فى الكثير من البلاد الأسلامية التى مر بها أو رحل اليها تلاميذة وقد تفرع عنها الكثير من الطزق الصوفية المعروفة اليوم مثل

-الطريقة السنوسية بليبيا اسسها سيدى محمد بن على السنوسى

-الطريقة الختمية بالسودان أسسها سيدى محمد عثمان الميرغنى

-الطريقة المدنية بالمغرب اسسها سيدى الشيخ محمد حسن ظافر المدنى

ولقد سجلت الطريقة بالمجلس الصوفى بمصر باسم الطريقة الأدريسيه الشاذلية وتفرعت منها كثير من الطرق فى البلاد الأفريقيه والأسيوية كالرشيدى فى مصرواندونيسيا كالدندراوية – والطريقة الجعفرية وبعض الطرق

وأول شيخ لها بالمجلس الصوفى هو الشيخ موسى أغا الملقب بموسى راسم والطريقة تلقاها عن سيدى ابراهيم الرشيد بقوص سنه 1926 هجريه وبعد وفاة الشيخ موسى تلاه العلامة الشيخ على ابو النور الجربى الذى كان مرشدا ناجحا وشيخا موفقا فاز بجدارة بتاييد الشيخ محمد البكرى شيخ المشايخ له فى أرائه الصوفية ثم تلاه فىالمشيخة السيد المرغنى الأدريسى أكبر ابناء السيد محمد الشريف وتوفى سنه 1963 ثم تلاه أخوة السيد الحسن الذى توفى سنه 1967 ثم تلاه ابنه السيد الكامل وقد طبعت أوراد الطريقة أكثر من مرة فى مصر والسودان وقدأجاز بقرأتها السيد أحمد ةبن مصطفى بن السيد عبد العال عن سندة عن محمد أبى القاسم الحجازى عن ابراهيم الرشيد عن أحمد بن

ادريس منهج محدد فى الدعوة الى الله وكان ملتزما به فى اطار مدرسته الصوفية أحسب ان تفصيله محتاج الى دراسة متأنية .

المساتى العامة لدعوة السيد أحمد بن أدريس كما ذكرها الأستاذ حسن مكى محمد أحمد فى بحث لة بعنوان السيد أحمد بن أدريس الفاسى منهجة فى الدعوة وفكرة السياسى من مطبوعات المركز الأسلامى الأفريقى بالخرطوم سنة1986 وقد حصرها فى ثمانى سمات رئيسية

1- العالمية وفى بيان هذة السمة يذكرر الأستاذ حسن مكى أن حياة السيد أحمد نفسها كانت تجسيدا رائعا لفكرة العالمية الأسلامية ةانه لا يكاد يوجد مفكر اسلامى فى عصرة فى عصر السيد أحمد يضاهيه فى مراعاة هذة الفكرة الا جمال الدين الأفغانى الذى أتى بعدة بنصف قرن من الزمان وقد أشرت فيما سبق الى طموح السيد أحمد بن أدريس فى دعوته الأصلاحية التى أرد لها أن تستعب العالم الأسلامى كله بردة الى مصادر التشريع الأولى والمجاهد فى سبيل أصلاح الظاهر والباطن لأفراده وأبعد من هذة فى الدلاله على سمه العالمية فى دعوة السيد أحمد بن أدريس قال مرة لتلاميذة اننى احب الخير لكل الناس فقال له

تلميذة متعجبا حتى الكفار قال السيد أحمد نعم أحب ان يهديهم الله الى الأسلام وقد راينا فيما عرضت انفا من سيرة حياته ما يدل على هذة السمة فى دعةته التى لا ترتبط بوطن أو حدوود وهميه فالسيد أحمد ولد فى انحاء فاس فى بلاد المغرب ورحل بين البلاد الى كانت وفاته بانحاء اليمن يضاف الى ذلك ما يشير إليه الأستاذ حسن مكى من براعة الشيخ فى أختيار تلاميذة الذين يكل اليهم بنشر دعوتة فالمرغنى من مكة وله قرابى بالسودان والحبشة والسنوسى مغربى وابراهيم الرشيد سودانى وعبد الرحمن بن سليمان الأهدل من اليمن والشيخ محمد عابد من السند ولذا ىفان دعوة السيد أحمد بن أدريس استاطعت أت تتجاوز اسرار القومية وان تفلت من قبضة الأقليمية فى زمان ظهور القومية وتجذر الشعوبية

2- ايجاد النخبة (بناء النوع)وهنا يستدل الأستاذ بما هو واضح من أختيار السيد احمد لعدد من التلاميذ وتركيزة عليهم ومتابعتهم فى البلاد التى يخرجون اليها عن طريق المراسلهٍ وبنلء هذة النخبة الخاصة من التلاميذ كان من أهم وسائل السيد أحمد فى نشر دعوتة هذا بالاضافة الى سعية بنفسة لمخاطبة

الجماهير العريض فى أنحاء البلاد التى مر بها أو مكث بها فترة من الزمن للتدريس والأرشاد

3- منهجة فى العمل مكارم الأخلاق خلوص الأعمال التفاعل مع الناس وفى هذة النقطة يحاول الأستاذ حسن ان يكشف عن حقيقة ما يدعو إليه السيد أحمد ببيان قواعد منهجة فى التربية وذلك ما بسطة السيد أحمد بنفسة فى رسالته المسماة بالقواعد

4- الأهتمام بالتبشير الأسلامى يقول الأستاذ حسن عصر بن أدريس هو عصر البوعثات التبشيرية والأرساليت المسيحية الت كانت رأس الرمح فى معركة الحركة الأستعمارية يحاول ان يستوضح هذة السمة فى دعوة السيد أحمد الخرص بما ورأة ارسله لتلميذة الميرغنى الى منطقة شرق السودان واثيوبيا حيث الصراع الشديد بين الأسلام والمسيحية ويؤكد ذلك بالعائد الملموس لجهود الميرغنى فى أنقاذ الألاف من الوثنية الى الأسلام

5- الأنطلاق من البادية الأرياف ويشير هنا الى سلوك السيد احمد وتلاميذة من بعدة فى اهتمامهم بلوادى والارياف مرعاة البساطة السكان وسهولة

التغير فيهم واستجابتهم للدعوة مما يكسبها رفعة واسعة من الارض والعد وهذة السمة تظهر بوضوح فى المرحلة الاخيرة من حياة السيبد احمد الذى ذهب بنفسة الى صعيد مصر واخذ ينتقل بين قراة لمدة خمس سنوات كما انة ختم حياتة فى منطقة عسير وهى منطقة جبلية بدوية ويشير الى ان هذة السمة مازالت تفرض نفسها فى ساحة الدعوة فقد كان حسن البنا فى مصر يركز على القرى وكانت وحدة الدعوة بالنسبة الية القرية ولم يدخل الجامعات الا بعد عشر سنوات من تاسيسة لدعوتة وكذلك تاخر دخولة المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية

6___ الاستنهاض الحضارى للمسلمين ويقصد بذلك انشاء مؤسسات اسلامية متعددة الاغراض تقوم بوضائف الدعوة والتعليم والمعاش والجهاد ويستدل فى هذا الصدد بمااقدم علية تلاميذ السيد احمد اتباع لحضة استاذهم فى نشر الدعوة من انشاء للزوايا التى كانت مراكز اشعاع ثقافى وحضارى فى كثير من البلاد الاسلاميةمن ذلك مافعلة ابراهيم الرشيدالذى عاد الى السودان بعد وفاة شيخة وافتتح اربعا وعشرين خلوة للتوجية والارشاد وجل خريخى هذة الخلاوى اصبحوا من اهل العلم والارشاد

اما السنوسى فقد توسع فى ذلك حيث انشا فى ذات عام وفاة شيخة زاوية فى مكة ثم تسع بمصر وسبعا وعشرين زاوية بليبيا وزاوية بتونس واخرىبالسودان

ولقد تميزت هذة الزوايا بمواقع سياسبة هامة فيما بعد وكانت صروحا للدعوة الاسلامية الصحيحة ونماذج حيةلها تجلى فيها

ا(الا لتزام بالاحتكام للشريعة الاسلامية

ب(انها مراكز للثقافة وتعليم القران على جميع المستويات

ج(انها رمز للنشاط الاقتصادى والانتاج الكفائى والزراعى والرعوى القائم على الاسس والجماعية التعاونية وقد امتد نشاطها الى انتاج السلاح والزخيرة

د0تمثيلها روحا جديدة فى الانقطاع للعبادة والتصوف والاستقلالية والاعتماد على التراث

ه-انها انتهت الى حركة جهادية فى مواجهة القوى الاستعمارية فيما بعد نقلا عن الاستاذ حسن مكى بتصرف يسير

7-العمل الاصلاحى المترفق لا الانقلابى ويقصد بذلك ان السيد احمد بن ادريس لم يلجا فى دعوتة الى حمل السلاح ضد التنظم الاجتماعية والسياسية فى حين انة لم يندمج فى اى منها ولم يتحالف معها

فقد حرص السيد احمد على نشر دعوتة فى سلام وعلى تنمية مجتمعة الجديد داخل رحم المجتمع القديم وحينما استعص ذلك خرج الى الاطراف حيث حرية الحركة دون رقابة أو تدخل من الأقطاب السياسية .ولا يشغب على ذلك أن البذور التى بذرها السيد أحمد قد تحولت فيما بعد الى حركات جهادية كما هو فى جهاد السنوسية وجهاد مهدى الصومال لان هذا الجهاد كان فى مواجهة القوى الاستعمارية الغربية وليس فى مواجهة قادة السياسة الداخلية من المسلمين – ويشير هنا الأستاذ حسن مكى الى أن السيد أحمد كان حريصا على توحيد المسلمين ولم يكن يود أن يكون داعى فرقة ؛وبناء هذا لم يلجأ الى اقامة مؤسسة سياسية خاصة تتم بمقتضاها بيعة شعبية واسعة وانما اكتفى بكونة مرشدا يشغل نفسة باعداد صفوة من التلاميذ اعدادا خاصا بحيث يكونون أكفاء لما يناط بهم من مهام متميزة فى الأرشاد واصلاح المجتمع .

8-الاهتمام بالذكر وبنا المسلم الذاكر : يقول الأستاذ حسن مكى اذا كان جمال الدين الأفغانى قد ركز على بناء المسلم الثائر ؛ومحمد اقبال المسلم الأيجابى ؛ووحسن البنا المسلم الحركى ؛والمودودى على المسلم الداعية .....؛فان بن ادريس كان يركز على بناء :المسلم الذاكر ...

وأحسب أن هذا أمر طبيعى بالنسبة لرجل نشأ نشأة صوفية وأصبح رأسا لطريق صوفى كان من أهم الطرق الصوفية التى أنتشرت فىعصرة

ولم تكن الجوانب الأخرى مهمله فى دعوة السيد أحمد غير أن الذكر كان هو النقطة المحورية التي قامت عليها دعوته فى بناء الفرد المسلم باعتباره لبنه فى بناء المجتمع ككل - ومن أقوال السيد المهمة لتلاميذه :(فان استطعتم ألا يفوت منكم نفسا من أنفاسه فى غير ذكر الله فافعلوا)

وبعد : فان هذة نبذة يسيرة عن حياة السيد أحمد بن إدريس ودعوتة ؛رأيت أن أقدمها بين يدي هذة الطبعة لكتاب العقد النفيس . الذى هو أهم الكتب التى بقيت لنا من أثار السيد أحمد ففيه طائفة هامة من فتاواه الفقهية الت مازلنا بحاجة الى الأهتداء بأحكامها فى مجتمعنا المعاصر .

وكنت أحب أن ألقى الضوء فى هذا المقام على بعض القضايا الهامة التى قد تكون مثار نزاع بين الناس فى فكر السيد أحمد مثل : اعتمادة الكشف باعتبارة أحد المصادر الرئيسة للمعرفة وموقفة الثابت فى معظم مؤلفاتة الباقية بين أيدينا من الأجتهاد الفقهى وان كان السيد أحمد قد بين موقفة من هاتين القضيتين فى كتابة العقد النفيس فأننى أوضح هذا الموقف فى عجالة فأقول وبالله التوفيق:

ان مسأله الكشف أو المكاشفة عبارة عما يكاشف الله به بعض عباده من معارف قد تتعلق بالعلم أو بالحياة عن طريق الرؤيا أو بما يقذف من نور عرفانى فى قلوب العباد حال اليقظه ؛وهذا ما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحديث (ان أمتى لمحدثين وان عمر لمنهم) (ان يكن من امتى محدثون فعمر منهم)

والاشكالية ليست فى أثبات الكشف أو التحديث وانما فى اعتبارة مصدرا للتشريع أو للمعرفه اليقينيه ويتعلق بذلك رؤية الرسول مناماواذا كانت هذة الرؤية فى نفسها صادقة .

وبالنسبة لاعتبار المكاشفة مصدرا للتشريع فان أحمد بن إدريس وأسلافه من الصوفية – فيما أعلم – لم يقولوا بذلك فالشريعة تمت ببلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مجال للزيادة فيها بعد انتقاله للرفبق الأعلى اليوم (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)

وانما تكون المكاشفة عندهم نورا يستضاء بة فى فهم الكتاب والسنة وفيما يتعلق بأمور الحياة وان بعض أوائل الصوفية قال أنة لتعرض على النكتة من نكت القوم فلا التفتا ليها حتى يشهدان من الكتاب والسنة

وبناء على هذا تكون المكاشفة عندهم بابا واسعا لتلقى المعارف عن اللة تعالى نورا يستضاء بة فهم العلم الحياة

إما رؤية النبي فى المنام فمحققة بنص الحديث الصحيح ولا يصحح أهل الحديث الرواية عنة مناما لان النائم غير ضبط وتلك صفة واجبة التحقيق فى راوىالصحيح ثم أنة لا حاجة إلىهذة الرواية وقد تمت الشريعة

إما أهل التصوف ومنهم السيد احمد ابن إدريس فيدرجون هذة الرؤيا فى المكاشفة ويتلقون بها الكثير من المعارف التى تتعلق بالطرق الصوفية نفسها وبأذكارها وأورادها وهم لم يلزموا أحدا بذلك على أنة شريعة وانما دعوا الية على أنة تربية وسلوك والسند فية بركة وعندما

نقرا فتاوى احمد بن إدريس نراة يعتمد اعتمادا كليا على الكتاب والسنة فيها يصدر من إحكام فقهية فإذا تحدث فى الرقائق وعلم القلوب تظهر رواية رؤى السابقين ونتعرف نتاج المكاشفات التى ان ذكرت فى معرض الفتاوى الفقهية وهذا قليل فذلك للاستئناس لا للاستدلال

إما موقف السيد احمد بن إدريس من الاجتهاد وهو ما يوكد موقفة الذي اشرنا الية من الكشف فهو موقف ثابت يرفض القول بالراى ويصرح بان الكتاب لم يترك شيئا علم ذلك من علم وجهلة من جهل والسنة عندة

شارحة للكتاب وليست قسيمة وهذا ما صرح بة السيد احمد فى 0رسالة الرد على القائلين بالراى 0 وبسطة فىاكثر من موضع الكتب وفية يقول فلا يقول العالم 0 احكم باجتهادي وأقيس عملا بقول معاذا رضىاللة عنة حين بعثة

النبي الى اليمن وقال لة بم تحكم قال بكتاب قال فان لم تجد قال فبسنة النبى قال لم تجد قال اجتهد رايى لان معاذا قال فية النبى اعلمكم بالحلال والحرام وجاء فى الحديث عانة يحشر يوم القيامة فى مقام العلماء والعلماء بعدة بقدر رتوة حجر وفى بعض روايات هذا الحديث انة قال النبى بعد ان قال اجتهد رايى فتثبت حتى تعلم او تكتب الىفلا يجوز للعالم الان ان يجتهد راية فى حكم من الاحكام او يقيس لانة يجكم بما لايعلم لما فى حديث مسلم حاكم فى الجنة وحاكمان فى النار فالذى فى الجنة رجل علم الحق وعمل بة واللذان فى النار رجل حكم بالجهل ورجل علم الحق ولم يحكم بة فهذا الذى الحكم بالجهل وان طابق الحق لكن لايعلم بة وهذا الحاكم براية اذا قلت لة اتحلف باللة العظيم انة الحق فان بذلها فلابد ان تطالبة بدليل ولا يكون الا الكتاب او السنة والأحكام عندا لسيد احمد من الكتاب او من السنة او فالأمر عفو مسكوت عنة وعلى الفقية ان يحاول معرفة الاحكام من الكتاب او السنة اوفليعترف بتقصيرةمع لزوم جانب الصمت ويجب ان يفهم هذا الموقف المعلن للسيد احمد فى اطار ظروف عصرة التى حتمت مثل هذا الراى الذى لانسطيع ان نقبلة اليوم بل اننا قد نصف اصحابة بالرجعية والجمود كما يجب ان يفهم هذا الرى فى اطار المعرفة بطاقات

السيد احمد ابن ادريس فى التعامل مع النصوص القرانية والحديثية وبالنسبة لعصرة فهو كما بين الاستاذ حسن مكى عصر الازمة التى كادت تعصف بامة القران وفية بداية حركة التمرد على الشريعة الاسلامية وبداية تسلل العلمانية على يد نظام محمد على فى مصر وهو عصر السلطان محمود الثانى الذى اخذ يقتبس من النظم الغربية فى مجال العسكرية والادرة لذا فلا عجب فى ان يذهب السيد احمد هذا المذهب الحذر فى الاجتهاد حتى لايكون اداة لتفويض الحق لمن لايستحق ولقد كان السيد احمد صادقا مع نفسة فيما ذهب الية ولسوف نتحقق من ذلك عندما نتعرف الى طاقاتة الواسعة فى التعامل مع النصوص وفى اسنطاقها الدلائل الدقيقة والاشارات الرا قية التى قد لايلتفت اليها كثير من الناس وتقصر جهودهم عن ادراكها ويكفينا ان نستدل على ذلك بما روى عن سعة باعة فى التفسير وذلك انة جلس ستة مجالس فى ثلاث ايام كل يوم مجلسين مجلسا بعد صلاة العصر الى المغرب ومجلسا بعد صلاة الصبح الى مشاء اللة من النهار وقد سالة بعض الحاضرين بعد العصر عن قولة تعالى 0ؤالذى قدر فهدى فاتى من علومة واسرارة بمااذعنت لة القلوب وابتهجت بة الاسماع وتذكر الرواية ان الرجل كان يكرر سؤالة فى مطلع كل جلسة من الجلسات الست والسيد يجيبة

بما هو اوقع فى القلوب واشدا تاثيرا فى النفوس غير ما تقدم وفى الختام

اقوللقارى الكريم هذا مبلغ جهدى فى التعريف بالسيد احمد ابن ادريس وبدعوتة

وان يكن ثمة تقصير فعذرىاننى لم تتيح لنا المصار المتفرقة بين الابناء والاتباع فى

الوطن الاسلامى واقدم لك ما هو اكثر دقةنفعنارضى اللة عنة وعن اهل البيت

اجمعين وجزاللةالنبى عنا خير جزاء والحمد اللة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على الهادي بهدى الداعي فينا يدعو الحق دائما

سرمدا لا اله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحه ونفس عدد ما وسع علم الله

يقربنا إليه منا منه لا وجوب عليه فضل عطاءومنة وصال .

الحمد لله الذي جعلنا عباد لله لا لغيره متبعين سنه نبيه سائرين لمنهجه الصافي متلقين على أيد خبراء وأدله سارو على المنهج فاعرفوا للقدر قدرة فابلغونا الميقاء .

الحمد لله الذي جعلنا بلواء محبته وأيدنا بمودتهم وسيرنا وأعطانا اعطفات فضله الذي بأن نكون محبين لهذا النبي الرقى الذي رقاه ربه وأدبه ربه وكمله ربه وعظمه ربه قبل تعظيم العوالم البشرية .

وخاطبه بأنك أنت الذكي فإنا ملتفين حول قولك وفعلك يا رسول الله نحمله في قوالبنا تستبشر بك مرا شدنا وقلوبنا نذكى به عقولنا ، انتمائنا إليك لمن لا يراك ، نسير ونعلن إننا أحببناك يا الله وأحببنا نبيك فاكتبنا عندك من المحبين لك ولنبيك اللهم قلت (أنت حبي) .

اللهم أحب وأوجد في قلوبنا وقوالبنا محبة حبيبك فثبتنا وسيرنا عليها لنتبع كتابك وسنة نبيك وسنة الخلفاء الراشدين ومشايخنا وأهل البيت .

* الصحابة *

قال تعالي كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال تعالي (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقال المولي (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) .

عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال قال رسول الله (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحد أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه) .

وكذلك قال صلي الله عليه وسلم (الناس حيز و أنا و أصحاب حيز) .

*المهاجرين *

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم الا يفعلوه ولا يقبل منكم صرف و لا عبد)

لما لا والمولي يقول في حقهم (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً وينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون) .

* الأنصار *

قد أخاهم في الدين و الدنيا وقال في حقهم المولي عز و جل (و الذين تبوأوا الدار و الإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة و من يق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وقد أيدهم رسول الله وقال في حقهم الإيمان يمان ، الإيمان في قحطان ن والقسوة في ولد عدنان ، حمير رأس العرب فنابها ومذحج هامتها وعصمتها و الأزد كاهلها وجمجمتها ، وهمدان غاربها وذروتها ، اللهم أعز الأنصار الذين أقام الله الدين بهم و الذين أووني ونصروني وحموني وهم أصحابي في الدنيا و شيعتي في الآخرة و اول من يدخل الجنة من أمتي ،

وقد أيد أهل العقبة وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد جاز العقبة) .

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حق أهل بدر (اطلع الله علي أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حق بيعة الرضوان (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد . الذين بايعوا تحتها)

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حق أبي بكر الصديق (يدخل الجنة رجل لا يبقي في الجنة أهل دار ولا غرفة إلا قالوا مرحباً إلينا فقال أبو بكر : يا رسول الله ما ثواب هذا الرجل في ذلك اليوم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : اجل أنت هو يا أبو بكر)

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حق عمر (لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي أحد فإنه عمر)

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حق عثمان (إن رسول الله دخل علي ابنته وهي تغسل رأس عثمان فقال يا بنية أحسني إلي عبد الله فإنه اشبه أصحابي بي خلقاً) .

* زيد بن حارثة و أبنه أسامة رضي الله عنهما *

هذا وفاء وحب للنبي صلي الله عليه وسلم لما لا وهو زارع الحب والصفاء في قلوبنا ، تعلموا الحب من الحب الأول وتعلموا الصفاء من نبع الصفاء

وقد كان يقال لزيد (حب رسول الله) ويقال له أيضاً (الحب بن الحب) وسماه الرسول زيداً لمحبة قريش في هذا الأسم ولم يقع في القرآن تسمية أحد بأسمه إلا هو .

وعن عائشة ما بعث رسول الله ريد في سرية إلا أمره عليها ولو بقي لاستخلفه بعده ، ولما فضله عمر عن ابنه واعترض ابن عمر قال له عمر : إن اسامة كان أحب إلي رسول الله منك وأبوه وابوه أحب إلي رسول الله من أبيك .

وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم بأخذ الحسن وزيد فيقول اللهم أحبهما فإني أحبهما ، وقال رسول الله من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة .

* عبد الله بن مسعود *

حظا ابن مسعود بخدمة نعله (يا ليتني أحظي بخدمة مثلها)

هذا هو الخادم وغدا يخدم عبد الله بن مسعود قال ابو عمر ضمه إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان يلجم عليه ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ومعه ويستره إذا أغتسل ويوقظه إذا نام وكان يقول إني سادس ستة في الإسلام وكان يقول إني لأعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم .

* أهل البيت *

أهل البيت هم أقارب النبي عليه الصلاة والسلام فمن حرمت الصدقة وهم آل عليه و آل عقيل و آل جعفر و آل عباس وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهلي من بعدي) .

كلمة السيد احمد ابن ادريس :

انت تعلم فى هذا المقام ولا ينبغلى لك ان تطاوع من يعرف من العلم الا اسمه وفى التحرى على العلماء وقد جاء الحديث ما من خليفه او امير الا وله بطاناتان بطانة خير تامر بالخير وتحس عليه وبطانه تامر بالشر وتحس عليه وعلامة بطانة الخير ان يهدى الى أميره محاسن الناس ويتقرب إليه بما ينفعه عند الله وعلامة بطانة الشر ان ينقل الى اميره معايب الناس ويتبع عورات الناس وانت يلزم عليك ان تسند امورك الى عالم قد اخذ العلم عن اهله وترتب لطالب بين يدى المشايخ وشهد له العلماء بالسبق فى المعارف وهم موجودون فى الحاضرين فى مجلسنا من هو بهذه الصفه لو سألتهم لعثرت على الحقيقه منهم ومنهم اخواننا العلماء الموجودون ام هؤلاء المطاوعة فهم يخبطون خبط عشوائى ولا يحل لك تقليدهم فى الامور الشرعيه فانهم يرون دون الفتوى والاحكام من غير طام ولا زمام

ويوجد طائفه مناهل البيت النبوى اباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تدعو الناس الى قيام فى شرعه وفيهم علماء ورثة الانبياء وناس فضلاء مالا يحصون من المتصفين بالاسلام حقا والله سبحانه وتعالى قد منع خير خلقه صلى الله عليه وسلم من دخول مكه عام الحديبيه لاجل ان يطوف بالبيت نظرا لمن

فيها من المؤمنين   قالى تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لن تعلموهم ان تطأهم فتصيبكم منهم معره من غير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلو لعذبنا الذين كفرو منهم عذابا اليما فانظر كيف منع الله رسوله من دخول مكه واهلها كفار لاجل من فيها من المؤمنين خشيه من ان تصيبهم معره

اى مشقه هذه هى نصيحه للمجادل بدون علم وخلفو ابنائه من بعده

كلمة السيد عبد المتعال ابن السيد احمد ابن ادريس :

كان السيد عظيما بقدر ما تؤدى هذه الكلمه من عظمه اذ رأيته لاول وهله شعرت باحساس عميق لا تعرف ما تاه واخذتك هيبه تلك النفس الصافيه والروح العلويه الطاهره التى تتصل بتلك الشجره الباسقه والعتره الطاهره وسرعان ما

تفى اليك نفسك اذا ما رأيت السيد الجليل ينصر الدرر فى هدوء وتواضع ووقار ويذكرك السلف الصالح ولك لا تذال ما أخذو الاعجاب والتقدير بما ترى من العلم الغزير والاطلاع الواسع والادب الكثير ادب النفس وادب الدرس ومن هنا صار ذلك الحب نافذ الفكر حاضر البد يهه صاطع البرهان يرمى بالحجه فتصيب معقل الحقيقه وتخريجها تتهدى ةتتبخر فى ثوب قشيب ناصع البياض لا لبس فبها ولا خفاء كان كوكبا دريا يسير بسناه الودلجون وشمسا ساطعه تبدد غيابهم الجهالات وتزيل ما علق بالنفوس من ران وطبع تبث فيها روح الاسلام العاليه لتشعر بالعزه والحريه زترجع الى ذكرى تلك الليام الزاهره ايام اولئك الساده الاماجد الذين سلبو ملك فارس والروم ورفعو لواء الاسلام عاليل كان عالما مرشدا برا رحيما ناصرا للحق بابه مفتوح للغريب والمسكين واليتيم يحب الفقراء لما لا وهو ابن من ومن يرث رحيق والدة ليسقي إلى أخوانة

وخلفو ابنائه من بعده

كلمه فى حق السيد محمد الشريف :

هو قطب العارفين وايمام المحققين وبقية السلف وعمدة الخلف الامام المرشد سيدى محمد الشريف تحصل العلم من صغره على حب العباده وحفظ القرآن ثم حصل على تحصيل العلوم من كبار العلماء حتى صار امام فى جميع العلوم واخذ الطريق من والده السيد عبد المتعال فترقى فى حياة والده اعلى المقامات العلميه فسار وارثه على الاطلاق فقام باعدا دالارشاد و فى شئتى فروع علم الكتاب والسنة والمعرفة وا

نقاد إليه كبار القوم واخذ وعنه الطريق القويم وكان شبيه بجده المصطفى وكان لا يغشى فى الله شئ كان رحيما برا عطوفا كريما لا يجب التعصب والحزبيه متصفا بكل فضيله وهو فرع هذه الشجره الطاهره المحمد يه حارث اصولها بنا رضيا الله عنه معالم الطريق بالديار المصريه والسودانيا فاخذو عنه خلق كثيرون وانتفعو بأرشاداته وله معالم عمرها بذكره فى الديار المصريه من

مساجد وز ويا وساحات بين الذنيه ودراو والخرطوم وام درمان وخلف ابنائه من بعده

كلمة السيد احمد الشريف :

تلك الشخصيه الفذه النادره للمثال ذللك البطل الشهم الغنى عن التعريف والمعروف بالتواضع والعفو ذلك الحبر والاسد ذو المناقب الكثيره التى لا تحصى والتى هى اشهر من ان تذكر ذلك العالم الفز الذى كان ذندا البلد وسلسلة عمودها الفقرى ومحور ارتكاذها والذى كان يجهد نفسه اكثر مما فى طاقته ويتكبد مشقه الاصلاح وارتقاء مقاماته لاصلاح ابنائه السالكين على يده واذال تلك العاداة والسخافات الجاهليه التى كانت متفشيه فى وقته وترك لنا وصيه

اقول وانا الحقير الى الله احمد الشريف قد اجزت بما قد اجزت به امر هو ان يبايع الاخوان ويعمرو حلقة الذكر واوصيه واوصى من اجتمع معه بتقوى الله تعالى وحسن الخلق والتواضع مع الاخوان وليبلغ الكلام لهم وتحمل عذابهم وان يبش فى وجوههم وان لا يتبع عورات الاخوان وان يعفو عنهم فى هفواتهم وان لا يرى لنفسه شئ من حب الرياسه عليهم واياه وحب الرياسه وان يرى ناصح يجتمع الاخوان لكلمته وان يكون امره شورى مع الاخوان واياه وحب الرياسه والتكالب على الدنيا والطمع فى الخلق والا يجعل الطريق عرضه ووسيله تصله للدنيا بالدين وانى ابأمن ذلك وانصح واياى اخوانه من تفريق كلمة المؤمنين وان يرى اخوانه فى الطريق اخوان له وان يحب كل المؤمنين قال رسول الله الحب فى الله والبغض فى الله قال تعالى واعتصمو بحبل الله جميعا ولا تفرقو واوصى الاخ فى الله تعالى التعلم ماهو مطالب بهم من عقائد اهل السنه ما هو واجب فى حق الله تعالى جائز ومستحيل وتعلم فرائض وضؤ ما تصلح به صلاته وان يجعل له وقت للتعلم والتعليم وان يحسن لاخوانه على الطاعه والتحابب والتعاون على البر والتقوى واياه واخوان من البغض والحسد والكذب والذور والغيبه والنميمه وكثرة الهو واياه والطمع فى الخلق فأنه لا اضر على الفقير من الطمع فى الخلق فانه

سيف قاطع عن الحق قال رسول الله انما عينة الخلافاء وصدرة الامناء لاقامة حدود الله واوصى الا ينسانى من صالح الدعوات والله يتولى هداى وهداة الاخوان ويصلح شاننا اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه بقدر عظمة ذاته يا احمد الفقير احمد الشريف

كلمه السيد مصطفى الشريف

الحمد الله خلع حلل العرفان على من اختارة من عباده وتوج بتاج الكرامة من اتخذه وليا وأنالة غاية مرأدة وأدنى مريد يه من حضرة الاطلاق بعد تحليهم بمكارم الاخلاق واطلعم على دقائقر السر المصون وفجر لهم من بنابيع الحكمة ما تقر بة العيون فار تاحت أرواحهم باريحية محبتة وذاقوا حلاوة القرب منت موائد حضرتة وقد عرفوة بأسمائه الحسنى وفاذوا لدية بالمقام ىالاسنى أحمده سبحانة وتعالى حمد عبد عرف حده فوقف عنده والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الخليقة وصفوة أئمة الشريعة والحقيقة الذى أوضح لنا النهج القويم الى الله تعالى بالدليل وارشدنا بجوامع كلمة الى سواء السبيل وعلى الة الذين

نتقرب بمحبتهم الية ونتمسك باذ يال أسرارهم لديه وصحبه الذين شبقونا بالايمان وعلى تابعيهم باحسان

فعن الامام على كرم الله وجهه قال: سمعت رشول الله صلى الله علية واله وسلم يقول سيخرج قومفى اخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البريه لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

واخبر صلى الله عليه واله وسلم عن المكان الذى تخرج منة والصفات التى عليها أفراد تلك الدعوه

وصدق الرسول الكريم فقد قال صلى عليه واله وسلم : (ان الله قد رفع لى الدنيا فانا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامه كانى أنظر الى كفى هذا)

وعن حذيفة رضى الله عنه قال (والله أدر أنسى أصحابى أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى واله وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معة ثلاثمائة فصاعد الاقد سماء لنا باسمة واسم أبيه قبيلته).

وعن سيدنا أبى ذر رضى الله عنه قال : تركنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مما يحرك طائر جناحه الاذكر لنا منه علما 0

ورضى الله عن سيدنا حسان بن ثابت حيث قال :

نبى يرى مالا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله فى كل مشهد

فان قال فى يوم مقالة غائب

اللهم يفظ عقولنا وبصرتا باورنا وأجمع شملنا ولا تساط علينا بذ وبنا ملا يخافك ولا ير حمنا فانت وحدك سبحان على كل شىء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

نسبه

هو أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عمر بن أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الملقب بيملع بن مشيش بن أبى بكر بن على بن حرمه بن عيسى بن سلام بن مروان بن حيدره بن محمد بن أدريس الأصغر بن أدريس الأكبر ملك المغرب بن السيد عبد الله بن السيد الحسن المثنى بن الأمام العظيم الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمام على بن أبى طالب زوج السيدة فاطمة الزهراء

سنده

وهو من أقو الأسانيد عن عبد الوهاب التازى عن عبد العزيز الدباغ عن أبو القاسم الوزير أبو الحسن الشاذلي عن عبد السلام بن مشيش عبد الرحمن

المازني عن أبى القاسم الجنيد عن الكرخى عن داوود الطائي عن الحسن البصري عن سبطي محمد رسول الله الحسن والحسين عن باب مدينه العلم على بن أبى طالب عن ختم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

القبضة

عن أحمد بن إدريس عن تلميذة السيد السنوسى عن ابوالقاسم الحجا زى عن ابنة السيد عبد المتعال

عن السيد محمد الشريف عن ابنه السيد أحمد الشريف عن السيد مصطفى الشريف

عن ابنة السيد ادريس

وقد أ

جاز من أراد هذه الأجازة بالسند المقدم لكل مريد يسلك وير تشف من رشفات المنهج المحمدي ليرقى لدرجة العلماء ورثة الأنبياء

الحصون المنيعة النبوية لسند العارفين وقطب المحققين السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه

الحصون المنيعة النبوية لسند العارفين وقطب المحققين السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله...

أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق...................... Aثلاث@

واقدم إليك بين يدي ذلك كله....

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم@ ..Aثلاثا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله...

بسم الله والحمد لله محمد رسول الله لا قوة إلا بالله بسم الله على دينى ونفسى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء بسم الله افتتحت وبالله اختتمت وعلى الله توكلت .. لا قوة إلا بالله الله اكبر Aثلاثا@ لا إله إلا الله الحليم الكريم ...لا إله إلا الله العلى العظيم ...تبارك الله رّبٌّ السّمَاوَاتِ السّبْعِ وَرَبٌّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ورب الارضيين وما بينهما وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ... عز جارك وجل ثناؤك وتبارك اسمك ولا إله غيرك أجعلني في جوارك من شر كل ذي شر ومن شر الشيطان الرجيم... إِنّ وَلِيّيَ اللّهُ الّذِي نَزّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلّى الصّالِحِينَ فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَهُوَ رَبٌّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. Aسبعا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله. الله عدتي في كل شدة ورخاء حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا............ Aسبعا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم...ما شاء الله كان وما لم

يشأ لم يكن أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ...وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ...اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ...إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ... وأقدم إليك بين يدي ذلك كله...

أعيذ نفسي وأولادي كلهم وأهلي كلهم ومالي كله وأخواني كلهم وأموالهم دائما أبدا سرمدا بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ذي العزة والجبروت من شر كل ذي شر ومن شر الجن والإنس والشياطين والسلاطين والأعراب والسباع والهوام واللصوص وكل ما خلق الله تعالي ومن الجنون والجذام والبرص والفالج والباسور والسلس والصمم والعمي والبكم وسوء الخلق وسقوط الأسنان والأضراس ووجعها وتكسيرها وتحريكها واضطرابها ومن جميع البلايا كلها والفتن ما ظهر منها وما بطن واعتصمت برب الملكوت وتوكلت على الحي الذي لا يموت... Aثلاثا@ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ...الله أكبر...Aثلاثا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله...وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .... Aثلاثا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله...

فَسُبْحَانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ... يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ... وأقدم إليك بين يدي ذلك كله...اللهم إني استودعك ديني ونفسي وعرضي وأمانتى وخواتم عملي وأهلي كلهم ومالي كله وإخواني كلهم وأموالهم دائما أبدا سرمدا في خزائن حفظك وودائعك يا من لا تضيع لديه الودائع فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله.........

أعيذ نفسى وأولادي كلهم وأهلي كلهم ومالي كله وإخواني كلهم وأموالهم دائما أبدا سرمدا بوجه الله الكريم الذي ليس شيء أكرم منه وبكلمات الله التامات المباركات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسني كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شرَ مَا يَنزِلُ مِنَ السّمَاء وشرَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وشر ما ذرأ في الأرض وشرَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن... وأقدم إليك بين يدي ذلك كله......

أعيذ نفسي وأولادي كلهم وأهلي كلهم ومالي كله وإخواني كلهم وأموالهم دائما أبدا سرمدا بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات

المباركات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله الحسني كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق ربي وبرأ وذرأ وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك...أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة....أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وأن يحضرون...ربى أعوذ بك من همزات الشياطين..وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ...... A عشر مرات@ بسم الله ذي الشأن عظيم البرهان شديد السلطان ما شاء الله كان أعوذ بالله من الشيطان Aثلاثا@ وأقدم إليك بين يدي ذلك كله....

باسم الإله الخالق الأكبر وهو حرز مانع من جميع ما نخاف منه ونحذر لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق يلجمه بلجام قدرته أحمي حميثا أطمي طمثيا وكان الله قويا عزيز..بسم الله الرحمن الرحيم...حم ...عسق... حمايتنا بسم الله الرحمن الرحيم...كهيعص... كفايتنا...فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ....ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. أحون..قاف ..أدم.. حم هاء ..أمين.. وأقدم إليك بين يدي ذلك كله ..

بسم الله الرحمن الرحيم... قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ... إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً .. أخذت بعظمة ذات الله تعالي وسمعه وبصره وقوته وقدرته وعزته وسلطانه وكلامه وقهره على جميع ذواتكم وأسماعكم وأبصاركم وقوتكم يا معشر الجن والإنس والشياطين والسلاطين والأعراب و السباع والهوام واللصوص وكل ما خلق الله تعالي سترت بيني وبينكم وبين أهلي وبينكم وبين مالي وبينكم وبين إخواني وبينكم بسترة النبوة التى استتروا بها من سطوات الفراعنة جبريل عن إيمانكم وميكائيل عن شمالكم ومحمد rAوآله@ أمامكم والله سبحانه وتعالى من فوقكم ومحيط بكم يمنعكم عني في دينى و نفسي واهلي ومالي و مالي وما علىُ و ما معي وما فوقي وما تحتى ومحيطا بي.... وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً @ A وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً@ أللهم إني استجيرك من كل شيء خلقت واحترس بك منهم وأقدم من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتى ومن داخلي ومن خارجي ومحيطا بي بوجود شهود جنود ...لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ

وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ... كما حفظت نبيك سيدنا ومولانا محمد

rAوآله@ في كل ذلك وأقدم إليك بين يدي ذلك كله

Aبِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِA @ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ @ Aاللّهُ الصّمَدُ @ Aلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ@ A وَلَمْ يَكُن لّهُ كُفُواً أَحَدٌ @ Aثلاثا@وأقدم إليك بين يدي ذلك كله@

A.اللهم إني أعوذ بعظمة ذاتك التى لا نهاية لها التى لا يعلمها سواك وأعوذ بإسمك العظيم الأعظم وأعوذ بوجهك الكريم الأكرم وأعوذ بجميع أسمائك الحسني كلها ما علمت منها وما لم أعلم وأعوذ بجميع كلماتك التامات كلها المباركات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وأعوذ بجميع ما عاذ به نبيك محمد rAوآله@ وأعوذ بجميع ماأستعاذت به أنبياءك ورسلك وملاكتك واوليائك صلوات الله وسلامه عليهم أجميعن ما علمت منها وما لم أعلم وأعوذ بجميع ما تعلم لنفسك مما لا يعلمه منك غيرك من شر نفسي ومن شر الجن والإنس والشياطين والسلاطين والأعراب والسباع والهوام واللصوص وكل ما خلق الله تعالى ومن الجنون والجذام والبرص والفالج والباسور والسلس والصمم والعمي والبكم وسوء الخلق وسقوط الأسنان والأضراس ووجعها وتكسيرها وتحريكها

واضطرابها ومن جميع البلايا كلها والفتن ما ظهر منها وما بطن ومن كل سوء ومكروه في الدنيا والآخرة

.𝔸 بسمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيم𝔸@ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ @ 𝔸اللّهُ الصّمَدُ@ 𝔸لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ @ 𝔸وَلَمْ يَكُن لّهُ كُفُواً أَحَدٌ @ 𝔸ثلاثا@ وأعيذ نفسي وأهلي كلهم ومالي كله وأخواني كلهم وأموالهم دائما أبدا سرمدا بجميع ما أعذت به من جميع ما استعذت منه وصلي الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

.𝔸انتهت الاحزاب والاوراد و الصلوات و الحصون الاحمدية الادريسية والحمد لله ولاحول ولاقوه الابالله و يلية الجزء الثالث الخاص بالحزب السيفى للامام على ابن ابى طالب علية السلام (زبرجدة آل البيت) المروى عن الامام غوث قطب دائرة التحقيق سيدى أحمد ابن إدريس قدس الله سرة تلقينا ذاتيا من حضرة الامام الاوحد صلى الله علية و القو سلم و به بعض الكلمات المضافة إختصاصا و عناية منة صلى الله علية و اله وسلم لحضرة مولانا و سندنا الامام أحمد ابن إدريس قدس الله سرة و يحتوى الجزء أيضا على الحزب المغنى المنسوب للسيد أويس القرنى رضى الله عنة و ارضاه

تقرأ المحامد الثمانية و بعدها الحزب السيفى و بعدة الحزب المغنى مجموعة واحدة بالترتيب كما اوصى بذلك الاستاذ مرة أو تكرر حسب الاستطاعة

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا

لا اله الا اللهﷺ أ النفس تبكي على الدنيا وقد علمت إن السلامة فيها ترك ما فيها لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان فبل الموت يبنيها فإن بناها بخير طاب مسكنـــه وإن بناها بشر خــاب بانيها ...أين الملـوك التي كانت مسلطنة حتى سقاها بكأس الموت

الصلاة العظيمية لسيدى احمد بن ادريس رضى الله عنه

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِ الله الْعَظِيمِ الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ الله الْعَظِيمِ وَقَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ الله الْعَظِيمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَعَلَى

آلِ نَبِيِّ الله الْعَظِيمِ بِقَدْرِ ذَاتِ الله الْعَظِيمِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ الله الْعَظِيمِ صَلاَةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الله الْعَظِيمِ تَعْظِيماً لِحَقِّكَ يَا مَوْلاَنَا يَا مُحَمَّدُ يَا ذَا الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ظَاهِراً وَبَاطِناً يَقَظَةً وَمَنَاماً وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحاً لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ يَا عَظِيمُ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على طامة الحقائق الكبرى سر الخلوة الإلهية ليلة الإسرا تاج المملكة الإلهية ينبوع الحقائق الوجودية بصر الوجود و سر بصيرة الشهود الغيبية تفصيل الإجمال الكلي الآية الكبرى فى التجلي و التدلي نفس الأنفاس الروحية كلية الأجسام الصورية عرش العروش الذاتية ، صورة الكمالات الرحمانية لوح

محفوظ علمك المخزون و سر كتابك المكنون الذى لا يمسه إلا المطهرون يا فاتحة الموجودات يا مجمع بحرى الحقائق الأزليات و الأبديات يا عين جمال الإختراعات و الإنفعالات يا نقطة مركز جميع التجليات يا عين حياة الحسن الذي طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبعات يا معنى كتاب الحسن المطلق الذي اعتكفت فى حضرته جميع المحاسن لتقرأ حروف حسنه المقيدات ، يا من أرخت حقائق الكمال كلها برقع الحجاب دون الخلق و أجمعت أن لا تنظر لغيره إلا به من جميع المكونات ، يا مصب ينابيع ثجاج الأنوار السبحاتيات الشعشانيات ، يا من تعشقت بكماله جميع المحاسن الإلهية يا ياقوتة الأزل يا مقناطيس الكمالات قد أيست العقول و الفهوم و الألسن و جميع الإدراكات أن تقرار قم مسطور كنهياتك المحمديات أو تصل إلى حقيقة مكنونات علومك اللدنيات و كيف لا يا رسول الله و مِن لوح محفوظ كنهك قرأ المقربون كلهم حقيقة التجليات صلى الله و سلم عليك يا زين البرايا يا من لو لا هو لم تظهر للعالم عين من الخفيات.

الصلاة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على مظهر العظمة الذاتية جمعية عيون الحقائق الرحموتية سر ملكوت الاسماء بالعماء قبل خلق أرض و سماء ساذج الذات الاحاطية الوجود نقطة دائرة الكمال الإلهى فى الغيب و الشهود نفخ روح النفس الرحمانى فى كليات الوجود العيانى غيب هو فى هو هو من هو هو فصلِّ اللهمَّ عليه بهو هو فى هو هو من هو هو يامن هو هو وعلى آله وصحبه وسلم.

الصلاة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إنى أسألك بجلال وجهك و عظمة ذاتك و كمال علمك و جمال اسمائك و صفاتك أن تصلي على النور الذاتى و المنظر الصفاتى مجلى الحقائق القرآنية صورة مادة التجليات الفرقانية الروح القدوسى والسر السبوحى برزخ العظمة الذاتية الحاجز بين خلقك و سبحات وجهك كل الكل فى سر كل الكل حيث الكل للكل فيوض الجمال و الجلال و الكمال من حيث لا حيث الى حيث فى حيث لا حيث فصلِّ اللهَّم عليه وسلم من حيث لا حيث الى حيث فى حيث لا حيث كما أنت حيث لا حيث عدد الأعداد المتناهية كلها من حيث انتهاؤها فى علمك من جميع الحيثيات و من حيث لا أعداد من وجوه عدم الحيثيات كلها فى مكنون علمك من غير انتهاء إنك على كا شئ قدير

الصلاة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على مولانا محمد نورك اللامع و مظهر سرك الها مع الذى طرزت بجماله الاكوان و زينت ببهجة جلاله الآوان الذى فتحت ظهور العالم من نور حقيقته و ختمت كماله بأسرار نبوته فظهرت صور الحسن من فيضه فى أحسن تقويم و لو لا هو ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم الذى ما استغاثك به جائع إلا شبع و لا ظمآن إلا روى و لا خائف إلا أمن و لا لهفان إلا أغيث و إنى لهفان مستغيثك أستمطر رحمتك الواسعة من خزائن جودك فأغثنى يا رحمن يا من إذا نظر بعين حلمه و عفوه لم يظهر فى جنب كبرياء حلمه و عظمة عفوه ذنب اغفر لى و تب على و تجاوز عنى يا كريم.

الصلاة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على الذات الكنه قبلة وجوه تجليات الكنه عين الكنه فى الكنه الجامع لحقائق كمال كنه الكنه القائم بالكنه فى الكنه للكنه صلاة لا غاية لكنهها دون الكنه وعلى آله وسلم كما ينبغى من الكنه للكنه اللهمَّ إنى أسألك بنور الأنوار الذى هو عينك لا غيرك أن ترينى وجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم كما هو عندك آمين.

الصلاة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على أم كتاب كمالات كنه الذات عين الوجود المطلق الجامع لسائر التقييدات صورة ناسوت الخلق معانى لاهوت الحق الغيب الذات و الشهادة الاسماء و الصفات الناظر بالكل فى الكل من الكل للكليات و الجزئيات كوثر سلسبيل منهل حوض مشارب جميع التجليات الملتذ بصورة نفسه فى جنة فردوس

ذاته بنظره به منه اليه فيه بحر قاموس الجمع المطمطم وطراز رداء الكبرياء المطلسم وراء الوراء بلا وراء و دون الدون بلا دون الذى لا أحد يساويه و لا فيه يدانيه كرسى الصفات و الاسماء جبل طور تجليات المسمى روح ذات الوجود مجمع حقائق اللاهوت المشهود كنز المعارف الذاتية قرآن الحقائق الالهية قوة الحوقلة و كفاية الحسبلة و رحمة البسملة عين العين الحافظ بقائم صورته كل اين حرف الغين المعجم و نقطة الحق المبهم الذى لا يتلى قرآنه إلا من حيث الحق لعجمة أحدية ذاته عن لغة الخلق عين العظمة وهاء الهوية نون الناسوت لام اللاهوت مبدأ الطل و مرجع الكل و هو الكل فى الكل بلا بعض و لا كل يا طه يا عين الحق المبين يا قلب قرآن الحقائق يا يس كلت الألسن عن تفسير جمال صفاتك و تحيرت العقول تاهت فى مهامه حقائق كنه ذاتك صلى الله العظيم عليك وسلم يا محمد بكمال أحدية ذاته و صفاته على كمال جمعية أحدية ذاتك و صفاتك

الصلاة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على بحر الحقائق الوجودية المطلقة اللاهوتية و منبع الرقائق اللطيفة المقيدة الناسوتية صورة الجمال و مطلع الجلال مجلى الألوهية و سر اطلاق الأحدية عرش استواء الذا ت وجه محاسن الصفات مزيل برقع حجاب ظلمات اللبس بطلعة شمس حقائق كنه ذاته الأنفس عن وجه تجليات الكمال الإلهى الأقدس كتاب مسطور جمع أحدية الذات الحق فى رق منشور تجليات الشئون الإلهية المسمى كثرة صورها بالخلق جانب طور الحقائق الروحية الأيمن المكلم منه موسى النفس بانا لا إله إلا أنا فى حضرة القدس يا كامل الذات ، يا جميل الذات ، يا منتهى الغايات يا نور الحق يا سراج العوالم يا محمد يا أحمد يا أبا القاسم جل كمالك أن يعبر عنه إنسان و عز جمالك أن يكون مدركاً لإنسان و تعاظم جلالك أن يخطر فى جنان صلى الله سبحانه و تعالى عليك وسلم يا رسول الله مجلى الكمالات الإلهية الأعظم.

الصلاة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على مولانا محمد سراج اقف الألوهية و معدن كنوز الأسرار الربية سر استواء الرحمانية منظر وجوه الأسماء الإلهية و مظهر سبعية الأسماء النفسية حق الحثق و نقطة دائرة إستمداد وجود الخلق مصدر الهو فى الهو للهو من الهو من نبعت فيه و منه أسرار الله لا إله إلا هو قلب قرآن الحقائق الحوقلية فى حضرة كان الله و لا شئ معه الكتاب المبين الذى ما فرط الله فيه من الحقائق الذاتية من شئ لسان كلمات الله التامات المترجم عن أسرار العشق الإلهى منا و من وراء غاية الغايات صلاة بلسان حق من حق لحق صلاة لا يتطرق إليها الاحصاء و لا يحيط بها علم مخلوق بوجه من وجوه الاستقصاء

الصلاة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على الذات الحقية القدسية و المعانى الكمالية الجلالية الجمالية قرآن حقائق الذات و فرقان تجليات الصفات عين الحياة الازلية معنى التفصيلات الأبدية روح المعانى الإلهية و سر صور المبانى الخلقية دهر الدهور و كتاب الحق المنشور معنى المكالمة الإلهية الطورية فى حضرة الوادي القدسية الموساوية نور سبحات الوجه فى جبل قاف تجليات الكنه صورة الحق و معنى سر حروف الخلق مجمع بحور الحقائق لسان ترجمان الدقائق حقيقة الحقائق الكليات و الجزئيات عرش رحمانية الذات صلاة جامعة لكل التجليات محيطة بجميع المعانى و الصوريات و على آله وصحبه وسلم.

الصلاة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على حضرات الذات مالك أزمة تجليات الصفات قطب رحى عوالم الألوهية كثيب الرؤية يوم الزور الأعظم فى مشاهدك الجنانية جبال موج بحار أحدية الذات طلسم كنوز المعارف الالهيات سدرة منتهى الاحاطيات الخلقيات الصفاتيات بيت معمور التجليات الكنهيات الذاتيات سقف مرفوع الكمالات الاسمائية بحر مسجور العلوم اللدنيات حوض الألوهية الأعظم الممد لبحار أمواج صور الكون الظاهرة من فيوض حقائق أنفاسه قلم القدرة الإلهية العظموتية الكاتب فى لوح نفسه ما كان و ما يكون من محاسن مبدعات العالم و تقلباته و جمال كل صورة إلهية و سر حقيقتها غيبا و شهادة و جلال كل معنى كمالى بدءا و اعادة لسان العلم الإلهى المطلق التالى لقرآن حقائق حسن ذاته من كتاب مكنون غيب كنه صفاته جمع الجمع و فرق الفرق من حيث لا جمع و لا فرق و لا لسان لمخلوق يبلغ الثناء عليك صلى الله وسلم يا سيدنا يا مولانا يا محمد عليك.

الصلاة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على الكنه الذاتى و القدس الصفاتى نور الأسماء و رداء الكبرياء إزار العظمة الإلهية عين الاحاطة الذاتية تجليات الغيب و الشهادة إنسان عين الحقيقة الحقية و الخلقية محمد محمود أهل الأرض و السماء و روح حياة الماء الروح الإلهى و النور البهاء رحمة الوجود و علم الشهود صلاة ذاتية أزلية أبدية ، عليه مثل ذلك.

الصلاة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على مفاتيح غيب هوية الذات بحر محيط الأسماء و الصفات مدينة علم أنانية الأحدية وجوه صفات الواحدية نقطة بحر العماء الذاتى و حسن وجوه المعنى الصفاتى غيب هوية الهويات و شهادة آنية الآنيات مجلى سلطان سر اسمك الأعظم محمد قبلة وجوه تجلياتك المعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الصلاة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ على الكمال المطلق و الجمال المحقق عين أعيان الخلق و نور تجليات فصلِّ اللهمَّ بك منك فيه عليه وسلم

الصلاة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ صلِّ و سلم على مولانا محمد و على آله عدد اللأعداد كلها من حيث انتهاؤها فى علمك ومن حيث لا أعداد من حيث احاطتك بما تعلم لنفسك من غير انتهاء إنك على كل شئ قدير.

الفاتحة للسادة الادارسة

الصلوات الست على النبي صلى الله عليه وسلم لسيدي أحمد بن إدريس

قدس الله سره

هذه الصلوات الست لسيدي العارف الكبير والولي الشهير بحر الشريعة والطريقة والحقيقة سيدي أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية التي هي فرع من الطريقة الشاذلية شيخ المرشد الكامل سيدي إبراهيم الرشيد أجل

خلفائه وأفضل الناشرين لطريقته. أما الصلاة الأولى فقد تلقنها سيدي أحمد بن إدريس من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة مرة وبواسطة سيدنا الخضر عليه السلام مرة أخرى فقد حدثني الشيخ الكامل العالم العامل سيدي الشيخ إسماعيل النواب المقيم في مكة المشرفة عن شيخه بركة الوجود سيدي الشيخ إبراهيم الرشيد عن شيخه الأستاذ الأعظم سيدنا أحمد ابن إدريس أنه لقنه صلى الله عليه وسلم بنفسه أوراد الطريقة الشاذلية وأعطاه أوراداً جليلة وطريقة تسليكية خاصة وقال له من انتمى إليك فلا أكله إلى ولاية غيري ولا إلى كفالته بل أنا وليه وكفيله قال سيدي أحمد رضي الله عنه اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الخضر أن يلقنني أوراد الطريقة الشاذلية فلقننيها بحضرته ثم قال صلى الله عليه وسلم للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثواباً وأكثر عدداً فقال له أي شيء هو يا رسول الله فقال: قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ الله. فقالها وقلتها بعدهما وكررها صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ثم قال قل اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم إلى آخر الصلاة العظيمية. ثم قال له قل: أَسْتَغْفِرُ

اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا وَالذُّنُوبِ وَالآثَامِ وَمِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ عَمْداً وَخَطَأً ظَاهِراً وَبَاطِناً قَوْلاً وَفِعْلاً فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي وَخَطَرَاتِي وَأَنْفَاسِي كُلِّهَا دَائِماً أَبَداً سَرْمَداً مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي أَعْلَمُ وَمِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لاَ أَعْلَمُ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ وَأَحْصَاهُ الْكِتَابُ وَخَطَّهُ الْقَلَمُ وَعَددَ مَا أَوْجَدَتْهُ الْقُدْرَةُ وَخَصَّصَتْهُ الإِرَادَةُ وَمِدَادَ كَلِمَاتِ الله كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِ رَبِّنَا وَجمَالِهِ وَكَمَالِهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى. وهذا هو الاستغفار الكبير فقالهما الخضر على نبينا وعليه السلام وقلتهما بعدهما وقد كسيت أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمية والاستغفار الكبير قال سيدي أحمد قدس سره ثم لقنها إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غير واسطة فصرت ألقن المريدين كما لقنني به صلى الله عليه وسلم ومرة قال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله خزنتها لك يا أحمد ما سبقك إليها أحد علمها أصحابك يسبقون بها وكان رضي الله عنه يقول أملى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحزاب من

لفظه وكان يقول أخذنا العلم من أفواه الرجال كما تأخذون ثم عرضناه على الله والرسول فما أثبته أثبتناه وما نفاه نفيناه انتهى ما حدثني به الشيخ المذكور وقراه وأنا أسمع من رسالته التي ألفها في ترجمة سيدي أحمد بن إدريس المطبوعة على هامش أحزابه وصلواته الشريفة وأخبرني أنه سمع ما فيها من سيدي الشيخ إبراهيم الرشيد مراراً يرويها عن سيدي أحمد بن إدريس وأما الصلوات الخمس الأخرى فإني اخترتها يقول يوسف بن إسماعيل النبهاني من أربع عشرة صلاة له. وقد قال قدس الله سره أن هذه الصلوات قد استوت على عرش الأنوار. وأرجلهن متدليات على كرسي الأسرار. تصلين في كتاب الكمالات المحمدية. بقرآن الحقائق الأحمدية. قد طلعت في سموات العلا شمسها. وارتفع عن وجه الكمال المحمدي نقابها. وبحرها في الحقائق الإلهية زاخر. ولهن في القسمة من المعارف المحمدية حظ وافر. خذهن إليك يا من أراد أن يسبح في كوثر النور المحمدي. وجل في عجائب معانيها يا من يبتغي الاغتراف من البحر الأحمدي. تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات. وتفسر لك بعض نقش حروف آياته البينات. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ا.هـ. نقلت هذه العبارة يقول يوسف بن إسماعيل النبهاني بحروفها مع الصلوات من مجموعة أحزاب أحمد بن

إدريس المطبوعة في القسطنطينية بتصحيح سيدي الشيخ إسماعيل النواب السابق ذكره وقد قرأتها عليه في مجلس واحد وأجازني بها بروايته عن الشيخ إبراهيم الرشيد عن مؤلفها

الصلاة الأولى

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِ الله الْعَظِيمِ الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ الله الْعَظِيمِ وَقَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ الله الْعَظِيمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَعَلَى آلِ نَبِيِّ الله الْعَظِيمِ بِقَدْرِ ذَاتِ الله الْعَظِيمِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ الله الْعَظِيمِ صَلاَةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الله الْعَظِيمِ تَعْظِيماً لِحَقِّكَ يَا مَوْلاَنَا يَا مُحَمَّدُ يَا ذَا الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ظَاهِراً وَبَاطِناً يَقَظَةً وَمَنَاماً وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحاً لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ يَا عَظِيمُ.

الصلاة الثانية

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى طَامَّةِ الْحَقَائِقِ الْكُبْرَى. سِرِّ الْخَلْوَةِ الإِلَهِيَّةِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ. تَاجِ الْمَمْلَكَةِ الإِلَهِيَّةِ. يَنْبُوعِ الْحَقَائِقِ الْوُجُودِيَّةِ. بَصَرِ الْوُجُودِ. وَسِرِّ بَصِيرَةِ الشُّهُودِ. حَقِّ

الْحَقِيقَةِ الْعَيْنِيَّةِ. وَهُوِيَّةِ الْمَشَاهِدِ الْغَيْبِيَّةِ. تَفْصِيلِ الإِجْمَالِ الْكُلِّيِّ. الآيَةِ الْكُبْرَى فِي التَّجَلِّي وَالتَّدَلِّي. نَفَسِ الأَنْفَاسِ الرُّوحِيَّةِ. كُلِّيَّةِ الأَجْسَامِ الصُّورِيَّةِ. عَرْشِ الْعُرُوشِ الذَّاتِيَّةِ. صُورَةِ الْكَمَالاَتِ الرَّحْمَانِيَّةِ. لَوْحِ مَحْفُوظِ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ. وَسِرِّ كِتَابِكَ الْمَكْنُونِ. الَّذِي لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ. يَا فَاتِحَةَ الْمَوْجُودَاتِ. يَا جَامِعَ بَحْرَيِ الْحَقَائِقِ الأَزَلِيَّاتِ وَالأَبَدِيَّاتِ. يَا عَيْنَ جَمَالِ الاخْتِرَاعَاتِ وَالانْفِعَالاَتِ. يَا نُقْطَةَ مَرْكَزِ جَمِيعِ التَّجَلِّيَاتِ. يَا عَيْنَ حَيَاةِ الْحُسْنِ الَّذِي طَارَتْ مِنْهُ رَشَاشَاتٌ. فَاقْتَسَمَتْهَا بِحُكْمِ الْمَشِيئَةِ الإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ الْمُبْدِعَاتِ. يَا مَعْنَى كِتَابِ الْحُسْنِ الْمُطْلَقِ الَّذِي اعْتَكَفَتْ فِي حَضْرَتِهِ جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ لِتَقْرَأَ حُرُوفَ حُسْنِهِ الْمُقَيَّدَاتِ. يَا مَنْ أَرْخَتْ حَقَائِقُ الْكَمَالِ كُلُّهَا بُرْقُعَ الْحِجَابِ دُونَ الْخَلْقِ وَأَجْمَعَتْ أَنْ لاَ تَنْظُرَ لِغَيْرِهِ إِلاَّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْمُكَوَّنَاتِ. يَا مَصَبَّ يَنَابِيعِ ثَجَّاجِ الأَنْوَارِ السُّبْحَانِيَّاتِ الشَّعْشَعَانِيَّاتِ. يَا مَنْ تَعَشَّقَتْ بِكَمَالِهِ جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ الإِلَهِيَّاتِ. يَا يَاقُوتَةَ الأَزَلِ يَا مَغْنَاطِيسَ الْكَمَالاَتِ. قَدْ أَيِسَتِ الْعُقُولُ وَالْفُهُومُ وَالأَلْسُنُ وَجَمِيعُ الإِدْرَاكَاتِ. أَنْ تَقْرَأَ رُقُومَ مَسْطُورِ كُنْهِيَّاتِكَ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَوْ تَصِلَ إِلَى حَقِيقَةِ مَكْنُونَاتِ عُلُومِكَ اللَّدُنِّيَّاتِ. وَكَيْفَ لاَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمِنَ لَوْحِ مَحْفُوظِ كُنْهِكَ قَرَأَ الْمُقَرَّبُونَ كُلُّهُمْ حَقِيقَةَ التَّجَلِّيَاتِ.

صَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْبَرَايَا يَا مَنْ لَوْلاَ هُوَ لَمْ تَظْهَرْ لِلْعَالَمِ عَيْنٌ مِنَ الْخَفِيَّاتِ.

الصلاة الثالثة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ نُورِكَ اللاَّمِعِ. وَمَظْهَرِ سِرِّكَ الْهَامِعِ. الَّذِي طَرَّزْتَ بِجَمَالِهِ الأَكْوَانَ. وَزَيَّنْتَ بِبَهْجَةِ جَلاَلِهِ الأَوَانَ. الَّذِي فَتَحْتَ ظُهُورَ عَالَمِ مِنْ نُورِ حَقِيقَتِهِ. وَخَتَمْتَ كَمَالَهُ بِأَسْرَارِ نُبُوَّتِهِ. فَظَهَرَتْ صُوَرُ الْحُسْنِ مِنْ فَيْضِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. وَلَوْلاَ هُوَ مَا ظَهَرَتْ لِصُورَةٍ عَيْنٌ مِنَ الْعَدَمِ الرَّمِيمِ. الَّذِي مَا اسْتَغَاثَكَ بِهِ جَائِعٌ إِلاَّ شَبِعَ وَلاَ ظَمْآنٌ إِلاَّ رَوِيَ وَلاَ خَائِفٌ إِلاَّ أَمِنَ وَلاَ لَهْفَانٌ إِلاَّ أُغِيثَ وَإِنِّي لَهْفَانٌ مُسْتَغِيثُكَ أَسْتَمْطِرُ رَحْمَتَكَ الْوَاسِعَةَ مِنْ خَزَائِنِ جُودِكَ فَأَغِثْنِي يَا رَحْمَنُ يَا مَنْ إِذَا نَظَرَ بِعَيْنِ حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ لَمْ يَظْهَرْ فِي جَنْبِ كِبْرِيَاءِ حِلْمِهِ وَعَظَمَةِ عَفْوِهِ ذَنْبٌ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ وَتَجَاوَزْ عَنِّي يَا كَرِيمُ.

الصلاة الرابعة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَيْنِ بَحْرِ الْحَقَائِقِ الْوُجُودِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ اللاَّهُوتِيَّةِ. وَمَنْبَعِ الرَّقَائِقِ اللَّطِيفَةِ الْمُقَيَّدَةِ النَّاسُوتِيَّةِ. صُورَةِ الْجَمَالِ. وَمَطْلَعِ الْجَلاَلِ. مَجْلَى الأُلُوهِيَّةِ. وَسِرِّ

إِطْلاَقِ الأَحَدِيَّةِ. عَرْشِ اسْتِوَاءِ الذَّاتِ. وَجْهِ مَحَاسِنِ الصِّفَاتِ. مُزِيلِ بُرْقُعِ حِجَابِ ظُلُمَاتِ اللَّبْسِ بِطَلْعَةِ شَمْسِ حَقَائِقِ كُنْهِ ذَاتِهِ الأَنْفَسِ. عَنْ وَجْهِ تَجَلِّيَاتِ الْكَمَالِ الإِلَهِيِّ الأَقْدَسِ. كِتَابِ مَسطُورِ جَمْعِ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ الْحَقّ. فِي رَقٍّ مَنْشُورِ تَجَلِّيَاتِ الشُّؤُونِ الإِلَهِيَّةِ الْمُسَمَّى كَثْرَةُ صُوَرِهَا بِالْخَلْقِ. جَانِبِ طُورِ الْحَقَائِقِ الرُّوحِيَّةِ الأَيْمَنِ الْمُكَلَّمِ مِنْهُ مُوسَى النَّفْسِ. بِأَنَا الله لاَ إِلَهِ إِلاَّ أَنَا فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ. يَا كَامِلَ الذَّاتِ يَا جَمِيلَ الصِّفَاتِ يَا مُنْتَهَى الْغَايَاتِ يَا نُورَ الْحَقِّ يَا سِرَاجَ الْعَوَالِمِ يَا مُحَمَّدُ يَا أَحْمَدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ جَلَّ كَمَالُكَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانٌ وَعَزَّ جَمَالُكَ أَنْ يَكُونَ مُدْرَكاً لإِنْسَانٍ. وَتَعَاظَمَ جَلاَلُكَ أَنْ يَخْطُرَ فِي جَنَانٍ. صَلَّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْكَ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ الله يَا مَجْلَى الْكَمَالاَتِ الإِلَهِيَّةِ الأَعْظَمِ.

الصلاة الخامسة

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سُلْطَانِ حَضَرَاتِ الذَّاتِ. مَالِكِ أَزِمَّةِ تَجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِ. قُطْبِ رَحَى عَوَالِمِ الأُلُوهِيَّةِ. كَثِيبِ الرُّؤْيَةِ يَوْمَ الزَّوْرِ الأَعْظَمِ فِي مَشَاهِدِكَ الْجِنَانِيَّةِ. جِبَالِ مَوْجِ بِحَارِ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ. طِلَّسْمِ كُنُوزِ الْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّاتِ. سِدْرَةِ مُنْتَهَى الإِحَاطِيَّاتِ الْخَلْقِيَّاتِ الصِّفَاتِيَّاتِ. بَيْتِ مَعْمُورِ التجليات الْكُنْهِيَّاتِ الْذَّاتِيَّاتِ. سَقْفِ مَرْفُوعِ الْكَمَالاَتِ الأَسْمَائِيَّةِ بَحْرِ مَسْجُورِ الْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّاتِ. حَوْضِ الأُلُوهِيَّةِ

الأَعْظَمِ الْمُمِدِّ لِبِحَارِ أَمْوَاجِ صُوَرِ الْكَوْنِ الظَّاهِرَةِ مِنْ فُيُوضِ حَقَائِقِ أَنْفَاسِهِ قَلَمِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ الْعُظْمَوِيَّةِ الْكَاتِبِ فِي لَوْحِ نَفْسِهِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنْ مَحَاسِنِ مُبْدَعَاتِ الْعَالَمِ وَتَقَلُّبَاتِهِ وَجَمَالِ كُلِّ صُورَةٍ إِلَهِيَّةٍ وَسِرِّ حَقِيقَتِهَا غَيْباً وَشَهَادَةً. وَجَلاَلِ كُلِّ مَعْنًى كَمَالِيٍّ بَدْأً وَإِعَادَةً. لِسَانِ الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ الْمُطْلَقِ التَّالِي لِقُرْآنِ حَقَائِقِ حُسْنِ ذَاتِهِ. مِنْ كِتَابِ مَكْنُونِ غَيْبِ كُنْهِ صِفَاتِهِ. جَمْعِ الْجَمْعِ وَفَرْقِ الْفَرْقِ مِنْ حَيْثُ لاَ جَمْعَ وَلاَ فَرْقَ لاَ لِسَانَ لِمَخْلُوقٍ يَبْلُغُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ صَلَّى الله وَسَلَّمَ يَا سَيِّدَنَا يَا مَوْلاَنَا يَا مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ.

الصلاة السادسة

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ عَدَدَ الأَعْدَاءِ كُلِّهَا مِنْ حَيْثُ انْتِهَاؤُهَا فِي عِلْمِكَ وَمِنْ حَيْثُ لاَ أَعْدَادَ مِنَّا حَيْثُ إِحَاطَتُكَ بِمَا تَعْلَمُ لِنَفْسِكَ مِنْ غَيْرِ انْتِهَاءٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أنوار التحصين لمولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله

أنوار التحصين

لقطب المحققين مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله عنه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم صلي على مولانا محمد وعلي آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله

بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله...بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله...بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن ....(ثلاثا)

بسم الله. وبالله. ومن الله. وعلى الله وفي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله...بسم الله افتتحت. وبالله اختتمت وعلى الله توكلت...لا قوة إلا بالله دخلت في طي أمواج أسرار الحجب النورانية التى لا يطيق الناظر إلى كشف حقائقها.....وآئتزرت بسرادق الهيبة المنزلة من أسرار أنوار أسماء الله الحسني ، واكتفيت بكنف الله المطلق.. الذي منع عني أذي كل مخلوق من أهل السموات وأهل الأرضيين. ... حرز الله مانع ، وسر أسمائه دافع، ونور جلاله لامع ، وبهاء جماله ساطع...فمن أرادني بسوء أو كادني بكيد كنت.محفوظا معصوما مؤيدا منصورا وكان مذموما مدحورا خاسئا حسير... حم ...حم... حم... حم... حم ...حم... حم .... حم الأمر وجاء النصر.وخمدت نار العداوه والحرب.

وامتنع كل شيطان ..وقهر كل جبار. وذل كل متكبر وخضع كل ملك وسلطان، ولهيبة عظمة جلال الله امتنع السوء عني واندفع... وظهر نور النصر ولمع وبدا سر أسماء الله وسطع وذل كل من الجن والأنس وخضع.....إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا...ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن...أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا...، حم ...حم... حم... حم... حم ...حم... حم .... حم الامر.. وجاء النصر.. وخمدت نار العداوة والحرب .. ونفذ حكم الله ، واستعنت بالله ، وتوكلت على الله و تحصنت بخفي لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر اللة وعظيم ذكر الله...وبقوة سلطان الله دخلت في كنف الله واستجرت برسول الله و برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته... قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت.و إليه متاب...فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم......(سبعا).

قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم...ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم...(ثلاثا).

اللهم استرني في نفسي وديني وأهلي ومالى و ما لىّ و ما علّىّ واخوانى بسترك الذي سترت به ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل إليك يا رب العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقوتك يا قوى يا متين... وصلي الله على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله. .

بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا . نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين....(تسعا).

بسم الله الرحمن الرحيم...إذا جاء نصر الله والفتح...ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا... فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا .

و صلي اللّهم على سيدنا محمد صلاة دائمة في كل لمحة من الأزل إلى الأبد

يقرأ هذا الورد صباحا و مساءا

اوراد صاحب العلم النفيس سيدى احمد بن ادريس الإثنين فبراير 25, 2013 9:37 pm

يقول أحمد بن إدريس في أوراده: "وأن تمدني يا إلهي بنور من عظمة ذاتك في بصري تجليا، لو قُدِّر تجزئة ذلك النور على خمسين مائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف جزء، كل ذلك يا إلهي مضروب في خمسين مائة ألف ألف ألف ألف مِثل

من أمثاله، إلى ما لا نهاية له، جزء واحد من جميع ذلك، لو نظرت به لجميع العوالم لذابت، واحترقت في أقل من لمحة، ثم تمدني يا إلهي بمثل ذلك كله نورا مضروبا في كل ذلك، خمسين مائة ألف ألف ألف ألف ألف مرة في بصيرتي، ثم بمثل ذلك كله نورا في عقلي, ثم بمثل ذلك نورا في لساني، ثم بمثل ذلك كله نورا في يدي، ثم بمثل ذلك كله نورا في رجلي، ثم بمثل ذلك كله نورا في خيالي، ثم بمثل ذلك كله نورا في عظامي، ثم بمثل ذلك كله نورا في مخي، ثم بمثل ذلك كله نورا في لحمي، ثم بمثل ذلك كله نورا في عصبي، ثم بمثل ذلك كله نورا في دمي، ثم بمثل ذلك الجميع نورا مضروبا في الجميع، خمسين مائة ألف ألف ألف ألف ألف مرة في ذاتي، ولو قدر أن كل ذرة من ذرات أجزاء الوجود لوح، أو قرطاس سعته على قدر العالم خمسين مائة ألف ألف ألف ألف ألف مرة، تكتب في ذلك حصر عدد نوع واحد من أجزاء ذلك النور لعجزوا، ولم يستوفوه بوجه من الوجوه، ويبقى ذلك النوع من أعداد وجوهه ما فوق ذلك، مما لا يحيط به إلا أنت، على ذلك يا إلهي على سبيل الكشف، والإحاطة الجامعة لوجوه الإدراكات كلها حتى أشهدك بها شهودا ذاتيا، خارجا عن المعقولات والمحسوسات من طاقة البشر بعد أن تؤيدني يا إلهي بقوة كاملة إلهية، عناية منك أزلية أبدية، ثم تؤيدني يا إلهي

بمثل ذلك، مما لا يحصره عدد، ولا ينتهي إليه أمد، مما هو في إحاطة وسع علمك يا الله، يا أحد، ثم تصب يا إلهي على ذاتي فيوضات بحر محيط الرحمة الذاتية، حتى أكون كلي رحمة إلهية في جميع جهاتي، يتلو في جميع جهات الخلق آية الرحمة الإلهية المطلقة، ورحمتي وسعت كل شيء، إنك على كل شيء قدير، وأن تتجلى لي يا إلهي في كل نفس مع صحة الأنفاس بالعافية الكاملة، أكثر من خمسين مائة ألف ألف ألف ألف مرة تجلٍ، ثم في النفس الذي يليه أكثر من خمسين مائة ألف ألف ألف ألف ضعف مما ذكر من العدد في الأول، ثم في النفس الثالث أكثر من خمسين مائة ألف ألف ألف ألف مرة ضعف مما وقع في الثاني، ثم هكذا بالتضعيف في جميع الأنفاس كل تجلٍ من ذلك يكون في العالم الدنياوي بجميع أصنافه، والعالم الأخراوي بجميع أنواعه بالنسبة إليه، كذرة ملقاة في وسع هذه العوالم المشهودة، كل ذلك مصحوبا بالمكالمة الإلهية مع الأنفاس التي تكون الشرائع المنزلة جميعها ظاهرا وباطنا مسموعة لي من حضرة الذات المقدسة، بجميع بحور أسرارها التوحيدية، وأسرار معاني وجوهها الخلقية حتى تكون حركاتي وسكناتي وأنفاسي كلها لا يقع منها إلا بإذن صريح من الحضرة القدسية، وأن تخرجني يا إلهي من المكر، والاستدراج ، وأن تجعلني قائما

في كل ذلك بالشرائع الإلهية، على أتم منهاج، حتى لا أخرج عن الأوامر الإلية بمصاحبة الشهود الذاتي لحظة، وأن تقويني يا إلهي بالقوة التي يختل لي معها نظام تركيب بدن ، ولا عقل.

مصادر لم أقف عليها :

رسائل احمد بن ادريس

Aḥmad ibn Idrīs
C. Hurst & Co. Publishers, 1993 - 184 pages

- رسائل أحمد بن ادريس لبعض تلاميذه مشتمل على وصايا . تأليف أحمد بن أدريس الحسني الأدريسي. (محفوظ في مكتبة الشيخ عبدالملك بن دهيش - حفظه الله -). من التراث المخطوط لجازان.